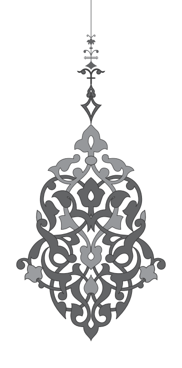


مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الرابع

حسن بن موسى الصفار

مسارات
في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الرابع

الطبعة الأولى: 1437هـ-2016م



أطياف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (١٣) ٩٦٦ +
القطيف - شارع القدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail : atyaf-pd@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمـدُ للّهِ ربِّ العَالمِين اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتمِ النَبِيين وتَمَام عِدّة المُرْسَلِين وعَلَـى آلـهِ الطَيِّبِيـن الطَاهِريـن وَصَحْبِـه المُنْتَجَبِين.

أول المسار

القدرات العقلية هي أكبر نعمة منحها الله تعالى للإنسان، بها امتازت شخصيته عن سائر الكائنات، وبها امتلك القابلية للتكليف والخطاب الإلهي، وبها أصبح مؤهلًا للقيام بعمارة الأرض وتسخير طاقات الكون.

ولأن الإنسان قد يغفل عن الالتفاف إلى هذا الكنز العظيم الذي يختزنه، وقد يتكاسل عن تفعيل قدرات عقله الهائلة، لذلك أنزل الله تعالى رسالاته الهادية، لتوجيه الإنسان للاستضاءة بنور عقله، ولاستثمار طاقات فكره، حتى يدرك من خلال التفكير والنظر حقائق الوجود، ويكتشف أسرار الكون، ويتعرف سبل إدارة الحياة.

ومن هذا المنطلق تركّز عشرات الآيات في القرآن الكريم على مسألة التعقل والتفكر والتفقه والنظر، باعتبارها منهجًا لتحفيز العقل واستنطاقه فيما يواجه الإنسان من أسئلة وتحديات.

إن الرسالات الإلهية لم تأتِ لتقديم إجابات جاهزة تلقّنها الإنسان حول وجوده ومصيره وطريقة إدارة حياته، بل جاءت لتحرّض عقله على التفكير في كل ذلك، وترشده إلى المنهجية الصائبة، بعيدًا عن تأثيرات الأوهام والخرافات، وسطوة الأهواء والشهوات، وهيمنة القوى النافذة في مجتمعه البشري.

فأصول المعتقدات الدينية إنما يكون الإيمان بها عن طريق العقل، وإطاعة أوامر الدين إنما يلتزم بها الإنسان بباعث عقلي، والتشريعات الدينية لا يمكن معرفتها إلا بإعمال العقل.

ومع تأكيد الدين على مرجعية العقل ومحوريته، وعلى دوره الأساس في مختلف جوانب حياة الإنسان، إلا أن الثقافة الدينية السائدة في معظم مجتمعاتنا الإسلامية تتنكر لدور العقل، وتسعى لتحجيمه وتقليص فاعليته، وذلك بمبرر وجود رأي ديني جاهز في كل قضايا الكون ومسائل الحياة، بمختلف جوانبها وتفاصيلها، فلا داعي لإعمال العقل، ولا حاجة للتفكير والنظر، فحركة العقل محكومة بسقف ذلك الرأي الديني، ولا يجوز له التطاول والتجاوز.

وحين تفتش عن ذلك الرأي المنسوب للدين وتفحصه، قد تراه نصًا متناقلًا عن النبي أو الإمام، يصعب الاطمئنان إلى صحة سنده وسلامة طريق روايته ونقله، خاصة مع الفواصل الزمنية الكبيرة، وملابسات الاختلاف والصراعات السياسة والفكرية التي رافقت عصر تدوين الحديث والتاريخ.

أو قد تجد أن ذلك الرأي ينطلق من تفسير لنص ديني يقبل تفسيرات أخرى، أو يمثل مقولة لأحد أعلام السلف حسب ما انتهى إليه فكره واجتهاده، أو يكون رأيًا تبناه الوسط الديني في عصر من العصور، بتأثير أعراف ونمط الحياة في ذلك العصر، وتلك البيئة الاجتماعية.

إننا لا نتحدث هنا عن الأصول والعقائد الأساسية في الدين، حيث لا يناقش أحد في أن مستندها العقل وليس النقل، ولا نتكلم عن الثوابت والفرائض الدينية التي تحقق فيها الاجماع على مستوى الأمة أو المذهب، فتلك القضايا تشكّل مساحة محدودة من الفكر والثقافة الدينية.

بل نقصد في حديثنا تلك التفاصيل والبرامج المرتبطة بإدارة حياة الفرد والمجتمع، والمتعلقة بفهم أنظمة الكون والتعامل مع الطبيعة.

حين ننظر إلى المجتمعات المتقدمة نراها تستنهض عقول أبنائها، وتحفزها للتفكير والإبداع في مختلف مجالات الحياة، فهناك دراسات وأبحاث ومختبرات وتجارب في مجال العلم والمعرفة، وهناك مؤتمرات وبرلمانات وإعلام حرّ، وحراك اجتماعي دوؤب عبر الانتخابات البلدية والبرلمانية والرئاسية، كل ذلك في أفق مفتوح لتطوير الأنظمة والقوانين، وتجديد الأفكار والآراء والبرامج والمناهج في مختلف جوانب الحياة.

وفي المقابل تعيش مجتمعاتنا ركودًا وجمودًا قاتلًا، فنقاش أيّ فكرة سائدة، أو نقد أيّ واقع قائم، أو المطالبة بتغيير أي مسلك مألوف، يواجه معارضة ومقاومة باسم الدين، وقد يوصف بالارتداد والابتداع والضلال.

من جانب آخر فإن تفجر صراع الهويات الدينية والمذهبية، دفع بعض التيارات للمزيد من التشدد والتزمت الديني، وصار كل طرف يستخرج من تراثه الديني والمذهبي ما هو الأكثر تشددًا وتعقيدًا، فاتسعت رقعة الواجبات والمحرمات، وتضخمت مظاهر الشعائر والمستحبّات، وازدادت المواقف حدّة بين المذاهب والجماعات، وأعيد الاعتبار لآراء كانت شاذّة، وممارسات كانت منبوذة، كل ذلك يتم بغطاء تعبئة دينية مذهبية تقصي العقل، وتخالف المنطق، وتكرس التخلف والانقسام.

إن الحاجة ملحة في ساحة الأمة، لاستحضار دور العقل، والدعوة إلى التفكير الموضوعي، واعتماد منهج العقلانية في فهم الدين وإدارة الحياة، وذلك لمواجهة هذا الانحدار والتدهور الخطير في واقع الأمة.

أما مواجهة النصوص بالنصوص، والفتاوى بالفتاوى، والتعبئة بالتعبئة، فسيبقينا ضمن ذات الدائرة المفرغة، ويزيدنا تخلفًا وفرقةً وانقسامًا، لتوفر كل طرف ومذهب على مخزون هائل من النصوص والفتاوى وموادّ التعبئة والتحريض ضد الآخر.

إن العقلانية التي ندعو إليها ليست خيارًا في مقابل الدين، بل منهج في فهم الدين، يرتكز على أصول الإيمان، وينطلق من القيم الأساس التي جاء الدين لتحقيقها، ويعتمد

العلم والمعرفة في إدراك الأمور ومعالجتها، كما يستفيد من تجارب المجتمعات والأمم.

وهذا المنهج ليس دخيلًا على الدين، ولا خارجًا عن سياقاته، بل هو المنهج الأصيل الذي أخذ به المسلمون الأوائل فبنوا حضارة الإسلام الزاهية، والانقلاب عليه بإغلاق باب الاجتهاد واعتماد تقليد الأسلاف، هو الذي قاد الأمة إلى الجمود والتخلف والانحطاط.

ويمكن القول إن العقلانية هي دعوة القرآن الكريم، والرسالة التي بشّرت بها آياته المحكمة، كقوله تعالى: ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ والتي تكررت بهذه الصيغة ثلاثة عشر مرة، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ والتي تكررت ثماني مرات، وقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ والتي جاءت سبع مرات، إلى عشرات الآيات الواردة ضمن هذا السياق.

إن من أهم وظائف الخطاب الديني المسؤول في هذه المرحلة، هو عقلنة التوجهات والاهتمامات الدينية، حيث تسعى بعض الجهات لأخذها صوب التشدد والتزمت، بتضخيم هاجس الخوف على الهويّة، وإثارة القلق المتبادل بين الأطراف المختلفة مذهبيًا وفكريًا داخل الأمة، وبث مشاعر الكراهية والعداء ضد الآخر المخالف، كجزء من العقيدة والدين، وإحياء تراث الغلو والتطرف.

ولن يكون القيام بهذه الوظيفة أمرًا ميسورًا، بل تكتنفه المشاكل والصعوبات، وتواجهه العراقيل والعقبات، لأنه إبحار عكس تيار جارف، وخاصة في بعض الأوساط والمجتمعات.

لكننا نأمل أن يكون هذا التيار موجة عابرة، اقتضتها ظروف التحول والانتقال التي تمر بها المنطقة، وتأثيرات الأوضاع السياسية المضطربة في ساحة الأمة، وأن على المصلحين الواعين متابعة مسيرتهم، وتكثيف جهودهم، بالتوكل على الله، والرهان على المستقبل، والأمل بالجيل الصاعد من أبناء الأمة.

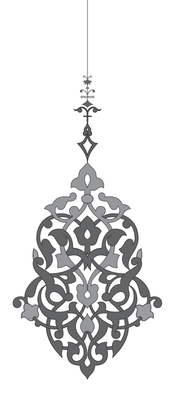
وبين يدي القارئ الكريم جهد متواضع ينطلق من الشعور بهذه المسؤولية، ويتطلع إلى هذا الأمل والرجاء، ليتكامل مع جهود المخلصين الواعين من العلماء والدعاة والمثقفين من أبناء الأمة على طريق الإصلاح والتغيير.

تحتوي صفحات هذا الكتاب على مجموع خطب الجمعة التي ألقيتها سنة ١٤٣٣هـ، إضافة لتوثيق بعض الأنشطة والفعاليات الثقافية والاجتماعية التي وفقني الله تعالى للقيام بها في ذات العام.

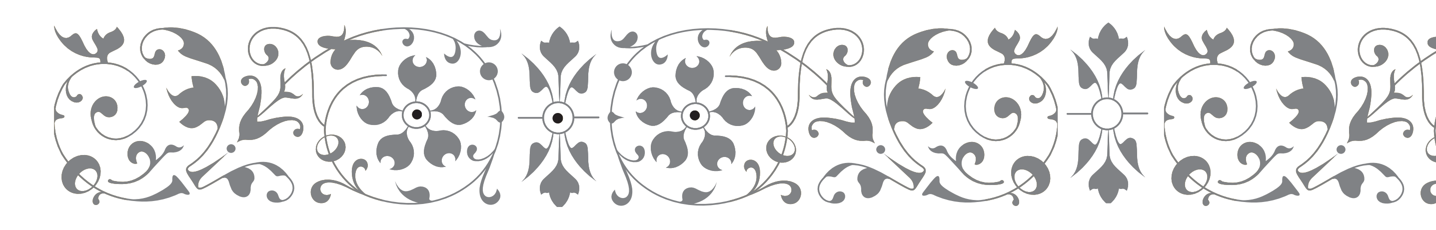
اسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا القليل، وأن يمنحني كثيرًا من فضله ورحمته، إنه الوهاب الرحيم.

والحمد الله ربّ العالمين.

حسن الصفار
14 جمادي الأولى 1437هـ
2016/2/23م



خُطَبُ الجُمُعَة



الخطبة الأولى

ثورة الحسين عليه السلام والتزام القيم

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال في خطبته قبل خروجه من مكة: «رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين»[1].

تكمن عظمة الثورات الشعبية عبر التاريخ في قيمية منطلقاتها وأهدافها. هناك ثورات كثيرة في التاريخ البشري قامت بوجه الظلم والطغيان، لكن ومن بين تلك الثورات امتازت ثورة الإمام الحسين عليه السلام بأنها في أعلى درجات الالتزام القيمي، فقد كانت ثورة قيمية مبدئية في المقام الأول.

فالحسين عليه السلام لم يتحرك من أجل مكسب شخصي، أو منصب قيادي، أو مصلحة لمنطقة أو طائفة، إنما تحرك من أجل القيم، ومن أجل الله تعالى، هذا ما كان يصرح به عليه السلام في كل مفصل من مفاصل ثورته، وعند كل منعطف من منعطفات مسيرته، فقد قال عليه السلام منذ بداية تحركه عند خروجه من المدينة: «إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا، ولا مفسدًا ولا ظالمًا، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[2]. وقال في كلمة أخرى يوم عاشوراء: «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وأن الباطل لا ينتهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقًّا، فإني لا أرى

(١) علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي. كشف الغمة، ج٢، (بيروت ـ دار الأضواء)، ص٢٤١.

(٢) محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار، ج ٤٤، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، (بيروت ـ دار إحياء التراث الإسلامي)، ص ٣٢٩.

الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برما»[١].

لقد كان الإمام الحسين يستحضر حتى اللحظات الأخيرة من حياته حينما وقع من على ظهر جواده، المنطلقات التي نهض من أجلها، فقد قال عليه السلام وهو يهوي إلى الأرض بعد أن أصابه السهم المثلث «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله»[٢]. إذًا فهي ثورة قيمية في منطلقاتها وأهدافها، والأهم من ذلك أنها قيمية في حراكها وفي ممارسة قادتها وأبطالها.

الغاية لا تبرر الوسيلة

حيث ينبغي أن تكون تفاصيل التحرك الاجتماعي متفقة مع الهدف والقيم. نحن لا نؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، فقد يتحرك العاملون من منطلق صحيح، وتكون أهدافهم مشروعة، لكن الخشية تقع في سبل ومآلات هذا التحرك فيما لو حاد يمينًا أو شمالًا. فعادة ما يتسم أي تحرك ومواجهة ثورية بحالة استنفار لمشاعر الغضب والاندفاع عند الإنسان، وهذا ما ينذر بإمكانية صدور ممارسات من الإنسان الثائر مجانبة للإطار القيمي الذي انطلق على قاعدته، وكما ورد عنهم عليهم السلام: «لا يطاع الله من حيث يعصى»[٣] فالهدف الطاهر النبيل يجب أن تكون وسائله طاهرة نبيلة.

الحماس والانفعال قد يحرف المسار

وتكمن الصعوبة الكبرى لدى العاملين في الساحة حينما تسيطر عليهم مشاعر الثورة والغضب. فالإنسان العامل يقف هنا أمام تحدٍّ كبير، ينذر بغياب الهدف النبيل

(١) الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني. تحف العقول، الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ، (بيروت ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ١٧٦.
(٢) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٣.
(٣) الشيخ محمد رضا النجفي الأصفهاني. وقاية الأذهان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (قم ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث)، ص٣٩٤.

في تحركه، وحضور الحالة الذاتية في مقابل ذلك. فأصل التحرك كان من أجل هدف صحيح ومصلحة عامة، ولكن في أثناء التحرك يواجه موقفًا فينحرف به نحو أهداف شخصية، وانتقام للذات. حينئذٍ لا يعود التحرك منسجمًا مع القيم المبدئية التي يريدها وأنطلق على أساسها.

لا ينبغي للعاملين أن يندفعوا بحماس فيقعوا في تصرفات انتقامية، انطلاقًا من دوافع شخصية كانت أم فئوية أم طائفية. ونشير هنا إلى المثال الرائع الذي ضربه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في غزوة الخندق حينما برز لعمرو بن عبد ود فصرعه وتربع على صدره ليجهز عليه، ولكن تفاجأ الجيش بابتعاد علي عن عمرو وكأنه يفوت الفرصة السانحة، ثم عاد بعد ذلك ليقتله. ولما سئل ﷺ قال: «قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي، ثم قتلته في الله»[1]. يجب أن يراعي العاملون هذا الأمر، فلا ينبغي الاندفاع بحماس قد يوقعهم في تصرفات انتقامية لذواتهم، أو لمصالح فئوية أو طائفية خارج منطلقاتهم القيمية.

الانضباط الأخلاقي

أما الوجه الآخر للتحدّي الذي يواجه الثائرين في التزام القيم هو أن يقوم الثائر بتصرفات مخالفة للأخلاق النبيلة. فقد يقع الثائرون في تصرفات خارجة عن النبل نتيجة الاندفاع الزائد والحماس غير المنضبط، وهذا خطأ كبير، فالإنسان المؤمن المبدئي حتى وهو في المعركة، وأثناء مواجهة الأعداء، عليه أن يراعي جانبه الخلقي المبدئي، هذا ما يعلمنا إياه الإسلام وهذا ما تحكيه سيرة أهل البيت ﷺ وما سجلته سيرة الإمام علي ﷺ وثورة الحسين بوضوح وجلاء. فالإمام علي ﷺ كان بإمكانه أن يحقق الكثير من الانتصارات على مناوئيه لو تجاوز المبادئ والأخلاق، كما كان يشير

---

(١) الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي. مستدرك الوسائل، ج ١٨، تحقيق مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ص ٢٨.

عليه آخرون في كثير من الأحيان، ولكنه كان يرد عليهم باستمرار «أَ تَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ وَ اللَّهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَ مَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا»[١]، فقد كانت قيمة النصر عند علي بن أبي طالب هي رضا الله تعالى ولا شي غير ذلك. وورد عنه عليه السلام القول: «مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِهِ»[٢]، وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن لجهنم بابًا لا يدخلها إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى»[٣]، فمثل هذا المرء لا يقبل الله منه حتى لو كانت أهدافه محقة، فالأصل لدى العاملين أن يكونوا ملتزمين، تحت أي ظرف، بالقيم النبيلة التي قاموا من أجل تحقيقها.

رعاية الحرمات والحقوق

إن من أعظم الخطايا أن ينجر الثائرون لتنفيس غضبهم بما ينتهي لهلاك النفوس المعصومة الدم أو الاعتداء على حرمات وحقوق الآخرين. وقد ورد عن سيد الفصحاء والمتكلمين علي عليه السلام كلمة تهزّ الضمير حين قال: «إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ـ يعني المبادئ الثابتة التي لا تهاون فيها ـ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَ يُعَاقِبُ وَ لَهَا يَرْضَى وَ يَسْخَطُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا وَ إِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَ أَخْلَصَ فِعْلَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِيًا رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ»[٤]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه من حق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل»[٥]. فلا مبرر مطلقًا لحالة الغضب والانفعال التي يمكن أن تقود إلى إيذاء أو قتل الطرف الآخر، دون تثبت ودون وجه حق، فالناس محاسبون يوم القيامة عن كل قطرة دم سفكت بغير وجه حق،

---

(١) نهج البلاغة. الطبعة الثالثة١٤١٦هـ، تحقيق مؤسسة نهج البلاغة، دمشق.خطبة ١٢٦.

(٢) نهج البلاغة. حكمة ٣٢٧.

(٣) ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري. تنبيه الخواطر، ج١، (بيروت ـ دار التعارف)، ص ١٢١.

(٤) نهج البلاغة. خطبة ١٥٣.

(٥) الكافي، ج٢، ص٢٣٣، حديث١١.

وحينها لا ينفع أي تبرير، ولاتَ حين مناص.

الثورة المتميّزة

إن الميزة العليا لثورة الإمام الحسين عليه السلام تكمن في قيميتها في كل التفاصيل والجزئيات. فلو بقي الحسين عليه السلام في مكة وورط بني أمية بقتله في المسجد الحرام لكانت الجريمة أبشع، والمردود السلبي على السلطة أكبر، ولكنه خرج من مكة؛ ذلك لأنه عليه السلام لم يكن يحكمه هوس الصراع مع بني أمية والرغبة في توريطهم، وقد عوتب على ذلك، فقال: «والله لان أقتل خارجًا منها بشبر أحب إليَّ من أن أقتل داخلًا منها بشبر»[1]. كانت الأولوية بالنسبة للإمام هي الحفاظ على حرمة بيت الله الحرام، ولم يكن همه تسجيل الأهداف ضد خصومه على حساب حرمة البيت العتيق.

وعلى ذات المنوال حين واجه الإمام الحسين جيش الحر بن يزيد الرياحي، المكون من ألف فارس وقد كانوا منهكين من العطش، وكان بإمكانه مقاتلتهم، وبذلك قد يردع من يأتي بعدهم ويكسب الغنائم منهم، وهذا ما اقترحه عليه بعض أصحابه، فقال زهير: إن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا من بعدهم، لكن الحسين عليه السلام بقي ملتزمًا قيمه، فقال: ما كنت لأُبدّأهم بقتال، ثم التفت إلى أصحابه وقال: اسقوا القوم ورشفوا الخيل ترشيفًا.

وعلاوة على ما سبق، تجلّى اهتمام الإمام عليه السلام بالتزام القيم الاخلاقية في التفاصيل الجزئية، حين قدم شمر بن ذي الجوشن وكانت له خؤولة مع إخوة الحسين من أم البنين، وقف بإزاء مخيم الحسين، وقال: أين بنو أختنا؟ لكن العباس وأخوته استنكروا أن يجيبوه أو يردوا هتافه، ولكن الحسين التفت إلى العباس وإخوته فقال: «أجيبوه وإن كان فاسقًا فإنه بعض أخوالكم»[2]، علما بأنه لم يكن من أخوالهم المباشرين إلا من

---

(١) محمد بن جرير الطبري. تاريخ الطبري. (بيروت ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ج٤، ص٢٨٩.
(٢) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني. اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٥٤.

حيث انتساب أمهم لقبيلته.

وفي سياق الأمثلة ذاتها؛ روي أن الإمام الحسين أمر مناديًا في ليلة العاشر من المحرم بألّا يقاتل معه رجل وعليه دين، فكان يرى عليه السلام أن أولوية أداء الدين مقدمة على القتال بين يديه، فالإمام لم يرد أن يدخل في هذه الثورة المباركة من الشهداء من كان عليه دَين ثم يقتل، فيقال عنه إنما فعل ذلك هروبًا من دائنيه. كان عليه السلام يريد أن يكون أولئك الأصحاب على درجة عالية من النقاء، حتى يستحقوا أن تزورهم الأجيال طوال الزمن بالزيارة المشهورة «السلام عليكم يا أنصار الله، السلام عليكم يا أنصار رسول الله، السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين، السلام عليكم يا أنصار فاطمة الزهراء، السلام عليكم يا أنصار أبي محمّد الحسن المجتبى، السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله الحسين..». هذا هو الحسين وهذا سرّ خلوده وخلود نهضته المباركة.

فما أحرانا ونحن نستحضر سيرة وثورة أبي عبدالله عليه السلام، أن نستحضر معها قيمها ومبادئها التي نهض من أجلها، وأن يكون هدفنا في كل حركة وعمل ليس الانتقام للذات والتنفيس عن الغضب والاحتقان وإنما رضا لله سبحانه وتعالى.

الخطبة الثانية

ضد الاستبداد والاستئثار

ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنه قال: «ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفئ، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير»[1].

إن تفشي الاستبداد السياسي والاستئثار بمقدرات الشعب يمثلان ذروة الانحراف في حياة الأمة. وإزاء هذا الحال ينبغي أن يظهر للملأ الموقف الذي يمثل رأي الدين والمبادئ الحقة . لقد عاصر الإمام الحسين (عليه السلام) مرحلة خطيرة من تاريخ الأمة، تمثّل فيها تجذر الانحراف السياسي إبان الدولة الأموية، فقد غير بنو أمية معالم الحياة السياسية في الأمة، ومن أبرز تجليات هذا الانحراف تسلط الاستبداد السياسي، ومصادرة إرادة الأمة.

فقد وصل معاوية بن أبي سفيان لسدة الخلافة من دون اختيار من قبل الأمة، بل بالغلبة والقهر، فتحملته الأمة على مضض، لكنه لم يكتف بذلك، وإنما عهد بالحكم إلى ولده يزيد، الذي كان يفتقد أدنى مقومات الحكم والخلافة، وبذلك فتح الطريق لتحول الخلافة الإسلامية إلى حكم وراثي، وهو تحول خطير، فالخليفة الأموي هو الذي كان يقرر كل شيء، خلافًا لأمر الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾، وخلافًا لسيرة رسول الله الذي أمره تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. لقد أصبحت الأمور بيد

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٠٤.

الحاكم الخليفة، فهو الذي يقرر نيابة عن الشعب فقهاء وعامة، وكأن الناس عبيد لديه، فقد «اتخذوا عباد الله خولًا»[١] كما روي عن الإمام الحسين. لقد تعامل الأمويون مع الناس باستبداد سلب منهم إرادتهم على نحو مطلق، فكان الناس كالعبيد الذين لا رأي لهم، وإنما يقرر أسيادهم بالنيابة عنهم!.

ملامح الاستبداد

لقد كان من أبرز ملامح الاستبداد في العهد الأموي سيطرة فئة محدودة على جميع المقدرات. فكانت المناصب العليا توزع وفقًا لمزاج الحاكم بما في ذلك منصب القضاء، ففقد القضاء نزاهته واستقلاله، فالقضاة الذين يفترض بهم النزاهة والانطلاق من أحكام الشرع، أصبح هؤلاء في العهد الأموي موظفين أسراء بيد الحاكم، فهو الذي يعين القاضي وهو الذي يعزله، وهو الذي يملي عليه الأوامر، ولا يمكن لقاضٍ أن يصدر قرارًا بخلاف رغبة الخليفة.

كما قمعت في ذلك العهد مختلف الآراء، فلم يعد هنالك وجود لحرية الفكر والرأي، فالحاكم هو الذي يقرر ما إذا على الناس أن يؤمنوا بعقيدة الجبر أو التفويض، أو معنى الإيمان بالقضاء والقدر، وهل القرآن مخلوق أم قديم، أم أن للناس أن يحبوا أهل البيت أم لا، وفيما يتعلق بهذه النقطة الأخيرة، كم قتلوا من الناس وعاقبوهم لا لذنب إلا لأنهم كانوا يوالون علي بن أبي طالب، فقد ورد أن معاوية كتب إلى بعض ولاته: «من اتهمتوه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره»[٢]، فقد بلغ من الحكام أن يتحكموا حتى في مستوى الحب القلبي لدى الناس. كان القمع الشامل للحريات هو السمة الأبرز لذلك العهد وقد استخدموا لهذا الاستبداد مختلف العناوين.

---

(١) تحف العقول، ص ٢٣٣.

(٢) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة، ج ١١، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ، (بيروت ـ دار إحياء الكتب العربية)، ص ٤٥.

ومن ناحية أخرى، كان هناك استئثار بخيرات الأمة وثرواتها. فالمسلمون الذين كانوا يعلمون بمبادئ الدين وقيمه، ويرون الخليفة والحاكم وكيلًا عن الأمة لإدارة ثرواتها، وخازنًا لبيت مال الأمة، جاء بنو أمية وقلبوا هذا المفهوم رأسًا على عقب، فأصبح الحاكم الأموي مالكًا لبيت مال المسلمين يتصرف فيه كيف يشاء، كما ترك العنان لأقربائه وأصحابه ومن يدور في فلكه يعبثون بثروات الأمة، فيما ظلت جماهير الأمة تعيش الفقر والبؤس والحرمان.

الحسين والموقف الرسالي

لقد بلغت الأمة حدًّا خطيرًا من الانحراف والاستبداد السياسي والاستئثار بالمقدرات. وقد كان الامام الحسين ﷺ يدرك أنه ليس بمقدوره أن يغير هذا الواقع الذي أصبح قائمًا بالفعل، خصوصًا في ظل افتقاده لقوة مقابلة يجابه بها جبروت السلطات، لذلك قال: «وإني زاحف إليهم بهذه الأسرة مع قلة العدد، وخذلة الناصر»[١]، وإزاء هذا الوضع كان مطلوبًا منه ﷺ تسجيل موقف واضح انقيادًا لله ورسوله، وانسجامًا مع مبادئه وقيمه.

لم يكن باستطاعة الإمام أن يغيّر الواقع، ولكن كان مطلوبًا منه أن يظهر اعتراضه على ثالوث الانحراف والاستبداد والاستئثار، ولو لم يعترض ﷺ لكان يمكن للأجيال اللاحقة أن ترى أن جميع تلك الممارسات كانت مشروعة، ومقبولة من الناحية الشرعية بدليل سكوت الأئمة والفقهاء وجماهير الأمة، وقد حدث بالفعل أن برزت في المسلمين مدرسة قامت في الأساس على هذا الرأي؛ وخلاصته أن يترك الحاكم يفعل كيف يشاء، تبعًا لمقولة من تولى عليكم فاسمعوا له وأطيعوا (أطعه وإن جلد ظهرك ونهب مالك). لا ينبغي في الحقيقة أن تكون كل الأمة ضمن هذا الاتجاه، وإنما لا بُدّ وأن يظهر الرأي الآخر الذي يمثل رأي الدين والمبادئ تبعًا لرؤية أهل

---

(١) تحف العقول، ص ١٧٤.

البيت، لذلك أراد الحسين بنهضته وثورته أن يسجل هذا الاعتراض، حتى يقول للأمة وللأجيال القادمة إن هذا الاستبداد وهذا الاستئثار بثروات الأمة غير مقبول، بل هو مرفوض وغير شرعي.

الإمام الحسين ﵇ ومن خلال اعتراضه العلني على الاستبداد نجح في ايصال رسالته للأجيال. فرغم استمرار حكام بني أمية على نهجهم، والتاريخ الطويل الذي عاشته الأمة الإسلامية من الاستبداد والاستئثار الذي أسس له بنو أمية، ظلَّ موقف الحسين منارة وعي لأبناء الأمة، ونحن نرى اليوم وقد بدأت جماهير الأمة وشعوبها تستوعب هذه الحقيقة.

الأمة والوعي الجديد

لقد ساد تاريخ الأمة الفصل التام بين المسجد وديوان الحكم، فللناس أن يعبدوا الله لكن لا شأن لهم بالسياسة، وليس من مهماتهم التفكير في كيفية وصول الحاكم لسدة الحكم، وحرام عليهم السؤال عن مصير ثروات الأمة، وكيف تدار وتصرف، وذلك طبقًا لقاعدة (ما لله لله وما لقيصر لقيصر)، وقد سارت أجيال على هذا النهج الذي بدأه بنو أمية، لكننا بدأنا الآن نعيش عصرًا مختلفا وعهدًا جديدًا، فقد بدأت شعوب الأمة تدرك بأن الإسلام ليس مجرد عبادة وصلاة، بل هو قيم يجب أن تحكم الحياة، وأهمها قيم الحرية والعدالة وكرامة الإنسان والمساواة، هذه القيم هي ما يجب أن تسود في حياة المسلمين.

لقد دخلت شعوب الأمة اليوم عهدًا جديدًا، وأظهرت فهمًا جديدًا للإسلام، ورأينا كيف التفت جماهير الأمة حول هذا الوعي الجديد للإسلام الذي يعني الإيمان بالقيم في الحياة العامة، والمرتبطة ارتباطًا وثيقًا بقيم الحرية والعدالة والتنمية. إن صرخة الاعتراض التي أطلقها الحسين في كربلاء ضد الاستبداد وجدت صداها اليوم في ثورات الربيع العربي.

لقد أظهرت الشعوب العربية من خلال الانتخابات البرلمانية في الآونة الأخيرة وعيًا جديدًا بالإسلام. فقد وجدنا خلال الانتخابات في تونس كيف اختار أغلبية الشعب حركة النهضة الحركة السياسية التي تعلن فهمها الجديد للإسلام، فلم تكن هذه الحركة التي انتخبها الناس في تونس حركة عقائدية تريد تصحيح معتقدات الناس، كما أنها لم تكن حركة فقهية عبادية تريد الاهتمام بالمظاهر العبادية، وإن كان ذلك من مهمات كل مسلم، بل كان برنامج تلك الحركة هو إظهار وتطبيق ما كان غائبًا عن المسلمين من قيم العدالة والحرية والتنمية التي تجعل المسلمين في الموقع المناسب في هذا العصر.

وعلى غرار ذلك كانت خيارات الناخبين في الانتخابات المغربية الأخيرة، فقد انتخبوا الحركة التي ترفع ذات الشعار، والموضوع ذاته بات متكررًا في مصر أيضًا خلال الانتخابات الأخيرة، فالإسلاميون رفعوا هذه الشعارات لأنهم يعلمون أن ما تحتاجه الأمة هو أن تعيش هذه القيم التي يريدها الإسلام. تلك القيم ولا شك وثيقة الصلة بالشعارات التي أرادها الإمام الحسين عليه السلام حين صرخ صرخته الشهيرة في كربلاء «كونوا أحرارًا في دنياكم»[١]، وقد خاطب الناس منتقدًا حكام بني أمية بالقول: «من غير عدل أفشوه فيكم»[٢].

نحن الآن أمام عهد جديد، نأمل أن تعود معه الأمة كلها إلى دينها، ليس على مستوى المعتقدات القلبية والعبادات فقط، ولكن على أساس تطبيق القيم التي جاء بها الإسلام في إدارة شؤون الحياة.

نحن متفائلون بمستقبل هذه الأمة في هذا العصر. فحينما تتاح الفرصة لجماهيرها فسوف تختار هذا الخيار الذي يعلي من جوهر القيم الاسلامية في مجالات الحرية والعدالة والكرامة، وإنما هي مسألة وقت، فنحن نعيش الآن في مرحلة البداية، وتسير

---

(١) بحار الأنوار. ج ٤٥، ص ٥١.

(٢) بحار الأنوار. ج ٤٥، ص ٨٣.

بعدها إن شاء الله بقية الشعوب على ذات النهج، حتى يظهر الله دينه وتكون كلمته هي العليا، ولا معنى لكلمة الله سوى سيادة قيم العدالة والكرامة والمحبة والخير بين الناس، هذا ما نأمله، وهذا هو المسار الذي دشنته ثورة الحسين عليه السلام الذي قال: «وإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»، فهذي شعوب الأمة يا أبا عبدالله باتت تلبي دعوتك وتدركها وتناضل من أجلها.

الخطبة الأولى

إحياء عاشوراء تفاعل وإبداع

﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[سورة الشورى، الآية:٢٣]

أجمع المسلمون بمختلف مذاهبهم ومدارسهم على أن محبة أهل البيت عليهم السلام فريضة واجبة، وأن بغضهم موجب للنار والعذاب. فقد روى الترمذي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي»[1].

وأورد الألباني في سلسلة أحاديثه الصحيحة عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار»[2].

وجاء في الكثير من مصادر أهل السنة عن ابن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت الآية الكريمة ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فأجاب ﷺ: «علي وفاطمة وأبناؤهما»[3]، من هنا يتضح بأن وجوب محبة أهل البيت أمر متفق عليه بين المسلمين.

---

(١) محمد بن عباس بن سورة الترمذي. سنن الترمذي، ج ٥، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، (بيروت ـ دار الكتب العلمية)، ص ٥٠٤، حديث ٣٧٨٩.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج٥، الطبعة الأولى١٤١٢هـ، (الرياض ـ مكتبة المعارف)، ص٦٤٣، حديث٢٤٨٨.

(٣) علي بن أبي بكر الهيثمي. مجمع الزوائد. ج٧، طبعة ١٤٠٦هـ، مؤسسة المعارف، ص١٠٦.

ومع إقرار الأمة بوجوب المحبة للآل، اتجهت شريحة من المسلمين إلى جعل الانتماء لأهل البيت شعارًا وعنوانًا، فأصبحوا يعرّفون بشيعة أهل البيت. إن المسلمين الشيعة يشتركون مع بقية الأمة في القول بوجوب محبة أهل البيت، لكنهم يمتازون على غيرهم بالاعتقاد بإمامة أهل البيت، وأنهم المرجعية الأساس في فهم الدين في عقائده وتشريعاته، ولهم على ذلك أدلتهم وبراهينهم التي قادتهم إلى هذا الاعتقاد.

كما يمتاز شيعة أهل البيت بإقامة مراسم الولاء لأهل البيت عليهم السلام، ومن أبرزها مراسيم عاشوراء، وهذا الاحتفاء بمناسبات آل البيت له ما يشبهه لدى شريحة من أبناء الأمة من أهل السنة الذين اعتادوا إقامة مواليد للنبي وأهل بيته، وخاصة منهم أصحاب الطرق الصوفية في الحجاز ومصر والسودان والمغرب وأنحاء عديدة من العالم الإسلامي، فهؤلاء أيضًا لديهم مجالس يطلقون عليها مواليد، يتحدثون فيها عن ميلاد السيدة الزهراء، والإمام علي، والحسن، وبقية أهل البيت، ولهم أشعار وأناشيد ومراسم في هذا الشأن، إلا أن ما يمتاز به الشيعة هو أن لهم مراسيم منتظمة زمنيًا، وأبرزها مراسيم عاشوراء، فلا يتخلف شيعي عن المشاركة في هذه المراسيم والشعائر حيثما أمكنه، فالشيعة في كل مكان ولو كانوا أفرادًا قلائل لا بُدّ لهم وأن يحيوا هذه المناسبة، حسب إمكانهم.

إن هناك فوائد جمة لإقامة الشعائر الدينية وخاصة شعائر عاشوراء، فالمسألة لم تكن في يوم من الأيام عادة أو تقليدًا اجتماعيًا فحسب، بقدر ما هي شعائر دعا لها أئمة أهل البيت عليهم السلام على نحو الاجمال، وهي تؤدي بطبيعة الحال وظائف في حياة الجماعة الشيعية. ومنها:

أولًا: حفظ الهوية المذهبية

كان لشعائر عاشوراء دور كبير في حفظ هوية مذهب أهل البيت، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار ما كان يواجه هؤلاء الشيعة من الضغوط ومحاولات مسخ الهويّة.

ثانيًا: تعزيز الكيان الاجتماعي

شكّل إحياء مراسم عاشوراء نقطة استقطاب حيوية في المجتمعات الشيعية في كل مكان. فالشيعة حيثما وجدوا في أي نقطة من العالم، حتى لو لم يكونوا يعرفون بعضهم بعضًا، فإنهم سرعان ما يجتمعون في موسم عاشوراء، فيتعزز لديهم الشعور بوحدتهم الاجتماعية، فالدافع الولائي عندهم جميعًا يدفعهم باتجاه التجمع، وهذا ما يعزز بطبيعة الحال كيانهم الاجتماعي. وقد رأينا ذلك جليًّا في التجمعات الشيعية في مناطق مختلفة من العالم.

ثالثًا: تأكيد الالتزام الديني

إن أحد أهم الأدوار التي تساهم بها هذه الشعائر هو تأكيد الالتزام الديني في ساحة المجتمع الشيعي ثقافيًا وسلوكيًا؛ لأن من طبيعة هذه الشعائر استحضار سيرة رسول الله والأئمة من أهل البيت، وذكر تعاليمهم وتوجيهاتهم، وتأكيد الانشداد إليهم، وهذا فيه دور كبير لتأكيد الالتزام الديني الثقافي والسلوكي في حياة الجماعة الشيعية.

عاشوراء القطيف

وقد أحيت محافظة القطيف الشعائر الحسينية هذا العام بحمد الله على خير وجه ودون أي إشكال، وهذا ما ينبغي أن يكون، فإذا لم تكن هناك مضايقات للناس، وتركت الفرصة لهم ليمارسوا شعائرهم الدينية المذهبية، فإن الأمور تسير على ما يرام، ولن تكون هناك مشاكل تذكر، وإنما تبرز المشاكل إذا ما كانت هناك عراقيل ومضايقات، أما حينما تتاح الفرصة فإن إحياء هذه المراسيم سيتم على أكمل وجه من النظام والهدوء. وقد رأينا خلال المناسبة مستوى الانتظام في التجمعات الكبيرة، في المآتم والحشود التي بلغت عشرات الآلاف في بعض الأماكن، من الرجال والنساء والأطفال، ثم ينصرف الجميع ويتفرقون بكل هدوء، وهذا دليل على مستوى الانتظام الكبير في هذا المجتمع.

لقد تجلت خلال إحياء عاشوراء هذا العام خصائص وسمات وإن كانت موجودة فيما سبق من الأعوام إلا أنها تعززت أكثر فأكثر خلال هذا الموسم، ومنها:

أولًا: أظهر المجتمع قدرًا أكبر من التفاعل مع مواكب العزاء والمجالس الحسينية والمسرح التمثيلي المفتوح والمخيمات والمضايف والأنشطة المختلفة. فقد شهدت هذه الأنشطة بألوانها المختلفة تفاعلًا واضحًا من مختلف شرائح المجتمع.

ثانيًا: تجلى في هذه المناسبة مستوى البذل والعطاء. فقد بذل الناس أموالهم في حب الحسين عليه السلام، والمضائف الحسينية على سبيل المثال تجلٍّ آخر للبذل، ونوع من التأسي بسيرة أهل البيت عليهم السلام الذين قال عنهم ربنا ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾، فهناك قدر كبير من البذل للمال والوقت والجهد من مختلف أعمار وفئات المجتمع. ولقد رأينا المخيمات الكبيرة كيف عمل فيها بعض الشباب لأكثر من ستة أشهر حتى تظهر ثمرة عملهم خلال عاشوراء. نسأل الله أن يثيب الجميع ويجزل لهم الثواب على ما بذلوه من الوقت والجهد.

ثالثًا: بدا واضحًا هذا العام مستوى الإبداع والتطوير في الكثير من الأنشطة العاشورائية. ففي كل عام نجد تطويرًا وإبداعًا أكثر من سابقه، إذ لم يعد الإحياء مقتصرًا على إقامة مأتم أو تسيير موكب عزاء، بل أصبح هناك مخيمات ودور للفنون التشكيلية والعرض والتمثيل والمسرح، وهكذا في مختلف المجالات تجد هناك إبداعًا كبيرًا ينبئك عن مخزون الكفاءة في هذا المجتمع، وهذا ما نحمد الله تعالى عليه، فلدى هذا المجتمع كفاءات وطاقات إبداعية تجد بعضها في العروض التمثيلية الراقية، وما يتطلب ذلك من فريق واسع يبدأ من كتابة النص والسيناريو، وصولًا إلى المؤثرات الصوتية، والتمثيل والتصوير. إن في ذلك قدرًا كبيرًا من الإبداع يستحق الإشادة والتقدير.

أعمال تطوعية جبّارة

لقد مثلت مناسبة عاشوراء محطة مهمة للأعمال التطوعية التي استقطبت آلاف المتطوعين من الشباب والشابات. فقد كرست المناسبة روح العمل الجمعي عبر اشتراك المئات من المتطوعين في كل منشط ومخيم حسيني. وكنماذج على هذا العمل الجمعي الكبير نذكر مهرجان عاشوراء والمخيم الحسيني في مدينة صفوى الذي تشرف عليه هيئة عاشوراء، هذا المخيم الذي يقام للسنة الخامسة على التوالي، أقيم هذا العام على مساحة ١٠ آلاف متر مربع، وبلغت أعداد المتطوعين فيه أكثر من ٦٠٠ شاب وفتاة، وبينهم متطوعون من أعمار مختلفة بين سن الخمس سنوات وسبعين سنة، وقد أمضى هؤلاء أكثر من ستة أشهر في الإعداد لإقامة المخيم، من خلال عدد من اللجان والاجتماعات المتواصلة.

وكذلك الحال في موكب مؤسسة الإمام الحسين في مدينة سيهات الذي شارك فيه أيضًا أكثر من ٤٥٠ متطوعًا و٢٠٠ متطوعة بينهم أكثر من ١٢٠ شبلًا. كما كان هناك حملات التبرع بالدم التي شهدت إقبال المئات من الناس للتبرع باسم الإمام الحسين ﷺ. ومن الأنشطة الكبيرة أيضًا ما قامت به لجنة التمثيل في بلدة أم الحمام، حيث قدموا عرضهم التمثيلي المبهر، وشارك في هذه اللجنة أكثر من ٢٠٠ كادر من الرجال والنساء، وعلى غرار ذلك مختلف الأنشطة الأخرى.

نحمد الله على هذا التوفيق أن أصبح مجتمعنا يمتاز بهذا المستوى المتقدم، فهناك خطباء جيدون، وشعراء مبدعون، ورواديد، وممثلون، ورسامون، وناشطون، وجميعهم يتفانى في خدمة أبي عبدالله الحسين، ويبدعون ويطورون من أجل إحياء مناسبة عاشوراء في أبهى صورها. فهم جميعًا محل الشكر على جهودهم، ونسأل الله أن يضاعف لهم الأجر والثواب.

ومع ذلك لا بُدّ وأن نقول إن علينا أن نستثمر موسم عاشوراء على نحو أفضل. فلا

يجب أن نكتفي بهذه الأنشطة والجهود الكبيرة المبذولة وحسب، بل نريد أن نتلمس آثار وثمار هذه الجهود على سلوك أبنائنا وبناتنا، والوضع الاجتماعي العام، فبعد هذا الموسم نريد أن نرى تضاعف الإقبال على صلاة الجماعة، وتنامي الالتزام السلوكي والخلقي بالآداب الإسلامية، وزيادة الوعي والثقافة لدى الجمهور، وتعزز روح التعاون والعمل الجمعي بين الناس، سواء من خلال دعم الأندية الرياضية والجمعيات الخيرية أو غيرها، فهذا وحده دليل على مدى استفادتنا من موسم عاشوراء، وإلا فإن مجرد إقامة الشعائر دون أن تترك أثرها في عقولنا ونفوسنا ومجتمعنا فذلك قصور في الاستفادة من هذه المناسبة العظيمة.

نسأل الله أن يثبتنا على محبة أهل البيت ويبلغنا إقامة شعائرهم في كل عام في خير وأمان.

إبلاغ رسالة الثورة

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[سورة يوسف، الآية:١١١].

إن إحياء سيرة أهل البيت والاحتفاء بذكرى عاشوراء إنما يأتي من هدي القرآن الكريم، الذي يحث على أخذ الدروس والعبر من أحداث التاريخ. فقد تحدث القرآن الكريم عن قصص عدد من الأنبياء والأولياء والصالحين، وذلك ليس من باب التسلية، ولا لكي يستغرق الناس في الحياة الشخصية الذاتية لهؤلاء الأنبياء والأولياء، وإنما لهدف محدد وهو أخذ العبرة، بحسب ما تشير الآية الكريمة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

فالهدف من ذكر سير الأنبياء هو أخذ الدروس والعبر من سيرتهم، والاستضاءة بنورهم، واستحضارها لذاكرة الأجيال، كرموز ودعاة ينشدّ الناس إليهم، فيقتدون بهم، ولذات الغاية ونفس السبب نحيي ذكرى سيرة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾. وحينما نحتفي بسير أهل البيت وبمناسبات ذكرياتهم إنما من أجل تحقيق نفس الغاية التي من أجلها ذكر القرآن قصص الأنبياء.

وقد يتساءل البعض مستنكرين عن سبب استحضارنا للتاريخ، ويستدلون بالآية الكريمة ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٣٤]، وهذا الاستدلال ليس صحيحًا، ولو كان الأمر كذلك لما خلد القرآن الكريم سير الأنبياء، لدرجة ذكر التفاصيل الجزئية في بعض الأحداث من قبيل قصة نبي الله يوسف ﴿عليه السلام﴾،

فالقرآن يخلد قصته مع أخوته في أكثر من ١٠٠ آية، مع أن الأمر قد انتهى ويوسف رضي عن أخوته واستغفر لهم في نهاية المطاف، إلا أن القرآن مع ذلك يخلدها. من هنا فالاحتجاج بالآية الكريمة ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا﴾ لا معنى له في هذا المقام، فالآية لا تعني بأي حال تجاهل أحداث التاريخ، ولو كان الأمر كذلك لما خلد القرآن هذه السير. لذلك وعلى هدي القرآن الكريم نخلد قصص وسير أهل البيت ﷺ، من أجل أن نأخذ منها الدروس والعبر، وإحياؤنا لعاشوراء هو لهذا الهدف تحديدًا.

الفصل الثاني لكتاب عاشوراء

يمكن القول إن لكتاب عاشوراء فصلين، يحتوي الأول تفاصيل واقعة كربلاء، أما الثاني فهو رسالة الشهداء التي أريد إبلاغها إلى الأجيال اللاحقة.

لقد انتهى الفصل الأول بعد ظهر يوم العاشر من المحرم باستشهاد الإمام الحسين ﷺ والخيرة من أهل بيته وأصحابه، ثم بدأ بعدها مباشرة الفصل الثاني المتمثل في إيصال رسالة الشهداء إلى الأمة، ولو لم يأتِ هذا الفصل المهم لضاعت ربما رسالة الشهداء، ولو لم يكن هناك من يوصل رسالة الشهداء ورسالة الحسين لأمكن للسلطات الأموية أن تعتم على الواقعة وتشوهها، وبالتالي تتلاشى تلك الأهداف العظيمة لهذه الثورة المجيدة. ولهذا خطط الامام الحسين لتكون المعركة مكونة من هذين الفصلين، وأعد لذلك عدته بأخذ أخوته وأصحابه ليكتبوا الفصل الأول من المعركة، فيما أخذ معه عقيلة الطالبيين زينب ونساء أهل البيت وأطفاله ليكونوا هم كُتَّاب الفصل الثاني من هذه الثورة العظيمة.

لقد كان الحسين ﷺ مدركًا منذ البداية لمدى فداحة الثمن المتوجب دفعه لإبلاغ رسالته إلى الأجيال. كان يمكن للإمام ﷺ أن يبقي أسرته في المدينة المنورة بعيدًا عن هذا الأذى الذي لحق بهم، فقد كانت للعقيلة زينب مكانة عزيزة عند الحسين وعند أهل البيت ﷺ عمومًا، ومع ذلك تعرضت إثر مشاركتها أخيها الحسين في ثورته لقدر

كبير من الأذى والضيم والألم، فالحال التي تعرضت لها نساء أهل البيت في الشام لم تكن أمرًا يسيرًا، كل ذلك لأن الحسين عليه السلام كان يعلم بأن كتاب الثورة لا يكتمل إلا بهذا الفصل، ولأن رسالة الثورة لن تصل إلا عبر هذا الطريق. ولذلك قال عليه السلام حين سئل عن معنى حمله النساء في رحلته إلى كربلاء: «إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»[1]. ومعنى ذلك أن الله شاء لهن أن يكتبن الفصل الثاني والمهم من كتاب الثورة الحسينية المجيدة.

لقد حملت خطب الإمام زين العابدين والهاشميات بعد واقعة كربلاء رسالة الثورة إلى كل الإصقاع. كان للسيدة زينب عليها السلام أكثر من خطاب وكذلك أم كلثوم، وزين العابدين، وفاطمة بنت الحسين، هذه الخطب تحديدًا هي التي حملت رسالة الحسين، وحمت أهداف ثورته من التشويه بواسطة الإعلام الأموي، الذي كان يريد أن يبين أن الإمام الحسين خارج على إمام زمانه، بل أعظم من ذلك، فقد استخدم ابن زياد، الوالي الأموي على الكوفة، ألفاظًا قبيحة لا تليق إلا به، حين وصف الحسين بالكذب، فقد خاطب ابن زياد سبايا آل البيت بعد عاشوراء بالقول «الحمد لله الذي فضحكم وكذب أحدوثتكم». وقد كان واجبًا أن يُواجه ويُكشف هذا الإعلام السلطوي المضلل حتى تصل رسالة الثورة عبر الأجيال.

رسالة الحراك الاجتماعي

إن أحد الدروس الكبيرة من عاشوراء يتمثل في أن أي مجتمع لديه قضية وحراك سياسي، ينبغي ألّا يتجاهل دور الإعلام والحرص على إيصال رسالته للمحيط الذي يعيش فيه. لا ينبغي للمجتمع الذي يحمل قضية أن ينكفئ على ذاته مكتفيًا بالتبرم في المجالس الخاصة والضيقة، إن عليكم أن توصلوا رسالتكم لمن يعيش حولكم من الأطراف الأخرى، فهم لا يعرفون حقيقة موقفكم وماهية أهدافكم، فتلك مسؤوليتكم

(١) اللهوف في قتلى الطفوف. ص٤٠.

أنتم بالدرجة الأولى. إننا نعيش اليوم في عصر يقلب فيه الإعلام الحق إلى باطل والباطل إلى حق، ويحول الضحية إلى جلاد، والجلاد إلى حمل وديع، لذلك فإن أي مجتمع وشعب لديه قضية وحراك ينبغي أن يفكر كيف يوصل قضيته للعالم، فليس من المتوقع أن يبحث أغلب الناس عن الحقيقة حتى يقفوا عليها، ولو كان الأمر كذلك لترك الحسين عليه السلام أسرته وعياله في المدينة المنورة، ولقال إن على الناس أن يبحثوا هم عن الحقائق، كلا، لم يكن الأمر كذلك، بل تحمل الإمام عليه السلام المسؤولية تجاه رسالته وقضيته وجماهير الأمة، واستعدّ من أجل إيصال الرسالة للآخرين.

ونحن حينما نقرأ في خطابات الهاشميين والهاشميات بعد واقعة كربلاء نجد أن لهذه الخطابات سمات مميزة، أبرزها ثلاث:

الأولى: استخدام منطق القيم

لقد تميز خطاب آل البيت بعد واقعة عاشوراء باستخدام لغة المنطق السليم والقيم والمبادئ، ولم يكن بأيّ حالٍ خطابًا انتقاميًا متشنجًا. كان خطاب البيت الهاشمي مؤصلًا للقيم، ويرجع ما حصل إلى المبادئ الحقة، هذا ما نقرؤه في خطب الإمام الحسين وزينب وزين العابدين وبقية الأسرة الحسينية، فقد كانوا يستشهدون بالآيات والمبادئ والقيم، حتى يعطوا للحركة والنهضة بعدها القيمي. ولذلك فإن على الناس الذين يريدون أن يتحركوا من أجل مجتمعهم وقضيتهم أن يضعوا هذا الأمر نصب أعينهم، وذلك بأن يضعوا الأحداث في سياقها القيمي المنطقي، ويتحدثون إعلاميًّا بلغة قيمية، وليس بلغة انفعالية متشنجة، فاللغة الانفعالية قد تستفيد منها أنت في التنفيس عن نفسك، لكن من غير المتوقع أن تترك أثرًا في الطرف الآخر، لذلك ينبغي أن تكون اللغة الإعلامية المستخدمة منطقية قيمية باستمرار.

الثانية: إبراز المظلومية وفضح الظالمين

حرص رموز البيت الهاشمي على الحديث مفصلًا عن مظلومية أهل البيت عليهم السلام. وفي هذا السياق نعلم جميعًا كيف خاطبت عقيلة الطالبيين زينب عليها السلام يزيد بن معاوية

في مجلس الحكم في الشام، وأمام الناس قائلة: «أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا على ظهور المطايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن ....»، وفي السياق ذاته تحدث الإمام السجاد في الكوفة عن الظلامة التي لحقت به وبأهله بالقول «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن من انتهكت حرمته وسلبت نعمته، وانتهب ماله، وسبي عياله، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير دحل ولا ترات، أنا ابن من قتل صبرًا وكفى بذلك فخرًا».

لقد كان من أركان الخطاب الإعلامي لآل البيت إبراز المظالم الفادحة التي تعرضوا لها. فليس من الصحيح إغفال المظالم التي يتعرض لها المجتمع الذي يدافع عن قضيته، بل يجب توثيقها وعرضها للرأي العام.

السمة الثالثة: استثارة الوعي والوجدان عند جماهير الأمة

ينبغي لأصحاب القضايا العادلة أن يخاطبوا عموم الجمهور وعدم الاكتفاء بمخاطبة الخصوم. فمن الخطأ جعل المعادلة الإعلامية وكأنها صراع بين سلطة ومعارضة، فيما يغفل الخطاب الموجه للجمهور الأوسع نطاقًا، ينبغي أن نعلم أن هناك جمهورًا وشعبًا وأمة ينتظرون سماع الحقائق، إن علينا أن نخاطبهم وأن نستثير الوعي والوجدان في نفوسهم، لا أن نتركهم ونسلمهم للإعلام المضلل، فهذا ما كان يركز عليه الإمام الحسين وخطاب الهاشميات من بعده.

ينبغي أن تأخذ الشعوب هذه الدروس والعبر من أجل نصرة قضاياهم، عبر مزيد من الانفتاح الإعلامي على محيطهم، فلا يصح أبدًا أن ينكفئ الناس وينغلقوا على ذواتهم ويتقاعسوا في إيصال وشرح رسالتهم للآخرين، فهذا من أهم الدروس التي يجب أن نستلهمها من قضية الحسين عليه السلام.

الخطبة الأولى

الوفاء قمة الأخلاق

﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾
[سورة الرحمن، الآية: ٦٠]

يأتي الوفاء في طليعة الأخلاق الإنسانية الفاضلة. فهو علامة نبل ومظهر للإنسانية الحقة، ففطرة الإنسان النقية تدفعه لشكر المعروف ومكافأة الإحسان بالإحسان، وأن يكون وفيًا لمن عاشره بخير.

والوفاء وفاءان: وفاء لموقف، ووفاء لعشرة. وقد أمر الدين الكريم بهذا الخلق العظيم بمختلف أشكاله وألوانه، وهذا ما تصرح به الآية الكريمة ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ فهي تستثير مشاعر الإنسان الوجدانية، حيث لو طرح هذا التساؤل على نفسه فإن فطرته النقية ستجيب بجلاء ووضوح بأن الإحسان يكافأ بالإحسان. وأن هذا الإحسان يُكافأ به المحسن بغض النظر عن دينه وتوجهه. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «قول الله عز وجل ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ جرت في المؤمن والكافر، والبر والفاجر، من صُنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به، وليس المكافأة أن يصنع كما صنع به، بل يرى مع فعله لذلك أن له الفضل المبتدأ»[1].

وروى الإمام الباقر عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[2].

(١) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٣٠٦، حديث ٢١٦١٤.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٠.

وجاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل»[١].

من هنا جاءت فضيلة الوفاء في أعلى سلم الفضائل الإنسانية وأكثرها انسجامًا مع الفطرة السليمة التي خلق الله البشر عليها.

وتأتي هذه الفضيلة الأخلاقية ضمن سياقات مختلفة منها ما يدخل ضمن رد الجميل للآخرين إجمالًا، ومنها ما يستوجب تقديرًا لعشرة الأقربين:

الوفاء لموقف

إن كل من يسدى معروفًا مهما صغر فهو يستحق مقابلته بمعروف وإحسان أكبر. فقد تمر على الإنسان بعض الظروف الصعبة، فيجد هناك من يسدي له معروفًا، فيرتاح منه ويقدم له شكره، ويحفظ هذا الصنيع له، وإذا ما سنحت له الفرصة لرد الجميل بادر لرده، هذا هو الوفاء لموقف. ولا يهم هنا أن ننظر لمن نرد الجميل والمعروف، ولا من أي دين وتوجه هو. هذا ما نستفيده من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله فقد ورد أنه في يوم من الأيام التفت إلى حسان بن ثابت، وهو شاعر ويحفظ الشعر، وقال له صلى الله عليه وآله: يا حسان أنشدني شيئًا من شعر الجاهلية، فأنشد له حسان قصيدة للأعشى وهي في هجاء علقمة بن علاثة، وقد اختارها حسان لقوتها ورصانتها أدبيًا، ولكن النبي صلى الله عليه وآله لما عرف أنها في هجاء هذا الشخص، قال له صلى الله عليه وآله: يا حسان لا تنشد مثل هذا بعد هذا اليوم، فتعجب حسان: يا رسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر!، فقال: يا حسان أشكر الناس للناس أشكرهم لله تعالى، وأن قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عني فنال مني، وسأل هذا فأحسن القول فيّ[٢].

لقد حفظ رسول الله هذا الموقف لرجل لا يؤمن به، اللهم إلا لكلمة حسنة قالها

(١) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص ٢٧، حديث ٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج ٤١، ص ١٤٧.

ذلك الرجل عنه . بل إنه كان يكافئ من أحسن إلى أصحابه، كما فعل مع وفد النجاشي القادم من الحبشة، إذ قام يخدمهم بنفسه. فقال له أصحابه: نكفيك يا رسول الله. فقال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافيهم[١]، مع أن الوفد القادم كانوا نصارى.

وعلى غرار ذلك ما صنعته السيدة زينب بنت علي مع النعمان بن بشير الذي عاد بسبايا آل البيت من الشام إلى المدينة المنورة، فحينما وصلت الأسرة الهاشمية إلى المدينة، بادرت السيدة زينب فور وصولهم إلى جمع ما تبقى من حلي عند النساء والأيتام، وقدمته للنعمان نظير حسن تعامله مع الهاشميات طيلة رحلتهم[٢]، وقد فعلت السيدة زينب ذلك مع علمها بأن هذا الرجل إنما كان يؤدي مهمة مكلفًا بها من قبل السلطة الأموية، إلا أنها تدرك مع ذلك بأن إحسانه يجب أن لا يضيع، ولهذا كافأته . لأن مقابلة الإحسان بالإحسان في مختلف المواقف أمر يدخل في صميم الأخلاقيات والفضائل الإسلامية والإنسانية العليا.

الوفاء لعشرة

إذا كان الوفاء، بصفة عامة، فضيلة لا غنى عنها في التعامل مع الآخرين فهي مع الأقربين أشد إلحاحًا. اذ يعيش الإنسان مع أناس برهة من الزمن يشاركونه همومه وأفراحه، ومن أبرز أولئك الناس: الوالدان، والزوجة، والأولاد، والجيران، والأصدقاء، وما شابه، ومهما طالت المدة أو قصرت، فإن الوفاء لهم حق. وقد أكد القرآن الكريم على البر بالوالدين، وجعل شكرهما في المرتبة الثانية بعد شكر الله عز وجل ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ وفي آية أخرى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

---

(١) البداية والنهاية، ج ٣، ص ٨٤.

(٢) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٧٨.

وللزوجة حق أيضًا فهي تشارك الزوج حياته، وبينه وبينها ميثاق عظيم، وانفتاح متبادل على الخصوصيات، يقول تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾. هذه العلاقة الوثيقة من الواجب أن تُحفظ وتُراعى من كلا الزوجين، مهما تغيرت الظروف.

فالمرأة تتزوج الرجل في فترة شبابه وقوته ونشاطه، لكن الزمن وصروفه قد يذهب بهذه القوة والفتوة، وقد يصبح الرجل عاجزًا، ولكن الزوجة الوفية تبقى وفية لهذه العشرة الزوجية، فتتحمل زوجها إذا مرض، وتصبر عليه إذا افتقر، وتواسيه إذا كبر. ينقل أحدهم أنه يعرف زوجة كانت تذوب في زوجها احترامًا وتقديرًا، حتى لأنها تشهق إذا ذكرت اسمه، وبعد مدة من الزمن أصيب الزوج بإعاقة لم يعد معها قادرًا على الحركة والنشاط، فانقلب الحال رأسًا على عقب، لدرجة صارت تسمع زوجها كلامًا مهينًا، وتتثاقل في أداء حوائجه، وهذا خلاف الوفاء، وصورة سيئة لحفظ العشرة. لكن في مقابل ذلك هناك نساء يضربن أروع الصور في حسن العشرة مع أزواجهن.

وكذلك الحال بالنسبة للأزواج. فالرجل يتزوج المرأة في صباها بكامل جمالها وقوتها، وتنجب له الأبناء، وتدير شؤون بيته، حتى إذا كبرت سنها، ولحقت بها الآلام والأسقام، ولم يعد ير منها ذلك الجمال الجسمي الظاهري ولا تلك الخدمة، نسي تلك العشرة الطيبة، وما كان منها، كما نقل عن ذلك الإعرابي الذي طلق زوجته بعد عشرة دامت خمسين سنة، ولما سألته معاتبة: تفعل هذا بعد طول عشرة؟ قال: والله ما لك عندي ذنب غيره!، يعني ذنبك هذه المدة الطويلة بيننا التي جعلتني أملك. بينما في المقابل هناك من يحمل قدرًا كبيرًا من الوفاء، ويبقى وفيًا لزوجته، حتى لو صدر منها ما يسيء له بسبب كبر سنها، كما هي طبيعة الإنسان عند الكبر.

وفاء زوج

هناك قصة جميلة متناقلة في هذا الجانب رواها أحد الأطباء، يقول: «ذات صباح

مشحون بالعمل في غرفة الطوارئ بالمستشفى، وفي حوالي الساعة الثامنة والنصف، دخل عليَّ عجوز يناهز الثمانين من العمر، لإزالة بعض الغرز من إبهامه، وذكر أنه في عجلة من أمره، لأن لديه موعدًا في التاسعة، طلبت منه أن يجلس على الكرسي المخصص لإجراء الغيارات على الجروح، وتحدثت قليلا وأنا أزيل الغرز وأهتم بجرحه، سألته عن طبيعة موعده ولماذا هو في عجلة من أمره؟ فأجاب: كل صباح أذهب لدار الرعاية لتناول الإفطار مع زوجتي، فسألته عن سبب دخول زوجته لدار الرعاية؟ فأجابني بأنها هناك منذ فترة لأنها مصابة بمرض الزهايمر (ضعف الذاكرة) بينما كنا نتحدث انتهيت من التغيير على جرحه، وسألته: وهل ستقلق زوجتك لو تأخرت عن الميعاد قليلا؟ فأجاب: إنها لم تعد تعرف من أنا، إنها لا تستطيع التعرّف علي منذ خمس سنوات مضت، قلت مندهشًا: ولا زلت تذهب لتناول الإفطار معها كل صباح على الرغم من أنها لا تعرف من أنت؟! ابتسم الرجل وهو يضغط على يدي وقال: هي لا تعرف من أنا، ولكني أعرف من هي». هذه صورة رائعة للوفاء.

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثال الأروع حيث كان وفيًا لزوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد. ولا يصح لرجل أن يقارن هنا ويقول: تلك خديجة لا زوجتي، ففي المقابل ذاك رسول الله وليس أنت، فنحن نتحدث هنا عن جوهر الموقف، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

خديجة ظلت في قلب رسول الله حتى آخر لحظة من لحظات حياته الشريفة، ولم يفتأ يذكرها ويثني عليها كلما غادر الدار، كما ورد عن أم المؤمنين عائشة: كان رسول الله لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها. فذكرها يومًا من الأيام فأدركتني الغيرة. فقلت: هل كانت إلا عجوزًا، فقد أبدلك الله خيرًا منها، فغضب، حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس. ورزقني الله منها أولادًا إذ حرمني أولاد النساء، قالت عائشة: فقلت في نفسي

لا أذكرها بسيئة أبدًا[١]. وقالت أيضًا: ما غرتُ على أحد من أزواج النبيّ ما غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها، وما ذاك إلاّ لكثرة ذكر رسول الله لها، وكان لمّا يذبح الشاة فيتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهنّ[٢].

الوفاء لكل عُلقة

وللجيران أيضًا حق الوفاء للعشرة، حتى لو انتقل الشخص إلى منزل آخر لكن هذا لا يعفيه عن التواصل مع جيرانه السابقين، وكذلك الأصدقاء الذين يعيشون مع الإنسان فترة من الزمن ثم يفترق عنهم بسبب انتهاء مدة الدراسة أو العمل، أو بسبب سوء تفاهم أو ما أشبه، ولا يصح أن يمضي كل في طريقه وينسى ما كان من العشرة السابقة، فهذا خلاف الوفاء. إن آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين وسيرتهم توجهنا نحو هذا السلوك الأخلاقي الرفيع، بل تجد روايات توصي بأن يصل الولد أصدقاء والده: «إِنَّ مِنْ بِرِّ رجُلٍ بِأَبِيهِ أَنْ يَبَرَّ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»[٣].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المتحلين بمكارم الأخلاق.

---

(١) ابن عبد البر. الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٢٤.

(٢) سنن الترمذي، ج ٣، ص ١١٨، حديث ٢٠١٧.

(٣) كنز العمال، ج ١٦، ص ٤٧٣، حديث٤٥٥١١. ومثله في مسلم، ص١٣٨٢، حديث١٣.

الإسلاميون والتجربة السياسية

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «العقل غريزة يزيد بالعلم والتجارب»[1].

وعنه أيضًا: «دراسة العلم لقاح المعرفة وطول التجارب زيادة في العقل»[2].

يحتاج الإنسان حينما يريد الخوض في مجال من مجالات الحياة إلى أمرين: فكرة نظرية وخبرة عملية. كل مجال يتبلور أساسه بفكرة نظرية، لكن هذه الفكرة قد لا تكون صائبة، أو تشوبها بعض الأخطاء، أو فيها نقاط ضعف، ولا يتأتى للإنسان اكتشاف هذه النقاط ولا تطوير نظريته إلا بالتجربة. لذلك فإن الخبرة والتجربة أمر أساس في إدارة شؤون الحياة، ولهذا فإن أمير المؤمنين عليًا عليه السلام في أكثر من نص يؤكد أهمية التجربة، وأنها تثري حياة الإنسان وتصقل شخصيته.

ونرى في الحياة المعاصرة ضرورة دخول كل طالب في مجال التطبيق العملي لما درسه، فيُعطى لكل طالب وقت مخصص للتطبيق ضمن برنامجه الدراسي. من خلال هذه المدة يستطيع تطبيق ما درسه، وتحسين أدائه حيث يعمل تحت إشراف من لهم خبرة.

---

(١) عبدالواحد محمد التميمي الآمدي. غرر الحكم ودرر الكلم، الطبعة الأولى١٤١٣هـ، (بيروت: دار الهادي)، ص٤٨، حكمة ١٤٠٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٢٨.

يقول أمير المؤمنين علي ﷺ: «العقل غريزة يزيد بالعلم والتجارب». يعني أن قدرة المعرفة والإدراك هي هبة من الله عز وجل، منحها لكل إنسان، لكن هذه القدرة تتطور وتزيد بالعلم والتجربة. متى ما توفر الجانبان تعززت شخصية الإنسان وسلوكه، وهذا ينطبق على جميع المجالات التي منها مجال إدارة الشؤون السياسية.

السياسة علم وممارسة

السياسة علم به تُدار أمور البلاد والعباد، وهناك كليات تدرس علم السياسة، وهناك كتب كثيرة في هذا الجانب، وبمتابعة الإنسان لأخبار العالم وقراءته تتكون عنده نظريات سياسية، لكن امتلاك هذا الجانب النظري وحده غير كافٍ، بل لا بُدّ من التجربة والممارسة، فمنها يستطيع أن يحكم على صحة ما توصل إليه أو خطئه، وبالتجربة يدرك السبيل إلى التطوير أو تعديل الخطأ، أو يكتشف البديل.

إن في المنظومة الإسلامية مخزونًا كبيرًا يثري الجانب السياسي، فهو ليس مفصولًا عن إدارة شؤون الحياة، والإسلاميون قد استقوا من هذا الفكر الإسلامي العظيم ومن ثقافته العامة ومبادئه ونظرياته السياسية، لكن ما استقاه الإسلاميون من هذا التراث العظيم غير كافٍ بمفرده، إذ لا بُدّ لهم من خوض التجربة، ومن الدخول في معترك العمل السياسي بروح تطبيق المبادئ، وما تولد لديهم من نظريات، ليروا مدى صلاحيتها في هذا العصر، وما هو مناسب أو غير مناسب، وألّا يدخلوا هذا المضمار بروح متعالية، وأن كل ما تكوّن لديهم هو الصحيح، ولا يمكن تغييره ومناقشته. حتى يستطيعوا تقديم ما هو مفيد لأوطانهم وشعوبهم.

ولاية المتغلب والأحزاب الإسلامية

منذ حكم الدولة الأموية والأمة الإسلامية تعاني من الاستبداد. فهناك حاكم مستبد يسطو على السلطة ويسيطر على مقاليد الحكم وشؤون البلاد، وقد أدى ذلك إلى

عزوف أهل العلم والدين عن التدخل في الشؤون السياسية، ونشأ عند معظم علماء الدين الإسلاميين خاصة عند أهل السنة مصطلح «شرعية ولاية المتغلب»، حيث يرون أنه لا مانع من التعاطي والتعامل مع هذا المتسلط على الحكم ما دام قد تصدى له، وأعلن نفسه خليفة على المسلمين، وحسب القاعدة الشعبية عندنا (اللي ياخذ أمي يصير عمي)، وكأن الأمر قدر لا يمكن الفرار منه، وتبريرهم لهذا الأمر أن مقاومة هذا المتغلب سوف تسبب إراقة دماء، ونشوب فتنة في أوساط الأمة، فقد تكون النتيجة لا تتناسب مع الثمن الباهظ الذي سيكلف الأمة جرّاء مقاومته.

وعاشت الأمة طيلة هذه القرون في ظل هذه النظرية. ولكن بعد سقوط الخلافة الإسلامية ونشوء حكومات قطرية في كل بلد، وظهور أيديولوجيات دخيلة على الدين الإسلامي، ولأن شرعية ولاية المتغلب تعتمد في قبولها على شرط أساس وهو محافظة المتغلب على مظاهر الدين، وألّا يصدر منه كفر صراح، من هنا بدأ يتشكل عند الإسلاميين وعي جديد خاصة مع بداية القرن العشرين الميلادي المنصرم، حيث ولّد الاستعمار أيديولوجيات جديدة من قومية وشيوعية واشتراكية وتوجهات مختلفة، فبدأ الإسلاميون يناقشون مسألة تدخلهم في السلطة السياسية، وألّا يتركوا الساحة شاغرة أمام من يفسد الدين والعقيدة.

فقد رأى البعض الاستمرار على سيرة السلف على طريقة ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾، وبعض آخر قال لا ينبغي لنا السكوت، ونحن نرى الفساد والظلم والاحتلال والاستعمار الأجنبي، وهنا تكونت الحركات أو الجماعات الإسلامية، مثل الجماعة الإسلامية في باكستان، والأخوان المسلمون في مصر، وحزب التحرير في بلاد الشام، ولاحقًا تكون عند الشيعة في العراق بعض الأحزاب والحركات. لكن هذه الحركات ووجهت بالقمع، ولم تتح لها فرصة المشاركة في الشأن السياسي، حتى في البلاد التي كانت عندها حرية تشكيل الأحزاب مثل مصر كانت تمانع نشوء الأحزاب الإسلامية وتسعى لقمعها.

كان للتعامل السيئ مع هذه الأحزاب الإسلامية انعكاس سلبي، أدّى إلى التطرف، والدخول في أتون العنف والصراعات التي حصلت في البلاد العربية والإسلامية. وعاش المسلمون طوال القرن المنصرم ضمن هذا الكرّ والفرّ بين الإسلاميين وبين عدد من الأنظمة الحاكمة في البلاد العربية والإسلامية.

ومنذ العقود الأخيرة للقرن المنصرم بدءًا من انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وما أعقبها من تغيرات في الشؤون العربية والإسلامية، تبلورت الحركات الإسلامية، حتى جاء ما يسمى الآن بالربيع العربي. ورأينا كيف أن الأحزاب الإسلامية بدأت تشارك في الشأن السياسي، كما رأينا في وقت أسبق في تركيا، والآن في تونس ومصر وليبيا والمغرب، وفي بلاد أخرى، وسوف نرى مشاركة الحركات الإسلامية في كل بلدٍ تتاح فيه فرصة المشاركة؛ لأنهم يمثلون ويحملون الراية التي تؤمن بها جماهير الأمة.

الأحزاب الإسلامية والتجربة الجديدة

بُعد الأحزاب الإسلامية عن السياسة في السابق، وقربهم منها الآن، يضعهم أمام تحدٍّ كبير، وهو كيف يتم التصرف أمام الواقع وتطبيق النظريات التي استقوها من الفكر الإسلامي؟ إنهم أمام تجربة جديدة، وتحدياتها كبيرة، ومن الطبيعي أن تنعكس ضعفًا في الأداء، ولكن لا بُدّ من إتاحة الفرصة لهم حتى تتبلور أفكارهم وتنضج تجربتهم، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «من قلّت تجربته خدع»[١]. ويقول: «كفى بالتجارب مؤدبًا»[٢].

مطلوب من الحكومات في البلاد العربية والإسلامية أن تتيح الفرصة لهذه الأحزاب لممارسة نشاطها السياسي والمشاركة في الحكم، حتى تؤهلهم أكثر، وتخفف من

---

(١) علي بن محمد الليثي الواسطي. عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٥٣.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٨٥.

الحديثة والتطرف الذي أصبح مظهرًا لبعضها، جرّاء ما واجهوه من قمع، وما تلقوه من أفكار. لأن أي إنسان قبل خوض غمار أي عمل ما يفكر بطريقة معينة، وإذا دخل في خضم العمل فعلًا تغيرت وجهة نظره وتكشفت له أمور أخرى لم تخطر بباله.

أما من ناحية الأحزاب الإسلامية فمطلوب منها أمران:

الأول: أن تأخذ بمبدأ القبول بالآخر والتعايش معه، حيث إن مشكلة أكثر الإسلاميين في الماضي كانوا يرون أنهم من يمثل الإسلام الصحيح، وغيرهم في شرك وضلال، وهذه الحالة تجعل الأمة تعيش في حالة تجاذبات وصراعات داخلية. ولا بُدّ لهذه الأحزاب من القبول بالحكم الديمقراطي لمشاركة القوى الأخرى الرأي السياسي، والابتعاد عن الرأي الأحادي. إن أحدًا من الأحزاب لا يقبل منك أن تلغي رأيه، ولا يمكن لحزب أن يعمل بمعزل عن الآخرين، كما أن في المشاركة يتبين صوابية رأي من آخر، ويمكن تصحيح الأفكار والتوجهات. والنموذج الذي يقدمه حزب العدالة والتنمية في تركيا مثال جيد للأحزاب الإسلامية، فقد استطاعوا أن يثبتوا كفاءتهم وجدارتهم.

الثاني: أن تجتهد في فهم الواقع المعيش. فهذا الفقه المتوارث عند المسلمين سنة وشيعة كان نتاج بيئة معينة، ومنه ما لا يتناسب مع هذا العصر، وهذا من فوائد فتح باب الاجتهاد، الذي يعني أن الفقيه غير ملزم بآراء الفقهاء السابقين، فكل عصر له طبيعته وأحداثه، فلا بُدّ من تجديد النظر وأخذ الواقع بعين الاعتبار.

وقد رأينا أحزابًا أخذت بلغة الماضي فحولت الإسلام والمسلمين إلى ما يشبه النكتة أو المسخرة أمام العالم؛ لأنها تريد أن تطبق آراءً كانت سائدة في القرون الماضية، كما هو الحال عند طالبان والأعمال التي قامت بها في أفغانستان. وللآن نجد بعض الإسلاميين يحمل مفاهيم سابقة تجاوزها الزمن، ويريد أن يطبقها في هذا

العصر، كما تحدث أخيرًا أحد أبرز القيادات السلفية في مصر عن رؤيته لحل مشكلة الفقر في مصر والمتمثلة في القيام بغزوات الجهاد إلى أمريكا وأوروبا، ومن خلالها سوف يكون هناك سلب وسبي للنساء والرجال والأولاد، ومن خلال بيعهم تكون هناك عوائد مالية التي هي أفضل من عوائد التجارة بالبضائع الأمريكية والأجنبية! ـ على حدّ قوله ـ[1].

وبالرغم من هذا الفكر الموجود عند بعض قيادات هذه الأحزاب إلا أنها قوة لا يمكن إلغاؤها، ولا تشكل خطرًا وقلقًا كبيرًا ما داموا غير منفردين بالحكم، فالتجربة سوف تصقل أفكارهم وتشذبها. هذا ما ينبغي أن نراهن عليه إضافة إلى وجود حركات إسلامية أكثر تفهمًا للواقع والعصر.

نرجو أن تكون هذه المرحلة مرحلة مباركة ونافعة للدين والأمة.

(١) http://www.copts-united.com/article.php?I=812&A=36915

الخطبة الأولى

فن التغافل

ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: «مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ»[1].

وقال أيضًا: «نصف العاقل احتمال ونصفه تغافل»[2].

تتفاوت انفعالات الناس واستجابتهم مع ما يدور حولهم من أحداث، بين الانغماس الكلي فيها، وبين التجاهل التام لها، ونجد ذلك مثلًا في مرور شخصين بحادثة مرورية، فقد يقف أحدهما ويتأمل ويتساءل ويتفاعل مع الحادث، فيما يعبر الآخر كما لو لم يَرَ شيئًا. فالحدث هو ذات الحدث، لكن مستوى التفاعل اختلف من شخص لآخر.

وعلى غرار ذلك قد يدخل شخصان إلى معرض فني، فيقف الأول عند لوحة ما متأملًا مدة من الزمن، بينما يمرّ عليها آخر مرور الكرام، فكلا الشخصين نظر إلى اللوحة ولكن مستوى الاهتمام اختلف بينهما.

هكذا الأمر في مختلف شؤون الحياة، فاهتمام المرء بما يرى ويسمع هو الذي يحدد درجة تأثره بذلك الحدث. فهناك من الناس من لا يبالي بأيّ شي، ولا يهتم بما يجري من حوله من أحداث ومواقف، فهو يجسد اللامبالاة بأجلى صورها، فيما

(١) نهج البلاغة، حكمة ٢٢٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٩٧، حكمة ٣٣.

قد يهتم أشخاص آخرون بكل شيء، ويتفاعلون مع كل حدث، سواء ما يستحق منها الاهتمام، وما لا يستحق.

أما اللون الثالث من الناس فهم أولئك الذين يختارون ما يستحق التوقف عنده، ويتجاهلون ما لا يستحق إعارته أدنى اهتمام. والصحيح هو موقف هذه الفئة الأخيرة، فمن غير المقبول ألّا يبالي المرء بكل ما يجري من حوله، كما أنه من غير الصحيح أن يشغل باله بكل ما يحدث أمامه، فليست كل الأشياء تستحق الاهتمام والتفاعل. من هنا على المرء أن يتحكم في انفعالاته على ما يجري من حوله بشكل لا ينغمس في كل أمر مهما صغر، ولا أن يتجاهل ما يدور في بيئته تمامًا، وإنما عليه أن يختار بين ما يستحق الاهتمام وما ينبغي عنده التغافل.

التغاضي عن الصغائر

كل إنسان هو جزء من محيط اجتماعي متشعب، بين الأسرة في المنزل، وزملاء العمل، وسائر أفراد المجتمع، فهو لذلك مطالب بالاتزان والتغاضي عن كثير من الصغائر التي ترتكب من حوله. إذ من غير المتوقع أن يسرك كل ما يقوله أو يفعله الآخرون، إن لدى بعض الناس شعورًا مرهفًا، وحساسية مفرطة، حينما يرى ما يخالف رغبته، ويسمع ما لا يريحه، في مقابل ذلك قد يتجاوز البعض الآخر الكثير من تلك المواقف ولا يشغل باله بالجزئيات والتوافه في محيطه الاجتماعي، وهذا هو المطلوب.

إن قدرًا من التغافل أمر مطلوب على أكثر من صعيد، بدءًا من المحيط العائلي، وانتهاءً بالبيئة الاجتماعية. فقد لا تعجب بعضنا تصرفات الأطفال نتيجة الإزعاج الصادر عنهم في المنزل، هنا ينبغي أن نتفهم وضع الأطفال فلا نكون صارمين معهم إلى حدّ المبالغة، وهكذا الحال بالنسبة لتعامل الزوجين مع بعضهما، إذ تقتضي الضرورة من كليهما أن يمررا ويتغاضيا عن الكثير من التصرفات التي قد لا تعجب

أحدهما من الآخر، والحال نفسه ينطبق على التعاطي مع الأصدقاء وزملاء العمل، أو ما يواجه المرء من تصرفات في الشارع العام.

كنت ذات مرة في سيارة مع جماعة من الإخوان، ومرت سيارة بطريقة غير مناسبة، فما زاد قائد السيارة التي نسير بها عن قول سامحك الله، واكتفى بذلك في مواجهة التصرف الأرعن لسائق المركبة الأخرى، بينما أحد الراكبين معنا لم يرتح للأمر، وغضب، وظل طوال الوقت متوتر الأعصاب، بل زاد على ذلك بأن ظل يردد في اليوم التالي بأن تصرف السائق الآخر ظل يزعجه حتى إنه لم يستطع النوم ليلة أمس!.

يتحسّس بعض الناس من أدنى الأشياء، فيما يمتلك البعض الآخر القدرة على تجاوز صغائر الأمور. فلو أخذنا مسألة التعرض لانتقادات الآخرين، فهناك من يتقبل هذا الأمر، تأسيًّا بالأنبياء والمصلحين والعلماء الذين لم يكونوا ـ مع علو مقامهم ـ في منأى عن النقد والطعن، لكن البعض ليس لديه الاستعداد لتقبل أدنى كلمة تقال بحقه، بل هو على استعداد لتتبع ما قيل ومتى ومن قال.

التغافل صفة سمو ونجاح

إن مصطلح التغافل في الآداب والأخلاق الإسلامية عنوان مهم، يعني تعمد الغفلة عن قصد. فقد يكون المرء يعلم بالشيء لكنه يتظاهر بعدم العلم والدراية، والنصوص الشرعية تدفع باتجاه اتخاذ جانب الغفلة المقصودة، فلا ينبغي الوقوف عند كل كلمة تصل مسامعنا، ولا الانشغال بكل موقف يجري في محيطنا الاجتماعي. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من أشرف أفعال الكريم غفلته عمّا يعلم». وفي كلمة أخرى يقول عليه السلام: «نصف العاقل احتمال ونصفه تغافل»، ومعنى ذلك أن يتحمل العاقل بعض الأمور بل ويتجرعها رغم مرارتها وقساوتها، فيما يتغافل عن البعض الآخر كما لو أنها لم تحصل أمامه، ولم يسمع بها.

ثمة حقائق تدفع الإنسان العاقل نحو اتخاذ هذا الخلق العظيم المتمثل في التغافل،

ومنها:

أولًا: إن على المرء أن يدرك الطبيعة البشرية التي يعيش ضمنها، فالبشر معرّضون للوقوع في الأخطاء ويعتريهم النسيان والانفعال، كما قال أمير المؤمنين ﷺ: «يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ»[1]. فإذا أردنا العيش مع أناس لا يصدر منهم الخطأ فلن نحصل على شيء من ذلك في الدنيا، ولينظر كل منا لنفسه، ألا ترى أنه يصدر منك ما يزعج الآخرين، من نسيان وخطأ وانفعال، والغريب أن بعض الناس يريد من الآخرين أن يعذروه لأنه بشر ويصدر عليه النسيان والغفلة، لكنه لا يريد من جهته أن يعذر الآخرين. علينا أن نعي أن من نعيش معهم بشر وليسوا ملائكة، فلا بدّ أن نتحمل بعض التجاوزات والأخطاء من بعضنا تجاه الآخر.

ثانيًا: الحساسية المفرطة تجاه أخطاء الآخرين سبيل لتنغيص العيش. ولعل من أبرز أسباب نكد العيش هو التدقيق طويلًا في كل خطأ يصدر من الآخرين صغيرًا كان أم كبيرًا، فليس من المناسب أبدًا أن ينشغل المرء بسفاسف الأمور فينطبق عليه كلام أمير المؤمنين علي ﷺ: «من لم يتغافل عن كثير من الأمور، تنغّصت عيشته»[2].

ثالثًا: التغافل ضرورة للعلاقة الناجحة مع الآخرين. فالعلاقة مع الناس إذا لم تعتمد على شيء من التغافل لا يمكن لها أن تنجح، يقول الإمام علي ﷺ: «من لم يؤاخِ إلا من لا عيب فيه، قلّ صديقه»[3]. ويقول ﷺ: «من ناقش الإخوان قلّ صديقه»[4]، وورد في الأثر «كثرة العتاب تذهب بالودّ» فالناس

(١) نهج البلاغة. من كتاب له للأشتر النخعي، كتاب ٥٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٦٢، حكمة ١٣٩٠

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٧٨.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٦٧، حكمة ١٥٢٥.

قد لا يتحملون العتاب طويلًا، وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «التمسوا لإخوانكم العذر في زلاتهم وهفوات تقصيراتهم»[١].

ويقول الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتبًا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

ويقول شاعر آخر:

ليس الغبي بسيدٍ في قومه لكن سيد قومه المتغابي

وفي البيت إشارة واضحة إلى أن الذي يعلم الشيء الذي يسوؤه ويغض الطرف عنه هو الأكثر أهلية لسيادة قومه.

وعن الامام الصادق عليه السلام: «صلاح حال التعايش والتعاشر ملء مكيال: ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل»[٢].

من هنا، فإن علينا أن نتنبه لهذا الأمر، ونسير حسب المنهجية الأخلاقية التي يأمرنا بها الإسلام في علاقاتنا داخل الأسرة ومع الجيران والأصدقاء وكل من يحيط بنا، علينا أن نتسامح ونتجاوز، وألّا نقف عند كل شاردة وواردة فننشغل عمّا هو أهم.

بقي أن نشير إلى أنه لا يكفي الإيمان والاقتناع بهذه القيمة الأخلاقية، بل يحتاج الإنسان إلى أن يروّض نفسه عليها، ويتدرب على ممارستها، حتى يتقن فن التغافل.

---

(١) مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٥٧، حديث١٩٣ ٨٠.

(٢) تحف العقول، ص٣٥٩.

وعي المواطن وجرأته لردع الفساد

أن رجلًا تقاضى رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فأغلظَ له، فهمَّ أصحابُه، فقال: «دعوه، فإن لصاحب الحقِّ مَقالًا»[1].

إن طلب الحق والإلحاح فيه أمر مشروع حتى لا يضيع ذلك الحق أو يصادر، ذلك لأن عدم المطالبة بالحق تفسح المجال لمصادرته، فلا ينبغي للمرء أن يتهيب من المطالبة بحقه لدى أي كان، ومهما كان موقعه ومنصبه. فلا موقع ولا مقام أفضل مما كان عليه رسول الله ﷺ، فقد كان نبي الأمة وقائدها في آن، ومع ذلك فقد أعطى المشروعية كاملة لمن يأتيه ملحًّا في طلب حقه عليه. جاء في مصادر الحديث أنه كان لرجل على رسول الله حق فجاء يتقاضاه وكانت إبلًا في سن معينة، فأغلظ في كلامه، فهمّ به أصحاب الرسول فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالًا»، ثم أمرهم أن يعطوه ما يريد، فقال الأصحاب: يا رسول الله لم نجد إلا سنًا فوقها من الإبل، فقال ﷺ: «أعطوهُ، فإنَّ من خيرِكُمْ أحسنُكُمْ قضاءً»[2].

الجرأة في المطالبة بالحقوق

إن أبرز مشكلة تفسد ذوي المناصب، هي تهيب الناس منهم، والإحجام عن المطالبة بحقوقهم أمامهم. فذلك ما يجعلهم يتمادون في غيّهم ومصادرتهم لحقوق

(١) صحيح البخاري، ج ٢، ص ٧١، حديث ٢٣٠٦..

(٢) المصدر نفسه.

المواطنين، يروى أن أعرابيًا دخل على رسول الله ﷺ وحين أراد التكلم أخذته الهيبة من الرسول، فخاطبه بالقول: «هوّن عليك، فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأه من قريش كانت تأكل القديد»[١].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أثناء خلافته قوله للناس: «لَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَ لَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَ لَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ»[٢].

ويروي أخواننا أهل السنة في مصادرهم أن رجلًا قال للخليفة الثاني عمر بن الخطاب: اتق الله يا عمر، وأكثر عليه. فقال له قائل: اسكت، فقد أكثرت على أمير المؤمنين. فقال عمر: دعه، لا خير فيهم إن لم يقولوها لنا، ولا خير فينا إن لم نقبل[٣].

هكذا يربي الإسلام أبناء المجتمع الإسلامي على أن يكونوا جريئين في المطالبة بحقوقهم، وألّا يتهيبوا صاحب منصب مهما كان، فهذا الموظف والمسؤول هو أجير مؤتمن، يتسلّم راتبًا وامتيازات لقاء منصبه، وأداء مسؤوليته، فهو مؤتمن على مصالح الناس، فإذا قصر أو أساء فمن حق الناس أن يطالبوه ويحاسبوه، ذلك لأن المنصب يغري صاحبه بالاستئثار والتجاوز على حقوق الناس، والتساهل في القيام بالواجب، فلا بدّ من مراقبة الناس له، ومطالبتهم الجريئة إياه، فهي الرادع لأي تجاوز، وهذا ما نراه في المجتمعات المتقدمة.

آليات مكافحة الفساد

ثمة عوامل كثيرة تفتقدها مجتمعاتنا هي كفيلة بالحدّ من فساد المسؤولين المكلفين بإدارة مقدرات الأمة. إذ إن توفر تلك العوامل في المجتمعات المتقدمة هو

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث ١٨٧٦.

(٢) نهج البلاغة. خطبة ٢١٦.

(٣) أبو يوسف القاضي، الخراج، ص ١٢.

ما جعل المسؤولين في تلك البلاد أقلّ فسادًا، علمًا بأن الإنسان هو الإنسان في كل المجتمعات في الشرق والغرب، بل قد يكون الإنسان الغربي أكثر نهمًا واندفاعًا نحو الفساد والأهواء والشهوات بسبب الجو المادي الذي يعيش فيه، لكن نظرًا لوجود آليات تحدّ من الفساد جعلت مستوى الفساد أقل مما هو عليه عند المسؤولين في البلدان الأخرى، ومن تلك الآليات:

أولًا: الأمة هي مصدر السيادة والشرعية

وعليه فإن أيّ موظف مهما علا منصبه يعرف في قرارة نفسه جيدًا أنه إذا لم يقم بدوره وواجبه على الوجه الأكمل، فإنه لن يمنح فرصة الفوز مرة أخرى في الانتخابات العامة في بلده، حيث إنه وصل إلى هذا المنصب بإرادة الناس، وإذا لم يرضَ الناس عنه فإنهم لن ينتخبوه، هذا إن لم يعزلوه من منصبه قبل أن يتم الفترة المفترضة لولايته، لذلك يحسب المسؤولون حسابهم لمصالح الناس. أما في البلدان التي لا إرادة للناس فيها، فكل صاحب منصب ومسؤول باقٍ في منصبه، رغم كل أخطائه، رضي الشعب أم لا، هؤلاء المسؤولون الذين لا يشعرون أن للناس دورًا في وصولهم إلى مناصبهم ومواقعهم، يشعرون بأنهم غير مضطرين لأن يحسبوا لحقوق الناس حسابًا.

ثانيًا: وجود المؤسسات الدستورية القوية

إن برلمانًا منتخبًا يمارس دوره الرقابي الصارم، يجعل من أي وزير أو مسؤول يضرب ألف حساب لأي مساءلة برلمانية مرتقبة قد تنزع الثقة منه، وقد يجرّه ذلك للإقالة والافتضاح أمام الملأ، ولهذا يحسب المسؤول في تلك البلاد حسابًا، ويجتهد ما وسعه في أداء واجبه. أما في حال غياب هذه المؤسسات الرقابية القوية، فما الذي يردع هذا المسؤول أو ذاك؟

بل الأسوأ من ذلك هو ما يجري في بعض البلاد التي تفتقد لأي شكل من أشكال المؤسسات الدستورية، من تكريم وترقية لبعض المسؤولين المتهمين أصلًا بالسرقة والنهب وخيانة الأمانة.

ثالثًا: القانون يحمي المواطن

إن وجود قانون واضح يحمي المواطنين، هو ما يشجع على مشاركة الجميع في محاربة الفساد، والتصدي لخرق القانون. وما يجري في كثير من البلدان المتخلفة هو أن المواطن يخشى إن مارس دوره الرقابي أن يخذله القانون، فيكون هو نفسه ضحية للقانون، الذي يصطف غالبًا بجانب القوي على حساب الضعيف.

رابعًا: الحرية الإعلامية

للإعلام دور كبير في ردع المسؤولين الفاسدين والمتجاوزين. فالإعلام القوي يشكل سلطة رابعة كما يوصف، وهو عامل حاسم في ردع المسؤولين الفاسدين عن تجاوز حدهم، خشية الافتضاح على رؤوس الأشهاد.

خامسًا: وعي المواطن بحقوقه

فالمواطن حينما يعي حقوقه، ويمتلك الشخصية القوية للمطالبة بها، فإنه يشكل أداة للردع أمام أي موظف يعتدي على حقوق الناس، ولا يقوم بواجبه تجاههم. نحن اليوم نعيش في عصر أتيحت فيه بعض الفرص، للوقوف أمام التجاوزات في بلادنا، فعلينا أن نستفيد من الفرص المتاحة والممكنة كوجود هيئة رسمية أنشئت أخيرًا لمكافحة الفساد، حتى مع علمنا بأن المنظومة لم تتكامل بعد لمواجهة الفساد والتصدي لتقصير الموظفين والمسؤولين.

مسؤولية مجتمعية

إن مواجهة الفساد والتصدي للمتلاعبين مسؤولية الجميع بلا استثناء. فعلى كل مواطن ألّا يتهيب ولا يخاف، وألّا يتردد في المطالبة بحقه إذا رأى فسادًا أو تقصيرًا من أي موظف أو جهة رسمية. وقد رأينا مؤخرًا كيف نال بعض المواطنين حقهم من بعض المسؤولين بعد أن تحلّوا بشيء من الجرأة، واستطاعوا توثيق المخالفات المرتكبة بحقهم. فقد رأينا كيف أقيل سفير للملكة لدى مصر، نتيجة سخريته من

مواطنة جاءته بغرض تسهيل سفرها إلى البلاد في خضم أحداث الثورة المصرية، وقد ترك هذا الأمر صدى إعلاميًّا كبيرًا. كما نقلت الصحافة المحلية عدة أحداث مشابهة رصدت سوء معاملة بعض المسؤولين لمراجعيهم، كل ذلك جاء بمبادرة مباشرة من مواطنين عاديين انبروا لفضح المخالفات الفادحة لهؤلاء المسؤولين.

هنا يمكن القول بأنه ليس هناك ما يضمن أن يصل كل مواطن إلى حقه إذا انتهج هذا السبيل. ولكن يكفي أن يقوم كل منا بواجبه، فذلك أدعى لمصلحته ومصلحة وطنه ومجتمعه، فإن لم تصل أنت فسوف يصل من بعدك، فالمهم أولًا وأخيرًا أن يعي المواطنون حقوقهم، ويتمسكوا بها، ويتحلوا بالجرأة في المطالبة بها، وما دامت هناك فرصة للاستفادة من الوسائل التقنية الحديثة في اثبات الحق، فلا ينبغي أن تكون أي شكوى ضد هذا المسؤول أو ذاك مجرد كلام في الهواء، مما يسهل إنكار الطرف الآخر والتملص من مسؤولياته، وإنما على كل واحد أن يجتهد في إثبات دعواه بالدليل القاطع، القادر على قطع الطريق، وإمكانية التفلت والإنكار، فحينئذٍ تكون الدعوى أبلغ والموقف أقوى، وهذا ما يصب في نهاية المطاف في صالح الوطن والمواطنين.

إن استشراء الفساد وتقصير الموظفين والمسؤولين في أداء المسؤوليات التي يحملونها، يعد إساءة للوطن والدولة والمواطنين، وعلينا جميعًا أن نتعاون من أجل أن نضع حدًا لهذا الواقع السيئ الذي تعيشه شعوبنا ومجتمعاتنا، فإذا لم تتوفر كل الآليات المطلوبة فلنستفد مما هو متوفر ونمضي في المطالبة بسائر الآليات الأخرى.

نسأل الله تعالى أن يصلح أمورنا وأمور المسلمين.

الخطبة الأولى

النبي عيسى شخصية استثنائية

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[سورة النساء، الآية: ١٧١]

تُعدّ حالة التصنيف والنظرة النمطية للآخرين إحدى المشكلات الرئيسة التي يمكن أن تضرب أي منظومة فكرية أو عقدية، مما يخلق أمامها عائقًا أساسيًا في التواصل الإنساني الأرحب.

فحينما تكون هناك على سبيل المثال شخصية عظيمة تتبناها منظومة فكرية أو دينية معينة، فإن أتباع المنظومات الدينية الأخرى قد لا يجدون أنفسهم معنيين بتعظيم هذه الشخصية، مع أنها في الأصل شخصية عظيمة حتى بالمعايير المعتبرة ضمن منظومتهم الخاصة، لكن وبسبب ترسخ حالة التصنيف قد لا يجدون أنفسهم معنيين بالحديث عنها والاهتمام بها.

ولعلّ أحد أبرز الأمثلة على ذلك هي النظرة الضيقة للاحتفالات المصاحبة لذكرى ميلاد نبي الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. حيث يحتفل جزء كبير من العالم بذكرى ميلاده، فنسبة كبيرة من سكان الكرة الأرضية ينتمون إلى الدين المنتسب إليه، ولأنهم يشكلون الحضارة الغالبة فإن مناسباتهم تفرض نفسها على العالم كله.

من طرفنا كمسلمين ينبغي ألّا نحرم أنفسنا من الاستفادة من استحضار شخصية هذا النبي العظيم. فنبي الله عيسى أحد أولي العزم من الرسل، ومن الأنبياء العظام الذين تكرر ذكرهم في القرآن الكريم، وهو أقرب الأنبياء من أولي العزم زمنيًا من نبينا محمد ﷺ، ولا مشكلة في النقاش حول دقة توقيت ميلاده، فمثل هذا الاختلاف قائم حتى في مناسباتنا الإسلامية.

إن نبي الله عيسى بن مريم ليس رمزًا للمسيحيين فقط. بل هو شخصية مقدسة ومعظمة في المنظومة الفكرية الإسلامية، فالقرآن الكريم يفرض على كل مسلم تقديس كل الأنبياء، كما جاء في الآية الكريمة ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾، وقد تحدثت النصوص القرآنية والأحاديث والروايات كثيرًا عن شخصيته العظيمة، وفي القرآن الكريم سورة كاملة باسم أمه (مريم عليها السلام)، بل نعتقد أننا أولى به وببقية الأنبياء. وإذا كان هناك من ينتسب إليه ضمن منظومة نختلف معه فيها، ولا نراها منظومة عقدية صائبة، فذلك لا يبرر تجاهلنا لهذه الشخصية العظيمة أو ضعف الاهتمام بها، كما يتجلى ذلك في الحضور الضعيف في خطبنا وإعلامنا لشخصية نبي الله عيسى بن مريم، بالشكل الذي لا يتناسب مع مكانة هذه الشخصية الإلهية في نصوصنا المقدسة.

تصنيف الشخصيات

إن أحد الأسباب للحضور الباهت في إعلامنا لشخصية نبي الله عيسى هو حالة التصنيف الحادة للشخصيات ضمن المنظومات الفكرية والعقدية. وهو ما نعاني منه حتى في داخل المنظومة الإسلامية، ففي الداخل الإسلامي نجد أن بعض الشخصيات الإسلامية جرى لها تصنيف مذهبي ضيق، فأصبحت رموزًا لهذا المذهب دون غيره، عوضًا من أن تكون رموزًا للأمة بأكملها، فأتباع المذاهب الأخرى لا يجدون أنفسهم معنيين كثيرًا بهذه الشخصيات.

فأهل البيت رموز عظيمة لكل الأمة ولجميع المسلمين، لكن لأن طائفة من

المسلمين أصبحوا معروفين بانتمائهم إليهم، وعرفوا بشيعة أهل البيت، أصبح بعض المسلمين من أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى لا يجدون أنفسهم معنيين كثيرًا باستحضار شخصيات أهل البيت، وكأنها شخصيات تخص الشيعة فقط، بينما هم شخصيات إسلامية تؤكدها النصوص والمصادر الدينية وكتب الحديث عند السنة قبل الشيعة، فشأن أهل البيت ومكانتهم وفضلهم لا يستطيع أن ينكره مسلم.

إن مشكلة التصنيف مشكلة قديمة ترتبط في جانب منها بالمواقف السياسية، ولهذا نجد في كتب التاريخ أن عبدالله بن الزبير حينما توطّد أمره في الحجاز والعراق سنة ٦٤هـ أسقط ذكر رسول الله من خطبته، فعوتب على ذلك، فأجاب: «رأيت هذا الحي من بني هاشم إذا ذكرت اسمه اشرأبت أعناقهم وأبغض الأشياء إليّ ما يسرهم»[1]. وعن الزهري قال: كان من أعظم ما أنكر على عبدالله بن الزبير تركه ذكر رسول الله في خطبته وقوله حين كلم في ذلك: «إن له أهل سوء يشرئبون لذكره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به»[2].

ويحضرني في هذا الصدد ما أخبرني به قبل سنوات أحد الأصدقاء في الرياض، وهو باحث ومفكر سني من أبناء الوطن، يقول طلبت مني إحدى الإذاعات أن أعد برنامجًا يتناول الجيل الشاب من الصحابة وأبنائهم، فرأيت بأن أبدأ بالإمام الحسين لمصادفة تلك الفترة لشهر محرم ومناسبة عاشوراء، وإذا بالطرف الآخر يعترض بحجة أن الحسين بن علي شخصية يتبناها الشيعة، وقد يدخلنا الحديث عنه في مشاحنات وما شابه، ويكمل صديقنا حديثه بالقول؛ أحببت أن أستدرجه فقلت له: ما رأيك إذًا في أن نبدأ بحلقة نتحدث فيها عن يزيد بن معاوية، قال حسنًا تفعل!.

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين بن محمد المرواني. مقاتل الطالبين، الطبعةالثانية ١٤١٦هـ، (قم ـ منشورات الشريف الرضي)، ص٤٧٤.

(٢) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب. تاريخ اليعقوبي. ج٣، (بيروت ـ دار صادر)، ص٨.

تجاهل الصحابة لماذا؟

وهذا الأمر ليس مقتصرًا على فئة دون أخرى، إذ إن هناك اهتمامًا أضعف لدى بعض الشيعة بأمر صحابة رسول الله، لا بُدّ من القول هنا، إن الشيعة لا يقدسون كل الصحابة ولا يقولون بعدالتهم المطلقة، وإن لديهم رؤيتهم النقدية حول مجمل تلك الفترة التاريخية، لكن ذلك ليس مدعاة لأي موقف سلبي من مجمل الصحابة، فهؤلاء أصحاب رسول الله، وتحدث عنهم القرآن من حيث الإجمال، ورسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﵇ كما في موارد من نهج البلاغة كقوله : «لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى أحدًا يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سجّدًا وقيامًا يراوحون بين جباهِهِم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم رُكب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبُلَّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفًا من العقاب ورجاءً للثواب»[١].

وهناك دعاء كامل في الصحيفة السجادية حول أتباع الرسل وأصحابهم وبالخصوص أصحاب نبينا محمد، كما في الفقرة التالية من الدعاء: «اَللَّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّد خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ، وَالَّذِينَ أَبْلَوْا الْبَلاَءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إلَى وِفَادَتِهِ وَسَابَقُوا إلَى دَعْوَتِهِ واسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حجَّةَ رِسَالاَتِهِ، وَفَارَقُوا الازْوَاجَ وَالاوْلادَ فِي إظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الاباءَ وَ الابناءَ فِي تَثْبِيتِ نبُوَّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ»[٢].

وكذلك في دعاء يوم الثلاثاء المروي عن الإمام زين العابدين الذي جاء فيه «اللهم صل على محمد خاتم النبيين وتمام عدة المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين»، وقد قاتل تحت راية الإمام علي في صفين ما يزيد على ٢٨٠٠

(١) نهج البلاغة. خطبة ٩٧.

(٢) الصحيفة السجادية. دعاؤه في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم.

صحابي، فإذا كان هناك موقف حول بعض الصحابة فلا يعني ذلك التنكر للصحابة أجمعين. ان وجود التصنيف المذهبي بين فئات الأمة لا يبرر غض الطرف عن تلك الشخصيات الاسلامية العظيمة.

من هنا نقول بأن نبي الله عيسى ليس شخصية خاصة بالمسيحيين، إنه نبي من أنبياء الله العظام، لذلك فالحديث عنه واستحضار شخصيته أمر مطلوب منا كمسلمين.

مشكلة الغلو في الأديان

الغلو آفة تصاب بها الأديان والمذاهب، بل تصاب بها مختلف المجتمعات البشرية إزاء رموزها وقياداتها. وقد تعرضت الديانة المسيحية لهذه المشكلة بمنطوق القرآن الكريم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾.

والمغالاة في الرموز والقيادات لها أسباب، نذكر منها:

أولًا: ظهور التميز والتفوق الصارخ

إذا تفوقت الشخصية بشكل كبير فإن ذلك يدفع الأتباع إلى تفسير هذا التفوق تفسيرًا مغاليًا، فتنسب له صفات التأثير في الكون والألوهية وما يتجاوز الواقع بكثير. ولا شك أن عيسى بن مريم كان له تميز واضح بدءًا من ولادته، فقد ولد من غير أب، وهذه ميزة لم تحصل لأحد آخر بعد وجود آدم الذي خلقه الله تعالى من تراب، والفارق أن وجود آدم لم يشهده أحد من البشر، أما نبي الله عيسى بن مريم فقد شهده الناس، فالسيدة مريم امرأة طاهرة نقية وإذا بها تجيء قومها بمولود من دون زوج، فتعجبوا من ذلك وقالوا: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾، وهذا بحد ذاته أمر استثنائي، ومن ناحية أخرى كلامه وهو في المهد كما ورد

في الآية الكريمة ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ فكانت هذه معجزة عظيمة.

كما تميزت سيرة النبي عيسى بين قومه بالرقي الأخلاقي والسلوك المثالي، وزاد منها المعجزات الباهرة التي حصلت على يديه، كما ورد في القرآن الكريم ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، هذه الحالة الاعجازية سببت الانبهار في نفوس المعاصرين له ومن جاء بعدهم، مما قاد بعضهم إلى الغلو والانحراف.

ولعل ذات الأمر تكرر مع أمير المؤمنين علي عليه السلام نظرًا لتميزه وتفوقه الصارخ، فقد دفع ذلك بعض محبيه إلى المغالاة فيه. وهذا ما دعا رسول الله إلى الإحجام عن الإسهاب في ذكر فضائل الإمام علي، فما حصل من انبهار كبير لدى البعض إزاء شخصية علي حصل مع أن النبي لم يطلعهم على كل جوانب شخصيته، فكيف لو أبان لهم ذلك؟ جاء في حديث ورد في مصادر للسنة والشيعة أن رسول الله خاطب عليًّا عليه السلام بالقول: «والذي نفسي بيده لولا أن يقول فيك طوائف من أمتي بما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالًا لا تمر بأحد من المسلمين إلا أخذ التراب من أثر قدميك يطلب به البركة»[1] . إذًا فالتميز في الشخصية في مختلف المجتمعات قد يكون سببًا لغلو الأتباع والمنبهرين.

والحقيقة أن حالة الغلو ليست مقتصرة على أتباع الأنبياء والرموز الدينية. ولعل آخر ما تم تداوله في هذا الصدد هي الإشاعات التي سيقت هذه الأيام بعد وفاة زعيم كوريا الشمالية (كيم جونغ ايل) فقد بدأت بعض الصحف الكورية الكتابة عن بعض

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي. ج٩، ص١٣١.

الظواهر التي أعقبت موت الزعيم، فزعمت بأن تساقط الثلوج أثناء جنازته إنما كان علامة من السماء تشير إلى أهمية الزعيم الراحل، كما اختلقوا الكثير من الحكايات ومنها قولهم بتقعقع الجليد تحت مهده المفترض، كما هلّت أنوار زرقاء حول مكان قبره، وأن هناك طائرًا أبيض جاء يمسح الثلج عن تمثاله[١].

ثانيًا: تعظيم الرموز والزعامات مظهر لتعظيم الذات

إن تعظيم الرموز والزعامات ينطوي على جانب نفسي لافت، يكمن جوهره في تعظيم الذات. فالبعض من الناس إنما يعملون على تفخيم قياداتهم، والمبالغة في ترميزها، حتى يبرزوا أهميتهم هم. وذلك يشبه تمامًا حديث إنسان عن فندق سكن فيه أو عالم التقاه، فيقوم عندها بإطرائه بشكل مبالغ، لا لشيء سوى لتفخيم ذاته هو، وليقول لمستمعيه أنه مهم بما يكفي؛ لأنه اكتشف هذا الفندق أو جلس مع ذلك العالم، فكما أن المتحدث هنا لا يهمه الفندق الذي تحدث عنه، بقدر ما يهمه إظهار مدى التميز الذي يتحلى به هو نفسه، كذلك الأمر في تعاطي بعض المجتمعات مع رموزها.

ثالثًا: سوء فهم الدين

الدين لا يقبل الغلو في الأنبياء والأئمة، وادّعاء بعض صفات الألوهية لهم، فذلك يعني الشرك والكفر والخروج من ربقة الدين، لذلك يقول تعالى: ﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، وروي عن رسول الله ﷺ: «لا ترفعوني فوق قدري فإن الله اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني نبيًا»[٢]، ولهذا يجب على المسلم عند التشهد في الصلاة أن يقول: (وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)، ذلك حتى نقر ونعترف بأن شيئًا من صفات الألوهية لا يمكن ولا يحق أن تمنح لأحدٍ من الناس، ولو كان أفضل الخلق، وهو رسول الله محمد، لكنه يبقى عبدًا لله، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:

---

(١) http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2011/12/111222_nkorea_nature_mourning.shtml

(٢) كنز العمال. ج٣، ص٦٥٢.

«هلك فيَّ رجلان: محبٌّ غالٍ ومبغضٌ قالٍ»[١]. وقال: «اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى»[٢]، وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله جعفر الصادق إنهم يقولون ـ يعني الغلاة ـ فقال ماذا يقولون؟ قال: «يعلم قطر المطر، وعدد النجوم، وورق الشجر، ووزن ما في البحر، وعدد التراب، فرفع يده إلى السماء وقال: سبحان الله سبحان الله، لا والله، ما يعلم هذا إلا الله»[٣] .

إن الله تعالى أطلع أنبياءه، والأنبياء أطلعوا خلفاءهم على بعض المغيبات، لكن العلم الذاتي بالغيب، والقدرة الذاتية هي بيد الله تعالى، لذلك تكرر تأكيد عيسى بن مريم حين يذكّر بمعجزاته القول (بإذن الله)، يعني أن تلك المعجزات لم تأتِ بقدرته الذاتية وإنما تسنّت له بإذن من الله.

نسأل الله تعالى أن يبارك للبشرية جمعاء في ذكريات الأنبياء والأولياء، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من السائرين في خطهم وعلى هداهم.

---

(١) نهج البلاغة . حكمة ١١٧ .

(٢) بحار الأنوار. ج٢٥، ص٢٦٦.

(٣) بحار الأنوار. ج٢٥، ص٢٩٤.

الخطبة الثانية

الميزانية وخلل توازن التنمية

﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[سورة الحشر، الآية: ٧]

أقرّ الإسلام مبدأ العدالة في توزيع الثروة بين الناس منذ بواكير قيام المجتمع الإسلامي. فالدولة الاسلامية الوليدة وضعت الأساس لمبدأ التوزيع العادل للثروات، بحيث تشمل جميع الشرائح والطبقات والمناطق، وهو ما يعبر عنه في المصطلحات العصرية بالتنمية المتوازنة. لقد فصلت الآية الكريمة ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ أحكام ما يعرف شرعيًا بالفيء، وهي الموارد المالية التي يعود التصرف فيها لقائد الأمة.

ومن موارد الفيء ما يحصل عليه المسلمون من غنائم من دون حرب، فإذا كانت هناك حرب فإن الغنائم توزع على المقاتلين ما عدا الخمس فيكون تحت تصرف القيادة، أما إذا لم تكن هناك حرب فإن مصرف الغنائم إذا وجدت كما في الآية الكريمة ﴿لِلَّهِ﴾ يصرف في سبيله عز وجل، ثم ﴿لِلرَّسُولِ﴾ يصرفها على الشؤون الإسلامية وفي شأنه الخاص، بعدها يأتي (ولذي القربى) وهم عترة رسول الله ﷺ، ويأتي بعدهم ﴿الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. ثم تتحدث الآية عن المقصد والغاية التي

وضع لأجلها هذا التشريع وهي ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء﴾، أي لكي لا يكون المال والثروة محصورة للتداول بيد فئة معينة من المجتمع. ذلك لأن التنمية المتوازنة والتوزيع العادل للثروة يعتبران من صميم السياسة الاقتصادية في الإسلام.

الميزانية الأضخم

إن صدور الميزانية العامة للمملكة هذا الأسبوع التي وصفت بأنها الأضخم في تاريخ البلاد، أعاد التذكير بمشاكل حقيقية في الإنفاق العام، يتمثل أبرزها في الفساد وغياب التنمية المتوازنة. ويبدو من تحصيل الحاصل خروج الميزانية بهذا المستوى غير المسبوق بالنظر للثروات الهائلة التي حبا الله بها بلادنا، ووفقًا للأرقام المتداولة سجلت ميزانية العام الماضي ٢٠١١ إيرادات تجاوزت ترليون ريال، وفائضًا غير مسبوق وصل إلى ٣٠٦ مليار ريال، أما ميزانية هذا العام ٢٠١٢ فقد بلغت ٦٩٠ مليار ريال، وذلك بزيادة ١١٠ مليار ريال على الميزانية المقدرة. غير أن هذه الميزانية عادة ما تواجه مشاكل في الإنفاق من أبرزها:

أولًا: الفساد

إن أبرز مشكلة تواجه الميزانية العامة للبلاد هي أن قسمًا كبيرًا منها عادة ما يأخذ طريقه إلى جيوب الفاسدين، بدلًا من أن يصب في مصالح الناس وخدمة المواطنين. فقد درجت العادة على رصد الميزانيات الكبيرة، لكن شبكات الفساد المستفحل تستولي على قسم كبير منها، فلا يصل إلى الناس إلا النزر اليسير منها. وقضايا شبكات الفساد لم تعد سرًّا، فكثيرًا ما تناولتها الصحافة المحلية بالتفصيل، وما عاد هناك من يتستر على الفساد بالشكل الذي كان عليه في السابق، ولعل إنشاء هيئة مكافحة الفساد يكون بداية للحدّ من هذا البلاء الخطير، مع حاجة البلاد الماسة إلى منظومة متكاملة تواجه الفساد.

ثانيًا: غياب التنمية المتوازنة

يمثل غياب التنمية المتوازنة مشكلة حقيقية تنذر بانعكاسات سلبية على الوطن والمواطنين. فهناك مناطق في البلاد لا يصلها ما تستحق من هذه الميزانيات، في حين يتركز الصرف على المدن الكبرى، أما المناطق الأخرى فلا تزال تعاني التخلف ونقص الخدمات، ويشكو الناس فيها من الحاجة إلى أبسط مستلزمات إدارة الحياة. وقد قرأنا في الصحافة المحلية عن الذين يعيشون في منازل الصفيح، في هذا البرد القارس، في بعض مناطق الشمال، وعن المناطق التي لم تصلها الكهرباء في قرى الجنوب، كما لا يزال عدد كبير من الطلاب يدرس في مدارس مبانيها بيوت مستأجرة غير مهيئة، ولا تمت للبيئة التعليمية بصلة، بخلاف الحاجات الماسة الأخرى التي تشكو منها العديد من مناطق البلاد.

إذا غاب التوازن في التنمية

إن غياب التنمية المتوازنة في مختلف المناطق، واستفحال القصور في عمل الأجهزة الإدارية له أضرار كثيرة، منها:

أولًا: الإجحاف بحقوق المواطنين

إن ثروة البلاد ليست قصرًا على طرف أو منطقة دون أخرى، وإنما هي للجميع. إذ ينبغي أن يصل هذا الخير الكثير الذي ينعم به البلد إلى كل أبناء الوطن. ونحن في هذا الأمر لسنا بدعًا من البلاد، فالكثير من البلاد التي حباها الله بالثروات ينعم فيها جميع المواطنين حتى الرضّع منهم بإعانات ثابتة ومستحقة، ومنها كندا التي كان يحدثني عنها أحد طلبتنا المبتعثين بأن كندا تخصص لكل طفل يولد على أراضيها سواء كان لأب كندي أم مقيم مبلغًا ماليًا شهريًا لا يقل عن ٥٠٠ دولار، وذلك حتى ينشأ الطفل نشأة صحيحة ولا يعاني من أي نقص في الجانب الصحي والتعليمي وسائر احتياجاته، فكل طفل ينشأ وجميع احتياجاته مؤمنه منذ ولادته. إن في بلادنا ولله الحمد الخير

الكثير، فإذا لم يستفد منه كل المواطنين فلمن يكون وأين تذهب هذه الثروات، وما مصيرها. إن التقصير في وجود التنمية المتوازنة بمختلف المناطق يعدّ إجحافًا بحق الناس.

ثانيًا: تضخم المدن الكبرى

إن تركز الصرف المالي على المدن الكبرى يخلق مشكلة أخرى، تتمثل في الهجرة من الريف إلى تلك المدن، فغياب التنمية في الريف وتركزها في المدن الكبرى، سبب رئيس للزحف السكاني من المناطق الريفية باتجاه العواصم، وهذا ما يحصل في البلاد فعليًا، إذ تشير التقارير إلى أن ما يزيد على نسبة ٤٠٪ من سكان العاصمة الرياض هم من غير المولودين في العاصمة، وإنما جاؤوا من المناطق المختلفة، وهناك دراسة مفصلة حول هذا الموضوع قام بها الباحث إبراهيم بن عبدالله الحميدي من جامعة الملك سعود فرع القصيم عام ١٤٢٣هـ وفيها نتائج رصد واستبيانات حول أسباب هجرة الناس عن مناطقهم وقراهم، وكان مبرر هجرة غالبية السكان النازحين غياب الخدمات الأساسية من تعليم وصحة وفرص عمل في مناطقهم، فيما تتوفر بشكل جيد في المدن التي نزحوا باتجاهها.

إن غياب التنمية عن المناطق الريفية ليس أمرًا طبيعيًا، ولا يصب في صالح الوطن. ولعل الكثيرين ممن زاروا البلاد المتقدمة وجدوا كيف تتعمد حكومات تلك البلاد توفير كامل الخدمات الأساسية حتى في القرى النائية، فمن غير المستغرب أن تجد في تلك الناطق النائية جامعات كبرى ومؤسسات ومصانع، حتى تكاد تختفي الفوارق بين القرية والمدينة على صعيد الخدمات الأساسية في تلك البلاد، بل هناك تقصد في إيجاد مثل هذه الخدمات في تلك المناطق، حتى تجتذب الناس، وتحرك دورة الحياة الاقتصادية في تلك القرى، وهذا ما نحتاج إليه في بلادنا، لذلك على المخططين والمسؤولين عن إقرار وصرف الميزانيات أن يأخذوا هذا الأمر بعين الاعتبار، بحيث تغطي جميع مناطق المملكة، مع التركيز في هذه المرحلة على الأطراف التي عانت

من الإهمال التنموي.

ثالثًا: غياب التنمية سبب للاضطرابات

لا شك بأن الشعور بالحرمان، وغياب التنمية، واستشراء الفساد، يخلق بيئة مناسبة لاندلاع المشاكل والاضطرابات. فالمناطق التي لا تصلها الخدمات، ولا تأخذ حقها من التنمية، ستتحول إلى بؤر للاضطراب والمشاكل؛ لأن الناس إذا رأوا أنفسهم محرومين من حقوقهم الطبيعية، ويعانون الفقر، في حين توزع الثروات هنا وهناك، سيكون ذلك سببًا لاندلاع المشاكل والاضطرابات، سواء كانت سياسية أو اجتماعية، وإذا أردنا بلوغ الاستقرار المطلوب وسيادة الأمن الاجتماعي والسياسي، فلا بُدّ أن يكون هناك اهتمام متوازن بمختلف المناطق دون اهمال لأي منطقة.

إن مستوى الحال في بعض مناطق المملكة بلغ حدًا مؤلمًا. فحينما يقرأ الإنسان عن منطقة الباحة مثلًا، أو بعض القرى في جنوب المملكة وشمالها، يتألم لعيش هؤلاء الناس في هذا الوضع السيئ، في ظل هذه الميزانيات المتضخمة!، وكذلك الحال في منطقتنا الشرقية كمحافظة القطيف، هذه المحافظة ذات الكثافة السكانية، والتاريخ العريق، التي تنبع من أرضها الكثير من ثروات البلد النفطية، إن من حق الناس فيها أن يتطلعوا إلى تحسين أوضاعهم المعيشية، فلماذا لا تكون هناك تنمية أفضل لهذه المناطق؟ لماذا لا تكون هناك مثلًا جامعات في هذه المحافظة، فعدد كبير من أبناء المنطقة يضطرون للالتحاق بجامعات في مناطق بعيدة عن مقر سكناهم؟ ولماذا لا تكون الخدمات العمرانية والصحية بالمستوى المطلوب؟

الدور الاجتماعي

ويهمني أخيرًا أن أؤكد على أمرين:

الأول: المسؤولية الاجتماعية: إن على الأهالي في مختلف المناطق والقرى المهملة أن يتحملوا مسؤولياتهم، في ألّا يسكتوا عن حقهم. بل عليهم أن

يلحّوا في طلب تلبية حاجات مناطقهم، إن سكوت الناس عن حقوقهم هو الذي يتيح الفرصة للفاسدين للتلاعب والتهاون، ولذلك على أهالي كل منطقة أن يبحثوا حاجاتهم من مختلف الخدمات الأساسية كالمدارس والحدائق والمستشفيات وغيرها ويتجهوا للمطالبة بها.

إن ما يجري في كثير من الأحيان هو إهمال المسؤول في هذه الوزارة أو تلك، فقد يكون غير متحمل لمسؤولياته، ولذلك يقع على عاتق المواطنين القيام بدور المطالبة والمتابعة والإلحاح. من هنا نبعت أهمية وجود مجالس الأحياء التي تتولى تفقّد الحي وحاجاته الأساسية، ومتابعة الموضوع مع المسؤولين، وإن لزم الأمر تتجه لإثارة القضية في وسائل الإعلام المحلية ما دام الأمر متاحًا، وصولًا إلى مقابلة كبار المسؤولين، إن لم ينفع لقاء المسؤول المباشر، فهذا ما يتوجب على الناس فعله دون كلل.

الثاني: النشاط الاستثماري: إن صدور الميزانية العامة بهذه الأرقام القياسية يجب أن يلفت نظر الناس نحو التوجه للعمل في المشاريع الاستثمارية. فهذه الأرقام الضخمة في الميزانية ستوجد حراكًا اقتصاديًا فاعلًا، فعلى الناس أن يفكروا في الاستثمار في المشاريع المختلفة حتى يشارك كل مواطن في الحركة الاقتصادية وتنمية وطنه.

الخطبة الأولى

حتى لا نندم يوم القيامة

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة مريم، الآية: ٣٩]

يحفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات المباركات التي تحذر الإنسان من حال الحسرة والندامة في يوم القيامة. إن العقل والفطرة السليمة يدعوان المرء إلى الاستجابة إلى التحذيرات الصادرة عن ذوي الخبرة، سيما إذا اجتمعت إلى جانبها الشفقة. فالخبير المشفق لا يلقي الكلام على عواهنه، ولا يعطي التحذير اعتباطًا، ذلك لأنه مشفق ويريد المصلحة والخير لك.

نعم إذا كان التحذير قد جاء من طرف لا تثق بخبرته، أو لا تثق بإخلاصه لك، فلربما كان ذلك مبررًا لعدم الاستجابة، أما إذا كان المحذر لك طرف تثق بخبرته وإخلاصه، فإن عقلك وفطرتك يدعوانك لأخذ تحذيره بعين الاعتبار، وحينما يقول لك ذلك الخبير المشفق إنك ستندم حتما لو لم تحذر أمرًا من الأمور، فإن هذا مما يوجب مضاعفة الاهتمام، فإذا لم يؤخذ التحذير حينها بعين الاعتبار وأصبحت أمام الكارثة فهنا يكون الندم في النفس مضاعفًا.

إن الله تعالى وهو الخبير بنا، والعالم بهذه الحياة ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وهو الرحيم الذي لا يريد لنا إلا خيرًا، هذا العليم الخبير يحذر عباده من ولوج بعض المسالك في هذه الحياة الدنيا، خشية التعرض للحسرة والندامة الكبيرة يوم لا ينفع

مال ولا بنون، أفلا ينبغي لنا أن نأخذ هذا التحذير الإلهي بعين الاعتبار؟.

إن الله سبحانه يصف يوم القيامة بأنه يوم الحسرة. جاء في الآية الكريمة ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، والحسرة تعني الندامة الشديدة المؤلمة لنفس الإنسان، فيوم القيامة هو يوم الندامة الشديدة. وقد حذرت آيات عديدة في القرآن الكريم من أن يصاب الإنسان بالحسرة في ذلك اليوم. وتنقسم الحسرة يوم القيامة إلى نوعين: حسرة خاصة تصيب بعض الأصناف من الناس، وحسرة عامة تصيب جميع البشر المحسن منهم والمذنب، فيندم المذنب نتيجة أخطائه، فيما يندم المحسن؛ لأنه لم يزد في إحسانه، فيتمنى لو ازداد في عمل الخيرات. وذلك يشبه تمامًا كما لو عرضوا على تاجر شراء كمية من الأسهم الرابحة وعنده من المال الكثير، لكنه اكتفى بشراء كمية ضئيلة من الأسهم حتى بعد نصيحة ذوي الخبرة، فإذا بهذا التاجر يجد لحظة جني الأرباح أسفًا وندمًا شديدًا في نفسه؛ لأنه لم يستمع لنصيحة ذوي الخبرة في هذا الشأن، وإلا لكان ازدادت أرباحه أضعافًا مضاعفة.

ثمة العديد من النصوص الدينية التي تصور لنا حال الحسرة لدى البشر يوم القيامة تصويرًا دقيقًا، كما لو كنا نعيش تلك اللحظة. ومن ذلك قوله تعالى ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[سورة الزمر، الآية: ٥٦]، فالآية الكريمة تصور الواحد من هؤلاء وهو يعاتب نفسه عتابًا مرًّا على تجاهله تحذيرات رب العالمين وعدم آخذه الأمر على نحو الجد.

كما ورد عن النبي قوله ﷺ: «يا ابن مسعود أكثر من الصالحات والبر فإن المحسن والمسيء يندمان. يقول المحسن يا ليتني ازددت من الحسنات، ويقول المسيء قصرت وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾»[١]. وعنه ﷺ: «شر الندامة ندامة يوم القيامة»[٢]، ذلك لأن ندامة الدنيا تنسى مع مرور الأيام لكن ندامة

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٤، ص١٠٤.

(٢) الكافي، ج٨، ص٦٨، حديث٣٩.

الآخرة هي الأشد والأبقى. ولنا أن نتأمل هذا النص الوارد عن رسول الله ﷺ الذي جاء فيه «الحسرة أن يرى أهل النار منازلهم من الجنة»[1]، وذلك بأن يعرض على أهل النار قصورهم المعدة لهم في الجنة في حال أطاعوا ربهم في الدنيا، لكن وبسبب تفريطهم فقد فوتوا على أنفسهم هذه القصور، وهنا تكون الندامة أكثر شدة وقسوة على النفس.

أشدّ ألوان الحسرة

هناك نصوص دينية تتحدث عن حالات خاصة تكون فيها الحسرة يوم القيامة في أشد ألوانها، وأبرزها ثلاثة موارد:

المورد الأول: الكسب غير المشروع يعود للوارث الصالح

ينهمك البعض في جمع المال بكل صورة مشروعة وغير مشروعة، ولا يؤدون حق الله فيها، ثم يرحلون عنها، فتعود لورثتهم الذين ينتفعون بها، وينفقونها في مختلف أوجه البر. ويأتي صاحب المال يوم القيامة فيرى ورثته يدخلون الجنة بسبب المال الذي كسبه هو بطرق غير مشروعة وخلفه لهم، أما هو فيدخل بسببه النار، وهنا الحسرة الكبرى. ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَ دَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ»[2].

وسيّان في ذلك من يكسب المال بطرق غير مشروعة ومن لا يؤدي الحقوق الشرعية من أمواله، وقال جمع من الفقهاء في هذا الصنف الأخير من الناس، أنه إذا كان شخص لا يخمس أمواله عصيانًا، فلا يجب على ورثته تأدية الخمس عنه، بل يتصرفون فيه كيف شاؤوا وعليه وزر التقصير. وسئل أمير المؤمنين عليه السلام: «من أعظم

---

(١) الدر المنثور. ج٣، ص٩.

(٢) نهج البلاغة، حكمة ٤٢٩.

الناس حسرة؟ قال: من رأى ماله في ميزان غيره، فأدخله به النار وأدخل وارثه به الجنة»[١]. جميع هذه النصوص تحذّرنا وتلفت أنظارنا إلى ضرورة أن ننتبه لأنفسنا، حتى لا نقول إنا كنا عن هذا غافلين.

المورد الثاني: الواعظ غير المتعظ

إن الوعاظ هم أولى الناس بالتزام الموعظة الحسنة التي يلقونها على أسماع الناس. فالواعظ سواء كان خطيبًا أو عالمًا أو حتى إنسانا عاديًا، يأمر الناس بالخير والمعروف، فيدخل الناس الجنة بسببه، وقد يدخل هو نفسه النار لأنه لم يتعظ ولم يعمل الخير الذي أمر به الناس، بل على النقيض من ذلك، فقد يكون خالف مواعظه الملقاة تمامًا. فأمثال هذا ينظر إلى المستمعين لموعظته فيراهم في الجنة فيسألهم: كيف أتيتم هنا؟ فيقولون: جئنا بسبب التزامنا مواعظك فأنت الذي هديتنا، وههنا تكون الحسرة شديدة ومضاعفة. يقول الإمام الباقر عليه السلام لخيثمة: «أبلغ شيعتنا أنه لا ينال ما عند الله إلا بالعمل، وأبلغ شيعتنا أن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلًا ثم خالفه إلى غيره»[٢].

فماذا ينفعنا الافتخار بسيرة أئمتنا أمام الآخرين، دون أن نقتدي بهم ونمشي على خطاهم، ذلك مما يورث الحسرة في النفوس يوم القيامة. ولنتأمل هذه الرواية، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدًا إلى الله عز وجل فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله، فأدخله الله الجنة، وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى»[٣]. وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار وقد دخلنا الجنة لفضل تأديبكم وتعليمكم؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص١٤٢، حديث٢١.

(٢) وسائل الشيعة، ص٦٩، حديث٢٢.

(٣) الكافي، ج١، ص٤٤، حديث١.

فيقولون إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله»[١].

المورد الثالث: التضحية بالدين لمصلحة الغير

إن ألزم ما على المرء دينه. فالشقي من باع دينه بدنياه لهثًا وراء مصالحه الشخصية، أما الأشقى منه فهو من باع دينه بدنيا غيره. فقد يشهد أحدهم شهادة زور لصالح شخص آخر، فينتصر له بالباطل، فيربح ذلك الطرف القضية بفضل شهادة الزور تلك، فيما يبوء صاحب الشهادة المزورة بذنبه. وكذلك الأمر مع من يضحون بدينهم من أجل الظالمين، ممن هم على شاكلة الأربعين من علماء البلاط الذين شهدوا ليزيد بن عبدالملك زورًا بأن الخلفاء ما عليهم حساب ولا عذاب[٢]!، فهذا الخليفة سينغمس في ملذاته الدنيوية المحرمة، لكن ماذا سيجني اولئك في مقابل ذلك؟.

ينتفع الحكام بفتاوى فقهاء السلاطين فيكون لهم العذاب في الآخرة، وهذا مصداق لمن يبيع آخرته لأجل دنيا غيره. ورد عن رسول الله ﷺ: «إن أشد الناس ندامة يوم القيامة رجل باع آخرته بدنيا غيره»[٣]، وسئل أمير المؤمنين عليه السلام أي الخلق أشقى؟ قال: «من باع دينه بدنيا غيره»[٤].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المتعظين والمنتبهين لأنفسهم والمتفكرين في آخرتهم.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج١٤، ص٤٢٣.
(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ١٥١.
(٣) كنز العمال، حديث١٤٩٣٦.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٨٣.

المجتمعات الحرة تكافح فساد الزعامات

ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «إنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد»[1]

لكي تستقيم أمور أي مجتمع بشري لا بُدّ له من نظام وقانون يحمي الحقوق العامة والخاصة، ويردع الناس من الاعتداء على حقوق بعضهم بعضًا. لكن وجود القانون شيء وتطبيقه شيء آخر، فلو امتلك المجتمع أفضل قانون لكن هذا القانون لم يسلك طريقه للتنفيذ والتطبيق فما الفائدة منه؟.

نمتلك كمسلمين أفضل المبادئ والقوانين والنظم في شريعتنا الإسلامية، وحق لنا أن نفخر حينما يتحدث أحد في العالم عن العدالة والحرية وحقوق الإنسان وكرامته، نأتي لهم بنصوص من ديننا الكريم، لكن السؤال المهم هو؛ ماذا عن واقعنا؟ فواقعنا سيئ مع امتلاكنا لمنظومة متكاملة من القوانين الإسلامية، لا لشيء سوى لأن تلك القوانين لم تأخذ طريقها للتطبيق فغدت عديمة الفاعلية، فلا قيمة لقانون مهما بلغ ما دام لا يجاوز الحبر الذي كتب به، حتى بات الحال في بعض بلادنا، كما قال الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمولُ

وكما حكى الله تعالى عن اليهود: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا

(١) صحيح البخاري. ج٣، ص٩٤، حديث٤٣٠٤.

كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[سورة الجمعة، الآية: ٥].

ولكي يأخذ القانون طريقه بشكل سليم يجب أن يكون تطبيقه عامًا شاملًا، على القوي قبل الضعيف، وعلى الحاكم قبل المحكوم، حينئذٍ يصبح للقانون قيمة. أما في غير هذه الصورة فلا يكون للقانون قيمة. إن ديننا الإسلامي يؤكد سيادة القانون على كل أحد مهما كانت مكانته وفوق كل اعتبار. فهذا القرآن الكريم يتحدث عن رسول الله ﷺ فيما لو خالف شيئًا من أوامر الله ونسب له ما لم يقله فإن العقوبة شديدة ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[سورة الحاقة، الآيات:٤٤-٤٦]، وعنه ﷺ: «لو عصيت لهويت»[١].

سيادة القانون

ينبغي أن يتساوى الناس أمام القانون. وفي القصة النبوية المشهورة مع سوادة التي كانت في آواخر حياة رسول الله ﷺ حيث خطب المسلمين وقال لهم: «إن ربي عزّ وجلّ حكم وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم، فناشدتكم بالله، أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتصّ منه، فالقصاص في دار الدنيا، أحبّ إليَّ من القصاص في دار الآخرة، على رؤوس الملائكة والأنبياء» فقام إليه رجل من أقصى القوم، يقال له: سوادة بن قيس، فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إنك لما أقبلت من الطائف، استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء، وبيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمدًا أو خطأ، فقال ﷺ: «معاذ الله أن أكون تعمدت، ثم قال: يا بلال، قم إلى منزل فاطمة، فائتني بالقضيب الممشوق» فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة: معاشر الناس، من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة؟! فهذا محمد ﷺ يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة.

---

(١) بحار الأنوار. ج٢٢، ص٤٦٧.

وساق الحديث إلى أن قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «أين الشيخ؟» فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، فقال: «تعال، فاقتصّ مني حتى ترضى»، فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف ﷺ عن بطنه في رواية ذكرتها عدد من المصادر[١].

كما تتناول المصادر التاريخية الكثير من النماذج التي تؤكد أهمية سيادة القانون على الجميع وليس على طبقة معينة كالمحكومين والضعفاء. وتروي المصادر ما حصل بين الخليفة عمر وبين أبي هريرة، فقد ورد عن أبي هريرة قال: كنت عاملًا في البحرين فقدمت على عمر بن الخطاب فقال: عدوًا لله وعدوًا لكتاب الله، أسرقت مال الله؟ فقلت: ما أنا بعدوّ الله ولا عدوّ كتابه، ولكني عدوّ من عاداهما، ولا سرقت مال الله. قال: فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف؟ فأجبت: خيلي تناسلت وسهامي تلاحقت، فأمر الخليفة بها إلى بيت المال[٢].

القانون يجب أن يطبق على الجميع، فإذا تلاعب والٍ على منطقة بأموال الناس فينبغي أن يحاكم فهو ليس فوق القانون، ومقامه لا يعفيه عن المتابعة والمحاسبة.

وكذلك الأمر بالنسبة لمن يتعدى على كرامات الناس، فينبغي أن يخضع للقانون مهما علت مكانته وكائنًا من كان. وأسوق هنا نموذجًا ذكرته مصادر أهل السنة أيضًا، ومفاده أن رجلًا من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين! عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذًا، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين. قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع السوط على

---

(١) أمالي الصدوق، ص٧٣٣.

(٢) طبقات ابن سعد. ج٤، ص٣٣٥.

صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين! إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[١].

وفي سيرة أمير المؤمنين علي ﵇ أروع الأمثلة لسيادة القانون على جميع المستويات.

تغوّل الفساد في واقع المسلمين

لنا أن نتساءل هنا؛ إذا كان تراثنا يحفل بنماذج عن سيادة القانون فأين ذلك عن واقع المسلمين اليوم. إن العالم من حولنا بات يحقق يومًا بعد آخر خطوات جبارة باتجاه تعزيز قيم الشفافية ومحاربة الفساد، حتى ظهرت هناك منظمات عالمية متخصصة في الرصد وقياس مستويات الشفافية عبر العالم.

وقد اتخذت في بلادنا خطوة طيبة مع تأسيس هيئة مكافحة الفساد، التي ينبغي أن تفعّل على أحسن وجه، وألّا تجعل لنشطاها سقفًا متدنيًا عبر الاكتفاء بملاحقة صغار الموظفين فحسب، فمشكلة الفساد الحقيقية لا تكمن في هؤلاء وإن كان ينبغي متابعتهم. ينبغي للهيئة متابعة المسؤولين الفاسدين، الكبار منهم قبل الصغار، والمتنفذين قبل الضعفاء، وذلك تبعًا للمرسوم الملكي الذي صدرت بموجبه هذه اللجنة والذي أطلق يدها دون سقف محدد.

إن مكافحة الفساد في مستوياته العليا هي وسيلة النجاة وبغيرها ليس سوى الهلاك. ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «إنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد»[٢]. بمعنى إذا كان السارق متنفذًا أو مسؤولًا كبيرًا ترك يفعل كيف يشاء، فيما يصار في مقابل ذلك إلى الاستقواء على الضعفاء والعاملين الصغار، المطلوب إخضاع الجميع لمسطرة القانون دون تمييز بين أحد وآخر لأيّ اعتبار كان، بداية من كبار المسؤولين، ذلك أنه إذا رأى الصغار أن

---

(١) كنز العمال. ج١٢، ص٦٦٠.

(٢) صحيح البخاري. ج٣، ص٩٤، حديث٤٣٠٤.

الكبار قد حوسبوا فإنهم سيرتدعون حتمًا.

الشفافية في المجتمعات المتقدمة

ولعلّ في تجارب الأمم اليوم خير مثل في تطبيق سيادة القانون على الجميع دون استثناء. ويذكر في هذا السياق الضجة المثارة هذه الأيام ضد الرئيس الألماني كرستيان فولف، لجهة أخذه سنة ٢٠٠٨ قرضًا بقيمة ٥٠٠ ألف يورو من زوجة أحد رجال الأعمال الأثرياء، إبان رئاسته لإحدى الولايات الألمانية، وتصاعدت الدعوات لإقالته وتقديمه للمحاكمة، لعدم إعطائه تفاصيل حول ذلك القرض عندما تقدم للترشح لمنصب الرئاسة.

وعلى غرار ذلك ما يزال الرئيس الإسرائيلى السابق موشيه كساف يقبع في السجن بعد إدانته بتهمة الاغتصاب والتحرش الجنسي في فترات مختلفة عندما كان وزيرًا للسياحة ورئيسًا لدولة إسرائيل، هذا الكيان الغاصب لمقدساتنا يعتزون بتطبيق سيادة القانون في كيانهم، وتكرر ذات الأمر مع رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود أولمرت الذي أدين بتهم الفساد في فضيحة كبرى حول عقارات في القدس، حين كان رئيسا لبلدية المدينة. هكذا يسود القانون، ففي تلك البلدان يطبق النظام على الجميع دونما استثناء.

إن غياب الجدية في مكافحة الفساد جعل من العالم العربي مرتعًا للسراق والفاسدين دونما حسيب ورقيب. ولو أخذنا مثالًا واحدًا في هذا السياق، زوجة الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي، فقد كانت هذه السيدة من عائلة فقيرة تعمل كمصففة شعر، فأحبها الرئيس وتزوجها، ليبدأ نفوذها ونفوذ أفراد عائلتها في كل مفاصل الدولة، حتى قدرت ثروتها إبان سقوط زوجها المخلوع بما يفوق سبعة مليارات دولار كما تحدثت بعض المصادر. لا سبيل لمكافحة واجتثاث الفساد إلا من خلال التطبيق الجدي لمبدأ المحاسبة للجميع.

مسؤولية المواطنين

ينبغي أن يتحمل الناس مسؤوليتهم في مكافحة الفساد. لقد طالبت هيئة مكافحة الفساد من المواطنين في المملكة، في إعلانات عبر الصحف المحلية، أن يبلغوا عن أي حالات فساد ومخالفات للقانون، لذلك ينبغي للناس أن يتحلوا بالجرأة في محاربة الفساد، ليس الحديث في المجالس المغلقة فقط، وإنما عبر رفع الدعاوى ضد المفسدين لفضح ممارساتهم، والإبلاغ عنهم، خاصة وأن الهيئة وضعت طرقًا تضمن حماية المتقدم للبلاغ، وعلى الناس أن يستفيدوا من هذه الفرص.

إذًا فهناك أمران؛ الأول أن تقوم هذه الهيئة بكامل واجباتها على جميع المستويات، وألّا تضع لها سقفًا، والأمر الآخر أن يتحمل المواطنون مسؤولياتهم. وإلا فلن يكون مآل المجتمعات المتقاعسة عن مكافحة الفساد إلا الهلاك تبعًا لقول الرسول ﷺ: «إنما أهلك الناس قبلكم..»، فالبطالة وتأخر المشاريع وسوء تنفيذها فيه هلاك للمجتمع، فنحن نرى الهلاك واضحا جليًا بسبب انتشار الفساد، فلا بُدّ من مواجهته دون أن يترك المتنفذون يعيثون في الأرض الفساد كيف شاؤوا.

الخطبة الأولى

البدون وصمة عار للأنظمة والمجتمعات

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر، الآية: ٩].

تمثل الهجرات البشرية ظاهرة عالمية ظلت مستمرة منذ فجر التاريخ وحتى يوم الناس هذا. ومع أن الأصل في بني البشر هي النزعة إلى التشبث بأوطانهم التي ولدوا بها، إلا أنهم يجدون أنفسهم في بعض الأحيان مجبرين على الهجرة تحت ضغط البحث عن الرزق أحيانًا أو الهرب من القمع أو الفرار من الحروب والكوارث. لكل هذه الأسباب تهاجر مجاميع من الناس من بلدانها وأوطانها إلى بلدان وأوطان أخرى.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف تتعامل مختلف المجتمعات مع هذه المجاميع المهاجرة الوافدة؟ وللإجابة عن هذا السؤال يجدر بنا العودة إلى فجر الإسلام، فقد امتدح الله تعالى الأنصار وهم أهل المدينة المنورة لاستقبالهم المهاجرين الذين جاؤوهم من مكة المكرمة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، فالأنصار وفقًا للآية الكريمة هم هؤلاء الذين تبوؤا الدار والإيمان، وهم

أهل المدينة الذين كانوا مستقرين فيها، كما كانوا كذلك مستقرين في إيمانهم ﴿تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾، ويخلد القرآن الكريم لهؤلاء صفة مهمة وهي أنهم يحبون من هاجر إليهم.

لقد أحبّ الأنصار المهاجرين الذين وفدوا إليهم من مكة، ليس هذا فحسب، بل أضافت الآية بأنهم كانوا ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾، فقد شارك هؤلاء المهاجرون إخوانهم الأنصار في ثروات بلادهم والامتيازات والغنائم، لكن مع ذلك فالأنصار لم يتحسسوا من مشاركة المهاجرين لهم فيها، بل أكثر من ذلك كانوا يؤثرون المهاجرين على أنفسهم، حتى من كان يعيش منهم في ضيق أو حاجة، وبحسب التوصيف القرآني ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ولقد تحدث التاريخ وكتب السير عن الكثير من مشاهد الإيثار والمواساة التي قام بها الأنصار تجاه المهاجرين، فقد فتحوا لهم بيوتهم، وتنافسوا عليهم، حتى كانت تقرع القرعة لهم، فحين يأتي مهاجر يعرض الأنصاري له منزله، ويأتي آخر وكلاهما يصرّ عليه، فيذهبون لرسول الله يحتكمون وكل يقول: يا رسول الله، أنا أولى به منه، فيقترع لهم رسول الله أيهما يأخذ المهاجر إلى بيته. وقد قاسم بعض الأنصار المهاجرين أموالهم وبيوتهم، حتى خلد القرآن الكريم هذا الإيثار للأنصار فكانوا مضرب المثل دائمًا وأبدًا.

المجتمعات الغربية واحتضان المهاجرين

أما في الوقت الراهن، فتختلف المجتمعات البشرية في تعاملها مع مسألة الهجرة بين التعامل الإنساني وما هو خلاف ذلك. فهناك مجتمعات تتعامل مع المهاجرين تعاملًا إنسانيًا أخلاقيًا، فتستقبلهم وتتفهم ظروفهم وتدمجهم في مجتمعاتها، فيما بعض المجتمعات الأخرى لا تتحلى بهذه الصفة.

فالبلدان الغربية مثل الولايات المتحدة واستراليا ونيوزلندا عرفت بأنها الأكثر

استقطابًا واستقبالًا للمهاجرين، بل إن بعض هذه البلدان يشجع الهجرة إليها، فأمريكا تعتبر أمة المهاجرين، باعتبار أن أغلب الشعب الأمريكي قادمون من بلاد أخرى، جاؤوا واستقروا فيها، خاصة من أوروبا خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، فقد هاجر ملايين من البشر من أوروبا وأفريقيا صوب الولايات المتحدة.

لقد شجعت هذه البلدان الهجرة إليها، وسهلت أمور المهاجرين الوافدين، لما تملك من مساحة واسعة من الأرض، ولاحتياجها للأيدي العاملة، والكفاءات والأدمغة، حتى إن بلدًا مثل أمريكا جعلت لها برنامجًا سنويًا تعلن عنه عبر شبكة الإنترنت وتستقبل من خلاله آلاف المهاجرين الجدد ضمن مواصفات معينة، وهي بذلك تستقطب أصحاب العقول والأموال والكفاءات، كما أن هناك من يدخل إلى أمريكا وبلدان أوروبا بطرق غير مشروعة، لكن هذه الدول تعلن بين فترة وأخرى عن برامج لاستيعاب هؤلاء وتسوية أمورهم القانونية، حتى لا يعيشوا خارج القانون، فيندمجون في المجتمع، وتستفيد البلاد منهم، ويصبحون جزءًا من ذلك المجتمع، له نفس الحقوق، وعليه ذات الواجبات.

هذا القدر من التعاطي الإنساني للدول الغربية مع المهاجرين أمر يستحق الإكبار، ويحسب لهذه المجتمعات. فكم من اللبنانيين خرجوا من لبنان أثناء الحرب الأهلية فيها، وكم من الفلسطينيين اضطروا للهجرة من فلسطين، وكذلك الأفغان والعراقيين وغيرهم، فأصبحوا اليوم جزءًا من مجتمعات تلك البلاد التي هاجروا إليها، حتى إنك لا تكاد تجد الآن ولاية أو مدينة أمريكية تخلو من جاليات مهاجرة من بلاد أخرى، وخاصة من البلدان الإسلامية، مع ضمان حرياتهم الكاملة فهم مندمجون تمامًا مع مجتمعاتهم الجديدة.

البلاد العربية والتعامل السلبي

في مقابل ذلك تتعامل البلاد العربية والإسلامية مع مسألة الهجرة على نحو

سلبي، وغير مرحّب بأمثال هؤلاء الناس. وإذا ما اضطرت بعض بلداننا لاستقبال بعض اللاجئين أو المهاجرين فغالبًا ما يلقون تعاملًا سلبيًا سيئًا، لذلك نجد من يضطر للهجرة إلى البلاد العربية والإسلامية يعيش معاناة وأوضاعًا مأساوية، وينتظر أي فرصة لكي ينتقل إلى أوروبا وأمريكا.

ولعلّ المشكلة الأبرز على هذا الصعيد في منطقتنا الخليجية هي مشكلة غير محددي الجنسية المعروفين بـ(البدون). هذه المجاميع البشرية التي تقدر بمئات الآلاف في بلدان خليجية مختلفة لا يحملون جنسية محددة، فقد وفد أجدادهم على هذه المنطقة، وقد ولد بينهم في هذه المنطقة الآن الجيل الثالث، ومع أن هؤلاء ولدوا في هذه البلدان ونشأوا فيها، لكن مع ذلك لا يعترف لهم بأدنى حقوقهم الإنسانية.

زرت الكويت الأسبوع الماضي وشهدت كيف كانت مشكلة (البدون) هي الشغل الشاغل في المجالس، فقد كانت هناك مظاهرات واعتصامات من قبل هذه الفئة التي قدر عددهم بأكثر من ١٢٠ ألف شخص. الواحد من هؤلاء يرى نفسه ولد في الكويت، وعاش فيها، وقد لا يعرف كيف جاء جدّه من قبل إلى هذه البلاد، وكيف عاش فيها أبوه، لا يعرف كل هذه التفاصيل ولا يهمه ذلك، إن كل ما يهمه هو أنه يرى نفسه شخصا كويتيًا، ولكنهم مع ذلك محرومون من أبسط الحقوق الاساسية، هذا الإنسان الذي يطلق عليه (بدون) محروم من الحصول على شهادة ميلاد، وإذا مات لا يمنح شهادة وفاة، ولا يسمح له بالتعليم، ولا الوظيفة، ولا التملك، ولا امتلاك وثيقة سفر، فهو محروم من كل حقوقه الإنسانية، مع أنه عربي قح ومسلم، وقد جاء بالتأكيد من بلد مجاور إما من إيران أو السعودية أو العراق أو غيرها، فهو يرى من يعيش معه يتمتع بكامل حقوقه بينما هو محروم من أدناها وأبسطها.

مشكلة البدون هذه يرزح تحت وطأتها أكثر من نصف مليون إنسان يعيشون هنا على تراب المملكة. فهناك عدد كبير من الناس خاصة في الحجاز، ومناطق مختلفة يطلق عليهم عديمي الجنسية، يعيش هؤلاء حياة تفتقد أدنى مقومات الحياة الإنسانية.

أجرى أحد الباحثين (إبراهيم خليف مرضي المشيطي العنزي) وهو طالب في جامعة الملك سعود، بحثًا نشر سنة ١٤٣١هـ عن هذه المشكلة تحت عنوان (عشنا بمذلة في بلدنا.. البدون (عديمي الجنسية) الواقع والآثار الناتجة عنه)(١) وقد سجل الباحث شهادات بعض الناس، فينقل عن إحدى الموظفات السعوديات في إدارة مستشفى قولها «لا يمر يوم دون أن نشهد حالات إنسانية لعديمي الجنسية لا نستطيع مواجهتها، وتكون محل حيرة وتشدد البعض وتعاطف البعض الآخر، بسبب التكلفة الكبيرة لرسوم العلاج التي لا يستطيعون سدادها، وبسبب الإجراءات الصارمة بخصوص الشروط والوثائق المطلوبة لتلقي حق الرعاية الصحية، فعلى سبيل المثال نعاني من إشكالات يومية من رجال البدون الذين يريدون إنهاء إجراءات زوجاتهم بعد الولادة، فالمطلوب عقد الزواج الموثق من وزارة العدل من أجل الخروج من المستشفى، وبما أن أعدادًا هائلة من عديمي الجنسية لا يحملون عقودًا رسمية، نرفض إداريًا العقود (الدينية المدنية) للزواج كما لا نعترف بكل البطاقات والوثائق الأخرى، وهنا يتوسل الكثير منهم ويردون علينا ألا تعرفون بأن السلطات الرسمية لا تعطينا عقود زواج رسمية فلماذا إذًا تحرجونا بطلب هذا النوع؟».

وتزيد أعداد هؤلاء في المملكة على نصف مليون شخص وفيهم مجموعة كبيرة من أهالي (بورما) الذين استضافتهم المملكة بعد الانقلاب الشيوعي في تلك البلاد عام ١٩٦٢، ومنذ ذلك الوقت لم تسوّى أوضاع أغلبهم، ولا يزال أبناؤهم وأحفادهم يدفعون الثمن.

إن مشكلة (البدون) تكاد تتكرر وفق ذات التفاصيل في دولة الإمارات، حيث يعيش نحو عشرين ألفًا محرومين من الجنسية، والأمر ذاته في دولة قطر حيث يحرم حوالي ألفين من حمل الجنسية.

---

(١) http://faculty.ksu.edu.sa/alsultanf/DocLib8

متى تحل مشكلة البدون؟

من المعيب جدًا أن تحرم هذه المجاميع من الناس من حق الجنسية في بلداننا التي تتمتع بمساحات، وفي ظل حاجتها إلى الأيدي العاملة. إن أشد ما يؤسف عليه أن العمالة الأجنبية تحظى بأوضاع قانونية مرتبة في بلداننا، في حين يبقى (البدون) وهم الأبناء الذين ولدوا في هذه البلاد، يعانون أوضاعًا سيئة تحرمهم أبسط سبل العيش الآمن الكريم. فلماذا تعيش بلادنا مثل هذه الحالة، أليس من المعيب أن يعيش بيننا أناس من قوميتنا ومن ديننا ونحن نتفرج على معاناتهم ومأساتهم؟ لماذا يعيش المهاجر في الغرب أوضاعًا مرتبة لا يحظى بها من يهاجر إلى بلادنا؟. التقيت في الولايات المتحدة بعض المهاجرين العراقيين وكانوا من قبل يعيشون في بلاد عربية بعد الانتفاضة التي حصلت في العراق سنة ٩١، وخرج الناس من العراق إلى مختلف المناطق المجاورة، وعاشوا في كثير من هذه الدول في مخيمات في الصحاري، وتعاملوا معهم كسجناء، وتعرض قسم كبير منهم للمشاكل والإهانة، في مقابل ذلك استقبلتهم الدول الغربية ـ الذين نعتبرهم كفارًا ولا نصيب لهم في الجنة فهي لنا وحدناـ استقبلت هؤلاء الناس ورتبوا أوضاعهم، حتى قال بعضهم كأني انتقلت من النار إلى الجنة.

ينبغي أن تكون مشكلة المهاجرين وغير محددي الجنسية محلّ اهتمام أكبر، ولا يجوز أن نقبل مثل هذه الحالة. ذلك لأن الأوضاع التي تعيشها هذه الفئة تعدّ انتهاكًا للحقوق الإنسانية، ومهددًا للأمن الاجتماعي، أناس يعيشون مثل هذه الأوضاع ماذا تتوقع منهم، فهم قنابل موقوتة، من الممكن أن يتحول بعضهم إلى بؤر للفساد والانحراف، مما يؤثر سلبًا على الأمن الاجتماعي والوطني.

من هنا لا بُدّ من التأكيد على أن يكون هناك اهتمام وضغط على الحكومات حتى تضع القوانين المناسبة لاستيعاب هؤلاء البشر، لكي يحظوا بحقوقهم الإنسانية، فهم من بني آدم الذين كرمهم الله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، فبأيّ حق نتعامل معهم بهذه

الطريقة؟. لا بُدّ أن تكون هناك قوانين وأنظمة تجعلهم يعيشون حياتهم الطبيعية كبشر.

كما ينبغي أن يكون هناك جهد أهلي يولي فئة (البدون) مزيدًا من الاهتمام. لماذا تهتم كل فئة بمشاكلها الخاصة والضيقة داخل المجتمع والقبيلة أو الطائفة، فيما يعيش بين ظهرانيهم بشر يذوقون الأمرّين، آن الأوان لأن تنتهي هذه الأنانية.

والأنكى من ذلك أن بعض الفئات في مجتمعاتنا الخليجية تعارض استيعاب هؤلاء الناس، لأن هؤلاء سينافسونهم في الثروات ومنح الأراضي والتعليم والقروض والصحة، وكأن هذه الثروات خاصة بنا، والله تعالى يقول: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ وهؤلاء بشر.

يمنح المواليد الجدد حتى الأجانب منهم الجنسية في الكثير من البلدان الأخرى في أوروبا وأمريكا، فلماذا نحن نمانع قيام مثل هذه الحالة؟. ينبغي أن يكون هناك جهد أهلي للاهتمام بهؤلاء البشر.

إن من المشاكل السيئة في بيئتنا هي النظرة الدونية للآخر. فهناك الكثيرون ممن يعيشون بيننا من مختلف البلدان، لكن تبقى في بعض أوساطنا النظرة الدونية لهؤلاء، لا لشيء سوى لأنهم قادمون من بلاد فقيرة، هذه النظرة الدونية أمر منكر وقبيح، لا ينبغي أن يكون في مجتمع إنساني، فضلًا عن مجتمع مسلم. هذا نقص وخلل كبير في ثقافتنا وسلوكنا الاجتماعي، إننا مطالبون بأن نصحح هذه الأمور. وعلينا أن نتذكر ما مدح الله تعالى به أهل المدينة ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للتحلي بمكارم الأخلاق.

وثيقة الحريات مبادرة عظيمة من الأزهر الشريف

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[سورة الأعراف، الآية:١٥٧]

مع تطور الحياة والفكر البشري تبرز الحاجة باستمرار إلى أنماط جديدة وملائمة من التشريعات والقوانين الناظمة لحياة الناس، وبخلاف ذلك تغدو حياة الناس صعبة عسيرة. لقد بعث رسول الله ﷺ في مجتمع كان يعيش التخلف وكان من أهم سمات هذا المجتمع وجود الأغلال والقيود على حركة الإنسان الفكرية والعملية، وقد جاء رسول الله ﷺ ليفك هذه القيود والأغلال، حتى ينطلق الإنسان حرًا في تفكيره ومواقفه وممارساته. إن من أبرز الصفات التي يركز عليها القرآن الكريم بشأن الأثر الذي تركه الإسلام على أتباع الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية، هو أن الإسلام وضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فهؤلاء كانوا أهل أديان سابقة كانت تكبلهم بتشريعاتها وقوانينها، وكانت الزعامات التي فيها تقيد حركة هؤلاء الناس.

لقد كانت اليهودية والمسيحية في الأصل دينين سماويين نزلا على نبيي الله موسى وعيسى عليهما السلام، فهما رسالتا حق وصدق، لكن تجاوزهما الزمن. كما نالهما التحريف.

فقد قدّر الله تعالى لكل رسالة فترة زمنية معينة، حيث يتطور الفكر البشري، فيحتاج كل زمن إلى رسالة جديدة، في التشريعات والأنظمة والقوانين، أما في العقائد فإن الرسالات لا تختلف، فكلها تدعو لعبادة الله وحده لا شريك له، فكلما تطورت حياة البشر احتاجوا بطبيعة الحال إلى قوانين تناسب ظروفهم، ولذلك أنزل الله الشريعة المسيحية لأنها تناسب الحياة المعيشة في ذلك الوقت أكثر من اليهودية، ثم ختم الله تعالى الرسالات بالدين الإسلامي، رسالة نبينا محمد ﷺ، فجعل هذه الرسالة مناسبة في تشريعاتها لمستقبل البشرية إلى يوم القيامة.

الاجتهاد لمواكبة التغيير

ربما يسأل البعض: ألا تتطور حياة الإنسان؟ لماذا في الظروف السابقة كان التطور دافعًا لإنزال شريعة جديدة؟ لماذا لا تكون هناك شريعة جديدة بعد الإسلام حينما تتطور حياة البشر؟ الجواب: إن هذه الشريعة جعلها الله تستوعب تطورات البشر والحياة، مهما تغيرت أوضاع البشر فإن مبادئ وقيم هذه الشريعة تستوعب هذه التغيرات، عبر آلية فتح باب الاجتهاد. إن باب الاجتهاد كان وما يزال مفتوحًا، لذلك لا بُدّ من وجود مجتهدين في كل عصر، لأن هؤلاء المجتهدين مطلوب منهم أن يستوعبوا هذه التطورات ويستنبطون من الشريعة ما يناسب ظروفهم، ومن هذا المنطلق يمكن أن نفهم ما تنقله بعض المصادر الحديثية عن قول رسول الله ﷺ فيما روي عنه: «إنَّ اللَّهَ يبعثُ لِهَذِهِ الأمَّةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ من يجدِّدُ لَها دينَها»[1]. فإذا ما تجاوزنا النقاش في سند الحديث، يبقى المضمون صحيحًا في أن الأمة تحتاج في كل مرحلة إلى من يجدد لها دينها، أي أن يستنبط من الدين ما يتواءم مع التطورات الجديدة في واقع المجتمعات البشرية.

(١) سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود. ج٢، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، (بيروت: دار الجنان)، حديث ٤٢٩١ ، ص٥١٢.

لقد كان التجديد هو العنوان الأبرز في الرسالة المحمدية. فحينما جاء نبينا برسالته الجديدة فإن شريعته ألغت الكثير من القوانين والتشريعات التي كانت في الديانات السابقة، كما يقول تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

لقد شاب الديانات السابقة لرسالة الإسلام التحريف والتشدد والغلو، إلى جانب بروز الزعامات المهيمنة والمستفيدة من مواقعها الدينية، وقد أنكر القرآن الكريم على اليهود والنصارى تشددهم وغلوهم في دينهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾، فيما أشارت آية أخرى إلى الزعامات الدينية المستفيدة من مواقعها في الهيمنة على الناس، التي ظلت تبث في الناس ما يكرّس الخضوع والهيمنة لهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾.

إذًا فهناك تشريعات تجاوزها الزمن، صاحبها تشدّد وتحريف في الأفكار والتشريعات التي كانت في تلك الرسالات، وعزّز كل ذلك وجود زعامات دينية مستفيدة من مواقعها في الهيمنة على الناس، وبالتالي عوّقت حركة الناس، وعرقلت حريتهم على مستوى التفكير والنشاط.

لقد جاء الإسلام في المقام الأول لينقذ الناس و﴿يَضَعُ عَنْهُمْ﴾ أي يرفع عنهم ويزيح ما عليهم من أُصر. والإصر هي القيود الداخلية التي تقيد نفس الإنسان، خاصة وأن كتب اللغة تشير إلى أن الإصر هو الثقل، وذلك ما يبرز في سلوك بعض الناس الذين يقيدون فكرهم بأنفسهم، حتى لو لم يوجد أي أثر خارجي يستدعي ذلك، ولا وجود لأحد يقيد حريته بل هو من يصادرها، بسبب خرافات وتعقيدات ما أنزل الله بها من سلطان. ولون آخر هي الأغلال ويمكن أن نفهم منها القيود الخارجية التي تقيد حركة الإنسان، والمتمثلة في الزعامات الدينية. هذه المشكلة التي حصلت في الديانات السابقة ويتحدث عنها القرآن الكريم لتحذير المسلمين من الوقوع فيها.

عوائق التجديد

صحيح أن الإسلام دين مناسب لكل العصور، بخلاف الديانات السابقة التي كان لكل واحد منها فترة زمنية محددة، لكن مواكبة الإسلام لكل العصور مشروط بدور الفقهاء والمجتهدين في أن يمارسوا دورهم في التجديد وما يتناسب مع ظروف مجتمعاتهم، فإذا ابتليت الأمة بفقهاء تحجروا فكريًا، واستمروا ملتزمين آراء الفقهاء الماضين، ولم يستخدموا حق الاجتهاد المتاح لهم، هنا يمكن أن تواجه الأمة الإسلامية نفس التعقيد الذي طال الأمم السابقة. ولعل هذا ما رأيناه من بعض الفقهاء الذين يمنعون الأمة الإسلامية من أي تقدم وتطور، فالتلفزيون كان حرامًا، والهاتف كذلك، وتعليم البنات، ومكبر الصوت، وغير ذلك كلها كانت محظورة شرعًا! إنها ذات المشكلة التي عاشتها الأمم السابقة، وهذه هي الأغلال والأصر التي كبلت حركتهم. هنا تبرز أهمية دور المجتهدين في استنباط الأحكام التي تجعل من هذا الدين مواكبًا لتطورات العصر، فالعلماء الماضون لهم عقول، والمعاصرون لهم عقول، فلماذا يقيدون أنفسهم بآراء السابقين؟

أما الابتلاء الثاني الذي واجهته الأمم السابقة فقد كان الغلو والتشدد، وهذا أيضًا قد نواجهه في الدين الإسلامي. فبالرغم من أن الإسلام يؤكد اليسر بحسب الآية الكريمة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وفي آية أخرى ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ لكن مع ذلك ما يزال هناك من يريد أن يأخذ الناس نحو أقصى الفتاوى تشددًا وعسرًا، وهذا تعقيد لحياة الناس، فالرغبة في الأخذ بالاحتياط ربما يتناسب مع الوضع الفردي، ولكن أن تقيد حركة الأمة والمجتمع باحتياطات لمراعاة آراء السابقين فهذا أمر مشكل.

والمشكلة الثالثة التي ابتليت بها الأمم السابقة هي الزعامات التي تريد الهيمنة على الناس عبر سلبهم حرية التفكير وإبداء الرأي. إن هناك حريات لم نلبث نتحدث عنها ونباهي بوجودها في الدين الإسلامي، ولكنها تغيب عن التطبيق، فالمجتمعات

الإسلامية تعاني غالبًا من فقدان الحرية في المجال الفكري والسياسي، فهناك حكومات دكتاتورية مستبدة تمارس عليهم الهيمنة، وآراء متشددة تعرقل طريقهم وحياتهم، كما أن هناك إرهابًا فكريًا من داخلهم، لدرجة يحظر على المرء البوح بأي رأي مختلف، فلا يجرؤ أن يجهر به، وذلك لأن الناس لا يتقبلونه بل لا يطيقون سماعه، هذه هي الأصر والأغلال التي جاء الإسلام لكي يزيلها من حياة الإنسان لكن غالب المسلمين قد رجعوا إليها!

إن بروز هذه (الأصر والأغلال) جعلت من الدين الإسلامي مخيفًا لدى قطاعات واسعة من داخل الأمة ومن خارجها. ذلك لأن الناس بدأوا يشعرون بأن الحكم الإسلامي مساوٍ لتقييد وغياب الحريات، وهذا أمر مخيف ليس لدى غير المسلمين فحسب، بل حتى لدى المسلمين أنفسهم.

ما أحوج الأمة الإسلامية لتجاوز هذه الحالة بالعودة لقيم الدين التي تدعو إلى الحرية، وحيوية الإنسان، واستمتاعه بهذه الحياة، من خلال الضوابط الثابتة، وليس من خلال ما أضيف إلى الدين، ومن خلال التحجر التي ابتلي به بعض المفتين.

وثيقة تستحق عظيم الاهتمام

في المقابل، نحن نستبشر خيرًا هذه الأيام، فقد بدأت حركة وعي وتجديد وانفتاح في الأمة الإسلامية. وأرحب هنا بالوثيقة التي أصدرها الجامع الأزهر الشريف، والتي أعلن عنها الأسبوع الماضي، وهي وثيقة الحريات العامة، حيث عكف إمام الأزهر مع مجموعة من العلماء والمثقفين في مصر، من مختلف التوجهات والمشارب، على وضع هذه الوثيقة. إن هذه الوثيقة تعدّ تطورًا رائعًا في الفكر الإسلامي، فهي تؤكد حرية العقيدة والرأي والبحث العلمي والابداع الادبي والفني[١].

ولعل مما يؤسف عليه هو عدم نيل الوثيقة تغطية إعلامية مناسبة لأهميتها. لقد

---

(١) http://www.tajaddod.org/pdf/azhar-wathika.pdf

كان ينبغي أن يتحدث عنها الإعلام، وتقام لها المؤتمرات واللقاءات والحوارات، وتناقشها مختلف المجامع العلمية حتى تتبناها وتطورها، ولكن مع الأسف الشديد لم يحصل ذلك بعد، ونرجو أن يحصل في مقبل الأيام، فهي وثيقة تاريخية مهمة، أدعو الناس للاطلاع عليها. هذه الوثيقة وما شابهها من الطروحات التجديدية هي التي تعيد للإسلام ألقه، وتعيد ثقة الناس بدينهم، وتجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، كما كانت بداية الدين، فقد دخل الناس سابقًا في دين الله أفواجًا لأنهم رأوا فيه السعة والعزة والكرامة، ولذلك أقبلوا عليه. أما في هذه العصور المتأخرة فقد أصبح الدين بسبب ما دخل عليه من أفكار متطرفة متحجرة دينًا يوصف بالعنف والقسوة والشدة والتضييق حتى نفر عنه حتى بعض أبنائه.

الخطبة الأولى

لنتفهم الرأي الآخر

ورد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال مخاطبًا بعض أصحابه: «ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض؟ إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض، وهي الدرجات»[1].

إن من السمات الطبيعية للمجتمعات البشرية تميزها بتعدد الأفكار واختلاف التوجهات. وحينما أمر الإسلام مجتمع المؤمنين بأن يتحدوا فيما بينهم، وأن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا، فلم يكن معنى ذلك إجبارهم على تطابق الآراء والمواقف فيما بينهم تماما، لأن ذلك أمر صعب التحقق إن لم يكن متعذر الحصول، فمجتمع المؤمنين مجتمع بشري يحدث فيه ما يحدث في سائر التجمعات البشرية من تعدد الأفكار والتوجهات واختلاف الرأي، لكن ذلك لا ينبغي أن يدعو إلى القطيعة فيما بينهم، ولا إلى أن يتبرؤوا من بعضهم بعضًا.

من الشائع في مختلف المجتمعات أن يكون هناك اختلافات فكرية مرتبطة بالمسائل الدينية، وقد يكون هناك تباين في المواقف السياسية وهكذا في سائر المجالات، إلا أن هذا الاختلاف والتنوع الطبيعي في الآراء لا ينبغي أن يدفع الناس للخصومة والقطيعة ولا أن يتبرأ أحد منهم من الآخر.

(١) الكافي، ج٢، ص٤٥، حديث٤.

لماذا يختلف الناس؟

وتأتي حالة التنوع واختلاف الرأي نتيجة أسباب عديدة، منها:

تفاوت المعرفة بين الناس:

إن تفاوت المعرفة في مختلف الموضوعات ينتج عنه بطبيعة الحال تفاوت في الرأي والحكم على تلك المسائل، وحينما لا يكون هناك تساوٍ في مستوى المعلومة والمعرفة فسيترتب على ذلك تلقائيًا اختلاف في الرأي والموقف.

لقد تحدث القرآن الكريم عن حادثة نبي من أنبيائه العظام مع ولي من أوليائه الصالحين، ويقال أنه نبي، وهو الخضر مع نبي الله موسى ﵇، وقد اختلف الاثنان في بعض المسائل، لا لشيء سوى لأن الخضر كان أكثر اطّلاعًا ومعرفة بعدة مسائل لم يكن الله قد اطّلع عليها نبيه موسى ﵇، وقد أخبر الخضر النبي موسى بذلك عند اصطحابه: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾، فالخضر كان يقول أنا مطلع على تلك القضايا عن طريق الغيب وأنت يا موسى لم تطلع عليها، ولذلك سوف تستنكر ما أقوم به. ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾، ومرة أخرى ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾، ولنا أن نتصور المشهد هنا، نبي يعترض على تصرف ولي، مع أن كليهما ينطلق من منطلق رباني واحد، ومرد ذلك هو اطّلاع الخضر على بعض الأمور التي لم يتسنَّ لموسى ﵇ الاطّلاع عليها، فالاختلاف هنا جاء بسبب اختلاف المعرفة.

اختلاف زاوية النظر:

وقد يكون اختلاف الرأي في بعض الأحيان بسبب اختلاف زاوية النظر للموضوع. فأحد الناس ينظر لموضوع ما من زاوية، فيما ينظر له آخر من زاوية أخرى، وهنا يختلف الرأي والموقف. وتذكر في هذا الصدد قصة لعلها واقعية وهي مؤثرة ومعبرة،

ومفادها أن معلمة كانت تعلم تلاميذها مادة الرياضيات وتحديدًا في مسائل الجمع، فسألت أحد تلامذتها: إذا أعطيتك تفاحة وتفاحة وتفاحة فكم تفاحة تكون عندك؟ قال بعد تفكير: أربع تفاحات، فتعجبت المعلمة وأعادت السؤال فكرر الجواب نفسه، ثم قالت له: إذا أعطيتك برتقالة وبرتقالة وبرتقالة، فكم يكون عندك، قال ثلاثة. فأعادت المعلمة السؤال حول عدد التفاحات فأصرّ التلميذ على جوابه بأنها أربع تفاحات، وحين سألت الولد عن تفسير ذلك، قال: إذا أنت أعطيتني ثلاث تفاحات وأمي قد أعطتني تفاحة في حقيبتي فيكون الناتج أربع.

هنا أدركت المعلمة أن هناك مبررًا لكلامه.

اختلاف الأجواء النفسية:

وإلى جانب اختلاف زوايا النظر، يأتي اختلاف الرأي أحيانًا نتيجة اختلاف الأجواء النفسية التي يعيش فيها كل طرف. ويتأتى ذلك عندما يعيش شخص ما ضمن أجواء معينة فتتكون لديه حالة الاطمئنان إلى موقف معيّن، فيما قد لا تتوفر ذات الأجواء لطرف آخر. ولهذا قال العلماء بأن القطع حجة، فلو أن شخصين كانا في سفر وأرادا الصلاة، واختلف الاثنان في تحديد جهة القبلة، فإن الحكم الشرعي يقضي بأن يصلي كل منها في اتجاه بحسب اطمئنانه.

تفهم وجهات النظر الأخرى

ينبغي للإنسان أن يتفهم على الدوام وجهات نظر الأطراف الأخرى. فقد يتضح لك موضوع ما وهذا لا يعني أن نفس درجة الوضوح تكون عند الطرف الآخر. لذلك يتحدث القرآن الكريم عن الذين لا يستجيبون لدعوة الأنبياء فلا يصفهم جميعًا بالجحود، بل يقول تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، ومضمون ذلك بأن الأمور لم تتضح لهؤلاء بما يكفي مما جعلهم يعرضون عن اتّباع الحق، وهؤلاء لا يصدق على كل واحد منهم أنه اطّلع على الحقيقة وجحدها وأنكرها، مع

أنهم قد يحاسبون على التقصير وعدم إقبالهم على معرفة الحقيقة.

ما يجري أحيانًا هو مسارعة بعض الناس لتوجيه أصابع الاتهام للآخرين لمجرد كونهم لا يؤمنون بما يؤمنون، ولا يرون ما يرون. من هنا جاءت التعاليم الدينية وإضاءات العقل باتجاه دفع الإنسان إلى اتخاذ الموقف الصحيح تجاه الرأي الآخر، سواء كان ذلك في المجال السياسي أو الديني، وما شابه.

والمطلوب هنا هو تفهم الرأي الآخر، لغرض معرفة خلفية وجهة النظر التي يتبناها، فلعل عند ذلك الطرف أدلة وبراهين مقنعة بالنسبة له، وهنا ينطبق عليه النصوص الواردة في حمل المسلم على الصحة، فلا يصح أن تحمل غيرك على البطلان والعناد، فلعله جاهل بالأمر أو له مبرر، فالتمس لأخيك عذرًا إن لم تجد له عذرًا. ولذلك فعلى الإنسان أن يتفهم وجهات النظر الأخرى وأن يلتمس العذر لأصحابها هذا أولًا.

ثانيًا: احترام حقوق الطرف الآخر. إن اختلاف الرأي في مسألة ما لا يبرر بأيّ حال تجاوز حقوق الطرف الآخر، فهو يبقى أخًا لك في الدين، فلا يجوز لك أن تستغيبه أو أن تفتري عليه أو تؤذيه وتسيء له لمجرد اختلاف الرأي.

ثالثًا: التواصل والحوار. هناك بعض الناس لا يستسيغ اللقاء ولا الكلام مع من لا يتطابق معه في الرأي. وأمثال هؤلاء حتى إذا دعي إلى الحضور في مجلس تراه يسأل أولًا عمن سيحضر، فإذا ما عرف بحضور شخص صاحب رأي مخالف له يسارع برفض الحضور!، وهذا من صميم الجهل. فهل عليك أن تعيش في كوكب آخر غير الذي يعيش فيه من يخالفك الرأي؟. لا ينبغي للإنسان أن يرفض التواصل والحوار، بل العكس من ذلك، فجلوسك مع المخالف لك في الرأي قد يفيدك أكثر من مجالستك لمن يتفق معك في الرأي؛ لأنك إذا جلست مع المتفق معك في الرأي تكون رقمًا مكررًا، بينما جلوسك مع من يخالفك الرأي سيجعلك تسمع شيئًا آخر مختلفًا، لذلك فالحوار هو الذي يجعل كل طرف يتفهم وجهة نظر الآخر على نحو أفضل.

رابعًا: التعاون في المشتركات. لا بُدّ من وجود مساحة مشتركة بنسبة ما بين المختلفين. فمهما كانت نسبة اختلاف الرأي في مسألة أو أخرى، فلا بُدّ من وجود نسبة أخرى مشتركة، وفي غالب الأحيان يكون الاختلاف في بعض القضايا ضمن نسبة محدودة وليس اختلافًا مطلقًا، فإذا كانت هذه المشتركات الكبيرة بين أبناء المجتمع أفلا تكفي لأن يتعاونوا ويعيشوا حياة أقرب إلى الرحمة والمودة منها إلى الخصومة والقطيعة؟

من هنا حذّر الإمام جعفر الصادق عليه السلام المؤمنين من هذه الحالة بقوله: «ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض؟ إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض وهي الدرجات».

لا ينبغي أن يصل الاختلاف في الرأي أو الموقف إلى درجة البراءة والخصومة، فذلك ليس من صفات المؤمنين ولا العقلاء. العقلاء في كل أنحاء العالم يعقدون اللقاءات والمؤتمرات التي تتناول كل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والعلمية وغيرها، وتشهد هذه المؤتمرات اختلافًا وتباينًا كبيرًا في الآراء ولكنهم مع ذلك يحرصون على الحضور والمشاركة والاستماع لوجهات النظر الأخرى. إذ لا يعني اختلاف الرأي بأي حال قيام القطيعة بين أصحاب الآراء المختلفة فذلك خلاف العقل والمنطق السليم.

نسأل الله أن يحفظ المسلمين والمؤمنين وأن يوحّد بينهم.

ذكرى انتصارات الشعوب

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[سورة إبراهيم، الآية:٥]

شكّلت السنة الماضية (١٤٣٢ للهجرة) سنة مميزة بالنظر لما اكتنفها من أحداث عظام، تعتبر منعطفًا في تاريخ المنطقة العربية والإسلامية. وتمرّعلى المجتمعات أيام فريدة تواجه فيها تحدّيات عظيمة، أو تتحقق خلالها إنجازات كبيرة، كان يتطلع إليها المجتمع طويلًا، فتترك تلك الأيام أثرًا وتغيرًا جذريًا في مسيرة المجتمع. هذه الأيام تظهر فيها السنن الإلهية بشكل أكثر وضوحًا، ولذلك فإن على المجتمع أن يقف عند هذه الأيام التي تشكل منعطفات في تاريخه، وحينما يضيف الله هذه الأيام إليه وفق الآية الكريمة ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، داعيا نبيه موسى عليه السلام إلى أن يذكر قومه بأيام الله، فإن المقصود منها هي تلك الأيام التي تحصل فيها منعطفات وأحداث بالغة في الاتجاه الإيجابي أو السلبي.

ينبغي للمجتمع ألّا يتجاهل ولا يغفل تلك الأيام التي تشكل منعطفات في تاريخه. بل عليه أن يقف عندها متأملًا دارسًا ما حدث، مستفيدًا من عبرها ودروسها، وكما أشار المفسرون فإن ﴿أَيَّامِ اللَّهِ﴾ تشير إلى أيام انتصار المؤمنين أتباع النبي موسى عليه السلام على فرعون الطاغية المَتمرد على الناس وعلى ربه، فيوم هلاكه كان يومًا حاسمًا في تاريخ

بني إسرائيل بل وفي تاريخ البشرية، ولذلك أمرهم الله بتذكر ذلك اليوم الذي هلك فيه الطاغية المجرم. وهذا الأمر يمكن للبشرية أن تأخذه نهجًا كما يحدث بالفعل، فكل المجتمعات البشرية تحيي أيامًا متميزة في تاريخها.

لقد كانت السنة الماضية سنة متميزة عما سبقها من سنوات عديدة. حيث سقط خلال سنة واحدة ثلاثة من أعتى الطواغيت الظلمة الذين كانوا يحكمون شعوبهم بالقهر والقمع، فسقط في البداية الرئيس التونسي زين العابدين بن علي بعد ثلاث وعشرين سنة من الحكم الجائر، وأعقبه سقوط الرئيس المصري حسني مبارك بعد ثلاثين سنة من السلطة الفاسدة، ثم سقط وهلك الرئيس الليبي معمر القذافي بعد حكم ظالم طال أكثر من أربعين عامًا. وهناك ثورات بدأت في أكثر من بقعة من أراضي هذه الأمة، نأمل أن تشق طريقها إلى النصر إن شاء الله، إلى جانب الحراك الشعبي الكبير في هذا البلد أو ذاك. وقد احتفل التونسيون في الأيام الماضية بذكرى قيام ثورتهم وانتصارها، ثم احتفل المصريون أيضًا، وسيحتفل الليبيون لاحقًا، ونأمل أن تحتفل بقية الشعوب التي تعيش تحت نير الظلم والاستبداد بعيد حريتها وكرامتها، وما ذلك على الله بعزيز.

وقد حصلت خلال السنة الماضية تغيرات كبيرة يمكننا أن نرصد بعضا منها:

على المستوى الدولي

لم يعد أمام الدول الكبرى إلا احترام إرادة الشعوب في رفضها للاستبداد والتزامها هويتها الدينية.فقد كانت الدول الكبرى تدعم حكومات الظلم والاستبداد، لأنها كانت ترى في هذه الحكومات ضمانة للمحافظة على مصالحها، ولكن مع حراك المجتمعات والشعوب، وما أصاب تلك الدول من آثار بسبب وجود الاستبداد في هذه المنطقة، حيث بدأت آثار الاستبداد وشظاياه ونتائجه في منطقتنا تصل إلى عقر دورهم من حالات العنف والتفجيرات التي حصلت في مناطق مختلفة من العالم،

حينها أدركت الدول الكبرى أن استمرار هذه الحكومات المستبدة أصبح ضارًا بها هي أيضًا، بعد أن كانت أضرارها تطال شعوبها فقط، ولذلك بدأت هذه الدول في الاعتراف بحق شعوب المنطقة في التغيير، وذلك بعد أن رأت الإصرار لدى تلك الشعوب، فلو لم يكن الشعب المصري مصرًا على حريته وكرامته لما غيّر الأمريكيون موقفهم من نظام حسني مبارك، حيث كان من الأفضل لهم بقاؤه حاكمًا حليفًا، لكن حذرهم من تصاعد نتائج هذا الاستبداد والقمع، هو الذي جعلهم يتفهمون ويحترمون إرادة هذه الشعوب، كما بدأت الدول الكبرى كذلك في احترام الهوية الدينية لشعوب المنطقة بعدما كانت تتحسس من وصول الإسلاميين إلى سدة الحكم والسلطة، فقد كانت تريد حاكمين من نفس فلكها العلماني، لا ينتمون إلى الحالة الدينية التي تمثل هوية الأمة، ولكن بعد عقود من الصراع مع الحركات الإسلامية، وصلت هذه الدول إلى مرحلة لم تجد فيها بدًا من الاعتراف بهذه القوى، وأنها هي التي تمثل جماهير الأمة أوسع وأفضل تمثيل، لذلك لم يعد لديهم مانع أن يصل الإسلاميون إلى الحكم في هذه البلاد العربية والإسلامية لكنهم يراهنون على تدجينهم.

قلق حكومات الاستبداد

على المستوى السياسي كلّ الانظمة الحاكمة في البلاد العربية والإسلامية تعيش اليوم حالة من القلق والحذر. فقد كانت هذه الحكومات يغمرها شعور بالاستقرار والتراخي، لكن مع استيقاظ الشعوب والحراك الذي حصل في أكثر من بلد عربي، لم يعد هناك من حاكم مطمئن على عرشه ومصيره، وحتى البلدان التي لم يحصل فيها تحرك سياسي كبير، فإن الحكومات فيها تشعر بالقلق؛ لأنهم يرون أن مسيرة التغيير قد بدأت، وأن العدوى تنتقل من بلد إلى آخر.

يروي أحد الباحثين في هذا السياق بأنه ذهب إلى مصر قبيل احتفائهم بالذكرى الأولى لانتصار ثورتهم وأجرى لقاءات عدة بالناس، وسألهم عن سبب إصرارهم

في إنجاح الثورة، فذكروا مبررات كثيرة لكن المبرر الأبرز الذي أجمعوا عليه، كان نجاح الثورة في تونس. فحين رأى المصريون تجربة ثورية ناجحة أمام أعينهم ارتفعت معنوياتهم، وباتوا يتساءلون؛ عن موانع نجاحهم هم أيضًا، فتحركوا وانتصروا، وهكذا فإن انتصار الشعب العربي في أي بلد يرفع معنويات الشعوب العربية الأخرى، وهذا ما يقلق الحكام ويقضّ مضاجعهم.

المطلوب من الأنظمة التي تعيش حالة القلق أن تسعى للتخلص من هذا القلق عبر معالجة أسبابه، وذلك بالانفتاح على شعوبها، وتحقيق تطلعاتهم. أما إذا استخدمت مزيدًا من القمع والعنف، فإنها تسرع بنفسها إلى الانهيار؛ لأن القمع هو الذي يوري جذوة الثورة أكثر عند الشعوب.

تبلور التطلعات السياسية

وعلى المستوى الشعبي، يمكن القول إن التطلعات السياسية عند الشعوب والمجتمعات باتت أكثر تبلورًا، بخلاف ما كانت عليه في الماضي. فقد كانت المشاكل الاقتصادية فيما سبق هي التي تشغل بال الناس أكثر من غيرها، فكان كثير من الناس مشغولين بالتفكير في لقمة العيش والحصول على بعض الامتيازات، لذلك تجد بعض الأنظمة التي تتوهم بأن الناس ما زالوا بتلك العقلية القديمة، تجدها تكتفي بمنح مواطنيها بعض المال والامتيازات، لكن حقيقة الأمر أن تطورات السنة الماضية تجاوزت هذه الحالة تمامًا، فقد تبلورت التطلعات السياسية عند الجمهور العربي، وأصبح الناس مقتنعين بالمقولة الشهيرة (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان).

فالناس باتوا يتطلعون للعيش بكرامة، والمشاركة السياسية في إدارة بلادهم، شأنهم شأن الشعوب الأخرى، فلم تعد المسألة مجرد مطالب بزيادة الرواتب الشهرية، أو الحصول على مزيد من الامتيازات المادية، ولعل هذا ما يظهر بوضوح في الشعارات التي رفعتها الشعوب في مختلف المناطق، حتى أصبحت أنشودة

يرددها حتى الأطفال: الشعب يريد .. إسقاط النظام، أو إصلاح النظام، لقد تبلورت الرؤى والتطلعات السياسية عند الجمهور العربي، وانهار حاجز الخوف من أمامهم. كان الناس فيما سبق أكثر رهبة وخوفًا من بطش الأنظمة المستبدة، لكن ثورات الربيع العربي وما صاحبها من فرصة إعلامية غير مسبوقة، جعلت الناس يعايشون أجواء الثورات لحظة بلحظة وبكل تفاصيلها، هذه المتابعة والمواكبة كسرت عند أغلب الناس حاجز الخوف، وقادت إلى استغلال أوسع للفضاء الإلكتروني للتعبير عن الذات والتواصل، وتنظيم التحركات الشعبية، وهذا تطور كبير على المستوى الشعبي.

التطور الفكري الثقافي

ولعل التطور الأهم هنا هو ما حصل على المستوى الفكري والثقافي. فقد دفعت أجواء الربيع العربي إلى زحزحة الكثير من الأفكار الراسخة، لتحلّ مكانها أفكار تقدمية جديدة، أبرزها عودة الاعتبار لحركة الشارع. فقد سادت فيما سبق أفكار جعلت الأولوية في عملية التغيير منوطة بالنخب المثقفة والتنظيمات السياسية، بيد أن هذه الفكرة لم تعد حجر الزاوية في عملية التغيير بعد أن أعيد الاعتبار لحركة الجمهور ودور الشارع.

كما سقطت بعد الربيع العربي مقولة حتمية العنف الثوري المأخوذة عن الأدبيات الثورية اليسارية. فقد كانت تروج هذه الأدبيات بأن الثورات لا يمكن أن تنتصر إلا باللجوء للعنف، وكان بعض فلاسفة الثورات والسياسيين يجزمون بعدم إمكانية تصور قيام ثورة خارج ميدان العنف والقوة. لكن ما حصل في بلدان الربيع العربي خلال السنة الماضية أسقط هذه المقولات وعزز التوجه السلمي، وأثبت بأن السلم أكثر قوة، وأمضى أثرًا من أي ممارسة عنفية.

ولعلّ أحد أبرز التطورات المهمة حدث هذه المرة ضمن المنظومة الفكرية لحركات الإسلام السياسي. لقد ساهمت تطورات السنة الماضية في العالم العربي

في قيام تطور هائل في الحركات الإسلامية خلال فترة قياسية، وإذا أخذنا في هذا السياق الحركة السلفية المصرية نموذجًا، فقد كانت لها مقولات وقناعات عقدية راسخة لم يكن من المتصور أن تتزحزح بهذه السرعة، ومنها أولوية الاهتمام بالعقيدة وتصحيح عقائد الناس ومواجهة البدع والمخالفات الفكرية، إلى جانب الثابت الأبرز عند السلفية الذي يرى الطاعة المطلقة للحاكم اعتمادا على مأثورات من قبيل (من تولى عليكم فاسمعوا له وأطيعوا)، و(أطع الحاكم وإن جلد ظهرك وسلب مالك).

وكذلك مسألة البراءة من المخالفين ممن يعتبرونهم كفارا وأصحاب بدع وشركيات لا يمكن أن يتوافقوا معهم بأي شكل من الاشكال، لكننا مع ذلك رأينا أن التيار السلفي في مصر تجاوز هذه المقولات سريعًا، حيث انخرطوا في المظاهرات الاحتجاجية، وهذا مخالف لمقولة الطاعة للحاكم المتغلب التي كانوا يؤمنون بها، فقد كانوا يرون بأن الحاكم ينصح سرًا، كما شكلوا لهم حزبًا سياسيًا، وهذا أيضًا مخالف لمقولتهم بحرمة الأحزاب، وشاركوا في الانتخابات وقد كانت هذه أيضًا بدعة عندهم فيما سبق، علاوة على قبولهم التحالف مع الأطراف الأخرى. ومن يقرأ تصريحاتهم الأخيرة، يكاد يقرأ كلامًا آخر لا ينتمي للخط السلفي، وهذا تغير فكري ثقافي كبير لن تقتصر تأثيراته على مصر وحدها.

نسأل الله تعالى أن يوفق الشعوب التي تحررت من الطواغيت حتى تنجح في بناء دولتها المستقرة القائمة على أساس العدل والحرية، فمهمة البناء أصعب من الهدم.

الخطبة الأولى

البخل عاهة في النفس والسلوك

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

يُعدّ البخل والإمساك عن إنفاق المال في موارده عاهة من العاهات المعيبة للأشخاص.فالأصل أن يكسب الإنسان المال من أجل أن ينفقه على حاجاته ومصالحه، لكن جمع المال قد يصبح عند البعض من الناس هواية فيحرصون على جمعه ويبخلون عن إنفاقه في موارده، وهذه آفة وعاهة كبيرة تصيب الإنسان. إن ذلك يشبه تمامًا جمع الطعام دونما هدف، فالإنسان إنما يعدّ الطعام حتى يأكل منه ويطعم منه الآخرين، أما إذا أصبح مجرد جمع أصناف الطعام ـ دون أكله ـ هواية لدى أحد الناس، فإن النتيجة معروفة وهي فساد ذلك الطعام وتلفه وصدور الروائح الكريهة منه، فالطعام في الأصل يُعدّ من أجل أن يؤكل لا أن يجمع ويترك هكذا. وكذلك المال إنما يكسبه الإنسان ويجمعه من أجل أن ينفقه على حاجاته ومصالحه المادية والمعنوية، فإذا لم يصرف منه في هذه الموارد فهذا يعني سوء تعامل مع المال. وهذا ما يطلق عليه البخل، أي الامتناع عن صرف المال في موارده، وهذه عاهة من العاهات.

أرضية البخل

إن البخل خصلة ذميمة تنبع من سوء تفكير عند الإنسان أو لخلل في نفسه. وذلك من خلال الجنوح في التفكير والخشية من الفاقة إذا أنفق من ماله، أو تعتريه حالة الأنانية ولؤم النفس فتمنعه من الإنفاق، ولذلك وردت النصوص الدينية التي تحذر المرء من الوقوع في هذا المطب، أو الإصابة بتلك العاهة، فمن وجد في نفسه شيئًا من البخل فعليه أن يراجع هذه النصوص من آيات وأحاديث، وأن يتأمل في سيرة من حوله من الناس، حتى يعالج هذا المرض حتى لو لم يكن سوى في مراحله الدنيا، لأن ذلك معرض للاستفحال تمامًا كما تستفحل وتزيد أمراض الجسم إذا سكت عنها الإنسان.

ورد عن علي أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد القول: «البخل جامع لمساوئ العيوب»[1]، ويقول: «البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود»[2]، وبهذا يشير عليه السلام إلى خلل التفكير الذي يعتري البعض، فالله الذي رزق الإنسان هذا المال سيعطيه غيره، لذلك عليه أن ينفق دون خشية الفقر، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «حسب البخيل من بخله سوء الظن بربه، من أيقن بالخلف جاد بالعطية»[3]، وجاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «إياكم والبخل فإنها عاهة لا تكون في حرٍّ ولا مؤمن إنها خلاف الإيمان»[4]. والإنسان الحرّ وفقًا للراوية هو الذي له نفس سليمة متحررة من العقد، والمؤمن الذي يهتدي بهدي الإسلام لا يكون بخيلًا، ثم يضيف الإمام عليه السلام: «إنها خلاف الإيمان».

وفي كلمة لأمير المؤمنين علي عليه السلام: «عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ

(١) نهج البلاغة، حكمة ٣٧٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص١٩، حكمة ٢٥١.

(٣) بحار الأنوار. ج٧٠، ص٣٠٧، حديث٣٥.

(٤) بحار الأنوار. ج٧٥، ص٣٤٦.

وَ يَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ»[١]، بمعنى أن البعض يطلب الغنى هربًا من الفقر، فإذا ما استغنى من مال الله أمسك عن الإنفاق فحاله سيكون حينها كالفقير الذي ليس لديه ما ينفق. فما الفائدة من الأرقام الفلكية الموجودة في الأرصدة البنكية إذا لم يقم صاحبها الغني بواجب الإنفاق؟

والغريب أن لدى بعض الناس هوسًا في النظر نهاية كل شهر لأرقام أرصدته المكدسة في البنوك، تلك الأرصدة التي تستفيد منها البنوك بالمتاجرة بها، فالواحد من هؤلاء يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء.

نتائج البخل وآثاره

وللبخل نتائج سلبية على حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، ومنها:

القلق النفسي وضيق المعيشة

إن أول ما يصاب به البخيل جراء بخله هي حالة القلق وضيق المعيشة. فقد ورد عن النبي ﷺ: «أقل الناس راحة البخيل»[٢]. فالبخيل عادة ما يكون في قلق دائم من التعرض لأدنى خسارة قد تؤدي إلى تضاؤل رصيده المالي. بل أكثر من ذلك، فإذا تعرض إلى موقف يتوجب عليه فيه دفع شيء من ماله تراه يمتقع لونه ويتمنى لو أنه لم يحضر ذلك المكان.وقد تحدثت إحدى الزوجات تشكو بخل زوجها، فكانت تقول بأنه يأتي بعض الأيام متغير المزاج على غير عادته فتسأله عن السبب فيتضح بأن السبب هو أن فقيرًا جاءه ذلك اليوم وطلب منه مبلغًا من المال، وآخر طالبه بالتبرع من أجل مشروع خيري، فيطيل ذلك البخيل الشكوى من السائلين وجامعي التبرعات الخيرية!. هكذا هو البخيل، في قلق دائم من الخسارة ومن الاضطرار لدفع شيء من ماله.

---

(١) نهج البلاغة، حكمة ١٢٦.

(٢) بحار الأنوار. ج٧٠، ص٣٠٠.

وورد في السياق ذاته عن الإمام الصادق عليه السلام: «ليست لبخيل راحة»[١]، ويقول الامام علي عليه السلام: «أبخل الناس من بخل على نفسه بماله وخلّفه لورّاثه»[٢]. ومما ينقل في هذا الصدد أن شابًا كان محتاجًا إلى مبلغ من أبيه لشراء سيارة، لكن والده، وعلى كثرة ماله، لم يعطه ما طلب، حتى إذا توفي الأب بعد ذلك بأيام قليلة، قال الولد حينها، الآن أستطيع شراء أكثر من سيارة وليست سيارة واحدة فقط، فهل هذا ما يريده الإنسان؟، حقيقة الأمر أن البخيل يبخل على نفسه باليسير فيما يخلف لوارثه الكثير. لذلك فالبخل يخلق حالة من القلق والضيق في نفس الإنسان.

سوء السمعة

تأتي السمعة السيئة في الوسط الاجتماعي ضمن أبرز الأعراض السلبية للبخل وشح النفس. إذ يخلق كل امرئ صورة ذهنية عن نفسه بين الناس، فيقرأ الناس من حولهم ويقيمون الأفراد بناء على ممارساتهم وإن لم يفصحوا عن تقييماتهم تلك على نحو مباشر، فالكريم يمدحه الناس والبخيل يذمونه. يروى عن الإمام علي قوله عليه السلام: «البخل عار»، «بالبخل تكثر المسبة»[٣]، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «البخل يمزق العرض ـ أي السمعة»[٤]، ويقول الامام علي عليه السلام: «من بخل بماله ذل»[٥]، وقال عليه السلام: «من بخل بدينه جل»[٦]، فالإنسان الذي لا يفرط في دينه ويمسك عليه يكون جليلاً عزيزًا، بخلاف الذي يمسك ماله فإنه يكون ذليلًا.

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٠، ص٣٠٣.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص ١٠٣، حكمة ٣.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم. ص١٦٤، حكمة ٢٤.
(٤) بحار الأنوار. ج٧٥، ص٣٥٧.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٣٥، حكمة ٤٢٠.
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٣٥، حكمة ٤١٨.

النفور الاجتماعي

يلتف الناس حول من يحسن إليهم فيما ينفرون بشدة من البخيل المقتر. فالإنسان الذي يعطيه الله الخير فيوسع على عياله وعلى الناس من حوله يجد الترحيب والالتفاف منهم، والعكس بالعكس. وورد عن الامام زين العابدين عليه السلام: «أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله»[١]، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «صاحب النعمة يجب عليه التوسعة عن عياله»[٢]. فينبغي للرجل إذا أعطاه الله الخير أن يوسع على عياله حتى يدعون له بطول البقاء عوضًا عن تمني موته. إن أكثر الناس نفورًا من البخيل المقتر هم عياله، حتى إنهم ربما يتمنون الخلاص منه سريعًا ليتمتعوا بإرثه بعد وفاته، وإن لم يصرحوا بما في نفوسهم.

وورد عن الامام الصادق عليه السلام: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول»[٣]، إن أولى الناس بالنعمة التي حباها الله المرء هم أقرب الناس إليه؛ زوجته وأولاده ووالداه ومن يعول، وإلا فما فائدة المال.

تردنا بين الفينة والأخرى بعض الشكاوى عبر الهاتف أو البريد الالكتروني من عوائل يشكون من يعولهم وتقتيره عليهم، فنحاول التخفيف عنهم باختلاق الأعذار وضيق ذات اليد لدى الطرف الآخر، لكن سرعان ما يأتينا الرد بأن لهذا العائل رصيدًا كبيرًا في البنك وهو قادر على الإنفاق ولا يمنعه من ذلك سوى البخل!.

جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «ملعون ملعون من ضيّع من يعول»[٤]، فالعيال أمانة في رقبة المرء، والزوجة المسكينة الكادحة تستحق الكثير، وقد كتب أحد الكتاب يقول بأن الزوجة تقوم بأدوار كثيرة بحيث لو استأجر الرجل لكل دور من أدوارها من يقوم بها

---

(١) الكافي. ج٤، ص١١.
(٢) الكافي. ج٤، ص١١.
(٣) الكافي. ج٤، ص١١.
(٤) الكافي. ج٤، ص١٢.

مقابل المال لكلفه ذلك كثيرًا، ومن ذلك مهمات الطبخ والكنس وإدارة البيت والحمل والرضاع وما شابه. ولذلك على الإنسان ألّا يبخل على عياله.

وورد عن رسول الله ﷺ: «المؤمن يأكل بشهوة عياله، والمنافق يأكل أهله بشهوته»[١]، ومعنى ذلك أن المؤمن يأكل مما يشتهي عياله، فيعطيهم وفق رغبتهم، أما المنافق فيبدأ بنفسه ولا عليه من غيره، فالذي يشتهيه هو يفرض على أولاده أن يأكلوا منه، وهذا خطأ كبير، إذ على الإنسان أن يحسب حسابًا لرغبات من حوله.

وينسحب موضوع البخل ليشمل التقتير على الأرحام والأقارب أيضًا. فالإنسان إذا أعطاه الله الخير فلا بدّ وأن ينعكس ذلك على من هم حوله، ومن العجيب جدًا أن ترى ثريًا وحوله فقراء من أرحامه وأقرب الناس إليه وقد يكون أخوه أحدهم، فكيف يطيب له العيش مرتاحًا وأقرب الناس إليه يعيشون الفقر والحاجة؟، لماذا لا تنفق على هؤلاء، ومن أجل ماذا تجمع الأموال؟، فإذا كنت تخاف الفقر فذلك سوء ظن بالله تعالى. لذلك ورد عن رسول الله ﷺ: «البخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار»[٢]. ومن الملاحظ أنك تجد في بعض الأحيان مجموعة من الناس تعيش مرتاحة لا لشيء إلا لأن من بينهم واحدًا سخيًا يلتف الجميع من حوله، فيما يهرب أناس آخرون من البذل والعطاء على من حولهم حتى يصبحوا أبعد ما يكونون عن الناس.

تربية النفس على البذل

هناك من أهل الخير من ينعكس خيره على من حوله فيبارك الله له في خيره، ويجعله أضعافًا مضاعفة. ومن المؤكد أن من يعش في الدنيا نافعًا للناس فسيجعل الله له في الآخرة مقامًا عليًا، حتى يخاطب الله أمثال هذا يوم القيامة بأن ادخلوا (الجنة) وأدخلوا من شئتم. فالسخي يعيش مرتاحًا في دنياه وآخرته، بينما البخيل يعيش شقيًا

(١) وسائل الشيعة. ج٢١، ص٥٤٢.

(٢) بحار الأنوار. ج٧٠، ص٣٠٨.

في دنياه وآخرته. لذلك قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. ويقول ﷺ: «أبخل الناس من بخل بما افترض الله عليه»[١]، فقد أعطاك الله هذا المال والثروة، ولم يفرض عليك سوى أن تنظر آخر السنة إلى الفائض عندك وما يزيد عن حاجتك لتصرف منه ٢٠ ٪ في الموارد العامة وفق أحكام الخمس الشرعي، إن هذا القدر من الإنفاق سوف ينعكس على المرء نفسه على نحو مباشر حين يتقوى المجتمع والانتماء العقدي فيه، أما من يبخل بهذا المقدار فهو من أشد الناس بخلًا.

ويقول علي عليه السلام: «إذا لم يكن لله في عبد حاجة ابتلاه بالبخل»[٢]، ومعنى ذلك أن من لا قيمة له عند الله، فإن الله يبتليه بالبخل، أي إن هذا العبد يختار لنفسه هذا الطريق. جاء رجل لرسول الله ﷺ وقال: «يا رسول الله أي الناس أفضلهم إيمانًا؟ قال ﷺ: أبسطهم كفًّا»[٣].

إن البخل ينعكس سلبا على علاقة الإنسان مع أقاربه وأرحامه، فليس لبخيل صلة رحم. ويقول الامام الرضا عليه السلام: «السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس»[٤]، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «شاب سخي مرهق في الذنوب أحب إلى الله من شيخ عابد بخيل»[٥]، والهدية الأخيرة من الامام الرضا عليه السلام فقد دخل عليه مولى له فسأله الإمام هل أنفقت اليوم شيئا؟ قال: لا والله، فقال له الامام: فمن أين يخلف الله علينا؟ أنفق ولو درهمًا واحدًا[٦].

ينبغي للإنسان أن يمارس عادة الإنفاق في سبيل الله على نحو يومي.ولذلك فمن

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٠، ص٣٠٠.
(٢) الكافي. ج٤، ص٤٤.
(٣) الكافي. ج٤، ص٤٠.
(٤) الكافي. ج٤، ص٤٠.
(٥) الكافي. ج٤، ص٤١.
(٦) الكافي. ج٤، ص٤٤.

المستغرب ردة فعل بعض الناس حين يعرض عليهم طلب الدعم والمساهمة في مشروع خيري، فيكرر القول بأنه سبق له المساهمة في مشروع خيري مشابه قبل ذلك!. ينبغي للإنسان أن يعود نفسه على الإنفاق يوميًا على مصالح الدين والمجتمع والجيران والأقرباء وأن ينأى بنفسه عن أساليب التهرب من الإنفاق. قال الامام علي ﷺ: «كثرة العلل آية البخل»[١]، وعنه ﷺ: «البخيل متحجج بالمعاذير والتعاليل»[٢]. كما ورد في الأثر أن على الإنسان أن يتعوذ بالله من البخل، ولذلك على الإنسان أن يربي نفسه على الإنفاق في كل يوم وأن يكون واثقًا من عطاء الله تعالى.

نسأل الله أن يبعدنا عن البخل والرذائل وأن يجمّلنا بمكارم الأخلاق.

---

(١) بحار الأنوار ج ٧٤، ص٢٠٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص١٩، حكمة ٢٥٥.

الرهان على وعي الشعوب وحركة التاريخ

﴿لا يَسْأَمُ الْأِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾[سورة فصلت، الآية:٤٩]

تبدو ثقافة الأمل والتفاؤل حاجة ماسة على مستوى الأفراد والمجتمعات. فالإنسان الواعي ينظر للحياة برؤية واقعية، والمزاجي يؤثّر واقعه الآني على رؤيته للحياة. إن بروز المشاكل والصعوبات من نواميس الحياة، فالواعي هو من ينظر إلى الحياة برؤية سليمة يدرك بها الواقع على حقيقته، لذلك حين يعيش حياة طيبة رغيدة يحمد الله سبحانه وتعالى ويستثمر تلك الحالة المتقدمة، وإذا ما أصابته مشكلة وعثرة أو واجهه تحدٍّ، فإنه يتسلح بالثقة والأمل والتفاؤل، ولا يترك لليأس والقنوط طريقًا إلى قلبه حتى لا تتعثر مسيرته في هذه الحياة.

إن الله تعالى يصف الحالة الطبيعية للإنسان في الآية الكريمة: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنسان مِن دُعَاء الْخَيْرِ﴾، أي إن الإنسان لا يكلّ ولا يملّ من طلب الخير دائمًا وأبدًا، وكأن الحياة كلها يجب أن تكون هكذا بدون منغصات، ومن الطبيعي أن يطلب ذلك، والخير بمعنى الأشياء الإيجابية في حياته، ولكن في مقابل ذلك على المرء أن يتوقع إمكانية أن يمسه الشر في بعض الأحيان ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾، لكنه مع ذلك سرعان ما يصيبه اليأس والإحباط إزاء مشكلة ما عرضت له، ولعل أسوأ ما يمكن أن يصيب المرء هي حالة اليأس التي يمكن أن تنتابه تجاه أي مشكلة تواجهه في الحياة.

ينبغي للمرء ألّا يصاب بالغرور إذا غمرته النعمة، متوهمًا استمرارها دونما شكر وتنمية ورعاية. فالمال والصحة وكل نعمة هي عرضة للزوال، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تيأس من الزمان إذا منع، ولا تثق به إذا أعطى وكن منه على أعظم الحذر»[١]، وعنه عليه السلام: «قتل القنوط صاحبه»[٢] أي إن القنوط يشل حركة الشخص ويحدّ من نشاطه؛ لأن الإنسان إذا لم يتحرك فهو عرضة لخيبة الأمل، وإنما ينشط بالتفاؤل، من هنا جاء التركيز الديني على أهمية الأمل والثقة بالله تعالى. وورد عن علي عليه السلام: «تفأل بالخير تنجح»[٣]. إن على المرء أن يتحلى بالتفاؤل بالخير حتى يدرك النجاح.

أتذكر بأني تحدثت في إحدى خطب الجمعة قبل نحو سنة عن مسألة التفاؤل والأمل التي ينبغي ألّا نتخلى عنها في كل الأحوال، وكان أحد الحاضرين يعاني من مصاعب نتيجة الديون والمشاكل العائلية التي بلغت أروقة المحاكم، فبادر هذا الأخ بمراسلتي قائلًا: كأنك تقرأ ما أعيش فيه، لكنه ذكر بأن معاناته التي يعيشها هي أكبر بكثير من الحديث المطروح في الخطبة، موضحًا في رسائله جانبًا من معاناته، وبعد مرور سنة وعدة شهور على تلك الحادثة، علمت من ذلك الأخ بأن مشكلته انتهت وأصبحت مجرد ذكرى من الذكريات والحمد لله.

ولعلّ من طبيعة الحياة أن بعض المشاكل تحتاج إلى وقت، ولا تلبث أن تنتهي مع مرور الزمن. وهناك قصة طريفة في هذا السياق مفادها: أن حاكمًا كان يهيم بحمار له، فأراد من حوله أن يورطوا أحد الأشخاص مع الحاكم، فقالوا للحاكم بأن حمارك العزيز عليك هذا تنقصه القدرة على الكلام، وفلان من الناس يستطيع أن يستنطقه ويعلمه الكلام، فطلب الحاكم ذلك الشخص وأمره بأن يعلم الحمار النطق، وإلا

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٥٢٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٢٨٣، حكمة ١٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم. ص١٧٦، حكمة ٨٢.

فسوف يقطع عنقه، فوجد الرجل نفسه في ورطة، ثم قال: لا بأس بذلك ولكن بشرط أن تعطيني مهلة عشر سنوات، وحين استكثر الحاكم المدة احتج الرجل مخاطبًا الحاكم؛ بأن الطفل يحتاج وقتًا للنطق فكيف بالحمار؟، وحين وافق الحاكم وخرج الرجل من عنده لامه بعض الناس لتوريط نفسه في استنطاق الحمار، فقال الرجل؛ لقد طلبت من الحاكم عشر سنوات لأداء المهمة، وهذه فترة طويلة، فإما أن يموت الحاكم، أو يموت حماره، أو أموت أنا، وهنا تنتهي المشكلة. فالرجل كان يتكئ في ذلك على عنصر الزمن في الخروج من المشكلة.

المجتمعات تحتاج إلى ثقافة الأمل

تحتاج المجتمعات إلى ثقافة الأمل والتفاؤل. نحن نعيش اليوم ربيع الثورات العربية، ومن غير المتوقع أن يتغير واقع الشعوب دون مشاكل، ولا تحدث التغيرات السياسية الكبرى دونما عقبات. ذلك لأن من طبيعة المرحلة الانتقالية في حياة الشعوب أن تصاحبها مصاعب، ناهيك عن التراث التاريخي المثقل من خلفنا، فالمشكلة التي نعيشها اليوم لا ترتبط بالحكام المستبدين الموجودين اليوم، أو الذين تمت الإطاحة بهم مؤخرًا، وإنما تعود جذور المشكلة إلى التاريخ الإسلامي والعربي المثقل بإرث الاستبداد والفساد، ولعل ذلك ما ندركه عند الاطلاع على التاريخ الأموي والعباسي والعثماني.

لقد أصبح ذلك الإرث الثقيل راسخًا يلقى بظلاله على النفوس والعادات والتقاليد والحياة العامة. من هنا إذا أرادت شعوبنا أن تعيش كسائر الشعوب لتختار لنفسها حكمًا ديمقراطيًا وانتقالًا سلميًا للسلطة وسيادة القانون، فإن ذلك لن يكون في سنة أو سنتين، فتجارب الشعوب التي تعيش الحرية والتقدم، كالشعوب الأوروبية على سبيل المثال، استغرقت عقودًا من الزمن، ودفعت ضريبة وثمنا باهظًا للانتقال والتحول، مرورًا بالحروب الطويلة والاعتقالات والإعدامات والمشاكل التي لا حصر ولا عدّ

لها إلى أن تغيرت حياتهم.

إن ما تشهده البلاد العربية اليوم من مشاكل في ليبيا والعراق واليمن ومصر إنما هي مشاكل متوقعة. ندرك جيدًا أن بعض هذه المشاكل مختلقة، بالتأكيد أعداء هذه الشعوب لا يريدون لها أن تتغير على نحو هادئ، وهم يضعون العقبات أمامها عبر اصطناع المشاكل. كما أن هناك عاملًا آخر يدفع لبروز المشاكل يتمثل في الإرث التاريخي والتركة الثقيلة، لذلك على الشعوب العربية ألّا تتأثر بالإعلام الذي يريد أن يقذف في النفوس اليأس والإحباط، فهذه المشاكل طبيعية تطرأ خلال المراحل الانتقالية في حياة الأمم.

الرهان على المستقبل

إن على الشعوب العربية التي لم تنجح ثوراتها حتى الآن أن تتحلى بالتفاؤل والأمل؛ لأنها تسير مع حركة التاريخ. نحن نراهن بعد الله تعالى على أمرين: وعي الشعوب وحركة التاريخ. لقد وعت الشعوب، وحينما يتبدل الوعي عند الناس فإن ذلك ينعكس على سلوكهم وحياتهم عاجلًا أم آجلًا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، فإذا ما تغيرت الأفكار والنفسيات فمن الطبيعي أن تتغير أوضاع الناس. لقد بتنا نرى اليوم بأن الشعوب بدأت تعي واقعها وتقارن نفسها ببقية الشعوب المتقدمة، وتتساءل عن حقوقها المفتقدة، بل تعدت مرحلة التساؤل إلى السعي والعمل من أجل الوصول إلى واقع تلك الشعوب المتقدمة، بمختلف الوسائل السلمية، ونراهن على تنامي هذا الوعي. وإن كان هناك من يخشى تراجع الأوضاع إلى نقطة الصفر لدى الشعوب، فإن هذا غير وارد، فلا يمكن أن ترجع الأمور إلى سابق عهدها؛ لأن الناس أبصرت واقعها وبدأت ترى الحقائق كما هي.

وإلى جانب الرهان على وعي الشعوب، يمكن الرهان كذلك على حركة التاريخ. فطبيعة السيرورة التاريخية تمضي قدمًا باتجاه تحرر الإنسانية من الاستبداد السياسي،

فقد كانت البشرية تعاني في يوم من الأيام من تفشي العبودية وتجارة الرقيق، فتجاوزت مسيرة البشرية هذا المشكلة، كما تجاوزت حالة الإقطاع، وحالة الاستعمار، وشعوبنا تشهد في هذه المرحلة تجاوز حالة الاستبداد السياسي، التي تجاوزتها أغلب الشعوب على الكرة الأرضية، ولم يبقَ سوى المنطقة العربية والإسلامية التي باتت تشكل حكوماتها المستبدة قلعة الممانعة أمام مسيرة الحرية والتطوير، لكنهم لن يصمدوا طويلًا. إن حركة التاريخ تسير باتجاه التحرر، لذلك ينبغي أن تمتلئ نفوسنا بالثقة والاطمئنان في أن يكون مستقبل الشعوب العربية خيرًا من حاضرها وماضيها إن شاء الله، شريطة الفاعلية والتزام ضوابط التغيير والتطوير.

نسأل الله تعالى أن يصلح ما فسد من أمور المسلمين.

الخطبة الأولى

منابع العظمة المحمدية

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع»[1].

شكّلت المكانة العظيمة التي حظي بها نبينا الأكرم محمد ﷺ حالة فريدة في التاريخ البشري، وللحديث عن منابع العظمة لنبينا محمد ﷺ فإنه يمكننا الحديث عن أربعة منابع أساسية:

المنبع الأول: الاختيار الإلهي

كانت الخاصية الأولى للنبي ﷺ أن اختاره الله واجتباه وقرّبه إليه دون سائر البشر. فكما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون في هذا المجتمع البشري من أبناء آدم قدوات تتكامل فيهم صفات الخير والكمال، وهم الأنبياء والرسل، فهم الشريحة الأكمل من أبناء البشرية، فكل صفات الخير والفضل والكمال تتجسد في حياتهم وسيرتهم، إلا أنه سبحانه فاضل بين هؤلاء الأنبياء أنفسهم في الدرجات والمكانة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وقد شاء الله تعالى أن يكون أفضل هؤلاء الرسل والأنبياء هو نبينا محمد ﷺ.

شاءت الإرادة الإلهية أن يكون النبي الأكرم أفضل خلق الله، حتى بين الأنبياء

(١) مسند أحمد. الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٥٤٠.

أنفسهم، فضلًا عن سائر البشر. وحين يقول ﷺ عن نفسه: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[١]، فإن ذلك لم يكن في مقام الافتخار، وإنما في مورد بيان الحقيقة، وذكر النعمة التي أمره الله تعالى أن يتحدث بها تبعا للآية الكريمة ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، لذلك أبان هذه الحقيقة. فقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم» أي إنه أحب الخلق إلى الله وأفضلهم عنده وأكرمهم عليه، فإذا كان أكرم الناس أتقاهم عند الله وفقًا للآية الكريمة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، فهل هناك من البشر من ينافس رسول الله في تقواه؟، لا شك أنه أتقى الناس، فهو أكرم الناس عند الله تعالى.

إن اختياره ﷺ من قبل الله تعالى دون سائر البشر، ترتب عليه أمور عديدة في الدنيا والآخرة. ومن ذلك ما تحدث عنه ﷺ أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة حينما يبعث الناس، وتشير الروايات إلى أن الأمم من أتباع الأنبياء السابقين يأتون إلى أنبيائهم طالبين منهم الشفاعة عند الله سبحانه وتعالى، من آدم إلى نوح إلى كل الأنبياء، لكن لا يتجرأ حينها أي نبي من الأنبياء على طلب الشفاعة من الله قبل نبينا محمد ﷺ، فهو أول شفيع ومشفع في أمته، وأول من يفتح له باب الجنة، وأول من يدخل الجنة كما ورد عنه ﷺ: «آتي يوم القيامة باب الجنة وأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبل»[٢]. نسأل الله أن يدخلنا الجنة معه بشفاعته.

المنبع الثاني: عظمة الرسالة

شاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل رسالة نبينا الأكرم ﷺ الرسالة الأكمل إلى البشرية. لقد جاء الرسل السابقون لأقوامهم برسالات سماوية، لكن الله تعالى شاء أن يجعل رسالة الإسلام بصيغتها ونسختها التي جاءت على يد رسول الله ﷺ هي

---

(١) بحار الأنوار. ج ١٦، ص ٣٢٥.

(٢) بحار الأنوار. ج ٨، ص ١٩٥.

الرسالة الأكمل التي توجه إلى البشرية، في أفضل أزمنة نضجها وتكاملها. وحينما يقرأ العلماء والمفكرون والقانونيون تشريعات الإسلام في مختلف المجالات، يدركون سرّ عظمة هذه الرسالة الخالدة، التي تأخذ بعين الاعتبار مختلف جوانب ونواحي الإنسان، فهذه الرسالة تهتم بالروح كما تهتم بالجسد، وتأخذ بالدنيا ولا تنسى الآخرة، وتعير العقل أيما اهتمام دون إغفال للعاطفة، علاوة على الاهتمام بالذات والآخرين، فهي رسالة التكامل والتوازن، والرسالة التي تصلح للإنسان في كل الأزمنة والأمكنة حينما يفهمها الإنسان حق فهمها.

المنبع الثالث: سمو الأخلاق

لقد تميز النبي ﷺ بأروع الأخلاق، وأنبل السلوك، وسط مجتمع مفكك جاهلي، سمته القسوة والعنف والعداوة. ولعلها القيمة الأسمى لهذه الأخلاق التي تحلى بها رسول الله ﷺ، أنها برزت في قوم كانوا يعيشون في بؤرة التخلف وقاع الانحطاط، وكانوا يعيشون الجفاء والجفاف، وكانت حياتهم شقية تعيسة، وقد تعامل رسول الله ﷺ مع هؤلاء الناس على ما هم عليه من القسوة والجفاء والجفاف، بأروع خلق وأنبل سلوك، لينتشلهم وينقذهم، حتى إن الله تعالى حينما أراد أن يثني على نبيه ﷺ وأن يذكر أهم صفة في سيرته، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

لقد مثل النبي ﷺ حالة فريدة نادرة، في مجتمع جاهلي متخلف. إذ من المعروف عندما يعيش الإنسان في مجتمع له مستوى من التحضر والأخلاق العامة، فسينعكس ذلك على أخلاقه وسلوكه، والعكس بالعكس. لقد اتسم مجتمع الجاهلية بالقسوة البالغة عند الناس تجاه بعضهم بعضًا، على المستوى الفردي أو المجتمعي، من حيث تفشي الحروب والغزو والاقتتال، فقد كانوا يعيشون أشبه بحياة الغابة، فالقوي فيهم كان يأكل الضعيف، والتعاطي بينهم في منتهى الفظاظة والغلظة، ويأتي رسول الله ﷺ فيرسي بينهم تعاملًا أخلاقيًا ونبلًا رفيعًا قلّ نظيره، بالرغم من سيل الاتهامات وكيل الشتائم التي نالها منهم.

ففي ذهابه ﷺ من مكة المكرمة إلى الطائف كانوا ـ أهل الطائف ـ يؤذونه، حتى لم تبقَ إساءة لم ينلها منهم، من سبّ وشتم، كان أطفالهم وسفاؤهم يمشون خلفه وهم يقولون ساحر، كذاب، مجنون، وكانوا يقذفونه بالحجارة حتى أدميت قدماه، وأصابه التعب الشديد، فلجأ إلى بستان ليستريح، وفي ذلك الوضع، وهو على تلك الحالة المزرية، تهبط عليه ملائكة الله فيخاطبه ملك الجبال: «إن الله أمرني ألّا أفعل شيئًا إلّا بأمرك إن شئت دمدمت عليهم الجبال، وإن شئت رميتهم بالحصباء، وإن شئت خسفت بهم الأرض، قال: يا ملك الجبال، فإني أأني بهم لعله إن يخرج منهم ذرية يقولوا لا إله إلا الله، فقال ملك الجبال: أنت كما سمّاك ربك رؤوف رحيم»[1] وجاءته ملائكة الرياح والمطر ومختلف القوى التي بها يسير الله الكون والحياة، ولكنه ﷺ وبرغم ما أصابه من المشركين من الألم النفسي والجسدي، تسامى على آلامه وجراحاته، ورفع بصره إلى السماء، وبدلًا من أن يدعو عليهم، دعا لهم بقوله ﷺ: «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[2]، فأي نفس هذه النفس، وأي خلق هذا الخلق؟.

لقد برز الخلق النبوي النبيل في أعظم تجلياته عند تعامله مع ألد أعدائه الذين طالما حاربوه وقتلوا خلص أصحابه. فبالرغم من الحروب والمعاناة التي عاناها من قريش، فإذا به يجمعهم يوم دخل مكة فاتحًا وخاطبهم بقوله: ما تروني فاعلًا بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فبادرهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء[3].

بل إن أحد أبرز أعدائه وهو أبو سفيان جاءه يقول: يا رسول الله، لقد عفوت عن الجميع وأنا واحد منهم، ولكن لأنني بارز في قومي أريد ميزة منك يا رسول الله، فإذا به ﷺ يتجاهل كل ما صنعه أبو سفيان من مساوئ، ويقول: ألا ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. وهكذا الحال مع عبدالله بن أبي، رأس النفاق في المدينة، الذي فعل ما فعل تجاه رسول الله ﷺ، وعندما حضره الموت طلب من رسول الله قميصه حتى

(١) الدر المنثور. ج ٣، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧.
(٢) تفسير الرازي. ج ١، ص ٢٥٥.
(٣) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٥٢.

يكفن به، ولم يقبل بالقميص الخارجي، بل طلب القميص الذي يلاصق جسم رسول الله ﷺ، فيلبي له الرسول حاجته. هذه هي الأخلاق العظيمة الفاضلة التي استطاع من خلالها النبي ﷺ أن يغير وجه التاريخ.

المنبع الرابع: الإنجاز الكبير

لقد حقق النبي ﷺ في زمن قياسي ما اعتبر الإنجاز الأكبر في التاريخ. ولقد أدهش ذلك الإنجاز المفكرين والباحثين في حياة رسول الله ﷺ، لذلك وجدنا أن باحثًا أمريكيًا وهو الدكتور مايكل هارت حينما كتب كتابه سنة ١٩٧٨م عن المئة الأوائل في تاريخ البشرية، وضمنه أنبياء وفلاسفة وعلماء ومخترعين وقادة سياسيين، فإنه فاجأ الجميع بأن وضع على رأس القائمة اسم نبينا محمد ﷺ. فما الذي دفع هذا الرجل الأمريكي المسيحي أن يجعل هذه الشخصية العظيمة لنبينا على رأس القائمة؟

دعونا نقرأ ما يقول هذا الباحث في مقدمة كتابه: (إن اختيار المؤلف لمحمد ليكون على رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيرًا من القراء إلى حد أنه قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقاد المؤلف أن محمدًا ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي). ويضيف الباحث: «لقد أسس ونشر محمد أحد أعظم الأديان في العالم وأصبح أحد أبرز الزعماء السياسيين العظام، وفي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرنًا تقريبًا على وفاته، فإن تأثيره لا يزال قويًا وعارمًا».

هذه بعض منابع العظمة في سيرة رسول الله ﷺ.

إننا وحين تمرّ علينا ذكرى ميلاده الشريف يجب أن نؤكد أربعة أمور:

أولًا: ضرورة القراءة المتجددة لسيرته. وحينما نقرأ سيرة رسول الله ﷺ في هذا العصر فسوف نكتشف ما لم يكتشفه العلماء السابقون، أن علينا نعيد قراءة سيرته ﷺ على نحو متجدد ومنفتح على روح العصر الذي نعيش، كما قرأها

من سبقنا بأزمان طويلة وفقًا لعصورهم وظروفهم.

ثانيًا: تربية الأجيال من أبنائنا على هديه وسيرته. ما أروع أن يحفظ الإنسان بعض القصص من سيرة رسول الله ﷺ وهي كثيرة لكي يتحدث عنها مع أبنائه وعياله، فمن حق أبنائنا الذين ينفتحون الآن على ألوان القصص وبمختلف الأساليب، من حقهم علينا ومن حق نبينا علينا، أن نربيهم على قصص السيرة النبوية وعلى أحداث السيرة.

ثالثاً: الاقتداء بهديه والتزام رسالته. فلا يكفي أن نعجب بسيرة الرسول ﷺ وننبهر بسيرته، وإنما واجبنا إطاعته تبعًا لآي الذكر الحكيم ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾، فهو ﷺ أسوة لنا كما ورد في الآية الكريمة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

رابعًا: إيصال رسالته وهديه للعالم. إن من المؤلم والمؤسف، أن نشهد في خضم احتفالات الأمة بمولده الطاهر ﷺ، انبراء أحد المراهقين من بلاد الحرمين، ومن البقعة التي ولد فيها رسول لله ﷺ، ليقول كلامًا سيئًا مشينًا فيه اجتراء على الذات الإلهية، وعلى شخصية رسول الله ﷺ، ليشغل بذلك الرأي العام.

إننا نتحمل جميعًا المسؤولية عن بروز مثل هذه الحالات المسيئة للمقدسات في مجتمعنا المسلم. علينا أن نكون حذرين حتى لا يقع أبناؤنا في مثل هذه المطبات، فالمطلوب هو توعية أبنائنا بحقيقة الدين بالدرجة الأولى، ومن ثم يعيشون التطبيق الصحيح والسليم للدين، ذلك لأن بعض الشباب حين يرى تطبيقًا سيئًا لممارسات دينية، فإنهم سيسيئون فهم الدين، وقد يولِّد عندهم ردة فعل تجاه الدين بأكمله. نحن مطالبون بتوفير بيئة دينية صحيحة ينشأ فيها أبناؤنا حتى يعوا حقيقة دينهم.

نسأل الله تعالى أن يبارك للمسلمين وللبشرية أجمع ميلاد رسول الله ﷺ وأن يجعلنا من السائرين على نهج رسول الله والمشمولين بشفاعته.

الخطبة الثانية

كرامة الإنسان في الهدي النبوي

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما شيء أكرم على الله من ابن آدم»[1].

إن الميزة الأساس لرسالة نبينا محمد ﷺ هي أنها أعادت الاعتبار لقيمة وكرامة الإنسان. فقد كان الإنسان طوال التاريخ مسحوق الكرامة، مهدور الحقوق والقيمة، حتى بلغت البشرية إلى الحضيض، خاصة في القرنين السادس والسابع الميلاديين، ففي هذين القرنين ابتعدت البشرية عن رسالات الأنبياء السابقين، وساد فيها الظلم والجور والفساد، فامتهنت كرامة الإنسان، بل لم يكن للإنسان حينها قيمة تذكر في تلك المجتمعات، ولو قرأنا التاريخ لرأينا إلى أي مدى من الشقاء بلغه الإنسان في مختلف الشعوب والأصقاع.

الإنسان بداية

لقد جاء نبينا محمد ﷺ لينقذ إنسانية الإنسان، ويبرز قيمته، ويعزز كرامته، فكانت نقطة البداية التي سلكها رسول الله ﷺ هي تعريف الإنسان بنفسه، وتحفيزه لاستعادة حقوقه، فلا يجدي أن تخاطب الظالمين بأن يحترموا حقوق الإنسان، بل المطلوب أولًا أن يشعر الإنسان نفسه بحقوقه، ويتحفز للمطالبة بها؛ لأن السلطات التي كانت تسيطر على العالم آنذاك ما كانت لتسمع موعظة، وإنما كانت تريد ممارسة الهيمنة

(١) كنز العمال. ج ١٢، ص ١٩٢، حديث٣٤٦٢١.

على الناس، فالطاغي المستبد غير مستعدّ لأن يسمع المواعظ؛ لأن فعل الاستبداد بات متأصلًا في نفسه حتى احترف الهيمنة على الناس. من هنا أخذت رسالة نبينا محمد ﷺ سمتها الأبرز في إعادة الاعتبار لإنسانية الإنسان وكرامة البشر.

لقد بدأ الرسول ﷺ بالإنسان نفسه، فخاطبه بأن اعرف قيمتك وكرامتك، واسعَ لحماية حقوقك. ولهذا سارعت الفئات المهيمنة في قريش حينها لاتهام النبي بمختلف التهم، وشكوه لعمه أبي طالب عليه السلام فقالوا: إن ابن اخيك قد أفسد شبابنا. إن معنى إفساد النبي للشباب بنظر تلك الطغمة هو أنه ﷺ دفعهم للتمرد على الاستبداد والهيمنة الظالمة، بينما كان أولئك يريدون بقاء الناس تحت هيمنتهم.

جاء الإسلام ليخاطب الإنسان نفسه حتى يعرف قيمته، وورد في آيات القرآن الكريم خطاب مباشر له: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، إن الآية الكريمة تخاطب الإنسان بالقول؛ أيها الإنسان إنك كريم على الله، ولا يصح لك أن تقبل حياة الذلّ والهوان، وتشير آية أخرى إلى أن خلق الله للإنسان بمنزلة التتويج لزعامته ولخلافته لله تعالى في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ۞ فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾. وورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «إن الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلًا بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة»[١]. إن على الإنسان أن يعرف مكانته عند ربه، وهذا رسول الله ﷺ يقول: «ما شيء أكرم على الله من ابن آدم» ولفظ (ابن آدم) ينطبق على كل إنسان مهمًا كان لونه ودينه كبيرًا كان أو صغيرًا.

فكانت البداية من تعريف الإنسان بنفسه ومكانته وكرامته، هذا ما تؤكده مختلف

---

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٣، ص ٢٩٨.

النصوص الدينية.

محورية حقوق الإنسان

إن التشريعات التي جاء بها النبي ﷺ جعلت محورية حقوق الإنسان وكرامته فوق كل اعتبار. فكل التشريعات الإسلامية انصبت في خدمة ومصلحة الإنسان، فكان أبغض شيء في الإسلام هو الاعتداء على حقوق الإنسان. ولقد أكدت النصوص الدينية إمكانية أن يغفر الله لمن يعتدي على حقوقه تعالى ويتجاوز بعض نواهيه سبحانه، لكنه تعالى في مقابل ذلك لا يغفر الاعتداء على شيء من حقوق الإنسان. ورد عن رسول الله ﷺ: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يترك الله منه شيئًا: فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك وقال ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضًا حتى يدين لبعضهم من بعض»[1]. إن الله لا يسمح ولا يقبل بالاعتداء على أيّ أحدٍ كان، ولا أن تنتهك حقوق الإنسان على أيّ نحو من الأنحاء.

العيش المشترك

لقد جعل النبي ﷺ على سلم أولوياته تربية الناس وتثقيفهم حتى يحترموا بعضهم بعضًا. ولعلها أكثر من أن تحصى تلك النصوص الدينية التي تؤكد احترام حقوق الناس، يقول النبي ﷺ: «الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله»[2]، وعنه ﷺ: «خير الناس من ينفع الناس»[3]، وفي رواية ثالثة عنه ﷺ: «أذلّ الناس من أهان

---

(١) تفسير ابن كثير. ج ١، ص ٥٢١.
(٢) الكافي. ج ٢، ص ١٦٤، حديث٦.
(٣) كنز العمال. ج ١٦، ص ١٢٨، حديث ٤٤١٥٤.

الناس»[1]، لاحظوا هنا استخدام النبي لكلمة (الناس) في حديثه، ولم يقل المسلمين أو المؤمنين، ومضمون ذلك أن إهانة أي إنسان وجرح كرامته أمر يغضب الله تعالى.

إن الإسلام يعتبر الاعتداء على حياة إنسان واحد اعتداءً على البشرية جمعاء. وقد ورد في آي الذكر الحكيم ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وهذا ما يبين مكانة الإنسان في الإسلام.

لكننا نأسف لحال المسلمين اليوم أيما أسف، ففي حين يحتفون بذكرى ميلاد رسول الله ﷺ ويتحدثون في إذاعاتهم عن رسالته وتشريعاته، نجدهم في المقابل أبعد ما يكونون عن مقاصد رسالته ﷺ.

إن مقارنة سريعة بين وضع المسلمين وأوضاع الأمم الأخرى تكشف إلى أي مدى بلغت مكانة الإنسان عند تلك الأمم، فالإنسان عندهم أكثر كرامة، وحقوقه مصونة أكثر من نظيره في بلاد تنتمي إلى الإسلام، وهذا شيء مؤلم.

والسؤال هنا، لماذا بلغت مراعاة حقوق الإنسان هذا المستوى الكبير في الدول الأخرى، حتى إن الإساءة لإنسان أو مقتله يحدث ضجة كبرى، وتقوم الدنيا ولا تقعد، وقد يتسبب في إسقاط حكومة بلاده، أما في بلاد المسلمين فقد أصبح الدم رخيصًا، وحقوق الإنسان منتهكة، وحينما تقلب النظر في بلاد المسلمين فستجد الدماء تسيل في أكثر من بقعة وبلد، وقد ملئت السجون بالمعتقلين، و لا يزال التعذيب أمرًا شائعًا بحق السجناء، ولا تزال حقوق الناس منتهكة. أليس مخجلًا ومعيبًا أن نتباهى بالإسلام بينما يعيش الإنسان في بلادنا هذا الهدر والسحق لكرامته وحقوقه!

إننا ندين كل هذه الانحرافات عن منهج الإسلام في انتهاك حقوق الإنسان.

وقد كنا في القطيف نأمل أن نحتفي بذكرى المولد النبوي الشريف بالسرور والفرح والمهرجانات التي ألفناها كل عام، ولكن للأسف الشديد استقبلنا هذه المناسبة بإراقة

---

(١) بحار الأنوار. ج ٧٢، ص ١٤٢، حديث٢.

دماء زكية من أبنائنا وشبابنا. لماذا تراق الدماء وتزهق الأرواح؟. إننا كما أدنا سابقًا استخدام العنف من أي جهة وطرف، تجاه الناس أو تجاه قوات الأمن، فإننا نعرب عن إدانتنا لما حصل في القطيف بالأمس حيث راح شاب ضحية إطلاق نار.

إن سقوط القتلى والجرحى لا يحل المشكلة، بل يزيدها تفاقمًا، فحتى الدول التي تريد تفريق التجمعات والمظاهرات تحرص على عدم استخدام القوة والاستفادة من الوسائل المختلفة تجنبًا لإراقة الدماء، فلماذا الاستهانة بدماء الناس؟.

إننا ندين ما حدث ونطالب كما طالبنا سابقًا بالتحقيق في حوادث إطلاق النار، وبوضع حدٍّ لما يجري، ولا يصح أن يترك الأمر للانفعالات والحالات الارتجالية لبعض العناصر.

نسأل الله أن يصلح ما فسد من أمور المسلمين، وأن يتغمد أرواح الشهداء بالمغفرة والرحمة، وأن يمنّ على الجرحى بالصحة والعافية وأن يحفظ المواطنين جميعًا. وأن يحفظ المسلمين في كل مكان من البغي والظلم والعدوان.

حسن الاستقبال

الخطبة الأولى

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كلُّ معروفٍ صدقةٌ وإن من المعروفِ أن تَلْقى أخاك بوجهٍ طَلْقٍ»[1].

تولي الآداب الإسلامية أهمية قصوى لمسألة التحية وحسن استقبال الآخرين. ذلك أنه حين يلتقي الإنسان أخاه الإنسان فهو لا يقابل كتلة صماء جامدة، وإنما يقابل إنسانًا ملؤه الأحاسيس والمشاعر التي تستوجب المراعاة وإبداء الاهتمام، بانشراح صدر وطلاقة وجه.

وقد أشارت كثير من النصوص الدينية إلى أن مشاعر الإنسان تنعكس حتمًا على قسمات وجهه، فإذا كان غاضبًا بان ذلك في وجهه، وكذلك الأمر إن كان غير مبال بالطرف الآخر. لذلك أكدت كثير من تلك النصوص لقاء المرء بالآخرين بوجه طلق، فتلك صدقة ومعروف لا يقلّ عن التصدق بالمال.

إبداء الاهتمام والاحترام

وقد ورد التأكيد في الشريعة باستمرار على إبداء التحية وإبراز الاهتمام عند لقاء أي إنسان كان. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا

(١) سنن الترمذي، حديث ١٩٧٠.

تجيبوه»[(١)]، وكان رسول الله ﷺ يسلم على الأطفال والفتيان، بل ينبغي للإنسان إذا دخل منزله أن يلقي التحية على أهله، كما يقول تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية «هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثم يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم»[(٢)].

إن التساهل في إبداء طلاقة الوجه والبشاشة أمام الآخرين قد يكون سببًا لخسارة مكاسب كبير. ورد عن جرير بن عبدالله البجلي «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي»[(٣)]. وورد أنه ﷺ كان أكثر الناس تبسمًا وضحكًا في وجوه أصحابه وإعجابًا بما تحدثوا به، وذلك لشدة ما يبديه من اهتمام بحديثهم. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ خاطب ذات يوم أسرته بني عبد المطلب قائلًا: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه، وحسن البشر»[(٤)]، وورد عنه ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق»[(٥)]، وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أتى رسول الله رجلٌ فقال: يا رسول الله، أوصني: فكان فيما أوصاه: ألق أخاك بوجه منبسط»[(٦)]، وفي رواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام لفت فيها النظر إلى أن المرء عندما يلقى أخاه بوجه طلق فإنه يكسب دون أن يصرف شيئًا، يقول عليه السلام: «البِشْرُ ابتداء صنيعة بغير مؤونة»[(٧)]، أي كأنه بادر إلى صنع جميل على الطرف الآخر.

إن على المرء أن يعوّد نفسه ايلاء الاهتمام بالآخرين. ولعلّ هذا ما يضع علامة

---

(١) الكافي. ج٢، ص٦٤٥، حديث٢.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٨١، حديث٢.
(٣) البخاري. ج٧، ص٩٤.
(٤) الكافي. ج٢، ص١٠٣، حديث١.
(٥) مستدرك الوسائل. ج١٢، ص٣٤٤، حديث٢٠.
(٦) الكافي. ج٢، ص١٠٣ حديث٣.
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٢٠، حكمة٢٧٢.

سلوكية فارقة بين الناس، فبعض الناس لديه هذه العادة الطيبة التي يُشعر من خلالها الآخرين باهتمامه الكبير بهم، فيما آخرون لا يستنكفون عن التعاطي مع الناس بفتور ودرجة أدنى من الاهتمام، أما الصنف الثالث فهم أولئك الذين لا يجدون حرجًا في مواجهة الآخرين بوجه مكفهر. فطريقة التعاطي مع الناس وإيلاء الاهتمام بهم إنما هي عادة يختارها المرء عن قصد.

خلفية الاهتمام بالناس

ولعل هناك باعثين يدفعان المرء نحو حسن استقبال الآخرين، يتمثلان في سلامة النفس وامتلاك الوعي. إذ تشير النصوص الدينية إلى أن سلامة نفس الإنسان تمثل أساسًا صلبًا لحسن علاقة المرء بنظرائه البشر، فالنفس الخالية من العقد عادة ما تبدي الاهتمام بالآخرين، وعلى النقيض من ذلك أولئك الذين امتلأت نفوسهم بالعقد، فإنهم غالبًا ما ينظرون للآخرين باحتقار وترفع. يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا الصدد: «الطلاقة شيمة الحر»[1]، ويعني بالحر تلك النفس المتحررة من العقد، ويقول عليه السلام: «بشرك يدل على كرم نفسك»[2].

أما الباعث الآخر فهو الوعي، وذلك بأن يعي المرء أهمية العلاقات الإنسانية، فمن يعي ذلك سيولي اهتمامًا عظيمًا بالآخرين، ويحرص على الظهور بشوشًا، طلق الوجه في تعامله معهم. يقول الإمام علي عليه السلام: «من الدهاء حسن اللقاء»[3]، ويعني الإمام عليه السلام بذلك بأن من ذكاء المرء أن يكون حسنًا في لقائه مع الآخرين.

حينما يعوّد الإنسان نفسه هذه العادة الحسنة فإنه سينجح في علاقته مع الآخرين، فهذا الأمر داخل في باب الاكتساب والتطبع، فعلى المرء أن يعوّد نفسه كيفية التعامل

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٤٣، حكمة ١١٩٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.ص١٧١، حكمة ٢٢.

(٣) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص٨٦.

الحسن مع الآخرين، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا، صديقًا أو خادمًا أو أيًّا كان، إذ لا ينبغي بأيّ حال أن يسلك سلوك الغاضب المتجبر، حتى في تعاطيه مع عائلته وأهل بيته، أو مع الضعفاء من خدمه والعاملين تحت يده. فسلامة النفس وامتلاك الوعي كفيلان بوضع الأسس الصلبة لعلاقة صحية مع الآخرين تبدأ من فن التعامل معهم.

ثمار الاستقبال الحسن

إن استقبال الآخرين على نحو حسن فيه كثير من الفوائد الدينية والدنيوية لعل من أبرزها ما يلي:

كسب رضا الله

إن من أول فوائد حسن استقبال الآخرين هو كسب رضا الله واجتناب غضبه. فكما يتطلع المرء لاكتساب الأجر من الله حين يصلي ويصوم ويؤدي العبادات، فإن في التعامل الحسن مع الآخرين أجرًا يعادل ما تحصل عليه من أداء نوافل العبادات، ولربما فاق ذلك بأضعاف. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاث من أتى الله بواحدة منهن أوجب الله له الجنة: الإنفاق من إقتار، البشر لجميع العالم، والإنصاف من نفسه»[1].

ولعل السؤال هنا؛ إذا كانت البشاشة في وجوه الآخرين من موجبات الجنة، فماذا تخسر أيها الإنسان إذا لقيت الناس بوجه طلق؟. إن من المستغرب أن بعض الناس لا تكاد تجود نفسه بالبسمة في وجوه الناس، ويبخل بانفراج أساريره معهم، كما لو كانت هذه البسمة باهظة الثمن ويصعب عليه أن يعطيها لأي شخص!. كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن الله يبغض المعبس في وجه إخوانه»[2]، وعن علي عليه السلام: «إذا لقيتم إخوانكم

---

(١) الكافي. ج٢، ص١٠٣، حديث٢.

(٢) مستدرك الوسائل. ج٨، ص٣٢١، حديث١.

فتصافحوا وأظهروا لهم البشاشة والبشر، تتفرقوا وما عليكم من الأوزار قد ذهب»[١]. فاستقبال الآخرين على نحو حسن هو مدعاة لرضا الله سبحانه وتعالى.

كسب القلوب

إن من النتائج المباشرة لحسن استقبال الآخرين، كسب قلوبهم، والتأسيس لعلاقة ناجحة معهم. يروي الإمام الصادق ﵇ عن جده النبي ﷺ أنه قال: «حسن البشر يذهب بالسخيمة»[٢]، أي البغضاء. ويقول علي ﵇: «البشاشة فخ المودة»[٣]، فكما تنصب فخاخًا لاصطياد الطيور، فإن البشاشة بمنزلة الفخاخ المخصصة للظفر بودّ الآخرين، وهذا يشمل جميع المحيطين بنا أيًا كانوا، ابتداء من أفراد العائلة، وبحسب الرواية عن علي ﵇: «وَ لَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ»[٤]، وانتهاء بآخر من تتعاطى معهم من عامة الناس. فحسن الاستقبال والبشاشة والوجه الطلق مدعاة لكسب قلوب الناس على أي حال.

وتتأكد أهمية التحلي بالبشاشة وطلاقة الوجه حينما يكون المرء في موضع حاجة الآخرين. كأن يكون مسؤولًا أو موظفًا في أي مجال من المجالات الخدمية، التي تتطلب التواضع لخدمة المراجعين، فهناك يتجلى بوضوح سلوك الموظف الحرّ صاحب النفس المتحررة من العقد، الذي يستقبل المراجعين بترحاب واهتمام، فيما قد يكون هناك موظف آخر لا يكاد يرفع رأسه لاستقبال المراجعين، فلا يرد السلام ولا يبدي الاهتمام، وبالكاد يرد عليهم جوابًا.

ويحضرني هنا ما كتبه إليَّ أحد الطلاب المبتعثين للدراسة في الولايات المتحدة، حين أشار إلى أن أهم ما لفت نظره في تلك البلاد، هو أن غالب من تعامل معهم

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٢، ص٢٢٥، حديث٨.

(٢) الكافي. ج٢، ص١٠٤، حديث٦.

(٣) بحار الأنوار. ج٧٥، ص٣٩.

(٤) نهج البلاغة. كتاب ٣١.

أشعروه بالاهتمام البالغ، وحين راجع المستشفى شعر باهتمام الجميع به، بدءًا من موظفي الاستقبال مرورًا بتعاطي جميع طاقم المستشفى، وصولًا لتعامل الطبيب المعالج. ولعلّ تعاملًا حسنًا من هذا القبيل، مفيد بالدرجة الأساس في تحقيق أول العلاج، بخلاف من يستقبلك بغضب وضيق صدر، فإنه قد يضاعف عليك المرض.

وهكذا الحال في طريقة الاستقبال لدى جميع المرافق العامة، ومنها المطارات مثلًا، فكثيرًا ما يتحدث العائدون من السفر إلى بلادهم عن انطباعاتهم الإيجابية أو السلبية إزاء استقبال موظفي الجوازات أو الجمارك لهم، فبعض هؤلاء الموظفين أحرار وعندهم درجة عالية من التربية والأخلاق، فتجدهم يرحبون بالقادمين، فيما يصرّ البعض الآخر على استقبال الناس بوجه مكفهر مغضب، فلنا أن نتساءل حينها عن ردة فعل هذا القادم وهو يرى أن أول من يستقبله في البلد بهذا الجفاء والجفاف، والأدهى من ذلك إذا كان القادم من غير مواطني البلاد، فلك أن تتخيل الانطباع الذي سيتركه هذا الموظف لدى هذا الزائر، وأي صورة سيعكسها عن صورة البلد. إن على الإنسان أن يشعر الآخرين، أيًا كانوا، باهتمامه بهم.

لا عذر لسوء الخلق

إن على الإنسان المسلم أن يدرّب نفسه على حسن استقبال الناس في جميع الأحوال تأسيًا بسيرة النبي ﷺ. وحتى لو كان الشخص يعاني من مشكلة أو مرض يؤثر على مزاجه، فهذا ليس عذرًا لسوء الخلق مع الآخرين، وكما في الحديث «المؤمن حزنه في قلبه وبشره في وجهه»[١]. فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام يصف خلق رسول الله ﷺ بالقول: «كان يعطي كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب أحد من جلسائه أن أحدًا أكرم عليه منه»[٢] فكل شخص يشعر مع رسول الله أنه أهم شخص عنده ﷺ، بخلاف

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٥، ص٧٣، حديث٤١.

(٢) مستدرك الوسائل. ج٨، ص٤٣٨، حديث١.

ما تراه عند البعض، فقد يسلم عليك ولكنه يبقى مشغولًا بأمر آخر كالعبث بهاتفه الجوال مثلًا، وهذا ليس من الخلق القويم، فكل من جالس الرسول ﷺ صار جليسه حتى يكون الآخر هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، ومن يتحدث معه ﷺ يترك له النبي العنان مهما طال حديثه فلا يقطع عليه حديثه، ورد عن أنس بن مالك أنه قال: «أُقيمَتِ الصلاةُ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُناجي رجلًا في جانبِ المسجدِ، فما قام إلى الصلاةِ حتى نام القومُ»[١].

وعن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه»[٢]، وفي ذلك درس للإمام و المأمومين بأن يتفقدوا من يحضر معهم الصلاة، ويسألوا عمّن يتغيب عنهم، ويبدوا له اهتمامهم، فإن كان غائبًا دعوا له، وإن كان شاهدًا زاروه، وإن كان مريضًا عادوه، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ يقسم لحظاته بين أصحابه ـ أي كان يدير نظره على جميع من يجلس معه ـ فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية (...) وإن كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله ﷺ يده من يديه حتى يكون هو التارك[٣]، و«ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك»[٤].

هكذا ينبغي أن يتأسى المسلم بنبيه، وهكذا ينبغي أن نأخذ بهذه الأخلاق، فنلقى الآخرين بوجه طلق ففي ذلك خير الدنيا والآخرة.

---

(١) صحيح البخاري، ج ١، ص ١٥٨.
(٢) بحار الأنوار. ج١٦، ص٢٣٣.
(٣) الكافي. ج٢، ص٦٧١.
(٤) تفسير القرطبي. ج١٨، ص٢٢٧.

إظهار الكفاءات

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك، ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك ولير عليك أثر ما أنعم الله به عليك»[1].

حبا الله الإنسان بمخزون هائل من المواهب والكفاءات، ودعاه لاكتشافها وتنميتها. فالإنسان مدعو لاكتشاف وتنمية المواهب المكنونة في نفسه، تمامًا على غرار استصلاح الإنسان للأرض من خلال زراعتها والاهتمام بها، كما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك، ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك وليرَ عليك أثر ما أنعم الله به عليك»، ذلك إنما تضيع النعم بتجاهلها وعدم تنميتها.

مسؤوليتنا تجاه المواهب

هناك واجبات إزاء ما منحنا الله من مواهب وكفاءات، ومنها:

الأول: تطوير الكفاءة

ينبغي للمرء أن يجهد في اكتشاف وتطوير الكفاءات والمواهب التي وهبه الله إياها في أيّ مجال من المجالات، أدبية في الشعر أو النثر أو الفن أو التصوير أو الإدارة

(١) نهج البلاغة. كتاب ٦٩.

أو الخطابة..، فإن عليه أن يكتشف هذه المواهب وينميها.

الثاني: إظهار المواهب

لم يمنح الله الإنسان مختلف المواهب ليخفيها عن الناس بل ليظهرها. ثمة نصوص دينية يمكن أن يستوحي منها البعض تشجيع الإنسان على البقاء مغمورًا، بعيدًا عن البروز والسعي للشهرة، ولتوضيح هذا الأمر، ينبغي أن نفهم هذه النصوص ضمن سياقها الطبيعي، وهو رفض التوجه المذموم والسيئ لطلب الشهرة بطرق ملتوية، فالروايات التي تنتقد الغنى واكتساب المال، لا تعني بأي حال حث الإنسان على العيش فقيرًا، بقدر ما هي ضد التوجه السلبي للمال، وضد الحالة السلبية في الغنى. في مقابل ذلك نجد النصوص تشجع الإنسان على إظهار كفاءته، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إظهار النعمة أحب إلى الله من صيانتها»[١]، وعنه عليه السلام: «إني لأكره للرجل أن يكون عليه نعمة من الله فلا يظهرها»[٢].

آثار إظهار النعم والمواهب

أولًا: الاستجابة لأمر الله، فإظهار النعم والمواهب يعني الاستجابة لأمر الله تعالى، فهو سبحانه كما أمرك بالصلاة والعبادات أمرك أن تظهر نعمه عليك ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

ثانيًا: إفادة الناس، لأنه بقدر ما يظهر المرء من كفاءة فإنه يفسح بذلك المجال لكي يستفيد الناس من كفاءته.

ثالثًا: تبادل التجارب، فبقدر ما يبدي المرء من جهد وقدرات، كما يفعل نظراؤه في الطرف المقابل، فإن مؤدى ذلك أن يكون هناك تبادل للتجارب والخبرات والكفاءات، وهذا بطبيعة الحال مما يساهم في تطور المجتمع.

---

(١) الكافي. ج٦، ص٤٤٠، حديث١٥.

(٢) الكافي. ج ٦، ص ٤٣٩، حديث٩.

رابعًا: تشجيع التنافس الإيجابي.

خامسًا: بروز الكفاءات في أي مجتمع هو مكسب للهوية الاجتماعية. ذلك أن بروز صاحب الكفاءة المنتمي إلى أي مجتمع إنما يعزز بذلك موقعية مجتمعه على نحو أو آخر، فالناس حين تشيد بالأوطان والمجتمعات إنما تشيد بالكفاءات التي تزخر بها تلك المجتمعات. يذكر في هذا السياق قول الامام الباقر ﵇ لتلميذه أبان بن تغلب: «اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فإني أحب أن أرى في شيعتي مثلك»[١]. ولعل هدف الإمام ﵇ أن يرى الناس أن لهذه الجماعة وهذا المذهب كفاءات وقدرات يستفيد منها كل المجتمع المسلم. إن هذا الخطاب موجه في الحقيقة لكل مؤمن وفي كل عصر ومجتمع.

الحضور في ساحات التخصص

إن على ذوي الكفاءة أن ينخرطوا في التجمعات المناسبة لكفاءاتهم. فعالم اليوم يزخر بالمؤسسات التخصصية، والتجمعات النوعية، التي تشكل بطبيعة الحال ساحات تلتقي فيها المواهب والقدرات، لذلك يتوجب على ذوي المواهب أن يبحثوا عن تلك الساحات وينتموا إليها، ليس على المستوى الوطني فحسب، وإنما التطلع للعالمية كذلك. فليفتش ذو الميول الأدبية عن المؤسسات والتجمعات الأدبية في منطقته وإقليمه وفي كل العالم وينتمي إليها، ولا ينبغي أن ينطوي في حدود قريته وأصحابه، وعلى غرار ذلك فليفعل من عنده كفاءة فنية، وذلك بالانتماء والحصول على العضويات أو الاشتراك في المسابقات وما شابه.

ينبغي أن نسجل حضورنا في كل مجال. تنتشر في بلدنا وفي كل مكان في العالم شتى أصناف الجمعيات التخصصية للمؤرخين والمهندسين والمحاسبين والأطباء

(١) وسائل الشيعة، ج ٣٠، ص ٢٩١.

والفنانين والأدباء وغيرها، فعلى من لديه موهبة وقدرة في أي مجال أن يسعى ليظهرها هناك، فالمكان الطبيعي لبروز الكفاءة هو في إطارها وساحتها التخصصية. لا ينبغي أن نكتفي بالمجال الوطني فهناك الآن مؤسسات عالمية في كل مجال من المجالات، والطاقات المحلية مدعوة للانفتاح على تلك المنظمات في الساحة العالمية. وخير مثال على ذلك حين انضمت إحدى الطاقات المحلية المتخصصة في مجال هندسة البترول إلى جمعية مهندسي البترول العالمية وهو الدكتور عبد الجليل الخليفة من الأحساء، وهي جمعية عالمية تضم ٧٥ ألف عضو، وخاض الانتخابات الرئاسية للجمعية فأصبح أول رئيس لتلك الجمعية من قارتي آسيا وأفريقيا. وهذا بلا شك إعزاز للوطن والانتماء الذي ينتمي إليه.

لا للانطواء والانكفاء

هناك للأسف حالة من الانكفاء والانطواء على الذات والمحيط الضيق تنتاب بعض ذوي الكفاءة. وذلك إما بسبب الكسل وعدم الرغبة، أو التهرب من تحمل المزيد من المسؤوليات المترتبة على العضويات في تلك التجمعات التخصصية وغيرها. والأسوأ من ذلك هو ما ينتاب البعض من أوهام حول عدم قبول الآخرين به، وأنهم لن يفسحوا له المجال، إما بسبب تشكيكه في قدراته، أو لوجود حواجز اجتماعية، عرقية أو مذهبية، إن هذه الأعذار في معظمها ليست سوى أوهام لا حقيقة لوجودها، ولو فرضنا أن الآخرين لا يرحبون بانضمام الكفاءات من هذا الدين والمذهب لسبب أو لآخر، فلا بُدّ من أن يفرض ذوو الكفاءة أنفسهم من خلال كفاءاتهم، وإصرارهم على انتزاع مواقعهم.

قبل أيام شارك بعض شباب المنطقة من جمعية الخط العربي في القطيف في مسابقة على المستوى الوطني، فكان نصيب أعضاء الجمعية من جوائز المسابقة إحدى عشرة جائزة من أصل أربع عشرة، وهذا أمر يسرّ القلب ويرفع المعنويات ويبرز

القدرات التي يزخر بها المجتمع، كما أنه تنافس إيجابي، لذا ينبغي لأبناء المجتمع أن يهتموا بإظهار كفاءاتهم من أجل أن يخدموا الناس، فزكاة العلم بذله.

ينبغي أن ننأى بأنفسنا عن حالة التردد في اقتحام ساحات التنافس في كل مجال. ومما يؤسف عليه أن تجد في بعض الأحيان بعض المواهب الشابة من كتاب المقالات على الإنترنت على سبيل المثال، تجدهم يهابون من نشر مقالاتهم في الصحف والمجلات المحلية والإقليمية والدولية، لا لشيء إلا لتردد أو خشية رفض النشر في هذه المطبوعة أو تلك.

المطلوب من جميع الكفاءات أن يقتحموا بلا تردد مختلف الساحات، حتى نثبت حضورنا فيها. ولا ينبغي أن نجعل من الانشغال بمشكلة سياسية أو اجتماعية حاجزًا يمنعنا من إظهار مواهبنا في مكان آخر، فالحياة مسارات متنوعة ولا بُدّ أن نعمل في جميع المسارات. المطلوب أن يتجه المجتمع نحو التفكير باتجاه إبراز كفاءاته وطاقاته في كل مجال فذلك تكليف لكل أفراد المجتمع.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لإظهار نعمه والاستفادة منها والإفادة بها.

الخطبة الأولى

دوافع الإنجاز والتميز

﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[سورة الملك، الآية:٢]

إن صناعة الإنجاز والتميز والعقول المبدعة لا يتأتى عن طريق الصدفة، ولا بضربة حظ. ذلك أنه من بين ملايين البشر الذين عاشوا حياة عادية على كوكبنا ثم رحلوا عن هذه الحياة دون أن يتركوا خلفهم بصمة أو تغيير، برزت في مقابل ذلك قلة من الأفراد في كل عصر، ممن تميزوا بفاعليتهم وإنجازهم، بحيث غيروا وجه مجتمعاتهم بل العالم أجمع، ونقلوا البشرية إلى واقع جديد مختلف، فأصبحت الحياة من بعدهم مختلفة عما قبلهم.

وتنوعت هذه القلة المتميزة من الناس، فكان من بينهم الأنبياء، والقادة الدينيون، والمصلحون الذين عملوا طويلًا في مختلف الأزمنة والعصور على سيادة القيم والمبادئ، وتغيير واقع الضلال والفساد، والانحراف الأخلاقي في مجتمعاتهم، وأبرزهم وأعظمهم نبينا محمد ﷺ، الذي دشن عصرًا جديدًا للبشرية، فأصبحت البشرية من بعده تختلف عن ما قبله.

كما أن هناك القادة السياسيين الإصلاحيين الذين نقلوا أوضاع أممهم إلى واقع أفضل، تحققت فيه قيم العدالة والحرية والتقدم.

وعلى ذات المنوال كان هناك رواد العلم والمعرفة، الذين برعوا في اكتشافاتهم

واختراعاتهم، فغيروا وجه العالم، ليتسنى للبشرية بعدهم أن ترى المصباح الكهربائي، وغزو الفضاء، وتطوير تكنولوجيا الحاسب الآلـي، والإنترنت، وتكنولوجيا الاتصالات، لقد غير جميع ذلك واقع البشرية، فأصبح العالم يعيش وضعًا جديدًا غير الذي كان عليه من قبل، ولملايين السنين.

والحقيقة التي لا يجب أن تغيب عن بالنا هنا؛ هي أن هناك مبدعين ومتميزين وناشطين في الميادين المختلفة، يقفون خلف هذا التقدم الهائل.

والأهم من ذلك كله أن هذه العقول المبدعة لم تأتِ جرّاء الصدفة المحضة.

إن بروز الطاقات المبدعة والمتميزة هو ثمرة طبيعية للجدّ والاجتهاد والعمل. فليس هناك من اختلاف خلقي أو تكويني لدى رواد الإبداع والتأثير عن سائر البشر، وإنما حباهم الله بذات النعم التي أعطاها لكل إنسان في هذه الحياة، والله تعالى يقول: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

لا وجود للصدفة ولا لضربة الحظ في صناعة التميز والإبداع، فقد جعل الله سننًا كونية تحكم الحياة، ففي القرآن الكريم خمس عشرة آية تتحدث عن السنن الإلهية الجارية في المجتمعات البشرية، ومنها الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾، والآية الكريمة: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾، وآية ثالثة: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾. فالمسألة ليست تميزًا تكوينيًا ولا ضربة حظ أو صدفة، وإنما هي جدّ واجتهاد يدفع بالإنسان إلى آفاق أرحب، وبلوغ مستويات متقدمة في التميز والإبداع.

وللتعرف على أهم دوافع الإنجاز والتميز الذي قدمته القلة المتميزة من أبناء البشر، يمكن الإشارة إلى ما يلي:

وعي الإنسان بأهمية وجوده

إن وعي الإنسان بأهمية وجوده في هذه الحياة يشكل أول وأهم دوافع السعي نحو التميز والإبداع. فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان ليأكل ويشرب وينام، كما يقول الشاعر:

إنمـا الدنيـا شـراب وطعـام ومنام   فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

على النقيض من ذلك، يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾. لذلك فالإنسان الذي يعي مهمة وجوده في هذه الحياة يعيش حياة مختلفة ومتقدمة على الآخر الذي لا يعي هدف وجوده. يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، هذه الآية دعوة للإنسان للإنجاز والتميز والإبداع.

وانطلاقًا من آي الذكر الحكيم نجد أن مهمة الإنسان في هذه الدنيا هي عمارة الأرض، إذ يقول تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي طلب منكم عمارتها،، ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، فالكون كله مسخر لكل إنسان، وفي السياق نفسه يقول أمير المؤمنين علي ﷺ: «مَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ، هَمُّهَا عَلَفُهَا،، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا»[1]. نستطيع القول هنا بأن كل المبدعين والمتميزين الذين مروا على هذا العالم كانوا ملتفتين إلى هذا الأمر، ولا يعني ذلك بالضرورة أنهم كانوا قارئين لآيات القرآن الكريم، لكن من المؤكد بأن فطرتهم السليمة وعقلهم السوي هداهم لهذه الحقيقة، وذلك بخلاف أولئك الذين يكتفون بالعيش دون هدف سوى طلب الدعة والراحة. فالمنجزون هم الذين يعون مهمتهم في هذه الحياة، وهي تلك المتمثلة في عمارة الأرض واستثمار خيرات الكون.

---

(١) نهج البلاغة. كتاب ٤٥.

معرفة القدرات الذاتية

يكمن الدافع الثاني للإنجاز والتميز في تشخيص ومعرفة القدرات الذاتية. فالأشخاص ذوي الإنجازات الضخمة هم أولئك الذين يكتشفون ما منحهم الله من طاقات وقدرات، ويمكن القول هنا إن المرء مهما حاول استكشاف قدراته فإنه يبقى قاصرًا عن اكتشاف جميع قدراته وطاقاته الكامنة، ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة في الآية الكريمة: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾. ويبقى الإنسان مدعوًا باستمرار لاستكشاف قدراته؛ لأنها تبقى الدافع الرئيس للإبداع والتميز.

البيئة المشجعة

تمتاز المجتمعات المتقدمة بتوفير البيئة المشجعة على الإنجاز. وتنبع عناصر التشجيع من العائلة أولًا، بأن تربي أبناءها على روحية الإنجاز والإبداع والتطوير، ويأتي بعدها دور مناهج التعليم، وأخيرًا المجتمع الذي يشجع المنتجين والعاملين.

نرى بحمد الله في مجتمعاتنا شبابًا يختزنون الكثير من الطاقات والقدرات، لكن ما ينبغي أن يهتموا به هو التوجه لاستكشاف طاقاتهم وقدراتهم، وعلى المجتمع أن يشجعهم في سعيهم هذا.

حسنًا فعل الإخوة الأعزاء حين أسّسوا مسابقة (جائزة القطيف للإنجاز). فهي مبادرة طيبة رائعة، جزى الله من ابتكرها وأسسها خير الجزاء، وللجائزة لجنة وهيئة منتظمة ولجان تحكيم، وسوف يكون هناك مهرجان لهذه الجائزة في نسختها الثالثة الأسبوع المقبل. وتطلب هذه الجائزة من كل شاب في المحافظة، من كلا الجنسين لديه إنجاز وإبداع في مجال من المجالات، أن يرشح نفسه في فرع من فروع الجائزة، وتعطى للفائز جائزة تقديرية بقيمة عشرة آلاف ريال، وهذا المبلغ وإن كان قليلًا لكن ينبغي النظر للمعنى والمضمون الذي يقف خلف هذه الجائزة، وهو التقدير والإشادة

بالكفاءة، وبلغ المرشحون في مسابقة هذا العام ١٤٦ متسابقًا منهم ٨١ شابًا و ٦٥ شابة، من بينهم ١٩ صبيًا لم تتجاوز أعمارهم ١٤ سنة ممن تقدموا للمنافسة على جوائز المسابقة. مثل هذه الجائزة والمبادرات المشابهة هي ما نعول عليه، وما يمكن أن يصنع بيئة مشجعة للإنجاز، ومحفزة على النمو والتطور.

إن قوة المجتمع في بناء طاقاته وكفاءته، وخاصة في هذا العصر، فهي التي تصنع المستقبل، وتصنع التقدير للمجتمع.

وقد يرى البعض بأن وجود المشاكل تمنع المجتمع من التقدم، لكن الأمر بالعكس من ذلك تمامًا، فالتحديات والعراقيل التي توضع أمام المجتمعات، هي التي ينبغي أن تكون دافعًا للإنجاز والتقدم، تمامًا كما حصل عند اليابانيين والألمان، ومختلف الشعوب، فلا يصح أبدًا أن نتعلل بالمشاكل والتحديات، وإنما ينبغي أن نتخذها دافعًا وسلّمًا للتقدم، وصنع الكفاءات والقدرات، وتنمية المواهب. وكم يفرحنا رؤية أبنائنا يحرزون التقدم في مختلف المجالات، من الفنون والثقافة، والعلم والمعرفة، والعمل التطوعي.

نسأل الله أن يوفق أبناءنا للمزيد من التقدم والإبداع في كل المجالات.

الخطبة الثانية

التناصح السياسي والاجتماعي

﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾
[سورة الأعراف، الآية:٧٩]

ان من نعم الله تعالى على الإنسان أن يهيئ له من ينصحه وينبهه إلى خطئه. ذلك أن كل إنسان مهما بلغ مستواه، وفي أي موقع كان، فهو عرضة للخطأ في عمله وتعامله، وقد يكون منشأ الخطأ بسبب الجهل أو التباس الأمور، أو نتيجة ضغط الأهواء والشهوات، فيقع حينها في الخطأ عامدًا عالمًا. وهناك من لا يلتفت إلى الخطأ الذي هو عليه، بل ويحسب أن عمله صحيحًا، كما يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، لهذا شجع الإسلام على النصيحة، وأن يسود مبدأ التناصح أجواء العلاقة بين أبناء المجتمع المسلم بمختلف شرائحه، داخل العائلة والمجتمع، وبين الرعية والحاكم.

وقد وردت في مجال أهمية النصيحة جملة أحاديث ومرويات عن النبي الأكرم ﷺ. فقد ورد في صحيح مسلم ومصادر مختلفة، عن تميم الداري أن رسول الله ﷺ قال: «الدين النصيحة. قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١]، وورد في كتاب الكافي، عن رسول الله ﷺ: «إن أعظم الناس منزلة عند

(١) صحيح مسلم. ص٤٧، حديث٥٥.

الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه»[١]، وعلى غرار ذلك ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ما أخلص المودة من لم ينصح»[٢]، وقال عليه السلام: «النصيحة من أخلاق الكرام»[٣]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن يحق عليه النصيحة»[٤].

قبول النصيحة

لكن الأهم من ذلك أن يكون لدى الإنسان المتلقي الاستعداد لقبول النصيحة، بمعنى دراسة النصيحة على نحو موضوعي، فليس حتمًا أن كل نصيحة صائبة وصحيحة، لكن لا ينبغي رفضها منذ البدء قبل بحثها وتمحيصها، حتى ترى وجه النصيحة. يعالج الإمام زين العابدين عليه السلام هذا الموضوع في رسالة الحقوق بالقول: «وحق الناصح أن تلين له جناحك، وتصغي إليه بسمعك، فإن أتى بالصواب حمدت الله عز وجل، وإن لم يوفق رحمته ولم تتهمه، وعلمت أنه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك، إلا أن يكون مستحقًا للتهمة».

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «اسمعوا النصيحة ممن أهداها إليكم»[٥]، وورد عنه عليه السلام: «من أكبر التوفيق الأخذ بالنصيحة»[٦]، ويقول كذلك: «مرارة النصح أنفع من حلاوة الغش»[٧]، فقد تؤذيك النصيحة لكونها خلاف موقفك وما تتمناه، ولكنها أفضل من أن يغشك الآخر بكلام معسول وتأييد يشجعك على الاستمرار في الخطأ، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو

(١) الكافي. ج٢، ص٢٠٨، حديث٥.
(٢) مستدرك الوسائل. ج١٢، ص٤٣٢، حديث٧.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٦٨، حكمة ٢١٤١.
(٤) مستدرك الوسائل. ج١٢، ص٤٣٠.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٥٦، حكمة ٨٨.
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٧١، حكمة ١٥.
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٨٨، حكمة ٤٧.

لك غاش»[١].

عوائق قبول النصيحة

يمكن القول إن بروز حالة التعصب لدى بعض الناس هي أبرز عوائق قبول النصيحة. فبعض الناس تعتريه حالة التعصب الأعمى، ما دام قد اتخذ رأيًا وموقفًا في اتجاه معين، فإذا ما جاء من ينصحه فسرعان ما تجده مأخوذًا بالعزة بالإثم كما يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾.

وتنسحب هذه الحالة في أحيان كثيرة على مستوى الخلافات الزوجية والعائلية، فكل طرف يريد من الآخرين أن يصطفوا معه ويؤيدونه حتى لو كان على خطأ، بينما يغضب ممن ينبهه إلى خطئه، فهوى كل طرف من الأطراف ينزع نحو من يؤيده ويصفق له، لا من يدله على الصواب المخالف لرغبته.

كما أن من عوائق قبول النصيحة إحاطة الشخص نفسه بحاشية أو بطانة تزين له سوء عمله، خاصة إذا كان من أهل السلطة والنفوذ، فهذه البطانة تزين له سوء عمله. وينسب القرآن الكريم هذه الحالة للشيطان، ويبدو أن أمثال هؤلاء هم شياطين الإنس، يقول تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وفي آية أخرى ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾، وورد في آية ثالثة ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾.

أما ثالث العوائق المانعة من قبول النصيحة فهو غرور القوة. نتيجة لامتلاك السلطة والنفوذ، فأمثال هؤلاء لا ينتظر أحدهم بل لا يريد الاستماع للنصيحة، بقدر ما يستهويه استخدام القوة والسلطة التي بيده، لكن كل تجارب الماضين تدلّ على أن سلاح القوة ليس هو السلاح الصائب دائمًا وأبدًا.

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٢، ص١٠٣، حديث٣١.

نهج التناصح

إن منطقتنا العربية والاسلامية في أمسّ الحاجة لسيادة مبدأ التناصح. وتنبع الحاجة لهذا المبدأ بصورة أكبر في هذه الظروف الخطيرة التي تمر على منطقتنا، فالمنطقة تمر بمنعطف خطير، وهناك أعداء كثر يتربصون بنا الدوائر، ويريدون لبلاد المسلمين أن تقع في الحروب والفتن والفوضى الخلاقة كما أطلقوا عليها، لكن ذلك لا يعني أن تستمر الأمور على ما هي عليه، فتطورات العالم باتت تفرض كسر حالة الجمود السياسي والاجتماعي السائد، الذي بات لا يتماشى مع حالة التقدم في المجتمعات الأخرى، فكان لا بُدّ وأن تكسر حالة الجمود، وأن يكون هناك تغيير إلى الأفضل، لغرض إنجاز عملية الإصلاح والتغيير في بلاد المسلمين.

ليس من مصلحة بلاد المسلمين أن تستمر الأمور على ما هي عليه من الجمود السياسي والاجتماعي. فالشعوب أصبحت واعية متطلعة، والصحيح أن يكون هناك تداول في الرأي، وانفتاح على المستوى السياسي، للاستفادة من أهل الرأي في كل بلد ومجتمع.

كما أن على أصحاب الرأي أن يجهروا برأيهم، إذا كان فيه مصلحة للوطن، ويجنب البلد الفتن والمشاكل، وينبغي أن يستعد المخلصون في بعض الأحيان لدفع الثمن من راحتهم ومكانتهم نتيجة الجهر بآرائهم، ذلك لأن المصلحة العامة أهم من الأشخاص، ومصلحة الأوطان والمجتمعات أهم من المصلحة والمكانة الشخصية والراحة الذاتية للإنسان.

إن على أصحاب الرأي ألّا يترددوا في الجهر برأيهم الذي يجنب المجتمعات الفتن وسفك الدماء والمشاكل، وعلى الحاكمين والمجتمعات في مقابل ذلك أن تتفاعل مع هذه الدعوات الإصلاحية.

إن اتهام هذا الطرف أو ذاك ليس في مصلحة البلاد، وعلى الحكومات أن تنفتح

على أصحاب الرأي وتصغي للناصحين، وعلى الناصحين المخلصين في مقابل ذلك أن يكونوا واضحين في طرح آرائهم، من أجل أن تتجنب منطقتنا العربية والإسلامية المشاكل، وأن تتجاوز حالة الجمود وتتطور إلى وضع أفضل.

نسأل الله أن يجنب أوطاننا ومجتمعاتنا كل مكروه، وأن يجمع كلمة المسلمين على الخير والصلاح.

الخطبة الأولى

إشهار عمل الخير

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[سورة البقرة، آية: ٢٧١]

ثمة طرق عديدة وأساليب متنوعة للقيام بأعمال الخير، يجمع بينها المنطلق القيّمي في أداء العمل. فحين تتنوع أساليب العمل ستتعدد بطبيعة الحال طرق أدائه وإنجازه. والسؤال هنا؛ كيف يختار الإنسان طريقة على أخرى، وكيف يفضل أسلوب عمل على آخر؟

للإجابة عن هذا التساؤل نجد في التوجيهات الإسلامية تركيزًا كبيرًا على أهمية أن يكون المنطلق في اختيار الأسلوب قيميًا وبعيدًا عن النزعة المزاجية.

بين الأداء الفردي والأداء الجماعي

فمثلًا تؤكد التوجيهات الشرعية أهمية العمل الجمعي، حتى لو حصل الثواب في أداء العمل فرديًا. ولو ضربنا مثلًا بعمل الخير، عباديًا كان أو خدميًا، فقد يكون بإمكانك أن تؤديه بمفردك، كما بإمكانك أن تقوم به ضمن عمل جمعي، فكيف تختار أحد الأسلوبين؟

التوجيهات الشرعية تحثنا على العمل الجمعي، حتى لو حصل الثواب في العمل

الفردي، فإن ثواب أداء الخير ضمن عمل جمعي سيكون أكبر وأعظم. وكمثال على ذلك صلاة الجماعة، فبإمكان المرء أن يؤدي فرائض الصلاة اليومية بمفرده، لكن أداء الصلاة في الجماعة يكون فيها ثواب الصلاة أكبر وأعظم، فقد روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة»[١]، وعن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ «صلاة الرجل في جماعة خير من صلاته في بيته أربعين سنة. قيل: يا رسول الله، صلاة يوم؟ فقال ﷺ صلاة واحدة»[٢]. إذًا بإمكانك أن تؤدي الصلاة جماعة، وبإمكانك أداءها منفردًا، وبكلا الطريقين تكون قد أديت الفرض الواجب مع فارق الثواب. لذلك فالأفضل أن يختار المرء أسلوب الأداء الجمعي.

الإسراع أو التمهل في العمل

وجريًا على ما سبق، تعتمد مسألة الإسراع في القيام بعمل الخير، أو التمهل في أدائه، على الظروف الآنية المحيطة. فقد تستطيع أداء نفس العمل في خمس دقائق، وقد تختار القيام به في عشر دقائق، ومثال ذلك في الصلاة، فبإمكان المرء أن يطيل صلاته، وفي ذلك ثواب كبير دون شك، كما بإمكانه أن يؤديها مقتصرًا على الواجبات فقط، فسيكون قد أدى الواجب بكلا الطريقتين. وإذا كان هناك من ضابطة لتحديد أي الطريقتين أفضل، أي أن يطيل الإنسان في صلاته أو يختصرها، فذلك يختلف باختلاف الأحوال، فلو كان الشخص يصلي بمفرده فسيكون من الأفضل له أن يطيل، أما إذا كان يصلي إمامًا للجماعة، فيستحب له ألّا يطيل في الصلاة، بل يكره له ذلك. قال الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر «وَ إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّرًا وَ لَا مُضَيِّعًا فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَ لَهُ الْحَاجَةُ وَ قَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ فَقَالَ: صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ وَ كُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ

(١) وسائل الشيعة، ج٨، ص٢٨٩، حديث ١٠٦٨٨.
(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج٦، ص٣٨٦، حديث ٥٣٨١.

رَحِيمًا»[١]. من هنا فالإطالة في أداء عمل الخير أو الاختصار فيه يختلف باختلاف الظروف شريطة أن يبقى المنطلق في الأداء قيميًا دائمًا.

إعلان أو كتمان عمل الخير

كما تفرض الظروف الآنية نفسها في تحديد أفضلية إعلان عمل الخير أو سرية القيام به. وإنما تتحدد وفقًا للمعيار القيمي لا النزعة المزاجية. يقول تعالى ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ﴾، فالآية الكريمة تتحدث عن أفضلية الإنفاق والتصدق، وما إذا كان ذلك بالخفاء أم بمرأى ومسمع من الناس.

هناك أمران يجب مراعاتهما في هذه المسألة:

الأول: إحراز الإخلاص لله تعالى. بأن ينطلق الإنسان في عمله مخلصًا لله، وفي الرواية عن أمير المؤمنين علي ﷺ: «طوبى لمن أخلص لله عمله»[٢].

الثاني: مراعاة مشاعر الآخرين. فإذا كان في إعلانك العطاء للمحتاجين والفقراء جرحًا لمشاعرهم، فعندها يكون إخفاء العطاء أفضل، فالإخفاء هنا يساعد الإنسان على الإخلاص في العمل لله، كما أن فيه حماية لمشاعر الآخرين.

لكننا نجد في مقابل ذلك حالات أخرى يكون فيها إظهار العمل نوعًا من التشجيع، وإشاعة عمل الخير في المجتمع، فالإعلان هنا سيخلق حالة التنافس في عمل الخير، وفي مثل هذه الحالة سيكون الإظهار والإعلان أمرًا إيجابيًا، شريطة إخلاص النية، وألّا يكون الإعلان ورضا الناس بحد ذاته هو الهدف.

الشفافية لا تنافي الإخلاص

وهناك مسألة دقيقة تكمن في عدم منافاة الإخلاص لله تعالى بالاستئناس برضى

(١) نهج البلاغة. كتاب ٥٣. من كتاب له (ﷺ) كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٤، ص٢٨٩.

وإعجاب الآخرين. فلا ضير أن يستأنس المرء الفاعل للخيرات قربة لله تعالى برضا وإعجاب الآخرين بعمله، فالإنسان بطبيعته البشرية يأنس برضى وإعجاب الآخرين به، وبما يعمل. وهذا لا ينافي الإخلاص، كما ورد في الآية الكريمة ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ﴾، فإبداء الصدقة ليس عيبًا في حد ذاته. وفي رواية عن زرارة قال: «سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسره ذلك، قال عليه السلام لا بأس، ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر له في الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك»[١].

تعيش مجتمعاتنا اليوم عصرًا جديدًا ينبغي أن يكون عماده العمل الجمعي المتسم بالشفافية. فالعمل الجمعي الذي يرفع شعار العلنية والشفافية سيكون الناس أكثر قبولًا به وإقبالًا عليه، من هنا تأتي أهمية اعلان المؤسسات الاجتماعية عن نشاطاتها وإنجازاتها، ذلك لأنه يأخذ عنوان تشجيع الغير على فعل الخير. ولذلك ينبغي لمختلف المؤسسات أن تعلن عن نشاطاتها، فكثير من الناس لا يعرفون عن هذه الأنشطة الخيرية التي بإعلانها يتشجعون على المشاركة فيها، فذلك أحد معاني الشفافية وهو أبعد ما يكون عن المفهوم الخاطئ للرياء والغرور وطلب السمعة.

هكذا تلفتنا التوجيهات الدينية إلى أن اظهار عمل الخير في كثير من الموارد، ما لم يكن منافيًا للإخلاص، فإن ذلك أمر محمود وينبغي أن يتوجه الناس إليه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لعمل الخير والتشجيع عليه.

---

(١) الكافي، ج٢، ص ٢٩٧، حديث ١٨.

ثقافة التحريض والتخويف من الآخر

﴿كُلًّا نُمِدُّ هؤلاء وَهَؤلاء مِنْ عَطَاءِ رَبّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبّكَ مَحْظُورًا﴾[سورة الإسراء، الآية:٢٠]

تقوم المعادلة الطبيعية في هذه الحياة على التنافس الإيجابي، فمن يعمل أكثر ينال الأكثر. فالحياة تتسع لكل بني البشر، وخيراتها مبذولة للجميع، المؤمنين بالله تعالى وغير المؤمنين، فلم يختص الله تعالى عباده المؤمنين بثروات الحياة، بل جعلها لكل بني البشر، لتكون الحياة دار ابتلاء وامتحان للجميع.

وقد أشارت لهذه الحقيقة جملة من الآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، والآية تتحدث عن هذه الحقيقة بعد آيتين سابقتين لها، تحدثتا عن فئتي البشر من المؤمنين وغيرهم، وجاء فيها قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾. وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن هناك فئتين من البشر، فئة تتمحور حول المادة والدنيا، وأخرى تتطلع إلى الآخرة، ثم يقول تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾، أي إن الله تعالى يمدّ هذه الفئة وتلك، والإمداد المشار اليه في الآية يعني النعم المستمرة، وهي لا تقتصر على فئة دون أخرى، فخير الحياة للجميع، وبحسب التعبير القرآني ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي لجميع الناس دون استثناء.

تكافؤ الفرص بين الناس

فالمعادلة في هذه الحياة قائمة على التنافس الإيجابي، لذلك لا يحق للمؤمنين أن يمنعوا غير المؤمنين من الاستفادة من خيرات الكون، فمن يعمل في هذا الحياة أكثر ينال من خيراتها أكثر، مؤمنًا كان أو غير ذلك.

كما لا يحق لفئة مهما كانت أن تعيق طريق الفئة الأخرى في هذه الحياة. فلو كان هناك بلد فيه أناس مؤمنون وآخرون غير مؤمنين، وكان المؤمنون لا يرغبون باستصلاح الأرض وعمارتها، فلا يحق لهم أن يمنعوا غير المؤمنين من ذلك، فذلك لا يجوز بأي حالٍ من الأحوال؛ لأن خيرات الحياة مبذولة للجميع والحياة قائمة على التنافس، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسان إِلَّا مَا سَعَى﴾، وفي آية أخرى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾، ويقول تعالى في آية ثالثة: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، كما تؤكد آيات كثيرة أخرى في القرآن الكريم حقيقة أن الحياة للجميع، ويجب أن تتاح الفرصة فيها للجميع، مهما اختلفت أعراقهم وأديانهم وتوجهاتهم. من هنا ينبغي أن يكون مجال التنافس مفتوحًا، فلا يحق لفئة أن تعيق أخرى.

إنه لأمر مشروع تعزيز أي فئة دينية أو عرقية أو قومية لوجودها وموقعيتها في أي مجتمع. فالتوجه لتعزيز المكانة هدف سليم، ولا يحق لأحد أن يمنع أحدًا منه. وإن كان ثمة ما يشار إليه فهو وجوب تحري الوسائل المشروعة في تعزيز ذلك الوجود وتلك الموقعية، فبعض الفئات تريد أن تكون هي الأقوى من خلال إضعاف الفئات الأخرى، والعمل على تعويق سعيهم لمصادر القوة، وهذا منهج خطأ، وفيه عدوان على حقوق الإنسان، ومخالفة للنظام الإلهي الذي جعله الله تعالى في هذه الحياة، كما يؤدي حتمًا إلى النزاع والصراع.

أما المنهج الصحيح فهو أن تسعى الفئة التي تريد أن تكون أقوى نحو العمل أكثر،

وتفجر طاقاتها، وهذا حق مشروع ولا ريب. تمامًا كما يجري في سباقات الجري، فلا يحق لمتسابق أن يعرقل المتسابق الآخر، حتى يوقعه ويتقدم هو عليه، بل عليه أن يجد في الركض حتى يصل هو أولًا، كذلك لا يجوز أن يُمنع أحد من ممارسة قوته ونشاطه المشروع.

الاستئثار ظلم وعدوان

إنه لمن الوهم أن تعتقد فئة من الفئات بأنها أولى بخيرات الوطن لمجرد اعتبارات عرقية أو قومية أو مذهبية. حدث مثل هذا إبان الحقبة الاستعمارية في العالم، حيث روّج البيض الأوربيون فكرة عنصرية، مفادها أحقية العرق الأوروبي الأبيض في استعمار العالم على حساب السود والملونين، وعليه جرى حرمان الشعوب المستعمرة من خيرات أوطانهم.

كما قد تعتقد فئة أخرى بحقها المطلق في مقدرات الأرض لاعتبارات قومية محضة، ومن طريف ما ذكر في هذا السياق، ما رود في تحقيق نشرته مجلة العربي الكويتية في عددها رقم ٤٧٩ لشهر أكتوبر ١٩٩٨م تناول قبيلة الماساي في أفريقيا، فهذه القبيلة التي تعيش في شمال تنزانيا، يعتقد أبناؤها أن الله تعالى خلق جميع الأبقار في العالم لأجلهم هم فقط، فجميعها تخضع لملكيتهم، وإنما يقوم بقية البشر بتربية البقر نيابة عنهم، فإذا ما رأى أحد من أفراد هذه القبيلة بقرة فيمكنه أخذها، بل ويستغرب الواحد من هؤلاء إذا قدم عليه أحد بلاغًا لدى الشرطة لأخذه بقرة من آخرين، ذلك لأنه يعتبر تصرفه تصرفًا طبيعيًا، وأن هذا الحق للقبيلة وقد رجع إليها!.

وربما تعتقد فئة ثالثة تؤمن بمذهب ديني في بلد من البلدان أنها الأولى بثروات البلد وإمكاناته، وما يتركونه للآخرين يعتبرونه منة منهم على أولئك. إن خيرات الحياة جعلها الله سبحانه وتعالى لكل البشر، وفي كل وطن هي لجميع المواطنين، وإن تجاوز هذه الحقيقة عدوان على حقوق الآخرين، ويشكل أرضية للخصومات

والنزاعات القائمة على أوهام وأفكار باطلة.

قانون يحمي التنافس الإيجابي

لقد توصلت المجتمعات البشرية المتقدمة إلى ضرورة وضع قانون يحمي الجميع، ويساوي بينهم. فالحلّ السليم لإدارة المجتمعات هو حماية التنافس الإيجابي، والاحتكام لقانون يضمن تكافؤ الفرص، وكل يعمل بمقدار طاقته وجهده.

إن وجود قانون يسري على الجميع سيكون عنصرًا مساعدًا على تقدم الأوطان؛ لأن الكفاءة هي من تتحرك وتفرض نفسها، كما يساهم في إشاعة أجواء السلم والاستقرار في البلد، وهذا ما تعيشه الدول المتقدمة، حتى إنك ترى أفواج المهاجرين تأتي بلدًا من تلك البلاد، ويتحولون بعد برهة إلى مواطنين لهم حقوق السكان الأصليين، لمجرد حصولهم على جنسية ذلك البلد، بغض النظر عن أصولهم العرقية، أو توجهاتهم السياسية، أو الدينية. لقد جذبت تلك الدول بقوانينها العادلة المزيد من الطاقات والعقول الجبارة.

إن غياب الاستقرار والانسجام في بعض المجتمعات، إنما هو انعكاس لغياب القانون والأنظمة العادلة. فإلى جانب أهمية وجود النظام العادل، هناك أهمية قصوى لإشاعة ثقافة التنافس الإيجابي، التي تدفع الناس باتجاه التحرك لأخذ مواقعهم استنادًا لكفاءاتهم، وذلك هو سرّ تطور الأوطان، ورسوخ الاستقرار والأمن والسلم فيها.

وعلى النقيض من ذلك نجد البلدان المتخلفة، فهذه البلدان لا تعاني من العجز في اجتذاب الكفاءات من الخارج فحسب، وإنما تجهض وتعوق نمو الكفاءات الوطنية لاعتبارات الهوية العرقية أو الدينية أو القبلية الضيقة!

والأسوأ من ذلك ما نجده من شياع ثقافة التحريض والتخويف، وإثارة القلق عند كل فئة تجاه الفئة الأخرى، فإذا كان المجتمع مكونًا من عدة قوميات أو طوائف، فمن السهل أن تجد ثقافة التخويف طريقها في المجتمعات المتخلفة.

ما يزال عالمنا الإسلامي يواجه بين الفينة والأخرى تصاعد الحالة الطائفية، وبروز ثقافة التخويف، خاصة بين المسلمين الشيعة والسنة. فإلى جانب غياب المساواة بين المواطنين بسبب انتماءاتهم وهوياتهم الفرعية، نجد انتشارًا هائلًا لثقافة التخويف من الآخر، فهناك من يصور السُّنة كأنهم خطر على الشيعة، والشيعة كأنهم خطر على السنة.

هذه الثقافة تشكل أرضية للنزاعات والصراعات، وتشغل الناس ببعضهم بعضًا، على حساب مصالحهم.

في واقع الأمر لا السنة خطر على الشيعة ولا الشيعة خطر على السنة، وإنما الخطر المشترك على الطرفين هو الاستبداد والهيمنة الأجنبية.

ندوة علمية تتبنى الأوهام والسخافات!

إن التخلف الداخلي وتفشي الفقر والبطالة وتخلف التعليم والخدمات، خطر على الجميع. ولا يشكل الشيعة والسنة أي خطر على بعضهما بعضًا لولا أن هناك من يبث هذه الثقافة التحريضية بين المسلمين، وإلا ماذا يعني أن تنعقد الشهر المنصرم بتاريخ ٢٣/ ٣/ ١٤٣٣ بمركز سعود البابطين في مدينة الرياض، وعلى مدى ثلاثة أيام ندوة باسم الندوة العلمية! وعنوانها: حقيقة المعتقد الرافضي وخطره على المجتمعات السنية[١]، ولنا أن نتساءل في المقابل؛ ماذا لو انطلق متعصبون من الشيعة، وتحدثوا هم أيضًا عن خطر المعتقد السلفي على الشيعة، فإلى أين ستنتهي الأمور؟

كنا نظن أن الزمن قد تجاوز هذه اللغة التحريضية والثقافة الجاهلية، سيما ونحن نعيش الربيع العربي!. إلا أن الغريب أنه مع تقدم العالم وتطور العقل البشري، ما زال بيننا من يبعث ثقافة التخويف بين آونة وأخرى، كما تأتي أمثال هذه الفعاليات بعنوان ندوة علمية!، وليت شعري أيّ علم في مثل هذه الندوات؟

---

(١) http://taghribnews.com/vdcgxn97.ak9t34r.ra.html

خذ مثلًا على المشاركات المطروحة فيها؛ محاضرة حول الأصل المجوسي للشيعة، ماذا يعني ذلك؟ فالشيعة الأوائل هم من العرب، وإذا كان المقصود هم الإيرانيون وأن آباءهم كانوا مجوسًا فهم لا ينكرون ذلك، والسؤال: ماذا كان آباؤكم أنتم ايها العرب؟ لقد كانوا مشركين وثنيين يعبدون الأصنام، أليس من السخف أن نتراشق بيننا حول أصول الآباء والأجداد وأحداث الزمن الماضي؟. والسؤال: ماذا لو جاء شخص أحمق من الشيعة وأعلن ندوة علمية أيضًا! حول الأصل الوثني لأهل السنة، ثم ماذا؟.

وفي مشاركة أخرى ضمن الندوة جاءت بعنوان جرائم الرافضة عبر التاريخ! لنا أن نتساءل: ماذا لو أتى أحد الشيعة وتناول جرائم السنة عبر التاريخ وما فعلته بنو أمية ومن بعدهم؟ حقيقة الأمر هذا كلام مضحك، وأسلوب سخيف، سواء صدر عن هذا الطرف أو ذاك، إذ لا تعدو المسألة عن وجود ظلم واستبداد سياسي من هذه الحكومة أو ذاك الطرف، سواء كان من هذا المذهب أو ذاك. والظالم لا يمثل السنة ولا الشيعة وإنما يمثل في ظلمه الشيطان.

إشغال الناس عن قضاياهم

إن أسوأ نتائج ثقافة التخويف من الآخر بين فئات الأمة، أنها تشغل الجميع عن المطالبة بالعدالة والحرية والتقدم. تشغل الناس عن التوجه إلى قضاياها الأساسية، فعوضًا عن أن يطالب الناس بحلّ المشاكل التي يعانون منها في أوطانهم، نتركهم يتربصون ببعضهم بعضًا، والمستفيد الأول والأخير هو الاستبداد الداخلي والعدو الخارجي، إلى جانب ترسيخ حالة التخلف التي تعيشها أوطاننا. لذلك ندين هذه الثقافة، وننصح أنفسنا، ونذكر كل الواعين بألّا يردوا على هذا المنهج بمثله.

الخطبة الأولى

تجاوز الأحقاد

﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[سورة الحشر، الآية: ١٠]

إن من أسوأ الأمراض التي تعلق بقلب الإنسان هي الغلّ وحمل الأحقاد على الآخرين. والغِلّ بكسر الغين هو الحقد، والغُل بضم الغين هو القيد، هذا الغل والحقد الذي قد يعلق بقلب الإنسان مدعاة لأن يتعاهد المرء قلبه بالتطهير بين آونة وأخرى، حتى تزول عنه هذه الأوضار، تمامًا كما يتعاهد جسمه وملبسه بالنظافة وإزالة الأوساخ. فمن المعلوم أن المرء يهتم بإزالة الأوساخ لسبب ذاتي مرتبط به؛ لأن القاذورات والأوساخ بطبيعتها تثير اشمئزازه، كما قد تسبب له أضرارًا صحية، إضافة إلى ارتباط ذلك بعلاقته بالآخرين؛ لأن وجود الأوساخ على جسم الإنسان أو ثيابه ومكانه ينفّر الآخرين منه، بينما النظافة والأناقة تكون عامل جذب وارتياح.

إن امتلاء القلب بالغلّ والأحقاد على الآخرين هو أسوأ من اتساخ الجسم بالقاذورات، وهناك أسباب ثلاثة تدعو الإنسان للاهتمام بإزالة الغلّ والحقد عن قلبه:

الغلّ عبء على قلب الإنسان

يسبب وجود الغلّ في نفس الإنسان عبئًا ثقيلًا عليه..، فإذا كان عندك ضغينة على أحد فإنك تشعر تلقائيًا بثقل على نفسك، وهذا أمر وجداني، فتراك تستفز فورًا حينما تلتقي ذلك الشخص أو يذكر أمامك، أرأيتم الإنسان الذي يتحسس من بعض الأطعمة

والروائح، فتبدو على جلده مظاهر الحساسية حين يقترب منها؟ كذلك الإنسان الذي في قلبه حقد على أحد من الناس، فإنه يأخذ طريقه على قسمات وجهه وطبائعه.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الغلّ داء القلوب»[١]، ومعنى ذلك أنه مرض فعلي يضرب وجدان المرء، ويقول عليه السلام: «من اطّرح الحقد استراح قلبه ولبه»[٢]، ويقول في رواية ثالثة: «الحقود معذب النفس متضاعف الهم»[٣] لذلك فإن على الإنسان أن ينظّف قلبه من الأحقاد، ويلقي عن نفسه أعباء الغلّ لمصلحته الذاتية.

الغلّ يعقّد العلاقة مع الآخرين

إن امتلاء قلب الإنسان بالأحقاد مدعاة لسوء العلاقة مع الآخرين. فالحقد هو سبب كثير من الاعتداءات، فحينما يحقد أحدهم على شخص فإنه يسيء الظن فيه، كما يدفع الحقد إلى الغيبة، فالحاقد على شخص من الأشخاص عادة يذكره بما يكره، ويجعل حقده سببًا لتتبع عيوب ذلك الطرف، وأخيرًا فإن الحقد سبب لجميع أشكال العدوان المادي والمعنوي. لذلك على الإنسان أن يطهر قلبه من الأحقاد حتى يستريح من هذه الأثقال التي قد تدفعه للعدوان والجور على الآخرين.

الحقد مخالف لرضا الرب

يُعدّ امتلاء القلب بالأحقاد على الآخرين مخالفًا لرضا الربّ سبحانه وتعالى. فالإنسان الذي يكون قلبه مثقلًا بالأحقاد والأضغان بعيد عن الله تعالى، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام كلمة رائعة جاء فيها: «من خلا عن الغلّ قلبه، رضي عنه ربه»[٤]. فالإنسان بمقدار ما يحمل من أحقاد يخسر الثواب والحسنات التي يكسبها من عمل

---

(١) عيون المواعظ والحكم، ص٣٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٣٠، حكمة٢٤١.

(٣) عيون المواعظ والحكم، ص٥٩.

(٤) عيون المواعظ والحكم، ص٤٦٢.

الخير الذي يؤديه، من صيام وصلاة وعبادات وأعمال البر، فالحقد يذهب بهذه الحسنات أدراج الرياح. يقول الإمام علي عليه السلام: «الغلّ يحبط الحسنات»[١]، ومقتضى ذلك أن الأعمال الفاضلة التي تؤديها لا تذهب إلى حسابك في بنك الحسنات، بسبب الأحقاد والأضغان. لذلك على الإنسان أن يتعاهد قلبه دائمًا وأبدًا وأن ينظفه من الأحقاد على الآخرين، حتى ينال رضا الربّ.

الخلاف لا يبرر الحقد

إن بروز الخلافات بين الناس أمر طبيعي، لكنه لا يجوز أن يكون سببًا لحقد دائم ومستحكم. فحصول الخلافات وسوء التفاهم يكاد يكون من طبيعة البشر، ولكن على الإنسان ألّا يبقي آثار أي مشكلة في قلبه على نحو دائم. وفي هذا المقام هناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام ورد فيها: «حقد المؤمن مقامه، ثم يفارق أخاه فلا يجد عليه شيئًا»[٢]، ويشير مضمون الرواية إلى أصحاب النفوس السامية عندما تثور بينهم مشكلة ما مع آخرين، فإن انفعالهم لا يجاوز لحظات الغضب في وقتها، فإذا ما قام من مقامه فإنه ينسى كل ما حدث، ويعود كأن شيئًا لم يكن.

إن مما يؤسف عليه أنك تجد بعض الناس تمر عليه الشهور والدهور، وهو يحمل في نفسه آثار مشكلة ما عرضت له، فيتركها تأخذ من نفسه مأخذها، والأسوأ من ذلك ما يجري أحيانًا من توارث للأحقاد والعداوات من الآباء إلى الأبناء، وذلك بخلاف التعليمات والأخلاقيات الدينية.

وبنظرة سريعة على آي الذكر الحكيم في شأن الطلاق على سبيل المثال، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، ومقتضى ذلك أن وقوع الطلاق بين الزوجين وتفارقهما لا ينبغي أن يكون سببًا للحقد عند الطرفين، أو أن

---

(١) عيون المواعظ والحكم، ص٤٠.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢١١، حديث٧.

ينسحب إلى عوائلهما، بل على النقيض من ذلك، ينبغي أن يكون الانفعال نتيجة المشكلة محصورًا ومحدودًا بزمن ولحظة المشكلة، فلا ينبغي أن يطول أكثر من ذلك. وجاء في رواية أخرى عن الامام الصادق عليه السلام: «المؤمن يحقد ما دام في مجلسه، فإذا قام ذهب عنه الحقد»[١].

لا حقد عند أهل الجنة

إن أهم صفة يتحلى بها أهل الجنة هي نزع الغلّ والأحقاد من نفوسهم وصدورهم. بقول الله سبحانه وتعالى متحدثًا عن أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾، وفي آية أخرى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾، ومعنى ذلك، وفقًا لبعض المفسرين، أن لا أسباب للأحقاد بين أهل الجنة، فيعيشون في سلام وأمان، في حين ذهب مفسرون آخرون إلى أنه وقبل دخول الناس الجنة تكون هناك محاسبة وتصفية من الأحقاد، فيقتص الناس من بعضهم بعضًا، وقد وردت في ذلك روايات ومنها عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونُقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»[٢]. من هنا لا ينبغي للإنسان أن يخسر أعماله بسبب الأحقاد والضغائن تجاه الآخرين، ومن منا يحتمل حساب ذلك اليوم؟ أو يعرّض نفسه لطول الحساب؟ فالسعيد من نقى نفسه في الدنيا ليقيها في الآخرة من شدة ذلك الموقف.

كيف نتجاوز الأحقاد؟

أولًا: لا بُدّ وأن نتطلع إلى تجاوز هذه الحالة وأن نسعى في ذلك. فكما نفكر في

(١) تحف العقول عن آل الرسول، ص٣١٠.
(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق، ج٤، ص٢١٧، حديث٦٥٣٥.

تنظيف الأبدان والأماكن والملابس، فلنفكر جديًا في تنظيف نفوسنا وقلوبنا من هذه الأوساخ، والآية الكريمة حينما تأتي بصيغة الدعاء: ﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ فذلك من أجل تكريس هذا التطلع حتى يصبح هدفًا نسعى لتحقيقه، وإيحاءً ذاتيًا عند الإنسان بأن يساءل نفسه حول أمد هذا الحقد ضد الآخرين. فالتطلع للتخلص من الأحقاد أمر مهم جدًا في تجاوز هذه الحالة.

ثانيًا: أن يتفادى المرء الخصومات مع الآخرين بالقدر الممكن.

ثالثًا: السعي للمصالحة مع المخالف، ومن يحمل أو نحمل تجاهه موقفًا سلبيًا. فما يحصل في بعض الأحيان أن يحمل المرء على أخيه بناء على كلام منقول عنه، ولعله حين يذهب إليه ليتبين الأمر، فيسجد بأن الآخر لم يقل ذلك، أو لعله كان يقصد شيئًا آخر غير الذي فسّر به، وقد يعتذر عمّا بدر منه، ولكن بعض الناس لا يرغب في ذلك كله، كما لو كان يرغب في استمرار التشاحن والحقد مع الآخرين. بادر أنت، وإن لم يأتِ هو فلتكن أنت أسمى وأنبل، اذهب وعاتبه كما يقول الإمام الهادي عليه السلام: «العتاب خير من الحقد»[1].

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لتطهير صدورنا من الغلّ والأحقاد.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٦٩.

قانون لتجريم الكراهية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تنابذوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[سورة الحجرات، الآية ١١]

إن من أخطر أنواع الإساءة هي الحض على الكراهية تجاه مجتمعات بأكملها لدواعٍ عرقية أو قبلية أو دينية. فمعلوم أنه على المستوى الشخصي تجرم كل القوانين إساءة شخص لشخص، سواء كانت هذه الإساء اعتداءً جسديًا أو معنويًا أو إضرارًا بالممتلكات، فإن من حق الطرف المتضرر أن يرفع دعوى ضد المعتدي عند الجهات الرسمية، فالقانون يجرم مثل هذه الإساءة. ولكن هناك لونًا آخر من الإساءة هي أشدّ خطرًا من الإساءات الفردية، وهي الإساءة التي تستهدف أقوامًا من الناس، لا لشيء سوى لأنهم ينتمون إلى عرق أو قبيلة أو دين أو مذهب معيّن.

لقد حذّر ربنا سبحانه وتعالى المجتمع الإسلامي من هذا اللون من الإساءة الجماعية فجاء في الآية الكريمة ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾، والسخرية هنا تعني أن يتحدث أحد عن الآخرين بدونية، معتبرًا نفسه أعلى منهم مقامًا. وقد ذهب القرآن الكريم إلى مزيد من التحذير في الآية الكريمة، يقول تعالى: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ

عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾، فقد يكون عند جماعة نقطة قوة معينة، فيما قد يفوقها الآخرون بمراحل. لا ينبغي أن ينظر الناس إلى بعضهم بعضًا على أساس النظرة الدونية ولا أن يتعالى بعضهم على بعض.

كما ينسحب أمر الإساءة الفردية أو الجماعية للآخرين على صفة اللمز. وهذه الممارسة وفقًا التعبير القرآني ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ تعني تتبع معايب الآخرين. إن تفشي هذه السمة السلبية بين الأفراد والجماعات كفيل بتلويث الأجواء الاجتماعية.

وكذلك ينهى القرآن في هذه الآية عن أمر ثالث وهو التنابز بالألقاب، كما ورد في الآية الكريمة ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، وذلك بأن يبتدع كل قوم لقبًا غير محبب ومرفوض فينبزون به الآخرين.

حينما تحصل هذه الإساءات من فئة تجاه أخرى فإن أضرارها أكبر من الإساءات الفردية، ذلك لأنها تمزق المجتمع، وتهيئ الأرضية للنزاعات والخصومات، ونشوء الكراهية بين أفراده وفئاته، كما أنها تخلق مشاعر عدائية متبادلة بين كل فئة وأخرى، فلا يسود الوئام والمحبة.

وللوقوف على أسباب نشوء حالة التشاحن والكراهية في المجتمعات يمكن الإشارة إلى عاملين أساسين:

الهيمنة الفئوية

تنشأ الكراهية بين فئات المجتمع عندما تهيمن فئة واحدة على سائر الفئات. وتصبح في موقع المهيمن على مقدرات البلد، والقابضة بمفردها على مفاصل القوة والسلطة، فذلك دليل خلل في الواقع المعيش، فلا شيء حينها يردع الفئة المهيمنة عن استضعاف الفئات الأخرى.

ينقل في هذا السياق القصة الرمزية التالية، وهي أن ذئبًا كان يمشي في سبيله، فمر

بقط يعلو سطح جدار، فصار القط يشتم الذئب غير عابئ بقوته، فرفع الذئب رأسه وقال مخاطبًا القط: لست أنت من يسبني وإنما الجدار الذي أنت عليه هو من يسبني!. ومضمون ذلك أنه لو تساوى جميع الأطراف لاختلف الأمر، إنما يحدث ذلك فقط حينما يكون هناك خلل في العلاقة، فتكون هناك فئة مهيمنة بيدها الإعلام والسلطة والمناصب والثروة، فيما لا تحظى الفئات الأخرى بشيء من هذه الامتيازات، فلا تعادل حينها في القوة بين الفئات. إن وجود الهيمنة الفئوية غالبًا ما يكون مشجعًا لبروز الإساءات، ونشوء الكراهية، واستهانة جماعة معينة بالجماعات الأخرى.

الثقافة العنصرية

تدفع الثقافة العنصرية بعض الأطراف إلى استمراء التجريح والإساءة للفئات الأخرى.

وفي مقابل هذه الحالة المطلوب أمران:

١. وجود توازن في القوى داخل المجتمع، في إطار نظام عادل، بحيث لا تكون هناك غلبة لفئة على فئة، فلا تستبد فئة وتستأثر بمصادر السلطة والثروة والقوة.

٢. أن يكون هناك قانون يردع المحرضين على الكراهية. فالوعظ والإرشاد وحده لا يكفيان لاستقامة الأمور في المجتمع البشري، لا بُدّ من وجود قوانين تجرم الحض على الكراهية، تمامًا كما فعلت المجتمعات المتقدمة التي بدأت منذ زمن في سن قوانين تكافح جرائم التحريض وإثارة الكراهية، عندها فقط يكون بإمكان أي فئة أو طائفة متضررة أن تلجأ إلى القضاء، وتقدم شكواها، فينظر القضاء فيها، ويجرّم الطرف المعتدي. وهذا هو الصحيح، فعندما يعمد شخص للطعن في طائفة أو قبيلة، ويقول فيهم كلامًا بذيئًا، أو يتحدث عنهم بدونية، أو ينبزهم بالألقاب، فإن هذا جرم ينبغي أن يعاقب عليه القانون.

تجريم خطاب العنصرية

إن الحدّ من مسألة إثارة الكراهية والإساءة للجماعات أخذت حيزًا بارزًا ضمن ثقافة العصر. ومما يذكر في هذا السياق، ما حدث أثناء الحملة الانتخابية الأمريكية التي فاز فيها الرئيس الحالي باراك أوباما، حيث أدلى زعيم الأغلبية الديمقراطية في الكونغرس الأمريكي السيناتور هاري ريد بتصريحات أراد بها دعم ترشيح أوباما، إلا أنه فُهم من تلك التصريحات الإساءة للأمريكيين السود، فاضطر بعدها مباشرة للاعتذار بشكل رسمي من الرئيس ومن كل السود وعامة المجتمع الأمريكي. وعلى غرار ذلك ما حدث في هولندا، حينما اقتيد خيرت فيلدرز زعيم حزب (من أجل الحرية) اليميني المتطرف، وهو ثالث أكبر الأحزاب الهولندية إلى المحكمة، بتهمة إثارة الكراهية ضد المسلمين؛ لأنه شبه القرآن الكريم بكتاب ادولف هتلر (كفاحي)، وهكذا الحال في مختلف الدول المتقدمة.

تغيب قوانين وتشريعات مكافحة الكراهية في أغلب بلدان عالمنا العربي والإسلامي. ففي بلادنا لم تولد بعد مثل هذه التشريعات، رغم محاولات حدثت مؤخرًا بهذا الاتجاه، فقد دعا بعض النواب في البرلمان المصري بعد الثورة إلى سنّ قانون تجريم الكراهية، وفي الكويت طرح أحد نواب مجلس الأمة قبل أسابيع مشروعًا لاعتماد قانون يجرم إثارة الكراهية بين الطوائف والقبائل، وحدث عندنا في المملكة أن طرح أحد أعضاء مجلس الشورى في وقت سابق مطالبة بمناقشة قانون لتجريم التكفير ضد هذا وذاك.

وتجرم القوانين الدولية إثارة الكراهية على أساس ديني أو عنصري. فقد نصت المادة ٢٠ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على تجريم أية دعوة تثير الكراهية الدينية أو العنصرية، كما أن هناك جملة من الاتفاقيات الدولية التي تجرم هذا الأمر.

وعلى المستوى الديني تحفل الشريعة بما يكفي من التوجيهات الأخلاقية التي تنبذ إثارة الكراهية. ولذلك فمن المفترض بنا كمجتمع إسلامي يرفع شعار الكتاب والسنة، ألّا نحتاج إلى تشريعات وقوانين في هذا الإطار، لكن مع الأسف الشديد يبدو أن بلادنا والكثير من البلاد الإسلامية هي أحوج من غيرها إلى سنّ قوانين مناهضة التمييز والحض على الكراهية.

بلادنا وصناعة الكراهية

ففي المملكة تعاني مختلف الطوائف والفئات جرّاء هذه المشكلة. إذ كثيرًا ما تتكرر الإساءة للعديد من الفئات في المجتمع السعودي على أساس عرقي أو مناطقي أو مذهبي، فهناك في بعض الأحيان سخرية ونيل من فئة من المواطنين لأنهم من منطقة معينة، كما حدث قبل فترة من تشكيك في الولاء الوطني لسكان شمال وجنوب المملكة، ويجري من هذا القبيل مع المواطنين في الحجاز حيث تتكرر السخرية منهم لأسباب عرقية تصل حدّ وصمهم بأنهم «مخلفات الحجاج»، هؤلاء مواطنون حصلوا على الجنسية السعودية كغيرهم، فما ذنبهم إن كان آباءهم آتوا للحج من بلاد بعيدة في أزمان سحيقة واستقروا في هذه البلاد وأنجبوا أجيالًا جديدة، وهم قبل ذلك مسلمون، فلا معنى ولا مبرر للسخرية منهم، والنيل منهم بكلام تافه بالنظر لأصولهم العرقية. يجري ذلك للأسف الشديد في مجتمع شعاره الكتاب والسنة! فأين هما الكتاب والسنة؟ وما عسى أن ينفعنا الكتاب والسنة اذا لم ينعكس مضمونهما على أخلاقنا ومنابرنا وخطب الجمعة في مساجدنا، أفي الكتاب والسنة مثل هذه الإثارات العنصرية البغيضة؟

ليس هذا وحسب، فلم تسلم الكثير من القبائل السعودية من التجريح والنيل من مكانتها وسمعتها. وإلا فما معنى أن يحكم قاضٍ بتفريق زوجين تزوجا بطريقة شرعية صحيحة، وكوّنا أسرة وأنجبا أطفالًا، لا لشيء إلا لمزاعم عدم تكافؤ النسب، كما

حصل في أكثر من حادثة تناولها الإعلام.

إن من العيب أن تجري مثل هذه الحالات في بلادنا في هذه الأزمنة المتقدمة. اللافت أن كثيرًا من العلماء الذين ينفون عن أنفسهم تهم التعصب المذهبي، ويصرون على أنهم يرجعون إلى الكتاب والسنة في آرائهم وأحكامهم، يتبنون آراء تكرّس العنصرية، والسؤال هنا، لماذا لا يرجعون في مسألة تكافؤ النسب إلى الكتاب والسنة، ولماذا لا يعيدون النظر في المسألة عوضًا عن التقيد برأي مذهبي خاص؟

لقد أصبحت بلدنا محلًا للسخرية في العالم كله بسبب مثل هذه القضايا والمواقف.

التحريض على المذاهب والطوائف

وينسحب موضوع إثارة الكراهية على الطوائف الإسلامية. ويكفي هنا البحث في محرك غوغل عن لفظة الصوفية لتجد كما من الخطب والفتاوى ضد هذه الفئة المسلمة، إن من يريد النقاش العلمي في مسائل الاختلاف المذهبي فهذا أمر متاح بعيدًا عن التشهير والتحريض على الكراهية، فذلك ليس من أخلاق المسلم ولا ينبغي أن يسمح به في البلد.

أما المسلمون الشيعة فلهم نصيب الأسد من التجريح والتطاول عليهم، وإثارة الكراهية ضدهم على نحو منقطع النظير، فما إن تحدث أي مشكلة في العالم لها صلة بالشيعة من قريب أو بعيد، إلا ويعطى الضوء الأخضر للأقلام والخطباء والمنابر بالحديث ضد الشيعة، وهذا أمر معيب.

فإذا لم يكن لدى هؤلاء الخطباء والكتاب من رادع ذاتي يردعهم، فينبغي أن يكون في البلاد قانون يجرم إثارة الكراهية، حفاظًا على وحدة الوطن، والعلاقات الداخلية بين المواطنين. إن اثارة الكراهية بين فئات ومكونات الوطن أمر في غاية السوء، لما فيه من شحن لأبناء الوطن بعضهم ضد البعض الآخر، ولما ينعكس سلبًا على علاقتهم ببعضهم في مجالات العمل والتجارة والدراسة.

لا ينبغي أن تمرّ الإساءات الموجهة للطوائف الإسلامية في بلادنا دونما حساب وعقاب. وقد سمعنا مؤخرًا أحد الخطباء الذي تحدث في مسجد رسمي، يخضع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فأطلق كلامًا سوقيًا كال فيه السباب والشتائم والتنابز بالألقاب تجاه المسلمين الشيعة، وإذا بالقضية تمرّ مرور الكرام وكأن هذا الخطيب لم يرتكب شيئًا! والسؤال هنا؛ لماذا لا يحاسب أمثال هؤلاء ولماذا لا يعاقبون؟

ينبغي للطوائف والفئات المتضررة من الإساءات الطائفية، وجرائم الحض على الكراهية، أن تتعاون باتجاه إصدار قانون يجرم هذه الممارسة. لا ينبغي أن نقع في فخ ردود الأفعال الآنية على إساءة من هذا الطرف أو ذاك، وإنما من الضروري أن يكون هناك توجه يتعاون فيه جميع المتضررين والواعين من أبناء الوطن نحو إصدار تشريع يجرم إثارة الكراهية والتحريض تجاه مختلف الفئات، ولمختلف الأسباب العرقية والقبلية والمذهبية والمناطقية.

إن مسعىً من هذا القبيل سيجد دون شك تفاعلًا من مختلف فئات المجتمع، كما أن هذا المطلب مشروع، وتؤيده المواثيق والعهود الدولية، والأهم من ذلك أنه يخدم مصلحة الاستقرار الوطني، فمن الضروري جدًا ألّا ننشغل بالرد على كل متكلم، ولا ننساق وراء التراشق، وإنما المطلوب أن نصرف جهودًا في العمل على إصدار مثل هذا القانون والتشريع، وأن نستفيد من المؤسسات القائمة في الضغط بهذا الاتجاه، عبر النشاط السياسي والحقوقي والثقافي، على مستوى البلد كله. كما أن علينا أن نضع بعين الاعتبار أنه قد لا تأتي كل القوانين دفعة واحدة، لكن علينا أن نبدأ بالسير في هذا الطريق.

نسأل الله أن يدفع عن بلادنا وبلاد المسلمين كل مكروه.

الخطبة الأولى

خيركم لأهله

ورد عن رسول الله ﷺ انه قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[1].

تمثل العائلة، الدائرة الاجتماعية الأقرب للإنسان. فمتى ما كانت الأجواء السائدة في العائلة طيبة، كان الإنسان أكثر سعادة وسرورًا، أما إذا كان الوسط العائلي مليئًا بالتوترات، فهذا يجعل حياة الفرد أكثر انزعاجًا ونكدًا.

فهناك ما يريح الإنسان ويسره، وهناك ما يزعجه ويؤذيه، وكلما كان الوضع السار أقرب إلى الإنسان جعله أكثر سرورًا، والعكس بالعكس. وذلك يشبه تمامًا تعاطي الإنسان مع مصادر الروائح، فالرائحة الطيبة العطرة يرتاح لها الإنسان ولذلك يقربها من أنفه، وعلى العكس من ذلك إذا شمّ رائحة كريهة فإنه يحاول أن يبتعد عنها لأنها تؤذيه. من هنا ينعكس تأثير العائلة على الفرد على نحو مباشر لأنها الدائرة الأقرب له، فهو يعيش معها تحت سقف واحد، وتتشابك مصالحه معها، ويتأثر بوضعها، كما تتأثر العائلة بوضع أيّ فردٍ من أفرادها.

لقد وردت العديد من النصوص المؤكدة على الاهتمام بالعائلة على نحو خاص. ذلك لأن سلامة الوضع العائلي سينعكس إيجابًا على السلامة النفسية والصحية للفرد. فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام «من حسن بره بأهله زاد الله في عمره»[2]،

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث ٢٨٥.

(٢) الكافي. ج٨، ص١٨٤، حديث٢٦٩.

ومضمون ذلك أن علاقة الإحسان والبر بالعائلة تؤدي بطبيعة الحال لارتياح الإنسان مع عائلته، وهذا ينعكس على حياته العامة، وفاعليته وعطائه في الدراسة والعمل، وحتى الأخلاق والتعامل مع الآخرين، فالحالة العائلية السليمة منها يتعلم الإنسان، وتتعزز عنده الأخلاقيات والسلوكيات والآداب العامة. إذ يتأثر الفرد بالسلوك والأخلاق السائدة داخل عائلته.

الأجواء الإيجابية في الأسرة

إن مسؤولية صناعة الأجواء الإيجابية داخل الأسرة تقع على عاتق جميع أفراد العائلة. فليس من الصحيح تقاذف المسؤولية، سواء بين الزوج والزوجة أو الأولاد، إن الجميع مسؤول عن توفير الأجواء الإيجابية. من هنا جاء الخطاب النبوي موجهًا للجميع، فقال ﷺ: «خيركم ـ يعني أكثركم خيرًا ـ خيركم لأهله»، وتأتي أهمية هذا الحديث النبوي، انطلاقًا من مشكلة شائعة مفادها، إصابة بعض الناس بالازدواجية في الشخصية، فمثل هؤلاء غالبًا ما يتقمص مع الناس دور الشخصية اللطيفة الطيبة، فيما يتقمص داخل المنزل ووسط العائلة شخصية أخرى مغايرة.

في بعض الأحيان، تصلنا شكاوى عائلية ضد أشخاص معروفين في الأوساط العامة بحسن الأخلاق، فكيف تشكو منهم زوجاتهم وعوائلهم!، وعند الفحص سرعان ما يتبين لنا أن هناك ازدواجية في الشخصية لدى هذا الشخص أو ذاك، تدفعه باتجاه التعاطي على نحو مختلف داخل الأسرة عنه في خارجها، الأولى أن تكون شخصية المرء مع أهله أفضل منها مع الناس، وبذلك يفخر رسول الله ﷺ «وأنا خيركم لأهلي». ومثل ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام «لا يكن أهلك أشقى الخلق بك»[1].

ثمة العديد من التوجيهات الإسلامية التي ترمي لإنجاح العلاقات العائلية، ومنها:

---

(١) نهج البلاغة. كتاب ٣١.

الاهتمام بالعلاقة مع العائلة

تشدد التعاليم الإسلامية على إيلاء الفرد اهتمامًا أكبر بحسن علاقته بالعائلة، أكثر من علاقته مع الناس. غير أن البعض يمارس العكس، كما لو كانت العلاقة مع العائلة شيئًا كماليًا! وهذا بخلاف تعاليم الإسلام التي توجه الإنسان إلى أن يعطي هذا الجانب أهمية كبيرة، بل إن بعض النصوص ترى أن حسن العلاقة مع العائلة أفضل من كثير من العبادات، والأعمال الصالحة. فقد ورد عن رسول الله ﷺ «جلوس المرء عند عياله أحب إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا»[١]، وعنه ﷺ «أعظم الناس حقًا على المرأة زوجها»[٢]، فالمرأة التي تهتم بالزيارة وحضور المجالس الدينية وكثير من العبادات، عليها أن تعلم أن أعظم الناس حقًا عليها هو زوجها، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «لا شفيع للمرأة أنجح عند ربها من رضا زوجها، ولما ماتت فاطمة عليها السلام قام عليها أمير المؤمنين عليه السلام وقال: اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيك»[٣]. وكأن غرضه عليه السلام أن يبين أن حالة رضا الزوج عن الزوجة له أهميته قصوى حتى بالنسبة لامرأة عظيمة كفاطمة الزهراء عليها السلام. وورد عنه ﷺ «ويل لامرأة أغضبت زوجها وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها»[٤].

وكذلك على الجانب الآخر، فقد شددت النصوص على ضرورة اهتمام الرجل بأهله. فقد ورد عن رسول الله ﷺ «أوصاني جبريل عليه السلام بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة مبينة»[٥]، وفي حديث عنه ﷺ «من كانت له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه.... وعلى الرجل مثل ذلك الوزر

---

(١) تنبيه الخواطر، ص١٢٢.

(٢) كنز العمال، ج١٦، ص٣٣١، حديث ٤٤٧٧١.

(٣) بحار الأنوار. ج٧٨، ص٣٤٥.

(٤) وسائل الشيعة، ج٢٠، ص٢١٤، حديث٢٥٤٥٧.

(٥) الكافي، ج٥، ص٥١٢، حديث٦.

إذا كان لها مؤذيا ظالمًا»[١]. لقد جاءت جميع هذه النصوص لغرض تأكيد أهمية العلاقات العائلية وأولويتها في حياة الأفراد.

الخدمة داخل العائلة

إن أحد عوامل نجاح العلاقة العائلية، هو بلوغ أفراد الأسرة حدّ التباري في خدمة بعضهم بعضًا. وذلك بأن يعمل الرجل على خدمة زوجته وأبنائه، فيما تقوم الزوجة والأولاد بخدمة الأب. يقول النبي ﷺ فيما روي عنه: «لا يخدم العيال إلا صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة»[٢]، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «إذا سقى الرجل امرأته الماء أجر»[٣]، وورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «إن أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله»[٤]. فلا ينبغي للرجل أن يجلس في البيت وكأنه جلالة الملك يأمر وينهى فقط؛ لأن في خدمته لعياله أجرًا كبيرًا.

التنازلات المتبادلة

على غرار باقي العلاقات، تبقى العلاقة العائلية خاضعة لمعايير العلاقات البشرية بما يعتريها من أخطاء. فوقوع الأخطاء من أفراد العائلة هو أمر طبيعي نتيجة الغفلة أو نحو ذلك، لذلك ينبغي للفرد من العائلة أن يكون مرنًا في تقبل الأخطاء، وليس من الصحيح أن يتحلى بعض الناس بالمرونة في تقبل أخطاء الآخرين خارج البيت، فيما يصعب عليه تقبل ذلك من أفراد عائلته، فهذا خطأ كبير. فقد ورد في هذا الصدد عن الإمام الباقر عليه السلام القول: «إني لأصبر من غلامي هذا ومن أهلي على ما هو أمر

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج٢٠، ص٢٥٤، حديث ٨٠٤.
(٢) مستدرك الوسائل. ج١٣، ص٤٩، حديث١٤٧٠٦.
(٣) كنز العمال. ج١٦، ص٢٧٥، حديث٤٤٤٣٥.
(٤) الكافي. ج٤، ص١١، حديث ١.

من الحنظل، إنه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم ودرجة الشهيد»[١]. إن على الإنسان أن يتحلى بمزيد من التحمل تجاه المشاكل العائلية. وورد عن رسول الله ﷺ: «ألا ومن صبر على خلق امرأة سيئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر أعطاه الله ثواب الشاكرين»[٢].

وقد ضرب ﷺ أروع الأمثلة في التعامل مع عياله، ومن ذلك ما رواه أخوتنا أهل السنة في مصادرهم بسند جيد، حيث روى أبو يعلى بسند لا بأس به وأبو الشيخ بن حيان بسند جيد قوي عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: كان في متاعي خف وكان على جمل ناج وكان متاع صفية فيه ثقل، وكان على جمل ثقال فقال رسول الله ﷺ: «حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة حتى يمضي الركب»، قلت: يا لعباد الله، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ﷺ قالت: فقال رسول الله ﷺ: «يا أم عبد الله، إن متاعك فيه خف، وكان متاع صفية فيه ثقل، فأبطأ الركب فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرها، قالت: فقالت: ألست تزعم أنك رسول الله ﷺ؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أوفي شك؟ أنت يا أم المؤمنين يا أم عبد الله، قالت: قلت: ألست تزعم أنك رسول الله ﷺ، فهلا عدلت، وسمعني أبو بكر وكان فيه غرب، أي حدة، فأقبل عليَّ فلطم وجهي، فقال رسول الله ﷺ: «مهلا يا أبا بكر»، فقال: يا رسول الله، أما سمعت ما قالت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه»[٣]. والشاهد فيه موقف رسول الله ﷺ من زوجته وكيف تلمّس لها العذر.

ينبغي أن يتحلى المرء بالمرونة في علاقاته العائلية وألّا يقف متصلبًا عند الأخطاء. فتحمل الأخطاء هو أحد عوامل قيام الحياة العائلية السعيدة، أما إذا تمسك كل طرف

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٦٤، حديث٢٠٤٥٨.
(٢) من لا يحضره الفقيه. ج٤، ص١٦.
(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٩، ص٧١.

في العائلة بموقفه المتعنت من الآخر، واختار التعامل بشدة مع الطرف المخطئ، هنا لا تنتظم الحياة العائلية. ولذلك يقول تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. والمودة هي المحبة، بينما الرحمة تعني العطف والشفقة في حالة الضعف والحاجة، لذلك على كل منا أن يهتم بصناعة جوٍّ سعيد في عائلته، وأن يجعل هذه الدائرة في حياته الأكثر اهتمامًا في تعامله والأوفر نصيبًا من إحسانه.

أين العقل في السياسة العربية ؟

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[سورة الحشر، الآية: ١٤]

إن من أبرز ملامح سيادة التعقل في حياة أي أمة أو مجتمع، التزام السلم، والنأي عن العنف، التمحور حول المصالح المشتركة. فمع اعتماد الإدارة السلمية المرنة لحلّ الخلافات البينية بين مختلف الأطراف، والنأي عن استخدام العنف والشدة، إلى جانب التمحور حول المصالح المشتركة، فإن جميع ذلك يعني سيادة جو التعقل في الأمة. أما إذا سادت المجتمعات أجواء نقيضة لما سبق، فلا معنى لذلك سوى غياب التعقل، والخضوع للأهواء والعصبيات، وفي المحصلة العيش في حالة جنونية. وبالنظر في آي الذكر الحكيم نجد أن الآية الكريمة حينما تتحدث عن اليهود والمنافقين فإنها تصفهم بهاتين الصفتين يقول تعالى: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾، أي إنهم يستخدمون شدّتهم وقوتهم ضد بعضهم بعضًا، والصفة الثانية ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾، أي إنهم بخلاف ما قد يظهر للآخرين، لا يجمعهم هدف معين، فكلٌّ يغني على ليلاه، بل تجدهم ممزقين تحت ضغط المصالح القبلية، أو الطائفية أو الفئوية، ناهيك عن الغياب التام لأي مصلحة عليا مشتركة فيما بينهم. وخلاصة الأمر، يصف ربنا المجتمعات التي تعتمد أسلوب الشدة والعنف الداخلي وتغيب مصالحها المشتركة بأنهم غير عقلاء ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾.

إدارة الخلاف بين التعقل والعصبيات

لقد بات من الواضح أن من أهم عوامل قوة وتقدم الأمم التزامها النهج السلمي الداخلي، والتوافق حول المصالح العليا المشتركة، سواء كان ذلك في داخل الدولة الواحدة أو بين مختلف الدول. ولعل أبرز مثال على ذلك هو الدول الأوروبية التي لديها الكثير من الخلافات الحدودية والتاريخية والثقافية والمصلحية، لكنهم تجاوزوا كل تلك الخلافات؛ لأنهم بلغوا مرحلة التعقل، ولذلك تجد بأسهم بينهم ليس شديدًا، وإنما يشتد بأسهم على غيرهم خارج الحدود، وتجدهم شديدي التمسك بمصالحهم العليا المشتركة. ولنا مثال آخر في الشعب الأمريكي الذي يربو سكانه على ٢٨٠ مليون نسمة، فهؤلاء جميعًا ليسوا متفقين في دياناتهم وأعراقهم وأحزابهم، لكنهم متفقون جميعًا على المحافظة على مصالحهم المشتركة كأمريكيين. وبذلك يمكن القول إن هذه الأمم (قوم يعقلون) وفقًا للتعبير القرآني، في مجال علاقاتهم الداخلية، فإنهم يحكّمون العقل.

في مقابل ذلك، إذا نظرنا إلى وضع أمتنا الإسلامية، فإننا نجد الصفتين اللتين ذكرهما الله لليهود والمنافقين في ذلك الزمن، تنطبقان تمامًا على الأمة الاسلامية في هذا الزمن!، وبذلك ينطبق على أمتنا الآن اليوم في علاقاتها الداخلية بأنهم قوم لا يعقلون، أي مجانين بمعنى آخر!.

إن هناك علاقة طردية بين استشراء العنف الداخلي في أي أمة وضعفها أمام العدو الخارجي. فبقدر استخدام الشدة في العلاقات البينية في الداخل، تجد انعكاس ذلك في موقف الذلة تجاه الخارج. فالناس الذين يكونون أشدّاء على بعضهم بعضًا لا يمكن أن يكونوا أشدّاء على العدو؛ لأنهم استنزفوا قوتهم داخليًا، وانشغلوا ببعضهم بعضًا، وهذا ما نفهم من قول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، ومضمون ذلك أن القوم الذين يتسمون بالمرونة والتسامح واللين والتذلل لبعضهم بعضًا، يمكن أن ينالوا العزة على الكافرين، أما إذا

استنفذوا قوتهم داخليًا بالنيل من بعضهم بعضًا، فإن قواهم تخور وتستنزف، فيكونون عرضة للإذلال على يد الأعداء، وهذا بالضبط ما تعيشه اليوم الأمة العربية والإسلامية مع الأسف الشديد. فما نجده اليوم داخل الأمة هو تفشي العنف بين الحكومات والفئات المعارضة من جهة، وبين الدول الإسلامية نفسها، والطوائف فيما بينها على الجهة الأخرى، فهل ثمة جنون وتغييب للعقل أكثر من هذا؟

ولعلّ أبرز حالات غياب العقل في الأمة هو ما نجده من اقتتال دموي عنيف بين فئات وطوائف الشعوب الإسلامية الخاضعة للاحتلال الأجنبي. فمع ما يفعله الغزاة الأمريكان في أفغانستان من احتلال وقتل وتدنيس للقرآن الكريم، لا نلبث أن نرى سقوط العشرات من المحتجين الأفغان ضحايا لاقتتال فيما بينهم، فهل من العقل أن نقتتل فيما بيننا ردًا على حرق العدو كتابنا المقدس؟

وعلى غرار ذلك ما حدث بين العراقيين إبان مرحلة الغزو الامريكي، فقد اقتتلوا فيما بينهم حتى قتلوا من بني جلدتهم مقتلة عظيمة لا يبلغ مقدار ما قتلوا من الجيوش الغازية عشر معشارها. أفلا ينطبق على من يقومون بهذا الفعل (بأنهم لا يعقلون).

لقد أصبحت العلاقات الداخلية في الأمة تدار بالعواطف، والانفعالات، والعصبيات، بدلًا من العقل. وهذا أقرب مصداق لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾. ولعل الناظر لواقع الساحة الإسلامية اليوم يرى بوضوح، كيف يعربد الكيان الإسرائيلي الغاصب، يفتك بالفلسطينيين ويعيث في الأرض الفساد، وقد كان قطاع غزة في الأسبوع المنصرم ميدانًا لهجمات الصهاينة وطائراتهم، حتى سقط خلال خمسة أيام أكثر من ٢٥ شهيدًا، بينهم قادة في المقاومة الشعبية، وأكثر من سبعين مصابًا وجريحًا، وتهديم عشرات من البيوت. فالحصار مستمر على قطاع غزة، حتى الكهرباء بالكاد تصلهم مدة ست ساعات يوميًا، هي أقصى ما يمكن أن تنتجه محطة الكهرباء الوحيدة عندهم، علمًا بأن الوقود اللازم لتشغيلها على وشك النفاذ إذا لم يتدارك الأمر وتقوم مصر، وهي الدولة العربية المسلمة، بتزويد الفلسطينيين بالوقود!.

إسرائيل المستفيد الأكبر

إن المستفيد الأكبر من انشغال العرب ببعضهم بعضًا اليوم هي إسرائيل. فهي ماضية في مشاريع الاستيطان وتهويد القدس، ولقد بنت لحدّ الآن في أراضي جبل أبو غنيم جنوب القدس أكثر من ثلاثة آلاف وحدة سكنية، من أصل أربعة آلاف وحدة يعتزمون إنشاءها، فيما يبلغ المشروع الأساس سبعة آلاف وحدة سكنية معتمدة للبناء على أراضي الفلسطينيين، والمعدة لإسكان اليهود القادمين من دول أخرى.

أضف إلى ذلك، ما قامت به إسرائيل في الآونة الأخيرة من سحب لبطاقات الهوية الخاصة بالفلسطينيين المقدسيين، حتى وصل عدد الهويات المسحوبة أكثر من ١٤٠٠٠ بطاقة، وذلك تمهيدًا لإبعادهم عن القدس وإحلال اليهود محلهم!، ناهيك عن وجود مئة ألف مقدسي مهددين بالطرد والإبعاد من القدس، وقد هدمت إسرائيل لحد الآن ٣٨٠٠ منزل في القدس وهي ما تزال مستمرة في جريمتها.

فأين الجامعة العربية؟ وأين مجلس التعاون الخليجي؟ الذين يتصرفون وكأن أمر فلسطين لا يعنيهم، فيما تجدهم مشغولين حتى النخاع بإيران، والأوضاع في سورية، والخلافات الداخلية فيما بينهم، فهل يمت هذا التصرف للعقل بصلة؟ فها نحن نستخدم بأسنا الشديد فيما بيننا، ونسكت عن العدو المحتل، حتى بلغ الحال ببعض الحمقى والمغفلين أن يكتب بكل وقاحة أن إيران هي الأخطر على العرب والخليج من إسرائيل!. إيران بلد مسلم، والاختلاف السياسي بين الحكومات في مدٍّ وجزر، فمرة يتفقون وأخرى يختلفون، ولكن أن تكون إيران أخطر من إسرائيل؟ فأيّ عقل هذا؟

لقد كانت مفارقة عجيبة أن تتداول الجامعة العربية أو بعض دولها بشأن تسليح المعارضة السورية، فيما يلفّها الصمت إزاء الانتهاكات الصهيونية. ولنا أن نتساءل اليوم: لماذا لا تتجه الجامعة العربية وهذه الدول لتسليح المقاومة الفلسطينية في

وجه العدو الصهيوني؟! والأشدّ غرابة أنه في حين يجري الحديث عن تسليح العرب ضد بعضهم، يقوم العرب أنفسهم بسد كل المنافذ الممكنة، حتى الأنفاق منها تحت الأرض، منعًا لإيصال المساعدات والسلاح لإخوانهم الفلسطينيين في قطاع غزة!. فعرب اليوم لا يمتنعون فقط عن تزويد الفلسطينيين المقاومين للاحتلال بالسلاح، بل تجتهد الحكومة المصرية في سد الأنفاق وبناء حاجز فولاذي تحت الأرض إقامته سلطة مبارك البائدة، هذه الحالة التي تعيشها الأمة اليوم حالة جنونية خاضعة لسيطرة الأهواء.

أدعية القنوت تحريض طائفي

ومن مظاهر غياب العقل أن تسمع في العديد من المساجد في بلادنا أدعية القنوت، للدعاء على أتباع المذاهب الإسلامية الذين يصفونهم بالمبتدعة والرافضة!. فهؤلاء يسكتون عن المحتلين لبيت المقدس، والفاتكين بالشعب الفلسطيني، فيما يتوجهون بالدعاء على إخوانهم في الدين!. هذا قنوت يشيع روح التعصب الطائفي، ويثير الناس على بعضهم بعضًا، وهي حالة أبعد ما تكون عن العقلانية. إن الاختلاف السياسي بين الأفرقاء السياسيين أمر مفهوم، أما أن ينسحب الأمر إلى التعبئة الطائفية، وإثارة الكراهية، وصناعة الأضغان والإحن في النفوس، وتهييج الناس على بعضهم بعضًا، فهذا هو الجنون بعينه.

ثمة مصالح مشتركة عند كل شعب ومجتمع وأمة، يجب أن يتمحور الجميع حولها. ولعل ما يسلينا و يعزز الأمل في نفوسنا أن هناك وعيًا متناميًا في صفوف أبناء الأمة، وهناك مقاومون واعون وإن كانوا قلة لكنهم المنتصرون إن شاء الله.

الخطبة الأولى

ازدواجية الشخصية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٤﴾ [سورة الصف، الآيتان: ٣-٤]

يمثل الانسجام بين الأفكار والأفعال لدى الأشخاص أحد أهم جوانب الصدق والالتزام القيمي. فالإنسان الذي يتبنى فكرة ويبشّر بها ويدعو إليها، سيكون منسجمًا مع ذاته، وصادقًا مع نفسه، متى انعكست على واقعه الفعلي، وعلى النقيض من ذلك، من يتحدث عن فكرة، ويدعو إليها، لكنه لا يطبقها ولا يعمل بها، فمثل هذا الأخير يعيش ازدواجية في شخصيته، وتباينًا بين فكره وسلوكه، وسينعكس ذلك بطبيعة الحال على نظرة الناس إليه، حيث يفقدون الثقة في أفكاره، إذا كان هو نفسه أول من يخالفها عملًا، فلو كانت تلك الأفكار تستحق الاحترام لالتزم بها صاحبها أولًا، والأنكى من ذلك أن الناس سيفقدون الثقة بشخصيته؛ لأنهم سيعتبرونه غير ملتزم وغير صادق.

أسباب الازدواجية

والسؤال هنا، ما أسباب بروز الازدواجية بين القول والفعل لدى بعض الأفراد؟

يبدو أن ذلك عائد لأحد سببين:

السبب الأول: عدم الاقتناع الحقيقي بالفكرة

إن الشخص الذي يتظاهر بإيمانه بفكرة ما، لكنه في حقيقة الأمر قد لا يكون كذلك في أعماق نفسه، فإن سلوكه المغاير لفكرته سيكون فاضحًا له، وهذا ما يعبر عنه الإسلام بالنفاق، أي أن يظهر المرء شيئًا لكنه لا يؤمن به حقيقة في داخله، بل يبطن نقيضه.

السبب الثاني: ضعف الإرادة في الالتزام

قد يكون الشخص مقتنعًا بفكرة ما ويدعو لها، لكن عند التطبيق قد يواجه صعوبة، أو تضغط عليه الأهواء والشهوات فتخونه إرادته، ولا يلتزم ما يؤمن به.

إن الازدواجية الفاضحة، والتباين الحادّ، بين القول والفعل، لدى الأشخاص تُعدّ أحد أسباب غضب الله تعالى، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، فالخطاب القرآني جاء في الآية الكريمة على نحو مباشر وصادم، متسائلًا: لماذا تقولون شيئًا أنتم لا تطبقونه في حياتكم؟، واعتبرت الآية الكريمة ذلك السلوك سببًا للمقت من الله، والمقت هو البغض الشديد، أي كبر بغضًا على الله تعالى أن تقولوا شيئًا وتدعون إليه ثم لا تعملون به.

ثمة مسافة كبيرة بين الخطاب الإسلامي العام والواقع الفعلي الذي يعيشه المسلمون. إذ تتردد في أوساط المسلمين أقوال كثيرة في غاية الروعة، تجدها من خلال ترديد آيات القرآن الكريم من قبيل ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وغيرها من الآيات الكثيرة الواردة في القرآن الكريم، ناهيك عن النصوص الواردة في السنة النبوية، وقصص الأنبياء، وسير الأئمة ﷺ، ولكن المسافة كبيرة جدًا بين هذه النصوص التي تتردد في أجواء المسلمين وبين الواقع الفعلي الذي يعيشونه. ومعنى هذا، أن هذه

الأقوال إنما تردد فقط كمقولات مأثورة، ومنقولات تاريخية، لم تصل إلى أعماق النفوس، ولم تأخذ موقعها في الإيمان الحقيقي في القلوب، كما لم تواكبها إرادة التطبيق والالتزام والتنفيذ.

من مظاهر الازدواجية

هناك العديد من أوجه الازدواجية والتناقض بين الأقوال والأفعال في الحياة العامة.

١. ولعلّ أحد أبسط الأمثلة على ذلك ما يمارسه الكثير من الناس من تستطير للنظريات المجردة في المجالس والدواوين، فيكثر أمثال هؤلاء من قول ينبغي أن يكون كذا، ولماذا لا يعمل الناس كذا، لكن واقع الحال شيء مختلف، فإلى أي مدى يلتزم هذا المتحدث نفسه ولو جزءًا بسيطًا من مقولاته؟

بل الأسوأ من ذلك ما يحصل في الكثير من الأحيان، من حالات المزايدة على الآخرين دونما واقع فعلي على الأرض يبرر هذه المزايدة.

هذه مفارقة كبيرة تدعونا للتأمل في الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، فمن المشين أن يمارس المرء حرفة التنظير المجرد، وكيل الانتقاد الأجوف، بينما لا يجيد عمل شيء في حياته العملية. ومما يذكر في هذا الصدد، كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يعاتب فيها أصحابه جاء فيها: «كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كيت وكيت فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد»[1]. حينما تسود في المجتمع عينات من هذا القبيل فسيبتلى هذا المجتمع بالازدواجية بين القول والعمل.

٢. وتنسحب مشكلة الازدواجية على المستوى العائلي بين الأب وأفراد العائلة.

---

(١) نهج البلاغة، من خطبة له في ذم المتخاذلين، خطبة ٢٩.

فكثير من الآباء يتحدث ناصحًا أبناءه، لكنه إذا لم يكن في سلوكه ملتزمًا، فإن كلامه لا يؤثر في قلوبهم ونفوسهم. يتصور بعض الآباء أنه لو أخفى سلوكه عن أبنائه، كأن يشاهد أفلامًا غير جيدة أو عنده علاقات غير مشروعة، لكنه في مقابل ذلك يراقب أبناءه ويحذرهم، فهو يظن أنه إذا عمل ما ينهى عنه أبناءه في الخفاء سيكون كل شيء على ما يرام، أي إنه يعيش مع أبنائه بشخصية بينما في واقعه يعيش بشخصية أخرى. إن على أمثال هؤلاء الآباء أن يعلموا أن ما خرج من القلب يقع في القلب، وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان غالبًا. فإذا لم يكن الأب نفسه ملتزمًا فعليه ألّا يتوقع أن يكون أبناؤه ملتزمين بنصائحه.

٣. ويتكرر الأمر في العديد من النماذج الأخرى التي تنضح ازدواجية مقيتة على المستوى الشخصي. فكثيرًا ما نسمع من ينتقد الآخرين كأن ينتقد ظلم السلطة لرعيتها، ويتحدث في ذلك بإسهاب، لكنه هو الآخر يسيء استخدام سلطته على زوجته وأبنائه وعماله وزملائه في العمل، حيث يمارس الظلم والحيف ضدهم، فهو ينتقد السلطة لممارستها الظلم بينما يقوم هو بنفس الدور، ويمارس ذات الظلم الذي يستنكره.

٤. وقد ينتقد البعض سلوك الموظفين على إهمالهم وتباطئهم في قضاء حوائج المواطنين وتسهيل أعمالهم، لكنه هو الآخر يمارس خلال وظيفته ذات السلوك الذي ينتقد من أجله الموظفين الآخرين. ورد عن علي عليه السلام: «كفى بالمرء جهلًا أن ينكر على الناس ما يأتي مثله»[١].

٥. ولعلّ أهم فئة أولى من غيرها بضرورة الانسجام بين أقوالها وأفعالها هي النخبة الدينية والثقافية في المجتمع. فمثل هذه الشريحة من الناس يحترفون بحكم عملهم دور التنظير والوعظ والإرشاد، فمنهم العلماء والخطباء والمثقفون

(١) عيون المواعظ والحكم، ص٣٨٦.

والكتّاب والمتحدثون في وسائل الإعلام، والمدربون والمشرفون على دورات وورش عمل حول المهارات وتنظيم حياة الإنسان وأساليب وطرق النجاح، كل هذه الأصناف ضمن هذه الشريحة عليهم أن يجعلوا نصب أعينهم هذه الآية الكريمة ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، فما دام هذا الشخص يتحدث للناس وينصحهم، فعليه أن يعود إلى ذاته ليرى مدى التزامه ما يقوله للناس، وما يدعو إليه. ومما يروى في هذا الصدد حديث عن رسول الله ﷺ ورد في مصادر المسلمين سنة وشيعة جاء فيه: «ليلة أسري بي إلى السماء رأيت جماعة تقرض شفاههم بمقاريض النار، كلما قرضت وفت، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك، يقولون ما لا يفعلون»[١].

إن كل خطيب أو عالم أو مدرب أو مثقف ينبغي أن يخشى مقت الله عليه. وأن يجعل نصب عينيه الآية الكريمة ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. فهناك بعض الناس يحترفون الكتابة والخطابة والتوجيه، لكن ليس لجميع ذلك أيّ انعكاس فعلي على واقع حياتهم وسلوكهم الاجتماعي، وينقل في هذا السياق قصة طريفة عن أحد الخطباء الذي كان يتحدث عن إيثار الجار، ناصحًا الناس بأن يؤثروا جيرانهم بالجيد من طعامهم، وكانت زوجته تستمع للخطبة فبادرت قبل وصول الخطيب للبيت وأخذت طعامهم لجارهم، فلما عاد الخطيب سأل عن ذلك الطعام الذي طلب إعداده للغداء؟ فقالت زوجته: آثرنا به الجيران، فقال: لماذا؟ قالت: بناءً على ما تفضلت به من إيثار الجار، فغضب وقال: ما لكم، ألا تفهمون، إنما نقول هذا للناس وليس لنا!. هذا من أسوأ أوجه الازدواجية والتناقض الذي قد يصاب به الموجهون الاجتماعيون في أيّ بيئة.

٦. كما أن من مصاديق الازدواجية لدى بعض الأشخاص عدم التزام الوعود.

---

(١) مستدرك الوسائل. ج١٢ ص٢٠٥، حديث١٣٨٨٩، وأيضًا كنز العمال، ج١١، ص٣٩٨، حديث ٣١٨٥٦.

فمن أبرز الالتزامات الأخلاقية أن يفي المرء بالوعود التي يقطعها على نفسه أمام الآخرين، فإذا ما وعد بشيء فلا بُدّ أن يفي بوعده. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له فمن أخلف فبخلف الله بدأ ولمقته تعرض وذلك قوله ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّـهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾»[١].

وينسحب ذات الأمر بالنسبة للعائلة والأبناء حتى الصغار منهم، فعلى المرء أن يكون صادقًا في وعده، وألّا يمارس إطلاق الوعود، ثم يتناسى الأمر، ففي هذا أثر سلبي كبير على الأبناء. قال عبدالله بن عامر: «أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمي: يا عبدالله، تعال أعطيك. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمرًا. فقال صلى الله عليه وآله: أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة»[٢].

وورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «إذا وعدتم الصغار فأوفوا لهم فإنهم يرون أنكم أنتم الذين ترزقونهم وإن الله لا يغضب بشيء كغضبه للنساء والصبيان»[٣]. كما ورد عن علي عليه السلام: «المسؤول حرّ حتى يعد»[٤]. من هنا فعلى المرء أن يكون صادقًا مع نفسه فيما يقول وما يعمل، كما أن علينا أن نجعل الآية الكريمة نصب أعيننا، وأن نسعى لأن يكون هناك انسجام بين أقوالنا وأعمالنا، بين الأفكار والممارسات في حياتنا العملية.

---

(١) الكافي. ج٢، ص٣٦٤.

(٢) مسند أحمد. ج٣ ص٤٤٧.

(٣) بحار الأنوار. ج١٠١، ص٧٣.

(٤) نهج البلاغة، حكمة ٣٣٦.

الرهان على ثقافة التنوير

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء»[1].

للثقافة والفكر دور أساس في صياغة حياة الأمم وتشكيل واقع المجتمعات. فالثقافة الحية السليمة تجعل الأمة في واقع سليم، بينما الثقافة المريضة المتخلفة تدفع بالأمة نحو هاوية التخلف والانحطاط. ويشير النص الوارد عن الإمام علي عليه السلام إلى دور الفكر والثقافة في تشكيل رؤى الإنسان وانطباعاته (الأفكار أئمة القلوب)، ولأن القلوب هي مركز المشاعر والأحاسيس فإنها توجه سلوك الإنسان وممارساته فهي (أئمة الحواس).

لقد عاشت المجتمعات الأوروبية في العصور الوسطى تخلفا مدقعًا في مختلف المجالات، ولم تتجاوز ذلك التخلف إلا حينما تحرك المفكرون والمثقفون وأنتجوا وأبدعوا ثقافة تنويرية تحررية، وحينما انتشرت وسادت الثقافة التنويرية في المجتمعات الأوروبية أنقذتهم من حياة التخلف، التي فرضها الاستبداد السياسي بالتحالف مع رجال الكنيسة، لقد صنعت الحركة التنويرية العقلانية واقعًا جديدًا، وحياة أخرى في أوروبا. وبالعودة إلى تاريخنا العربي، يدرك الجميع مدى الواقع البئيس الذي كانت تعيشه الأمة قبل ظهور الاسلام، لكن الثقافة والهدي الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وآله،

(١) بحار الأنوار. ج١، ص٤٠.

هو الذي أنقذ الأمة من ذلك الواقع الجاهلي المتخلف، وسار بها نحو طريق التقدم والرقي.

بين ثقافة التخلف وثقافة النهوض

تعيش مجتمعاتنا العربية اليوم حالة مخاض وصراع، بين ثقافة تريد الحفاظ على حال التخلف، وبين ثقافة جديدة تدفع نحو النهوض والتقدم. إن وضعنا كمسلمين يختلف بالطبع عن وضع الأوروبيين، ذلك لأننا لا نعاني من مشكلة في جوهر ديننا، وإنما نعاني مشكلة في طريقة فهم هذا الدين. هناك فهم سيئ للدين في بعض الأوساط، وهناك خرافات وأوهام وتقاليد سارت عليها وتوارثتها أجيال الأمة، هي التي تجعل الأمة أسيرة لواقع التخلف والانحطاط، بينما تتجه الأمم الأخرى إلى طريق العلم والتقدم في مختلف المجالات. وإذا كان هناك من رهان على مستقبل لهذه الأمة، فإنه يتمحور حول الثقافة التنويرية التي يجب أن تسود في مجتمعاتها.

هناك في الساحة من يرفض أي تغيير ثقافي، حرصًا منه على مصالحه المرتبطة بالواقع المتخلف. وتُعدّ بلادنا من الساحات التي تعاني من سيادة ثقافة متشددة ترفض الانفتاح، وترفض التغيير، والسير في مسارات النمو والتقدم. وما دامت هذه الثقافة هي السائدة فإن واقع بلادنا لا يمكن أن يتغير ويتقدم.

لكن هناك بشائر أمل تتمثل في بروز أفكار تنويرية تعيد النظر في الفهم التقليدي السائد للدين، والنأي عن الفهم الذي جعل من الدين حارسًا للاستبداد والتخلف، وسببًا للنزاعات والخصومات بين المذاهب وأتباع الديانات والأمم الأخرى، ومنع الأمة من الاستجابة للتقدم والنمو في مختلف المجالات، وكما هو الحال في كل التاريخ البشري، فإن الثقافة المتجذرة لا تستسلم بسرعة، ولا تخلي مكانها للثقافة الجديدة، بل تتشبث بوجودها لأن هناك قوى مصلحية تستفيد من ثقافة التخلف.

لقد جسّد معرض الكتاب الدولي بالرياض جانبًا من الصراع بين قوى التنوير

والتخلف في مجتمعنا. فمعرض الكتاب الذي انتهى الجمعة الماضية، بعد أن استمر لعشرة أيام، يُعدّ فرصة كبيرة للانفتاح على الثقافة والعلم والآراء الأخرى، حيث أصبح من أقوى وأنشط المعارض في البلاد العربية، لكن هناك تيارًا من المتشددين الذين يرفضون الانفتاح لخشيتهم من الفكر والرأي الآخر، ولهذا حاولوا جهدهم أن يمنعوا تنظيم هذا المعرض ويعوقوا ارتياده، وقد أصدر أكثر من ٧٤ ممن ينتمون إلى هذا السلك من العلماء والدعاة بيانًا دعوا فيه لمقاطعة المعرض، واعتبروا إقامته من أعظم المنكرات، بل كان بعضهم يخطط لخلق المشاكل داخل المعرض، لولا الاستعانة بأعداد كبيرة من رجال الأمن الذين تواجدوا داخل المعرض، لم تنجح محاولات المتشددين في التشويش على المعرض الذي بلغ عدد زواره ما يقارب المليوني زائر، وبلغت مبيعات الكتب فيه أكثر من ٤٠ مليون ريال، وشاركت فيه أكثر من ٤٥٠ دار نشر من مختلف دول العالم، ذلك بالرغم من شكاوى كثير من الزائرين من وجود بعض القيود والمشاكل، التي صاحبت تنظيم المعرض، خصوصًا لجهة منع كتب المذاهب الاسلامية الأخرى، وهذا يكشف لنا جانبًا من طبيعة المعركة الدائرة بين التنوير والتخلف.

إحياء تاريخ الاستبداد

تعاني بلادنا من وجود سدنة للتخلف وحراس للاستبداد. وهؤلاء لا يريدون للأمة التقدم، ويرفضون الانفتاح على الآخر، ويمارسون الهيمنة والاستبداد الفكري. والأنكى من كل ما سبق إصرار هذه الفئة المتشددة على ربط الناس بثقافة التشدد والاستبداد التاريخي، فما زالوا يحاولون ربط المجتمع بالشخصيات المستبدة في التاريخ.

هناك شخصيات تاريخية مختلف عليها بين السنة والشيعة، لكن هناك في المقابل شخصيات متفق على سوء سيرتها بين المؤرخين والمحدثين والعلماء في كل

المذاهب، لكن مع ذلك تصرّ هذه الفئة المتشددة على إحياء ذكر هذه الشخصيات المستبدة، ويجهدون في تلمس الأعذار لأخطائها وطغيانها. ذلك لأنهم يريدون للناس أن ترتبط بهذه الشخصيات الظالمة، وإلا فما مبرر إحياء ذكر وسيرة يزيد بن معاوية، وهل يستحق هذا أن يقدم كنموذج للشباب خصوصًا وقد اُتفق على فساده وسوء سيرته، حتى مع تردد البعض في المجاهرة بلعنه، فقد افتتحت في هذا العام في مدينة الرياض مدرسة ثانوية بعنوان ثانوية يزيد بن معاوية!، وكأن هؤلاء لم يجدوا شخصًا أفضل منه!، فأيّ تخلف وأيّ استبداد ذلك الذي يريد هؤلاء ربط الناس به.

وقد أثار هذا التوجه نحو تمجيد بعض الشخصيات التاريخية السيئة بعضًا من مثقفي البلاد. فقد كتب الأستاذ عبدالله فراج الشريف ناقدًا لهذه الحالة في مقاله في جريدة البلاد بتاريخ ١١/ ٢/ ٢٠١٢ تحت عنوان «وليزيد بن معاوية مدرسة!»، جاء فيها: في هذا العام تأسست مدرسة ثانوية في عاصمة الوطن «الرياض» في حي الحزم على امتداد شارع حمزة بن عبدالمطلب، واختير لها اسم هو «مدرسة يزيد بن معاوية» الملك الثاني الأموي، الذي نعرفه جميعًا، وما أثير حول سيرته أثناء فترة ملكه التي استمرت أربع سنوات، وكانت من أكثر فترات التاريخ الإسلامي دموية، والذي قال عنه الإمام الذهبي في سير النبلاء: (كان قويًا شجاعًا، ذا رأي وحزم، وفطنة وفصاحة وله شعر جيد، وكان ناصبيًا، فظًا، غليظًا، جلفًا، يتناول المسكر، ويفعل المنكر، افتتح دولته بمقتل الحسين، واختتمها بواقعة الحرة، فمقته الناس، ولم يبارك في عمره، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين، كأهل المدينة قاموا لله، وكمرداس بن أُديّة الحنظلي البصري، ونافع بن الأزرق، وطواف بن معلى الدوسي، وابن الزبير بمكة.

وروي أن الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز عند ما ذكر رجل عنده يزيد فقال: أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، أمر بضربه عشرين سوطًا)، ثم نقل قول ابن كثير أيضًا، وكلاهما من العلماء المقبولين عند السلفيين، يقول: (وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم أو الحلم، والفصاحة، والشعر والشجاعة، وحسن الرأي في

الملك، وكان ذا جمال وحسن عشرة، وكان فيه إقبال على الشهوات وترك الصلوات في بعض أوقاتها، وإماتتها في غالب الأوقات). كل هذا الكلام عن يزيد بن معاوية!، ثم يقول الكاتب في آخر مقاله: (والسؤال موجّه لوزارة التربية والتعليم، مَنْ كانت هذه سيرته ما الحكمة في أن يعلو اسمه هامة إحدى مدارسنا، مع أن في الأخيار من صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم وأفذاذ العلماء غنية عن مثله، ولنا أمل أن تسمى هذه المدرسة باسم أحدهم). والأكثر من ذلك، قامت إدارة المدرسة بتدشين موقع على الإنترنت كله دفاع عن يزيد! وما هذا إلا لإرادة توجيه الناس نحو الارتباط بسيرة يزيد بن معاوية وأمثاله من الظلمة الجبارين.

وعلى غرار ذلك كتب الدكتور خالد بن صالح السيف، المحاضر في جامعة الإمام محمد بن سعود في القصيم قسم الثقافة الإسلامية منتقدًا تمجيد الشخصيات التاريخية السيئة. فقد كتب السيف في جريدة الشرق الصادرة بالدمام بتاريخ ٢٢/ ٣/ ٢٠١٢م، حول الشخصية التاريخية خالد القسري تحت عنوان (من أحب خالدًا الفاسق فهو السلفي ومن أبغضه فهو جهمي بدعي)، وعرّف الكاتب بخالد القسري ناقلًا عن تاريخ الطبري من خطبة خالد القسري عندما كان واليًا على مكة وقد توعد أهل مكة بالصلب وهدم منازلهم إذا خرجوا عن طاعة الحاكم، ومما جاء في خطبته:

«عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة وإياكم والشبهات، فإني والله ما أوتى بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم. إن الله جعل الخلافة فيه بالموضع الذي جعلها فسلموا وأطيعوا ولا تقولوا كيت وكيت. إنه لا رأي فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه، واعلموا أنه بلغني أن قومًا من أهل الخلاف يقدمون عليكم ويقيمون في بلادكم فإياكم أن تنزلوا أحدًا ممن تعلمون أنه زائغ عن الجماعة فإني لا أجد أحدًا منهم في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله فانظروا من تنزلون في منازلكم وعليكم بالجماعة والطاعة..».

ثم يقول الكاتب: «ولمن لا يعرف خالدًا هذا لزامًا عليه الاطّلاع على ما دُوّن بحقه، إذ قال عبدالله بن أحمد بن حنبل؛ سمعت ابن معين يقول: خالد بن عبدالله

القسري رجل سوء يقع في علي. وأخبر الأصمعي: أن خالدًا القسري ذم بئر زمزم، وقال أبوعاصم: سمعت عمرو بن قيس يقول: لما أخذ خالد سعيد بن جبير وطلق ابن حبيب، خطب فقال: كأنكم أنكرتم ما صنعت، والله لو كتب إلى أمير المؤمنين لنقضتها حجرًا حجرًا، يعني الكعبة!».

وهكذا نقل جرائم وفظاعات القسري، ثم يقول الكاتب: (ألفينا: «القسري» يحتلّ من الصندوق ـ السلفي ـ مكانًا رضيًا! إذ بات مبغضه معدودًا فيمن كان في قلبه مرض ذلك أنه لا يحب خالدًا إلا: «مؤمن/ سلفي» في الحال وفي المآل؛ في حين يطال الالتياث توصيفًا بـ: «الجهمي» البدعي من أبغض خالدًا جراء أفعاله!

ثمة دين في رقابنا أوجزه بما يلي: يجب أن نصفي حساباتنا مع المظلم من تأريخنا وأن ننزع من قلوبنا «خوف» التاريخ وسوقه.

ومتى نفقه: أن من القرآن وصحيح السنة وحدهما يجب أن تؤخذ العقيدة الحقة فحسب، لا من «التأريخ» وصراعات ساسة الملك العاض من بني أمية ومن الذين جاؤوا من بعدهم من الخلوف).

إذًا هذا الصراع المكشوف يجري اليوم بين الثقافة المتشددة التي تريد الانغلاق وتبحث عن الخصومات وربط الناس بالجانب المظلم من التاريخ الإسلامي، وبين ثقافة جديدة تنويرية تدعو إلى التسامح والانفتاح والرقي والتقدم، والرهان في نهاية المطاف على هذه الثقافة الجديدة.

الخطبة الأولى

الرفق مفتاح النجاح

ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «من كان رفيقا في أمره نال ما يريد من الناس»[1].

يمثل لين الجانب والسماحة والرفق بالآخرين نقطة جذب واستقطاب فعالة للنفوس والقلوب. فحين يتعامل الإنسان مع أخيه الإنسان فهو إنما يكون على تماس مباشر مع مشاعر وأحاسيس ذلك الآخر، تلك الأحاسيس التي تمثل في حقيقة الأمر العمق الفعلي لوجود الإنسان، الأمر الذي ينبغي أن يحسب له حسابًا. ذلك على النقيض تمامًا من تعامل الإنسان مع الجمادات والكتل المادية الصماء التي لا تتميز بأيّ قدر وجداني يذكر.

إن مشاعر الإنسان وأحاسيسه تستجيب سريعًا للغة الاحترام والتقدير، والتعامل بالرفق واللين. في حين ينفر البشر عند مواجهتهم بلغة الإساءة والتعامل الخشن. من هنا إذا أراد المرء أن يستميل الآخرين نحوه فإن أول ما يتوجب منه أن يتعامل معهم التعامل الحسن، وأن يخاطب فيهم مشاعرهم وأحاسيسهم.

في إشارة قرآنية لأفضل اساليب التخاطب مع الآخرين يقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، ويقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسان عَدُوًّا مُبِينًا﴾. إن تخيّر أفضل العبارات، وأجمل

---

(١) الكافي. ج٢، ص١٢٠.

الكلمات عند مخاطبة الآخرين، هو ما يجعلك أقرب إلى قلوبهم، ويجعلهم أقرب منك. كما ورد عن أمير المؤمنين علي ﵇: «ما من شيء أجلب لقلب الإنسان من لسان»[١]، ومقتضى القول إن الخطاب الجميل والقول الحسن هو الأكثر قدرة وتأثيرًا على اجتذاب قلوب الآخرين.

الرفق مع المخطئين

تؤكد تعاليم الإسلام جانب الرفق واللين حتى مع المخطئ من الناس. فعوضًا عن التعامل مع المخطئ بأسلوب الشدة والفظاظة التي قد تدفعه للإصرار على خطئه، تدعو التعاليم الدينية إلى التعامل مع المخطئ بأسلوب الرفق واللين، أملًا في أن يدفعه ذلك لتغيير سلوكه ونظرته تجاهك وتعامله معك، وذلك هو ما أشارت له الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

وهكذا كان رسول الله ﷺ والأئمة والصالحون يتعاملون مع الآخرين بسياسة الرفق واللين، حتى إذا كان أولئك في موقف الخطأ. ورد في رواية عن أنس بن مالك قال: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزرموه، دعوه فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا للبول والقذر، إنما هي لذكر الله عزّ وجلّ والصلاة وقراءة القرآن»[٢]، يقول ذلك الأعرابي : والله لقد أتاني فما أنبني ونهرني وما ضربني، هذه هي اللغة السليمة وهذا هو النهج النبوي في التخاطب مع الناس، وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»[٣]، وعنه ﷺ: «إن الله رفيق يحب

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٨٥، حكمة ٢٤٥.

(٢) صحيح مسلم، ص١٦٥، حديث ٢٨٥.

(٣) الكافي. ج٢ ص١١٩.

الرفق في الأمر كله»[١]، وورد عنه ﷺ: «إن الله يحب الرفق ويعين عليه»[٢]، وقوله ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير»[٣].

الرفق بالعائلة أولا

ولعلّ أقرب الدوائر التي يتوجب على المرء أن يراعي فيها الرفق والتعامل الحسن هي العائلة. إن على الإنسان أن يكون رفيقًا في تعامله مع أسرته وعياله، فإن للرفق داخل العائلة آثارًا عظيمة، فحين يألف أفراد العائلة التعامل الحسن، فإن ذلك سوف ينعكس على صحتهم النفسية، بينما حين تكابد الزوجة القسوة والتعامل الخشن من زوجها، فإن جميع ذلك سوف ينعكس على نفسيتها وطريقة تربيتها للأبناء، والأمر ذاته بالنسبة للأولاد، فإنهم سوف يصابون بالعقد والمشاكل النفسية حينما يعيشون الفظاظة والقساوة داخل البيت من قبل الأبوين. من هنا على المرء أن يلزم جانب الرفق بأبنائه وخاصة الصغار منهم فلا يكون قاسيًا عليهم، ولا خشنًا في تعامله معهم.

وتحضّ التعاليم الدينية على تبادل الرفق ولين العريكة في تعاطي الزوجين مع بعضهما. إذ ينبغي أن تكون الزوجة رفيقة بزوجها، حتى لا تحول حياة العائلة إلى جحيم، كما ينسحب الأمر ذاته على تعامل الرجل مع زوجته، فقد ورد في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «حق الزوجة أن تعلم أن الله تعالى جعلها لك سكنًا وأنسًا وتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها». وورد عن رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله عز وجل بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق»[٤]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما زوي الرفق عن أهل بيت إلا زوي عنهم الخير»[٥].

---

(١) صحيح البخاري. كتاب الأدب، ج٤، ص٩٢، حديث٦٠٢٤.
(٢) الكافي. ج٢، ص١٢٠، حديث١٢.
(٣) الكافي. ج٢ ص١١٩، حديث٧.
(٤) مسند أحمد بن حنبل. ج٦، ص٧١.
(٥) الكافي. ج٢، ص١١٩، حديث٨.

وتأتي ضرورة التزام جانب الرفق في إطار العائلة، وصولًا إلى الأصدقاء والزملاء، وما حولنا من الأشياء والكائنات. فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجرًا وأحبّهما إلى الله عزّ وجلّ أرفقهما بصاحبه»[١]، وورد عن علي عليه السلام: «الرفق بالاتباع من كرم الطباع»[٢]، بل ويتعدى جانب الرفق إطار البشر حتى يصل إلى الحيوان والجمادات، فقد وردت نصوص عديدة بشأن الرفق بالحيوان، وكذلك الأمر بالنسبة للتعامل مع الجمادات، فبعض الناس يتعاملون مع الأشياء تعاملًا فظًا قاسيًا حتى يتعود على هذه الحالة، حتى إنك حين تراه يفتح بابًا ويغلقه بقسوة تظن أن بينه وبين الباب عداوة وثأرًا.

نتائج الالتزام بالرفق

ثمة نتائج عديدة وآثار تترتب على التزام الإنسان جانب اللين والرفق، ومن ذلك:

أولًا: استحقاق الرفق من الله

إذا كان الإنسان رفيقًا بالناس فهو أقرب ما يكون لاستحقاق الرفق الإلهي يوم القيامة. فقد يشعر الفرد في الحياة الدنيا بالقوة، لكنه عمّا قريب سينتقل عن هذا العالم إلى عالم الفناء، فكيف ستكون حياته هناك سواء في القبر، أو مصيره يوم القيامة. لا شك بأن تعامل المرء مع من حوله في الدنيا سيحدد طريقة التعامل التي سيواجه بها يوم القيامة، فقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «كان آخر ما أوصى به الخضر موسى عليه السلام قال: ما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة»[٣].

ثانيًا: الرفق بالآخرين سبيل النجاح

إن التعامل الحسن مع الآخرين والرفق بهم تضع الفرد على سكة النجاح. إذ إن

---

(١) الكافي. ج٢، ص١٢٠، حديث١٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٤، حكمة ٨٦٣.

(٣) وسائل الشيعة. ج١٦، ص١٦٣.

هناك علاقة طردية بين النجاح الشخصي والرفق بالآخرين. قال الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾: «من كان رفيقًا في أمره نال ما يريد من الناس»[1]، وعن علي ﴿عليه السلام﴾: «الرفق مفتاح النجاح»[2]، وقال ﴿عليه السلام﴾: «الرفق ييسير الصعاب ويسهل شديد الأسباب»[3]، وورد عن الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾: «إن شئت أن تكرم فلن وإن شئت أن تهان فاخشن»[4].

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للتعامل بحسن الخلق مع كل من حولنا.

---

(١) الكافي. ج٢، ص١٢٠، حديث١٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٤، حكمة ٨٦٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٤، حكمة ٨٧٢.

(٤) الكافي. ج١، ص٢٧، حديث٢٩.

الإعلام الطائفي وتفجير الصراعات

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[سورة الحج، الآية: ٣٠-٣١]

الحديث حول موارد الاختلاف بين البشر أمر مشروع ما دام ضمن الضوابط الأخلاقية، أما الافتراء فهو عدوان. فقد يختلف الناس في عقائدهم وأفكارهم ومصالحهم، فيدفعهم ذلك للنقاش في موارد الاختلاف فيما بينهم، ومن الطبيعي أن يسعى كل طرف للانتصار لرأيه وموقفه، فهذا أمر مبرر ومشروع إذا ما كان ضمن الضوابط العلمية والأخلاقية، إلا أن ذلك الاختلاف لا يسوغ بأيّ حال مواجهة الآخرين بالافتراءات، ووصفهم بما ليس فيهم، عندها يكون ذلك السلوك مصداقًا لقول الزور.

قول الزور

وتبيانًا لفداحة قول الزور، فقد قرن الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة الاجتناب عن قول الزور بالاجتناب عن الرجس من الأوثان، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، فكما أن عبادة الأوثان مخالفة للحقيقة، وانتماء إلى الباطل، وعدوان على الألوهية الحقة، فإن قول الزور في الناس هو بالمثل مخالفة للحقيقة وعدوان على الناس، لذلك وردت النصوص الكثيرة التي تحذر الإنسان من قول الزور، فقد ورد في صحيح البخاري عن أنس قال: «سئل رسول الله ﷺ عن

الكبائر فقال ﷺ: الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين، فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قال: قول الزور»[١]، فأكبر الكبائر وفق الرواية أن يقول الإنسان زورًا على الآخرين، ويفتري عليهم، ويصفهم بما ليس فيهم.

ويعرف مصطلح الزور، وفقًا لأرباب اللغة، بأنه وصف الشيء على خلاف ما هو به. ويقول الحافظ بن حجر في شرحه على صحيح البخاري: «وضابط الزور وصف الشيء على خلاف ما هو به، وقد يضاف إلى القول فيشمل الكذب والباطل وقد يضاف إلى الشهادة فيختص بها ـ شهادة الزور»[٢]، وقال آخرون: الزور هو الكذب الذي قد سوي وحسِّن في الظاهر ليحسب أنه صدق وهو من قولك زورت الشيء، أي إنه كلام باطل لكنه يطرح بطريقة مضللة.

وصف المخالف بما ليس فيه

إن من الظلم وصف الآخر المختلف فكريًا، أو المغاير دينيًا، بما ليس فيه. فإذا ما وصف أحد الآخرين المختلفين عنه في الدين أو المذهب أو الفكر أو الانتماء، بما ليس فيهم، فقد تجنّى عليهم وظلمهم، الأمر الذي يجره بطبيعة الحال إلى مستنقع الكذب وفقدان المصداقية في أعين الناس؛ لأنه خالف الحقيقة. كما أن ذلك سيكون سببًا لإغضاب الطرف الآخر، وبالتالي إثارة الضغائن والأحقاد بين الناس.

إن اتهام أي إنسان بما ليس فيه أمر معيب ولا يجوز، كأن تصف أحدًا بالسرقة وهو لم يسرق، أو ارتكاب الزنا وهو لم يزنِ، فهذا ظلم وعدوان، بغض النظر عن دين أو فكر أو اتجاه ذلك الإنسان.

ولا ينبغي مواجهة الخطأ بالخطأ. ومما جاء في السيرة النبوية في هذا الصدد أن النبي ﷺ سخط على أحد اصحابه المجاهدين إبان غزوة بدر؛ لأنه قال كلامًا جارحًا

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، ج٤، ص٨٢، حديث٥٩٧٧.

(٢) فتح الباري. ابن حجر، ج ١٠، ص ٣٤٦.

لأحد المشركين، ووصفه بصفة باطلة. حدث ذلك عندما بعث رسول الله ﷺ بعض أصحابه، لسؤال بعض الأعراب عن قافلة قريش، فوجدوا أعرابيًا فسألوه ولم يجدوا عنده خبرًا، ثم قال له الناس، تعال معنا لتسلم على رسول الله ﷺ فقال الأعرابي: أوفيكم رسول الله؟ قالوا: نعم، فجاء ثم التفت إلى النبي ﷺ فقال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه، فقال سلمة بن سلامة، لا تسأل رسول الله وأقبل عليَّ أنا أخبرك بما في بطن ناقتك، إنك نزوت على ناقتك ففي بطنها منك سخلة، فغضب رسول الله ﷺ وقال: له مَهْ! أفحشت على الرجل ثم أعرض عن سلمة[1]. لقد أعرض عنه النبي ﷺ لأنه تحدث بحديث باطل وزور، ومقتضى موقف النبي هو أن استهزاء الأعرابي به ﷺ لا يبرر مواجهته بما ليس فيه، والتهجم عليه بالكلام الفاحش.

قول الزور ثقافة عامة

إن من أخطر المشكلات هو تحول قول الزور إلى ثقافة عامة تحكم بعض المجتمعات. وذلك بأن تتقاذف مختلف الفئات داخل المجتمعات المتنوعة والمتعددة بالتهم والأوصاف الجارحة ضد بعضها بعضًا، استنادًا إلى أخبار وأباطيل لا أساس لها من الصحة. إن الاختلاف الفكري أو الديني المذهبي أمر طبيعي، وتنوع العقائد قابل للنقاش، وتباين الآراء في تقويم الشخوص وأحداث التاريخ أمر متاح، لكن جميع ذلك لا يبرر أن يصف بعضنا البعض الآخر بصفات سلوكية ليست فيه، فذلك مصداق قول الزور، وسبب لإثارة الأضغان والأحقاد، وهو تجنٍّ وظلم على الآخرين.

ومن أسف نقول: إن سلوكًا من هذا القبيل آخذ في التحول إلى ثقافة عامة في أوساط بعض مجتمعاتنا الإسلامية، فكل فئة تنظر إلى الفئة الأخرى من خلال مقولات باطلة أبعد ما تكون عن الصحة، ولكن باتت هذه المفتريات من حكم المسلمات، نظرًا لتكرارها وترديدها من جهات تثق بها قطاعات من الناس، كالدعاة وعلماء الدين

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج٢ ص٤٤٦.

والمثقفين الذين يفترض فيهم الثقة وأمانة القول، وحين تصدر من هؤلاء مثل هذه الأباطيل، فإنما يعني ذلك ممارسة التضليل بحق الناس، والأدهى أننا أصبحنا نواجه في هذا العصر منابع ومنابر إعلامية تثير مثل هذه الثقافة، وتشيع قول الزور بين فئات المسلمين.

يدرك الجميع حجم الخلاف المذهبي بين المسلمين الشيعة والسنة. فهناك اختلاف عقدي وفقهي واضح بين الجانبين، لكن أن تتهم هذه الفئة الأخرى بسلوكيات وأعمال ليست فيها، فذلك هو عينه قول الزور. ويزداد المرء أسى حين يرى صدور هذه الأباطيل بحق أتباع المذاهب الأخرى ممن يصنفون أنفسهم بالعلماء والأكاديميين.

ومما يحضرني في هذا السياق ما سمعته من أحد القضاة السنة العاملين في منطقتنا، حين جرى الحديث معه حول بعض الاختلاف المذهبي في أحكام الزواج، فاجأني بالقول بأن الشيعة يجيزون الزواج من المرأة المتزوجة!، فقلت له: اتق الله يا شيخ، فلا يوجد دين ولا مذهب ولا نظام في كل المجتمعات البشرية يجيز للمرأة أن تعدد الأزواج. وحين سألته عن مصدر مزاعمه ردَّ بأنه قرأ ذلك في بعض كتبنا، عندها الححت عليه بأن يذكر لي اسم الكتاب، فوعد بأنه سيأتيني به فلم يأتِ به، ولا أظنه سيأتي به إلى يوم القيامة، ذلك لعدم وجود هذا الحكم الباطل في أيّ كتاب لدى الشيعة، والأمر المثير للاستغراب هنا هو كيف يسمح هذا الشخص لنفسه وهو قاضٍ يعمل في منطقة شيعية، ويعيش مع أهلها، بأن يتهمهم بمثل هذا الأمر الشنيع!.

وأذكر في ذات السياق أنه ألّف أحد علماء الشام من أهل السنة موسوعة فقهية في الفقه المقارن، وتحدث فيها عن الزواج ومما أورده في موسوعته: أن الفقهاء المسلمين أجمعوا على أنه لا يجوز للمسلم أن يجمع أكثر من أربع زوجات في وقت واحد بالزواج الدائم، مستدركًا بأن الشيعة الإمامية انفردوا بالقول بإجازة الجمع حتى تسع نساء! وزعم بأن الشيعة يقرأون الآية الكريمة: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ على أن الواو للجمع، وليست للتخيير. وقد التقيت شخصيا

هذا الشيخ وهو عالم كبير وكتابه مشهور، كما أنه أستاذ جامعي، فسألته على هامش أحد المؤتمرات عن مصدر كلامه، حول إجازة الشيعة الجمع بين تسع زوجات، خاصة وأن كل تفاسير الشيعة حول الآية الكريمة تؤكد أن الواو واو التخيير وليست واو الجمع، كما أن جميع كتبنا الفقهية توكد الأمر ذاته، وليس هناك حتى رأي شاذ حول هذا الزعم الذي أورده، فقال: بلى، قرأت ذلك عنكم، فسألته عن مصدر أقواله فوعدني بالإتيان بالمصدر، ثم التقيته بعد ذلك بسنة، فقال بأنه قرأ عن ذلك في مذكرة جامعية أيام دراسته في الأزهر الشريف، فبالله عليكم هل تعدّ مذكرة جامعية مجهولة مصدرًا علميًا يعتمد عليه في إلصاق تهمة شنيعة بطائفة إسلامية كاملة!.

وتنسحب ذات المشكلة على العديد من الأباطيل كالحديث عن ما يسمونها بليلة الطفية، حيث يتعمد بعض الجهلة اتهام الشيعة بالتجمع ليلة العاشر من المحرم رجالًا ونساء ويمارسون الحرام!، فهل يقبل عاقل هذا الكلام، إلا أنه تحول مع ذلك إلى ثقافة عامة في أوساط الجهلة، وعززتها بعض المنابر الإعلامية المغرضة، حتى أصبح مجرد نفي هذه التهمة الباطلة أمرًا جهيدًا!.

منابر التحريض وتأجيج الطائفية

إن السماح بوجود هذه المنابر الإعلامية التحريضية هو الذي يتسبب في نشوب وتأجيج الخلافات الطائفية بين الفينة والأخرى. وقد عاشت بلادنا في الأيام الأخيرة مشكلة من هذا النوع، حيث بثت إحدى القنوات الفضائية المحلية برنامجًا عن طائفة من الطوائف الدينية في المملكة، وهم الإسماعيليون في نجران، الذين يقارب عددهم المليون نسمة بحسب تقديرات، وهم مواطنون يشاركوننا ديننا ووطنًا، ويعترفون بأركان الدين، ويختلفون في بعض الأمور العقدية والفقهية مع السنة وكذلك مع الشيعة الجعفرية، وقد عملت هذه القناة الفضائية برنامجًا تجاوز العشرين حلقة تعمدوا خلاله نبش الخلافات المذهبية، وتحدثوا بكلام غير مقبول، وقالوا كلامًا فاحشًا ضد

هذه الطائفة، وضد زعيمها الذي يبلغ من العمر نحو التسعين عامًا، حيث قال أحد المتحدثين علنًا بما مضمونه أن الإسماعيلية إذا زارهم زعيمهم الديني يقدّمون له نساءهم!، وقد أثار هذا غضب الإسماعيليين، ومن حقهم ذلك، فهو طعن في الكرامة والشخصية، فهل يمكن أن يجري مثل ذلك المنكر المدعى في ظلّ حكومة إسلامية؟ فكيف يتهم رجل كبير، وطائفة بأكملها بهذا الاتهام الشنيع. كما زعم المتحدث أيضًا بأن الإسماعيلية إذا قدموا طعامًا أو شرابًا لأهل السنة فإنهم يلوثونه بالبول أو البصاق!. ومن أسف نقول إن هذا الهراء منتشر عبر بعض المنابر ويكاد يشكل ثقافة عامة لدى بعض البسطاء.

إن المنابر الإعلامية مطالبة بتسليط الضوء نحو معالجة المشكلات المجتمعية. لكن هذه المنابر وعوضًا عن التوجه نحو الدفع باتجاه التنمية، ومعالجة البطالة، والتخلف العلمي، فإنها تنزع نحو التعدي على كرامة الناس، حتى أضحى حال الناس المطعونين في كراماتهم مصداقًا للمثل الشعبي (جوع وضرب جموع)، فماذا تنتظر من أناس يعيشون هذه الحالة، حيث تتعرض فئات كبيرة من المواطنين للإذلال والتجريح في كراماتهم وسلوكهم، وأخلاقهم وأعراضهم، في مصداق واضح لقول الزور الذي نهى الله عنه.

المطلوب هو تشريع قانون يجرم الحض على الكراهية وإثارة الفتنة بين الناس. ونعود لنؤكد مجددًا ما قلناه سابقًا، بأن مثل هذه التجاوزات لا يمكن أن تحل إلا بوجود قانون صريح يجرّم الحض على الكراهية وإثارة الفتنة بين الناس، ذلك أنه لا تكفي المعالجات المؤقتة لاستئصال هذا النوع من التعديات، كما حصل من إيقاف مؤقت لعمل تلك القناة لمدة شهر، إذ سرعان ما سيتكرر ذات التجاوز عبر برنامج آخر أو منبر مختلف.

لا بُدّ من تجريم هذا المنحى؛ لأن نتائجه خطيرة على الوطن. فبالرغم من التغيرات والتطورات التي تمر على المجتمعات العربية والإسلامية في هذه الآونة، إلا أن هناك

تيارًا متشددًا يدفع باتجاه إشعال الفتن في كل بقعة من بقاع العالم، والاصطدام مع كل الطوائف والفئات، وهذا بالتأكيد ليس في مصلحة الوطن ولا الدين. لا ينبغي أن يترك هذا التيار المتشدد يشعل في الأرض فتنًا، فلا بُدّ من وضع حدٍّ لمثل هذه التجاوزات بحق الأشخاص والفئات، ولا يفوتنا هنا أن ننصح أنفسنا والناس بألّا ينزلقوا إلى منزلقات الفتنة والطائفية، فهذا ما يريده الأعداء.

إننا نعرب عن تضامننا مع إخواننا في نجران ضد هذه الاساءة لمعتقداتهم ودينهم ولزعاماتهم، كما نتضامن مع كل فئة من فئات المواطنين، بل كل مواطن يتعرض للإهانة والإذلال والتشكيك في دينه وعرضه وسلوكه بغير حق. آملين بأن تتضافر الجهود لوضع حدٍّ لهذا المنحى المتشدد الذي أمعن في إساءته للناس.

الخطبة الأولى

الفتاة بين الاحترام والتهميش

عن عائشة قالت: «ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا من فاطمة برسول الله، وكانت إذا دخلت عليه رحب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه»(١).

وزاد الحاكم في رواية أخرى: «وكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ قامت إليه مستقبلة وقبلت يده» قال حديث صحيح على شرط الشيخين(2).

واخرج الحاكم في المستدرك عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال لفاطمة: «فداك أبي وأمي» وقال الحاكم رواة هذا الحديث عن آخرهم في الصحيح(3).

واخرج الترمذي عن جميع بن عمير قال: «دخلت مع عمتي على عائشة فسئلت: أي النساء كانت أحب إلى رسول الله ﷺ قالت: فاطمة، قيل من الرجال؟ قالت: زوجها»(٤).

وروى الحاكم أيضا «أن النبي ﷺ كان إذا سافر كان آخر الناس عهدًا به فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهدًا فاطمة»(٥).

---

(١) المستدرك على الصحيحين. ج٣، ص١٦٧، حديث ٤٧٣٢.

(٢) المصدر نفسه. ج٣، ص١٧٤، حديث٤٧٥٣.

(٣) المصدر نفسه. ج٣، ص١٧٠، حديث ٤٧٤٠.

(٤) سنن الترمذي. ج٤، ص٥٣٩، حديث ٣٨٧٤.

(٥) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٦٩، حديث٤٧٣٩.

خلق الله سبحانه وتعالى المرأة لتقوم بأدوار إنسانية عظيمة، فهي شريكة الرجل في إعمار الكون وإدارة الحياة. وقد أعدّها الخالق سبحانه للعب دور الأمومة، بدءًا من الحمل والحضانة وانتهاء بالتنشئة. وتحتاج هذه المهمة إلى مؤهلات بيولوجية ونفسية خاصة، وإلى مخزونٍ كبيرٍ من العاطفة والمشاعر المرهفة لتعينها في القيام بواجباتها، إن تميز المرأة بقدر كبير من العاطفة لا يمثل عيبًا فيها بأيِّ حال من الأحوال، كما قد يظن بعض الناس خطأً، فلولا هذا المخزون العاطفي لما طاقت الحمل تسعة أشهر، ولما صبرت على آلام الولادة، وتعب الرضاعة، ومعاناة التنشئة. ينبغي النظر في حقيقة الأمر إلى هذه القدرات باعتبارها مؤهلات ونعم منّ الله بها على الأنثى لتمارس دورها العظيم في هذه الحياة.

إن تميز المرأة بفيض عاطفي لا يتناقض وامتلاكها القدرات العقلية المتميزة. فالمرأة كالرجل في سائر المقومات، لكنها تمتاز عليه بهذا الثراء العاطفي الذي جبلت عليه للقيام بأدوارها الحيوية الكبيرة.

الرعاية العاطفية للمرأة

من هنا ينبغي للمحيط العائلي، وخصوصًا الآباء والأزواج، أن يأخذوا هذا الأمر بعين الاعتبار، فيتعاملون مع البنت بقدر كبير من الرعاية والاهتمام، لغرض إشباع عاطفتها؛ ذلك لأن البنت ستكون أقرب للإصابة بالأزمات النفسية، والمشاكل السلوكية، إذا ما عانت من جوع وفراغ عاطفيين في محيطها العائلي، الأمر الذي سوف ينعكس سلبًا على دورها التربوي مع زوجها وأبنائها.

ثمة الكثير من النصوص الدينية التي تشدّد على أهمية التعامل الرقيق مع البنات. فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رفقًا بالقوارير»[1]، ومضمون ذلك ضرورة ايلاء المرأة أقصى قدرٍ من المراعاة، وينطوي الحديث على تشبيه لطيف،

(١) بحار الأنوار. ج١٦، ص٢٩٧. وأيضًا مجمع الزوائد للهيثمي، ج٨، ص٢٠.

كما لو كان المرء يحمل القوارير الزجاجية والخزفية بعناية خشية سقوطها وتعرضها للكسر والتحطم، بخلاف اذا ما حمل شيئًا خشنًا وثقيلًا كالخشب والحجارة فهي أبعد ما تكون عن خطر التعرض للكسر بسهولة. إن التعامل مع النساء ينبغي أن يكون في غاية الرفق، ذلك أن مشاعر المرأة أقرب ما تكون للانكسار إزاء التعامل الخشن، وفي حال إهمالها والتعامل الجاف معها. إن ذات الأمر ينسحب كذلك على الزوجة، فحينما تنكسر مشاعرها وأحاسيسها فسيكون لهذا أثر سلبي عليها وعلى دورها العائلي والاجتماعي، الأمر الذي يدعونا لتذكر هذا النص الديني (رفقًا بالقوارير) ووضعه باستمرار نصب أعيننا.

وفي نصٍّ آخر عن علي عليه السلام: «المرأة ريحانة وليست بقهرمانة»[١]، والقهرمان هو الشخص الموكل بجباية أموال الخراج من الناس، فمثل هذا الشخص غالبًا ما تتسم علاقته بالناس وعلاقة الناس به بالشدة والنزعة للتحدي، إن هذا النص يريد أن يقول بأن علاقتك أيها الرجل مع زوجتك لا ينبغي أن تكون قائمة على أساس المناكفة والتحدي، بل على العكس من ذلك تمامًا، فهي ريحانة ينبغي التعامل معها بلطف.

وفي حديث ثالث روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإن من فرح ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل»[٢]، وجوهر هذا التصرف يشير إلى أهمية مراعاة المشاعر والأحاسيس للبنات تحديدًا. جُلّ هذه النصوص تنزع في حقيقة الأمر نحو التأكيد على التعامل اللين مع البنات.

حق الفتاة أن تقرر لنفسها:

في سياق موازٍ ينبغي أن نضع بعين الاعتبار أننا نعيش اليوم عصر انطلاق الحريات

---

(١) الكافي. ج٥، ص٥١٠.

(٢) وسائل الشيعة، ج٢١، ص٥١٤، حديث٢٧٧٢٨.

الفردية والعامة لدى أغلب شعوب المعمورة، وباتت مسألة حق اتخاذ القرارات الشخصية جزءًا لا يتجزأ من شخصية الفرد، لا فرق في ذلك ذكرًا كان أم أنثى. فقد بات الشاب والشابة يريان في نفسيهما القدرة التامة على اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتهما، لذلك تجد الواحد منهما يرفض التهميش، سيّان في ذلك على المستوى الفردي أو الجمعي. من هذه الزاوية يمكن فهم تطلع الشعوب إلى المشاركة السياسية في إدارة أوطانها، ولذات السبب غدا من الصعب إقناع النساء اللاتي يمثلن نصف المجتمع بأن لا حقّ لهن في اتخاذ القرارات التي ترتبط بمستقبلهن.

ولعلّ أحد أهم الحقوق الفردية التي ينبغي احترامها على صعيد الفتيات هو الحق في اختيار شريك الحياة أو الانفصال عنه. إن اتخاذ قرار الموافقة على الزواج يُعدّ قرارًا مصيريًا للفتاة، فحينما تبلغ البنت مبالغ النساء لا شك أنها تميل من الناحية الجسمية والنفسية والاجتماعية إلى تغليب مصلحتها في الزواج، سيما لجهة الخصوصية المحافظة لمجتمعاتنا، وذلك على النقيض من المجتمعات الأخرى التي تجاوزت نوعًا ما هذه المشكلة، حتى غدت الحاجة الأسرية لوجود الزوج في تلك المجتمعات لا تقارن بمثيلتها عندنا، فالمرأة هناك حتى لو لم تتزوج وبقيت عانسًا، فإنها تستطيع في تلك المجتمعات أن تسيّر أمور حياتها بنفسها على نحو اعتيادي.

في مقابل ذلك تبرز جملة من الصعوبات الهائلة أمام المرأة غير المتزوجة في المجتمعات المحافظة، إذ يصعب عليها عادة أن تسيّر أمورها بدون الرجل، ناهيك عن النظرة الاجتماعية التي تغمز من طرف تأخر الزواج ووقوعها في براثن العنوسة. علمًا بأن مسألة الزواج هي قسمة ونصيب كما يقال، ولا يُعدّ عدم الزواج بأيّ حال دليلًا على الضعف أو الفشل أو السوء، كما هو شائع في ثقافتنا الاجتماعية سيما في الوسط النسائي.

ثمة عوامل عديدة طرأت على الحياة الاجتماعية فأفرزت ظاهرة العنوسة التي يحق للفتيات أن يخشين الوقوع ضحية لها. لقد أضحت العنوسة شبحًا أمام الفتيات،

ولذلك فمن حق الفتاة في مجتمعاتنا أن تعيش مخاوف تأخر الزواج حتى لا تقع في ذلك الفخ، حيث يتقدم بها العمر دون أن تجد من يقترن بها، فتخسر بذلك فرصة استكمال حياتها العاطفية والاجتماعية.

إن مشكلة بعض الآباء تكمن في غفلتهم عن مستوى القلق الهائل الذي ينتاب بناتهم إزاء أمر الزواج، ولذلك تجد بعضهم يتشدد في وضع الشروط التعجيزية أمام زواج ابنته، هذه البنت التي ربما ترى نفسها قاب قوسين أو أدنى من شبح العنوسة المخيف. إن من حق البنت أن تخشى تفويت فرصة الزواج، بسبب تعنّت الأب في الموافقة على زواجها تحت ذرائع وحجج غير مبررة في الكثير من الأحيان، سيما وقد ناهزت إحصائيات العنوسة في المملكة قرابة المليوني عانس، كما تشير إلى ذلك تقارير وزارة التخطيط[١]، ولعلّ ذلك عائد إلى عوامل عديد طرأت على الحياة الاجتماعية حتى أفرزت هذه الظاهرة. من هنا فمن حق البنت أن تخشى تفويت فرصة الزواج، بسبب تعنّت الأب.

الفتاة وقرار الزواج

إن أخطر ما يمكن أن يحطم حياة البنت هو اتخاذ العائلة قرار تزويجها بالنيابة عنها، وبمنأى عن رأيها!. فحين تشعر الفتاة أنها مهمشة على هذا الصعيد، وأن الرأي المطلق هو للأب أو الأخ، بل وفي بعض الأحيان يكون القرار للخال أو العم، والأكثر من ذلك أن يوافق الجميع ولكن ربما تتعثر الأمور عند بروز تحفظ ما على العريس الجديد طرأ لدى أحد أقاربها!، هذه الفتاة التي ترى نفسها مهمشة في اتخاذ القرار المرتبط بها وبمستقبلها وحياتها، ألا تتحطم نفسيًا وتصبح نهبًا للعقد النفسية، وينتابها الغضب من المحيط الذي تعيش فيه؟ بل الأخطر من ذلك أن تنسب هذه الحالة إلى الدين، الأمر الذي يمكن أن يقود إلى غضب الفتيات على المجتمع برمّته وربما على

---

(١) جريدة عكاظ الصادرة بتاريخ الجمعة ١٤/ ١/ ١٤٣٣هـ الموافق ٠٩ / ١٢/ ٢٠١١ م العدد ٣٨٢٧.

الدين نفسه.

هناك من الناحية الشرعية ثلاثة أقوال لدى الفقهاء بشأن اتخاذ قرار زواج الفتاة البكر البالغة الرشيدة، نجملها في الآتي:

الرأي الأول: أن القرار بيد ولي البنت ويستحب له استئذانها، ويراه بعض فقهاء الشيعة والشافعية والمالكية من السنة.

الرأي الثاني: أن القرار بيد الفتاة ويستحب لها أن تستأذن أباها ويذهب إليه المشهور من علماء الشيعة، ويوافقهم الأحناف من السنة.

الرأي الثالث: الاشتراك في القرار بين الولي والفتاة، وهو رأي أغلب فقهاء الشيعة المعاصرين، والحنابلة من أهل السنة.

ينبغي للآباء في جميع الأحوال أن يأخذوا بعين الاعتبار رأي بناتهم، فقد أصبحن يعشن عصرًا مختلفًا عن الأزمنة السابقة. ولعلّ أسوأ ما يمكن أن يحدث أن يتخذ بعض هؤلاء من زواج بناتهم فرصة للضغط على زوجته وعائلته لأغراض آنية ضيقة، وذلك في حالات الخلافات الزوجية أو حدوث الانفصال عن الزوجة، وهذا أمر محرم وجرم كبير.

ومن ذلك ما يلجأ له بعض الآباء، حسبما نشر من تقارير صحفية، من رفض تزويج بناتهم الموظفات طمعًا في رواتبهن الشهرية، فيتعمد الواحد من هؤلاء وضع العراقيل والعقبات أمام زواج بناته لا لشيء إلا رغبة في الاستفادة من رواتبهن! إن هذا السلوك إجرامي محرم، وللحاكم الشرعي حينها الصلاحية في نزع ولاية أمثال هذا الأب إذا كان متعنتًا لأسباب غير مبررة، وهذا ما يقودنا إلى الحديث عن مشكلة أخرى لا تقل تعقيدًا، وتكمن في تلكؤ المحاكم الشرعية في الغالب في تطبيق هذا الحكم الشرعي ونزع ولاية أمثال هؤلاء الآباء.

مبررات الهيمنة العائلية على الفتاة

يمكن الإشارة هنا إلى أن جانبًا من تشدد الآباء في أمر تزويج بناتهم ربما يعود لخشيتهم عليهن، وعدم ثقتهم في اختيارهن لزوج المستقبل. فيضع الأب اعتبارات عديدة من قبيل وضع الشاب الخاطب وعائلته أو منطقته ووظيفته أو ما شابه، وهنا ننصح الآباء بألّا يتشددوا في هذا الأمر، ذلك لأننا نعيش اليوم في عصر مختلف، الأمر الذي يتطلب معه إظهار مرونة أكبر، فالبنت اليوم غير البنت بالأمس، فقد باتت البنات أكثر اطّلاعًا وأكثر معرفة بخلاف الفتيات في الزمن السابق اللاتي ربما لا تتجاوز معرفتهن أسوار بيوت آبائهن، لذلك فمن حق البنات في هذا الزمن أن يكون لهن رأيهن فيما يتعلق بمستقبلهن، وخصوصًا في أمر الزواج. وقد أصبحت أخطار التشدد في الموافقة على زواج البنت تشكل تحديًا للأمن الاجتماعي، حيث تحصل حالات الانتحار، أو الهروب من المنزل، أو قيام علاقات غير مشروعة.

ندرك جيدًا أن تشدّد البعض من الآباء في تزويج بناتهم ربما يعود إلى خشيتهم من فشل الزواج مستقبلًا، من هنا نقول إن مسألة تحقق الانسجام أو انعدامه في الحياة الزوجية خاضع لظروف وأسباب عديدة، ففي الكثير من الحالات التي وقفنا عليها نجد أن زواج البنت من قريب لها، الذي ربما يكون متدينًا وفيه كل الصفات التي تريدها العائلة، لكن مع ذلك سرعان ما تنشب المشاكل بأظفارها في حياتهم الزوجية، في مقابل ذلك وجدنا في بعض الأحيان من تتزوج من واحد بعيد عنها، وغير متوقع منه اسعادها فإذا به يحصل العكس تمامًا.

حقيقة الأمر، ثمة طرق ووسائل لضمان حقوق الفتاة في مقابل احتمال جور الزوج، ومنها أن تشترط في عقد الزواج بأن تكون وكيلة عن زوجها في تطليق نفسها متى شاءت، وإذا ما أساء معاملتها، فيمكنها حينئذٍ أن تعمل بهذا الحق.

كيف تعامل الرسول مع ابنته الزهراء؟

ونحن نعيش ذكرى وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام، ونستحضر الأحاديث والنصوص في مكانتها عند أبيها، ينبغي أن نراعي بناتنا، وأن نعاملهن بالحسنى، ونساعدهن على النجاح في الحياة الاجتماعية والأسرية.

فقد أخرج الحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين عن عائشة أنها قالت: «ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا من فاطمة برسول الله ﷺ وكانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه».

وروى أيضًا: أنها كانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحّب بها وأخذ بيدها فأجلسها في مجلسه وكانت هي إذا دخل عليها رسول الله ﷺ قامت إليه مستقبلة وقبلت يده.

وأخرج أيضًا أن النبي قال لفاطمة: فداك أبي وأمي.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة»[١].

إن هذه الأحاديث كما تبرز فضل فاطمة الزهراء عليها السلام، فإنها توجهنا إلى ما ينبغي أن تكون عليه علاقة الأب مع ابنته، بإغمارها بالمحبة والعطف والاحترام.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٥ ص٢٧٥.

الخطبة الأولى

المجتمع يدفع ثمن العادات المرهقة

عن الحسين بن أبي العلاء قال: «خرجنا إلى مكة نيفًا وعشرين رجلًا، فكنت أذبح لهم في كلّ منزل شاة: فلما أردت أن أدخل على أبي عبد الله عليه السلام قال: يا حسين، وتذّل المؤمنين؟ قلت: أعوذ بالله من ذلك، فقال: بلغني أنك كنت تذبح لهم في كل منزل شاة، فقلت: ما أردت إلا الله، قال: أما علمت أن منهم من يحب أن يفعل مثل فعالك فلا تبلغ مقدرته فتقاصر إليه نفسه، قلت: أستغفر الله ولا أعود»[1].

حينما يريد الإنسان ممارسة سلوك اجتماعي معيّن، فإن عليه أن يأخذ بعين الاعتبار انعكاسات ممارساته على الساحة الاجتماعية. فقد يقوم الإنسان بعمل جيد، وهو في أصله مباح، ولربما كان مستحبًا بالعنوان الأولي، لكن المدار حول أثر هذا العمل على المجتمع، فإن ترك أثرًا سلبيًا فإن المباح قد يتحول إلى حرام، والمستحب قد يصبح مكروهًا، ولا يصح للإنسان أن يبتكر عادة وإن كانت حسنة، ويغض الطرف عن آثارها إذا كانت سيئة على مجتمعه.

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص ٤١٥، حديث٦.

معيار لتقويم العادات

ولعلّنا نجد هذا المعنى واضحًا في الرواية التي نقلتها المصادر الشيعية عن الحسين بن أبي العلاء حيث قال:

خرجنا إلى مكة نيفًا وعشرين رجلًا، فكنت أذبح لهم في كل منزل شاة: فلما أردت أن أدخل على أبي عبد الله عليه السلام قال: يا حسين، وتذلّ المؤمنين؟ قلت: أعوذ بالله من ذلك، فقال: بلغني أنك كنت تذبح لهم في كل منزل شاة، فقلت: ما أردت إلا الله، قال: أما علمت أن منهم من يحب أن يفعل مثل فعالك فلا يبلغ مقدرته فتقاصر إليه نفسه، قلت: أستغفر الله ولا أعود.

هذا الراوي وهو الحسين بن أبي العلاء، من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام. وقد وثقه بعض علماء الحديث، كالنجاشي من الأقدمين، والسيد الخوئي من المتأخرين في معجم رجال الحديث.

ومفاد الرواية أن الحسين بن أبي العلاء كان ذا سعة وثراء، وشهامة وكرم، وكان أثناء خروجه إلى حج بيت الله الحرام يذبح شاة ليطعم من معه من المؤمنين كلما حلّت القافلة في منزل. وعمله هذا دليل على كرمه وجوده، ولا شك أن إطعام الطعام أمر مستحب، فكيف إذا كان لحجاج بيت الله الحرام؟ فالأجر فيه مضاعف وهو عنوان لخدمة ضيوف الرحمن. بيد أن الرواية تشير إلى انزعاج الإمام عليه السلام من هذا الفعل، حيث عاتب ابن أبي العلاء ووبّخه: وتذلُ المؤمنين؟ وقد دهش الحسين لذلك وقال مدافعًا عن نفسه: ما أردت إلا الله! وهنا بدأ الإمام يلفت نظر صاحبه إلى الخطأ الذي وقع فيه: أما كنت ترى أن فيهم من يحب أن يفعل فعلك فلا يبلغ مقدرته ذلك، فتقاصر إليه نفسه؟

إن الإمام عليه السلام يريد أن يقول له إن عملك في عنوانه الأولي حسن، ولكن ألم تلتفت إلى انعكاساته على من معك، ومن تريد أن تكرمهم؟ أنت مع جماعة وتذبح لهم من

حسابك الخاص، ومن حرِّ مالك، وتقوم بضيافتهم دائمًا وأبدًا، وفي القوم من يريد أن يعمل عملك كي يرد جميلك، ويحفظ العشرة، ويكافئ الإحسان بالإحسان، لكن يده قصيرة، لا يستطيع أن يضيّف أصحابه بالمستوى الذي صنعته أنت، فتولد في نفسه حسرة ويشعر بالانكسار والضعف. ولربما شقّ بعضهم على نفسه فيبذل فوق طاقته مجاراة لك، فتكون قد سنّيت سنة أرهقت بها من حولك.

عندها أدرك الرجل الأمر وقال في الحال: أستغفر الله ولا أعود.

عادات فيها أذىً وإثم:

إننا حين نقرأ مثل هذه الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فإن علينا أن نأخذ منها الدروس والعبر، وأن نطبقها كما لو كان الأئمة قد وجهوا الكلام لنا مباشرة.

إن لكل مجتمع عادات وتقاليد، وهي تبدأ بممارسة فرد لشيء ما، ثم يتبعه هذا وذاك، وهكذا تنتشر في أوساط المجتمع، وبعد مدة من الزمن تصبح عرفًا اجتماعيًا. قد يبتكر الإنسان عادة حسنة فيثيبه الله عليها، وقد يبتدع فكرة يكون أثرها سلبيًا على المجتمع فيتحمل وزرها وإن كان عمله في حدّ ذاته مباحًا.

إننا نشهد بين الحين والآخر ولادة عادات جديدة في مجتمعنا المنهك اقتصاديًا تزيد من معاناته وشقائه. نلحظ ذلك في كثير من المناسبات الاجتماعية، ولا فرق فيما إذا كانت مناسبة فرح أو حزن. فحفلات الزواج أصبحت باهظة الثمن، ولا تختلف عنها كثيرًا مجالس العزاء التي تقام لفقد قريب. والحال نفسه في الهدايا التي يتم تبادلها في المناسبات، ومنها هدايا المواليد وأعياد الميلاد.

إن ابتكار عادات جديدة في المجتمع وإن كانت تحمل في عناوينها الأولية الإباحة والاستحباب، لكنها قد تتحول إلى إثم وكراهة، إذا كانت مدعاة لإرهاق كاهل المجتمع، وعلينا أن نتنبه لهذا الأمر حتى لا نعرّض أنفسنا للإثم. فالإمام حين وجه صاحبه إلى ترك عمل مستحب حتى لا يرهق من معه، لم يكن الخطاب خاصًا به

فحسب، بل هو موجّه لنا جميعًا. وإذا كان الرجل قد أدرك ما يرمي إليه الإمام وبادر في الحال للاستغفار والعزم على عدم العود للأمر، حيث قال: أستغفر الله ولا أعود. وفيه إشارة إلى الترك حالًا، فالرجل لحسن إيمانه عزم الترك مباشرة، وهذا ما ينبغي أن يكون منا جميعًا تجاه العادات التي ابتكرناها وولدت لنا إرهاقًا وعناءً.

على الإنسان أن يحسب لغيره من أبناء المجتمع حسابًا. فإذا كان ذا قدرة على فعل عمل ما، فليأخذ بعين الاعتبار أن هناك من يريد أن يعمل مثله ولا يستطيع، وهذا يولد انكسارًا في نفسه، أو حرجًا إذا أصرّ على عمله حتى لا يكون في مستوى أقل من غيره، لأنه سيسمع ألسنة جارحة في مجتمعه لا تعلم وضعه، فيضطر لإخراسها حفظًا لماء وجهه.

حينما يريد الإنسان أن يفرح بزواجه ـ وهذا من حقّه ـ فعليه أن يتخذ أمرًا يرضي مشاعره، ولا يرهق من يأتي بعده. حتى لو كانت له قدرة وإمكانية، فعليه أن يتذكر أن هناك من لا يستطيع ذلك. لقد أصبحت عادات الزواج مرهقة للغاية، وللتوّ قد قرأت تحقيقًا عن العادات الاجتماعية حول الزواج، وكان أحد الشباب من أصحاب الدخل المحدود يقول إن زواجه كلفه ٢٠٠ ألف ريال منها ٣٠ ألف ريال للمهر، والباقي كلها على مراسيم الضيافة وعادات أخرى!

هذه أمور تسبب حرجًا وانكسارًا في نفوس الشباب، والحالة تكون أبرز في المجتمع النسائي لرقة عواطفهن. فالمرأة تريد أن تُزف بالشكل الذي تُزف فيه كل فتاة في أبهى صورة وأجمل احتفال، وإذا كان الأمر متعسرًا عليها لضعف الإمكانات المادية عند زوجها أو أهلها، فإن ذلك يحدث إنكسارًا في نفسها، أو يشكل ضغطًا عليها، فتوقع زوجها وعائلتها في حرج وعسر. علينا أن نتذكر قول الإمام عليه السلام لصاحبه: وتذل المؤمنين؟ هذا إثم وجرم كبير.

عادات تزيد الأعباء

إننا إذ نكرر القول والتذكير بهذا الأمر، لما نشهده من تطور الحال، وزيادة الأعباء على أبناء المجتمع. هذه العادات الباهظة هي من أسباب صنع العنوسة، بسبب البذخ الصارخ الذي نمارسه في حفلات الأعراس، فهذا (بما كسبت أيدينا). فمن أين لشاب محدود الدخل أن يلبي كل هذه المبالغ الطائلة؟ كانت الأمور ميسرة، حفلات عقد الزوج تقام في بيت والد العروس ببساطة، لكن الأمر تطور فأصبحت حفلة أشبه بحفلة الزواج! وهناك إصرار على إقامتها ولو بعد حين وكأنها واجبة فيتم قضاؤها بعد فوات وقتها قربة إلى الله تعالى!

والأمر كذلك في مأتم العزاء لوفاة قريب. حيث يجتمع الأهل ثلاثة أوقات، الأمر الذي يستلزم ثلاث وجبات، وتعطيل أعمال، وبذل جهد وتعب كبير، ولا شك أن بعض العوائل يرهقها ذلك. ولكننا نصرُّ على ما يرهقنا حتى لا نبدو أقل من غيرنا. يقول أحد المؤمنين: جاءني أحد الأصحاب يطلب مني قرضة حسنة، فسألته لماذا؟ قال: لأقيم بها ذكرى الأربعين على روح والدي!

لماذا هذا التكلف وكأن إقامة الأربعين واجبة؟ فقط لأنه وأخوانه لا يريدون أن يكون أبوهم أقلّ من غيره! وذكرى الأربعين أساسًا ما كانت تقام إلا لأهل العلم تعزيزًا لمكانتهم وتخليدًا لذكراهم، إلا أن البعض بدأ باقامتها لذويهم، وشيئًا فشيئًا أصبحت عرفًا في بعض أوساط مجتمعاتنا. والمشكلة أنك تجد من يزايد في الأمر، فيجنح للعادات المرهقة مدعيًا أنه من سيقوم بها إذا تخلى عنها غيره من عائلته، ويضع الآخرين في حرج. ولا يصح أن نحتجّ بعناوين أخرى بأن ذلك نفع للمتوفى وفيه أجر وما شابه، إذا كان ذلك يسبب حرجًا للآخرين.

ظاهرة أخرى نجدها في تبادل الهدايا بين الأحباب والأقرباء في المناسبات السعيدة. وهو أمر تحبذ التعاليم الإسلامية رواجه بين الناس، كما ورد عن رسول

الله ﷺ: «تهادوا تحابوا»[١]، ولكن ليس بالشكل الذي نقوم به الآن. ينبغي أن تكون الهدايا رمزية تشعر الطرف الآخر بمحبته ومكانته عندك. ما نراه في عادات تبادل الهدايا في مناسبات المواليد الجديدة وهدايا الميلاد أن هناك مزايدات ومبالغات ترهق المجتمع. ولا يقتصر الأمر على هدية واحدة فحسب، فاليوم مولود لأخ وغدًا لأخت، وقريب أو قريبة، فإذا كانت الهدايا باهظة الثمن فإن ذلك يسبب حرجًا وانكسارًا. حتى المرأة الموظفة لا يصح أن تبالغ في هداياها بحجة أن لديها قدرة مالية ولن ترهق زوجها؛ لأنها بالتالي سوف ترهق من أهدته، فالهدية كالدين، وأيضًا تضع من حولها في حرج حين تكون الهدايا أقلّ مستوى مما قدمته.

لماذا نصرّ في مجتمعنا على تكريس هذه العادات والتقاليد المكلفة التي تنتج لنا مشاكل اجتماعية وعائلية ونفسية؟ إن الله تعالى لا يحب المتكلفين، وهو سبحانه يريد اليسر ولا يريد العسر.

أصبح من الواجب علينا ونحن نعيش هذه الظروف أن ننشر ثقافة التسهيل. وأن يشجع بعضنا بعضًا على عدم التكلف في مراسيم المناسبات. لا يصح للبعض منا أن يلوم من حوله ـ ولو على سبيل المزاح ـ لعدم استضافتهم له في مناسباتهم، فقد يكون في ذلك عبء عليهم وحرج، بل ينبغي التشجيع حتى يعيش الناس اليسر وعدم التكلف مع الآخرين. مراعاة أحوال الناس وظروفهم أمر يتحتم علينا أخذه بعين الاعتبار.

---

(١) الكافي. ج٥، ص١٤٤.

الخطبة الثانية

7

تفعيل المسار القضائي في مواجهة الانتهاكات

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[سورة النساء، الآية: ١٠٥]

حالة طبيعية في المجتمعات البشرية أن يحصل فيها خلاف ونزاع بين الأفراد والجماعات. إما لاختلاف وجهات النظرأو للتضارب في المصالح، ولا بُدّ من جهة يُحتكم إليها لمعالجة قضايا الاختلافات، ومن هنا نشأت الحاجة إلى القضاء.

القضاء مشتق من الحسم والفصل. ففي كل المجتمعات هناك جهة يرجع إليها المتخاصمون، والقضاء ليس وليد هذا العصر، فقد كان للقضاء دور في المجتمعات البشرية القديمة، وحينما أشرق نور الإسلام على أرجاء هذه المعمورة كان لا بُدّ من تعزيز هذا الدور وترشيده، فأصبح يحتل مكانة كبيرة في الشريعة الإسلامية. فهناك روايات ونصوص كثيرة استنبط منها الفقهاء شروط القاضي وأحكام القضاء، وآداب طرح القضايا، وكل ما يرتبط بهذا الشأن.

شرطان لأهلية القضاء

وحتى يحتلّ القضاء مكانة في نفوس الناس، ويحظى بالرضا والقبول لا بُدّ من توفر أمرين في من يقوم بهذا الدور.

الأمر الأول: العلم والمعرفة

لا بُدّ للقاضي أن يكون عارفًا بالنظام الذي يقضي على أساسه. إذا كان قاضيًا شرعيًا فلا بُدّ أن يكون عارفًا بأحكام الشرع. والرأي المشهور عند فقاء الشيعة هو اشتراط الفقاهة في القاضي بأن يكون قادرًا على استنباط الأحكام من مصادرها المقررة. وهناك رأي بجواز إنابة الفقيه شخصًا لديه فضيلة علمية وإن لم يصل إلى مقام الاجتهاد. أما في القضاء المدني فيشترط العلم بالقانون المعتمد كمرجعية للبلاد.

الأمر الثاني: النزاهة

يشترط في القاضي أن يكون نزيهًا عـادلًا. فلا ينحاز لشخص على حساب آخر بسبب الأهواء والانتماءات. ولو كان في المجتمع الإسلامي جماعة من غير المسلمين وحصل بينهم وبين المسلمين نزاع، فلا يحق للقاضي أن يميل بحكمه لصالح المسلمين ضد خصومهم؛ لأنهم من أتباع دينه. والحال نفسه عند الاختلاف المذهبي، أو القبلي. يذكر العلماء والمفسرون أن سبب نزول الآية الكريمة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ أنها كانت بسبب سرقة حصلت في المدينة المنورة، وكادت هذه السرقة أن تنكشف حيث عُرف صاحبها، ولكن من عرفوا السارق تواطؤوا بأن يجعلوا الشيء المسروق في بيت رجل يهودي، ومن ثم يمضون إلى رسول الله ﷺ ويشهدون عنده، حتى يبرئوا صاحبهم. ومن نهج رسول الله ﷺ أن يحكم بالأيمان والبينات كما ورد في الحديث، ولأن المسألة خطيرة وترتبط بالعدالة، حيث لا يصح ظلم إنسان بناء على انتمائه الديني، فإن الله تعالى أطلع نبيه الكريم ﷺ على حقيقة الموقف، وأمره بأن يحكم بما أطلعه عليه، وألّا يقبل منهم شهادتهم وايمانهم لتواطئهم ضد اليهودي، حيث لا يصح أن يكون رسول الله ﷺ خصيمًا، أي مدافعًا عن المتآمرين الخائنين.

على القاضي ألّا يترك مجالًا للأهواء والانتماءات أن تسلك سبيلًا إلى نفسه فيما يصدر من حكم قضائي، فذلك يفقده نزاهته. إن النصوص الدينية تبين خطورة هذا

المنصب، بمعنى أن من يتبوأ هذا المنصب ينبغي أن يكون على قدرٍ عالٍ من الدراية والنزاهة. ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حول مجلس القضاء أنه قال: «لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي»[1]. فهو منصب خطير إذا جلس فيه من لا يملك الأهلية يكون شقيًا.

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله حول القضاة أنه قال: «القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة: رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهله فهو في النار، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار[2]». وجاء عنه صلى الله عليه وآله: «لسان القاضي بين جمرتين من نار حتى يقضي بين الناس، فإما إلى الجنة وإما إلى النار»[3].

القضاء سلطة أم وظيفة؟

يأخذ القضاء مكانة عظمى في المجتمعات المتحضرة. وهناك نقاش يدور حول هذا الجانب: هل القضاء سلطة أم وظيفة؟

سلطة بمعنى أن تكون مستقلة شأنها شأن السلطة التنفيذية، والسلطة التشريعية. ووظيفة بمعنى أن تكون تحت رعاية ومظلة السلطة السياسية في البلد، التي يترأسها الحاكم، وهو بدوره يوزع المهام والوظائف ومن ضمنها وظيفة القضاء.

في المجتمعات المتقدمة يرون بأن القضاء يجب أن يكون سلطة مستقلة، ولا بُدّ من فصل السلطات الثلاث. فهناك سلطة تشريعية هي البرلمان، وسلطة تنفيذية تتمثل في الحكومة برئيسها ووزرائها، وسلطة ثالثة هي السلطة القضائية يرجع الناس إليها في النزاعات والخصومات والاحتكام حول تطبيق القانون وقرارات الدولة.

استقلالية القاضي ونزاهته أمر مهم في كل مجتمع، فلا يخضع للسلطة التنفيذية،

---

(١) الكافي. ج٧، ص٤٠٦، حديث٢.

(٢) كنز العمال. ج٦، ص٩١.

(٣) تهذيب الأحكام. ج٦، ص٢٩٢، حديث١٥.

ولا ينقاد للأهواء والشهوات. وهذا ما تؤكده الشريعة الإسلامية. هناك من القضاة من يراعي الله في هذا الجانب، ويحكم بما أنزل الله. ولكن إذا كان الباب مفتوحًا أمام القاضي، يقضي كيفما شاء، دون رقيب ولا حسيب، فهو بشر وليس معصومًا، ومن الطبيعي أن تتسرب إليه عوامل الفساد والانحراف. وقد وجدنا في مختلف الدول كيف أن القضاة كانوا يأتمرون بأوامر السلطة التنفيذية، ويتواطؤون مع النافذين وأصحاب الثروات!

تفعيل دور القضاء

في كلّ المجتمعات ـ كما ذكرنا ـ تحصل نزاعات وخلافات بين الأفراد، أو الجماعات كالطوائف والقبائل. وإذا ما حصل اعتداء من أيّ طرف كان، فلا بُدّ للمعتدى عليه من اللجوء للقضاء. والحديث حول عدم جدوائية ذلك كما يرى البعض غير صحيح، وهو لا أقلّ أجدى من السكوت وأحق.

فمن اللازم تفعيل دورالقضاء، حيث يحق لأي مواطن أو أي مواطنين أن يرفعوا دعوى على أي فرد أو أي جهة، حتى لو كانت جهة رسمية حكومية.

وقد شهدنا في هذه الأيام تصريحًا لرئيس لجنة المحامين في الغرفة التجارية الصناعية في المدينة المنورة يدّعي فيه أن الشيعة مجهولو النسب، وأننا لو عملنا تحليلًا حمضيًا لكل شيعي لما تطابق مع من يدّعي أنه أبوه! كلام قبيح، قذف به أعراض الشيعة في العالم كله. وليس من قاله شخص عادي أو جاهل، بل صادر من رئيس لجنة محامين الذي يفترض منه أن يكون عارفًا بالقانون، ويناصر الناس ويحلّ مشكلهم!

على الناس أن يتحملوا دورهم في مثل هذه الظروف. فقد اعتدنا في مجتمعاتنا حين تحصل مثل هذه الإساءة أن نتأزم نفسيًا، ونتحدث في مجالسنا، ونشكو الحال لبعضنا، لكننا لا نخطو خطوات عملية. من حق الناس في كل مدينة تنتمي لهذه الطائفة أن يتقدموا بدعوى قذف ضد هذا الرجل الذي أساء لهم. والمسألة لا تنحصر فيه فقط،

فهو يمثل تيارًا واتجاهًا، ورفع الشكوى ضده يضع حدًا لمثل هذه التجاوزات، فلا ينبغي التغاضي عن هذا الأمر. لا بُدّ من التحرك السياسي والإعلامي والحقوقي والقضائي. فالطرق والمسالك متعددة لدحر مثل هذه التوجهات، وعلى من يجد الخيار المناسب أن يسلكه ولا يتردد، فلا يصح السكوت أبدًا؛ لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

التمييز الطائفي أرضية التشنجات

لقد أكدنا أكثر من مرة أن المشاكل الطائفية ما كان لها أن تحصل لولا الثغرات السياسية الموجودة. فالتمييز الطائفي بين الناس، هو الذي يعطي لجماعة شعورًا بالسيادة والتعالي، وجماعة أخرى تشعر بالغبن والظلم والإقصاء. هذا الخلل الموجود في الواقع الاجتماعي هو الذي يفرز مثل هذه الأمور، ولا سبيل للخلاص منه إلا بقانون عادل يساوي بين المواطنين، ويجرّم مثل هذه الممارسات والانتهاكات.

إن مجتمعاتنا الخليجية بشكل خاص تتعرض لموجات من الإثارات الطائفية المذهبية، وعلى الحكومات إذا كانت صادقة فيما تدّعيه من الحرص على الوحدة الوطنية، أن تتنبه وتضع حدًا لهذه الممارسات. وعلى المواطنين العقلاء الواعين من مختلف المذاهب أن يتضامنوا ضد أي إساءة من قبل هذا الطرف أو ذاك وعلى الناس المتضررين خاصة ألّا يسكتوا، وأن يتحركوا إعلاميًا وقضائيًا، وبمختلف الطرق للدفاع عن حقوقهم المادية والمعنوية.

قبل أيام أصدرت المحكمة في الكويت حكمًا قضائيًا ضد شخص أساء للطائفة الشيعية، بالسجن سبع سنوات مع الشغل والنفاذ. وبغض النظر عن بقية التفاصيل، ولكن هذا مسار مطلوب، خاصة وأن مجتمعاتنا تعيش النداء بالحريات، ويقظة المشاعر المذهبية والطائفية، فلا بُدّ للحكومات أن يكون لها دور في مواجهة هذه التصرفات والتصريحات الطائشة. لأن استمرارها يعتبر معولًا هدامًا للاستقرار الوطني، وعاملًا مؤسسًا لأرضية الخلافات والنزاعات، وآثار ذلك وخيمة على الوطن والمواطنين.

الخطبة الأولى

كيف نعصي الله بنعمه

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «أقل ما يلزمكم لله سبحانه وتعالى أن لا تستعينوا بنعمة على معاصيه»[1].

يتقلب الإنسان في نعم الله منذ أن يفتح عينه على الحياة وحتى آخر رمق يعيشه. فكل ما بين يدي البشر هو نعمة من الله، ولذلك حق على الإنسان أن يشكر الله تعالى على نعمه، وفي الحدّ الأدنى ألّا يستخدم هذه النعم التي أنعم الله بها عليه في معصيته سبحانه وتعالى. إن فطرة الإنسان تدفعه للإحسان لمن أحسن إليه، وعقله يوجب شكر المنعم، فإذا أنعم أحد على أحدٍ آخر بشيء فإن العقل يوجب شكره، وقبيح عقلًا ومستنكر وجدانًا أن يقابل المحسن بالإساءة، والمنعم بالجحود، والأشدّ قبحًا أن يستخدم الإنسان الإمكانات التي أنعم بها أحد عليه في الإساءة لهذا المنعم. هذا المبدأ يجب أن يكون حاضرًا في نفس الإنسان ضمن علاقته بالخالق المنعم جلّ وعلا.

ينبغي للمرء ألّا يعصي ربه عزّ وجلّ. فإذا همَّ بمعصية فلا يليق أن يعصى ربه بالنعم التي أنعم بها عليه، من هنا يأتي السؤال؛ وهل عند الإنسان شيء من خارج نعم الله؟ فكل جوارحك أيها الإنسان نعم من الله، فالعين التي تعصي بها ربك من خلال نظرة الحرام، من أعطاها قدرة البصر؟ وكذلك سمعك ويدك، وقدمك، وجميع جوارحك

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٣٠.

وغرائزك، فكلّ ذلك من عند الله، فكيف يسمح لك وجدانك وعقلك أن تقابل الله تعالى بالمعصية من خلال النعم التي أنعم بها عليك؟

تلفت الروايات الشريفة نظر الإنسان إلى عجزه عن الخروج عن سلطان الله ونعمه التي لا تحصى. ويروى في هذا الشأن عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أقلّ ما يلزمكم لله سبحانه ألا تستعينوا بنعمه على معاصيه».

روي أن الحسين بن علي عليه السلام جاءه رجل وقال: أنا رجلٌ عاصٍ ولا أصبر عن المعصية، فعظني بموعظة، فقال عليه السلام: «افعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت، فأول ذلك: لا تأكل رزق الله وأذنب ما شئت، والثاني: اخرج من ولاية الله وأذنب ما شئت، والثالث: اطلب موضعًا لا يراك الله وأذنب ما شئت، والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت، والخامس: إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل في النار وأذنب ما شئت»[1] فاتعظ الرجل وأناب. لذلك على الإنسان أن يتوقف وأن يتأمل تجاه أيّ داعٍ من دواع المعصية.

التأهيل لنعم الآخرة

إن هذه النعم التي أعطاها الله البشر في هذه الدنيا، إنما هي جزء ضئيل جدًا من النعم الكبيرة التي ادّخرها لهم في الآخرة. لقد خلق الله تعالى الناس في هذه الدنيا حتى يمتحن مدى جدارتهم واستحقاقهم لتلك النعم المدخرة لهم في الآخرة. فإذا تصرفوا في هذه الدنيا على نحو جيد، و لم يستخدموا هذه النعم -على أقل تقدير- في معصية الله، فإنهم يثبتون استحقاقهم وأهليتهم لتلك النعم الكبيرة العظيمة في الآخرة. وذلك يشبه تمامًا كما لو أن جهة ما استضافتك لمدة أسبوع في قصر منيف، وجُعل كل شيء فيه طوع يديك، ثم قالوا لك: سنرى بعد أسبوع واحد كيف تعاملت مع هذه النعم التي وضعناها بين يديك، فإذا تصرفت بشكل جيد، ولم تخالف النظم

(١) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص ١٢٦، حديث٧٠.

والقوانين، فسوف نعطيك أفضل منه مليون مرة، وستمكث فيه حينذاك طيلة حياتك، وليس أسبوعًا فقط، فهل هناك عاقل يختار أن يأنس بالاستجابة لرغباته لأسبوع واحد فقط ثم يكابد الشقاء طوال حياته، لا لشيء إلا لمجرد استسلامه لداعي الرغبة، فيفوت بذلك على نفسه النعم المقبلة طيلة حياته.

إن ما سبق كان مجرد مثال، فكل ما في هذه الدنيا نعم مؤقتة. فالله تعالى يخاطب الناس بأن هذه النعم التي تأنسون بها في الدنيا، هناك في الآخرة ما هو أفضل منها أضعافًا مضاعفة، فأنتم هنا في مقام الاختبار، وعليكم أن تختاروا، فهل من عاقل يفوت تلك النعم العظيمة مقابل شيء زهيد في الدنيا.

وقد ورد في الأحاديث ذكر الكثير مما أعده الله تعالى لعباده الصالحين في الآخرة. جاء عن رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة، خير من الدنيا وما فيها»[١]، وورد عنه ﷺ: «قال تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[٢]. وجميع ذلك في مقابل شيء واحد فقط، وهو أن ينال كل منكم إجازة مرور حتى يحظى بتلك النعم. وهذه الاجازة لا تعدو عن تجنب المعاصي في الدنيا، كما جاء في الآية الكريمة ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾، وفي آية أخرى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «لن يحوز الجنة إلا من جاهد نفسه»[٣]. إن على الإنسان أن يضع أمام نفسه هذه الحقيقة كلما دعته نفسه لمعصية، فلا ينبغي أن يفوت على نفسه ذلك النعيم الأبدي المقيم من أجل شهوات زائلة.

(١) صحيح البخاري، ج٢، ص٣٤٤، حديث٣٢٥٠.
(٢) صحيح البخاري. ج٤، ص ٤٧٣، حديث٧٤٩٨.
(٣) عيون الحكم والمواعظ. ص ٤٠٧.

الشأن العام ومشاركة الأمة

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[سورة الشورى، الآية: ٣٨]

لا يستقيم أمر مجتمع من المجتمعات إذا ما ابتلي بآفة الاستبداد. فالمجتمع الذي تستبد به فئة معينة، لن تستقيم أموره، ولن يكون مجتمعًا ملتزما قيم الله تعالى مهما بلغ مستوى تلك الفئة أو القيادة المستبدة فيه، وهل هناك أحد يمتلك كفاءة القيادة، وإمكانية الصواب أكثر من رسول الله ﷺ، ومع ذلك فإن هذا القائد الأعظم المرتبط بالوحي والمسدد من قبل الله تعالى، يأمره الله بقوله سبحانه وتعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، والسؤال هنا؛ لماذا يشاورهم في الأمر، ولماذا لم يفوّض الله تعالى لنبيه أن يتصرف كما يشاء، ويفعل ما يريد دون استشارة، وهو ﷺ المسدد المعصوم المتصل بالوحي، فما الداعي لأن يأمره بالمشاورة؟ الجواب عن ذلك هو أن الله سبحانه تعالى أراد أن يرسي منهجية ضرورية لحياة المجتمعات المسلمة، وهي تلك المتمثلة في مشاركة عامة الناس في إدارة وتقرير ما يرتبط بمصيرهم وحياتهم. أما إذا استبدت بأي مجتمع فئة معينة فستأخذه إلى الهاوية.

تشير آيات القرآن الكريم إلى أن أبرز خصلتين للمجتمع الإيماني هما الاتصال بالله، حيث لا تنحصر اهتمامات المجتمع الإيماني بالنواحي المادية الدنيوية، لذلك فهم يقيمون الصلاة، وهي رمز للارتباط بالله، ورمز للاهتمامات المعنوية. أما

الخصلة الأخرى فهي أن هذا المجتمع يستجيب لدعوة الله، ويدير أموره الدنيوية على نحو سليم. فكيف يمكن لمجتمع أن يدير شؤونه بشكل سليم؟ الجواب ما يشير إليه سبحانه وتعالى من أن الطريق الصحيح لإدارة الشؤون الدنيوية هي مشاركة الناس كما ورد في الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

ما هي خلفية الاستبداد

تكمن الخلفية الحقيقية لنزعة الاستبداد في استحكام الأهواء وغلبة الشهوات. فالمستبدون والمستأثرون بالمقدرات لا يريدون للناس مشاركتهم في الحكم والسلطة، والإدارة واتخاذ القرار، وعلة ذلك تكمن في رغبتهم أن يحكموا بمفردهم، ويتصرفوا وفق رغباتهم، وليس وفق مصالح الناس. لأنهم لا يعترفون بأن للناس إرادة وحقًا، بل ينظرون لهم كما لو كانوا قصّرًا، أو حتى أنعام في حظيرة. لذلك يقررون لهم ما يشاؤون دون أن يكون للناس رأي ولا دور ولا مشاركة.

لا يليق بمجتمع إنساني يبحث عن حياة كريمة أن يبقى تحت الهيمنة والاستبداد. لذلك قرر الله تعالى في مجتمع المؤمنين أن يكون لهم رأيهم في الشأن العام الذي يرتبط بهم جميعًا، وبحسب التعبير القرآني ﴿شُورَى بَيْنَهُمْ﴾، وفي ذلك اعتراف من السماء بإرادة الأمة، وإقرار بسلطة الناس على أنفسهم وأموالهم وحقوقهم. ويورد الفقهاء في هذا الشأن قاعدة مفادها أن الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم وحقوقهم، واتخاذ القرار فيما يرتبط بالشأن العام لا يعدو عن ذلك، فلا بُدّ وأن يرضى الناس به، بشكل مباشر أو غير مباشر، أي ينبغي اتخاذ طريقة معينة تضمن رضاهم واختيارهم، ذلك أن الآراء تختلف، والوصول إلى الرأي الأنضج إنما يكون عبر التشاور، علاوة على أن المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار تضمن نجاح القرار، وتكفل الاستقرار في المجتمعات، فالقرار الذي يتخذه الناس سوف يلتزمون به، أما القرار الذي يفرض

عليهم خلافًا لرغبتهم وإرادتهم فإنهم لا يجدون أنفسهم ملزمين به.

الشورى نهج نبوي

كان النبي الأكرم ﷺ كثير التشاور مع صحابته الكرام. وقد ورد في السيرة النبوية قول أحد الأصحاب: «ما رأيتُ أحدًا قطُّ كان أكثرَ مُشاورةً لأصحابِهِ من رسول الله ﷺ»[١]. فقد كان ﷺ يجمع كل الناس في المسجد ويشاورهم في مختلف الشؤون العامة. ويذكر في هذا الشأن أن النبي ﷺ لما سمع بنزول المشركين أحدًا، قال لأصحابه أشيروا عليَّ، فاختلف الناس، إذ قال بعضهم نتحصن في المدينة فإن هاجمونا ندافع، فيما قال بعض آخر: بل نخرج إليهم ولا نترك لهم الفرصة حتى يهجموا علينا. فتعددت الآراء، وكان ممن طلبهم رسول الله ﷺ للمشاورة عبدالله بن أبي المعروف برأس المنافقين في المدينة، ومع ذلك يطلبه رسول الله باعتباره أحد أفراد المجتمع وإن كان منافقًا، فلما اختلف الرأي في الخروج أو التحصن، اختار الرسول ﷺ رأي الأكثرية الذين رأوا الخروج، مع أن رأي النبي كان في بداية الأمر يميل مع خيار البقاء في المدينة، لكنه نزل عند رأي الأكثرية، حتى إن بعض الأصحاب قال: إن رسول الله ﷺ ما كان راغبًا في الخروج، ولكن حين تكاثرنا عليه برأينا أحرجناه، فلنعتذر منه، وقد ذهبوا إليه بالفعل، وهو قد دخل منزله وخرج لابسًا لامة حربه مستعدًا للقتال، فأحسوا بالحرج واعتذروا إليه، لكن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»[٢]، وفي السيرة النبوية شواهد عديدة حول كثرة استشارة رسول الله ﷺ لأصحابه. كما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام القول: «ما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم»[٣]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال :«من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ»[٤].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ج٥، ص٢٤٢.

(٢) كنز العمال ج١١، ص٤٧٥.

(٣) تحف العقول. ص ٢٣٣.

(٤) نهج البلاغة. حكمة ١٧٣.

الديمقراطية صيغة معاصرة للشورى

لا بُدّ من صيغة تتحقق فيها إرادة الناس. كان المجتمع الإسلامي في المدينة مجتمعًا صغيرًا محدود العدد، فكان يكفي أن ينادى فيهم في المسجد ويستشارون، لكن بعد أن اتسعت الأطراف وزادت مساحات الدول والمجتمعات، أصبح من الضروري إيجاد سبل يستشف بها رأي الناس، خصوصًا مع تطور الزمن وبروز وسائل تضمن الوصول إلى رأي الناس ومشاركتهم. وقد وصلت المجتمعات البشرية إلى صيغة ينتخب من خلالها الناس ممثليهم عبر صناديق الاقتراع، فالناس يختارون من يمثلهم، وهؤلاء الممثلون يجتمعون ويتخذون القرارات التي ترضي الناس، وتبعًا لذلك يأتي دستور البلاد برضى الناس كذلك، كما ينتخب الناس حكامهم، وهذا ما يطلق عليه حديثًا بالديمقراطية.

وتُعدّ الديمقراطية أفضل صيغة للحكم وصلت إليها المجتمعات البشرية. وبطبيعة الحال، قد تختلف المجتمعات في التفاصيل، ولكن تبقى الديمقراطية رغم عيوبها ومشاكلها، أفضل صيغة للحكم بلغتها المجتمعات البشرية. وكما يقولون، مشاكل الديمقراطية تحلّ بمزيد من الديمقراطية، وليس بالتراجع عنها. ولو أخذنا ما يجري في مصر على سبيل المثال، نجد الآن الشعب المصري يعيش حالة مخاضٍ من أجل اختيار لجنة تأسيسية تضع له دستورًا، وانتخاب رئيس للجمهورية، وهو الأمر الذي استغلته بعض الجهات في محاولة تصوير ما يحصل في مصر باعتباره دلالة على أن الديمقراطية أمر فاسد، وأن فيها من المشاكل والاختلافات ما فيها، وتبعًا لذلك يزعمون بضرورة بقاء مجتمعاتنا على ما هي عليه، إن هذا هو عين التضليل للناس. فالديمقراطية ليست على هذا النحو المشوه الذي يصوره هؤلاء.

مشاكل المرحلة الانتقالية

لقد واجهت الكثير من المجتمعات البشرية مراحل انتقالية حرجة ولكنها تجاوزت

المعوقات شيئًا فشيئًا. الشعب المصري ليس استثناء، ومتى ما كانت هناك نزاهة، والتزام بالقوانين، وعدم التفاف على إرادة الشعب، وجرت انتخابات نزيهة لاختيار رئاسة تمثل كل الشعب المصري، فإن جميع المشاكل الحاصلة منذ الثورة تبقى مشاكل طبيعية ومتوقعة وسيتم تجاوزها.

شعوبنا لا تختلف عن الشعوب الأخرى في استعدادها للديمقراطية. ومن المستغرب حقًا أن تجد كل الشعوب في العالم يسلكون طريق الديمقراطية، فيما لا يزال بعض الناس يتهمون مجتمعاتنا بعدم الأهلية في المشاركة في الشأن العام وممارسة حق الاختيار، كما لو أن شعوبنا ما تزال مجموعات من الأطفال القصّر!. والسؤال هنا، ما الفرق بين شعوبنا وبقية الشعوب؟ ولماذا الشعوب الأخرى مهيأة ومؤهلة للانتخاب والاختيار، فيما شعوبنا لا تستحق هذا المستوى؟ لقد آن الأوان لكي تأخذ الشعوب منحى آخر، حتى تكون ممتثلة لأمر الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بينهم﴾ فشعوبنا بحاجة لإعادة تأكيد الارتباط بالله تعالى، وإقرار المشاركة الشعبية.

إن مشاكل الديمقراطية تحلّ بالمزيد من الديمقراطية. ونحن واثقون أن الشعب المصري والتونسي وكل الشعوب العربية التي هي على مفترق طرق اليوم وتمر بمرحلة انتقالية، نحن واثقون أن هذه الشعوب إذا لم يحصل تلاعب في إرادتها، فإن هذه الشعوب ستشق طريقها، وستقدم نموذجًا أفضل للشعوب العربية والإسلامية.

نسأل الله أن يصلح أمور المسلمين.

الخطبة الأولى

الطموح سبيل الرفعة والشهوات طريق السقوط

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال: «ما رفع امرئ كهمته وما وضعه كشهوته»[1].

الهمة العالية هي الطريق الأقصر نحو الرفعة وسمو المقام عند الله وبين الناس. فكلما ارتفعت لدى الإنسان درجة الطموح والتطلع نحو الخير وتحقيق الإنجازات الكبيرة، حلّق على نحو تلقائي، في آفاق العلو والرفعة. لذلك ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ما رفع امرءًا كهمته ولا وضعه كشهوته»، وفي نص آخر ورد عنه عليه السلام: «من رقى درجات الهمم عظمته الأمم»[2]. وإذا ما تأملنا أسماء العظماء وذوي المكانة والرفعة في المجتمعات المعاصرة والغابرة، فسنجد خصلة مشتركة بين هؤلاء العظماء، هي أنهم كانوا من ذوي الهمم العالية، والتطلعات الرفيعة.

يتمنى كل إنسان أن يكون في مقام الرفعة والتقدير. فلا يرضى أحد لنفسه أن يكون وضيعًا، ينظر إليه الناس بدونية واحتقار، ولكن ما هو الطريق الذي يوصل الإنسان إلى مقام الرفعة والعلو؟ وبخلاف ذلك، ما هي الأسباب والعوامل التي تنحدر به إلى قاع الدناءة والوضاعة؟

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٤٨٤.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص٤٥٠.

آفاق الرفعة

إن هنالك آفاقًا ثلاثة يمكن أن يحلق فيها الإنسان ويصبح رفيعًا وذا مكانة عظيمة:

أفق العلم والمعرفة

يأخذ المرء موقعه في نفوس الناس، ويحفر اسمه في سجلات التاريخ، بمقدار ما يحقق من تقدم في مجالات العلم. فإذا كان الإنسان طموحًا، وحقق إنجازًا علميًا، سواء في مجال العلوم الطبيعية أو الدينية أو الأدب وغيرها، فإنه بذلك يأخذ موقعه في نفوس الناس وسجلات التاريخ، لذلك ما يزال الناس يتداولون أسماء المخترعين والمكتشفين والأدباء كالشيخ المفيد والطوسي والعلامة الحلي وغيرهم من عظماء الشرق والغرب. وقد احتفلت بريطانيا قبل أيام ومعها المهتمون بالأدب والمسرح في مختلف أنحاء العالم، بذكرى مرور ٤٥٠ سنة على ميلاد شكسبير الأديب والروائي الإنجليزي الشهير، وتحدثوا عن ترجمة أعماله إلى ٣٧ لغة، وأشاروا إلى وجود مئات الملايين من المتابعين لتراثه وأدبه ومسرحياته، فما الذي خلّد اسم هذا الرجل طوال هذه القرون وجعله محلّ احتفاء الملايين في العالم؟ الجواب؛ لأنه اختار التحليق في فضاء المعرفة والأدب فتربع على عرش قلوب وعقول الملايين من محبي الأدب والفن.

أفق القيم والمبادئ

إن الأشخاص الذين ينذرون أنفسهم للقيم السامية، والمبادئ الإنسانية الرفيعة، تتألق أسماؤهم، وتلمع شخصياتهم، ويصبح لهم ذكر خالد في التاريخ. فالذين ضحوا وناضلوا من أجل الحرية والسلم والحقوق العادلة لشعوبهم وعموم البشرية، جعلوا من أنفسهم مضرب مثل للملايين، فحجزوا مكانتهم المرموقة في طليعة العظماء والخالدين. إن عظمة وموقعية سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام انما تحققت لما ارتبط اسمه بموقف التضحية والفداء، وقد ورد في الأثر عن رؤيا الإمام

الحسين ﷺ حينما خاطبه النبي الأكرم ﷺ بقوله: «إن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة»[١].

والأمر ذاته ينسحب على كثير من الشخصيات العالمية المرموقة، فما الذي صنع من الزعيم الهندي المهاتما غاندي هذا الاسم الرنان والخالد؟ إنه ارتباط اسمه بإنجاز عظيم تمثل في تحرير شعبه من الاستعمار البريطاني بالنضال السلمي.

وما الذي جعل للزعيم الجنوب أفريقي نيلسون مانديلا هذا الاسم الخالد، والمكانة الفذة والمحترمة في العالم؟ لقد سلخ هذا الرجل ٢٧ سنة من عمره خلف القضبان، وحينما خرج من السجن بنهاية نظام الفصل العنصري في بلاده، لم يسلك سبيل الانتقام من جلاديه البيض، بل جعل من نفسه عنوانًا للتسامح والعيش المشترك بين مختلف فئات شعب جنوب أفريقيا، رغم ما أصابه من آلام، وما تحمله السود من عذابات، فخلّد مانديلا بذلك اسمه بين العظماء؛ لأنه ارتبط بقيم إنسانية عظيمة.

إن من يحلق في سماء القيم، كقيمة الحرية والعدالة والمساواة والدفاع عن الحقوق والشعوب والمجتمعات، سيرتقي حتمًا في درجات العلى، وسيستحق أن تعظمه الأمم جيلًا بعد جيل.

أفق الخدمة والعمل الاجتماعي

إن من يخدم الناس، ويضحي من أجلهم، ويبذل طاقته في سبيلهم، فسينظر إليه الناس بتقدير واحترام. كما سيكون مقامه عند الله عظيمًا بمقدار إخلاصه وصدق نياته. ونحن نجد في مجتمعاتنا شخصيات بلغوا هذا المستوى. فإذا ما أراد المرء الرفعة وعلو المقام، فإن الطريق إلى ذلك هو علو الهمة، فعلو الهمة يجعل المرء يتحمل المشاق والمتاعب التي لا تنتهي، لذلك قال الشاعر:

بقدرِ الكدِّ تكتسبُ المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي

---

(١) حياة الإمام الحسين بن علي، ج٢، ص٢٦٠.

وكذلك وردت العديد من النصوص التي تحضّ الإنسان على أن يبذل من طاقته وقدرته، في سبيل قيم الخير والصلاح، ويتحمل المشاق والمشاكل مهما بلغت مرارتها.

عوامل السقوط

ثمة العديد من العوامل التي تساهم في الحطّ من مقام الأشخاص وتجرهم نحو مستوى الدناءة والانحطاط والوضاعة، لعل أبرزها استلام المرء لشهواته. ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وما وضعه كشهوته». إذا استسلم المرء لشهواته طمعًا في إشباعها بأي ثمن، فإنها تنحدر وتهوي به حتمًا إلى قاع الوضاعة والمذلة.

إن لدى الإنسان سلسلة من الغرائز والشهوات والرغبات، إذا استسلم لها فقد تدفع به نحو سلوك الطرق الملتوية المتعرجة. وهذه هي المشكلة التي يقع فيها كثير من الناس، الذين يلهثون خلف أهواءهم وشهواتهم، تلك الشهوات التي قد تتمثل في طمع مالي، أو رغبة جنسية محرمة، أو حبًا مرضيًا في الشهرة وتقلد المناصب، هذه الرغبات على اختلافها قد تدفع الإنسان إلى سلوك الطرق الملتوية والمتعرجة، التي تجعل منه إنسانًا وضيعًا، ينظر الناس إليه باحتقار. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه»[١]، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام «أمقت العباد إلى الله سبحانه من كان همته بطنه وفرجه»[٢]. ومقتضى ذلك أن أشد العباد مقتًا عند الله هم أولئك المنغمسون حتى آذانهم في شهوتي البطن والفرج. وعنه عليه السلام: «ما أبعد الخير ممن همته بطنه وفرجه»[٣].

---

(١) سنن الدارمي، ج١، ص١٠٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص١١٨، حكمة ٥٠٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٧٦، حكمة ٢.

الحذر من الانزلاق

إن كثيرًا من الناس إنما انزلقوا في عالم الشهوات والدناءة نتيجة أسباب تبدو في أولها تافهة. فهناك من انزلق في هذا السبيل بسبب رغبة دفعته لسماع صوت أنثوي ناعم، أو صوت ذكوري مخادع، لكن هذا الطريق الذي كانت بدايته الإصغاء إلى صوت عاطفي، خاصة عبر وسائل الاتصال الحديثة، انتهى بكثيرين للوقوع في مشاكل وفضائح اجتماعية.

وبالعودة للشرارات الأولى للعديد من القضايا الأخلاقية المؤلمة التي راح ضحيتها هذا الرجل أو تلك المرأة، فسنجد أن البداية إنما كانت بمحادثة عابرة في إحدى وسائل التواصل الاجتماعي كالماسنجر أو الفيسبوك وما أشبه، فهناك امرأة استهواها الاستماع إلى صوت شاب، أو العكس، وسرعان ما يندفع الواحد منهم لسماع المزيد من الكلمات العاطفية، وإذا بهما وقد وجدا نفسيهما ينغمسان في عالم الانحراف والانحطاط. من هنا على المرء أن يكون حذرًا، يقول أمير المؤمنين ﵇: «الشهوات مصائد الشيطان»[١].

قد تكون بداية الانحراف خطوة صغيرة، أو خطأ يبدو للوهلة الأولى تافهًا. فقد يرتاح أحدهم لمجرد سماع صوت ناعم، أو رؤية صورة جميلة، فيتواصل مع الجنس الآخر برسائل عاطفية، لكن هذا بالتحديد هو ما قد يكون طريق الانحدار، فإنما هي رغبة بسيطة فيما تبدو، لكنها قد تقود الإنسان إلى منزلق عميق وهاوية سحيقة. وقد ورد في هذا السياق عن أمير المؤمنين قوله ﵇: «حلاوة الشهوة ينغصها عار الفضيحة»[٢]. وإلا فما الذي يدفع رجلًا محصنًا متزوجًا ولديه أبناء، نحو الوقوع في مثل هذا الفخ، وإذا به ينتهي سجينًا، أو مبتلى بفضيحة اجتماعية وأخلاقية كبيرة.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج١٣ ص٣١١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص١٩٤، حكمة ٧١.

وقد قرأت لأحدهم أنه حينما وقع في فضيحة أخلاقية فإن أهون ما كان يعانيه هو ألم السجن والعقوبة، في مقابل ما كان يقاسيه من الخجل الكبير من أبنائه وبناته الذين كانوا ينظرون إليه باعتباره مثلهم الأعلى، وإذا به يقع في وحل الانحطاط الأخلاقي. والسؤال المهم هنا؛ ما الذي أوقع أمثال هذا في مثل هذا الفخ؟ وما الذي يدفع بامرأة متزوجة للوقوع في فضيحة والعيش مدى عمرها في عذاب الضمير لإقامتها علاقة محرمة عبر الماسنجر أو رسائل الجوال مع أحد الغرباء؟ إنما هي الرغبات والشهوات.

إن اتّباع الشهوات يقود الإنسان إلى المشاكل والفضائح. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أول الشهوة طرب، وآخرها عطب»[١]، عادة ما تكون الشهوة كالطرب الذي يرتاح إليه الشخص، ولكن في نهاية المطاف تكون الكارثة والفضيحة. وفي كلمة أخرى له عليه السلام: «وكم من شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلًا»[٢]، فهؤلاء الذين يقيمون في السجون بسبب جرائم أخلاقية وسرقات وما أشبه، إنما كانت بسبب شهوات معينة قادتهم أخيرًا إلى هذه المآزق والمشاكل والأزمات.

لذلك على الإنسان أن يكون حذرًا، وأن يتجنب الوقوع في هذا الفخ، حتى يحتفظ بعزته وكرامته، فلا يكون وضيعًا بين عائلته وفي أعين الآخرين، والأسوأ من ذلك كله أن يكون منبوذًا عند الله تعالى. علينا أن نضع نصب أعيننا دائمًا كلمة أمير المؤمنين عليه السلام: «ما رفع امرئ كهمته، ولا وضعه كشهوته».

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم للخير والصلاح.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص١١٩، حكمة ٥٤٧.

(٢) وسائل الشيعة. ج١٥، ص٣٠٩.

حالات الانتحار.. جرس إنذار

عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما الأمل رحمة من الله لأمتي لولا الأمل ما أرضعت أم ولدًا، ولا غرس غارس شجرة»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أعظم البلاء انقطاع الرجاء»[2].

يحتاج الإنسان في هذه الحياة إلى التحلي بالأمل والرجاء من أجل تحيق آماله وتطلعاته. فللإنسان حاجات وتطلعات، وعادة ما تحيط به بعض المشاكل والأزمات، لذلك فهو بحاجة ماسة إلى طاقة وقدرة نفسية تجعله يتحمل الصعوبات والمشاكل التي تواجهه في هذه الحياة، وتدفعه في الوقت نفسه للسعي من أجل تحقيق آماله وتطلعاته. هذه الطاقة النفسية التي يحتاجها الإنسان هي الأمل والرجاء.

كلما ارتفع منسوب هذه الطاقة في نفس الإنسان، كان سعيه من أجل أهدافه وتطلعاته جادًا، وكان أكثر تحملًا لما يواجهه من مشاكل. وعلى النقيض من ذلك إذا تضاءل منسوب الأمل أو انعدم في نفس المرء، فسيتضاءل حينئذٍ حماسه، وقد يصاب بالجمود؛ لأن الإنسان إنما يتحرك بالأمل، الذي هو بمنزلة الوقود والمحرك النفسي. من هنا جاء التأكيد على أهمية التشبث دائما بالأمل والرجاء.

---

(١) الجامع الصغير، ج١، ص٣٩٠.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص١١٧.

إن من أهم العلائق التي تجعل نفس الإنسان عامرة بالأمل والرجاء هي الارتباط بالله تعالى. فذلك يعني أن المرء متصل بالله الرؤوف الرحيم والمعين لعباده، والقادرالذي بيده أزمة الأمور. وهذا بلا ريب يملأ نفس الإنسان بالأمل والتفاؤل.

منبعان للأمل

تشكل الثقافة السليمة إلى جانب البيئة الاجتماعية الصالحة منبعين للأمل لا ينضبان. وتتفرع الثقافة السليمة عن الإيمان الديني، والتوجه الروحي، والوعي بالحياة وأمورها. وإلى جانب ذلك البيئة الاجتماعية الصالحة، فإذا عاش الإنسان في بيئة فيها درجة من التماسك والمواساة والتلاحم، فإن نفسية مثل هذا الإنسان عادة ما تكون عامرة بالأمل، أما إذا عاش في مجتمع أناني متفكك متشرذم، وفي ظلّ أوضاع سياسية متردية، وحالة اقتصادية راكدة، فإن ذلك مما يضعف منسوب الأمل في نفسه.

إن انخفاض منسوب الأمل عند الإنسان يمثل الدافع نحو الكثير من المساوئ، ومنها الإقدام على الانتحار. فإذا اسودّت الدنيا في عين امرئ، ولم يَرَ سبيلًا لتحقيق ما يتمناه، ولم يجد تعاطفًا مع آلامه، ولا مساعدة لحل مشاكله، فإنه يصاب عندها باليأس والقنوط، فتدفعه هذه الحالة النفسية المتردية نحو مخاطر كثيرة عليه وعلى مجتمعه، ومن تلك المخاطر الإقدام على الانتحار ووضع حد لحياته. وهذا من أعظم البلاء كما يقول أمير المؤمنين ﵇: «أعظم البلاء انقطاع الرجاء». فقد يلجأ الإنسان إلى أقرب أبواب الأمل، والتعلق بأدنى شيء ينجيه مما هو فيه، فهو بذلك يعيش على هذا الأمل، وذلك بخلاف من لا يجد له ملجأ يأوي اليه، فيختار عندها إنهاء حياته بالانتحار، إنه بطبيعة الحال أمر محرم ولا يجوز من الناحية الشرعية، فمن غير الجائز دينيًا أن يصاب المرء باليأس والقنوط، فأبواب رحمة الله أكثر سعة من أكبر تصوراتنا.

ظاهرة الانتحار تزايد مرعب

لقد تزايدت في عصرنا الراهن ظاهرة الإقدام على الانتحار في مختلف أنحاء العالم. وحسب إحصائية دولية هناك على المستوى العالمي نحو مليون شخص يقدمون على الانتحار سنويًا، أي بمعدل حالة انتحار كل أربعين ثانية. والسببان الرئيسان لذلك، هما: غياب الثقافة الروحية، واستحكام الأزمات الحياتية أمام الناس، في ظل غياب أي بصيص أمل أو مخرج منها. ومن هنا يلاحظ تزايد حالات الانتحار في المجتمعات المادية أكثر من تلك التي تحظى بأجواء إيمانية على نحو ما، والأمر سيّان مع المجتمعات التي تعاني من المشاكل والأزمات الحياتية.

ومما يوجب التأمل راهنًا هو تصاعد حالات الانتحار في مجتمعاتنا الاسلامية. وذلك يشمل بطبيعة الحال بلادنا، فهناك تصاعد مطّرد في حالات الانتحار. إن من المثير للاستغراب تزايد نسب الانتحار في مجتمع ديني محافظ كمجتمعنا، ونشأة الفرد منذ نعومة أظفاره على الحالة الدينية، بدءًا من العائلة، ومرورًا بالمناهج التعليمية في المدارس، وصولًا للخطب الدينية في المساجد، فالمجتمع على نحو العموم تسوده الأجواء الدينية، فلماذا تحصل فيه حالات انتحار؟ وعلاوة على ذلك تمتع بلادنا بثروات هائلة، فلماذا يعيش الناس في هذا البلد الثري أزمات تدفع بعضهم إلى الانتحار؟ يبقى ذلك مثار تساؤل كبير.

والأشدّ غرابة هو ما تشير إليه الإحصاءات الرسمية من تصاعد مطرد في حالات الانتحار عامًا بعد آخر. فقد تضمنت الإحصائية التي أصدرتها وزارة الداخلية السعودية حول حالات الانتحار في العام ١٤٣٠هـ ما يناهز ٧٨٧ حالة انتحار، أي بمعدل حالتي انتحار يوميًا، متجاوزة بذلك عدد حالات الانتحار في العام الذي سبقه بـ ٣٩ حالة، ويشمل ذلك الرقم المواطنين والوافدين الأجانب، فلماذا يحصل هذا في بلدنا؟ لماذا يأتي الوافد إلى مجتمعنا المتدين والثري ثم يقدم على الانتحار؟ مع أن من المفترض أن يعيش الوافدون مرتاحين في بلادنا، إن اقدام الوافدين على الانتحار يعني أن هناك

خللًا كبيرًا في مجتمعنا.

إن وقوع أغلب حالات الانتحار في بلادنا في الوسط الشبابي لهو مؤشر آخر على وجود خلل أكبر. فهناك بحسب الإحصاءات ٨٤ ٪ من حالات الانتحار في المملكة يروح ضحيتها شبان لم يتجاوزوا ٣٥ عامًا من العمر. ويبقى السؤال؛ ما الذي يدفع بشابٍ يعيش في مجتمع مسلم محافظ، ينبغي أن يزوده بالثقافة الدينية السليمة، وبزخم روحي يعمر قلبه بالأمل والرجاء، علاوة على حجم الثراء المادي الكبير، والدخل الوطني الذي بلغ أرقامًا قياسية، فكيف لهؤلاء الشباب أن يقدموا على الانتحار؟. إن هذا مؤشرًا على وجود خلل كبير ينبغي أن تقرع لأجله الأجراس.

واللافت أن نسبة ٥٨ ٪ من المقدمين على الانتحار هم من الذكور فيما تمثل الإناث نسبة ٤٢٪. غير أن الأكثر إثارة للقلق هو ما تشير اليه بعض الدراسات من أن حوالي ٢٠٪ من حالات الانتحار لا يتم تسجيلها ضمن الإحصاءات الرسمية لاعتبارات عائلية واجتماعية. ومعنى ذلك أن الأرقام التي تصدرها وزارة الداخلية عن عدد حالات الانتحار لا تحكي عن واقع الحالة الذي هو أكبر من هذه الأرقام، فهناك حالات لا تسجل رسميًا، وإنما تنهى وتعالج في مراكز الشرطة.

أسباب الانتحار

الأول: تعثر الإصلاح السياسي والإداري

تمثل حالة الانسداد وتعثر الإصلاح السياسي والإداري أحد أسباب تزايد حالات الانتحار في البلاد. ذلك أن تعثر مسيرة الإصلاح تعني بقاء الفساد المعشش، الذي يعد بدوره سببًا رئيسًا لجملة من الأزمات، وعلى رأسها تفشي البطالة، وانتشار الفقر والحرمان، خاصة لدى جيل الشباب. إن كثيرًا من الشباب الذين يشكلون غالبية سكان البلاد يعانون من أزمات حياتية مريرة، فقد بات البحث عن الوظيفة مهمة شاقة، أما الحصول على سكن فقد أصبح أمنية شبه مستحيلة، حيث إن أكثر من ٧٠٪

من مواطني المملكة لا يمتلكون سكنًا خاصًا، في بلد حباه الله بمساحات شاسعة، وأراض مترامية، في مقابل امتلاك أشخاص من النافذين لملايين الأمتار من الأراضي. إن عدم تمكن هذا الشاب من الحصول على مجرد شقة سكنية يقطن فيها مع أسرته، قد يدفع به نحو الانحراف وأحد أشكال ذلك هو الإقدام على الانتحار.

الثاني: الانغلاق الاجتماعي

لا تعود أسباب الانتحار في وسط الشباب إلى الأزمات المادية وحدها فللانغلاق الاجتماعي نصيب وافر. إذ تشير الإحصائيات إلى أن ١٦٪ من المنتحرين هم من الموظفين، و١٨ ٪ يحملون شهادات جامعية. ومعنى ذلك أن هناك أسبابًا أخرى ينبغي أخذها بعين الاعتبار، ومنها الانغلاق الاجتماعي الذي يلقي بظلاله القاتمة على النساء خاصة.

إن سوء المعاملة داخل العائلة، وفرض الوصاية والهيمنة الذكورية على الفتيات دفعت ببعضهن للإقدام على الانتحار، وقد أشرنا فيما سبق إلى طرف من المشاكل التي تواجه الفتيات، ومنها منعهن من الاقتران بمن تجده إحداهن كفؤًا لها، الأمر الذي دفع ببعضهن نحو خيار التخلص من الحياة. وقد قرأت أن مستشفى القطيف المركزي يستقبل عددًا من الحالات لفتيات وزوجات حاولن الانتحار، بسبب ما لقينه من سوء المعاملة والعنف العائلي، وانسداد الأفق في حياتهن.

الثالث: الوضع السيئ للعمالة الوافدة

إن معاناة العمالة الوافدة في بلادنا من سوء المعاملة، تُعدّ أحد أسباب لجوء بعضهم للانتحار. فهؤلاء الوافدون من عاملين في المؤسسات والشركات، أو خدم وسائقين في المنازل، يقبلون على بلادنا من أجل توفير لقمة العيش لأنفسهم ولعوائلهم، فيواجه البعض منهم ظروفًا صعبة، تتمثل في سوء المعاملة، وتأخر دفع رواتبهم الشهرية، ولقد قرأنا مؤخرًا ما تناولته الصحف عن ذلك الرجل الذي حبس عامله من الجنسية

الهندية ١٨ سنة في مزرعة نائية، بقرية قعر الذيب بالنفود بمحافظة حائل، دون أن يدفع راوتبه الشهرية، ولم يسمح له بالسفر إلى بلاده، ولا حتى بالاتصال بعائلته[١]!. إن معاملة من هذا القبيل هي ما تدفع بعض هؤلاء إلى الإقدام على الانتحار. إن هذا النوع من التعامل يمثل ظلمًا فظيعًا، ورد عن الامام علي عليه السلام: «ظلم الضعيف أفحش الظلم»[٢]، «إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله»[٣]، نحن في بلد حباها الله بالخير والبركات وهي مهبط الوحي، فلا يصح أبدًا أن تحصل فيها مثل هذه الحالات.

نسأل الله أن يصلح أمورنا وأمور بلاد المسلمين.

---

(١) جريدة المدينة الصادرة بتاريخ الإثنين ٢٦/ ٠٣/ ٢٠١٢م.

(٢) عيون المواعظ والحكم، ص٣٢٣.

(٣) الكافي: ج٢، ص٣٣١، حديث٥.

الخطبة الأولى

الأحياء الجديدة وحسن الجوار

﴿وَاعْبُدُوا اللَّـهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾[سورة النساء، الآية: ٣٦]

تحضّ تعاليم الإسلام على الاهتمام بمسألة الجار وحقوقه، ذلك لأن التجاور السكني يمثل أرضية وباعثًا إلى الوئام النفسي والتعاون الاجتماعي. فحينما يعيش الناس متجاورين كما هي طبيعة حياتهم، فإن هذا التجاور السكني، ينبغي أن ينعكس عنه نوع من التقارب النفسي، والتعاون الحياتي الاجتماعي، فهذا من مصلحة الجميع، وهو علامة حيوية في أي تجمع. أما إذا كان التجاور مجرد تجاور مادي دون أي انعكاس اجتماعي، فهذا يعني فقدان الحيوية والحالة الإنسانية الحضارية التي ينبغي أن تكون بين الناس، وهو خلاف لتعاليم الدين الحنيف في مسألة الجيرة.

تغيرات حالة الجوار

إن طبيعة الحياة تقتضي أن تعيش مجموعة من الناس في منطقة واحدة تكون محلًا لسكناهم وإقامتهم. حيث لا يرتاح الإنسان للعيش بمفرده في منطقة معزولة ونائية، حتى لو توفرت له كل الخدمات، علاوة على أن تداخل مصالح الناس يفرض عليهم التقارب والتجاور في مساكنهم، فالإنسان يحتاج إلى أخيه الإنسان في سائر شؤون حياته، لذلك يعيش الناس كمجموعات يقضي بعضهم حاجة بعض، من خلال

اختلاف مهامهم ومهنهم.

من هنا تكونت الأحياء والقرى والمدن، حتى البدو في الصحراء يلجؤون إلى العيش ضمن مضارب تجتمع حول المراعي ومنابع المياه. ولقد كان التجاور السكني في الماضي يقوم على أسس قبلية وعمق تاريخي، فكل قبيلة تسكن في حي واحد أو منطقة واحدة، كما كان له عمق تاريخي يعتني فيه الفرد بالحفاظ على جيرانه الذين كانوا هم أنفسهم جيران أبيه وجده. لكن تطور الحياة ونشوء المجتمعات الصناعية والمدن الحديثة، وتنوع اختيارات البشر الوظيفية، قد تضطر الإنسان إلى الانتقال من منطقة إلى أخرى، ليعيش في نهاية المطاف ضمن منطقة سكنية إلى جانب سكان آخرين لا يمتون إليه بأدنى صلة. لقد بات التجاور اليوم في الأعم الأغلب غير مستند إلى العمق العائلي القبلي ولا التاريخي، وإنما فرضته ظروف الحياة على الناس، ودفعتهم للسكنى في حي واحد، بل في عمارة سكنية واحدة إلى جانب بعضهم بعضًا.

من هنا يُعد تزايد واتساع حالة التواصل والتفاعل النفسي بين الجيران مؤشرًا على حالة من الشهامة والحيوية. وعلى النقيض من ذلك إذا انخفضت عندهم هذه الدرجة فإن التفاعل الحياتي ينخفض. ورد عن أمير المؤمنين ﴿ع﴾ في حديثه عن أهل القبور من الأمم السالفة حيث يصفهم قائلًا: «جيران لا يتأنسون وأحباء لا يتزاورون»[1]. فقبور الموتى متلاصقة، ولكن لأنهم موتى فهم لا يتزاورون ولا يستأنسون ببعضهم بعضًا، وكذلك الأمر بالنسبة للناس الأحياء، فكلما ارتفعت عندهم حالة التواصل والتفاعل النفسي، فذلك يعني مستوى متقدمًا من الحياة والحيوية، أما إذا انخفضت فإن التفاعل الحياتي ينخفض عندهم.

الاهتمام الديني بحق الجوار

لقد وردت في مسألة حق الجار نصوص وأحاديث كثيرة تؤكد على أهمية بالغة

---

(١) بحار الأنوار. ج ٧٤، ص٤٣٣.

لهذا الأمر. فقد قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾، واختلف المفسرون في معنى الجار الجنب والجار ذي القربى، فقال بعضهم حين يكون الجار من أسرتك وعائلتك، فهذا معنى الجار ذي القربى، أما الجار الجنب فهو الجار غير القريب منك نسبًا. وقال بعضهم: لعلّ المقصود من الجار ذي القربى القريب منك في الدين، أي الذي يتوافق معك دينيًا أو مذهبيًا، أما الجنب فهو الذي لا يوافقك في الدين ولكن مع ذلك أنت مأمور بالإحسان إليه.

نحن بحاجة إلى استعادة تعاليم الدين في الحث على حسن الجوار. ذلك لأن مجتمعاتنا باتت تعيش جوارًا حديثًا، أو جوارًا مصطنعًا إن جاز التعبير، بخلاف ما جرت عليه العادة في الماضي، وعلى النقيض مما يجري الآن حين كان الناس يتجاورون لعقود من الزمن، إذ نتيجة لظروف العصر بات الموظفون والمبتعثون للدراسة يلجؤون للسكنى خارج مدنهم وقراهم، ليصبح لديهم هناك جيران جدد. ولو أتيحت الفرصة للمرء أن يختار جيرانه الصالحين فسيكون ذلك هو الأفضل، فإن جار السوء مشكلة، كما يقول أمير المؤمنين ﵇: «جار السوء أعظم الضراء وأشد البلاء»[1]، غير أنه من غير الخفي، أن ظروف الحياة الراهنة قد لا تسمح بذلك غالبًا، فقد بات الحصول على سكن خاص مهمة شاقة، وعليه من غير المتصور أن يكون لدى كثيرين في هذه الحالة ترف المفاضلة بين مجاوريهم، فالخيارات أمام الناس باتت ضيقة جدًا مع انعدام توفر الأراضي، وارتفاع الأسعار، الذي طال الأراضي وإيجارات الشقق السكنية على السواء، فقد بات الناس أمام أزمة سكن حقيقية، فلا مجال عندها للاختيار.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص١٨٥، حكمة ٣.

أخلاقيات العلاقة مع الجار

لقد وضع الإسلام جملة معايير دينية وضوابط أخلاقية للعلاقة مع الجيران، قوامها التعامل الحسن معهم. فقد ورد عن النبي ﷺ: «أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا»[١]. ومغزى ذلك أن الإحسان للجار هو من أبرز مظاهر الإيمان، فهناك دلالة ضمنية تشير إلى أن من لا يحسن مجاروة من جاوره فهو ليس بمؤمن، أو على الأقل ناقص الإيمان، أو ليس صادق الإيمان.

وفي حديث آخر عنه ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»[٢]. وقيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها، قال: «هي في النار»[٣]. وورد عنه ﷺ: «من آذى جاره حرم الله عليه ريح الجنة»[٤]. كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله في وصيته الأخيرة: «اللَّهَ اللَّهَ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ»[٥]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن من آمن جاره بوائقه»[٦] يعني من أمن ظلمه واعتداءاته.

إن على المرء أن يذهب بعيدًا في مراعاة جيرانه وتجنب أي قدر من الأذى والاعتداء، أو الإساءة والإزعاج لهم.

وعلينا هنا أن نتوقف مطولًا عند نقطة مهمة، فبعض الناس يتصور أنه يعمل عملًا صالحًا بإقامة تلاوة القرآن الكريم، أو عقد مجلس عزاء في منزله، فيستخدم لأجل ذلك أحدث مكبرات الصوت، ويطلق العنان للصوت الصادر عن المجلس، هنا ينبغي

---

(١) أمالي الصدوق. ص٢٦٩، حديث٢٩٥-١٦.
(٢) مستدرك الوسائل.ج ١٢، ص٨١.
(٣) كنز العمال، ج ٩، ص١٨٧.
(٤) من لا يحضره الفقيه. ج ٤، ص١٣.
(٥) نهج البلاغة. وصية ٤٧.
(٦) الكافي. ج٢، ص٦٦٨.

أن يراعي المرء على نحو بالغ مدى ارتياح أو انزعاج جيرانه لهذا الأمر، فإذا كانوا مرتاحين فأهلًا وسهلًا، وله الأجر والثواب بإشاعته الأجواء الدينية في محيطه، ولكن إذا كان واحد من الجيران لسبب أو لآخر يشعر بانزعاج من مكبرات الصوت، فعلى صاحب المجلس الديني أن يعلم حينئذٍ أنه لن يحرم الثواب وحسب، وإنما قد يتحمل وزر أذى الجار، وهو بذلك يقترف حرامًا يعاقب عليه من قبل الله عز وجل. ويكفي في هذا الصدد ما ورد عن رسول لله ﷺ: «من آذى جاره حرم الله عليه ريح الجنة».

علينا أن نضع بعين الاعتبار أن حسن الجوار ليس خاصًا بأصحاب المنازل فقط. وإنما على القائمين على المساجد والحسينيات أن يراعوا أيضًا هذا الأمر، فجيران المسجد لهم حق الجوار، وينبغي أن نشعرهم بأن جوارهم هذا مصدر خير وسعادة لهم، وليس وبالًا عليهم، فهذا ما ينبغي أن نحذر منه.

التعارف والتعاون بين الجيران

هناك في الشريعة نصوص كثيرة واردة في حسن الجوار، وكف الأذى عن الجار، والتعاون بين الجيران، نكتفي هنا بالتأكيد على بعض مضامينها:

أولًا: ينبغي أن يبادر المرء للتعرف على جيرانه والتواصل معهم. وخاصة إذا كانوا من عوائل ومناطق أخرى لم تكن تربطه بهم سابق علاقة أو معرفة، فعليه حينئذ أن يبادر للتواصل معهم، حتى وإن اختلفوا معه في النسب والعقيدة، ذلك لأن النصوص التي تتحدث عن حسن الجوار لا تشترط ذلك بل ورد في الحديث «أحسن مجاورة من جاورك»[1]، دون تحديد لدين ومذهب ذلك الجار. وعطفًا على ذلك فقد فهم المفسرون مصطلح ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ الوارد في الآية أنه القريب من دينك، فيما ﴿الْجَارِ الْجُنُبِ﴾ من لا يرتبط معك في دين، وكلاهما مطلوب منك الإحسان اليه.

---

(١) مستدرك الوسائل. ج ٨، ص٤٢٦.

إن الإسلام لا يقرر أن تكون المجتمعات نقية خالصة، بحيث يقطن أهل كل ملة أو مذهب في حي خاص بهم، لذلك كان المسلمون منذ صدر الاسلام يجاورون غير المسلمين. وورد في هذا السياق عن مجاهد أنه قال: كنتُ عندَ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمرَ وغلام لهُ يسلُخُ شاةً فقالَ: يا غلامُ إذا سلختَ فابدَأ بجارِنا اليَهوديِّ حتَّى قالَ ذلِكَ مرارًا فقالَ لهُ: كَم تقولُ هذا؟ فقالَ: إنَّ رسولَ اللَّهِ لم يزَل يوصينا بالجارِ حتَّى خَشينا أنَّهُ سَيورِّثُهُ[١].

من هنا فلا ضرورة لأن يكون هناك نقاء خالص للمجتمع بحيث يكون بأجمعه على دين أو مذهب واحد. قد يبحث المرء دون شك عمن ينسجم معهم، لكن هذا ليس أمرًا الزاميًا بأيّ حال. بل على العكس من ذلك ينطوي التنوع على مكاسب قد لا ترد في الحسبان، من قبيل التعارف وتبادل الثقة بين المختلفين عقديًا، لذلك لا بُدّ للإنسان أن يبادر للتعرف على جيرانه، فمثلًا على المبتعث للدراسة في بلاد أخرى أن يبادر إلى التعرف على جيرانه، مهما كان دينهم ومذهبهم، ليقدم لهم أنموذجًا حسنًا لدينه ومذهبه، فمن الخطأ اللوذ بالانغلاق والانكفاء على الذات.

ثانيًا: ينبغي للناس في الأحياء الجديدة أن يكثفوا التعاون فيما بينهم، عبر تأسيس مجالس الأحياء. ففي ذلك فوائد جمة، لجهة إيجاد التفاعل النفسي بين الأهالي، علاوة على حلّ مشاكل الحي، والسعي لتوفير الخدمات، والالتفاف حول المسجد والحسينية والعالم الموجود في المنطقة.

ثالثًا: لقد فصلت النصوص الدينية في مسألة حدود الجوار وقدرتها إلى أربعين دار. إذ يظن بعض الناس أن مسألة الجيرة مقتصرة على أهل المنزل الملاصق لبيتهم فقط، وهذا غير دقيق، فقد ورد عن النبي ﷺ: «كل أربعين دارًا جيران من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله»[٢]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) الأدب المفرد للبخاري، ص١٢٨، وصححة الألباني في تعليقه.
(٢) الكافي. ج ٢، ص ٦٦٩.

«الجوار أربعون دارًا من أربعة جوانبها»[1]، فجميعهم تنطبق عليهم أحاديث حسن الجوار.

إن علينا أن نهتم بهذا الجانب حتى نستفيد من هذه التعليمات، وحتى يكون المجتمع متعاونًا متماسكًا، يقف الناس إلى جانب بعضهم بعضًا، فذلك بالتأكيد ما ينعكس على سلامة نفوسهم وحسن تسيير أمورهم.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المتجاورين بخير في هذه الدنيا ومن جيران الله وأوليائه في الآخرة.

(١) بحار الأنوار. ج٧١، ص١٥١، حديث٦.

الصحة النفسية مسؤولية الدولة والمجتمع

ورد عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام انه: «ألا وان من البلاء الفاقة واشد من الفاقة مرض البدن، واشد من مرض البدن مرض القلب»[1].

هناك علاقة متبادلة بين صحة الجسم وصحة النفس، فمرض أحدهما يؤثر في الآخر، وصحة أحدهما تنفع الآخر. لكننا إذا أردنا معرفة أيهما أشدّ خطرًا على الإنسان فستكون تلك أمراض النفس دون شك؛ لأن أمراض النفس قد تدفع الإنسان إلى المشاكل وارتكاب الأخطاء الكبيرة، بينما أمراض الجسم يمكن علاجها وتحملها. إن الأمر الدارج هو أن يهتم الناس بصحة أجسامهم وهو أمر مطلوب؛ لأن الإنسان مسؤول أمام الله عن جسمه؛ ولأنه لا يستمتع بحياته إن لم يحافظ على جسمه من الأمراض والأسقام، كما تهتم الحكومات والمجتمعات بكل ما يرتبط بالصحة الجسمية على نحو أو آخر، لكن في مقابل ذلك غالبًا ما تكون هناك غفلة عن الصحة النفسية، فالإنسان كما هو جسم له أعضاء وأجهزة، كذلك هو نفس فيها أحاسيس ومشاعر وعواطف، وعليه ينبغي الاهتمام بالحالة النفسية في المجتمعات أكثر من الحالة الجسمية.

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٨٨.

معنى الصحة النفسية

إن من تعريفات مصطلح الصحة النفسية هو أن يعيش الإنسان حالة من الرضا والتوافق مع نفسه، ومع المحيط الذي يعيش فيه، والأوضاع التي يحيا من خلالها. فمتى ما كانت لدى المرء درجة عالية من التوافق فسيكون وضعه النفسي غالبًا في صحة جيدة، وكلما انخفضت تدهورت معها الصحة النفسية. يقول أمير المؤمنين ﷺ: «ألا وإن من أشد البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب»[1]، فالبلاء الشديد وفقًا لأمير المؤمنين ﷺ يتدرج بين الفقر وسوء الوضع الاقتصادي، ثم يتصاعد إلى مرض الجسم، حتى يصل إلى مرض القلب، ويمكننا هنا أن نفهم مصطلح مرض القلب بأنها الأمراض الداخلية التي تضرب نفسية الإنسان، فهي بذلك أشدّ فتكًا من سابقيها.

بات الإنسان في العصر الحديث يكابد الأمراض النفسية بالنظر لتصاعد حجم التطلعات لديه، وما يوازي ذلك من تحدّيات كبيرة. إن طوفان الاهتمامات المادية يجعل الإنسان في كثير من الأحيان يقف مأزومًا أمام تطلعاته التي لا تتحقق، وما يتبع ذلك من تداعيات ومشاكل. من هنا تتولد الأمراض والمشاكل النفسية عند الإنسان. لقد باتت هذه الأمراض في العصر الراهن وباءً عامًا يعاني منه كثير من البشر، فلهذه الأمراض النفسية يعود السبب في تفشي حالات الاكتئاب، وتصاعد حالات الانتحار، وفي جديد هذا الأمر ما نشرته الصحف مؤخرًا من أن واحدًا من كل أربعة يابانيين قد فكر في الانتحار، أي ما يعادل ربع المجتمع الياباني!، علمًا بأن الأوضاع الاقتصادية لديهم ممتازة، لكنها الضغوط والمشاكل الكثيرة المصاحبة للجفاف والجفاء الروحي، فهذه تنعكس وتتفاعل مع الأوضاع المادية، إضافة إلى ضياع الهدفية في حياة الإنسان.

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٨٨.

تصاعد الأمراض النفسية

أما حالات الاكتئاب النفسي فتشير إحصاءات منظمة الصحة العالمية الحديثة إلى تصاعد مضطرد في الأرقام. فقبل أيام ذكرت المنظمة أن عدد المصابين بالأمراض النفسية زادوا على ٥٠٠ مليون مريض، منهم ١٥٠ مليون مريض يعانون من مرض الاكتئاب، فيما يعاني ٣٨٠ مليون من انفصام الشخصية، إلى جانب ٩٠ مليون يعانون من تعاطي المخدرات، وتوقع خبراء بالمنظمة أن يحتل مرض الاكتئاب المرتبة الثانية عالميًا بحلول عام ٢٠٢٠م. وذكرت تقارير المنظمة أن مرض الاكتئاب أصبح من الأمراض السائدة في القرن الحادي والعشرين، وأن حوالي ١٢١ مليون نسمة يعانون من الاكتئاب في العالم. وبحسب التقارير الدولية والمحلية يتمركز مرض الاكتئاب في بلدنا عند النساء أكثر منه عند الرجال، فنسبة مرض الاكتئاب عند الإناث تشكل من ١٥ إلى ٢٥ ٪ فيما بلغت عند الذكور من ١٠ إلى ١٥ ٪.

وتكشف الإحصاءات الرسمية المحلية عن مدى خطورة الأوضاع على مستوى الصحة النفسية في المجتمع. فقد كشفت وزارة الصحة في المملكة عن ارتفاع مضطرد في عدد مراجعي عيادات الصحة النفسية حتى بلغ ٤٣٩ ألف مراجع، وبلغ إجمالي الذين يرقدون على أسرة المستشفيات نحو ١٨٧ ألف مريض نفسي. وهذه الأرقام تُعدّ كبيرة قياسًا على واقعنا المحلي، مع ملاحظة أن الناس في مجتمعنا لا يعترفون غالبًا بالأمراض النفسية، لذلك يمتنع قسم كبير من المرضى النفسانيين عن مراجعة المستشفيات، ولا يتلقون العلاج المناسب، وهذه مسألة ينبغي أن يُثقّف الناس حولها.

إن بلادنا تعاني نقصًا وقصورًا كبيرًا في جانب المستشفيات النفسية. فالمستشفيات تُعدّ قليلة جدًا، وبحسب التقارير الجديدة لم يحصل أي تطور على هذا الصعيد منذ أكثر من ٢٠ سنة. وقد أشار المؤتمر العالمي الثامن للطب النفسي الذي نظمته المنظمة الصحية للطب النفسي في جدة بتاريخ ١٧ أبريل ٢٠١٢م إلى أن عدد المستشفيات النفسية في المملكة لا تزال قليلة ومحدودة، وأنه لم يحصل تقدم ملموس منذ

عشرين عامًا، سوءًا كان على مستوى التجهيزات الطبية، أو الكوادر الطبية أو توفير الأسرّة، وهذا خلل وضعف كبير جدًا. الحمد لله بلدنا فيها خير كثير، وأرقام الميزانية العامة للدولة بلغت أرقامًا فلكية، وخاصة الميزانية المعتمدة لوزارة الصحة، لذلك فالمواطنون يريدون أن يروا أثر ذلك على صعيد العناية بالصحة النفسية للمجتمع، فلا مبرر؛ لأن نعيش هذه الأزمة وهذا النقص.

كيف نواجه هذا الخطر؟

إننا في هذا المجال نريد أن نؤكد الأمور التالية:

أولًا: ينبغي أن نهتم بأمور الصحة النفسية، وأن نهتم بالأمراض النفسية التي بدأت تسود وتنتشر في مجتمعاتنا. فمن المهم أن نولي العناية والاهتمام بالأسباب والجذور لتلك المشاكل، ومن أهمها الأزمات الحياتية التي يعيشها الناس، فكثير من الناس يعانون من مشاكل حياتية كأزمات السكن، والوظيفة والحياة المناسبة، هذه الأزمات تمثل باعثًا أساسًا للأمراض النفسية وحصول حالة الإحباط واليأس في كثير من الأحيان.

ثانيًا: ينبغي التأكيد على دور العائلة في احتضان الأبناء. فبعض الآباء يولون اهتمامًا بالغًا بالصحة الجسمية للأبناء، فيسارعون إلى المستشفى إذا رأوا عارضًا صحيًا عند أولادهم، لكنهم في مقابل ذلك لا يهتمون كثيرًا للحالة النفسية للطفل، وهذا خلل كبير، إذ ينبغي أن تتوفر للأولاد الأجواء المناسبة للصحة النفسية. ولهذا نجد الإسلام يشدد على الاهتمام برعاية الصغار، كما ورد في حديث عن النبي ﷺ: «من كان له صبي فليتصاب له»[1]، وعن الصادق عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين»[2] وغيرها؛ ذلك لأن هذا السلوك

---

(١) كنز العمال. ج ١٦، ص٤٥٧.

(٢) الكافي. ج٦، ص٤٦، حديث١.

له دور حيوي في تنمية الأطفال ورعاية نفوسهم، وتنمية مهارات التفاعل مع المجتمع والمحيط. ولا بأس أن نشير هنا إلى أن استغراق الأطفال في اللعب بالألعاب الإلكترونية فقط، يُعدّ أمرًا خطيرًا كما تؤكد الدراسات، فمن الضار بالطفل أن يتجاوز الحد الطبيعي في الألعاب الإلكترونية، فهو بذلك يفقد الكثير من مهارات التفاعل والتعامل مع محيطه، كما يفقد الكثير من الراحة والصحة النفسية. لهذا ينبغي تشجيع الأبناء على الرياضة والألعاب الحركية ليتفاعلوا مع من حولهم.

كما ينبغي الانفتاح على مشاكل الأبناء. فالمشاكل النفسية في صفوف البنات خاصة تُعدّ مضاعفة كما تشير التقارير، فقد ورد في تقرير علمي أن نسبة إصابة النساء السعوديات بالاكتئاب تجاوزت النسب في الدول الأخرى، حيث بينت الدراسات أنه في حين كان عدد الرجال المصابين ٣٣ مصابًا نفسيًا فإن النساء يفوقونهم بـ ٦٦ حالة. وفسرت التقارير ذلك بأن المرأة في مجتمعاتنا تتعرض لكثير من الضغوط، حتى ينعدم لديها الشعور بأنها إنسان من الدرجة الأولى مثل أخيها الذكر، وإنما هي من الدرجة الثانية، وفي ذلك باعث أساس لانتشار الأمراض النفسية.

ثالثًا: الحاجة إلى النشاط والتضامن الاجتماعي لمعالجة الأمراض النفسية. إن وجود مؤسسات وتضامن اجتماعي يساعد الناس كثيرًا على تجاوز مشاكلهم، فوجود مشاريع على غرار الهاتف الاستشاري الموجود في بعض الجمعيات الخيرية، يُعدّ عاملًا مساعدًا في تجاوز المشاكل التي يعاني منها كثير من الأفراد، وعلى غرار ذلك لجان إصلاح ذات البين.

عمق الإيمان قوة للنفس

وأخيرًا لا بُدّ أن نوجه الخطاب لكل إنسان أن يهتم بالجانب الروحي في حياته. فالإيمان يضاعف القوى النفسية لدى الأفراد، فإذا ما انفتح المرء على دينه بشكل

جيد، فإنه يصبح بذلك أقوى في مواجهة المشاكل والتحديات، من خلال التوكل على الله، والرضا بقضاء الله وقدره. إن على المرء ألّا يستسلم للإحباط واليأس عند مواجهة التحديات، حتى وإن بذل كل جهوده لتجاوزها دون أن ينجح. هذا ما تؤكده النصوص والأحاديث، فقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ: «إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل»[١]، وعنه ﷺ: «قال الله عز وجل: عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيرًا له فليرضَ بقضائي وليصبر على بلائي وليشكر نعمائي، أكتبه يا محمد من الصديقين عندي»[٢].

ينبغي للمرء أن يسعى لمواجهة المشاكل، وأن يقبل في الوقت ذاته بالقضاء والقدر. إن هناك حوادث خارجة عن الإرادة والمعالجة كالكوارث والموت، فلا يصح معها أن يكون الإنسان جزوعًا، وعلى غرار ذلك ما يعترض المرء من صدمات عاطفية قاسية، من قبيل عدم القدرة على الارتباط بشريك الحياة، لعوامل خارجة عن الإرادة، سواء بسبب الأهل أو القانون أو غير ذلك، بحق أو بغير حق، فلا ينبغي بأي حالٍ أن نرى هذا آخر المطاف، وسببًا للإصابة بالإحباط واليأس. على الإنسان أن يسعى لتحقيق تطلعاته لا أن يموت من أجلها، فما كل ما يتمنى المرء يدركه، عندها لا مفر من أن يسلم المرء بالقضاء والقدر.

(١) الكافي، ج ٢، ص ٦٠.

(٢) الكافي. ج ٢، ص٦١.

الخطبة الأولى

الزهراء القدوة في حياتها العائلية

ورد عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام في حديثه عن حياته مع الصديقة الزهراء قال عليه السلام: «فو الله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمرا ولقد كنت انظر إليها فتنكشف عني الهموم والإحزان»[1].

لوجود الأنبياء والأئمة في حياة البشر وظيفتان رئيستان: أولها التبليغ ونشر القيم والمبادئ بين الناس، وثانيها تمثيل الأنموذج الأفضل لتطبيق هذه المبادئ والقيم.

إن مما لا شك فيه أن وجود القيم والمبادئ بين الناس أمر مهم، لكن الناس بحاجة إلى من يطبق هذه المبادئ والقيم ليتأكدوا من أنها ممكنة التطبيق، وليست مجرد قيم مثالية خيالية. وخير أنموذج لهذه القيم هم من جاء بها أي الأنبياء والأئمة. لهذا فإن سيرة وحياة الأنبياء والأئمة حجة على الخلق. من هنا كان مطلوبًا من الناس أن يتمثلوا قول الأئمة، وأن يترسموا كذلك طريقتهم في الحياة الاجتماعية. إن هذا ما يؤكده القرآن الكريم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ فالاقتداء مطلوب، وكذلك التأسي طبقًا للآية الكريمة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

يتصور بعض الناس خطأً أن ظروف حياة الرسل والأئمة تمتاز بخصوصية فريدة، لا يترسمها ويهتدي بها سائر الناس. إن هذه الفكرة تُعدّ خاطئة تمامًا، ونقضًا لعلة إرسال

(١) بحار الأنوار. ج٤٣، ص١٣٤.

الأنبياء والرسل وهي اقتداء الناس بهم. نعم هناك خصوصيات يمتاز بها المعصومون، لكنها حالة استثنائية. ولو كانت كل سيرتهم فوق طاقتنا لما أمرنا بالاقتداء والتأسي بهم.

ونحن حين نحتفي بذكرى هؤلاء الهداة، فلا بُدّ لنا أن نستحضر واقعهم الاجتماعي، وكيف مارسوا حياتهم لنقتدي بهم. وهذه أيام نعيش فيها نفحات عطرة لذكرى ولادة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام ونريد أن نقتبس قبسًا من أنوار سيرتها، حتى نستضيء به في حياتنا، وليكن هذا القبس من حياتها الزوجية، حتى نترسم طريقنا في هذا الجانب، ولنرى كيف كان التعامل بين الزوجين المباركين علي وفاطمة عليهما السلام.

يحدثنا أمير المؤمنين عليه السلام في رواية عن العلاقة الزوجية بينه وبين الزهراء عليها السلام فيبين لنا من خلالها كيف كان تعامله معها، وكيف كان تعاملها معه.

من جهة الزوج

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فوالله ما أغضبتها». ومقتضى ذلك أن الإمام عليه السلام لم يقم بأيّ تصرف يغضب الزهراء عليها السلام لا قولًا ولا عملًا. فهل كان ذلك خاصًا بعليّ والزهراء لأنهما معصومان؟ إذًا لماذا يحدثنا أمير المؤمنين بشيء لا يمكن تطبيقه؟ إن الإمام إنما حدث بهذا حتى يسنّ لنا منهجًا في العلاقة الزوجية وهو أن يسعى الزوج لكسب رضا زوجته وأن يتجنب إغضابها ما استطاع.

ويقول عليه السلام في الرواية ذاتها: «ولا أكرهتها على أمر». أي لم يبادر عليه السلام إلى شيء يفرضه فرضًا على الزهراء عليها السلام ويجبرها عليه. وهنا يريد الإمام أن يسن قانون التوافق والاقتناع المتبادل بين الزوجين فيما إذا أراد أحد الطرفين شيئًا من الآخر، لا أن يكون على أساس الفرض والإجبار.

من جهة الزوجة

ثم يبيّن ما كان من جانب الزهراء عليها السلام تجاهه فيقول: «وما أغضبتني». فالزهراء أيضًا كانت حريصة وملتزمة عدم التلفظ بكلمة تؤذيه، أو تتصرف تصرفًا يثير شيئًا من الغضب في نفسه عليه السلام. وتتم حسن تبعلها بطاعته، فلا تخالفه في قول «ولا عصت لي أمرًا». وكانت عليها السلام تجلب السرور إلى نفسه، وتكشف همومه: «ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان».

هذه هي العلاقة السليمة التي ينبغي أن تكون بين الزوجين، علاقة التوافق والانسجام. وذلك بأن يحرص كل منهما على ألّا يغضب الآخر، ويسعى لكسب ودّه ورضاه، وأن الفروض المطروحة ينبغي أن تكون عن قناعة حتى يستجيب الطرف الآخر. ولا بُدّ من أخذ مشاعر وظروف كل طرف بعين الاعتبار.

إن التوافق والانسجام بين الزوجين له أهمية كبيرة، فهو يجلب الراحة للإنسان، ويزيد في فاعليته وعطائه، كما أنه يساعد على إنتاج أبناء صالحين، حيث إن الأولاد الذين يتربون في عائلة منسجمة تكون نفوسهم سليمة، وسلوكهم سويًا، وما كثُرت المشاكل الاجتماعية والانحرافات إلا وكانت المشاكل العائلية وفساد الجو الأسري أحد أسبابها.

إن هناك عوامل تساعد على الانسجام والتوافق بين الزوجين، من أهمها:

حسن اختيار الزوج

لا بُدّ أن يكون اختيار الزوجين أحدهما للآخر على أساس المعايير السليمة، بعيدًا عن الماديات والشكليات. فقد يكون جمال الزوجة عنصر مطلوبًا، ولكن لا ينبغي أن يكون هو أساس الاختيار. لا بُدّ أن يكون للالتزام السلوكي دور في الاختيار، تبعًا للرواية الشريفة «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه». إن من أخطر المشاكل التي يقع فيها الشباب الآن هو سيطرة العواطف في الاختيار، حيث يتعرف الشاب والشابة على

بعضهما عبر وسائل الاتصال المتطورة والمختلفة، ويسمع هذا كلمة مثيرة، وتسمع تلك كلامًا عاطفيًا، وإذا بهما يقعان في فخ قد يكلف الخروج منه الكثير.

الوعي بالحقوق الزوجية

إن وعي الزوجين بحقوقهما مدّعاة لتأسيس علاقة قوية بينهما. وتكمن مشكلة الكثير من الأزواج أنهما يقيمان الشراكة الزوجية من دون تأهيل، فلا يعرف كلٌّ منهما ما له وما عليه. إن الدراسات المعاصرة تشير إلى أن المجتمعات التي يلتزم أبناؤها بدورات تأهيلية قبل الزواج، تنخفض عندهم نسبة المشاكل العائلية. إن تأهيل الزوجين قبل الزواج أمر مهم، بل هو في غاية الضرورة، كيف لا، ونحن لا نعطي قائد السيارة رخصة القيادة إلا بعد إتمام التدريب، وكذلك بعض الوظائف المهنية، فهل تأسيس الشراكة الزوجية أقلّ شأنًا من ذلك؟

إن في سيرة الزهراء عليها السلام مع أمير المؤمنين عليه السلام ما يشير إلى هذا الجانب، وهو معرفة الحقوق والواجبات المتبادلة. فقد ورد عن أبي عبدالله الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام: تقاضى علي وفاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيمن يقوم بخدمة البيت ـ والتقاضي يعني أنهما ذهبا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليحكم بينهما، ويبين لهما الأمر. وليس معنى التقاضي هنا أن الأمر قد سُبق بخلاف ونزاع، وإنما يريدان أن يحدّدا الحدود بينهما ـ فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي بما خلفه. ويقول الإمام الصادق عليه السلام فيما روي عنه: كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس. وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز[١].

وتشير نصوص كثيرة إلى تقاسم الخدمة بين الزوجين، إن من المعلوم بأن الشرع لم يفرض الخدمة المنزلية على المرأة، ولكن حين يكون اتفاق على تقاسم الأدوار فإن ذلك يخلق بيئة أسرية راقية. وعن سلمان الفارسي قال: كانت فاطمة جالسة

---

(١) الكافي. ج٥، ص٨٦.

قدامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين في ناحية الدار يتضور من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاك، وهذه فضة، فقالت أوصاني رسول الله ﷺ أن تكون الخدمة لها يومًا، فكان أمس يوم خدمتها[١]. ومعروف أن فضة وهي من بلاد النوبة أهداها رسول الله ﷺ كجارية إلى فاطمة تعينها في خدمة البيت، وقال لها تقاسمي الخدمة معها، عليك يوم وعليها يوم. مع أنها ملك لها وليست مجرد خادمة لكنها مع كل ذلك تتقاسم معها الخدمة! وهذا ما ينبغي أن تسير عليه نساؤنا في تعاملهن مع خادماتهن. فلا بُدّ للخادمة من وقت للراحة فهي بشر.

التقوى والالتزام الديني

لا بُدّ لعامل التقوى أن يتجلى في التعامل بين الزوجين. فلا يصح أن نخرج رقي التعامل بين الزوجين من الدين، وكل يفعل كيف شاء. إن بعض النساء يرغبن في العبادة والتقرب من الله، فيذهبن للحج والعمرة والزيارة ويؤدين كثيرًا من النوافل، وهو أمر حسن، لكن ينبغي ألّا يكون ذلك على حساب راحة الزوج واستقرار البيت الأسري. كما أن على الزوج في مقابل ذلك أن يراعي زوجته ومشاعرها، فلا يستغل قوته كرجل في كل شيء، فيرفع صوته في وجه زوجته بغير حق، فهذا محلّ إشكال وإثم. وكلما تجلت التقوى بين الزوجين كان الجو العائلي أنقى وأطيب. تقول الصديقة الزهراء عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام أثناء وداعها له: يا ابن عم، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني. فأجابها عليه السلام: معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبرّ واتقى وأكرم وأشدّ خوفًا من الله من أن أوبخك بمخالفة[٢].

روح الإيثار والتضحية

إذا ساد منطق الأنانية بين الزوجين تلاشت أجواء السعادة والهناء. وتتجلى قمة

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١١٩.

الأنانية عندما يريد الزوج من زوجته أن توفر له كل سبل الراحة، دون أن يعنيه أن تكون مرتاحة أم لا. وعلى غرار ذلك عندما تتمنى الزوجة أن يلبّي لها الزوج كل رغباتها، ولا يعنيها إن كان ذلك يشق عليه أم لا. لا ينبغي أن تسود هذه الروح الأنانية بين الزوجين، بل المطلوب أن يكون هناك إيثار وتضحية من قبل كل منهما.

قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل من بني سعد: ألا أحدثك عني وعن فاطمة؟ إنها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليَّ ـ أي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وأنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد[1].

هكذا كانت عليها السلام تبذل ما بوسعها من أجل إسعاد زوجها وعائلتها. وفي رواية تقول: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عليٍّ فوجده هو وفاطمة يطحنان في الجاروش، فقال صلى الله عليه وآله: أيكما أعيى؟ فقال علي عليه السلام: فاطمة يا رسول الله ـ وهنا يتجلى جانب الإيثار ـ فقال صلى الله عليه وآله: قومي يا بنية، فقامت فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله مكانها مع علي فواساه في طحن الحب[2]. بل كانت فاطمة عليها السلام تخشى أن تكلف عليًا عليه السلام ما لا طاقة له به، حتى في القوت، بل وتؤثره على نفسها وتطوي هي جائعة.

عن أبي سعيد الخدري قال: أصبح علي عليه السلام ذات يوم، فقال لفاطمة عليها السلام: يا فاطمة، هل عندك شئ تغذينيه، قالت: والذي أكرم أبي بالنبوة ما أصبح اليوم عندي شئ أغذيكه، وما كان عندي شئ منذ يومين إلا ما كنت أوثرك به على نفسي وعلى هذين ـ تعني الحسن والحسين ـ.

قال: فهلا كنت ذكرت ذلك لي، فأبغيكم شيئًا؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٨٢، حديث٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٥٠، حديث٤٧.

قالت: إني لأستحي من الله أن أكلفك ما لا تقدر عليه، ولا تجده[١].

علينا ونحن نستقبل ميلاد الزهراء عليها السلام أن نأخذ هذا الدرس في التوافق الزوجي، ونطبقه في حياتنا الأسرية. إن على الزوج ألّا يغضب زوجته، ولا يجور على حقوقها، فيطلب منها خدمة البيت وتربية الأولاد، وفي بعض الأحيان رعاية والديه، دون ان يكلف نفسه بأن يقوم بشيء من ذلك. ولاشك إن من البر أن يرعى الإنسان والديه، ولكن عليه أن يقوم بذلك بنفسه، لا أن يفرض ذلك على زوجته. نعم يستطيع أن يسترضيها في ذلك ويشجعها، وهي أيضًا عليها ألّا تفوت هذه الفرصة الثمينة من الثواب العظيم. كما أن على الزوجة أيضًا أن تراعي حقوق زوجها وأن تأخذ بعين الاعتبار ظروفه وإمكاناته. وإذا ما كان ذلك من قبل الزوجين فإن التوافق بينهما يتم، والاستقرار الأسري يكون قويًا ناجحًا.

(١) القاضي النعمان المغربي. شرح الأخبار، ج ٢، ص ٤٠١.

تداول السلطة بين العنف والإرهاب

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[سورة آل عمران، آية: ١٤٠]

توجه آيات القرآن الكريم أبناء البشرية لفهم وإدراك سنن الحياة الاجتماعية. فللحياة الاجتماعية سنن كما هو الحال بالنسبة لسنن الطبيعة وقوانينها، كما جاء في الآيات الكريمة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يعني أن كل شيء يجري وفق نظام دقيق. هذا النظام لا يقتصر على الحالة الطبيعية الكونية فقط، بل حتى الحياة الاجتماعية لها سنن وقوانين علينا أن نفهمها.

إن آيات القرآن الكريم توجه الناس لفهم هذه القوانين والنظم. كما في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. فتداول الأيام بين الناس سنة اجتماعية في بني البشر. فالقوة والسلطة ليست دائمًا في يد فئة من البشر، وقد تصل القوة إلى يد المؤمنين فيتصورون خطأ أن القوة وصلت إليهم نظرا لإيمانهم، ويجب أن تبقى عندهم ما داموا مؤمنين. إن وجود السلطة عند فئة ومحافظتها على هذه السلطة مرتبط بمقومات متى ما توفرت كان ذلك ممكنًا، ومتى ما اختلت هذه

المقومات أو تلاشت ذهبت السلطة والقوة خلفها، ومضت إلى فئة أخرى اكتسبت تلك المقومات أو ما يفوقها.

وحين انتصر المسلمون في بدر وألحقوا الهزيمة بالمشركين، تعزز عندهم الشعور بالغلبة دائمًا وأبدًا. حتى إذا خاضوا معركة أحد انهزموا، ولحق بهم من الأذى ما لحقهم. فهل كان سبب انهزامهم اختلال في عقيدتهم وإيمانهم؟ كلا، ولكن مقومات النصر الطبيعية اختلت عند المسلمين وتعززت عند المشركين. فهذه السنن ليس لها علاقة بالإيمان والكفر، وإنما لها علاقة بالأسباب الطبيعية والسنن الاجتماعية، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي الجراحات التي لحقت بكم في أحد، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ أي ما لحق أولئك من الجراحات في معركة بدر. ثم تثبت الآية قانونًا مهمًا: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ وهو حقيقة ثابتة نجدها طوال التاريخ البشري، تفسر قيام الأمم واندثارها، فهناك أمم عظيمة انتهى ذكرها، وحضارات سائدت ثم بادت، وفئات كانت حاكمة ثم حُكمت، وهكذا (يرفع الله المستضعفين ويضع المستكبرين) ليس بالقوة الغيبية وإنما تلعب الأسباب الطبيعية دورها.

تبادل مراكز القوى

لقد استمرت المجتمعات البشرية وفق هذا النظام الاجتماعي في تبادل مراكز القوة. فهناك فئة تحكم مجتمعها لتوافرها على نقاط قوة، ثم تضعف في حين تنشط فئة أخرى، فتسيطر على زمام الحكم وتلغي الفئة السابقة. وكانت لغة القوة والسلاح هي الطريق للهيمنة على مقاليد السلطة، حتى تطورت المجتمعات البشرية، وظل الناس يتطلعون للسلطة وقيادة المجتمع، لكن ليس عن طريق العنف وإراقة الدماء، وإدخال المجتمع في العنف والعنف المضاد، وإنما توصلوا إلى صيغة جديدة عمادها كسب رضا الناس والشعب، فأيما فئة حظيت بشعبية وقبول أكبر من قبل الناس، أخذت طريقها للحكم وإدارة المجتمع. وهذا هو معنى النظام الديمقراطي، والتداول السلمي للسلطة.

الانتخابات الفرنسية نموذجًا

لقد شهدنا في الأسبوع المنصرم انتخابات الرئاسة في فرنسا. وفرنسا واحدة من أقوى خمس دول في العالم عسكريًا واقتصاديًا وعلميًا. هذا البلد على غرار غيره كان تولي السلطة فيه في أزمان سحيقة يقتصر على طريق العنف والقوة، أما الآن فقد ساد النظام الديمقراطي، والتنافس السلمي من خلال البرامج التي تستقطب رضا الشعب. مرت فرنسا في العقود الماضية تحت حكم الوسط الأقرب إلى اليمين بقيادة نيوكلا ساركوزي، بعد أن كان يحكمها الاشتراكيون إلى ما قبل ١٩٩٥م. الآن وفي هذه الانتخابات الجديدة نشط الاشتراكيون مجددًا وفازوا بالحكم من جديد. ومن الجميل أنك تجد الحاكم السابق يتقبل الأمر بكل رحابة صدر، ويخطب في أصحابه ويقول بأننا يجب أن نعترف بالهزيمة، وأن نرحب بالرئيس الجديد وحزبه، ونمد يد العون والطاعة لهم. وفي المقابل يشكر الرئيس الجديد الرئيس السابق على ما بذله من جهود في السنين الماضية، ويعلن عن مرحلة جديدة.

هكذا يتداولون السلطة تداولًا سلميًا، وهي طريقة فيها إقرار بسيادة الأمة وحق الشعب. فالحاكم إنما يحكم وفقًا لقبول الناس به ورضاهم عنه. وكذلك يبرز دور الأكفأ والأفضل. حيث يقدم كل حزب متنافس برنامجه، ليفوز بعدها الحزب الذي يحظى باستقطاب أكبر من جمهور الناخبين. وإذا ما حقق نجاحًا في دورته الرئاسية الأولى أعيد انتخابه من جديد، أما اذا فشل فإن الأنظمة تتيح لهم انتخاب غيره مجددًا. فهناك تنافس فعليّ على حفظ مصالح الناس، والأمر الأهم هو تلافي حالات العنف في التسابق على السلطة. في مطلع هذا القرن الجديد بات أكثر من ٦٠٪ من دول العالم يعيشون الديمقراطية، ويبقى ٤٠٪ نأمل أن تحقق الأمل في الحياة الديمقراطية، فما عاد العنف في المجتمعات المتحضرة مقبولًا، لذا نجد ما حصل مؤخرًا من رفض داخلي ودولي واسع للانقلاب العسكري في جمهورية مالي الأمر الذي أجبر الانقلابيين على التقهقر والانسحاب.

الخطبة الأولى

سلامة البيئة والصحة النفسية

روى الإمام محمد الباقر عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن»[1].

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ما عبد الله بشيء أحب إلى الله من ادخال السرور إلى المؤمن»[2].

كما نحتاج إلى البيئة السليمة من أجل الصحة الجسمية، وللوقاية من الأمراض، ومنع انتشار الأوبئة، والحدّ من الأخطار الصحية، كذلك نحتاج إلى البيئة الاجتماعية السليمة من أجل الصحة النفسية، فالإنسان كما هو جسم هو روح لا يمكن الاهتمام بأحدهما وإهمال الآخر، والتوازن هو المطلوب من أجل حياة سليمة متكاملة، فهناك جهات متعدده تذكر الناس بأهمية الصحة الجسمية، من أطباء وأخصائيين في التغذية ومنظمات صحة، إلا أن الاهتمام بالنفس والروح بالقدر الذي يكون موازيًا للاهتمام بالبدن ليس موجودًا، من هنا كان من الضروري التذكير بهذا الأمر والتنبيه إليه.

الأمراض التي تصيب النفس وتؤثر سلبًا في روح الإنسان، لا شك أنها أخطر بكثير من الأمراض التي تصيب البدن؛ لأن قوام الإنسان وكينونته هي روحه، وعلى ذلك فإن المجتمع مطالب بالاهتمام بالصحة النفسية، وتوفير البيئة السليمة، من أجل

(١) وسائل الشيعة. ج١٦، ص٣٥٣.

(٢) الكافي. ج٢، ص١٨٨.

ضمان حياة مستقيمة للإنسان، فالمجتمع هو البحر الذي يسبح فيه الفرد، ويتأثر به، فإن كان سليمًا لا شك أن أفراده سوف يتمتعون بنفسية سليمة، والعكس صحيح. والسؤال الذي يجعل الجميع أمام المسؤولية هو، ما هي مقومات البيئة الاجتماعية السليمة للصحة النفسية؟ وبعبارة أخرى، كيف يكون الوضع الاجتماعي مساعدًا على تعزيز الصحة النفسية لأبناء المجتمع؟ هناك أساسان ومقومان:

المقوم الأول: إن انتشار ثقافة الأمل والثقة بالله يمثل عاملًا مهمًا لانتشار الصحة النفسية؛ لأن الإنسان إنما يصاب بالأمراض النفسية المختلفة بسبب مواجهته للصدمات والمشاكل والتحديات، فإذا تعززت في ذهنه وقلبه الثقافة السليمة التي ترشده أن هذه التحديات من طبيعة الحياة، فلا بُدّ أن يتعامل معها بشكل إيجابي، وبروح صلبة تتجاوز الصعاب، وبأن الله قد زوّده بالقدرة والإرادة والعقل لكي يكون مميزًا عن بقية الخلق، ويكون صانعًا لحياته بمحض إرادته، وأن هذه التحديات إنما تعزز صلة الإنسان بالله، وتجعله أكثر أملًا ورجاءً، هذه الثقافة تساعد الناس كثيرًا من أجل توفير الصحة النفسية

المقوم الثاني: دِفء وحميمية العلاقات الاجتماعية، فإذا كان الإنسان يعيش في مجتمع يتعامل معه باحترام وتقدير، ويوفر له المحبة، فإن هذا الإنسان سوف يكون أكثر انشدادًا إلى بيئته ومحيطه، وأكثر تفاعلًا مع مجتمعه، ولا شك أن مثل هذا الإنسان تكون صحته النفسية أفضل، بينما لو كان الإنسان يعيش في محيط اجتماعي موصوفٍ بالفتور في علاقاته، والجفاف في تبادل الأحاسيس والمشاعر، فإن مثل هذا الإنسان تكون صحته النفسية معرضة للمرض والانهيار، لذلك نجد تعاليمنا الدينية تركز كثيرًا على هذا البعد وهو تأسيس علاقات اجتماعية توفر وسطًا صحيًا سليمًا، تتحقق فيه المحبة والاحترام،

وهنا نلفت الانتباه إلى مفردة من هذه التعاليم التي تؤكد إيجاد البيئة السليمة للصحة النفسية، وهي إدخال السرور في قلوب الآخرين، فبعض الروايات تتحدث عن إدخال السرور في قلوب المؤمنين، وبعضها في قلوب المسلمين، وبعضها في قلوب الآخرين، من غير أن تصفهم بصفة أو تحددهم بسمة وإنما قلوب الناس جميعًا.

ماذا يعني إدخال السرور؟

السرور هو أن يكون الإنسان مرتاح النفس، وهذا بالطبع له انعكاس على حياته ونشاطه، يقول أمير المؤمنين ﷺ: «السرور يبسط النفس ويثير النشاط»[1]، وعنه ﷺ: «الغم يقبض النفس ويطوي الانبساط»[2]، وعنه ﷺ: «الغم مرض النفس»[3]، وعنه ﷺ: «الحزن يهدم الجسد»[4]، وإذا شعر الإنسان بالسرور والانبساط فإن ذلك ينعكس على نشاطه وسلوكه وكل تعاملاته.

والنقطة التي يجب الإشارة إليها هنا هي أن الشعور بالسرور لا يعني ألّا تواجه الإنسان صعوبات ومشاكل في حياته، وإنما كيف يستطيع المحافظة على هذا السرور في قلب هذه التحديات، أما إذا اشترطنا لحصول السرور عدم الصعوبات والمشاكل فنكون قد فكرنا في المستحيل، وتجاوزنا شروط الواقع الموضوعي، فالتفكير المنطقي هو كيف نحقق سعادة وسرورًا في هذه الحياة التي من طبيعتها وجود صعوبات وتحديات؟

فما دام الإنسان يعيش في هذه الحياة فلا بُدّ من مشاكل سواء في الجانب الصحي أو السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو غيرها، ولكن حينما يعيش الإنسان في

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٦، حكمة ٩٣٧.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٥٢، حكمة ١٥٥٨.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٥٢، حكمة ١٥٥٧.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٢٨، حكمة ٦٠٥.

وسط اجتماعي فيه دِفء وألفة وترابط ومحبة، فإن ذلك يساعد على تجاوز ما يواجهه من مشاكل وتحدّيات.

والإسلام يريد من كل فرد من أبناء المجتمع المسلم تحمل المسؤولية من أجل إسعاد الآخرين، فكل واحد مسؤول من قبل الله تعالى أن يدخل السرور في قلوب من حوله، فحينما تتعامل مع أي فرد من أفراد المجتمع عليك أن تفكر في الكيفية المناسبة التي تدخل بها السرور على قبله، في كل منحى من مناحي الحياة الاجتماعية، فالزوجة في البيت تعاني من مشاكل إدارة البيت وتربية الأطفال، وما يسبب لها ذلك من ضغوط كبيرة، فعلى الزوج أن يعمل على إدخال السرور على قلبها، وكذلك الزوجة عليها عند رجوع زوجها من رحلة شاقة من العمل والكفاح من أجل تأمين حياة كريمة لأسرته عليها أن تدخل السرور في قلبه، وهكذا الأولاد والجيران وزملاء العمل، هذا يعد من أحب الأعمال إلى الله كما في رواية الإمام الباقر ﵇: «أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن»، ويقول الإمام الصادق ﵇: «ما عبد الله بشيء أحب إلى الله من إدخال السرور على مؤمن» فينبغي أن ندرك أهمية هذا الأمر.

كيف تسرُّ الآخرين؟

أولًا: باظهار الاحترام والتقدير، عن سلمان الفارسي قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة فألقاها إليَّ ثم قال لي: «يا سلمان، ما من مسلم يدخل على أخيه المسلم فيلقى له وسادة إكرامًا له إلا غفر الله له»[١]، وعن رسول الله ﷺ: «من أكرم أخاه فإنما يكرم الله»[٢] هكذا يشجعنا الدين على أن نستقبل الآخرين وأن نتعاطى معهم باحترام وتقدير؛ لأن ذلك يريحهم ويشعرهم بالسعادة والسرور.

---

(١) المستدرك على الصحيحين. ج٣، ص٦٩٢.

(٢) كنز العمال. ج٩، ص١٥٤.

ثانيًا: رفع المعنويات والتشجيع، إذا كان هناك من عنده إيجابيات ومنجزات عليك أن تشيد بها، كما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام في الكلام عن صحبة الأصحاب: «اصحب من إذا صحبته زانك وإذا خدمته صانك وإذا احتجت إلى معونة أعانك ... وإن رأى منك ثلمة سداها أو رأى منك حسنة عدّها» وخاصة الناس الذين يعيشون تحدّيات ومشاكل لا بُدّ من رفع معنوياتهم وتشجيعهم.

ثالثًا: المساعدة والدعم، إذا كانت عنده حاجة أو كربة، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من نفّس عن أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه سبعين كربة من كرب الآخرة»[1]، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه أمامه، فكلما رأى المؤمن هولا من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تجزع ولا تحزن، وأبشر بالسرور والكرامة من الله عزّ وجلّ فما يزال يبشره بالسرور والكرامة من الله سبحانه حتى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ ويحاسبه حسابًا يسيرًا ويأمر به إلى الجنة والمثال أمامه، فيقول له المؤمن: رحمك الله، نعم الخارج معي من قبري! ما زلت تبشرني بالسرور والكرامة من الله عزّ وجلّ حتى كان، فمن أنت؟ فيقول له المثال: أنا السرور الذي أدخلته على أخيك المؤمن في الدنيا »[2] وعنه عليه السلام: «أيما مسلم لقي مسلم فسرّه سرّه الله عزّ وجلّ»[3] وهكذا تتوالى النصوص حتى يكون الإنسان المسلم مهتمًا بإدخال السرور والفرح في قلوب من يعيشون معهم.

---

(١) بحار الأنوار. ج٧١، ص٣١٢.
(٢) بحار الأنوار. ج٧١، ص٢٨٤.
(٣) الكافي. ج٢، ص١٩٢.

لماذا تتعثر الوحدة في العالم العربي ؟

جاء في خطبة لامير المؤمنين عليه السلام يحذر فيها من ازمنة سيئة تمر على الأمة، قال: «فالكتاب واهله في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم لان الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا، فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا على الجماعة»[1].

بينما تواصل الأمم الأخرى تحالفاتها وتكتلاتها في مختلف المجالات، تتكرر في أوساط العرب والمسلمين حالات الفشل في إنجاز الوحدة والتعاون، وهذا ينطبق على ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: «وافترقوا على الجماعة» أو كما يقال في التعبير الشائع اتفقوا على ألّا يتفقوا، ومن حقنا أن نتسأل: لماذا يتمكن الآخرون من التعاون فيما بينهم على مستوى الأمم والدول والجماعات ويقام بينهم مختلف التكتلات مثل (حلف الناتو، الدول الصناعية، الدول السبع، الوحدة الأوروبية) ولا يتحقق مثل ذلك في عالمنا العربي والاسلامي؟

ولماذا تفشل دائمًا دعوات الاتحاد والوحدة؟ حتى لو حصل إطلاق بعض عناوين الوحدة فانها تظلّ أطرًا فارغة بدون محتوى، مثلًا منظمة التعاون الإسلامي وتضم كل الدول الإسلامية، لكنها مجرد عنوان واجتماعات شكلية، لم تحقق إنجازًا لمصلحة الأمة الاسلامية، وكذلك الحال في جامعة الدول العربية فهي الأخرى مؤسسة شكلية،

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٤٧.

باعتراف الجميع، وكذلك المؤسسات الإقليمية التي حدثت في منطقتنا، مثل مجلس التعاون الخليجي، وبرغم أن لها أكثر من ٣٠ سنة، إلا أن خطوات هذا الاتحاد ما زالت تتعثر، وقد تابعنا أخيرًا الإعلان عن قيام اتحاد بين دول الخليج، واجتمع القادة ولكن لم ينبثق عن هذا الاجتماع قرار عملي.

لماذا لا يتحقق أفق التعاون بين مجتمعات ودول هذه الأمة، مع أن هذه الأمة تحمل قرآنًا ودينًا يدعو للوحدة؟ ولكن كما قال أمير المؤمنين ﵇: «فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ؛ لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنِ اجْتَمَعَا» القرآن كمصحف وكتلاوة له وجود، ولكن كقيم ومعانٍ لا وجود له، وهنا نريد أن نذكّر ببعض النقاط:

افتقار الإرادة السياسية

القادة السياسيون في تلك الدول يحملون هَمّ تقدم بلدانهم ومصلحة شعوبهم، أما معظم القادة عندنا فيحملون هَمّ بقائهم على عروش السلطة، والسياسي في الغرب محدود السلطة كمًّا ونوعًا، أما الكمّ فأربع سنوات أو أقلّ أو أكثر بقليل، وأما نوعًا فسلطته محدودة؛ لأن السلطة الحقيقة للشعب عبر البرلمانات والقوانين والرأي العام، وبالتالي فإنه يهتم بإنجاز شيء ليرضي الناس، وفي المقابل نجد غالب الحكام في دولنا حكمهم دائم، وسلطاتهم مطلقة، فلا يجد الحاكم في نفسه همًّا للوحدة ولا رغبة للتقدم والتطور والتنمية.

غياب الدور الشعبي

في تلك البلدان هناك شعوب لها حضور وإرادة لتحقيق الوحدة والتنمية، فتسخّر السلطة السياسية في سبيل تحقيق هذه المصالح، فمثلًا من أبرز المؤسسات في أوروبا هي المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، وهي من أوائل المؤسسات التي أسّست،

فأيّ مواطن من تلك الدول في أي مكان في أوروبا إذا تعرض لانتهاك بحقه كمواطن أو كمقيم من قبل دولته، أو من قبل دولة أخرى، إذا لم تنصفه المحاكم يمكنه أن يرفع الدعوى للمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، وعشرات الآلاف من القضايا انتصرت فيها لحقوق المواطنين أو المقيمين، لذلك ترى هذه الشعوب أن الاتحاد يخدمها ويحقق مصالحها، فبالتالي هي التي تقرر الاتحاد، أما في بلادنا العربية إذا حصلت اتحادات يقررها الحكام وليس للمواطنين دخل فيها.

كما أن كثيرًا من الاتحادات لا تلامس حاجات المواطنيين، وأيّ خلاف يحدث بين دولتين عربيتين يترك آثارًا سلبية على هذا الاتحاد، كما أن هناك البرلمان الأوروبي لحقوق الإنسان، يجمع الأعضاء من كلّ الدول الأوروبية بحسب نسبة السكان، ويتكون من ٧٣٦ عضوًا يمثلون من يحق له الاقتراع في أوروبا، هذه الحالة تجعل الوحدة والاتحاد أمرًا حقيقيًا بخلاف الاتحاد في بلداننا الذي ليس إلا أمنية وسرابًا.

ضعف الوعي الاجتماعي

هناك نضج في الوعي الحياتي في تلك المجتمعات يدفعهم إلى التعاون والعمل الجمعي، على الصعيدين السياسي والأهلي، ونحن دائمًا نتكلم عن الحكام بأنهم لا يتعاونون، ولكن ماذا عنا نحن كشعوب؟ لماذا لا نتعاون فيما بيننا؟ فهل علماء الدين يتعاونون فيما بينهم وكذلك المثقفون والمفكرون؟ المشرفون على المؤسسات الدينية المساجد الحسينيات ووو ليس هناك نضج ليحقق هذا التعاون والاتحاد على المستوى الشعبي، وفي الغالب يسيطر علينا سوء الظن والقلق وعدم الثقة وغيرها من الأمراض التي تمنعنا من التعاون، فإذا كان هذا هو حال الأمة فكيف نطمع في الحكام أن يحققوا ما ليس فينا؟ كما قيل: «كيف ما كنتم يولى عليكم».

الخطبة الأولى

العمل الصالح ثروة الآخرة

ورد عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال: «الناس في الدنيا بالمال وفي الآخرة بالأعمال».

يهتم الناس بتوفير مقومات حياتهم في الدنيا، فيما يغفل أكثرهم عن الاهتمام بأمر حياتهم الأبدية في الآخرة. وفي حين يعتمد أغلب الناس على عنصر المال، الذي يلعب دورًا حيويًا في تسهيل أمورهم، يبقى أمر الآخرة شيئًا آخر مختلفًا تمامًا، إذ إن مكانة المرء ووجاهته هناك بمقدار ما يملك من رصيدٍ كافٍ من أعمال الخير والصلاح.

إن الانتقال من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة أمر حتمي في رحلة قسرية، تستحق الاستعداد لها جيدًا. والسؤال هنا؛ كيف سيبني المرء مكانته ووجاهته حين ينتقل إلى الدار الآخرة؟ وكيف يسير أمور حياته ويعالج مشاكله هناك؟ هل بنفس العملة المالية التي يتداولها في هذه الحياة الدنيا؟

الجواب؛ كلّا. فالإنسان إنما يحتاج في ذلك العالم إلى عملة أخرى من نوع مختلف، اختصرها الإمام الهادي عليه السلام في كلمة واحدة حين قال: (الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال)[1]. إذ مما لا شك فيه أن مكانة الإنسان في الآخرة، وهي الحياة الخالدة، تتطلب نوعًا من العملات يسير به حياته ويعالج بها مشاكله، لكن ذلك لن يكون عبر الثروة المالية التي امتلكها وألفها في هذه الحياة الدنيا، فهذه لن تجدي، بل لا وجود لها من حيث الأصل، وإنما العملة المتداولة هناك هي (الأعمال).

(١) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص ٣٦٩.

الرصيد في الآخرة

إن رصيد كل إمرئٍ في عالم الآخرة هي مجموع أعمال الخير والصلاح التي قام بها في الدنيا. فبمقدار ما يكون للإنسان رصيد من أعمال الخير والصلاح تكون مكانته ووجاهته في الآخرة، وتسير أمور حياته وتحلّ مشاكله هناك. لذا على الإنسان أن يفكر في هذا الأمر بجدٍّ، أي أن يدّخر له رصيدًا كافيًا يعينه في تلك الحياة.

إن النصوص الدينية توجّه المؤمنين إلى أنهم كما يحتاجون إلى توفير السكن في حياتهم الدنيا عبر شراء الأرض ثم البناء وكل ذلك بالمال، كذلك الأمر تمامًا بالنسبة للآخرة، فالإنسان سيكون في أمسّ الحاجة حينئذٍ لكلّ عمل من أعمال الخير، حتى يجوز به أهوال القيامة، التي ليس أقلها الجواز على الصراط الذي تضطرم على ضفتيه نار جهنم، وسط مخاطر التعثر والسقوط، وفي السير على الصراط هناك من يجتاز كالبرق، تمامًا كمثل الذي يركب طائرة في هذه الدنيا، وآخر يركض، وثالث يمشي، وغيره بالكاد يزحف، وكل ذلك يعتمد على ما يملك الإنسان من الأعمال.

من سبل النجاة

تزخر النصوص الدينية بذكر الكثير من الأعمال الصالحة التي تشكّل رصيدًا وسبيلًا لنجاة المرء في حياته الأبدية يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

يروي أبو حمزة الثمالي عن الإمام الباقر ﷺ: «أربع من كن فيه بنى الله له بيتًا في الجنة؛ من آوى اليتيم ورحم الضعيف وأشفق على والديه ورفق بمملوكه»[١]. هذه هي العملة التي تمكن الإنسان من الحصول على بيت في الجنة، فالمرء الذي يريد بيتًا في الدنيا ويكدح من أجل ذلك، وخاصة إذا كان يعيش في بلد كبلدنا فإن امتلاك منزل يبقى قضية صعبة، ويحتاج إلى جهد مضاعف، مقارنة بالكثير من بلاد العالم، فأسعار

(١) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٣٣٨.

الأراضي بلغت حدًّا خياليًا غير متصور، لذلك تجد أكثر المواطنين لا يمتلكون سكنًا في مختلف مناطق البلاد، وحسب بعض التقارير فإن ٧٠ ٪ من مواطني المملكة لا يمتلكون سكنًا.

إذًا أنت تدرك صعوبة الحصول على بيت في الدنيا، فلا تدفع نفسك لمواجهة تلك الصعوبة في الآخرة، فبإمكانك من الآن أن ترتب أمورك هناك. إن إيواء اليتيم والرحمة بالضعيف والإشفاق على الوالدين والرفق بالمستخدمين تُعدّ جميعها عملة صالحة، تمكن المرء من الحصول على بيت في الجنة.

وعلى غرار ذلك يحتاج الإنسان كذلك إلى الطعام الذي يشتريه بالمال، لكن في الآخرة لن يتسنى لأحدٍ الحصول على الطعام سوى بالعمل الصالح. فقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام القول: «من أطعم مؤمنًا من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمنًا من ظمأٍ سقاه الله من الرحيق المختوم ومن كسا مؤمنًا كساه الله من الثياب الخضر»[١]. ويندرج هذا الأمر على جميع البشر، بل جميع الخلائق، فكما ورد أنه سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الضالة ترد الحوض، هل له أجر إن أشبعها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «في كلّ كبدٍ حر أجر»[٢]، وخاصة في مثل مناطقنا شديدة الحرارة في أيام الصيف، فإنك ترى بعض العمال الأجانب يلهثون من شدة العطش، فأجدر بنا أن نبادر إلى سقيهم، وأذكر أني تحدثت لربِّ عمل بأن يسقي العمال الذين يشتغلون عنده الماء، فرد بالقول: البقالات موجودة ولهم أن يشتروا منها. مثل هذا الشخص يضيع على نفسه الخير الكثير الذي سيكون أحوج ما يكون إليه يوم القيامة. وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «أول ما يبدء به في الآخرة صدقة الماء»[٣]، فهذا أول شيء يوزع ثوابه.

هناك روايات كثيرة حول ترتيب أوضاع الإنسان المعيشية في الآخرة، ومنها ما

---

(١) بحار الأنوار. ج٧١، ص٣٨٤، حديث٩٨.
(٢) المستدرك على الصحيحين. ج ٣، ص ٦١٩.
(٣) الكافي. ج ٤، ص ٥٧.

ورد عن النبي ﷺ أن: «أرض القيامة نار ما خلا ظلّ المؤمن فإن صدقته تظله»[١].

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من زوّج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها وتشدّ عضده ويستريح إليها زوّجه الله من الحور العين»[٢]. فعلى غرار حاجة المرء للزواج في الحياة الدنيا، يحتاج الأمر ذاته في الحياة الآخرة، غير أن الفرق أن زواج الدنيا يحتاج إلى المال، سيما في هذا العصر الباهظ التكاليف، بيد أن الأمر مختلف في الآخرة، فالزواج هناك ليس بالمال وإنما بالأعمال، كما بإمكان المرء أيضًا أن يختار هناك من بين الحور العين كما ورد عنه ﷺ «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله تبارك وتعالى على رؤس الخلائق حتى يخيره من أيّ الحور شاء»[٣].

وهكذا تتعدد الرويات والنصوص التي ترشدنا إلى الطريق الذي نسلكه لتهيئة أوضاعنا في الحياة الآخرة. من هنا، لنجعل هذه الكلمة هديتنا من ذكرى وفاة الإمام الهادي عليه السلام: «الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال».

قبس من حياة الإمام الهادي عليه السلام

ونحن نعيش ذكرى وفاة إمامنا الهادي عليه السلام، لا بُدّ وأن نطلّ إطلالة سريعة على سيرته ونقتبس شيئًا من توجيهاته.

ولد الإمام عليه السلام سنة ٢١٢هـ وفقد أباه الإمام الجواد سنة ٢٢٠ وعمره ثمان سنوات، وحينما ارتحل للرفيق الأعلى سنة ٢٥٤هـ كان عمره الشريف ٤٢ سنة. وعاصر الإمام عددًا من الخلفاء العباسيين كالمعتصم والواثق والمتوكل والمعتز، هؤلاء الخلفاء الذين عانت الأمة بشكل عام من سياساتهم الظالمة، وعانى أهل البيت عليهم السلام بشكل خاص من قمعهم وقسوتهم، وأشدّهم المتوكل العباسي، الذي استمرت سلطته ١٥

(١) الكافي. ج ٤، ص ٣.
(٢) وسائل الشيعة. ج ١٧، ص ٢١٠.
(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج ٣، ص ٤٤٠.

عامًا. وكان هذا الخليفة شديدًا على أهل البيت وشيعتهم، وهو الذي أمر بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام والدور المحيطة به، ومنع الناس من زيارته.

وفي واحدة من أقسى المحطات التي مرت بحياة الإمام عليه السلام، أمر المتوكل بجلب الإمام الهادي عليه السلام من المدينة إلى سامراء حيث كان يقيم، وكان ذلك بعد سنتين من تولي المتوكل الحكم الذي صادف سنة ٢٣٢هـ. ولقد كانت تلك الخطوة محطة مؤلمة في حياة الإمام، فقد أجبر على مفارقة حرم جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، والانفصال عن الأجواء التي يتواصل فيها مع جمهوره وتلامذته. ولا يخفى أن الهدف من ذلك الإجراء هو عزل الامام عليه السلام عن الناس وإبقاؤه تحت رقابة السلطة.

وهذا ما جرى بالفعل، فقد بقي عليه السلام تحت الإقامة الجبرية برفقه ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فلا أحد يتواصل معهما إلا تحت رقابة السلطة، وبالرغم من بقائه رهن الإقامة الجبرية، إلا أنه كان يؤخذ إلى السجن بين الفينة والأخرى. وقد حدث صقر بن أبي دلف الذي استطاع أن يصل إلى الإمام في سجنه بحيلة عبر علاقته مع أحد مشرفي السجن، فدخل عليه يومًا فوجده في غرفة على حصير وبإزائه قبر محفور قد أمر المتوكل بحفره لإرهاب الإمام، فالتفت إليه الإمام بحنان ولطف وقال: يا صقر، ما أتى بك؟ قال صقر: جئت لأتعرف على خبرك، وأجهش صقر بالبكاء. فقال: يا صقر، لا عليك، لن يصلوا إلينا بسوء. فهدأ روعه، وحمد الله على ذلك، وسأل الإمام عن بعض المسائل فأجابه عنها وانصرف.

وضمن أشكال التعسف التي واجهها الإمام عليه السلام ما عانى منه من تسلق جنود الخليفة وبأمر شخصي منه لدار الإمام ليلًا، والشروع في تفتيشه، واقتياده للخليفة وهو على الوضعية التي يكون عليها، وقد اقتيد الإمام ذات ليلة إلى المتوكل وكان الأخير في مجلس شرب وسكر، وإذا به يعرض الكأس، بكل صفاقة، على الإمام، فقال الإمام عليه السلام

«ما خامر لحمي ودمي قطّ فاعفني»[1].

هكذا عانى الامام الهادي في ظلّ السلطات الجائرة إلى عهد المعتمد العباسي الذي دسّ له السم وتوفي على أثر ذلك كما تشير إحدى الروايات.

هذا الإمام عليه السلام ومع كل هذه الظروف الصعبة ظلّ يسعى باستمرار وبمختلف السبل للقيام بدوره في تربية العلماء والكوادر الرسالية، وبث التعاليم والمعارف من أجل أن تستفيد منها جماهير الأمة.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للأعمال الصالحة وأن يجعل حياتنا في الآخرة هانئة بجوار نبينا وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) الوافي بالوفيات. ج ٢٢، ص ٤٩.

الخطبة الثانية

الأمة مصدر السيادة والشرعية

روى محمد بن الحنفية قال: «كنت مع أبي على أمير المؤمنين ﵇ حين قتل عثمان فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: أن هذا الرجل قد قتل ولا بدّ للناس من إمام ولا نجد اليوم أحدًا أحق بهذا الأمر منك لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله ﷺ، فقال ﵇: لا تفعلوا فاني أكون وزيرًا خيرًا من أكون أميرًا. فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفيًا ولا تكون إلا عن رضي المسلمين»[1].

الأمة هي مصدر الشرعية والسيادة، ولا يستقيم الحكم والسلطة إلا برضا عامة الناس. إن من الطبيعي أن تكون مسالة الحكم والسلطة مسألة حساسة في المجتمعات الإنسانية، فهي الأمر الأكثر تأثيرًا على كل مسارات حياة الناس، لذلك فصلاح السلطة فيه صلاح كل الأمور، وفسادها ينعكس على مختلف شؤون الحياة، علاوة على أن موقع السلطة عادة ما يثير نزعة التطلع اليه، وبالتالي يكون محل خلاف. إن المجتمع الذي يعالج مسألة السلطة معالجة صحيحة سينعكس ذلك بطبيعة الحال على استقراره الاجتماعي والسياسي، أما إذا لم تعالج مسألة السلطة على نحو سليم، فهذا يعني أن حياة ذلك المجتمع تبقى رهن المشاكل والأزمات.

---

(١) تاريخ الطبري. ج٣، ص٤٥٠.

الحكم برضا الناس

إن أهم عامل في مسألة السلطة والحكم هو أن تنبثق من رضا الناس. وذلك ما يعني أن تكون الأمة هي مصدر الشرعية والسيادة، وعليه لا سبيل للوصول إلى موقع الحكم إلا عن هذا الطريق، فهذا النهج هو الذي يجعل السلطة تسير في الطريق الصحيح. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام نصوص كثيرة تؤكد أن مسالة الحكم والسلطة ينبغي أن تتم برضا واختيار عامة الناس. فقد روى محمد بن الحنفية «كنت مع أبي حين قتل عثمان فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بُدّ للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحدًا أحق بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: لا تفعلوا، فإني أكون وزيرًا خير من أن أكون أميرًا، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفيًا ولا تكون إلا عن رضا المسلمين».

ومن كتاب له عليه السلام لأهل الكوفة قال: «وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين»[١]، وفي أول خطبة له عليه السلام بعد البيعة قال: «إني قد كنت كارهًا لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وأنه ليس لي أمر دونكم، إلا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهمًا دونكم»[٢].

كما أن ثمة نصوصًا كثيرة في هذا الاتجاه تشير إلى أن السلطة والحكم يجب أن تنبثق من رضا الناس. وينقل إخواننا أهل السنة في هذا السياق روايات عن الخلفاء والصحابة، فعن الخليفة عمر قال: «من تأمر منكم على غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه»[٣]، وروى ابن أبي شيبة عن عمر أنه قال: «لا خلافة إلا عن مشورة»[٤]،

(١) نهج البلاغة. من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة، كتاب ١.
(٢) الكامل في التاريخ. ج ٣، ص ١٩٣.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد. ج ٣، ص ٣٤٤.
(٤) المصنف. ج ٨، ص ٥٧٠.

وروي عن أبي بكر في خطبته الثانية بعد توليه الخلافة «وهذا أمركم إليكم تولوا من أحببتم»[١].

وأوردت مصادر مختلفة عن الخليفة عمر بن الخطاب حول تقويمه لبيعة أبي بكر، ما يشير إلى أن الطريقة التي تمت بها البيعة لا ينبغي أن تكون منهجًا، وإنما ينبغي أن يكون اختيار الحاكم طبقًا لاختيار ومشورة المسلمين، حيث قال: «إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها»[٢]، وفي رواية أخرى «بلغني أن قائلًا منكم يقول لو قد مات أمير المؤمنين لبايعت فلانا فلا يغرن امرءًا منكم أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، فقد كانت كذلك، غير أن الله وقى شرها»[٣]. وورد عنه أيضًا «فمن عاد لمثلها فاقتلوه»[٤].

ومعنى مفردة (فلتة) أي فجأة، وفسر ذلك بأن القضية جرت على نحو مفاجئ، ولم يكن معلوما تبعات ونتائج ما حصل حيث كان من المحتمل أن تقع فتنة ولكن الله وقى المسلمين ذلك. وخلاصة الأمر وفق هذا المنهج أنه لا ينبغي أن تكون السلطة إلا برضا الناس، فهذا ما تشير اليه مختلف النصوص الدينية الأولى، وسيرة الخلفاء في العهد الإسلامي الأول، فالأمة هي مصدر الشرعية والسيادة، والحكم والسلطة لا يكون إلا برضا الأمة.

تاريخ الانحراف السياسي

لقد تسلّطت على الأمة بعد الخلافة الراشدة حكومات جاءت بالقوة والغلبة والوراثة، فأحدثت في الأمة انحرافًا كبيرًا ما تزال آثاره قائمة إلى اليوم. فقد استهل بنو أمية مسيرة الانحراف السياسي عن منهج العهد الراشدي بالملك العضوض،

(١) الثقات لابن حبان. ج ٢، ص ١٦٠.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام. ج٤، ص١٠٧٣.
(٣) تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٤٦.
(٤) تاريخ اليعقوبي. ج ٢، ص ١٥٨.

واستمرت هذه الحالة في حياة المسلمين مع مجيء بني العباس وغيرهم، فأوصلت الأمة إلى ما تعاني منه الآن، من تخلف وحالة مزرية بسبب النهج السياسي الخطأ، نهج الاستبداد والتغييب لارادة الأمة..

وظل الاستبداد القائم حريصًا على توفير الغطاء الشرعي والفكري كأحد دعائم السلطة. فقد سادت الآراء التي تبرر الاستبداد تحت حجج مختلفة، منها تحصيل الشرعية عن طريق بيعة من عرفوا بأهل الحلّ والعقد، وهم الزعامات البارزة في المجتمع، فيكفي وفق هذا المنطق أن يتفق مجموعة على شرعية شخص معيّن وينتخبوه حاكمًا، وقد اختلفوا في عدد أفراد هذه المجموعة، كما نجد ذلك في الأحكام السلطانية للماوردي، أو الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء الحنبلي، فقال بعضهم أقلّه خمسة أشخاص يختارون شخصًا للحكم، ومنهم من قال: أقله ثلاثة، ومنهم من قال واحد فقط يكفي![١].

ثم أعقب ذلك ظهور نظرية ولاية المتغلب، فاعتبروا ولايته شرعية لو وصل إلى الحكم بالسيف والقوة، فإن حكمه يصبح شرعيًا وفق هذه النظرية الغريبة. ويروي أبو يعلى الفراء في الأحكام السلطانية عن الإمام أحمد، أنه روى عنه ما يدلّ على أن الخلافة تثبت بالغلبة والقهر ولا تفتقر إلى العقد، وقال في رواية عن عبدوس بن مالك العطار: ومن غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحلّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا برًا كان أو فاجرًا[٢]. فهذه المسيرة بدأت بانحراف سياسي عملي، ثم واكبها تنظير ورأي فقهي وفكري، سيّر الأمة في هذا النهج، الذي ينطوي على تغييب تام لسيادة الأمة.

(١) ظافر القاسمي. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (الحياة الدستورية)، ج٢، الطبعة الثانية ١٩٧٧، (دار النفائس)، ص٢٣٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٤٥.

هل نأمل بعصر جديد؟

إن ما يجري هذه الأيام من انتخابات في بعض بلداننا العربية والإسلامية أمر يدعو إلى التفاؤل. فإن يختار الناس حاكمهم ينطوي على عودة للنهج السليم، وكلنا تابع مجريات الانتخابات الرئاسية في مصر التي عاشت في ظل حكم مبارك أكثر من ثلاثين عامًا، حيث تولى الرئيس المخلوع حسني مبارك بعد اغتيال السادات ١٩٨١، واستمر إلى أن عزلته الثورة وخلعه الشعب. وكانت تجري انتخابات شكلية لا ينافس مبارك فيها أحد، ومن يجرؤ على طرح نفسه منافسًا كما فعل أيمن نور، فإن الأمر ينتهي به إلى السجن. غير أن هذه الصفحة السوداء من حياة الشعب المصري طويت وعاد التفاؤل يرتسم على محيا الشعب المصري والشعوب العربية إجمالًا.

لا شك بأن سيادة الأمة هي الطريق نحو استقرار المجتمعات. فحينما تكون السيادة للناس، وهم الذين يختارون، فهذا هو الذي يضع المجتمعات على طريق الاستقرار، من هنا يبقى الأمل في أن تكون تجربة انتقال السلطة في مصر ناجحة، وألّا يشوبها التلاعب، سيما في ظل القلق الكبير من التدخلات الدولية والإقليمية، فإذا نجح الشعب المصري وقدم أنموذجًا جيدًا، فهذا يعني أن تكون الشعوب العربية أمام بداية عهد جديد، سمته المشاركة السياسية والتعددية الحزبية، وهذا ما تعقد عليه الآمال في بزوغ حياة سياسية أكثر حرية وانفتاحًا، فإذا صارت الأمة هي مصدر السيادة والشرعية، فأيّ حاكم سوف يحسب لها حينئذٍ حسابًا، والدستور كفيل بتعديل الوضع لو أخطأت الأمة الاختيار، وهو ما يعني أن تسير العجلة السياسية بالشكل السليم في ظلّ استقرار يتمتع به الجميع.

المبادرة إلى الإقلاع عن الخطأ

الخطبة الأولى

ورد عن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام أنه قال: «تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حيرة والاعتلال على الله هلك، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون»[1].

إن من نعم الله على الإنسان حين يقع في معصية ما، أن تنتابه صحوة الضمير وإدراك الخطأ، وذلك مدعاة للمبادرة إلى التراجع والتوبة، والتوبة إنما تعني الشعور بالندم داخل النفس، ليقرر بعدها المرء الإقلاع عن الذنب ومعالجة آثاره، هذه هي التوبة الحقيقية. بيد أن الشيطان، وهو العدو المبين للإنسان، قد يفوّت على المرء هذه الفرصة عبر وسائل وأساليب مضللة، أبرزها الدفع باتجاه التأخير والتسويف للتوبة، وصولًا إلى التراجع عنها في نهاية المطاف، وإنما تمحورت مهمة الأنبياء والأئمة في التنبيه ولفت الأنظار إلى مثل هذه المزالق، حتى لا ينخدع الناس بإغراءات الشيطان وأضاليله، من هنا جاءت كلمة الإمام الجواد عليه السلام: «تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾».

إن على المرء أن يبادر فورًا إلى الإقلاع عن الخطأ والتوبة عن الذنب والمعصية. فقد يدرك أحدهم أنه أخطأ ويضمر في نفسه الإقدام على التوبة والإصلاح، لكنه

(١) بحار الأنوار. ج٦، ص٣٠.

يؤجل ذلك تحت تأثير نوازع الشيطان الذي يزين له تسويف التوبة. ثمة من يرتكب خطأ ما فيعترف بخطئه، غير أن الاعتراف بالخطأ شيء والتراجع والإقلاع عنه شيء آخر، ولذلك تجد البعض يتحجج بأن الإقلاع عن الأخطاء يحتاج إلى وقت، وهنا يكمن دور الشيطان. الذي يسوّف للإنسان ويجعله متباطئًا عن إنجاز مهمة التوبة عن الذنب والخطأ.

مخاطر تأخير التوبة

إن لتأخير التوبة وتسويف الاقلاع عن الذنوب مخاطر كبيرة، نذكر منها:

أولًا: إن تأخير التوبة مدعاة لأن يخسر الإنسان لطف الله تعالى في محو المعصية والعفو عن الذنب عاجلًا. فكثير من النصوص الدينية تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى إنما يمحو الذنب عن عباده إذا ما سارعوا إلى التوبة، حتى كأنهم لا ذنب لهم. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن العبد إذا أذنب ذنبًا أجّل من غدوة إلى الليل، فإن استغفر الله لم يكتب عليه»[١]. وكأن في ذلك بمقتضى قول الإمام عليه السلام فرصة للإنسان للمراجعة والتوبة قبل أن تكتب عليه معاصيه، وعنه عليه السلام: «العبد المذنب إذا أذنب ذنبًا أجّله الله سبع ساعات فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيء، وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتب عليه سيئة»[٢]. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام فيما روي عنه: «إن قارفت سيئة فعجل محوها بالتوبة»[٣].

ثانيًا: ينطوي تأجيل التوبة على مخاطر منها ضعف إرادة المرء واهتزاز عزيمته على التوبة. ويعود ذلك إلى أن الإنسان كلما استمر في القبول بالذنب، فإنه

(١) الكافي. ج٢، ص ٤٣٧، حديث١.
(٢) المصدر نفسه، حديث٣.
(٣) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٤، ص ٣٢٨.

سرعان ما يتكيف معه ويتطبع به، من هنا تأتي أهمية اقتناص لحظات الهداية لاتخاذ قرار التوبة توقيًا من إمكانية التراجع عن هذه الخطوة فيما بعد. ولعل أقرب مثال يذكر في هذا السياق ما نجده من تقلبات في اتخاذ القرار لدى الأطراف المتنازعة في قضايا إصلاح ذات البين، إذ تجد بعض الأشخاص يوافقون على تسوية الخلاف مع أقربائهم بعد طول حديث معهم، وتجدهم يعدون بإصلاح الأمر في الغد، إلا أنهم سرعان ما يتراجعون عما عزموا عليه في اليوم التالي وكأن شيئًا لم يكن.

هنا يأتي دور الشيطان الذي يعمل بجدّ في هذه اللحظات، ولذلك على الإنسان ألّا يؤجل التوبة والإقلاع عن الذنب فور تنبهه إلى الخطأ والذنب. ومن هنا نفهم قول الله تعالى حين يتحدث عن المسارعة في التوبة ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. ومضمون التعبير القرآني ﴿يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ أي لا يتأخرون في التوبة. وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام القول: «لا دين لمسوف بتوبته»[1]، وفي ذلك إشارة خطيرة من الإمام عليه السلام بأن من يسوّف التوبة سيكون عرضة لفقدان الحالة الدينية في نفسه.

ثالثًا: عدم ضمان المرء لحياته. فإلى متى سوف يؤجّل المرء التوبة؟ ومتى سيقلع عن الذنب؟ أتراه يضمن حياته؟ أفلا يخشى هجوم الأجل عليه وهو بعد لم ينجز التوبة؟ ورد عن علي عليه السلام: «مسوّف نفسه بالتوبة من هجوم الأجل على أعظم خطر»[2].

الحذر من التسويف

من هنا كان على الإنسان أن يبادر للإقلاع عن أي ذنب ومعصية. سيان في ذلك على مستوى العلاقة مع الله أو بالناس، وكثيرًا ما تجد أناسًا لا يؤدون الحقوق الشرعية،

---

(١) عيون الحكم والمواعظ. ص٥٣٨.

(٢) مستدرك الوسائل. ج ١٢، ص ١٣٠.

ومع أنهم يدركون أن ذلك حق عليهم، لكنهم يسوفون في الأمر، والسؤال هنا؛ إلى متى التسويف؟ وهل تضمن استمرار حياتك وقوة إرادتك؟ فلطالما رأينا أشخاصًا تحدثوا عن قناعة بالحقوق الشرعية فيبادرون بعد حين بأدائها، غير أن آخرين غيرهم لم يؤدوا الحق الشرعي تحت ضغط التأجيل والتسويف، ولم يمهلهم الأجل طويلًا. وعلى غرار ذلك أشخاص آخرون انخرطوا في مشاكل مع أزواجهم وجيرانهم وأحدهم يعلم بخطئه، لكن مع ذلك يسوّف في إصلاح أمره، فهل يضمن مثل هذا حياته؟

إن على الإنسان أن يبادر إلى التوبة بمجرد أن يتنبه إلى الخطأ والمعصية. وهذا ما يوجه إليه الإمام الجواد بقوله عليه السلام: (تأخير التوبة اغترار ـ أي حالة من الغرور يعيشها الإنسان الذي يعتقد بطول الأمل والعمر ـ وطول التسويف حيرة ـ أي يجعل الإنسان حائرًا بين الصح والخطأ من حيث السلوك، والاعتلال على الله هلكة ـ أي يتحجج بالعثور على فرصة مناسبة، في وقت آخر، هذه كلها أعذار ﴿بَلِ الْإِنسان عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المبادرين إلى التوبة وأن يتقبل منا توبتنا ويوفقنا لكل خير وصلاح.

الخطبة الثانية

الاستنفار لمواجهة خطر المخدرات

ورد عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام انه قال: «قد تأتي عليه (أي على الإنسان) حالات في قوته وشبابه يهم بالخطيئة فتشجعه روح القوة وتزيين له روح الشهوة وتقوده روح البدن حتى توقعه في الخطيئة».

تقف مجتمعاتنا أمام تحدٍّ كبير إزاء التعاطي مع شريحة الشباب، وما يواجهها من مخاطر فرضتها ظروف الحياة الحديثة. وحين تتحدث النصوص الدينية عن بعض معالم مرحلة الشباب فإنها تريد أن توجهنا إلى ضرورة فهم هذه المرحلة وحسن التعامل معها.

فالإنسان في مرحلة شبابه يعيش عنفوانًا في عواطفه وأحاسيسه، ويعيش شعورًا بالقوة في شهواته، واندفاعًا في غرائزه، وهذا ما يجعله معرّضًا لمختلف الأخطاء، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصفه لهذه المرحلة العمرية قوله عليه السلام: «وقد تأتي عليه حالات في قوته وشبابه، يهم بالخطيئة، فتشجعه روح القوة، وتزين له روح الشهوة، وتقوده روح البدن، حتى توقعه في الخطيئة»[1].

---

(١) تحف العقول. ص١٩٠.

تحدّيات مرحلة الشباب

إن على المجتمع أن يعي جيدًا تحديات مرحلة الشباب، فالمجتمع الذي يحسن التعامل مع هذه الفئة، ويقدر ظروفها، ويساعدها على تجاوز التحديات التي تعيشها في هذه المرحلة، فإنه يحمي أمنه واستقراره. وإذا لم يحسن المجتمع التعامل مع شريحة الشباب، فإن ذلك مدعاة لانفلات الأمن الاجتماعي. وما يحصل في المجتمعات من مظاهر سلبية صادرة عن بعض المجاميع الشبابية يؤكد هذه الحقيقة.

إن التعامل السليم مع شريحة الشباب يخدم مستقبل المجتمع على نحو مباشر. فمستقبل المجتمع هو بيد فئة الشباب تحديدًا، من هنا فالمسألة ليست أن نتقي الأضرار والمشاكل فقط، بل أن نصنع المستقبل الأفضل لمجتمعنا عبر هؤلاء الشباب. لقد بات تحدّي هذه المرحلة العمرية في عصرنا الراهن تحدّيًا كبيرًا؛ نظرًا لسيادة الروح المادية في عالم اليوم، ما دفع لنشوء قوى استثمارية تتاجر بكل شيء بما في ذلك عواطف الشباب وغرائزهم. لقد أصبح عالم اليوم أسير قوى كبيرة، وجهات متمكنة، عملها وشغلها المتاجرة بعواطف الشباب ومشاعرهم، وإثارة غرائزهم وشهواتهم، والتفنن في تقديم المتع الوهمية التي تفتك بقواهم، وهذا ما يجعلنا أمام تحدٍّ كبير. لاشك أن استهداف فئة الشباب يُعدّ استهدافًا مباشرًا لمستقبل الشعوب والمجتمعات، ذلك أن إفساد وإضعاف القيم في المجتمعات يجعل مستقبلها هشًا.

فراغ العطلة الصيفية

إن مجتمعنا يواجه تحدّيًا حقيقيًا في التعامل مع الشريحة الشبابية خاصة خلال فترة العطل الصيفية. فهؤلاء الشباب ذكورًا وإناثًا سيعيشون الشهور المقبلة عطلة صيفية، يعانون فيها من فراغ كبير، كانت الدراسة تسدّه طيلة العام الدراسي، وفي دراسة ميدانية لأحد مراكز الأبحاث والدراسات حول الوضع في المملكة أشارت نتائجه إلى أن ٤٣,٢٪ من الذكور و ٣٦,٩٪ من الإناث لديهم وقت فراغ يتراوح ما بين ٤ إلى ٦

ساعات في اليوم، أما الذين لديهم من ٧ إلى ١٢ ساعة في اليوم فقد بلغت نسبتهم ٢,٢٤٪ من الذكور و ٣,١٥٪ من الإناث، وجاء في الدراسة كذلك أن ١,٢٨٪ من الإناث و ١٨٪ من الذكور لديهم وقت فراغ يتراوح ما بين ٢ إلى ٣ ساعات في اليوم. والتحدي الجوهري هنا؛ هو كيفية ملء وقت الفراغ هذا؟ إن أحد أخطر السبل لملء الفراغ أثناء العطل الصيفية لدى الشباب هو الانسياق نحو مسارات منحرفة، وهذا ما تشير إليه التقارير والأرقام التي تكشف عن انضمام مزيد من الشباب إلى حضيرة المجرمين وأصحاب المخدرات مع نهاية كل عطلة صيفية، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى الفراغ، وعدم احتواء هذه الشريحة والتعامل السليم معها.

المخدرات وباء فتّاك

إن من أخطر ما يواجهه شبابنا اليوم هو المخدرات، فبلادنا ومجتمعاتنا مستهدفة بهذا الوباء الفتاك. فليس من الخافي أن تعاطي المخدرات يفتك بالإنسان في جانبه المعنوي والمادي، ويتسبب له بأضرار فادحة بدنيًا ونفسيًا واجتماعيًا.

وقد سبق لوزارة الداخلية أن أعلنت عن القبض في الشهور الماضية على ٦٨١ شخصًا، بينهم ٩٦ سعوديًا، متهمين بالتورط في قضايا تتعلق بتهريب مخدرات، بلغت قيمتها مليارًا و٧٢٤ مليون ريال سعودي، وقد واجه رجال الأمن مقاومة مسلحة في أكثر من ٤٣ عملية تهريب مخدرات، أصيب خلالها ٢٠ منهم بجروح أثناء التصدي لعصابات التهريب المتمكنة جيدًا، التي تعمل بنشاط لنشر هذا الداء الفتاك في مجتمعنا.

ووفقا لإحصاءات أمنية منشورة بلغت كمية المخدرات المضبوطة خلال الفترة الماضية، أكثر من ستة كيلو غرامات من الهيروين الخام، وما يزيد على عشرة أطنان ونصف الطن من الحشيش، ونحو كيلو ونصف الكيلو غرام من الكوكايين، إضافة إلى ٢,١٣ مليون حبة مخدرة. جميع هذه السموم إنما يراد لها أن تبث في جسم مجتمعنا، وتتغلغل في أوصال أبنائنا وبناتنا.

ووردت في هذا الصدد إحصاءات مذهلة أشارت إلى أن نسبة ٤٢٪ من نزلاء السجون السعودية هم من المتورطين في قضايا المخدرات، ولا يقتصر ذلك على الذكور فقط، فهناك أكثر من ٢٢٠ فتاة ألقي القبض عليهن بسبب المخدرات. إن من الواضح أن هناك استهدافًا مباشرًا لفئة الشباب، عبر عصابات تعمل من أجل نشر المخدرات بين الشباب، بدءًا من الأولاد في عمر الخامسة عشر، بل دون ذلك.

إن على العائلات أن تولي أبناءها مزيدًا من الاهتمام خلال العطلة الصيفية. فلا ينبغي ان ينشغل الآباء عن أبنائهم، بل المطلوب أن تكون هناك برامج ولقاءات وجلسات، ونشاط ترويحي متزايد، للحفاظ على بقاء الأبناء في جو العائلة.

كما أن على المجتمع أن يدعم البرامج الصيفية، فكل مسجد وكل جمعية وكل لجنة ومؤسسة مدنية ينبغي أن يكون لهم برامج صيفية شبابية متميزة، وفي مختلف المجالات، في الدين والفن والتراث والثقافة والحقوق. ينبغي أن تستثمر العطلة الصيفية في استقطاب الشباب، واحتواء هذه الشريحة، وإفادتها وتنمية طاقتها وقدراتها، حتى تكون هذه الفئة ضمانة لمستقبل أفضل للمجتمع، عوضًا عن أن تكون عنصر تهديد لأمن المجتمع واستقراره.

الخطبة الأولى

لا تتنازل عن عقلك للآخرين

ورد أن الأمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أوصى الفضل بن يونس قائلًا: «ابلغ خيرًا وقل خيرًا ولا تكن إمعة، قلت وما الإمعة؟ قال: لا تقل أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا أيها الناس، إنما هما نجدان، نجد خير ونجد شر، فلا يكون نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»[1].

إن التمسك بالخطاب الحسن، والكلام الطيب، في التعاطي مع الآخرين هو أحد الوصايا القيمة للإمام السابع من أئمة أهل البيت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام التي تستحق التذكير بها في ذكرى وفاته.

ونحن نستقبل ذكرى شهادة الإمام الكاظم عليه السلام من المناسب أن نتناول جانبًا من سيرته العطرة، وأن نقتبس شيئًا من توجيهاته الهادية، فهذا الإمام العظيم ولد نهاية الحكم الأموي سنة ١٢٨هـ، ونشأ في ظل مدرسة أبيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، تلك المدرسة العظيمة التي تحدث عنها التاريخ، عاش في ظل أبيه عقدين من الزمن، فقد كان عمره عند وفاة أبيه عشرين سنة، وعندئذٍ تولى مقاليد الإمامة، كان عليه السلام مثلًا أعلى في العبادة. ومما ورد في سيرته في هذا المجال قول هشام بن أحمر: كنت أسير مع أبي الحسن الكاظم عليه السلام في بعض طرق المدينة، إذ ثنى رجله عن دابته وخرّ ساجدًا فأطال

(١) تحف العقول. ص٣٠٤.

وأطال، ثم رفع رأسه وركب دابته، فقلت: جعلت فداك، قد أطلت السجود! فقال ﴿ع﴾: قد ذكرت نعمة قد أنعم الله بها عليَّ فأحببت أن أشكر الله. وكان ﴿ع﴾ جوادًا سخيًا، على الفقراء والمحتاجين، يوصل إليهم صرارًا من الدراهم والدنانير كان يضرب بها المثل، حتى قيل، عجبًا ممن جاءته صرار موسى وهو يشتكي القلة والفقر.

كاظم الغيظ

واشتهر الإمام الكاظم ﴿ع﴾ بسعة الصدر لكثرة تحمله الأذى، فتحولت تلك الصفة التي اشتهر بها إلى لقب فسمي بالكاظم. يقول ابن الأثير: «وكان يلقب الكاظم؛ لأنه كان يحسن إلى من يسيء إليه، كان هذا عادته أبدًا»[١].

هذا الإمام العظيم ابتلي في حياته باعتداءات مؤلمة من قبل الطغاة، فقد اعتقل أكثر من مرة، حتى أصبح يطلق عليه صفة أخرى وهي حليف السجون. حيث اعتقل أول مرة في عهد المهدي العباسي، ثم اعتقل في عهد هارون الرشيد، وسيره إلى سجن في البصرة، وكان سجنًا مغلقًا، لا يفتح بابه إلا في حالتين، خروجه إلى الطهور أو إدخال الطعام إليه. وبعد مدة أطلق سراحه وأبقي تحت الإقامة الجبرية، حتى أعيد اعتقاله بعد ذلك للمرة الثالثة، ثم أطلق سراحة ليعتقل بعدها رابعة.

لقد كان الإمام الكاظم ﴿ع﴾ سجين رأي خلال الحقبة الأطول من حياته. وكان ذلك نتيجة خوف السلطة من تأثيره على الناس، وقد بلغ هارون الرشيد حينما سجن الإمام ﴿ع﴾ عند الفضل بن يحيى، أن الأخير يرفه شيئًا ما على الإمام في السجن، فنقله الرشيد إلى سجن السندي بن شاهك، الذي ضيق عليه بأمر من الرشيد، وقيده بأرطال من الحديد بلغت بحسب بعض الروايات ٣٠ رطلًا، حتى دسّ اليه السم أخيرًا، فلم يخرج ﴿ع﴾ من السجن إلا جثة يحملها أربعة من الحمالين.

---

(١) الكامل في التاريخ. ج٦، ص١٦٤.

من وصايا الإمام وتوجيهاته

وبالعودة إلى وصايا هذا الإمام العظيم الذي استشهد في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ١٨٣هـ وقيل سنة ١٨٦، نقتبس من هديه وصية واحدة وجهها إلى أحد أصحابه. فقد أوصى عليه السلام الفضل بن يونس، بقوله: (أبلغ خيرًا)، أي حينما يريد المرء أن يبلغ أحدًا كلامًا فليبلغه ما فيه نفع وفائدة، وليس ما يتضمنه سوءًا، ويكمل الإمام عليه السلام في وصيته قائلًا: (وقل خيرًا)، أي فلتقل للناس كلامًا طيبًا. فما أحوجنا إلى هذا التوجيه الرائع، وخاصة في عصرنا الراهن مع وجود هذا التطور التقني الهائل في تبادل المعلومات، حيث صار من المعتاد أن تجد الواحد منا ينقل كلامًا قبل أن يتثبت من صدقيته، ودون أن يتأكد من أن محتوى الرسالة نافع وجيد، فتراه يعيد نشر الرسالة التي وصلته من آخرين، وقد تحمل في طياتها سوء أو كلامًا غير أكيد.

إن على المرء أن يكون واعيًا في التعاطي مع هذا النوع من الرسائل، فلا ينبغي أن يحمل نفسه مسؤولية نقل الكلام غير الصحيح، سواء منه كان ما يرتبط بأمور الدين أو بالحديث عن أحد من الناس، فلا ينبغي أن يكون الإنسان أداة طيعة لنقل الكلام الباطل، ووسيلة لإيذاء وتضليل للآخرين.

ويكمل الإمام وصيته بالقول: (ولا تكن إمعة) ثم يوضح عليه السلام معنى ذلك بالقول: لا تقل أنا مع الناس، وأنا واحد من الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنما هما نجدان ـ أي طريقان ـ نجد خير ونجد شر.

لا يليق ولا ينبغي لأحد أن يسلك طريق الشر والخطأ لمجرد أن الناس سلكوه. إن على المرء أن يكون حريصًا على سلوك طريق الخير. إن الله وهب الإنسان عقلًا وإرادة، وجعله مسؤولًا عن أفكاره ومواقفه، ولن يجديه يوم القيامة أمام الله أن يقول ويبرر أفعاله بأن الناس كانوا يعملون ذات الشيء، فأين عقلك؟. إن من صميم مسؤوليتك المباشرة ألّا تعتنق فكرة إلا وأنت متأكد من صحتها، ولا تمارس عملًا إلا

وأنت مدرك لصوابيته، ولا تتخذ موقفًا إلا وأنت مطمئن لسلامته.

التزام العقل

لا ينبغي أن يتنازل المرء عن عقله من أجل عقول الآخرين. حتى الوالدان وهما الأقرب للإنسان، وهو مأمور ببرهما وطاعتهما ولكن ليس على حساب عقله، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[سورة لقمان، الآية: ١٥]، كما ينسحب ذات الأمر على الأصدقاء، وهذا تحديدًا ما يعانيه كثير من الشباب، فهم يتأثرون بأفكار بعضهم بعضًا، حتى يتماهي الواحد منهم إلى حدٍّ بعيد مع أجواء الثلة والأصدقاء بخيرهم وشرهم، وذلك بالتأكيد غير صحيح حين يكون على حساب العقل والمبادئ.

يذكرنا القرآن الكريم بأن من يجاري ثلته وأصدقاءه في تصرفاتهم من دون التأكد من صحة الموقف، فإنه سيندم يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾[سورة الفرقان، الآيات: ٢٧-٢٩]، إن من غير الصحيح أن يتنازل الإنسان عن عقله خضوعًا للاتجاه السائد بين الناس، حتى تجد أحدهم يعتنق فكرة أو اتجاهًا أو يتخذ موقفًا لا لشيء إلا لأن الناس باتوا يمارسونه!. ينبغي للمرء أن يتخذ سبيله في هذه الحياة بناءً على ما يراه ويتأكد هو نفسه من صوابيته، لا لمجرد أن الناس باتوا يتداولونه، فالعادات والتقاليد والممارسات العامة ليست حجة مطلقة، إن على المرء أن يحكم عقله في مدى صوابية أو خطأ هذا السلوك، أو ذاك الموقف، أو ذلك الكلام المتداول تجاه أحد من الناس، ولا يأخذ به لمجرد أن الناس باتوا يتحدثون ضده ويقعون فيه، وصدق الشاعر حين قال:

رب مشهور ولا أصل له ... وله أصل ولم يشتهر

لا تأخذ المواقف من زيد وعمرو لمجرد مجاراة كلام الناس. ولا ينبغي أن تتبنى فكرة لا لشيء إلا لأنها باتت سائدة عند الناس، ولا تمارس عملا فقط لأن الناس باتوا يمارسونه، إن قاعدة «حشر مع الناس عيد»، قاعدة خطأ جملةً وتفصيلًا، فهي سبيل لتوريط الإنسان وإيقاعه في المهالك، وهو بمفرده من سيدفع الثمن في نهاية المطاف، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[سورة الأنعام، الآية: ١١٦]، فالكثرة وسيادة رأي معين ليست دائمًا دليلًا كافيًا على الصحة والسلامة.

إن الإمام الكاظم عليه السلام يوصينا بأن نمارس الاستقلالية، وأن نعمل عقولنا في تمحيص الآراء، وقبول الأعمال والممارسات والأعراف، والحكم على الأشخاص.

هل تضيع فرصة التغيير في العالم العربي ؟

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة لأهل العراق: «يا أهل العراق فإنما أنتم كالمرأة الحامل حملت فلما أتمت أملصت ومات قيمها وطال تأيمها وورثها أبعدها»[1].

حسن الاستفادة من الفرص يحتاج إلى وعي، وإرادة، وتوفيق، سواء على المستوى الفردي والاجتماعي. فربما تتاح للإنسان الفرصة على المستوى الفردي للتقدم تبعًا لكفاءاته وطاقاته، لكن الفرصة تبقى عرضة للضياع ما لم يمتلك الوعي والإرادة، وإذا لم يحالفه التوفيق. وقد تتعدد أسباب ضياع الفرص، فقد تكون نتيجة للاستسلام لبعض نوازع الهوى والشهوة، أو الإصابة بالعجب والغرور، أو الركون إلى الدعة والراحة.

إن آيات الذكر الحكيم تنطوي على تحذير لافت في هذا الشأن، يبين إلى أي مدى قد يتهاوى المرء بعد بلوغه شأوًا عظيمًا في أي مجال من المجالات، يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، وهذه الآية الكريمة تتناول بلعم بن باعوراء كما تشير الروايات، فقد كان هذا الرجل قريبًا من نبي الله موسى عليه السلام، واكتسب كثيرًا من المعارف الدينية، وكان مستجاب الدعاء كما اشتهر عنه، غير أن الآية الكريمة كقوله: ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ٧١.

فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾، لقد كان الرجل مرشحًا لمزيد من الرفعة والعلو، لولا أن هناك مشكلة واحدة طرأت عليه، مفادها بحسب الآية ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، إن مكمن مشكلة بن باعوراء كانت استحواذ الشهوة عليه في لحظة من اللحظات، حتى خسر دنياه وآخرته.

فرص تضيع لشهوة عابرة

إن الاستسلام للشهوات الرخيصة مفتاح لضياع الفرص في أي زمان ومكان. فقد ينسحب ذلك على شاب في مقتبل العمر يبتعث للدراسة في الخارج، وهو معقد آمال عائلته ومحبيه، غير أنه يفقد فرصة عمره نتيجة حادثة تحرش بفتاة، فإذا به يجبر على العودة إلى بلاده مطرودًا خجلًا من نفسه وأسرته ومجتمعه، لا لشيء سوى أنها كانت لحظة انسياق خلف هوى مجنون، أفقدته الفرصة التي كانت متاحة له.

وقريبًا ما حصل للمدير السابق لصندوق النقد الدولي، الفرنسي راوس كان، الذي كان يتأهب للمنافسة في انتخابات الرئاسة الفرنسية، فإذا به يقع في المحذور يوم انتهاء عمله كمدير لصندوق النقد الدولي في أمريكا، فحين دخلت عليه عاملة الفندق ذات الأصول الأفريقية أثناء تأهبه للسفر، قادته شهوته إلى الوقوع في علاقة جنسية معها، فأقامت عليه دعوى اغتصاب، أنزل على إثرها من الطائرة، ووقف أمام المحكمة، فيما ظل يحاجج هو بأن ما جرى كان بالتراضي، لكنه أدخل السجن، وافتضح أمره، وخسر منصبه وخسر فرصة الترشح للرئاسة في بلاده. وقد أصدر أخيرًا كتابًا حول تجربته تلك، يقول فيه: إن اللقاء الجنسي بينه وبين تلك الخادمة لم يتجاوز ست دقائق، ويؤكد أن ما حدث كان بالتراضي، لكنه كان غباءً لأن ذلك لم يكلفه منصبه كرئيس لصندوق النقد الدولي فحسب، بل قضت على آماله في الترشح لرئاسة الجمهورية الفرنسية.

لذلك لا بُدّ للإنسان أن يكون يقظًا ولا يضيع نفسه وحياته ومستقبله، أمام شهوة من الشهوات، أو إغراء من الإغراءات، وخاصة إذا كان من أصحاب الكفاءة والمكانة

المرموقة، فلعلّ هناك من يتربص به، فإذا أعطاهم الفرصة أوقعوه في الشراك.

افتقاد النضج مجتمعيًا وخسارة الفرص

وينسحب ذات الأمر على المستوى الاجتماعي، فقد تتاح الفرصة لمجتمع أو لشعب من الشعوب، للنهوض وإنقاذ مستقبله، غير أن غياب النضج والوعي، وترك المجال للقوى الانتهازية، واختراقات الأعداء، يجعل الفرصة تضيع من بين يديه. فإذا حدث مثل ذلك فإن مثل هذا المجتمع لن يعود للحالة التي كان فيها، وإنما قد ينقلب إلى ما هو أسوء مما كان فيه. ولقد تحدث الإمام علي عليه السلام عن هذه القضية، فقد كانت الأمة تعاني في أواخر عهد الخليفة عثمان خلال الحقبة التي يطلق عليها في التاريخ عهد الفتنة الكبرى، حيث اضطربت أمور الأمة، إلى أن جاءها قائد عظيم قلّ نظيره هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى قال هو نفسه: «لِلَّهِ أَنْتُمْ أَ تَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ وَ يُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟!»[1].

لقد كانت الفرصة ماثلة أمام الأمة، فقد كان عليه السلام يسير فيهم طبق سياسة العدل والمساواة، وكان يمكن أن تنهض الأمة خلال ولايته عليه السلام، لكن الخلافات كانت تنخر جماعته من الداخل، وأبرز هؤلاء طلحة والزبير، فطلحة كان أول من بايع الإمام عليه السلام وقد كان مناوئًا شديدًا للخليفة عثمان، فيما كان الزبير ابن عمة أمير المؤمنين، وكان شجاعًا من أوائل المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان من خاصة أمير المؤمنين، وقد امتنع عن مبايعة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقوفًا إلى جانب أمير المؤمنين، وروي أنه من القلة الذين حضروا تشييع الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام. لكن طلحة والزبير رفعا فيما بعد راية الحرب ضد أمير المؤمنين عليه السلام.

وكذلك الأمر مع الخوارج الذين كانوا من جماعة الإمام علي عليه السلام ويدعون بأصحاب الجباه السود لكثرة سجودهم، لكن حينما دارت الحرب مع معاوية في صفين، وأوشك

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٨٢.

النصر أن يتحقق، وأمر عمرو بن العاص جيش معاوية برفع المصاحف، وقع الخوراج في تلك الخدعة، فضغطوا لإيقاف المعركة، واضطر الإمام لإيقاف الحرب، فتعجب مالك الأشتر وخاطب الإمام: كيف ذاك ولم يبق إلا لحظات ونحقق النصر على جيش معاوية؟ ليقول له الإمام إذا لم توقف الحرب فسوف يقتلونني، فتوقفت الحرب لتندلع بعدها الخلافات، وتتلوها حروب أخرى كالنهروان، ولتضيع وتتلاشى الفرصة التي كانت عند الأمة. لذلك يقول لهم الإمام عليه السلام: أما بعد يا أهل العراق فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمت أملصت ومات قيمها وطال تأيمها، وورثها أبعدها. أي أنكم كالمرأة الحامل التي حملت فلما أتمت شهرها التاسع أسقطت حملها، ومات زوجها، فأصبحت ثكلى وليس لها قريب فورثها البعداء. وهذا ما حصل لأهل العراق بعد رحيل أمير المؤمنين عليه السلام وفي هذا درس يجب أن تستفيد منه الشعوب.

الربيع العربي هل تضيع الفرص؟

إن الأمة العربية الإسلامية تقف في عصرنا الراهن الحديث أمام فرص تبدو مهددة بالضياع نتيجة غياب النضج السياسي. إذ مما لا شك فيه يُعدّ بروز المقاومة لإسرائيل، هذه المقاومة الصامدة الشجاعة التي حققت النصر على العدو في لبنان وفلسطين، أعطت فرصة للأمة الإسلامية أن تلتف حولها، وتحقق مزيدًا من الانتصارات على هذا الكيان المحتل المزروع في قلب الأمة، ولكن عوضًا عن ذلك باتت تحاك المؤامرات على هذه المقاومة، فتحاصر غزة وتفتعل الخصومات في لبنان، فإذا بهذه الفرصة تضعف أو تكاد تتلاشى، مع أن هذه المقاومة هي التي رفعت شيئًا من العنجهية الإسرائيلية. ستبقى المقاومة إن شاء الله صامدة، ولكن لو كان هناك دعم وتأييد أو ـ على الأقل ـ لو لم تكن هناك خيانة وتآمر، لكانت في وضع أفضل.

وعلى غرار ذلك، لا يريد لنا الأعداء استثمار ثورات الربيع العربي، لتقودنا إلى حكم ديمقراطي وتداول سلمي للسلطة، فيصبح نموذجًا لباقي البلدان والشعوب.

لقد انتفضت الشعوب العربية في أكثر من بقعة لكن الأعداء لا يريدون لنا أن نمتلك قرارنا، ولا يريدون لشعوبنا أن تحقق سيادتها، وبالتالي يعمل الأعداء ويستثمرون نقاط الضعف في داخل شعوبنا ومجتمعاتنا.

وإذا كان هناك من عتب فلا يجب أن يوجه للعدو، وإنما نحن الذين ينبغي أن نلام، فالعدو له أطماع ومكاسب يريد تحقيقها، لكن لماذا نحن نترك له فرصة، لماذا نترك الفرصة للقوى المضادة لثورات وتطلعات الشعوب تسرح وتمرح وتحقق أغراضها، من هنا يأتي شعورنا المتعاظم بالقلق بشأن ما يدور في مصر، ونسأل الله أن يرد كيد الأعداء، وأن يوفق الشعب المصري للخروج من هذه المعركة الخطيرة منتصرًا، فالقوى المضادة للشعوب تضافرت واستفادت من نقاط الضعف الموجودة داخل الساحة بين الثائرين والمهتمين بالتغيير من جهة، والقوى الانتهازية وفلول النظام السابق من جهة أخرى، ولعل الخشية تكمن في عدم عودة الأوضاع في مصر كما كانت في السابق إذا استطاعت الثورة المضادة أن تسيطر على الأمور، بل أخشى ما نخشاه أن تنقلب الأوضاع إلى ما هو أسوأ وأفظع مما سبق، لكن أملنا بالله كبير.

نأمل أن يتجاوز المصريون هذه المحنة، ويتغلبوا على المحاولات والخطط التي تريد الانقلاب على الثورة، ونسأل الله سبحانه أن يمنحنا الوعي والإرادة والثبات، حتى تستطيع شعوبنا مواجهة مخططات الأعداء، وحماقات الأصدقاء.

محاصرة المعصية

الخطبة الأولى

روى عن الإمام على بن موسي الرضا عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له»[1].

وضعت الشريعة وسائل عديدة لتحصين المجال الاجتماعي، ومنها التشديد على ضبط السلوك الفردي، لتقييد ومحاصرة المخالفات والمعاصي من الإفشاء والانتشار. فالمعصية جرم عظيم يجترئ من خلالها العبد على ربه وخالقه. فقد تغلب الإنسان شهوته وجهله، وتضعف إرادته، فيتجرأ على معصية خالقه جلّ وعلا، ذلك الخالق المنعم الذي له حق الشكر والطاعة على عبده. وهو سبحانه إنما توجه بالأوامر والنواهي رحمة بعبده المحتاج إلى لطفه ورحمته، لكن هذا العبد يجنح نحو التمنع وعدم الامتثال لهذه الأوامر والنواهي التي وضعت لمصلحته. إن المعصية جرم عظيم لا ينبغي للإنسان أن يقع فيه، لذلك وجب أن تحاط المعاصي بهالة من التهيب والحذر في نفس الفرد، والمجال الاجتماعي العام على حدٍّ سواء. ولعل أحد الأساليب التي وضعتها الشريعة لإيجاد هذه الهالة هو محاصرة المعصية.

العباد ليسو معصومين من ارتكاب الأخطاء، لكنهم مطالبون في المقابل بالتزام الستر والحدّ من إفشاء مخالفاتهم ومعاصيهم على الملأ. فإذا حصلت المعصية فينبغي أن تحاصر ضمن نطاقها الأضيق، وذلك بالحرص على ألّا ينتشر خبرها؛ لأن

(١) الكافي. ج ٢، ص ٤٢٨.

من تداعيات الإفشاء بالمخالفات والمعاصي، أن تخفّ وطأتها على النفوس، الأمر الذي يجعلها أمرًا اعتياديًا مألوفًا. إن الله تعالى يريد أن تبقى المعصية محاطة بهالة من الحذر والتهيب في الوسط الاجتماعي العام، فلا تكون مبتذلة وكأنها أمر طبيعي يمكن أن يطال أي أحد.

التستر على المعصية

من هنا نستطيع أن نفهم كيف جاءتنا النصوص والتعاليم الدينية مشددة على ضرورة أن يتكتم المرء على معاصيه التي يقع فيها، وألّا يجهر بها، فالإجهار بالمعصية ذنب آخر يضاف إلى جانب المعصية. فقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇: «مجاهرة الله سبحانه بالمعاصي تعجل النقم»[١]، وورد عنه ﵇: «إياك والمجاهرة بالفجور فإنها من أشد المآثم»[٢]، إنه من الإثم الكبير أن يقع الإنسان في المعصية ثم يجاهر بما فعل، فالمرء مأمور بالتستر على مخالفاته ومعاصيه، ذلك أن إفشاء المعصية يقود إلى تطبع النفوس بها، فلا يتردد أحد بعد ذلك عن اقترافها جهرة. ولعل الأسوأ من ذلك، هو الانقياد نحو التبجح بفعل المعاصي، حتى إنك تجد بعض الناس يفاخرون بمعاصيهم، كما لو أنهم حققوا عملًا بطوليًا يستحق الثناء!، وهذا جرم أكبر من المعصية ذاتها. يقول أمير المؤمنين ﵇: «التبجح بالمعاصي أقبح من ركوبها»[٣]، وعنه ﵇ في رواية أخرى: «لا وزر أعظم من التبجح بالفجور»[٤].

إن على المرء أن ينأى بنفسه تمامًا عن الحديث عن معاصيه التي سبق وأن تورط فيها. وقد روي في هذا السياق عن الإمام الرضا ﵇ عن جده المصطفى ﷺ: «المذيع

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٨٧، حكمة ٣١.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٩٦، حكمة ٨٤.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٢١، حكمة ٣٠٦.
(٤) عيون الحكم والمواعظ، ص٥٤٠.

بالسيئة مخذول والمتستر بها مغفور له»[١]، فذلك الذي أخطأ ووقع في المعصية فإن الله قد يغفر له، ولا يعني ذلك مبررًا لأن يستسلم المرء للمعاصي باستمرار، فيقترف الذنوب في الخفاء ويتستر عليها، بل ينبغي أن يحذر المرء الوقوع في المعصية في السر والعلن، لكن لو حصل ووقع في المعصية فهو مطالب بالتستر والنأي عن إفشائها على أي نحوٍ من الأنحاء.

لا مبرر لكشف ذنوبك

وقد يجد بعض الناس أنفسهم تحت ضغط هائل من تأنيب الضمير بعد ارتكاب المعصية، فيندفعون لإفشاء أسرارهم بغية التنفيس، إلا أن ذلك غير صحيح. فأوامر الشارع في هذا الشأن صريحة، نحو القطع بعدم الحديث عن المعاصي والأخطاء الشخصية أمام أي أحد كان، وتحت أي مبرر. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين»[٢]، ويقول ﷺ: «وإن من الإجهارِ أن يعملَ العبدُ بالليلِ عملًا، ثم يصبحُ قد ستره ربُّه، فيقولُ: يا فلانُ قد عمِلتُ البارحةَ كذا وكذا. وقد بات يسترُه ربُّه. فيبيتُ يسترُه ربُّه، ويُصْبِحُ يكشفُ سترَ اللهِ عنه»[٣]. وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «اجتنبوا هذه القاذورة ـ المعاصي ـ التي نهى الله عنها فمن ألم فليستتر بستر الله»[٤]. لذلك يظل ستر المعاصي مطلبًا أساسيًا فلا مبرر لإفشائها مهما كانت الأسباب.

وأبعد من ذلك، ذهبت الشريعة إلى النأي عن إفشاء المعاصي حتى لغرض التطهر عبر إقامة الحدود. فقد يتساءل البعض عن حقوق الله التي انتهكها خصوصًا تلك التي وردت فيها الحدود والتعزيرات، فهل ينبغي على مثل هؤلاء أن يتقدموا للحاكم الشرعي

---

(١) الكافي. ج ٢، ص٤٢٨.

(٢) كنز العمال، ج٤، ص٢٣٩، حديث ١٠٣٣٧.

(٣) صحيح مسلم. ص١٥٩٥، حديث٢٩٩٠.

(٤) المستدرك على الصحيحين. ج ٤، ص٢٤٤.

ليقيم عليهم الحد؟ يأتي الجواب القطعي هنا؛ لا يطلب الشارع من الإنسان فعل ذلك، بل الوارد هو النهي عن الإقدام على مثل هذا السلوك، فقد أتى النبي ﷺ رجل فقال: إني زنيت [فطهرني] فصرف النبي ﷺ وجهه عنه، فأتاه من جانبه الآخر ثم قال مثل ما قال، فصرف وجهه عنه، ثم جاء الثالثة فقال له: يا رسول الله، إني زنيت وعذاب الدنيا أهون لي من عذاب الآخرة. فقال رسول الله ﷺ: أبصاحبكم بأس يعني جنة؟ فقالوا: لا، فأقر على نفسه الرابعة فأمر به رسول الله ﷺ أن يرجم[1]. وقد أراد رسول الله ﷺ بذلك أن يلتمس له العذر وأن يمنحه فرصة لأن يستر على نفسه، ولكنه أبى إلا أن يقرّ على نفسه أربع مرات فكان لا بُدّ من إقامة الحدّ عليه.

وورد في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أن رجلًا أتاه في الكوفة، فقال يا أمير المؤمنين إني زنيت فطهرني، فقال له عليه السلام: اذهب حتى نسأل عنك، ثم عاد مرة أخرى وسأل نفس الشيء، وقال له الإمام مثل القول الأول، إلى أن أقر أربع مرات فقال لقنبر: احتفظ به، ثم غضب، وقال: ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي بعض هذه الفواحش فيفضح نفسه على رؤوس الملأ، أفلا تاب في بيته، فوالله لتوبته فيما بينه وبين الله أفضل من إقامتي عليه الحد[2].

هكذا يريد الله من الإنسان أن يستر على نفسه، فلا تكون المعصية مبتذلة على المستوى الشخص أو الاجتماعي، لذلك لم يرد في الشريعة ما يجري في الكنيسة المسيحية مثلًا، بأن يأتي المذنب للكاهن ويعترف بين يديه بذنوبه حتى يطلب له المغفرة، فليس مطلوبًا من المسلم أن يأتي للمرجع أو عالم الدين ويقر له بذنوبه، إن استفتاء العالم وطلب النصيحة والمشورة أمر مطلوب، لكن حتى لو اضطر السائل إلى ذلك فليكن على طريقة القول؛ ماذا لو أن شخصًا ارتكب كذا، لا أن يقول أنا قمت بكذا واقترفت كذا.

---

(١) الكافي. ج ٧، ص ١٨٥.

(٢) وسائل الشيعة. ج ٢٨، ص٣٦.

كما لا ينبغي أن يفشي المرء مخالفاته حتى أمام الخلّص من أصدقائه. لأن ذلك سيخفف من وقع المعصية في نفوسهم، علاوة على ما سيترك في نفوسهم من انطباعات غير مرغوبة تجاهه.

وينسحب ذات الأمر على الأزواج أيضًا، فقد ينجر بعض المخطوبين أو المتزوجين حديثًا سواء الزوج أو الزوجة، نحو الحديث عن ماضيهم الخاص فيسرد أحدهما للآخر، بحسن نية، كيف فعل كذا أو قام بكذا!، وهذا خطأ فادح، إذ ليس مطلوبًا من البنت ولا الشاب أن ينجرّا إلى تقديم مثل هذه الاعترافات، علاوة على غياب أي مبرر شرعي لحديث من هذا القبيل، بل على النقيض من ذلك، المطلوب من الإنسان أن يستر على نفسه كما ستر الله عليه. فالله يريد من الناس أن يتعاملوا مع بعضهم بعضًا حسب ظواهرهم، لذلك لم يأذن بالتجسس ولا البحث عن أحوال الناس الخاصة ونشر معايبهم، كما لا يسمح للإنسان نفسه أن يتحدث عن عيوبه. وقد رأينا آثار ذلك في بعض المشاكل، حيث تلجأ بعض الفتيات لإخبار خطّابهن بما فعلن في الماضي، وكيف تبن عن ذلك لاحقًا، لكن بعض الشباب قد لا يتحملون ذلك، حتى لو كان هو نفسه قد وقع في ذنوب مثلها أو أشدّ منها، فلا يعود يرتاح لهذه الحالة ما قد يجر إلى انفصام عرى الحياة الزوجية.

هكذا شددت الشريعة على محاصرة المعصية بالتكتم والتعتيم عليها.

التجديد في قراءة سيرة أهل البيت عليهم السلام

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَـٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة هود، الآية: ١٢٠]

لقد استغرقت سيرة الأنبياء مساحة واسعة في القرآن الكريم. حيث تحدث القرآن مفصلًا عن عدد من الأنبياء والرسل، وما واجهوه من أقوامهم، وما قدموه من تضحيات من أجل إعلاء كلمة الله. هذه القصص التي تحدث عنها الذكر الحكيم لم تأتِ للتسلية ولا للترفيه، وإنما جاءت لتحقق أغراضًا عليا.

يقول تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه الآية الكريمة تأتي لتلخص هدف ذكر قصص وسير الأنبياء في القرآن، إذ إن في ذلك تعزيزًا لقيم الخير ومواقف الصمود في نفس رسول الله ﷺ، وفي نفوس الأجيال المقبلة، ولا شك أن تلك الآيات التي تتحدث عن المواقف والآلام التي تحملها الأنبياء، وعن النتائج العظيمة التي حققوها انتصارًا للقيم والمبادئ، فإن ذلك يعزز قيم الخير في النفوس. وهنا يأتي المقصود بتثبيت الفؤاد الوارد في الآية الكريمة. حيث يواجه الإنسان اختلافات وتشكيكات في مختلف شؤون الحياة، إلا أنه سرعان ما يصبح قلبه أكثر اطمئنانًا حين يقرأ سير الأنبياء والأولياء والمصلحين، فيدرك عندها أن التشابكات المختلفة إنما هي الحالة الطبيعية

التي يمكن اعتبارها من مستلزمات الدعوة إلى الله.

كما تكشف هذه القصص كذلك عن الحقائق والمفاهيم الصحيحة للدين والحياة، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾، فهي تعطيك الحقائق الصادقة.

كما تقوم قصص الأنبياء من ناحية ثالثة بصناعة المشاعر الإيجابية في النفس، فالإنسان لا يتحرك بالعلم فقط بل بالمشاعر أيضًا، إن قصص الأنبياء تخلق مشاعر إيجابية في نفس الإنسان، فإذا ما قرأ المرء سيرة النبي أو الإمام فإنه يرى انبعاثة في نفسه تدفعه باتجاه محاكاة هذه المواقف العظيمة، والاهتمام بمثل هذه المبادئ، والموعظة هي المشاعر السليمة.

كما تخلد هذه القصص التي ذكرها القرآن، من ناحية رابعة، رموز الرسالة على مرّ الأجيال، لذلك يقول تعالى: ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي حتى تتذكر الأجيال القادمة هؤلاء الأبطال والرموز.

لماذا الاهتمام بسيرة الأئمة؟

واستلهامًا من هذه الآية الكريمة يأتي الاهتمام بسيرة رسول الله ﷺ وسيرة الأئمة من أهل بيته، وكافة أولياء الله ﷺ. فالاحتفاء بسيرة أهل البيت هو استلهام من هذا النهج القرآني، وتحقيق لتلك الأهداف التي ذكرها القرآن الكريم، باعتبارها غاية من ذكر سير الأنبياء وقصصهم.

من هنا تأتي أهمية الاحتفاء بذكريات أهل البيت ﷺ، وفي هذا الشهر المبارك شهر شعبان الذي حفه الله تعالى منه بالمغفرة والرضوان، يحتضن هذا الشهر ذكريات لأهل البيت، هذه الذكريات إنما تحيا من أجل تحقيق هذه الأهداف، ولا ينبغي الاهتمام بالطقوس المصاحبة لهذه المناسبات فقط، ولا من خلال إبراز الحالة العاطفية فحسب، وإنما ينبغي أن نصل إلى العمق والجوهر الذي يذكره القرآن الكريم

في الآية المباركة، ذلك من أجل أن تتعزز قيم الخير في نفوسنا، من خلال سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، بغرض الاطّلاع على تراثهم وتعاليمهم.

لكننا يجب أن نعترف في ذات الوقت بأن هناك تقصيرًا كبيرًا على هذا الصعيد، إذ إن هناك اهتمامًا لافتًا ينصبّ في غالبه نحو المظاهر، أما من حيث المضمون والجوهر فهناك نوع من التقصير في الحديث عن سير هؤلاء الأئمة الطاهرين، والدفع نحو الاقتداء والتأسي بهم، وفي هذا المجال نلحظ نقصًا كبيرًا في الساحة، بشأن توفر المعرفة بسيرة أهل البيت، وإن بدأت الآن ولله الحمد بعض الجهود لإظهار سيرة أهل البيت عليهم السلام، ولكن إلى ما قبل ستين عامًا كان هناك فراغ كبير في الساحة، إذ لم يكن بين أيدينا، إلا الكتب القديمة التي تتحدث عن سيرة أهل البيت بلغة مؤلفيها وزمانهم، بينما نعيش في عصرنا الراهن زمنًا جديدًا مختلفًا، يحتاج إلى لغة جديدة وأسلوب جديد، كنا بحاجة ماسة إلى صياغة ذلك التراث بلغة عصرية، علاوة على ضرورة تنقيح ذلك التراث، فقد داخل هذا التراث شيء من الشوائب استوجب معها التنقيح.

الشيخ القرشي ومهمة التجديد

لقد قيّض الله سبحانه وتعالى لمهمة تقديم قراءة متجددة للسيرة النبوية وسيرة آل البيت عددًا من المحققين. وجاء في طليعة هؤلاء العلامة الشيخ باقر شريف القرشي المتوفى بتاريخ ٢٦ رجب ١٤٣٣ عن عمر ناهز ٨٦ عامًا، وقد ولد الشيخ الراحل ونشأ وتلقى علومه الدينية في النجف الأشرف، في أجواء الحوزة العلمية، وكان علماء الحوزة حينها منشغلين بالفقه والأصول غالبًا، فتفرغ هو لكتابة سيرة أهل البيت بأسلوب جديد، ولغة عصرية، ومنهجية جديدة، لقد ألّف العلامة القرشي كتاب حياة الإمام الحسن عليه السلام في مجلدين سنة ١٣٧٣هـ أي قبل نحو ستين سنة، وكذلك كتاب حياة الإمام الحسين عليه السلام في ثلاثة مجلدات، كما كتب في السيرة النبوية، وسير باقي الأئمة بما مجموعه ٤٠ مجلدًا. وكسر هذا العالم جمود الاهتمام بالفقه والأصول

الذي كان سائدًا في الحوزة حينها، بالرغم من أنه قطع شوطًا كبيرًا في دراسته العلمية، حتى تجاوز مرحلة المقدمات والسطوح وحضر بحوث الخارج، وكتب تقريرات بحوث الخارج لعدد من الفقهاء، لكنه اختار الاهتمام بسيرة وتاريخ أهل البيت على نحو الخصوص.

لقد دفع الشيخ القرشي ثمنًا حين اختار أن يشق طريقه المختلف عن السائد في الحوزة آنذاك. فبالرغم مما يحظى به من احترام هذا اليوم، إلا أنه واجه في ذلك الزمن قدرًا هائلًا من التثبيط، حتى نقل بعض الثقات أن الشيخ القرشي تعرض في بداية توجهه نحو التأليف إلى قطع راتبه الذي يناله على غرار باقي طلبة العلوم الدينية في النجف الأشرف، وذلك بحجة عدم استحقاقه لذلك الراتب لكونه منشغلًا في التأليف وليس في الدراسة الحوزوية.

وبتقديمه قراءة متجددة لسيرة أهل البيت عليهم السلام، فقد لبى الشيخ القرشي حاجة ماسة، وسدّ فراغًا كبيرًا طالما تاق إليه أبناء جيلنا المعاصر. لقد حبا الله هذا الرجل قدرة أدبية جيدة وقلمًا رشيقًا، فانطلق في كتابة سيرة أهل البيت بلغة راقية جديدة، بخلاف الكتب القديمة التي كانت تكتفي بتناول سيرة أهل البيت بشكل تقليدي، يبدأ بسرد سيرة الإمام فيترجم له من حيث الميلاد والوفاة مرورا بمآثره وفضائله، أما الشيخ القرشي فقد أخذ يتناول سيرة الأئمة من مختلف الجوانب، بالحديث عن البيئة المحيطة، والوضع الاجتماعي والاقتصادي والفكري والسياسي في عهد كل واحد من الأئمة، فاستطاع بذلك أن يقدم صورة متكاملة عن شخصية كل إمام وظروف عصره، وبجرأة غير معهودة تجاوز رحمه الله في كتاباته في السيرة كثيرًا من الشوائب بما فيها من غلو ومبالغة، مقدمًا تحليله المتميز للكثير من المواقف والأحداث التي أحاطت بسيرة أهل البيت عليهم السلام. ولقد ترجمت هذه المجلدات الأربعون إلى اللغة الإنجليزية واللغة الفارسية، ويجري الاهتمام بترجمتها إلى اللغة الفرنسية، وهذا جهد عظيم. لا بُدّ أن نترحم على هذا الفقيد الراحل، وأن نقدر الجهد الكبير الذي قام به، وأن نعزّز مثل هذا الدور.

الحاجة إلى مراكز بحوث ودراسات

وعطفًا على ما سبق، تبدو الحاجة اليوم ماسة إلى تجاوز الجهد الفردي، بقيام مراكز دراسات عن سيرة أهل البيت عليهم السلام. فلم تعد المسألة مسألة فردية، بأن يتوجه شخص بمفرده للتأليف، بل المسألة باتت أكبر بكثير، فلا تزال هناك كثير من المسائل التي يلفها الغموض حول سيرة أهل البيت، وما زال الاختلاف والاضطراب في النقولات التاريخية قائمًا، تحتاج معها إلى جهود كبيرة تقوم عليها مراكز الدراسات والعلماء المحققين، لعلهم يستطيعون أن يجلوا هذه الحقائق، ويكشفوا عن الغموض.

لقد قرأ الشيخ القرشي الكثير من المخطوطات ونقب في العديد من المصادر، وحين يقرأ الإنسان كتبه والمصادر التي رجع إليها، يدرك حجم الجهد الذي بذله في ذلك الوقت الذي لم يكن الحصول على المعلومة حينها أمرًا سهل المنال، كما هو الحال في عصرنا الراهن. إن هذا الجهد الكبير ينبغي أن يتواصل بقيام مراكز للدراسات والأبحاث، وأن يفتح باب التحقيق واسعًا، في كثير من القضايا التي ترسل إرسال المسلمات.

يعاني الشيعة من نقص كبير في مجال كتابة التاريخ. فاهتمامات الشيعة بكتابة التاريخ محدودة، بسبب الظروف السياسية التي عاشوها، لكن لم يعد هناك مبرر في أن يستمر هذا الضعف في الاهتمام بتاريخنا.

الخطبة الأولى

لغة التخاطب مع الأقربين

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[سورة الإسراء، الآية: ٥٣]

تمثل لغة التخاطب مع المحيط الأسري والاجتماعي قاعدة أساسية لسلامة العلاقة وقوة الرابطة. فلا شيء يسعد الإنسان ويريحه أكثر من سلامة علاقاته مع من حوله، ولا شيء يشقيه ويؤذيه أكثر من سوء علاقاته بالمحيطين به. فكلما كانت علاقات الإنسان مع محيطه علاقة طيبة، انعكس ذلك بطبيعة الحال على سعادته وراحته النفسية، أما إذا ساءت علاقاته مع محيطه الأقرب، فسيكون ذلك مصدر شقاء وعناء نفسي كبيرين.

ولو أنعمنا النظر فسنجد أن هناك عنصرًا مهمًا يحكم علاقات الإنسان مع محيطه، وهو لغة التخاطب مع من حوله، فلذلك دور أساس في تشكيل نوعية العلاقة بين المرء وبين المحيطين به، فإذا كانت لغة تخاطبه معهم سليمة فسينعكس ذلك على سلامة العلاقة معهم، أما إذا ساءت لغة التخاطب فمعنى ذلك إيجاد الأرضية لسوء العلاقة، لذلك يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، والخطاب هنا موجّه للنبي الأكرم ﷺ ليبلغه إلى الناس، كل الناس، إذ لم تخصص الآية طرفًا معينًا، بل جاء الخطاب عامًا شاملًا، فكل الناس عباد الله، معطوفًا على القول ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يفسد علاقاتهم اتكاءً على سوء لغة التخاطب.

إن لغة تخاطب المرء مع محيطه مدعاة لكسب المودة. وقد وردت في هذا الصدد عدد من الروايات والأحاديث والآيات الشريفة، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من شئ أجلب لقلب الإنسان من لسان»[١]، لذلك كان لسان الإنسان باستمرار معيارًا لرجاحة عقله وسلامة فهمه. يقول عليه السلام: «كلام الرجل ميزان عقله»[٢]، فإذا أردت أن تعرف مدى عقلانية إنسان فانظر إلى لغة تخاطبه، فكلامه السليم دليل تعقله واتزانه. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إن هذا اللسان مفتاح كل خير وشر»[٣].

واللافت أن اهتمام بعض الناس بحسن التخاطب مع البعيدين والأجانب عنه، يقابله استهانة بأسلوب خطابه مع القريبين منه، فتراه حينما يتحدث مع الأجانب يتخير الكلام المناسب، أما إذا أراد الحديث مع الأبناء والزوجة والخدم والأصدقاء، فإنه لا يعير هذا الأمر الاهتمام المناسب، وهذا خطأ كبير. إن على المرء أن ينتقي ألفاظه، ويحسن لغة التخاطب عنده، بدءًا من القريبين منه، وألّا يستهين بهذا الأمر.

لماذا التساهل في مخاطبة القريبين؟

إن كثيرًا من الناس لا يهتمون بلغة التخاطب وحسنها مع القريبين منهم، وذلك لعدة أسباب:

أولًا: الأمن من ردّات الفعل. فإذا كان المتحدث يخاطب أجنبيًا فهو يخشى من ردّات الفعل، إن هو تلفظ بكلمة بذيئة، أو لفظة خشنة بحق الآخر. فيما تجد ذات الشخص غير حريص على تخير ألفاظه وحسن مخاطبته لزوجته، وأولاده أو العاملين في خدمته؛ لأنه لا يجد نفسه عرضة لأي ردات فعل، فيما لو تلفظ بحقهم على نحو غير مناسب، فهم جميعًا تحت إمرته و سلطته.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٨٥، حكمة ٢٤٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٠٢، حكمة ٣١.

(٣) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص١٧٨.

ثانيًا: توهّم المشروعية في الإساءة للأقربين. حيث تجد أحدهم يطلق العنان للسانه في التفوه بما يليق ولا يليق بحق أولاده وأسرته، انطلاقًا من حق الولاية عليهم كما يتوهم، وهذا فهم سقيم لأمر الولاية جملةً وتفصيلًا، فلا يصح مطلقًا إساءة استخدام الأب ولايته، بحيث تكون غطاء لسوء المعاملة والسب والشتم والاعتداء، فهل يظن أمثال هؤلاء أن الله تعالى لن يحاسبهم يوم القيامة؟. إن صلاحية أولياء الأمور معنية بالقيام بشؤون من يرعونهم، دون التعدي إلى الإساءة والاعتداء والتسبب في الضرر، فالتربية والتعليم لها مقاييس ومعايير. وعطفًا على ذلك ينطبق الأمر ذاته على مسألة القيمومة على الزوجة، فمع التسليم بمبدأ القيمومة، إلا أن ذلك لا يعطي أحدًا الحق لأن يؤذي زوجه، أو يتلفظ بحقها كيفما شاء، كما ينطبق الأمر ذاته على الزوجة نفسها، فلا يحق لها التلفظ على زوجها بكلمات تنطوي على السب والشتم والاستنقاص.

ينبغي أن نضع بعين الاعتبار أن الله سبحانه وتعالى كما يحاسب المرء على كلامه الفاحش بحق الأجانب، سيحاسبه على ذلك مع القريبين. إن السلوكيات الخاطئة من قبيل السب والشتم ورفع الصوت في وجه العمال أو الخدم، كل ذلك مسجل علينا وسنحاسب عليه يوم القيامة، سيما وأن تلك الممارسة تجري باستغلال سلطتنا الذاتية من جهة وضعف الطرف الآخر من جهة أخرى، وذلك أشد وطئًا من التعدي على من يمتلك القدرة على الدفاع عن نفسه، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ظلم الضعيف أفحش الظلم»[1].

ويجري الأمر ذاته مع الأصدقاء، فلا ينبغي الفحش في القول معهم، فقد يعتقد البعض خطأً أن إطلاق الكلمات البذيئة أمر مستساغ بين الأصدقاء الخلص، والحقيقة أن مسلكًا من هذا القبيل يُعدّ خطأً كبيرًا، إذ ينبغي على الصديق أن يراعي حق صديقه،

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٣٢٣.

فكما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تضيعن حق أخيك اتكالًا على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من ضيعت حقه»[١]. ومقتضى ذلك أنه لا يصح بأيّ حال أن يجرح أحد مشاعر غيره اتكاءً على مسألة العلاقة معه، ويقول عليه السلام: «لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك وابق منها، فإن ذهاب الحشمة ذهاب الحياء، وبقاء الحشمة بقاء المودة»[٢]. وزبدة القول هنا هو أن يتجنب المرء مزالق الإساءة للآخرين أيًا كان هؤلاء، حتى لا تتحول تلك الممارسة إلى عادة يسيء من خلالها للآخرين دون أن يشعر، فهو بذلك لن يكون معذورًا بأيّ حال.

ثالثًا: جهل البعض بأثر الكلام السيئ بحق القريبين منه، سواء كان زوجة أو ولدًا أم خادمة.

النتائج الوخيمة لسوء التخاطب

إن للكلام السيئ بحق القريبين آثارًا ونتائج وخيمة، منها:

أ. **الكلام السيئ سبب للأذى لمن هم حولنا.** ويشمل الضرر بصورة خاصة من هم تحت رعايتنا ومسؤوليتنا، إن من أوجب الواجبات هو أن يدفع المرء الأذى عن أبنائه وزوجته، فكيف به يصبح مصدرًا لما يؤذيهم؟ يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد: «ربّ كلام كلام»[٣]، أي إن بعض الكلام سبب لجرح الآخرين. وحقيقة الأمر أن جرح الإنسان بالكلام البذيء أشدّ إيلامًا من الجرح بالسكين، ولا سيما جرح المقربين، يقول الامام علي عليه السلام: «ضرب اللسان أشد من ضرب السنان»[٤]، فحذارِ أن تقول لزوجتك ولمن هم حولك كلامًا نابيًا يكون سببًا لأذيتهم.

---

(١) بحار الأنوار. ج ٧١، ص١٦٥.
(٢) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص٢٥٣.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.ص٢١٥، حكمة ٧١.
(٤) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص٢٨٦.

ب. **الكلام السيئ منشأ للعقد النفسية لدى أفراد العائلة.** وعامل أساس في تكوّن عقدة الحقارة لدى الأفراد، وهو من العوامل التي تدفع كثيرين إلى التمرد، ولعلماء النفس كلام طويل في هذا الشأن. وقد صادفت ذات يوم شخصًا كانت مظاهر ضعف الشخصية بادية في تصرفاته، فقد كان يخاف من كل شيء، فقيل لي أن منشأ تلك الحالة لديه هي المعاملة المهينة والقسوة التي كان أبوه يعامله على أساسها، فلم أتعجب من ذلك. وقد كتب أحد الأشخاص على صفحته في الفيسبوك أن إحدى قريباته كانت تردد وهي على فراش الموت وحتى الساعات الأخيرة من حياتها: أنها لا قيمة لها! فأثار كلامها تعجب من حولها، إذ كيف يصف شخص نفسه بأنه لا قيمة له، حتى زال العجب عندما عرف أنها كانت تردد الكلام الذي كان يواجهها به زوجها دائمًا، فقد كان يكرر على مسامعها باستمرار و يخاطبها بالقول: أنت لا قيمة لك ولا تساوين شيئًا.

وقد استفزني قبل فترة اتصال من إحدى الزوجات، فقد كانت تشتكي وهي باكية من أن زوجها دائمًا ما يقول لها أنك لا تستحقين أن تكوني لي زوجة، لقد تزوجتك بالخطأ!، فهل هذا كلام يقال لزوجة؟ ومن تظن نفسك حتى تقول هذا؟ حتى لو كان أحدهم يعتقد مثل ذلك، فليبق هذا في نفسه لا أن يجرح به مشاعر زوجته، ويطعنها بسهامه المريرة. إن على المرء أن يتجنب الكلام البذيء؛ لأن آثاره وخيمة، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام القول: «إياك ومستهجن الكلام فإنه يوغر القلب»[1].

ج. **الكلام السيئ قابل للعدوى.** فكما يكون الآخرون عرضة للإصابة بالأمراض المعدية، فهم كذلك عرضة للتطبع بالسلوكيات الخاطئة، ومنها التلفظ بالكلمات المسيئة، عندها لن يكون المتلفظ بالإساءة بمنأى عن سهامها المرتدة من قبل بعض المقربين منه أنفسهم.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٩٦، حكمة ٨٨.

د. **الكلام السيئ سبب للإثم وغضب الله تعالى**. فلا ينبغي أن يتساهل المرء بالكلام البذيء الجارح حتى مع القريبين منه، حتى ولو كان ضمن إطار الممازحة. روى عن النبي الأكرم ﷺ قوله: «ألا هل عسى رجل منكم أن يتكلم بالكلمة يضحك بها القوم فيسقط بها أبعد من السماء؟! ألا هل عسى رجل منكم يتكلم بالكلمة يضحك بها أصحابه فيسخط الله بها عليه لا يرضى عنه حتى يدخله النار»[1].

لذلك ينبغي للإنسان أن يحسب حسابًا لكلامه وخاصة مع القريبين منه.

(١) الترغيب والترهيب. ج٣، ص ٥٣٨، حديث ٤٩.

الديمقراطية مستقبل الشعوب

ورد عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) انه قال: «وتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التّجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كُفيت مؤونة الطّلب، وعُوفيت من علاج التّجربة»[1].

إن عقل الإنسان يهديه للاستفادة من تجارب الآخرين لغرض تجنب الأخطاء والأخطار، وليوفر على نفسه الجهد والعناء، وحتى يصل إلى أهدافه على نحو أسرع. فهذا توجه عقلي فطري عند الإنسان، لذلك تجده عندما يهم بعمل جديد، حتى في الأمور الصغيرة، فإنه يسأل من مارس هذا العمل من قبله. فالطالب حينما يريد أن يسجل في الجامعة فإنه يذهب لموقع الجامعة على الإنترنت ليطلع على متطلبات التسجيل، أو يسأل من سبقه حتى لا يقع في خطأ قد يكلفه الكثير.

الاستفادة من تجارب الآخرين

ينبغي الاستفادة من تجارب الآخرين، سواء على المستوى الفردي أم على المستوى الجمعي. هذا ما يشير إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَ تَجْرِبَتَهُ فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ وَ عُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ»، ومقتضى ذلك أن ينظر المرء بجدّ إلى تجارب الآخرين، ليستفيد

(١) نهج البلاغة. كتاب ٣١.

من معطياتها فيكون قد كفي مؤونة الطلب، ويكفى علاج التجربة كما يقول الإمام ، وبمعنى آخر، أن يبدأ المرء من حيث انتهى الآخرون. ذلك لأن مختلف التجارب، وخاصة على المستوى الجمعي، لا تكاد تخلو من أخطاء، وغالبًا ما صاحبتها أثمان باهظة، فلم تصل البشرية إلى ما وصلت إليه في مختلف المجالات التي خاضتها إلا بعد أخطاء وتجارب وأثمان.

من هنا لا ينبغي أن يقع الناس في ذات الأخطاء التي وقع فيها غيرهم، فيدفعون بذلك نفس الأثمان، بل الصحيح أن يبدأ الناس من النتائج التي بلغها من سبقهم. فقد أحرزت البشرية في عصرنا الراهن تقدمًا هائلًا في مجالات الصحة والهندسة وغيرها، وذلك ثمرة لتراكم التجارب جيلًا بعد جيل، ومن مجتمع إلى مجتمع، ومعها ألفت الشعوب والمجتمعات الاستفادة من تجارب بعضها بعضًا.

داء التحجر الفكري

إن آفة بعض الناس هي الإصابة بداء التحجر الفكري. فمثل هؤلاء يؤثرون البقاء على ما ألفوه طويلًا، حتى لو تجاوزهم العالم بسنوات ضوئية. ولعل منشأ هذا التحجر لا يعدو أحد عاملين، إما الغرور أو انعدام الثقة بالذات، فقد تتلبس البعض حالة من الغرور حتى تجعل لسان حالهم المقولة الشهيرة «ليس بالإمكان أبدع مما كان»، وعليه قد يعتقد مجتمع من المجتمعات أن وضعه القائم هو أفضل ما يمكن أن يكون، ويرفض أي قدر من التغيير الذي يأتي على أوضاعه التي تعايش معها وألفها طويلًا، حتى لو كانت أوضاعًا متخلفة.

أما انعدام الثقة لدى فرد أو فئة أو مجتمع من المجتمعات فهو أشد وطأة؛ لأنهم بذلك لم يعودوا يرون أنهم قادرون على بلوغ ما وصلت إليه المجتمعات الأخرى من تقدم ومدنية وصناعة. والسؤال هنا، لماذا انعدام الثقة هذا؟ أولسنا بشرًا مثلهم، لقد اجتهد الآخرون فنجحوا، ونحن كذلك يمكن لنا أن نجتهد.

وقد ينسحب الغرور أو انعدام الثقة حتى على المسلكيات البسيطة التي غالبًا ما تحاط بالأوهام. لدرجة قد يتوهم هذا الطرف أو ذاك المجتمع أن وضعه أفضل من وضع الآخرين، فلا يرى عندها أيّ داعٍ لتغيير أوضاعه البائسة. وهذا ما يحذر منه الدين، يقول علي عليه السلام: «من غني عن التجارب عمي عن العواقب»[١]، ويقول عليه السلام: «لولا التجارب عميت المذاهب»[٢] أيّ الطرق، ويقول في رواية ثالثة: «العاقل من وعظته التجارب»[٣].

قد تستولي الأوهام على أذهان كثيرٍ من الناس، ولعلّ النماذج في هذا السياق أكثر من أن تحصى، ويحضرني في هذا الصدد، عندما اقترحنا على بعض القائمين على الحسينيات في المنطقة، قبل عشرين سنة، أن يؤثثوا الحسينيات بالكنب والكراسي، فذلك أدعى لراحة المستمعين، لكنهم رفضوا الفكرة من أساسها، بحجة أن ذلك يذهب الروحانية، وقد يخدش قدسية المكان وما أشبه من أوهام، وشيئًا فشيئًا طارت هذه الفكرة، حتى أصبح الناس يضعون الكراسي والكنب في الحسينيات على نحو اعتيادي. لا ينبغي أن ندع الأوهام تسيطر علينا، فلندرس تجارب الآخرين، مع الأخذ بعين الاعتبار، أن تلك التجارب ليست كلها مناسبة، لكنها ستظل تجارب قابلة للدراسة والبحث، في سبيل الأخذ بالصالح منها.

معطيات التجارب السياسية

ولعلّ أهم ما يجب الاستفادة منه من تجارب الأمم الأخرى، هو طريقة إدارتهم للشأن السياسي في دولهم. لقد مرت شعوب وأمم الأرض بتجارب حكم مريرة، على غرار ما مرت به أمتنا في العهود المختلفة، من الأموية والعباسية والعثمانية وغيرها، لكن تلك الأمم تجاوزت تلك المرحلة حتى انتهت إلى إقامة نظم حكم ديمقراطية

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٥٥، حكمة ١١١٠.
(٢) بحار الأنوار. ج ٧٤، ص٤٢١.
(٣) بحار الأنوار. ج ١، ص١٦٠.

ينتخب فيها الناس من يحكمهم، ويتوافقون على دستور يحمي حقوقهم، ويفصل بين السلطات.

إن تلك الشعوب لم تصل إلى هذا الحل إلا بعد حروب طويلة، سالت فيها أنهار من دماء، وقد نجحوا حتى الآن في تحقيق الأمن والاستقرار والازدهار لأوطانهم، دون أن يدّعي أحد ـ مع ذلك ـ بأن نظم الحكم الديمقراطية تخلو تمامًا من النواقص، ولكن كما يقول وينستون تشرتشل رئيس الوزراء البريطاني الأسبق (النظام الديمقراطي هو أقل الأنظمة سوءً). أي إن النظم الديمقراطية حتى لو شابتها النواقص فهي أهون بكثير من نظم الاستبداد. وكما قيل: ليس العقل أن تعرف الخير من الشر لكن العقل أن تعرف أهون الشرين.

الديمقراطية نظام أفضل

إن أهم ما يميز الديمقراطية هي قدرتها على تصحيح نفسها. ولعلّ الدرس الأبرز هنا هو أن ننزع من أذهاننا الوهم القائل بأن الديمقراطية لا تصلح لشعوبنا، فماذا يعني ذلك؟ هل شعوب وأمم الأرض كلها تختلف عنا، أم أن لهم طبيعة بشرية مغايرة لنا؟ فلماذا تصلح الديمقراطية لهم ولا تصلح لنا؟

بل الأسوأ مما سبق هو ترويج البعض بأن الديمقراطية لا تتناسب مع الإسلام!، والأغرب أن بعض من يروج هذه الفكرة هم من المسلمين الذين يعتقدون بأن النبي ﷺ لم ينص على الخليفة من بعده، وترك الأمر للناس، ويروون عنه ﷺ: «أنتم أعلم مني بشؤون دنياكم»، إلا أن واقع الحال مغاير تمامًا لما يعتقدون.

ولو شئنا المقارنة فإننا سنجد دون شك أن النظم الديمقراطية أقرب إلى روح الدين من النظم الاستبدادية، فالديمقراطية أقرب لتحقيق القيم الدينية كالعدل والحرية وحقوق الإنسان وغيرها مما لا تحققها نظم الاستبداد.

لم تعد المسألة سوى مسألة وقت، حتى تجد كل الشعوب ألّا بديل عن

الديمقراطية. ولا يعني التأخر في تطبيق الديمقراطية سوى المزيد من المشاكل المتفاقمة، التي سيتطلب الخروج منها تضحيات وخسائر أكبر، لذلك فالتفكير السوي يقضي بالإسراع في المسيرة الديمقراطية حتى تصل المجتمعات إلى نظم توافقية تستفيد من تجارب الأمم والشعوب الأخرى، ولقد رأينا ثمار هذه المسيرة، خلال الانتخابات المصرية الأخيرة، فقد حسمت صناديق الاقتراع الأمر، وأعلن الجميع موافقته على النتيجة، وللناس من الآن فصاعدًا أن يحاسبوا الرئيس المنتخب، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التجربة المصرية جرت في بيئة تزخر بالتنوع الفكري والتمايز الديني والاستقطاب السياسي الحادّ، إلا أن الكلمة الفصل كانت لصناديق الاقتراع، وهنا تكمن قيمة الديمقراطية.

نسأل الله أن يوفق المسلمين لكي يسرعوا في هذا الطريق ويحققوا مقاصد الإسلام وقيمه.

الخطبة الأولى

كيف نستقبل شهر رمضان

عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: «دخلت على أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام في آخر جمعة من شعبان فقال لي يا أبا الصلت، إن شعبان قد مضى أكثره وهذا آخر جمعة منه فتدارك في ما بقي منه تقصيرك في ما مضى منه وعليك بالإقبال على ما يعنيك وترك ما لا يعنيك وأكثر من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن وتب إلى الله من ذنوبك ليقبل شهر الله إليك وأنت مخلص لله عز وجل ولا تدعن أمانة في عنقك إلا أديتها، ولا في قلبك حقدا على مؤمن إلا نزعته ولا ذنبا أنت مرتكبه إلا أقلعت عنه، واتق الله وتوكل عليه في سر أمرك وعلانيته»[1].

ينبغي للإنسان أن يهيئ نفسه لاستقبال الأمور المهمة في حياته، وألّا يتعامل معها بعفوية واسترسال. فإذا أراد أن يلقي كلمة ـ مثلًا ـ فعليه أن يعمل للتحضير لها جيدًا، وإذا أراد أن يحضر اجتماعًا فيجب أن يُعدّ نفسه ويرتب أفكاره، وإذا أراد أن يقابل شخصًا مهمًا فعليه أن يفكر فيما يمكن أن يتحدث فيه معه.

إن من يستعد ويتهيأ لاستقبال الأمور فسيكون أقرب إلى النجاح في أموره، فشتان بين من يحضر اجتماعًا وقد أعدّ حديثه، ورتب أفكاره بصورة منهجية جيدة، وبين آخر

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام. ج ٢، ص ٥٦. حديث ١٩٨.

يفاجئه ما يطرح الآخرون دون أن يستعد ذهنيًا ونفسيًا للتفاعل مع أطروحاتهم، أو يكون مبادرًا في طرح الأفكار وقضايا النقاش.

إن الإسلام يربي الإنسان على التحضير وإعداد النفس في كل الأمور، حتى ينجح فيها، ويستثمرها ويوظفها بالشكل السليم. ولا أدل على ذلك من حثّ الشريعة للإنسان المسلم على التحضر والتهيؤ للعبادات اليومية بالتزام الآداب والمستحبات، كما ينسحب الأمر ذاته على الأعمال والممارسات العادية للمسلم، فإذا قرأنا كتب الآداب والسنن فسنجد الكثير من التوجيهات حول آداب شرب الماء، وأكل الطعام، والوضوء والصلاة، بل لا تستثني آداب دخول بيت الخلاء، كل ذلك حتى يتعود المرء على الاستعداد والتهيؤ لأي أمر في حله وترحاله.

شهر رمضان زمن مميّز

إن شهر رمضان ليس زمنًا عاديًا بالمعيار الإلهي، بل هو زمن مميّز مبارك وعظيم عند الله. من هنا نفهم النصوص الكثيرة التي توجه المسلم لاستقبال شهر رمضان المبارك. إن على المسلم أن يتهيأ نفسيًا وعمليًا لاستقبال هذا الشهر الكريم. ويندرج في هذا السياق ما ورد عن الإمام الرضا ، فقد روى عبدالسلام بن صالح الهروي قال دخلت على أبي الحسن علي بن موسى الرضا في آخر جمعة من شعبان فقال لي: يا أبا الصلت، إن شعبان قد مضى أكثره، وهذا آخر جمعة منه، فتدارك فيما بقي منه تقصيرك فيما مضى منه، وعليك بالإقبال على ما يعنيك وترك ما لا يعنيك، وأكثر من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن، وتب إلى الله من ذنوبك، ليقبل شهر الله إليك وأنت مخلص لله عزّ وجلّ، ولا تدعنّ أمانة في عنقك إلا أديتها، ولا في قلبك حقدًا على مؤمن إلا نزعته، ولا ذنبًا أنت مرتكبه إلا أقلعت عنه، واتق الله وتوكل عليه في سرّ أمرك وعلانيتك.

كما ورد عن رسول الله ﷺ خطبته الشهيرة في المسلمين قبيل شهر رمضان الذي

جاء فيها: «أيها الناس، إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله. أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب»[١]. هذه النصوص والأدعية الواردة في استقبال شهر رمضان، وعند رؤية الهلال، كلها تصب في سياق التهيؤ لاستقبال هذا الشهر الكريم.

وضمن إطار التهيؤ للشهر الفضيل تركز لنصوص على جملة أمور عملية، ومنها:

أولًا: أن يراجع الإنسان نفسه ويصحح أخطاءه. فقد حثت النصوص الشرعية الإنسان المسلم على استباق الشهر الفضيل بإعلان التوبة والأوبة إلى الله من ذنوبه ومعاصيه، وذلك حتى يدخل إلى الشهر الكريم وهو نقي من الذنوب والآثام، وورد في الرواية «وتب إلى الله من ذنوبك ليقبل شهر الله إليك وأنت مخلص لله عز وجل»، ينبغي للمرء أن يتفكر لحظات يحصي فيها أخطاءه وذنوبه، ثم ليقرر الإقلاع عنها، فالتوبة تعني الإقرار بعدم العودة للذنب والخطأ.

ثانيًا: أداء حقوق الناس. وذلك بأن يقرر المرء قبل حلول شهر رمضان، أن يؤدي الحقوق المادية والمعنوية للناس، فإذا كان للناس عليك حقوق مالية فبادر لدفعها وتبرئة النفس منها، ويعجب الإنسان من القادر على أن يعطي الآخرين حقوقهم، ولا يبادر لفعل ذلك، ويشمل ذلك بطبيعة الحال الحقوق الشرعية، فهي لله تعالى من جهة، وللناس من جهة أخرى. إن على الإنسان أن يصفي هذه الحقوق لأنه مقبل على الصيام، فليكن إفطاره على طعام ورزق حلال. وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «كلوا الحلال يتم لكم صومكم»[٢]، ذلك أن من يحمل على عاتقه حقوق الآخرين، فيخشى أن يكون ماله مشبوهًا في كثير من

---

(١) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص٣١٣.

(٢) كنز العمال. ج ١٥، ص ٨٤٤.

الحالات. وورد عن النبي الأكرم ﷺ حديث آخر جاء فيه: «العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل»[١]، إن البناء على الرمل لا يثبت بل هو أقرب للزوال، وهكذا ثواب العبادة التي يتبعها أكل الحرام فهو معرض للتلاشي والانتهاء.

ثالثًا: تطهير القلوب من الأحقاد. إذ ينبغي للمسلم أن يستقبل شهر رمضان المبارك بالصوم والدعاء والمناجاة والعبادة بقلب نقي طاهر، أما إذا كان قلب المرء أسود يحمل الحقد على هذا وذاك، فإن هذا القلب لن يجلب النظرة الإلهية، فالله تعالى لا ينظر إلى ذوي القلوب السوداء المليئة بالحقد. من هنا فإن على المرء أن يصفي نفسه من الأحقاد في هذا الشهر الفضيل. ورد عن الإمام الرضا عليه السلام «في أول ليلة من شهر رمضان يغلّ المردة من الشياطين ويغفر الله في كل ليلة لسبعين ألف فإذا كان في ليلة القدر غفر الله لمثل ما غفر في رجب وشعبان وشهر رمضان إلى ذلك اليوم، إلا رجل بينه وبين أخيه شحناء فيقول الله عز وجل: انظروا هؤلاء حتى يصطلحوا»[٢]، فلماذا يحرم الإنسان نفسه من مغفرة الله ورحمته لمجرد أنفة وحمية تحجزه عن حل مشكلة مع أخيه.

رابعًا: ينبغي للمسلم أن يضع لنفسه برنامجًا عباديًا خلال الشهر الكريم. فلا ينبغي أن يكون يوم صومك كيوم فطرك، فأين برنامجك لقراءة القرآن الكريم؟ وأينك عن الدعاء والعبادة وصلاة النوافل وصلة الرحم ومساعدة الفقراء وطلب العلم والمعرفة؟. للقيام بجل هذه الأمور ينبغي أن يضع الإنسان لنفسه برنامجًا يستثمر خلاله هذا الشهر الكريم.

نحمد الله تعالى أن بلغنا وإياكم شهر رمضان المبارك، ونسأله تعالى أن يبلغنا صيامه وقيامه وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال والطاعات. وأن يوفقنا وإياكم للاستفادة من بركات هذا الشهر الكريم.

---

(١) بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ١٦.

(٢) بحار الأنوار. ج٩٣، ص٣٦٦، حديث٤٠.

الخطبة الثانية

الأنظمة وتجاهل المشكلات

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إياكم والمحقرات من الذنوب فإن لكل شيء طالباً».

إن من أبرز معالم المنهجية الوعظية الاسلامية أن يكون الإنسان جادًا في مواجهة الأخطاء والخلل. فالنصوص الدينية الواردة ليست مجرد إرشادات أخلاقية وحسب، وإنما إلى جانب ذلك تُعدّ توجيهًا إلى المنهجية السليمة في التعامل مع مختلف الأمور والقضايا. وبخلاف ما يجري من تساهل بعض الناس بالأخطاء والثغرات ونقاط الخلل في هذا الموضوع أو ذاك، تشدد النصوص الدينية على أن يهتم الإنسان بأي خطأ مهما بدا صغيرًا أو حقيرًا. ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إياكم والمحقرات من الذنوب فإن لكل شيء طالبًا»[١]، وينطوي الحديث على الحث على عدم التساهل بالذنوب مهما بدا صغرها، فلا ينبغي للمرء أن يحتقرها أو يستهين بها، وتشدد على أن هذه المنهجية خاطئة، وورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا مصيبة كاستهانتك بالذنب ورضاك بالحالة التي أنت عليها»[٢]، وفي رواية أخرى: «لا تستصغرن سيئة أنت تعمل بها فإنك تراها حيث تسوؤك»[٣]. من هنا فلا ينبغي الاستهانة بأي خطأ، وإنما ينبغي أن تكون لدى المرء منهجية واضحة في التعامل معه.

---

(١) الكافي. ج ٢، ص ٢٨٨.

(٢) تحف العقول. ص ٢٨٦.

(٣) وسائل الشيعة. ج ١، ص ١١٧، حديث٧.

عدم الاستهانة بأي مشكلة

لا تكمن مسألة المعاصي في كبر أو صغر الذنب، وإنما يكمن جوهر المسألة في عظم من نعصيه، وهو الله سبحانه. إذ كيف يتجرأ المرء على معصية خالقه؟. لهذا ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «لا تنظروا إلى صغر الذنب ولكن انظروا إلى من اجترأتم»[١]. علاوة على ذلك فإن الإقدام على المعصية يجرّئ المرء إذا استهان بذنوبه، على اقتراف المزيد من الذنوب الأخرى، ورد في هذا الشأن عن الإمام الرضا عليه السلام: «من لم يخف الله في القليل لم يخفه في الكثير»[٢].

وينسحب ذات المفهوم على علاقة الإنسان مع نفسه، فلا ينبغي التساهل إزاء ذلك. فلو انتاب أحد ما علة أو مرض مهما صغر، فلا ينبغي أن يتركه دون علاج حتى يستفحل، بل هو مأمور بالمبادرة للعلاج فورًا، فإذا ترك هذا المرض القليل فلربما تفاقم وأصبح مرضًا عضالًا، فلا يستهينن أحد بوضعه الصحي، وعلى غرار ذلك مختلف الشؤون الشخصية.

كما ينطبق ذات الأمر على المستوى الاجتماعي، فلا ينبغي أن يستهين المرء بأي مشكلة مع أي أحد من الناس. إن هناك من الناس من يستهين بالآخر، لا لشيء إلا لأن ذلك الآخر لا يشكل خطرًا ولا يستطيع أن يفعل شيئًا، وهذا غير صحيح. يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الصدد: «لا تعادين أحدًا وإن ظننت أنه لا يضرك، ولا تزهدن صداقة أحد وإن ظننت أنه لا ينفعك، فإنك لا تدري متى ترجو صديقك، ولا تدري متى تخاف عدوك»[٣].

---

(١) بحار الأنوار. ج ٧٤، ١٦٨.
(٢) بحار الأنوار. ج ٦٨، ص ١٧٤.
(٣) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص ١٤٢.

قبل أن تستفحل الأزمات

وهكذا ينبغي أن تُلتَزم منهجية المبادرة لعلاج المشكلات على مستوى الأمم والأوطان. فلا يكاد يخلو بلد من مشاكل قلت أو كثرت، لكن الفرق يكمن في التفاوت في مدى استجابة هذا البلد أو ذاك لتحدي علاج المشكلات المستديمة والطارئة، فهناك حكومات تولي مشاكل بلدانها العناية الفائقة، فتسلط الأضواء على أزماتها، وتبحثها بصورة جادة، وتنقب عن حلول حقيقية ومبادرات فاعلة للخروج منها، فهي بذلك إنما تحاصر المشكلات قبل تفاقمها، أما بعض الحكومات فإنها غالبًا ما تؤثر الصمت وغضّ الطرف عن مواجهة الأزمات، فتراهم يستهينون بها، ويلتفون عليها، فإذا بالمشاكل تكبر وتتفاقم حتى تكون المعالجة عندها أصعب، والخروج منها أخطر.

إن أشد خلل تعاني منه بلداننا العربية والإسلامية هو غياب المنهجية في علاج الأزمات. إن مجتمعاتنا تئن تحت وطأة العديد من مشاكل الفقر والبطالة والتمييز بمختلف أشكاله، وأزمات لا حصر لها، وعوضًا عن أن نجد المواجهة الجادة لهذه المشاكل، لا نجد سوى سياسة قائمة على غض الطرف عن هذه المشكلات، ولو فتشنا عن تفسير لهذا الأمر لوجدنا أن المسؤولين الرسميين مشغولون بذواتهم، ولفرط أنانيتهم لا يكاد الواحد منهم يشعر بأدنى قدر من معاناة الآخرين، وكأن لسان حاله يقول، ما دامت مشاكل التميز والفقر والبطالة والإسكان وغيرها بعيدة عني فلا تستحق مني الاهتمام. إن الاشخاص الذي يتبوؤون موقع المسؤولية ينبغي أن يستشعروا آلام من هم تحت مسؤوليتهم؛ لأن غياب المنهجية الواضحة في معالجة الأزمات هي (أم المشاكل) في أي بلد وداخل أي حكومة.

إن من غير الصحيح مراهنة بعض الحكومات على عنصر الزمن في تجاوز المشكلات. إذ كثيرًا ما نجد بعض المسؤولين يراهنون على تحمل الناس وتكيفهم وتعايشهم مع المشاكل، وفي ظن هؤلاء المسؤولين أن هذا هو السبيل لتجاوز الأزمات، لكن هذا الكلام غير سليم، سيما في هذا العصر، فالناس بدؤوا يعون ما

لهم وما عليهم، وإذا كانت الأجيال السابقة تسكت وتتكيف مع الأزمات، فإن الأجيال الصاعدة بخلاف ذلك تمامًا، فقد أصبح الناس يتمسكون بحقوقهم ويجهرون بمعاناتهم، ويمارسون الضغوط من أجل الخروج من أزماتهم. لذلك فإن مراهنة الحكومات على تقطيع الوقت للخروج من الأزمات منهجية غير ذات جدوى وغير مضمونة العواقب.

من يعبّر عن المشكلة ليس هو المشكلة

ثمة بعض الحكومات تجهد في محاولة إلقاء المسؤولية عن الأزمات على أفراد أو جهات بعينها. هذه الحكومات يحلو لها اختزال بعض القضايا الكبرى بأطراف بعينها، فإذا تحدث شخص ما أو حركة من الحركات عن مشكلة، فإن الحكومة وعوضًا عن أن تهتم بمعالجة المشكلة نفسها، تجدها تختزل المشكلة في هذا الشخص، أو تلك الحركة، وتتناسى جوهر الأزمة!، ويتوهم هؤلاء أنهم إذا قضوا على هذا الطرف أو اعتقلوه أو أسكتوا هذه الحركة أو ذاك الحزب، فإنهم بذلك يُنهون الموضوع. غير أن الحقيقة هي أن الأزمات لا تنتهي ما دامت جذور المشاكل قائمة، فقد يتغير الأشخاص أو الجهات المعبرة عنها، إلا أنه إذا سكتت جهة فستأتي جهات أخرى، وإذا ما اعتقل شخص أو مات فسيأتي آخرون، لذلك ينبغي معالجة المعاناة الحقيقية عند الناس بالتوجه مباشرة لعلاج تلك المشكلة واقتلاع تلك المعاناة. إن الأحداث المتصاعدة، والأشخاص الذين يجهرون بالمشكلة، سواء أصابوا في طريقتهم أو أخطأوا، هؤلاء ليسوا هم جوهر المشكلة كما يحاول البعض الايهام بذلك، وإنما هناك مشكلة عبر عنها هؤلاء، فإذا لم تعالج ستبقى تتفجر بصورة أو أخرى، وهذا ليس في مصلحة الوطن.

نحن ندعو المسؤولين في بلادنا العربية والإسلامية إلى الالتفات لمشاكل شعوبهم، ومضاعفة الجهود لمعالجة الفقر والبطالة وضعف الخدمات والتمييز بين

الناس وسائر المشاكل المختلفة. ينبغي المراهنة على معالجة هذه المشاكل، والنأي عن المراهنة على الالتفاف، أو الاعتماد على عنصر الزمن في تجاوز الأزمات، فلم يعد الأمر كذلك، فقد أصبح العالم منفتحًا، وأصبحت هنالك قوى تبحث عن النفوذ باستثمار الأزمات التي يعاني منها هذا الشعب أو ذاك، لذلك ينبغي من أجل تحصين استقرار الوطن وأمنه المبادرة لعلاج المشاكل التي يعاني منها الناس، وانتزاع فتيل الأزمات القائمة قبل فوات الأوان.

نسأل الله أن يصلح ما فسد من أمور المسلمين.

الخطبة الأولى

مواجهة الأخطار المستقبلية

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[سورة الزمر، الآية:٥٦]

الدفاع عن النفس ورد المخاطر عنها طبيعة متأصلة في الإنسان، بوصفه كائنًا حيًا له شعور بذاته، واحساس بمن حوله، وما يجعل الإنسان متميزًا عن الحيوان الذي يمتلك نفس هذه الغريزة، هو قدرة الإنسان على التعقل والتفكر، التي تمكنه من معرفة المخاطر الآنية والمستقبلية والظاهرة منها والباطنة، ومن ثم التعرف على الوسائل المناسبة لتفادي كل هذه الأخطار، وما شهدته البشرية من تقدم علمي كبير في الكشف عن مخاطر الأمراض أو مخاطر الطبيعة (عواصف وأعاصير وزلازل وغيرها) وما وضعته من حلول وعلاجات يشهد بالقدرة العلمية للإنسان، في حين أن الحيوانات تصاب بنفس المخاطر من الأزل، وتقع فريسة في نفس الشراك، ولم تتعظ بالتجارب ولم تفكر في تجنبها لعدم قابليتها لذلك.

فالإنسان كفرد أو أمة ينفعل بما يحيط به من تحدّيات ومخاطر، تمكّن الإنسان من تراكم التجارب واكتساب الخبرات، واختلاف الأمم والأفراد في مواجهة المخاطر المستقبلية يرجع بشكل مباشر إلى الحصيلة المعرفية والثقافية، فالبعد الاستراتيجي لأيّ أمة هو البعد التاريخي الذي يمثل عمقها الحضاري والثقافي، مضافًا للبعد المستقبلي الذي يمثل تطلعاتها وطموحاتها، فلا يستطيع الإنسان التخلي عن كلا

البعدين الهوية الحضارية وخبرات الماضين، ومن ثم التغيير والأمل نحو المستقبل الأفضل. وإذا حاولنا أن نكتشف بعض أسباب ما تعانيه منطقتنا من تراجع نجد في مقدمتها عدم الاهتمام بالمستقبل وترك الاستعداد لمواجهة الأخطار المتوقع حدوثها.

لماذا لا يأخذ الإنسان الأخطار المستقبلية بجدية؟

إن الإنسان إذا واجه خطرًا فوريًا آنيًا فإنه يستجيب له بشكل سريع، ويأخذ احتياطه لتلافيه، لكن حينما يعلم أن هناك خطرًا يأتيه في المستقبل نجده يتوانى مع علمه بحدوث الخطر، وذلك لعدة أسباب:

السبب الأول: الغفلة بأن يكون الإنسان غير ملتفت للخطر الذي يمكن أن يقع مستقبلًا، فيتصرف على أساس عدم وجوده، أو قد يكون غير متيقن من حصوله، فيرفض كلّ الأدلة، ويتنكر لكل المؤشرات خوفًا على مصالحه الآنية، لذلك نجد القرآن عندما يتحدث عن الآخر يقول: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ حينما يكون يقين الإنسان قويًا بالخطر المقبل عليه فإن ذلك يدفعه للاستعداد له.

الرغبات والاهتمامات الآنيّة:

السبب الثاني: سيطرة الرغبات والشهوات الآنية، وما تخلقه من ضغط على الإنسان تجعله سريع الاستسلام لها، فلا يتعدى نظره حدود المصلحة الآنية، هذا بخلاف من يمتلك إرادة وعزيمة ووعيًا بمصيره المستقبلي، فلا يقدم مصلحته الآنية على مصلحة كبرى مستقبلية، مع أن بعضًا من الناس عندما يقدم على إشباع رغباته الآنية يكون على علم بما تسببه من أضرار مستقبلية، لكنه يجد نفسه مدفوعًا للاستجابة لهذه الرغبة الآنية، ويتجاهل الخطر المستقبلي، وهذا ما يتحدث عنه القرآن بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ عادة ما ينشد الإنسان للرغبات العاجلة حتى في الأمور الدونية التافهة، ونمثل لذلك بالوعي الصحي الذي أصبح متاحًا للجميع، وبخاصة ما يمكن أن يسببه نوع الغذاء من مخاطر على صحة الإنسان،

من أمراض متعددة، فلا يوجد إنسان لم يسمع بمرض السكري مثلًا، وما يسببه من مخاطر، وبرغم علم الجميع بأسبابه إلا أننا نجدهم يضعفون أمام الموائد ذات الألوان والأشكال المختلفة، فغالب الناس تسيطر عليهم الرغبة الآنية مع هذه التحذيرات التي تصرح بها المنظمات الصحية على مستوى العالم، ففي العالم اليوم أكثر من ٣٦٦ مليون إنسان مصاب بالسكري، أما على مستوى بلادنا فإن نسبة المصابين بالسكري ٢٨٪ يعني بين كل ثلاثة أشخاص هناك شخص مصاب بالسكري، كما يعتبر ثاني أسباب الوفاة في المملكة بعد الحوادث، وهناك أكثر من ٦٠٠٠ حالة بتر للقدم سنويًا في المملكة بسبب السكري، نسمع هذا ونعلم به ولكن الرغبات الآنية غالبًا ما تسيطر على الإنسان وتجعله يتجاهل الأخطار المستقبلية.

السبب الثالث: الأجواء التي يعيش ضمنها الإنسان، فتأثر الإنسان بالمحيط الذي يحتك به أمر بديهي وذلك بسبب غريزة التوافق الاجتماعي المتأصلة في كل فرد، فلا يستطيع الإنسان أن يعيش منفردًا بعيدًا عن الآخرين، فوجوده بينهم يدفعه للتوافق معهم، ومن هنا أكد الإسلام على ضرورة نظافة البيئة الأخلاقية، واهتم بالمجتمعات الصالحة؛ لأنها توفر الأرضية لنمو الأفراد بشكل إيجابي، فإذا عاش الإنسان في أجواء مهتمة بالأمور المستقبلية، فإنه حتمًا يتأثر بها، أما إذا عاش في أجواء لاهية تهتم بالرغبات الآنية، فسوف يتأثر هو الآخر ويفكر على طريقتهم.

المستقبل الأهم والخطر الأكبر

المستقبل الأعظم والخطر الأكبر الذي يواجه الإنسان هو مستقبله في الدار الآخرة، وكلنا نعلم أننا سنغادر هذه الدنيا إلى دار الخلود، كما نعلم أن هناك أخطارًا في تلك الدار من نار وعذاب وحرمان، من هنا نجد اهتمام الأدعية الشريفة بتذكير الإنسان وتنبيهه بذلك المصير المحتوم، وتصوره له كأنه واقع ملموس حتى يستغيث من هول النار «الغوث الغوث خلصنا من النار يا رب» ومع ذلك كثير من الناس لا

يلتفت إلى هذا الخطر، وفي لحظة الحقيقة ويوم الحساب يدرك الإنسان الفرصة التي أضاعها، في دار الدنيا، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ لماذا تساهلت وضيعت الفرص ولم أتعامل بشكل جدي ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ ويكتشف الإنسان أنه بعدم جديته قد ظلم نفسه كثيرًا، فيحاول أن يجد لنفسه مبررًا ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ يتمنى أن الله لو أجبره على الهداية ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ علينا أن نستفيد من المواعظ والعبر، وخاصة في هذا الشهر الكريم، حتى نكون أكثر جدية أمام الأخطار المستقبلية، وهي ليست بعيدة، يقول الإمام علي ﵇: «وَ مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ»، لذلك علينا أن نستفيد مما تبقى من أعمارنا بالعمل الصالح، وأن نستثمر هذه الأيام المتبقية من شهر رمضان ونعمل جاهدين على أن يفك الله رقابنا من النار، وأن يخلصنا من تلك الأخطار العظيمة في الآخرة، يقول الإمام علي ﵇ وهو يوجّهنا إلى الجدّ في التعامل مع مسألة الآخرة:

«فَإِنَّهُ وَ اللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ وَ الْحَقُّ لَا الْكَذِبُ وَ مَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ وَ أَعْجَلَ حَادِيهِ فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ وَ قَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَ حَذِرَ الْإِقْلَالَ وَ أَمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَ اسْتِبْعَادَ أَجَلٍ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ وَ أَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ حَمْلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ وَ إِمْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ أَ مَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا وَ يَبْنُونَ مَشِيدًا وَ يَجْمَعُونَ كَثِيرًا كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا وَ مَا جَمَعُوا بُورًا وَ صَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ وَ أَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ وَ لَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ وَ فَازَ عَمَلُهُ فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا وَ اعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ».

الخطبة الثانية

واقع الأمة والخلل القيادي

ورد عن رسول الله ﷺ انه قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومِن قلّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السّيل، ولينزعنّ الله مِن صدور عدوّكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوَهَن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوَهْن؟ قال: حبُّ الدُّنيا، وكراهية الموت»[1].

كلما انعقدت قمة إسلامية وحضرها زعماء الأمة عاد السؤال العريض الملح: لماذا هذا التفاوت بين واقع الأمة وبين حجمها وإمكاناتها الفعلية الواقعية؟ وقد بلغ حجم الأمة مليارًا وستمائة مليون نسمة يتوزعون في كل القارات، ويحتلون أهم المواقع الاستراتيجية على وجه الكرة الأرضية، وتحت أيديهم نسبة ضخمة من ثروات العالم، ويمتلكون ثقافة عريقة وتاريخًا مشرقًا، وبرغم ذلك نشهد مدى الضعف والهوان الذي تعاني منه الأمة الإسلامية حتى أصبحوا هدفًا لأطماع الدول الكبرى، للتنافس على موارد الأمة وخيراتها، حتى إن شرذمة من اليهود يحتلون أراضي أكثر من بلد إسلامي، ويسيطرون على الأقصى وهو مكان مقدس عند المسلمين، ولا تستطيع هذه الأمة بعددها الضخم، وثرواتها الكبيرة، أن تقف أمام طغيان وغطرسة هذا الكيان الغاصب،

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج٢، ص٦٨٣، حديث٩٥٨.

هذا هو واقع الأمة وفي ظلّه انعقدت هذه القمة[1]، فالسؤال الذي يلاحقها: لماذا تعيش الأمة هذا الواقع؟ وما هو الموقف المتوقع من هؤلاء القادة وهم يمثلون هذا الحجم من الكثافة البشرية الكبيرة؟

لا شك أن السبب الأساس والرئيس لتراجع هذه الأمة وتخلفها، يكمن في قياداتها على المستوى السياسي والديني، فخلل الأمة في الدرجة الأساس هو في جانب القيادة، كما أن جسم الإنسان يقاد من قبل عقله، وكل مؤسسة تقاد من قبل إدارتها، فإدارة الأمة هي مسؤولية القيادة، وهذه القيادة التي تقود الأمة تعاني من خلل كبير، يرجع إلى عدم امتلاكها لمشروع واضح، فكل قائد مشغول بالسيطرة على مساحة جغرافية، ومهتم بتثبيت زعامته وسط أتباعه، وهذا المرض مع الأسف موجود حتى في وسط بعض القيادات الدينية والروحية للأمة التي لا تمتلك غير المشاريع الخاصة.

التنمية والعلاقات البينية

هناك معياران مهمّان يتحدثان عن هذا الواقع السيئ للأمة:

المعيار الأول: معيار التنمية، لماذا هذه الأمة تعيش تخلفًا تنمويًا مع ما تمتلك من ثروات؟ فغالب الدول الإسلامية تعيش هذا التخلف إلا بعض التجارب الناجحة مثل ماليزيا وتركيا وإيران، وهي نوعًا ما في المجال التنموي، أفضل من بقية البلدان الإسلامية، في حين أن معظم الدول الإسلامية تعاني من تخلف في الجانب التنموي ويفتقد بعضها حتى أساسيات البنية التحتية، فتعاني من مشاكل في الخدمات الضرورية، والأمثلة والنماذج التي تثبت ذلك كثيرة على مستوى الصحة والكهرباء والطرق والجسور والمصارف الصحية وغيرها.

(١) الدورة الرابعة لمؤتمر القمة الإسلامي الاستثنائي بمكة المكرمة في ٢٦ و٢٧ رمضان ١٤٣٣هـ الموافق ١٤ و١٥ أغسطس (آب) ٢٠١٢م.

المعيار الثاني: الذي يظهر هذا التردي مسألة العلاقات بين هذه البلدان الإسلامية، وبين شعوب وطوائف هذه الأمة، وما يؤسف عليه المستوى الذي وصلنا له من انحدار شديد في مجال العلاقات الداخلية، فلم تستطع هذه الأمة أن تتبنى أهدافًا مشتركة تمثل تطلعًا حضاريًا يكون منافسًا لكل حضارات العالم، فعندما أهملت الأمة المشتركات برزت على السطح الفوارق القومية والمذهبية، وأصبحت سببًا للمشاكل والفرقة والتخاصم، فتجد التباين المذهبي يتسبب في هذه الحروب والقتال، فالأمة تتقاتل تحت عناوين باطلة، الأمر الذي يكشف عن مدى التخلف والانحطاط الذي وصل له حال الأمة.

تخلف على المستويين السياسي والديني، والضحية هو الإنسان الذي صودرت كرامته وحريته وأبسط حقوقه، والمسؤول الأول عن كل ذلك هم القادة السياسيون والدينيون وهذا لا يرفع المسؤولية عن الجميع بتحمل كل واحد من الأمة دوره ومسؤوليته.

فالوعي السياسي والديني وتجديد الخطاب الثقافي يرفع من مستوى الأمة، ويجعلها أكثر عقلانية، فتبتعد عن العواطف والعصبيات الضيقة، فليس من المعقول أن يحدث في الأمة ما تتناقله وسائل الإعلام من أحداث غريبة، كما نشر في الإعلام عن معركة نشبت في شرق الجزائر في شهر رمضان إثر خلاف بين بائع بطيخ وأحد زبائنه حول سعر بطيخة ومذاقها، أدت إلى اشتباكات قبلية دامية، أصيب خلالها ١٢ شخصًا على الأقل، ونرى أن سبب الخلاف تافه، هذه الحالة مصغرة لكثير من المآسي التي تحصل في أمتنا.

فماذا يعني أن تستوقف مجموعة مسلحة سيارة نقل ركاب في باكستان وعندما

يتأكدون من كونهم شيعة يعدمونهم جميعًا رميًا بالرصاص[١]، وهذا هو الحادث الثاني في فترة وجيزة بعد أن قتل في الحادث الأول ١٨ مسافرًا من الشيعة، وما يحدث في العراق الآن ما يسمونه في وسائل الإعلام بغزوات عيد الفطر، وهي سلسلة تفجيرات بسيارات مفخخة تضرب العاصمة العراقية يوميًا، يذهب ضحيتها العشرات من الأبرياء والصائمين.

ومع ذلك نتفاءل خيرًا في هذا الاجتماع للقمة الاسلامية، ونأمل أن يكون بداية انطلاقة جديدة، نحو مستقبل مشرق لهذه الأمة، ونرجو ألّا يكون كالاجتماعات التي سبقت وبخاصة بعد أن استشعر الجميع بخطورة الوضع الذي لا يحتمل التسويف، كما نتفاءل بهذا الاقتراح الأخير وهو إنشاء مركز لحوار المذاهب، شرط أن يكون مركزًا جادًا يهيئ الأجواء لإنجاح الحوار، وأن يكون جادًا في نبذ التمييز بين الناس على أساس مذاهبهم وطوائفهم، وأن يكون هناك تحرك حقيقي لوقف أعمال التحريض بين أبناء الأمة، وإلا ما هي الفائدة من مركز لا يحقق هذه الأهداف، فيتحول إلى مجرد لافتة لنهب الميزانيات، ولإنجاح هذه المشاريع لا بُدّ من صنع الأجواء المناسبة وهذه مسؤولية الجميع، علينا أن نتقي الله في ديننا وأنفسنا وأوطاننا، ولا نهتم بمجرد العواطف، ولا تقودنا الأحقاد، ولا يشغلنا التاريخ عن واقعنا ومصالحنا الحاضرة .

(١) صحيفة الرياض الصادرة بتاريخ الجمعة ٢٩ رمضان ١٤٣٣هـ، ١٧ اغسطس ٢٠١٢م، العدد ١٦١٢٥ .

الخطبة الأولى

شعارات الإصلاح وبرامج التنفيذ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[سورة الصف، الآيتان:٢-٣]

لا شك بأن للفكرة الطيبة والكلام الحسن والشعار الجميل أثرًا في النفوس، إلا أن الأهم من كل ذلك هو الترجمة الفعلية لمضامين تلك الأقوال والأفكار. وكما هو الحال مع الأفراد، ينطبق ذلك أيضًا تمام الانطباق، على الأمم والمجتمعات، حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾، وتشير الآية هنا إلى أن بعض الناس قد يلقون كلامًا جميلًا، ويطرحون أفكارًا حسنة، ويتخذون قرارات جيدة، لكنهم في الوقت عينه، أبعد ما يكونون عن الالتزام بكل ذلك. إن المجتمعات التي تتسع المسافة بين شعاراتها وقراراتها، وبين التنفيذ والتطبيق لتلك الأقوال، هي مجتمعات مستحقة للمقت من قبل الله تعالى، وفقًا للآية الكريمة، والمقت في اللغة هو الغضب الشديد.

صناعة الحضارة وصناعة الكلام

وتتفاوت المجتمعات إزاء مدى تنفيذ شعاراتها والقرارات المتخذة ضمن مؤسساتها. فهناك ضمن كل المجتمعات البشرية أفكار متداولة ومشاريع مطروحة وقوانين متخذة، غير أن بعض هذه المجتمعات لديها آليات تجسّد القرارات، وتطبق

القوانين، وتنفذ البرامج، فتتحول الشعارات بذلك إلى وقائع قائمة، وهذا عين ما يجري في المجتمعات المتقدمة. وفي المقابل هناك مجتمعات تعيش على ما يمكن أن نسميه؛ صدى الفكرة، ورنة الشعار، فتتزاحم الأفكار والشعارات عن يمينها وشمالها، غير أن بينها وبين التنفيذ على أرض الواقع بُعْدَ الأرض عن السماء.

وقد عرف عن المجتمع العربي عبر تاريخه اهتمامه بصناعة الكلام. فلا تكاد توجد أمة برعت في صناعة الكلام المنمق، والمنطق البراق كما برع العرب، وخاصة في الجاهلية، حيث تجسد ذلك في اهتمامهم بالشعر والشعراء. وقد تحدث عن هذا الموضوع الدكتور راشد المبارك، ضمن تناوله لمسألة صناعة الكلام في المجتمع العربي الجاهلي، حيث يقول «لم يكن عرب الجاهلية أوفر حظًا في المعارف الفلسفية أو الاجتماعية أو العليمة، لكنهم كانوا يشعرون بتفوقهم في جانب واحد، هو صناعة الكلمة، استنفذوا جهدهم النفسي والفكري في إجادتهم لها، والتفوق فيها والمباهاة بها، وكانت تقام الأعراس وتنحر الجزر إذا ظهر في القبيلة أحد المتفوقين في هذه الصناعة، كما تقام الأسواق في الفترات المختلفة من الزمان، والمواقع المختلفة من المكان، لعرض ذلك الإنتاج، للاستعلاء به والمبارزة والانتصار... ونتج عن ذلك أن كتب في هذا الجانب أثقل ما تنوء به المكتبة العربية من أحمال، وأن يكون أضخم الكتب التي عرفها تاريخ التأليف، كتاب صبح الأعشى في فن صناعة الإنشاء، للقلقشندي المتوفى سنة ٢٢١ هجرية»[١].

ومن أسف نقول، إن العرب عادوا لما كانوا عليه في الجاهلية، بعد القفزة التي أحدثها ظهور الإسلام بينهم. فقد انحسرت حالة الحضارة وتلاشى الاهتمام العلمي في الأمة، وعادت إلى صناعة الكلام، والتباهي بالشعارات الجوفاء، حتى أطلق أحد الأدباء المعاصرين المقولة الشهيرة عن العرب بأنهم «ظاهرة صوتية». وكم شهدنا من الحكومات الأحزاب التي تعاقبت على الدول العربية، وكان رؤساؤها وأعلامها أكثر

(١) راشد المبارك. قراءة في دفاتر مهجورة. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار أبي حيان، ص٤٥.

ما يتفننون في تدبيج الخطب العصماء، والبيانات البليغة، والشعارات الرنانة، حتى ليخال المرء عند سماع ذلك أن الأمة بصدد التسابق مع الأمم المتقدمة في اقتحام أبواب الحضارة، إلا أن العكس هو ما يجري، إذ سرعان ما تتبخر تلك الخطب والبيانات والشعارات وتذهب مع الريح، لتبقى الشعوب تكابد واقعها المتخلف. هذه مشكلة حقيقية ما زالت تعيشها معظم المجتمعات العربية والإسلامية، بخلاف ما يجري في المجتمعات المتقدمة.

ويكمن الإختلاف الجوهري بين مجتمعاتنا العربية والمجتمعات المتقدمة في ترجمة الأقوال إلى أفعال. إذ إن تلك المجتمعات حينما يسنّ فيها قانون، أو تطرح فكرة مشروع، أو يتبنى شعار، فما أسرع أن يتحول إلى واقع على الأرض، ويترجم إلى حقيقة، بينما لا يحدث ذلك عندنا البتة. وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى الدساتير العربية، التي تكشف عن مضامين رائعة، لكن حقيقة الأمر أن بينها وبين التطبيق على أرض الواقع بعد المشرقين، وكذلك الحال مع القوانين الصادرة عن مؤسسات الدولة، فهي غالبًا ما تبدو رائعة المضمون، لكن هل تجد طريقها للتنفيذ؟، والحال نفسه مع الشعارات التي تتطاير في الهواء من هذه الجهة أو تلك، لكن التزامها يبدو بعيد المنال ساعة الممارسة والعمل!.

إن لدينا في المملكة نصيبًا وافرًا من العناوين والشعارات الرائدة نظريًا، التي لا يعيبها سوى غياب التطبيق على أرض الواقع. فكم من المشاريع والأفكار ذات العناوين البراقة التي تطرح في أوساط مجتمعنا، حيث تدغدغ المشاعر، وتعقد عليها الأمال، لكنها غالبًا ما تتعثر أو تفرغ من مضمونها ساعة الممارسة والتطبيق، ومن ذلك على سبيل المثال إنشاء المؤسسات والبرامج الرسمية البارزة من قبيل؛ هيئة حقوق الإنسان، هيئة مكافحة الفساد، مركز الحوار الوطني، حوار الأديان، حوار المذاهب، انتخابات المجالس البلدية، صندوق مكافحة الفقر، كل هذه العناوين والمشاريع تبدو رائعة في الوهلة الأولى، لما لها من ملامسة لحاجات ومطالب أساسية للمواطنين، لكن

يبقى السؤال الأزلي نفسه مطروحا، وهو: إلى أيّ حدٍّ تأخذ هذه المشاريع والبرامج طريقها إلى التنفيذ؟ أم أن بعضها بقي أفكارًا حبيسة الأدراج أو شعارات كفقاعات الصابون؟ لماذا تتحول البرامج والقوانين في المجتمعات المتقدمة إلى حقائق فعلية، بينما لا نجد ذلك في مجتمعاتنا العربية؟

مشاريع للإعلام أو التنفيذ

لو أمعنا النظر في السرّ وراء نجاح المجتمعات المتقدمة في تحويل أفكارهم وأقوالهم إلى حقائق على الأرض، لوجدنا أنه يكمن في امتلاكهم أربعة أبعاد اجرائية تفتقدها مجتمعاتنا بشدة. ويقع في طليعة ذلك، وجود إرادة جادة في التطبيق، تقف خلف سنّ القوانين ووضع البرامج، فلا يمكن أن يصدر قانون دون أن يكون مبعثة وجود الإرادة الجادة في حمله على محمل التنفيذ الحرفي والدقيق. وبعبارة أخرى، ليس من المتخيل أن تصدر القوانين وتوضع البرامج وتنشأ المؤسسات في المجتمعات المتقدمة لغرض الدعاية والتسويق الإعلامي. إذا ما كانت هناك ارادة جادة للتنفيذ، تقف خلف القوانين والبرامج والشعارات، فإن ذلك هو الدافع الأساس لأخذ مكانها على ساحة الممارسة والتطبيق. وبخلاف ذلك ما يجري في بلادنا العربية، فقد تصدر الحكومات قرارات وتضع برامج مختلفة، لكن من يقف خلف إصدار هذه القوانين غالبًا ما يكون هو نفسه مفتقدًا لإرادة التطبيق.

غياب آليات التنفيذ

أما البعد الثاني الذي يعود إليه نجاح المجتمعات المتقدمة في مشاريعها فهو امتلاكها لآليات تنفيذية واضحة. فإذا ما صدرت القرارت وطرحت البرامج، فإنها تكون مصحوبة بآليات تنفيذية واضحة، تحدد الجهة المسؤولة عن التنفيذ، والجهات المتابعة، والأطراف المراقبة لكل ذلك، وبذلك تشق البرامج والمشاريع طريقها نحو التطبيق.

بينما تكمن إحدى أعقد مشكلاتنا في صدور القرارات ووضع البرامج ورصد

الميزانيات، دون أن يصاحب ذلك آليات واضحة. وإن كانت هناك من آلية فهي غير مساعدة. ولو أخذنا تجربة الانتخابات البلدية في المملكة مثالًا، فسنجد بأن إتاحة الفرصة لانتخاب المواطنين ممثليهم في المجالس البلدية، يمثل في حدِّ ذاته خطوة رائعة، غير أن ظهور تلك المجالس دون صلاحيات كافية، ومنح الجهاز التنفيذي في إدارة البلديات صلاحيات تنفيذية مطلقة، وبما لا يفسح المجال لممارسة المجلس البلدي المنتخب عمله الرقابي، فإن من شأن ذلك أن يقوّض عمل المجالس البلدية ويظهرها عاجزة عن التأثير.

وكذلك الحال عندما ترفع هيئة حقوق الإنسان أو الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان توصياتها بشأن أوضاع حقوق الإنسان في البلد، لكنها لا تجد من الأجهزة الرسمية التفاعل المطلوب. والحال نفسه يتكرر مع مركز الحوار الوطني، فهناك مشاكل في طول البلاد وعرضها، تؤججها الفتاوى التكفيرية، والكتابات العنصرية، دون أن يكون لمركز الحوار دور في إخماد هذه المشاكل، فضلًا عن الوقاية منها. لذلك ينبغي أن نتساءل عن الجدوى من تأسيس هذا المركز، وتخصيص مقر كبير له، مع ميزانية مالية وموظفين عاملين، ليغطّ بعدها في سبات عميق، في الوقت الذي ينهش المواطنون بعضهم بعضًا. لا شك أن مردّ ذلك غياب الآليات التنفيذية الواضحة.

إن وجود الآليات التنفيذية خلف كل قرار أو برنامج أو مشروع تُعدّ مسألة بالغة الأهمية.

المرجعية الدستورية والقضائية

ويعود البعد الثالث لنجاح المجتمعات المتقدمة إلى وجود مرجعية قضائية ودستورية يحتكم اليها. وذلك في سبيل أن تشق القوانين والقرارات طريقها، ويحاسب كل من يعرقل أو يقف في طريق عمل المؤسسات والمشروعات والبرامج الوطنية. فحين يسنّ المشرعون في الولايات المتحدة قانون مكافحة العنصرية مثلًا، فلا أحد يشك إن القانون سيكون بالمرصاد لكل من يجرؤ على ارتكاب جريمة عنصرية.

الرقابة الشعبية

أما البعد الرابع فيعود إلى وجود الرقابة الشعبية. ويتسنى ذلك من خلال وجود برلمانات منتخبة، ومنظمات مجتمع مدني، وإعلام حرّ، لتقف بأجمعها بالمرصاد لفضح كل المخالفات أو العراقيل التي تعيق تقدم المشروعات والبرامج الوطنية. أما إذا ترك الحبل على الغارب للمتنفذين والقائمين على تلك المشروعات، دونما رقيب ولا حسيب، فذلك يعني أننا بإزاء ثغرة واسعة يتسلل من خلالها التعثر والفشل وغياب الفاعلية.

إن مجتمعاتنا بحاجة ماسة إلى تحقيق هذه الأبعاد الإجرائية الأربعة التي تفتقر إليها بشدة. والمتمثلة في الإرادة الجادة التي تقف خلف القرارات والبرامج الوطنة، والآليات الواضحة للتطبيق والتنفيذ، ووجود مرجعية دستورية وأخيرًا الرقابة الشعبية التي تلعب دورها من أجل ترجمة تلك الأفكار والقوانين والبرامج والشعارات المطروحة. ينبغي أن يعي الجميع بأن صدور الشعارات والقرارات والبرامج الرسمية لا يمثل سوى خطوة واحدة لا تشكل كامل الصورة، الأمر الذي يفرض عليهم القيام بالمزيد من التحرك على مستوى الفعاليات المدنية، للمساهمة في تحويل تلك الشعارات إلى وقائع على الأرض.

إن الآية الكريمة تحمل في طياتها تنديدًا شديدًا بالإزدواجية بين القول والفعل. حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾، إن مضمون الآية الشريفة يشير بوضوح باتجاه مساءلة المؤمنين عن علة الازدواجية عندهم بين القول والفعل، حيث يكون الكلام جميلًا، في حين يبقى الواقع منافيًا مع ذلك الكلام الجميل. إن مجتمعاتنا الإسلامية مطالبة بأن تختزل المسافة بين أقوالها وأفعالها، وأن تتجاوز هذه الازدواجية المسببة للمقت، عسى أن يرضى الله عنها، وأن ترضى هي عن واقعها.

الخطبة الأولى

مواقع التواصل الاجتماعي وفوضى المعلومات والأخبار

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾[سورة الاسراء، الآية:٣٦]

إن التباين الذي يحدث بين الناس في تقييماتهم للظواهر والأحداث، وما يقع بينهم من اختلاف في اطار تقييمهم لبعضهم بعضًا، ليس مجرد تباين تخلقه الظروف الموضوعية، وإنما يرجع في أكثر الأحيان إلى المنطلقات التي تتباين من شخص إلى آخر، فأكثر الناس لا ينظرون إلى الواقع كما هو موجود في الخارج وإنما ينظرون إليه كما يحب كل واحد أن يراه، وهنا لا بُدّ أن نفرق بين النظرة الموضوعية التي تقترب من الواقع والنظرة الذاتية التي تبحث عن انطباع خاص بالواقع، وبهذا التفريق نكتشف سرّ التباين الذي يحدث، وهو جعل الذوات وسيطًا بين الإنسان والحقائق الخارجية، وهي بالطبع وسيط غير أمين غالبًا في نقل الواقع كما هو، وإنما تتدخل النفس بما فيها من أهواء فتلون الوقائع، وتبدل الحقائق، بالشكل الذي ينسجم مع هذه الذات، فتصبح نفس كل إنسان معيارًا للحقيقة، فما ينسجم معها يكون حقًا وصوابًا، وما يخالفها يكون باطلًا وضلالًا، الأمر الذي يُعدّ من أخطر ما يمكن أن يواجه الإنسان؛ لأنه يهدد نظام الحياة المشتركة في هذا الكون.

فمن المفترض أن يبنى نظام الحياة على العلم والمعرفة، في كل المستويات الطبيعي والإنساني، فإذا فتح الطريق أمام النفس والذات، وأهمل العقل والحق الذي

يسمو على الذات، فكيف والحال هذا تستقيم الحياة؟

على الإنسان أن ينطلق من العلم والحق في آرائه ومواقفه، فلا يصح له أن ينطلق من الأوهام والظنون والشكوك، فقد حذر الله سبحانه الإنسان من كل ذلك، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي لا تتبع الظنون والأوهام على مستوى الفكر والمواقف العملية، وكم في القرآن الكريم من آيات عديدة تؤكد اتّباع هذه المنهجية، يقول تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [سورة يونس، الآية:٣٦] ويقول تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾[سورة النجم، الآية:٢٣] ميول الانسان ورغباته عادة ما يكون لها تأثير في إقناعه ببعض الأفكار، واتخاذ بعض المواقف، فعلى الإنسان أن يكون حذرًا من كل ذلك.

تقويم الآخرين والحكم عليهم

ومن ميادين تطبيق هذه المنهجية الخطأ الحكم على الآخرين انطلاقًا من انطباعات شخصية، فإن سيطرة النفس وغلبة الأهواء والشهوات تجعل الإنسان مزاجيًا في تقييماته، الأمر الذي يكرس النظرة السلبية بين الناس، ويؤدي إلى إفساد الحياة الاجتماعية، وإنما يجب أن ينطلق الإنسان في تقييماته من العلم والحق؛ لأن الإنسان مسؤول عن هذه النظرة، فإذا حكم الناس على بعضهم بعضًا انطلاقًا من الظنون والإشاعات فإنهم محاسبون أمام الله، لهذا يقول تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ فالإنسان مسؤول اتجاه النتائج التي تترتب على مقدمات خاطئة، أو منهجية مرفوضة من الشرع والعقل، من هنا على الإنسان أن يتثبت من مصادر معلوماته.

نعيش الآن في عصر توفرت فيه وسائل المعلومات وهو مكسب كبير للإنسانية؛ لأنه وفر التواصل بين الناس فأصبحت الأخبار والمعلومات تنقل للجميع من لحظة انبثاقها ووقوعها، ولكن لأيّ مكسب مجموعة من الضوابط للاستخدام الصحيح، فإذا

لم تراعَ هذه الضوابط أدت إلى الخطأ، وآلت به إلى الشقاء كوسائل المواصلات مثلًا، فالسيارة مكسب ولكن حينما يقودها الإنسان بدون ضوابط، وبدون أن يراعي الأنظمة والقوانين، فسوف تقوده إلى كارثة، كذلك الوسائل المعلوماتية الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي، فهي في الأصل مكسب مهم، ولكن تحتاج إلى ضوابط، فهناك من يسيء استخدام هذه الوسائل، حتى أصبحت مصدرًا لكثير من المعلومات الخاطئة، والإشاعات الكاذبة، مما يترتب على ذلك قيام فتن ووجود مشاكل ونزاعات داخل المجتمع، وفي أوساط الشعوب والأمم، من هنا لا بُدّ للإنسان أن يقف متأنيًا حتى يستفيد من هذه الوسائل الاستفادة الصحيحة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[سورة الحجرات، الآية:٦]

التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي

أولًا: ينبغي للإنسان أن يتأكد من مصدر المعلومات وبخاصة مع هذه الفوضى في مصادر التلقي، فهناك مواقع تُنتحل على شبكة الإنترنت بأسماء أشخاص وجهات وهم لا ربط لهم بها، وهذه مشكلة عالمية يعاني منها الكثير من روؤساء دول ومنظمات وشخصيات مختلفة، نشرت صحيفة الرياض يوم ٢٥ مارس ٢٠١٢ عن ممثل سعودي تفاجأ بوجود أكثر من ٣٠ حسابًا باسمه وهي لا تعنيه أصلًا، وكذلك شكى ممثلا المسلسل الشهير طاش بوجود أكثر من حساب باسمهما في الفيس بك، وتناقلت بعض الصحف عن لاعب في نادٍ مصري أنه يعاني من وجود ١٤٠ صفحة منتحلة باسمه، في مثل هذه الحالة على الإنسان ألّا يقبل أي خبر وأي معلومة من أي موقع لمجرد كونه باسم هذه الجهة او باسم هذا الشخص.

ثانيًا: الحذر من حالات الخصام، فلا ينبغي للإنسان أن يأخذ من مواقع الخصوم، فإذا كانت هناك خصومات عقائدية مثلًا فلا يمكن أن يأخذ من هذه المواقع

ما يخص الجهة التي تتخاصم معها؛ لأن هذا يعني أنه يتقصد الخطأ والوقوع في الضلال، وهكذا هناك تيارات متعددة في أي مجتمع، فلا يحق للإنسان أن يأخذ معلومة من مواقع تيار يتعلق بتيار منافس له.

ثالثًا: أن يسعى الإنسان للتأكد من الجهة المعنية بالخبر قبل أن يرتب عليه أثرًا، ولا يتتبع الأخبار كإشاعات هنا وهناك.

رابعًا: يجب عدم التسرع في نشر المعلومات والرسائل والأخبار قبل التثبت منها، حتى لا ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة النور، الآية:١٩] لا يصح للإنسان أن ينشر أي معلومة من هذه المصادر المعلوماتية قبل التأكد من صحتها ومن صوابية نقلها، ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»[١] فمجرد الحديث بكل ما يسمع يُعدّ درجة ومرتبة من مراتب الكذب، وورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «لا تحدث عن غير ثقة فتكون كذابًا»[٢] الإنسان الذي يبعث خبرًا وصله من جهة غير موثوقة يكون مصداقًا لهذا الحديث فيكون كذابًا؛ لأنه حدث عن غير ثقة، وهناك رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ»[٣]، الدخول على بعض هذه المواقع التي تعتمد على التهريج ونشر الأكاذيب يعتبر مصداقًا لتمكين سمعه للغواة، فعلى الإنسان اجتنابها.

إننا، أيها الأحبة، معنيون بانطباعاتنا ومواقفنا وأحكامنا على بعضنا بعضًا، فلا نلقي السمع لهذه المواقع لنقل الأخبار والإشاعات التي تنسف جسور الثقة، وتسبب المشاكل والتنازعات والفتن، وعلينا أن نتذكر ما قال رسول الله ﷺ في خطبته في

(١) وسائل الشيعة. ج١٢، ص١٨٨.

(٢) بحار الأنوار. ج٧٥، ص١٠.

(٣) نهج البلاغة. كتاب ١٠.

حجة الوداع: «أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا»[١] فأعراض الناس ومكانة الناس وحرمة الناس مسؤولية أمام الجميع.

ونختم برواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه، وهدم مروته، ليسقطه من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان»[٢] لذلك على الإنسان أن يكون يقظًا حذرًا في تعامله مع المعلومات المتداولة والمنتشرة عبر مواقع التواصل، حتى يحافظ على دينه ويحافظ على مجتمعه.

(١) صحيح مسلم. ص ٩٢٠، حديث ١٦٧٩.
(٢) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢١٦.

مناهج التعليم والتربية على احترام الآخر

﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، الآية ١٨]

كلما ارتقى المستوى الفكري للإنسان كان أكثر احترامًا للآخر، وكلما ازداد الإنسان علمًا كان أكثر تواضعًا للحقيقة، وفي المقابل فإن النظرة الضيقة والأفكار المتحجرة تمنع الإنسان من رؤية الآخر والاعتراف به، كما أن الإنسان الجاهل بطبعه يتكبر على من سواه، ضمن هذه المعادلة نكتشف الأسباب المباشرة لكثير من المشاكل الاجتماعية التي تقوم على العنصريات والنظرة المذهبية الضيقة، وكلها عناوين مسؤولة عن الحالة المزرية التي تعيشها أمتنا الإسلامية، الأمر الذي يوجب وقفة جدية لمعالجة فكرية وتربوية ترتقي بالأمة إلى مستوى الوعي الفكري والنضج النفسي، ولإنجاح هذا المشروع لا بُدّ من تضافر الجهود وتوزيع الأدوار، ومن أهم ما يمكن الاعتناء به هو التربية التي تقوم بمعالجات جذرية منذ الطفولة لكثير من المشاكل.

تنشئة الأبناء على الاحترام المتبادل

من المهام الملحّة في تربية الأبناء تنشئتهم على احترام الغير، وحسن التعامل مع الآخر، وتلك هي وظيفة الوالدين في الأصل، ووظيفة الجهات المعنية بالتربية

والتعليم، فحينما يفتح الطفل عينه على محيطه الاجتماعي، قد يرى أناسًا مختلفين معه في اللون أو الشكل أو الدين أو الطبقة الاقتصادية، فأول ما يواجه هذا الطفل هو كيف يتعامل مع هذا الاختلاف وكيف ينظر للآخرين؟ هنا يأتي دور التربية فالتنشئة السليمة هي التي توجه الطفل إلى احترام الآخرين باعتبارهم بشرًا تجمعهم مشتركات الإنسانية، أما الاختلاف في الأمور الأخرى فهو اختلاف عرضي لا علاقة له بجوهر بشرية الإنسان، فلا ينبغي احتقار أحد أو الاستهانة به أو إساءة التعامل معه بحجة أنه يختلف معي في بعض الأمور، وهذا ما يجب أن يُربى عليه الأبناء من قبل عوائلهم، ويغرس فيهم منذ الطفولة، ولذلك ينقل لنا القرآن الكريم مواعظ لقمان الحكيم الذي شهد الله له بالحكمة، وجعل في القرآن سورة باسمه، فعندما يتوجه لقمان لابنه لكي يعظه، وبعد أن يحدثه عن توحيد الله ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[سورة لقمان، الآية ١٣] يستمر في مواعظه إلى أن يقول: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ ماذا يعني تصغير الخدّ؟ هو الإعراض بالوجه احتقارًا واستهانة، ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ لا تشعر بالغرور بسبب إمكانية أو تفوق ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ المختال من الخيلاء، أي إن الإنسان يتخيل في نفسه أنه عظيم ومهم، وأنه أعلى من الآخرين، فيعيش هذا الخيال كأنه واقع، وهو غير ذلك، والله لا يحب هذا الإنسان الذي يتعامل مع الآخرين على هذا الأساس.

هذه النصيحة التي قدّمها لقمان الحكيم هي درس لكل الآباء والعوائل، أن يتحدثوا مع أبنائهم، ليؤكدوا لهم احترام الإنسان، وخاصة حينما يعيش الأبناء في محيط تعددي تتنوع فيه الانتماءات، لا بُدّ من التأكيد على القيمة الإنسانية العليا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[سورة الحجرات، الآية: ١٣] وهكذا تتحدث النصوص المختلفة عن رسول الله ﷺ كقوله ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب»[١]، «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي

(١) تحف العقول، ص٣٤.

على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»[(١)]، يقول الإمام علي ﵇: «فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»[(٢)] احتقار الآخر لوجود اختلاف أو تباين معه هذا مرفوض، وموجب لغضب الله سبحانه وتعالى، ورد عن رسول الله ﷺ قال: «لا يزرين أحدكم بأحدٍ من خلق الله فإنه لا يدري أيهم ولي الله»[(٣)]، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[(٤)]، هذا هو المنحى السليم، منحى تربية الأبناء على احترام الآخر المخالف، أما التربية على العنصرية التي يمكن أن نشهدها في بعض الأسر والمجتمعات التي تسودها ثقافة العنصرية، يتربى فيها الأبناء على احتقار الغير الذي يختلف معهم في الشكل أو في الانتماء.

ثقافة العنصرية في مجتمعاتنا

مع الأسف الشديد أن مجتمعاتنا المحسوبة على الدين تعاني من هذه المشكلة، في حين أن مجتمعات أخرى غير محسوبة على الدين قد تجاوزت حالة العنصرية، نحن في بلادنا والحمد لله كلنا مسلمون، وهنالك تنوع قبلي ومذهبي وفكري ينبغي أن يتربى الأولاد على احترام هذا التنوع، ولأننا على أعتاب موسم دراسي جديد، وأبناؤنا سيقبلون على دراستهم، لا بُدّ لنا أن نذكر بمسؤولية المدارس في التربية والتعليم، بجانب مسؤولية العائلة، وتأكيد قيمة احترام الآخرين، وخاصة في هذه الظروف، ومنطقتنا تستقبل أمواجًا من الفتن الطائفية والعنصرية، التي تريد تمزيق مجتمعاتنا وأوطاننا، وإيجاد حالات الاحتراب والنزاع في أوساط شعوبنا، في هذه الظروف يجب أن يكون هناك اهتمام كبير في مراحل الدراسة حتى تتركز هذه القيمة،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل. ج٥، ص٤١١.

(٢) نهج البلاغة. كتاب ٥٣.

(٣) وسائل الشيعة. ج١٥، ص٣١٣.

(٤) صحيح مسلم. ص١٣٨٦، حديث ٢٥٦٤.

والحوار الوطني والمذهبي الذي يُتحدث عنه في هذه البلاد يجب أن يجد مصداقيته أولًا في مجال التربية والتعليم، هؤلاء الطلبة الذين يختلفون في انتمائهم ينبغي أن تتحمل المدرسة مسؤولية تربيتهم على الانفتاح والاحترام وقبول التعددية، وما يؤسف عليه أن الواقع القائم في مجتمعاتنا على العكس من ذلك، بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٤٣٣هـ نشرت جريدة الرياض تحقيقًا جميلًا حول هذه المشكلة بعنوان (القبيلة هاجس الصغار في المدرسة والحارة) يقول: إن العنصرية بين الأطفال لا تبشر بخير، ومما جاء في التحقيق أن أهم سؤال عند الأطفال (أنت قبيلي ولا حضري، ومن أي منطقة أنت) إذا كان الأطفال في أيام صغرهم ودراستهم يعيشون هذه العنصرية فماذا نتوقع منهم عندما يكبرون ويحتلون المواقع؟.

البداية من المدرسة

إننا جميعًا دولة ومجتمعًا إذا كنا جادّين في الحوار الوطني والمذهبي فلنبدأ من المدرسة، ونبدأ أولًا من المناهج الدراسية التي يجب أن نتجاوز فيها كل حالات التعبئة والشحن، فكثير من المناهج التي تدرس في مدارسنا فيها شحن مذهبي عقدي، فينبغي التخلص منها، واستبدالها بمناهج تعزز التعددية، فحينما يدرس بعض الأبناء أن الشريحة الأخرى من المجتمع الذي يعيشون معه مبتدعة ومشركة وخارجة من الدين، ماذا تتوقع أن تكون العلاقة بين الناس؟ هذا الشحن المذهبي يجب أن يتوقف، بل ينبغي أن تقوم مناهج التعليم بشرح الخريطة الاجتماعية للطلاب، ويقال لهم إنكم تنتمون إلى وطن وشعب يتكون من عدة شرائح، ومن عدة مذاهب، كما يُعرف الطالب بالمذاهب والاتجاهات الموجودة تعريفًا إيجابيًا وليس تعريفًا سلبيًا، مع محاولة توجيه الطلاب ليتفهموا بعضهم بعضًا، وأن ينفتحوا على بعضهم بعضًا، وبهذا تتحمل مناهج التعليم مسؤولية كبيرة في تعزيز الوحدة الوطنية.

الأمر الثاني: صناعة الأجواء الوحدوية في المدرسة، نتحدث في المؤتمرات عن

الحوار الوطني وحوار المذاهب، لكن هل الأبناء في المدارس يعيشون هذه الحالة أم يعيشون الإقصاء والإلغاء من طرف على طرف آخر؟ نريد لأبنائنا أن يعيشوا في وحدة وأمن وسلام، أن يتساووا في الحقوق، لماذا هذا يمكنه أن يقيم صلاته جماعة والآخر لا يمكنه؟ لماذا هذا يمكنه أن يتظاهر بانتمائه وهذا لا يمكنه؟ هذا غير المشاكل التي تحدث بين الطلاب لأسباب عنصرية وطائفية، وهذا ما ينبغي أن نحاربه في مدارسنا، لكي يعيش أبناؤنا في المدارس حالة التعاون والتحابب.

الأمر الثالث: مع الأسف الشديد، أن بعض المعلمين يأتي لكي يقوم بدور التبشير والتعبئة والشحن العنصري والطائفي، والمدرس هو الذي يجب أن يكون قدوة للطلاب، وبخاصة في النظرة الإنسانية التي تساوي بين الجميع، قبل أيام انشغلت وسائل التواصل الاجتماعي بالحديث عن تغريده كتبها أستاذ الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود وإمام أحد الجوامع كتب (إن الفرقة الناجية هي ما كان عليه علماؤنا وأهل نجد ومن تبعهم) هذه عنصرية طائفية وإن كان هو لا يعبر عن رأي الجميع، إلا أنه يمثل تيارًا يحمل هذا التوجه، فإذا كان أستاذ في الشريعة يحمل هذا التفكير فماذا نتوقع من الأجيال الناهضة في المجتمع.

بينما نجد في المجتمعات الأخرى الحريصة على وحدتها الوطنية، يربون الأولاد على الانفتاح على بعضهم بعضًا وعلى محاربة العنصرية. نحن في مدارسنا يجب أن نعيش أجواء الوحدة والانفتاح والاحترام المتبادل، حتى نراهن على تنشئة جيل يؤمن حقيقة بالوحدة الوطنية، ويمارس حقيقة الحوار والانفتاح وهي مسؤولية الدولة والعائلة ومناهج التربية والمدارس، كما هي أيضًا مسؤولية الخطاب الديني ووسائل الإعلام، إذا كان هناك حرص على وحدة وأمن وطننا وعلى التزام قيم ديننا.

الخطبة الأولى

الطريق المشروع والطرق الملتوية

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حاول أمرًا بمعصية الله كان أبعد له مما رجا وأقرب مما اتقى»[1].

منح الله سبحانه الإنسان عقلًا وإرادة وقدرة، وفتح أمامه مجال الحركة وحرية العمل. وفي سبيل تحقيق أهدافه وتطلعاته، غالبًا ما يجد الإنسان نفسه أمام مفترق طرق؛ طريق سليمة مشروعة، وأخرى ملتوية محرمة. وقد يبدو للإنسان في بعض الأحيان، أن سلوك طرق الحرام أكثر سهولة، وأكثر جدوائية، وأسرع نتيجة. لكن على الإنسان أن يدرك، كما تؤكد النصوص الدينية، أن طريق الحرام، وإن كانت تبدو طريقًا سهلًا، لكنها في واقع الأمر لا توصل الإنسان إلا إلى الدمار والشقاء. لذلك على الإنسان ألّا يتوسل أيّ وسائل محرمة لقضاء أيّ من حاجاته وتحقيق أهدافه.

إن توسل الوسائل الملتوية لا يحقق للإنسان أهدافه المشروعة وإن توهّم ذلك. وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذه الحقيقة فيما روي عنه ﷺ أنه قال: «من حاول أمرًا بمعصية الله كان أبعد له مما رجا وأقرب مما اتقى»، ومضمون ذلك أن سلوك الطريق الخطأ لا يمكن أن يوصل الإنسان إلى هدفه، حتى لو توهم ذلك للوهلة الأولى، إن الله سبحانه وتعالى لا يحرم شيئًا إلا لعلة قائمة تعود بالضرر على الإنسان، فلا يحرم الله على الإنسان شيئًا فيه مصلحة له، غاية ما هناك أن الضرر المتوقع لطرق الحرام قد

(١) بحار الأنوار. ج٧٤، ص١٧٨.

تكون له أبعاد تخفى على الإنسان؛ لأن الله سبحانه لا يمنع الإنسان مما ينفعه، وقد خلق سبحانه الكون وسخره برمته لصالح لإنسان. ويقول تعالى في تبيين هذه الحقيقة ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾[سورة الأعراف، الآية:٣٣]، ويقول تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[سورة الأعراف، الآية:١٥٧]، وبذلك يشير سبحانه إلى أن خط التحريم إنما يطال الفواحش والخبائث والإثم والبغي، وكل ما يضر بالفرد والمجتمع في جانبيه المادي والمعنوي.

الوسائل المحرمة نتائج وخيمة:

لا شك بأن الطرق الملتوية تمثل بدائل سيئة، وأن الطريق المستقيم هو الصحيح دائمًا. يقول أمير المؤمنين ﷺ: «ما نهى الله عن شيء إلا وأغنى عنه»[١]، إن الله سبحانه ما نهى عن شيء محرم، إلا ووضع له بدائل مشروعة، وغاية ما على المرء البحث والاجتهاد، وتخطي العوائق لبلوغ الطرق المشروعة.

إن ارتكاب المعصية وفعل الحرام يعني الجرأة على الله تعالى. وهل يسمح للإنسان عقله النقي، وفطرته السليمة، بأن يتجرأ على خالقه المنعم عليه، من أجل تحقيق مكسب محدود أو مصلحة عاجلة. إن الله تعالى يَعِدُ عباده الصالحين، بأنهم إذا اجتنبوا ما حرمه عليهم، فإنه يعوضهم عما يتصورون فوته من المصالح الآنية، ذلك لما يتصوره البعض من فوت المصالح إن لم يسلكوا طرق الحرام، غير أن الله سبحانه يعوض المتقين بخير مما فاتهم. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه، ليس به إلا مخافة الله، إلا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك»[٢]، لذلك ينبغي للإنسان أن يكون واثقًا من وعد الله سبحانه وتعالى له، فليترك الطريق والمكسب الحرام، والله سيعوضه بما هو خير.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ. ص٤٨١.

(٢) كنز العمال. ج ١٥، ص٧٨٧.

وقد دلت التجارب بأن المال المكتسب عن طريق الحرام لا بركة فيه. فقد يتصور المحتال أنه يحصل على ثروة عن طريق الاحتيال، غير أن التجارب تدلّ على أن هذا المال المكتسب من الحرام، لا بركة ولا خير فيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل فيه حساب وعقاب من الله تعالى. وعلى غرار المال يندرج الحال نفسه على ركوب الشهوات، حيث من المشروع للإنسان أن يشبغ غرائزه الجسمانية، شريطة التزام الطرق المشروعة، أما اقتحام الطرق الحرام، فإنه يورد إلى المهالك، ويفوت على الإنسان المصالح الأعظم، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قدر على امرأةأو جارية حرامًا، فتركها مخافة الله عزّ وجلّ، حرّم الله تعالى عليه النار، وآمنه الله من الفزع الأكبر، وأدخله الله الجنة»[1].

وليس بعيدًا عمّا سبق، ما يجري من تحقيق المكاسب الاجتماعية عبر طرق ملتوية. حيث يتوق الإنسان إلى بلوغ مكانة مرموقة في مجتمعه، وأن يحظى بالسمعة والنفوذ، ولكن لتحقيق ذلك لا يصح سلوك طرق الحرام، بأن يتسلق المرء على أنقاض سمعة الآخرين، والنيل من شخصياتهم، فلا يبالي من تحطيم الآخرين، وتشويه سمعتهم حتى يحظى هو بالبروز الاجتماعي الذي يطمع فيه ويطمح إليه، هذا طريق حرام، لا خير ولا بركة فيه.

وقد ورد عن أمير المؤمنين قوله عليه السلام: «أتريدونني أن أطلب النصر بالجور»، إن على الإنسان دائمًا وأبدًا أن يفتش عن الطرق الصحيحة المشروعة لتلبية حاجاته وتحقيق طموحاته واشباع رغباته النفسية والجسمية، وكذلك ضمن سعيه لتحقيق المكانة الاجتماعية، وألّا يستدرجه الشيطان إلى سلوك الطرق الملتوية والمحرمة.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج١٤، ص١٨٩.

ظاهرة العنف كيف نواجهها؟

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[سورة البقرة، الآية ٣٠]

ظلت الشرائع السماوية تراهن باستمرار على قدرة الإنسان على كبح جماح نزعاته وشهواته غير المنضبطة، وأن يشق طريقه إلى الكمال والاستقامة. وبات من الملحوظ أنه كلما زادت معارف البشر، بات الإنسان يقف بصورة أكبر أمام تحدّي التوازن بين الروح والمادة، بين العقل والشهوة. ذلك أن أي فتح علمي يحققه الإنسان، فإنه يجعل البشر أمام تحدٍّ جديد، بالنظر إلى توفر إمكانية الاستفادة من هذا التقدم العلمي سلبًا أو إيجابًا، وسواء في طريق الخير، أم على طريق السوء والعدوان.

إن التقدم العلمي الهائل الذي صاحبت الأخطار بعض جوانبه، لا يعني بأيّ حالٍ أن الإنسان قد فقد السيطرة على نفسه، وفشل في تحقيق التوازن، كلا، فقد هدى الله الإنسان وزوده بما يتمكن من خلاله أن يصل إلى مستوى الاستقامة والتوازن، وذلك حين يعرف قيم الحق والعدل ويحتكم إليها وينتصر لها.

إن نظرة أعمق لآي الذكر الحكيم تكشف مدى القدرة التي أودعها الله تعالى في الإنسان ليسلك طريق الخير. فحين أخبر الله تعالى الملائكة أنه سيخلق الإنسان،

ويجعله خليفته في الأرض، ليعمرها ويبني الحياة عليها، في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:٣٠)﴾، أدركت الملائكة آنئذٍ أن هذا المخلوق الذي تمتزج فيه الروح بالمادة، ويتقابل فيه العقل بالشهوة، ستطغى فيه المادة على جانب الروح، وستتغلب فيه الشهوة على العقل، فتكون النتيجة هي الفساد والعدوان. وتشير بعض الروايات ضعيفة السند، إلى أن موقف الملائكة هذا إنما جاء نتيجة ما شهدوه من وجود بشري سابق على الوجود الراهن، كان قد ملأ الأرض فسادًا وسفكًا للدماء. غير أن الله تعالى أخبر الملائكة، أنه بعلمه قد زود هذا الإنسان بالمعرفة التي تمكنه من الانتصار لعقله على حساب شهواته، حيث خاطبهم تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[سورة البقرة، الآية:٣١]، ومضمون ذلك أنه تعالى قد زود الإنسان بالعلم والمعرفة التي تمنحانه القدرة على الانتصار لعقله، وأن يقوي إرادته في مقابل شهوته ولذته.

أخطار العنف المجتمعي

لقد باتت البشرية تواجه، على نحو متزايد، أخطار العنف المجتمعي الداخلي. ويعود ذلك إلى الانحراف نحو إنتاج أدوات العنف والتدمير، باستغلال التقدم العلمي الذي شهدته البشرية في العصور المتأخرة، فأصبح خطر العنف خطرًا ماثلًا وكبيرًا، ويهدد المجتمع البشري عبر العالم.

ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن خطر النزاعات والحروب بين الدول، وإنما عن العنف الذي بات ينخر المجتمعات البشرية من داخلها، وليس بعيدًا عن ذلك ما نسمعه بين الحين والآخر من إقدام شخص في الولايات المتحدة على فتح النار على مجموعة من الأشخاص في مدرسة أو نادٍ أو مقهى ليردي ويصيب عددًا منهم.

فهل يعني تنامي العنف الداخلي في مختلف المجتمعات، أن الانسان قد فقد السيطرة على توازنه؟

كلا؛ ذلك لأن هناك تفاوتًا في سيطرة كل مجتمع على مستوى العنف الداخلي، فكلما امتلكت المجتمعات قانونًا صلبًا، ونظامًا رادعًا، وبيئة اجتماعية سليمة، كانت السيطرة على العنف فيها أفضل وأكثر تمكنًا. إن مجتمعاتنا العربية والإسلامية باتت تعاني من مشكلة العنف كسائر المجتمعات، إلا أن السيطرة على العنف الداخلي فيها أضحت أكثر صعوبة، نتيجة ضعف النظام، وتراخي حاكمية القانون، إلى جانب وجود بيئة اجتماعية تعاني من الخلل.

تنامي العنف في المملكة

إن مجتمعنا المحلي في المملكة بات يعاني من تنامي حالات العنف في السنوات الأخيرة. ذلك بالرغم من انتماء المملكة إلى المنظومة الإسلامية، وفيها انبثق نور الإسلام، وعلى أرضها نزل الوحي، ناهيك عن مجتمعها المحافظ، إلا أن ذلك لم يغير من الحال الشيء الكثير. لقد أصبح المجتمع يعاني من بروز ملحوظ لحالات العنف، ولعل أبرز ملاح ذلك، وقوع حوادث القتل نتيجة أدنى شجار، وارتكاب جرائم السطو المسلح التي يجري بعضها في وضح النهار، دون الإعلان عن القبض على مرتكبيها، حتى ضج الناس جرّاء انتشار هذا القدر من العنف على المستوى الوطني.

ومن ثم يأتي السؤال هنا؛ عن مدى قدرتنا، حكومة وشعبًا، على استيعاب ومواجهة هذا العنف، أم أننا دخلنا مرحلة إعلان عجزنا عن المواجهة؟

حقيقة الأمر، لسنا عاجزين عن المواجهة، غير أننا بحاجة لأن نسلك الطريق الذي سلكته المجتمعات الأخرى، تلك المجتمعات التي ينتشر فيها السلاح على نحو أكبر، ناهيك عن وجود المغريات المادية بشكل أوسع، ما يفترض به أن يشجع على العنف بلا حدود، غير أن تلك المجتمعات وفّرت الأرضية لسدّ الثغرات على طريق

معالجة العنف المجتمعي، كما استطاعت إرساء قانون فاعل ونظام رادع، وأجهزة إنفاذ القانون التي تحظى بالكفاءة والقدرات العالية، التي تمكنها من الحدّ من انتشار العنف، والوقوف على مسرح الجريمة في غضون دقائق.

في مقابل ذلك، لا تزال مجتمعاتنا تعاني ضعفًا في مواجهة العنف على مستويات مختلفة. فحينما يعتري البيئة الاجتماعية الخلل فإنها تصبح ولاّدة لحالات العنف والإجرام، ولعلّ إطلالة على التقارير الرسمية المنشورة، تكشف إلى أيّ مدى بلغ تنامي حالات العنف في مجتمعنا، بالرغم من أن هذه التقارير لا تحتوي إلا على الحالات المبلغ عنها رسميًا. في هذا الصدد، يشير تقرير وزارة الداخلية في إحصائية سنوية صدرت مؤخرًا، أن الاعتداءات المرتبطة بالحقوق الخاصة من قتل وتهديد وسرقة وانتهاك أعراض بلغت في غضون سنة واحدة نحو ١٠٤,٦٤٤ قضية، وكان نصيب مدينة الرياض منها نحو ٢٦,٩٦٩ قضية، وشمل ذلك قضايا السرقة والنشل والسطو المسلح وقطع الطريق والاحتيال وغير ذلك، أما نصيب المنطقة الشرقية فكان نحو ١٠,٠٣٣ حالة من قضايا القتل والاعتداء والتهديد والانتحار وما شابه ذلك[١].

واستطرادًا، فقد تضمنت الإحصاءات المحلية والدولية حقائق مثيرة للقلق حول انتشار السلاح في المملكة. فقد نشرت الصحف المحلية الأسبوع الماضي إحصائية لافتة، حول تمكن السلطات الأمنية من ضبط محاولات تهريب ما يزيد على خمسة ملايين قطعة سلاح خلال العام ١٤٣٠هـ. وشملت الأسلحة المهربة كميات من المتفجرات وقنابل وقذائف هاون، وقذائف آر بي جي، وصواريخ مضادة للدبابات، وأسلحة خفيفة ومتوسطة[٢]، فإذا كانت هذه كمية المضبوطات، فكم يا ترى تبلغ الكمية التي استطاعت النفاذ للسوق المحلية!. ودوليًا أشارت منظمة مسح الأسلحة التي تتخذ من سويسرا مقرًا لها، والمتخصصة في رصد انتشار الأسلحة الصغيرة،

(١) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ الإثنين ٠٣ سبتمبر ٢٠١٢م.

(٢) جريدة الجزيرة الصادرة بتاريخ الثلاثاء ١٣ شعبان ١٤٣٣، العدد ١٤٥٢٣.

أشارت في تقرير إلى أن المملكة جاءت ضمن مقدمة المستوردين للأسلحة الخفيفة الذين بلغت قيمة مشترياتهم ١٠٠ مليون دولار أمريكي على الأقل إلى جانب الولايات المتحدة وبريطانيا[١]!.

وفي السياق، أورد تحقيق نشرته صحيفة الرياض في ٢٣ اكتوبر ٢٠٠٩، أن نسبة استخدام السلاح الأبيض، بلغت ٦٤ بالمئة خلال المشاجرات الطلابية وحدها!، وأن أكثر من ٣٠ بالمئة من المتورطين في تلك الحوادث يتعرضون لإصابات، وبحسب التقرير تُعدّ الأسلحة البيضاء، من قبيل السكاكين والخناجر والعصي الغليضة «العجرات» من الأسلحة التي تلاقي رواجًا كبيرًا داخل الأسواق المحلية، ومحطات الوقود على الطرق السريعة، حيث يقبل الشباب على شراء مثل هذه الأسلحة من باب المباهاة والتفاخر، إلى جانب رخص ثمنها. ويشير تحقيق الصحيفة إلى أن هناك تجارة رائجة للأسلحة النارية بين الشباب في المملكة، مثل المسدسات والرشاشات، حيث يبلغ سعر الرشاش ما بين ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ ريال، فيما يتراوح سعر المسدس ما بين ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ ريال.

إن هذا القدر من انتشار السلاح بات يثير الرعب في أوساط المجتمع. فلم يعد يأمن المرء على نفسه وهو يقود سيارته، أو خارجًا من مصرف، أو حتى لو كان جالسًا في متجره، نتيجة انتشار أعمال السطو المسلح في وضح النهار، هذه الارتكابات التي لم تقتصر على المحلات الصغيرة والمنزوية، وإنما باتت تطال مجمعات ومخازن تجارية وأسواقًا كبرى!

التدابير اللازمة لمواجهة العنف

إن تنامي حالات العنف إلى هذا المستوى المثير للقلق يستدعي أن يطلق الجميع

(١) جريدة الاقتصادية السعودية الصادرة يوم الثلاثاء ١٠ شوال ١٤٣٣هـ. الموافق ٢٨ أغسطس ٢٠١٢ العدد ٦٨٩٦.

جرس الإنذار. وذلك من خلال اتخاذ العديد من التدابير المناسبة؛ وفي طليعتها أن تتحمل الدولة مسؤوليتها في حماية أمن الناس، فهذه هي المسؤولية الأولى للدولة، وليس هناك من مبرر، بل ومن غير المقبول التحجج بضعف الإمكانات الأمنية وعدم توفر القدرات اللازمة، فقد حبا الله بلدنا قدرًا هائلًا من الثروات، وإلى جانبها قدرًا متناميًا من البطالة وغياب فرص العمل وسط الشباب!، فلماذا لا يتخذ التدبير المناسب من أجل بسط سلطة القانون وسيطرة النظام وردع محاولات الاعتداء على الناس؟

كما أن من التدابير اللازمة للحدّ من العنف؛ فرض الرقابة الصارمة على أداء الأجهزة الأمنية المولجة بحماية الناس. ومرد ذلك إلى أن مختلف الأجهزة الأمنية في العالم معرضة للاختراق، من قبل الفاسدين وتجار المخدرات وأصحاب المصالح، وفي هذا الصدد يتداول الناس على نحو ملحوظ انتشار حالات الإفلات من العقاب لدى بعض المجرمين المقبوض عليهم في حوادث جرمية، تحت عناوين مختلفة من الإطلاق بكفالة أو البراءة، أو الحصول على عقوبة مخففة في أحسن الحالات!، الأمر الذي يدلّ على وجود التسيب الذي يصل ربما حدّ التواطؤ مع عناصر الجريمة في بعض تلك الأجهزة الأمنية، كما هو شأن العديد من الأجهزة الأمنية عبر العالم. من هنا ينبغي أن تكون هناك رقابة صارمة على أداء الأجهزة الأمنية.

وعلاوة على التدابير السابقة ينبغي جنبًا إلى جنب، إصلاح البيئة الاجتماعية. إن وجود الثغرات والخلل في البيئة الاجتماعية، هو مما يشجع على العنف والإجرام، من قبيل انتشار البطالة، وتنامي حالات الفقر، وانعدام وسائل الترفيه، التي تساعد على تصريف فائض الطاقة عند الشباب.

إن جميع هذه المشاكل التي تعتري البيئة الاجتماعية تُعدّ عوامل مساعدة على التوجه نحو العنف والعدوان. كما يأتي بالتوازي مع ذلك، ضرورة تكثيف الدور الثقافي، ودور العائلة التي ينبغي أن تتحمل مسؤوليتها كاملة، بأن تراقب وتستوعب أبناءها، وأن تفتح آفاق الحوار معهم، وأن تفتح العين على تصرفاتهم وعلاقاتهم

وصداقاتهم، فالعائلة مسؤولة عن هذا البعد على نحو أساس. كما أن المجتمع برمته مطالب بإنشاء المؤسسات واللجان، ومنظمات المجتمع المدني التي تستوعب الشباب، وترصد حالات الانحراف الاجتماعي، وتنامي حالات العنف، والتخطيط من ثم لمواجهتها، والعمل على الحدّ من منها، ذلك أن المسألة لم تعد تقتصر على إنشاء جمعية خيرية أقصى ما تهتم به هو دعم الفقراء والمحتاجين.

الإساءة للرسول ﷺ وزيف حرية التعبير عن الرأي

﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سورة الأنعام، الآية:١٠٨]

هنالك قناعة ضمنية لدى صاحب أيّ عقيدة بأنه يلتزم الحق ويتبع الصواب. ولو لم يعتقد المرء بحقانية عقيدته لما التزمها وترك باقي العقائد، وتبعًا لذلك فإنه يرى أن كل من يخالفه في العقيدة، دينًا أو مذهبًا أو نهجًا فهو على خطأ. ويتفاوت الناس في إعمال فكرهم وعقولهم إزاء مسألة التدقيق والبحث في صوابية عقائدهم، فالقلة القليلة من الناس من تفعل ذلك، وإلا فغالبية الناس عادة ما يفتحون أعينهم على هذه الحياة فيجدون أنفسهم بحكم النشأة ضمن مسار ديني معين، فيتخذونه نهجًا ويلتزمونه. غير أن السؤال الأهم هنا، هو عن كيفية تعامل الإنسان ـ المؤمن بأن دينه ومذهبه ورأيه هو الحق ـ مع أتباع الديانات والعقائد والآراء الأخرى، الذين يراهم على باطل ويعيشون الضلال؟

حسن التعامل مع المخالفين

إن الإنسان المؤمن معنيٌّ في المقام الأول بحسن التعامل مع المختلفين عنه في العقيدة. فلا يصح لهذا المؤمن أن يسيء للآخرين المختلفين معه عقديًا وفكريًا، ولا

يجوز له أن يظلمهم أو يتعدى على حقوقهم. ومردّ ذلك إلى ثلاثة أمور، أولها؛ أن الظلم والاعتداء أمر منبوذ ومحظور، يقول الله تعالى في هذا الشأن: ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[سورة البقرة، الآية:١٩٠] ذلك أن أصل الظلم والعدوان على الآخرين هو أمر محرم عند كل الأديان والعقائد والمبادئ، وهو ما يحكم به العقل والفطرة قبل ذلك.

أما الأمر الثاني الذي يلزم المؤمن تجنب الإساءة والظلم، فهو أن المؤمن مدعو باستمرار لإعطاء الآخرين الانطباع الحسن عن دينه وعقيدته. ذلك أن المؤمن أكثر ميلًا لجذب الآخرين لدينه وتوجهه، فهو ملزم اعطاء الناس أحسن الانطباعات عن عقيدته؛ لأن عقول الناس في عيونهم كما يقال، ولأن القلوب قد جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها. إذ من الخرق أن يتوقع المرء أن يقبل الآخرون منه شيئًا في الوقت الذي يكيل الشتائم إليهم.

أما الأمر الأخير في ضرورة تجنب الإساءة والظلم، فهو تفادي رد فعل الآخرين المعتدَى عليهم؛ لأن من طبيعة النفس البشرية الدفاع عن ذاتها، وأنها ساعة تواجه الاعتداء والإساءة تكون أكثر ميلًا للرد بالمثل، فإذا اتجه كل صاحب عقيدة إلى الاعتدء والإساءة للآخرين من أتباع العقائد الأخرى، وردّ عليه الآخرون بالمثل، فإن حياة البشر تتحول بذلك إلى صراع دائم وحالة احتراب لا تنتهي، وهذا ما لا يريده الله سبحانه وتعالى. يقول الإمام الباقر عليه السلام في هذا الشأن: «صلاح شأن الناس التعايش»[1]، فالله سبحانه يريد للناس أن يتعايشوا، أي على النقيض من حال النزاعات والحروب التي تقلب حياة البشر إلى جحيم لا يطاق، فلا يعود الناس قادرين على خدمة مصالحهم وحفظ استقرارهم وأمنهم.

(١) بحار الأنوار. ج٧١، ص١٦٧، حديث٣٤.

بين الأديان علاقة الحوار والاحترام

لذلك يرسي الإسلام قاعدة ثابتة تقوم على أساس ردع الإساءة في تعامل أتباع الأديان مع بعضهم بعضًا. إن من شأن أي كان أن يعتقد بأن عقائد وأديان الآخرين غير صحيحة، ورموزهم على غير الجادة، غير أنه لا يحق له أن يزدري الآخرين ولو بالمستوى اللفظي. وقد أرست الآية الكريمة هذه القاعدة في قوله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقد ذكر المفسرون في أسباب نزول الآية، أن بعض المسلمين كانوا يظهرون انزعاجهم عند رؤية الكفار يسجدون للأصنام والأوثان، فيقومون إثر ذلك بسب الأصنام وينالون منها بألفاظ نابية. هذه الأصنام ليس لها شيء من القداسة، لكنها في نظر المؤمنين بها تمثل مقدسات لا ينبغي المس بها. وحين يتجرأ المسلم على النيل من هذه الأصنام، فمن الطبيعي جدًا أن يندفع عبدة الأصنام إلى سبّ المقدسات الإسلامية، فينتج عن ذلك تكريس لسلوك وخلق سيء قائم على تبادل الشتائم والسباب.

إن العلاقة بين أتباع الأديان والعقائد ينبغي أن تكون قائمة على الحوار. وهذه العلاقة وفق المنطق القرآني، لا بُدّ وأن تكون علاقة دعوة بالحكمة والجدال بالتي هي أحسن، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[سورة النحل، الآية:١٢٥]، ويقول تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة العنكبوت، الآية:٤٦]، هكذا ينبغي أن تكون العلاقة بين أتباع الأديان وفق المفهوم القرآني. أما اعتماد أساليب الشتيمة والسباب فلا طائل من ورائها، وليت المتورطون في كيل الشتائم والسباب للآخرين يدركون أنهم بذلك إنما يستدرجون الآخرين لكيل السباب لهم والنيل من مقدساتهم ورموزهم هم. فكما عند البعض السنة سليطة تجيد النيل من الآخرين، فكذلك لدى الآخرين الشيء نفسه، كما يقول الإمام الشافعي:

لسـانك لا تذكـر بـه عـورة امـرئ فكلـك عـورات وللناس ألسـن

ولنا أن نتخيل شكل العلاقة السيئة بين أتباع الأديان والعقائد المختلفة، نتيجة السب والسب المضاد، عبر مختلف الوسائل!.

إن استفزاز الأطراف الأخرى بالنيل من مقدساتها ورموزها، سيدفعهم بالمقابل لممارسة الشيء نفسه. من هنا نفهم التوجيه الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، والمنع الإلهي من توجيه السباب للكفار، ليس لعدم استحقاقهم للسب، إلا أن كونهم مستحقين للسب شيء، وأن ينبري المؤمن لتوجيه السباب ويتسبب في تداعيات أخرى، هذا شيء آخر مختلف. فهل بيد المتبجح بسب رموز الآخرين والتطاول على مقدساتهم أن يمنع هؤلاء من التعرض إلى رموزه ومقدساته؟!. إن الله تعالى يحذر المؤمنين من أنهم إذا سبوا الأصنام فإن الآخرين سيتطاولون على الذات الإلهية المقدسة ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، أي إن اؤلئك الكفار سينبرون كذلك لسب الله تعالى لمجرد العصبية والاستجابة للتحدّي والاستفزاز.

إن لكل أمة مقدّساتها. وبغض الطرف عن مسألة الحق والباطل، لا تكاد توجد أمة ليس عندها مقدسات، يقول الله تعالى في هذا الشأن: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾، فكل جماعة تدافع باستماتة عن مقدساتها ورموزها، ولا تقبل المساس بها على أي نحو من الأنحاء.

وكما أن السباب أمر مرفوض بين الأديان المختلفة، كذلك الحال أيضًا بين مذاهب الأمة نفسها. ومما يذكر في هذا الشأن رفض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لجوء بعض أصحابه إلى كيل السباب إلى معاوية وأصحابه في صفين، حيث قال عليه السلام لأصحابه قولته الشهيرة: «اني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر»، وفي هذا يشير أمير

المؤمنين، إلى أهمية النقاش في الفكرة والرد على الرأي والبحث في الموقف، بحثًا علميًا موضوعيًا، عوضًا عن كيل الشتائم والسباب.

وتشير بعض النصوص الدينية إلى أن أعداء أهل البيت وضعوا أحاديث على ألسنتهم ﵈ بغرض التشنيع والانتقاص. فقد نقل الصدوق بسند صحيح عن إبراهيم بن أبي محمود عن الإمام علي بن موسى الرضا ﵇ أنه قال: «يا ابن أبي محمود، إن مخالفينا وضعوا أخبارًا في فضائلنا، وجعلوها على أقسام ثلاثة، أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذاسمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم سبّونا بأسمائنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾»[1].

حرية التعبير والإساءة للآخرين

إن هناك التباسًا قائم لدى البعض إزاء حق التعبير عن الرأي. فمن حيث الأصل يقف الدين الإسلامي موقف المؤيد لحرية التعبير عن الرأي، كما تؤكد على هذا الحق جميع المواثيق الحقوقية، غير أن حرية التعبير شأنها شأن باقي الحريات، التي تنتهي عند حدود حرية وحقوق الآخرين، فلا يحق لأي أحد أن يمارس حريته على حساب الآخرين، تمامًا كما لا يجوز دخول أحد متجرًا ليصادر سلعة تحت مزاعم ممارسة الحرية!، والحال نفسه حين يعمد أحدهم للنيل من مقدسات الآخرين تحت مزاعم الحرية في التعبير، فذلك سوء استخدام لمبدأ الحرية. إن التعبير عن الرأي حق معترف به، لكنه ينتهي عند حدود حقوق الآخرين، فلا يصح أبدًا أن يبرر الاعتداء والنيل من الآخرين تحت مزاعم ممارسة حرية التعبير عن الرأي، فذلك أمر مرفوض قطعًا، وغير مقبول لا على مستوى العلاقة بين الأفراد، ولا بين أتباع الأديان والمذاهب، ولا بين

---

(١) عيون أخبار الرضا ﵇، ج١، ص٢٧٢.

أصحاب التوجّهات المختلفة فكريًا وسياسيًا.

وينبغي التفريق تمامًا بين ممارسة حق التعبير عن الرأي، وبين الاعتداء على كرامة الآخرين، أفرادًا وجماعات. وعلى مستوى التوجهات الفكرية والسياسية والاجتماعية، فلا يكاد يخلو مجتمع من وجود الاتجاهات المتعددة، وهو ما يقود بطبيعة الحال إلى التنوع في مستوى الطرح والممارسة والعمل، وذلك ما يستتبع تاليًا النقاش المفتوح في تلك الطروحات، ولا غرو أبدًا في نقاش الأفكار وغربلة الطروحات، غير أن نقاش الأفكار شيء، وكيل السباب والشتائم والإساءة والتخوين والطعن في كرامة الآخرين ـ تحت مزاعم حرية التعبير ـ شيء آخر، وهو غير مقبول تحت أي ذريعة. إنه أشبه ما يكون بقيام أحدهم بصفع المارة في الشارع على وجوههم بدعوى ممارسة الحرية!.

مسلسل الإساءات لرسول الله في الغرب

وعلى غرار ذلك، يُعدّ إنتاج فيلم أو إصدار كتاب للنيل من شخصية عظيمة أمرًا أبعد ما يكون عن حرية التعبير. وضمن هذا السياق يمكن أن نفهم الضجة الكبيرة التي تجتاح العالم الإسلامي نتيجة الإساءات الموجهة للنبي محمد ﷺ، سواء كانت على هيئة فيلم مسيء كما انتشر مؤخرًا عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أو إصدار مكتوب أو رسومات كرتونية مسيئة. إن هذه التصرفات بمجملها تُعدّ إهانة كبيرة، وإساءة لا يمكن تبريرها لأعظم شخصية في تاريخ البشرية، بشهادة بعض المفكرين الغربيين أنفسهم. ولو كان الأمر مقتصرًا على كتابة مؤلف ينتقد الإسلام لما كان ذلك يعدو عن كونه ممارسة لحرية التعبير، أما أن يأتي مغرضون حاقدون لتناول أعظم شخصية يقدسها مليار وستمائة مليون إنسان على وجه الأرض، الشخصية التي صنعت أعظم تغيير في تاريخ البشرية، فيتناولونه بطريقة سمجة والنيل منه والإساءة إليه، فهذا التصرف الأخرق لا يمكن النظر إليه باعتباره ممارسة لحرية التعبير عن الرأي.

حقيقة الأمر، لا يوجد هنالك حرية مطلقة للتعبير عن الرأي حتى في دول

الديموقراطيات الغربية نفسها. إن الغرب لم يرخِ العنان لحرية لتعبير عن الرأي في كل الموضوعات، فهناك قوانين موضوعة للحدّ من حرية التعبير ضمن سياقات معينة ترتبط بمصالح تلك البلاد، فمن يا ترى يجرؤ على الحديث عن الصهيونية والصهاينة في الغرب، دون أن يقع تحت مقصلة قانون معاداة السامية، فيلاحق وتتخذ بحقه الإجراءات الفورية التي تطيح بمكانته مهما كانت مرموقة، وكم من مفكر وكاتب وصحفي تمت ملاحقتهم قضائيًا بتهمة معاداة السامية، لا لشيء إلا مجرد أن تساءلوا وشككوا في بعض تفاصيل المحرقة اليهودية في العهد النازي «هولوكوست»، دون أن ينكروا وقوع المحرقة من حيث الأصل!. فأين ذهبت ضمانات حرية التعبير عن الرأي في هذا المقام، ولنا أن نتساءل تبعًا لذلك، ما دامت حرية التعبير عن الرأي عند الغربيين مقيدة إزاء تناول بعض الموضوعات التاريخية المحضة، فلماذا عندما يصل الأمر للتعدي على الإسلام يترك الحبل على الغارب وتصبح هذه الحرية مطلقة دونما سقوف ولا جدران؟!

ردات الفعل بين الضبط والانفلات

لا شك أن كل مسلم يرفض رفضًا قاطعًا التعدي على مقام النبي ﷺ، إلا أننا ينبغي أن نظهر رفضنا لذلك بطرق حضارية. وفي الوقت الذي نتفهم كيف يعتصر قلب كل مسلم من الألم جرّاء الإساءات الموجهة لمقام النبي الأكرم ﷺ، لكننا نؤكد في الوقت عينه أن يكون التعبير عن رفضنا لتلك الإساءة، بعيدًا كل البعد عن ردات الفعل المنفلتة من عقالها، فلا يجوز أن يكون هناك سفك للدماء، وإزهاق للأرواح، واعتداء على الممتلكات والمال العام، تحت ذريعة الإعلان عن رفضنا للفيلم المسيء للنبي وغير ذلك من الإساءات. إننا ومن خلال ردات فعلنا غير المنضبطة إنما نقدم مادة دسمة للمتصيدين وأعداء الإسلام حتى يروجوا ما يريدون ترويجه من اتهامات بحق الإسلام والمسلمين.

وفي هذا المقام، ينبغي لرؤساء الحكومات والزعماء المسلمين أن يتحملوا مسؤولياتهم إزاء الإساءة لمقام النبي الأكرم ﷺ. فهؤلاء الزعماء الذين سرعان ما ينتابهم الغضب عندما تمسّ مصالحهم الشخصية، لماذا لم يظهروا أي رد فعل على الإساءة التي طالت مقام النبي، إلا بعد أن انتفضت الشعوب الإسلامية، ولو لم تتحرك الشعوب في احتجاجات غاضبة، فلربما لم نجد أي أثر لتحرك من هؤلاء الزعماء. إن من المهم جدًا أن يتحرك المسلمون على مستوى العالم في سبيل استصدار قرار أممي يحظر الإساءة للأديان والمعتقدات، ولا بُدّ من أن تسنّ القوانين المجرمة للإساءة للأديان، والمحرمة للتطاول والنيل من جميع الأنبياء والرسل؛ لأننا لا نقبل من حيث الأصل أن يكون تبادل الإساءات هو الأسلوب القائم بين أتباع الديانات والمذاهب والثقافات.

تتوقع الشعوب الإسلامية من حكوماتها أن تتخذ موقفًا من الحكومات الغربية لوضع حدٍّ للإساءات المتكررة للإسلام. وينبغي الإشارة هنا إلى أنه ما دام الانحياز الأمريكي والغربي قائمًا لصالح الكيان الإسرائيلي، وما لم تعالج بالعدل قضية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، فستظل أجواء العلاقة بين المسلمين والغرب متشنجة ومتوترة، فهذا الاحتلال هو السبب الأكبر لمشكلة الأمة الاسلامية مع أمريكا والغرب. ولن يأخذ أيّ حل لهذه القضية طريقه إلا إذا اتخذ الحكام المسلمون قرارات أساسية على هذا الصعيد، ومن ضمنها تقديم الدعم للمقاومة التي تجابه العدو الإسرائيلي، ودعم حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة على كامل ترابه الوطني، عدا عن ذلك سيظل العالم يعيش الاضطراب على خلفية هذه الأزمة وإلى وقت طويل، مما يصب المزيد من الزيت على نار أي قضية تحدث.

الخطبة الأولى

في معنى حب الأوطان

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «عمرت البلدان بحب الاوطان»[1].

إن حب الإنسان لوطنه يمثل حالة غريزية مودعة في النفس. وذلك نابع من حب الإنسان لذاته، فهو بذلك يحب الأشياء التي ترتبط بهذه الذات، ومن أبرز تلك الأشياء الأرض التي ينشأ فيها، ويتربى على رباها، ويعيش في ربوعها. ويبقى الحب والحنين لهذه الأرض قائمًا في نفس الإنسان، وقد وجد العلماء أن بعض الحيوانات تشترك مع الإنسان فيما يشبه هذه الخاصية، فهناك من الحيوانات ما تحن إلى أماكن نشأتها. ولعل مردّ حنين الإنسان إلى أرضه ووطنه؛ لما له فيها من ذكريات طويلة ترتبط بالنشأة وأيام الصبا، فيبقى مع مرور الزمن يحن إلى تلك المرابع التي عجنت طينته بها. وفي ذلك يقول الشاعر العربي:

وحبَّب أوطانَ الرجالِ إليهمُ ... مآربُ قضَّاها الشبابُ هنالكا
إذا ذكروا أوطانَهُم ذكَّرتهم ... عُهودَ الصبا فيها فحنّوا لذلكا

ومما يذكر في هذا الشأن أن العرب إذا غادر بعضهم أرضه في سفر، فإنهم يحملون معهم قبضة من تراب الأرض التي عاشوا فيها، يستنشقون ريحها، ويضعون شيئًا منها في الماء الذي يشربون، تعبيرًا عن مدى حبهم وحنينهم إلى الديار، وفي ذلك قال شاعر عربي آخر:

---

(١) تحف العقول، ص٢٠٧.

نسير على علم بكنه مسيرنا وغفة زاد في بطون المزاود
ولا بُدّ في أسفارنا من قبيضة من الترب ننشاها لحب الموالد

إن محبة الإنسان لوطنه أمر غير مرتبط بالطبيعة الجغرافية ولا المناخ أو التضاريس. إذ لا تحظى كل الأوطان بطبيعة غنّاء ساحرة، فقد ينشأ الإنسان في بلد فقير من الناحية الطبيعية، بلد صقيعي المناخ مثلًا، أو في بلد آخر تلفح وجهه فيه رياح السموم، لكن كلًا منهما يبقى منشدًا إلى بلده ذاك، وفي هذا يقول الشاعر:

بلادٌ ألفناها على كل حالة وقد يُؤْلَفُ الشيء الذي ليس بالحَسنْ
وتُسْتعذب الأرض التي لا هواء بها ولا ماؤها عذبٌ، ولكنها وَطَنْ

وقد كتب الجاحظ، الأديب العربي المعروف، رسالة تحت عنوان؛ رسالة الحنين إلى الأوطان، قال فيها: إذا كان الطائر يحنّ إلى أوكاره، فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه، ففطرة الرجل معجونة بحب الوطن.

إن الدين الإسلامي يستجيب لغريزة الإنسان في حبّه لوطنه ويوظفها توظيفًا إيجابيًا. وفي هذا الصدد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «من كرم المرء حنينه إلى أوطانه»، ولعل تفسير ذلك، أن من لا يحن إلى وطنه، فهو لا يخلو من اللؤم تجاه الأرض التي نشأ عليها، وعاش فيها وتربى في ربوعها. وهناك نصّ متداول في هذا السياق مفاده «إن حب الوطن من الإيمان»، إلا أن هذا النص لا سند معروفًا له لكنه ينسجم مع التوجهات الوجدانية في الدين.

ماذا يعني حب الوطن؟

ويبقى السؤال قائمًا، حول ماهية المعنى الجوهري لحب الوطن. وإجابة عن هذا السؤال، يلفت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ الأنظار، موجهًا حب الأوطان توجيهًا مهمًا، في قوله ﷺ: «عمرت البلدان بحب الأوطان»، ومضمون ذلك بحسب قول الإمام ﷺ إن الحب الحقيقي للوطن، هو الحب الذي يدفع باتجاه إعمار الوطن،

عن طريق التنمية وأعمال الخير. إن حب الوطن ليس مجرد قصيدة تلقى، ولا نشيدًا يكرر، أو علمًا يرفع، كما أنه ليس أيام عطلة تعطى بمناسبة اليوم الوطني فيفرح بها البعض، وليتهم يقضون هذه العطلة في ربوع بلادهم، للاطلاع على معالمها والمشاركة ضمن برامج ومهرجانات وطنية ترسخ في النفوس الانتماء والعلاقة ومع الوطن. إذ تشير الإحصاءات التي أوردتها الصحف هذه الأيام إلى توقعات بشأن عدد السعوديين الذين سيعبرون الحدود إلى مدينة دبي وحدها لقضاء عطلة اليوم الوطني بأن عددهم سيتجاوز ٥٠٠ ألف سائح، وأن مجموع ما سينفقه هؤلاء سيفوق ٧٠٠ مليون دولار[١]. إن حبّ الوطن لا يتحقق من خلال هذه المظاهر، وإنما يتحقق بوجود سياسة لإعمار الوطن.

ولم يعد الوطن يقتصر على البلدة أو المنطقة التي ولد ونشأ فيها الإنسان كما كان متعارفًا في السابق. فقد أصبحت الأوطان في العصور الحديثة عبارة عن كيانات سياسية، تتكون من ثلاثة أركان أساسية، هي: الأرض والشعب والنظام، وأصبح يطلق على هذه الكيانات مصطلح الأوطان، التي ينتمي كل مواطن في عالمنا إلى أحدها، وتكون مصالح وانتماء أي إنسان ملتصقًا بهذا الوطن.

التباسات في مفهوم الوطن والمواطنة

غير أن هناك جملة من الالتباسات في مفهوم الوطن والمواطنة في منطقتنا العربية. ومردّ ذلك إلى حداثة المفهوم نفسه، الأمر الذي ألقى بدوره ظلالًا على علاقة الناس بأوطانهم. فهناك التباس سياسي، جرى بموجبه تحجيم الوطن في حدود السلطة الحاكمة، فأصبح حب الوطن والتعلق به والولاء له، لا يعني في أذهان البعض سوى الحب والتعلق بالسلطة الحاكمة في ذلك الوطن، وهذا تحجيم مخل!. فهناك عبر العالم عشرات الملايين من المعارضيين السياسيين للسلطات الحاكمة في بلدانهم،

(١) elaph.com/Web/news/2012/9/762801.html

حيث باتت المعارضة السياسية ركنًا من أركان الحياة السياسية في مختلف البلدان، لكن المعارضة لا يعني بأيّ حال انتفاء حب الوطن، فمعارضة السلطة شيء والولاء للوطن شيء آخر. إن من أعظم الالتباسات القائمة في هذا السياق هو تحجيم الوطن في السلطة الحاكمة، بل وحصر الوطن بمجمله في شخص الرئيس أو الزعيم، كما كان يجري مع الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين أو الزعيم الليبي معمر القذافي.

ومن الالتباسات الشائعة أيضًا، الاحتكار العنصري للوطن. وذلك من خلال اعتبار الوطن حكرًا على فئة إثنية أو دينية أو مذهبية معينة، فتنبري هذه الفئة ـ وقد تمثل الأكثرية ـ باحتكار الوطن برمّته فيها، والتعامل معه وكأنه داخل ضمن أملاكها، وهذا ليس صحيحًا. فثروات وتراب الوطن محل شراكة لجميع المواطنين. وهذه الشراكة تترتب عليها شراكة في الحقوق والواجبات، حتى يصبح الوطن هوية جامعة، ينتمي إليها الجميع على نفس الدرجة والمستوى.

إن التزام سياسة الإعمار والتنمية هي الركن الأكثر أهمية في التعبير عن حب الوطن. وهذا ما يدخل ضمن صميم مسؤوليات الدولة من حيث الأصل، كما أن من مسؤولية المواطنين أن يُنجحوا السياسات التنموية في بلادهم، عدا عن ذلك، لا طائل من وراء التغني بحب الوطن في ظل غياب للسياسات التنموية والبناء الحقيقي للوطن. إن من المؤسف حقًا أن بلداننا العربية والإسلامية التي حباها الله إمكانات وثروات طائلة منذ عقود، لم تتجاوز حتى الآن مرحلة إنجاز البنية التحية!، فلا تزال بلداننا تعاني من شح المطارات والموانئ والطرق السريعة، كما لا تزال تعاني من مشاكل حقيقية على مستوى الصحة والتعليم. فكيف يا ترى يتحقق حب الناس لأوطانهم على النحو المناسب، وهم ما يزالون محرومين من أبسط الاحتياجات والبنى التحتية التي تلبي متطلبات معيشتهم، وتحفظ كرامتهم.

وتشير النصوص الدينية إلى أن تعزيز حب الوطن مرتبط بحفظ الكرامة، وإعطاء المواطن حقه في وطنه. جاء في حديث مروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا خير في... الوطن إلا مع الأمن والسرور»[١]، ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام «اللهم وأعطني السعة في الرزق والأمن في الوطن»[٢]. فمع تحقق الأمن والسعة في الرزق يغدو من البدهي أن تتعزز علاقة الإنسان بوطنه، فيتجاوز بذلك الحالة الغريزية في حبه لوطنه، إلى مستوى القناعة الفكرية والسلوكية، وروي في هذا الصدد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ وَ الْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ»[٣].

من هنا، لا بُدّ وأن تكون هناك سياسة واضحة لإعمار الوطن، بالتوازي مع ثقافة لإعمار الوطن بالمحبة. فلا خير في وطن تشيع فيه ثقافة الكراهية، وتحريض المواطنين على بعضهم. إن وطنًا تشيع فيه الكراهية لا يمكن أن يجد طريقه إلى البناء. إن من يحب الوطن فلا بُدّ وأن ينشر ثقافة المحبة بين أبناء وطنه، بغرض تحقيق التكاتف والتلاحم والوحدة، وحتى لا تكون بينهم ثغرات ينفذ منها أعداء الوطن. وهذا تحديدًا ما يدفع الحكومات التي تدرك حقيقة الوطن والمواطنة، باتجاه نشر ثقافة المساواة والاندماج الوطني، ومنع أيّ وسيلة من وسائل التحريض بين المواطنين. ونحن في غمرة الاحتفاء بذكرى اليوم الوطني للبلاد، وإذ نجدد التذكير بمفهوم حب الوطن، باعتباره مفهومًا فطريًا إنسانيًا يؤكده الشرع، نطالب بأن يتجاوز حب الوطن والولاء له، مستوى المظاهر الخارجية، إلى الاهتمام بإعمار الوطن، وبناءه وفق سياسات تنموية جادة، بالتوازي مع نشر المحبة بين أبنائه كافة ليكونوا صفًا واحدًا في حماية وطنهم والدفاع عن سيادته واستقلاله.

(١) بحار الأنوار. ج ٧٤، ص ٥٨.
(٢) مصباح المتهجد، ص٥٩٥.
(٣) نهج البلاغة. حكمة ٥٦.

تضليل الذات

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة فاطر، الآية:٨]

هناك من يعمل السوء ويرتكب الخطأ وهو لا يعلم أن ما فعله خطأ يجب اجتنابه، وهذا الإنسان قد تحلّ مشكلته بالمعرفة بأن يبين له الخطأ الذي ارتكبه.

وهناك من يعمل السوء وهو يعلم أنه سوء وخطأ، وإنما ارتكبه بسبب ضعف إرادته وغلبة شهوته، وهذا الإنسان يمكن أن يعالج بما يساعد على تقوية إرادته وتزكية نفسه.

وهناك حالة ثالثة أسوأ من الحالتين السابقتين وهي أن يعمل الإنسان سوءًا، ثم يقنع نفسه أن ما عمله كان خيرًا، ويبرر لنفسه أن السوء الذي ارتكبه لم يكن سوءًا وإنما هو عمل صالح، هذه الحالة من أسوأ حالات الخطأ وارتكاب المساوئ.

حينما يرتكب الإنسان الخطأ وهو لا يعلم فإن مشكلته واضحة، وحينما يرتكب الإنسان السوء هو يعلم، لكنه يقول سوّلت لي نفسي يرجى له أن يصلح حاله، ولكن حينما يرتكب الإنسان عملًا سيئًا ثم يقنع نفسه أن هذا العمل حسن، هذا الإنسان غالبًا ما يصرّ على مسلك السوء، وعلى عمل الفساد، تحت عنوان إنه عمل صالح مقبول، وهذا ما تشير له الآية الكريمة ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ وهو نوع من تضليل الذات،

وخداع النفس، وتبرير الخطأ، وهذا أسوأ شيء، لذلك يعقّب الله تعالى بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فمثل هؤلاء الناس الذين يسيرون في طريق تبرير المعاصي يضلهم الله؛ لأنهم يسيرون في طريق ينتهي بهم إلى الضلال حتمًا، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ لأن الإنسان الذي يسير في طريق الصلاح، فإن الله يهيئ له الهداية والرشاد، ثم يخاطب الله نبيه ﷺ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ فالذين يرتكبون السوء ويقنعون أنفسهم أنهم يعملون خيرًا، هؤلاء يكابرون ويصرون على مواقفهم.

من صور خداع الذات

هذه الحالة من أسوأ الحالات التي يمكن أن تصيب الإنسان، ولها صور ومظاهر:

ومن صورها أن يرتكب بعض المساوئ بدافع شهوة ورغبة، لكن ضميره يعاتبه فيسعى إلى إسكات صوت ضميره من خلال الخداع حتى يتخلص من التوبيخ الداخلي.

وهناك مظهر آخر وهو أن البعض يبرر أعماله السيئة بأنها أقل سوءًا من بعض الأعمال الأخرى، فيصوّر موقفه بين خيارين لا ثالث لهما، وكلاهما سيئ، فيبرر ارتكاب أحدهما بوصفه أقل سوءًا من الآخر، وهذا غير صحيح، فإن الأفضل ترك كلا الخيارين، وسلوك طريق ثالث في الصواب والصلاح، بعض الشباب الذين لا تسمح لهم الظروف بالزواج فبدلًا من أن يبتعد عن الحرام، ويسلك طريقة العفة، نجده يمارس بعض الأعمال الحرام، كاستخدام العادة السرية، ويبرر لنفسه بأن ذلك أفضل من انتهاك أعراض الناس، وهذا منطق مغلوط؛ لأن الحرام حرام، وإن كان متفاوتًا في الدرجات، إلا أن الإصرار على الذنب وإن كان صغيرًا يجعله كبيرًا.

ومن مظاهر هذه الحالة أيضًا التبرير بأن الغاية الحسنة تبرر العمل السيئ، فبينما هو يسعى لغاية نبيلة يستعين في تحقيقها بعمل ووسيلة سيئة، في الوقت الذي يدرك فيه أنه استعان بالخطأ يسكت ضميره بالقول إن هدفه كان نبيلًا، ولكن يغفل عن أن الله لا يطاع من حيث يعصى، والغاية لا تبرر الوسيلة أبدًا، وفي أي ظرف من الظروف، لأن

الوسيلة جزء من الغاية، فإن كانت الغاية حسنة فينبغى أن تكون الوسيلة أيضًا حسنة، ولا يحق لك من أجل غاية حسنة أن تسلك مسلكًا خطأً، وكثيرًا ما يواجه الإنسان مثل هذا الأمر.

فمثلًا أحدهم يريد أن يدرك صلاة الجماعة في المسجد، وهي غاية حسنة، لكن أمامه طريقين: طريقًا قريبًا إذا سلكه يدرك أول الصلاة، يمرّ على أرض مغصوبة، وطريقًا آخر بعيدًا إذا سلكه تفوته الصلاة أو جزءٌ منها، هل يصح له أن يسير في الأرض المغصوبة لإدراك صلاة الجماعة؟ طبعًا لا يجوز؛ لأنه لا يطاع الله من حيث يعصى، وكذلك فإن الوضوء مطلوب وواجب لكنه لا يصح بالماء المغصوب، وهكذا في مختلف المجالات.

من مظاهر هذه الحالة أن الإنسان يكون له موقف ورأي، ويعتقد أن موقفه حق، ولكن يتوسّل من أجل نصرة رأيه بانتهاك شخصيات وأعراض الآخرين، فيكتب ضد هذا مشوهًا سمعته، ويتهم آخر كذبًا وزورًا معتبرًا أن كل ذلك مبرر لأنه صاحب موقف، يرى نفسه مثلًا مجاهدًا ثوريًا فيتهجم على من يخالفه في الموقف، ولا يرى له كرامة، وهذا ينطبق عليه أيضًا إن الله لا يطاع من حيث يعصى، صحيح أن الله يريد من العبد أن يكون مجاهدًا ينصر الحق ويعمل من أجل نصرة الدين وحقوق الناس، لكن عبر طريق الحق لا طريق انتهاك حرمات الآخرين، وتشويه سمعتهم، إن ذلك ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾.

على الإنسان ألّا يخدع نفسه ويضلل ذاته، فإن الله لا يطاع من حيث يعصى، والغاية لا تبرر الوسيلة، وعلى كل إنسان أن يكون يقظًا لأن الشيطان يدخل من مداخل شتى ليخدع الإنسان، فعليه أن يكون فطنًا حتى لا يقع في هذه الفخاخ .

الخطبة الأولى

اليوم العالمي للمسنين

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[سورة الروم، الآية: ٥٤]

حياة كل إنسان تبدأ بالطفولة وتصل أخيرًا إلى مرحلة الشيخوخة، وكلا المرحلتين تعبران عن حالة الضعف عند الإنسان، فالحياة الطبيعة للإنسان تنطلق من مرحلة ضعف وتنتهي إلى مرحلة ضعف، وما بينهما حالة القوة والنشاط، وهي المدة التي يستثمر فيها الإنسان وجوده، ويحدد فيها نمط حياته، ويختار فيها مستقبله.

والإنسان في مرحلة البداية يحتاج إلى رعاية تتطلبها مرحلة الطفولة، وكذلك في النهاية يحتاج إلى رعاية خاصة تقتضيها الشيخوخة، ومن المعلوم أن فرص الرعاية للإنسان في مرحلة الطفولة أوفر من فرص الرعاية في مرحلة الشيخوخة والكبر:

أولًا: في مرحلة الطفولة يكون الإنسان في احضان العائلة، ترعاه عاطفة الأمومة والأبوة، فيغدقان على الطفل الرعاية والعناية والاهتمام، أما في مرحلة الشيخوخة والكبر، ليس هناك هذه العاطفة التي يعيش الإنسان في حضنها وفي كنفها.

ثانيًا: الطفولة لها جاذبيتها التي تجتذب القلوب، أما في مرحلة كبر السن ليس للإنسان هذه الجاذبية، بل قد يكون العكس، ففي مرحلة الشيخوخة توجد

في الإنسان بعض الصفات الثقيلة على من حوله.

ثالثًا: في مرحلة الطفولة هناك آمال معقودة عليه، وهذه الآمال تدفع للعناية والاهتمام به، لكن الإنسان في مرحلة الشيخوخة ماذا ينتظرون منه، وقد أصبح في خريف العمر، وانتهت فرصته في هذه الحياة.

هذه الفوارق تجعل فرص الرعاية للإنسان في طفولته أوفر منها في شيخوخته، لذلك أكد الإسلام الاهتمام بالإنسان في هذه المرحلة، بحيث لا نجد مثل هذه التأكيدات في مرحلة الطفولة، وإن كان هناك توجيه بالاهتمام بالأطفال، لكن هناك تأكيدًا أكبر على رعاية الإنسان في مرحلة الشيخوخة، النصوص التي تدعو للاهتمام بكبار السن كثيرة، نستعرض بعضها ونحن نمرّ في هذا الاسبوع باليوم الدولي للمسنين، الذي أقرته الأمم المتحدة وهو الأول من اكتوبر من كل سنة، يكون فيه استحضار لقيمة هذه الشريحة في المجتمع وضرورة الاعتناء بها.

احترام كبار السنّ

هناك نصوص تؤكد احترام كبار السن بشكل عام، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تعظيم الله عز وجل إجلال ذي الشيبة المؤمن»[1]، فقد جعل الرسول ﷺ إجلال الشيبة مظهرًا من مظاهر إجلال الله تعالى. وقال ﷺ لأنس: «وقّر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة»[2]، وعنه ﷺ: «من وقر ذا شيبة لشيبته آمنه الله عزّ وجلّ من فزع يوم القيامة»[3]، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ارحم من أهلك الصغير ووقّر منهم الكبير»[4]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «عظموا كباركم وصلوا أرحامكم»[5] هذه

(١) ثواب الأعمال. ص١٨٩.
(٢) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٦، ص ٢٣٩.
(٣) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٦، ص ٢٣٩.
(٤) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٦، ص ٢٤٠.
(٥) الكافي. ج ٢، ص ١٦٥، حديث٣.

النصوص ونصوص أخرى تؤكد أهمية احترام كبار السن، ورعاية المسنين، وخاصة في داخل الاسرة.

نعيش الآن في زمن أصبحنا فيه بأمسّ الحاجة لتأكيد هذا الموضوع، فنمط الحياة وظروف العيش قد تبدلت، وأصبح لذلك تأثير على تركيبة الأسرة، سابقًا كان الأب يعيش مع أولاده في بيت واحد، فإذا كبر وشاخ فهو بين أولاده، أما الآن ففي الغالب إذا كبر الوالدان يعيشان في بيت بمفردهما، وقد لا تتوفر لهما الرعاية المطلوبة، وإذا توفر لبعضهم إمكانات استعانوا بشغّال أو شغّالة للاهتمام بهما، ومن المؤكد أن حاجة الكبار ليس فقط حاجة مادية، فالكبير يريد أن يشعر بقيمته واحترامه، لذلك على الأسرة أن تبذل ما تستطيع من جهد لرعاية الوالدين، ويكفينا ما قال الخالق تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[سورة الإسراء، الآية: ٢٣] إننا بحاجة لتأكيد ضرورة اهتمام الأسرة بالوالدين وذلك:

أولًا: وفاءً لهما لما بذلاه من جهد في رعاية الأولاد، فمن باب ردّ الدين على أقل تقدير، يجب الوفاء لهم عند حاجتهم للمعونة والمساعدة المادية والمعنوية.

ثانيًا: أن في ذلك ضمانة لمستقبلك لأنك ستصل إلى هذه المرحلة التي وصل لها والداك، فإذا قمت بواجب الرعاية تجاههما فإن الله سبحانه يهيء لك من يقوم برعايتك عند شيخوختك، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «بروا آبائكم يبركم أبناؤكم»[١] وهذا أمر واقعي، فحينما يرى الولد أن الأب يقبل يد وجبين والده، ويهتم به ويرعاه، تنغرس في نفس الولد هذه العادات.

ثالثًا: ما يرجوه الإنسان من ثواب الله كما تحدثت عنه النصوص.

---

(١) الكافي. ج٥، ص ٥٥٤، حديث٥.

البرامج الاجتماعية لرعاية المسنين

نحتاج إلى ثقافة عامة في المجتمع، تهتم باحترام كبار السن بوصفهم شريحة مهمة، وقد تتمظهر هذه الثقافة بمظاهر متعددة حسب اختلاف العادات والتقاليد.

كم هو جميل أن ترى الشباب يبادرون لاحترام الكبير عندما يدخل إلى مجلس، أو حينما يمشي في الشارع، أو حينما يحتاج إلى مساعدة، هذا الاحترام إذا تأكد في المجتمع فإنه يعني الحيوية الاجتماعية، ويعني الضمان لمستقبل الأجيال القادمة.

إن التحقيقات تشير إلى أن عدد المسنين قد ازداد في العالم، ويتوقعون في سنة ٢٠٥٠ أن يصبح عدد المسنين في العالم أكثر من الأطفال؛ لأن الرعاية الصحية تحسنت، وقلت نسبة الوفيات، فازداد عدد المسنين، وفي سنة ٢٠١٠ بلغ عدد المسنين في العالم ما يزيد على ٦٠٠ مليون إنسان، وكل هذه الأعداد تحتاج إلى رعاية واهتمام، مما يحتم وجود مؤسسات تهتم بذلك على مستوى الحاجات المادية والمعنوية، لكي لا يشعر المسنون بالعزلة.

ومن الملاحظ في مجتمعاتنا وجود ثقافة تحجّم دور كبار السن، وقد يحكم البعض على نفسه أنه أصبح كبيرًا، وانتهى دوره بمجرد بلوغه سن التقاعد، وهذه ثقافة خاطئة، فالإنسان بمقدار ما يتحرك تكون له فاعلية، ويكون وضعه أفضل، لذلك قالوا إن المسألة ليست إضافة سنوات للحياة، وإنما الأهم إضافة حياة للسنوات، في البلدان الأخرى ترى كبار السن يمارسون الرياضة أول الصباح في الحدائق وكأنهم شباب في مرحلة الحيوية والنشاط، فبإمكان الإنسان أن يثري المجتمع بحيويته ولا يحكم على نفسه بالنهاية؛ لأنه صاحب تجارب وخبرة، وعنده نفوذ في نفوس أبنائه ومن حوله، والمجتمع عليه أن يتيح الفرص لمثل هؤلاء، بأن تكون هناك مؤسسات تستوعب هذه الشريحة، والحمد لله في بلداننا المجالس الدينية والمناسبات الاجتماعية صارت متنفسًا للكبار من الرجال والنساء، لكن هذا وحده لا يكفي، يجب أن تكون هناك مؤسسات لحفظ لحقوقهم وتوفير احتياجاتهم، فينبغى أن نهتم بهذا الأمر ونحوله إلى ثقافة وبرامج في المجتمع .

الحزم في مواجهة الفساد

كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لمالك الأشتر في عهده له قال: «ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدًا فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة و قلدته عار التهمة»[1]

أولت التعاليم الإسلامية أهمية كبرى لمسألة مراقبة العمال والولاة المولجين برعاية شؤون الدولة العامة. فعلى خلاف الحرمة المشددة للتجسس على الأفراد في شؤونهم الخاصة، تذهب النصوص الدينية إلى الحثّ على تعيين المراقبين لمراقبة صنفين من الناس: الصنف الأول هم الأعداء الذين يضمرون الشر، ويتحينون الفرصة للانقضاض على ديار المسلمين، أما الصنف الثاني فهم العمال والولاة والموظفون في الدولة الاسلامية نفسها. فالمراقبة المشددة أمر أساس ومطلوب على الأداء الوظيفي العام للعمال، دونما أي تدخل في شؤونهم وممارساتهم الشخصية غير المرتبطة بوظيفتهم العامة.

(١) نهج البلاغة. كتاب ٥٣.

مبررات الرقابة على الموظفين

إن مسألة المراقبة للموظفين العامين لا علاقة لها بمسألة حسن الظن المأمور به دينيًا ضمن العلاقات الاجتماعية. ذلك أن حسن الظن بالناس أمر مطلوب في العلاقات الاجتماعية، وفي هذا السياق ترفض التعاليم الدينية رفضًا قاطعًا التجسس على الناس وتتبع معائبهم وعثراتهم، وإنما تأمر بالتعامل على أساس الثقة، يقول تعالى في هذا الشأن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾. غير أن التعاليم الدينية نفسها لا تقيم اعتبارًا لمسألة حسن الظن فيما يتعلق بعمل وأداء الموظف ضمن أجهزة الدولة العامة، وإنما على النقيض من ذلك؛ يأمر الإسلام بأن يكون هناك تجسس ومراقبة دقيقة على الموظفين في أدائهم لأعمالهم الوظيفية العامة. وقد ورد في السيرة النبوية أن رسوال الله ﷺ كان إذا بعث جيشًا فأمّهم أمير، بعث معهم من ثقاته من يتجسس له أمره. ومقتضى ذلك أن المراقبة والتجسس على موظفي الخدمة العامة، ليس أمرًا جائزًا وحسب، وإنما هو أمر تنظيمي ينبغي للدولة وضع الآلية المناسبة له، ولا مدخلية لحسن الظن في هذا الصدد.

وهناك دوافع واقعية تقتضي وضع الرقابة على موظفي الخدمة العامة. ويقع على رأسها، ما توفره الوظيفة العامة، والرفيعة منها بوجه خاص، من شعور بالقدرة والحصانة والسلطة التي تغري الموظف على الجنوح نحو الفساد، ما لم يكن خاضعًا للرقابة الجادة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾، فالإنسان ميّال للتعسف ما لم يكن هنالك رادع يردعه عن التجاوز والظلم.

كما أن من دواعي وضع الرقابة أيضًا، هو ما يحتله الموظفون العامون، الكبار منهم خاصة، من موقعية خطيرة جدًا، فهؤلاء هم الجسور الواصلة بين القيادة والشعب، فماذا سيجري إذا كان الجسر مقطوعًا أو فاسدًا، بالطبع سيغيب هنالك التوافق والرضا بين القيادة والشعب. وقد رأينا خلال ثورات الربيع العربي مدى التأثير الذي كان تركه الوزراء والموظفون والأعوان المحيطون بالحكام، من تأجيج لغضب ونقمة

المواطنين الثائرين نتيجة الفساد وسوء الإدارة، علاوة على فساد الحكام أنفسهم.

إن الحكام هم من يتحملون المسؤولية الأولى عن جميع حالات الفساد التي تضرب البلاد. وفي هذا الشأن ليس من المستساغ إلقاء المسؤولية عن جميع أشكال الفساد التي تنخر البلاد على أكتاف الحاشية؛ لأن في ذلك تبرئة ضمنية، وفي غير موقعها للحكام، فضلًا عن أن التعاليم الدينية تلقي بالمسؤولية الأولى والأساسية على عاتق الحاكم نفسه قبل أي أحد آخر، إزاء فساد عماله وموظفيه.

لقد ضرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مثلًا رائعًا في سنّ آلية الرقابة والمحاسبة على أداء الولاة والعمال. ومن ذلك ما جاء في عهده لمالك الأشتر عندما ولّاه أمر مصر، حيث قال عليه السلام: «تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حذوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة، اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهدًا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلّدته عار التهمة»، ومضمون ذلك، أنه إذا تم إسناد المسؤولية لأشخاص، فلا ينبغي أن يترك لهم الحبل على الغارب، وإنما ينبغي متابعة أعمالهم، ووضع المراقبين الصادقين على رؤوسهم.

متابعة الذمّة المالية للمسؤولين

ومن أجمل سبل المراقبة الحديثة، ما يجري في الدول المتقدمة، من طلب تقديم تقرير بالذمة المالية، على جميع المرشحين لتولي المناصب العامة الكبرى. وذلك بغرض الوقوف على الوضع المالي للمرشح، قبل توليه الوظيفة وبعد مغادرة منصبه، في سبيل حماية المال العام من أي فساد محتمل. ولا يمكن القطع بغياب الفساد تمامًا في تلك البلاد المتقدمة، ولسنا نفترض هنا أن الواحد منهم يتّسم بالورع والتقوى التي تحجزه عن الفساد المالي، غير أن الفاسدين أنفسهم يعلمون قبل غيرهم أن هناك من

المراقبين الكثر ممن يتربص بهم، فهناك العشرات من وسائل الإعلام التي تتصيد أخطاء السياسيين والموظفين العموميين، إضافة إلى الأحزاب المنافسة التي تتعقب وتراقب وتفضح أي شكل من أشكال الفساد في الأداء العام للحكومة. في مقابل ذلك، طالما رأينا في بلادنا العربية والإسلامية، كيف يتسنم موقع وظيفة من لا يملك شيئًا، ولم يرث من أبيه مالًا ولا أملاكًا، وإذا به يتحول في غضون سنوات قليلة إلى أحد الملاك الكبار الذين تفيض حساباتهم بالأموال والعقارات، والسؤال: من أين حصل على كل ذلك؟! أوليست هذه أموال العباد وثروة البلاد. ومرد ذلك إلى أبواب الفساد المفتوحة على مصراعيها أمام أمثال هؤلاء، فلا رقابة عامة تذكر، ولا إعلامًا حرًّا، ولا قضاءً نزيهًا، ولا أحزاب متنافسة يمكن أن تبسط رقابتها على أداء الحكومة، فمن أين يتأتى مكافحة الفساد؟!

إن مكافحة الفساد لن تأخذ طريقها إلى أرض الواقع إلا من خلال وضع الأطر والقوانين والمؤسسات الرقابية والقضاء النزيه. عدا عن ذلك لن يجري الحد من الفساد عن طريق المواعظ الدينية والدعاء، وما عسى أن تفيد المواعظ في لجم وتأديب الفاسدين، أولًا يعلم هؤلاء أنفسهم أنهم بفسادهم يرتكبون الحرام حتى يحتاجون للموعظة!، سيما وقد مرّ علينا مرارًا كيف تورط في الفساد المالي من هم من قلب المؤسسة الدينية والقضائية في البلاد، ممن لو طلب منهم إلقاء موعظة في الفساد لما سبقهم إلى ذلك أحد! غير أن خلف ذلك يقف جبل من الفساد، والحق أن تلك من طبيعة البشر. إن إلقاء المواعظ والإرشاد الديني يبقى أمرًا مطلوبًا، غير أنه لن يكون له أثر في ظل غياب الأطر والقوانين، وقيام المؤسسات الرقابية، والقضاء النزيه، التي تقف بأجمعها في وجه الفساد.

وقد تضمن عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر الحث على محاسبة الفاسدين والمعتدين على المال العام حسابًا علنيًا عسيرًا. فقد وجه عليه السلام في عهده بأن يجري التعامل مع من أساء استخدام صلاحياته أو خان الأمانة ضمن أدائه العام، سواء عن

طريق تلقي الرشوة أو ما أشبه، وقد ثبت عليه ذلك من خلال المراقبين الرسميين، فإن للحاكم الشرعي أن يعاقب الفاسد تعزيرًا، وأن يشهر به علانية، ليدفع الفاسد ثمن الخيانة من سمعته ورصيده الاجتماعي، حتى يكون عبرة لغيره. وبخلاف ذلك، لن يجري استئصال الفساد متى ما جرى التعتيم على خيانة الفاسدين، وخلق المخارج لهم للهروب مما وقعوا فيه من فساد، فذلك ليس إلا مكافأة للفاسد على فساده.

مسؤولية القضاء وثغراته

ينبغي أن يتحمل القضاء المسؤولية كاملة في الكشف عن الفساد المستشري في مفاصل البلاد. وقد استبشر الناس خيرًا بإنشاء هيئة مكافحة الفساد، كما بدأنا نلحظ إحالة بعض الموظفين المتهمين بالفساد على التحقيق، ومن ذلك ما أوردته الصحف، من إحالة أكثر من ٣٦٠٠ موظف حكومي على التحقيق بتهم الفساد، وذلك ضمن ٢٥٤٩ قضية منظورة[١]، ومع عدم علمنا عن نسبة ما يمثله هؤلاء من مجمل المتهمين بالفساد، وما إذا كانوا من أصحاب المراكز الحيوية أم هم من صغار الموظفين، لكننا مع ذلك، ما نزال نطالب هيئة الرقابة والتحقيق وهيئة مكافحة الفساد، بالتزام الجدية في التعاطي مع قضايا هؤلاء المتهمين، من خلال المضي نحو تسريع البت في قضاياهم، وتجنب المماطلة ومحاولات لفلفة القضايا، التي ليس من ورائها إلا المزيد من بقاء وانتشار الفساد على نحو أكبر.

وفي هذا الصدد حفلت الصحف المحلية بأخبار الفساد التي باتت تزكم الأنوف والتي تورط فيها أصحاب مراكز رفيعة. حيث نقلت صحيفة عكاظ بتاريخ الجمعة ١٦/ ٠٨/ ١٤٣٣هـ الموافق ٦ يوليو ٢٠١٢ م، أن رجل أعمال ومهندسًا استشاريًا وأربعة قياديين في أمانة جدة ـ جرى التعتيم على هويتهم ـ جرت محاكمتهم في قضية رشىً مالية بلغت ٦٠ مليون ريال. وأوردت الصحيفة في العدد ذاته أنه تمت محاكمة

---

(١) جريدة الوطن السعودية الصادرة بتاريخ ٢٥/ ٦/ ٢٠١٢م.

عدد من كتّاب العدل، الذين تورطوا في تلقي رشىً لتطبيق صك أرض قيمتها ٦٠٠ مليون ريال تقع على طريق استراتيجي، بطريقة مخالفة، بمقابل مبلغ قدره ٢٠ مليون ريال تلقاه كاتب العدل. كما حوكم كاتب عدل آخر بتهمة الحصول على ١٥ مليون ريال لإفراغ صك غير نظامي، ومسؤول في منشأة حكومية قبض خمسة ملايين ريال لقاء تمرير مشاريع مخالفة. وهذه مشكلة حقيقية، أن ينخر الفساد في العاملين في محاكم شرعية، من قضاة وكتاب عدل، حتى بلغت السخرية أن يبرر أحد القضاة المرتشين فساده بأنه مسحور وأن الجنّ سيطرت عليه[1].

وفي السياق ذاته، أوردت الصحيفة أيضًا أن هيئة الرقابة والتحقيق مع المتهمين في كارثة السيول التي اجتاحت مدينة جدة، أثبتت تورط كاتب عدل في تلقي رشوة بلغت ١٥ مليون ريال، بعد أن حصل مسؤول على سبعة ملايين ريال مقابل توجيه كاتب العدل بانجاز المهمة هاتفيًا، وتسلم وسيط ثالث مبلغ ثلاثة ملايين ريال، وما يزال التحقيق جاريًا بشأن الاعترافات المنسوبة لكاتب العدل.

إن من المؤسف جدًا أن تكون حالات الفساد شائعة على نحو ملحوظ في مختلف الدوائر، وعلى كافة المستويات. فهذا ما بات واضحًا عند الناس، حتى بات كل من لديه قضية في محكمة من المحاكم يبحث عن سبل الوصول للأشخاص المتنفذين، لعل وعسى يجد من خلال أحدهم منفذًا لكسب قضية أو التملص من أخرى، والحال ذاته يجري مع أي دائرة رسمية أخرى، فقد أصبح موضوع الرشاوى موضوعًا عامًا وشائعًا، بل بات حالة «طبيعية» ضمن التركيبة الرسمية في البلد. وهذا تحديدًا من أسباب دمار الأوطان، وما انهارت الكثير من الدول إلا بعد أن نخر الفساد هياكلها الداخلية.

من هنا نطالب بالتزام أقصى درجات الجدّية في وقف ومحاسبة المتورطين في

(١) صحيفة عكاظ الصادرة بتاريخ الأربعاء ١٩/ ١١/ ١٤٣١هـ، ٢٧ أكتوبر ٢٠١٠ م، العدد ٣٤١٩.

قضايا الفساد. وأن تتحرك المحاكم قدمًا ودون إبطاء في إنجاز أعمالها، والبتّ سريعًا في قضايا الفساد، بالتعاون مع جميع الأطراف ذات العلاقة. ذلك أنه من المؤسف جدًا أن الناس في هذه البلاد ذات الخيرات والثروات الكبيرة يعيشون الحاجة في أغلب جوانب حياتهم، من أزمات السكن والبطالة والمقاعد الجامعية والمدارس المستأجرة. إن هذه الأزمات المختلفة لا تتناسب مع بلد يحظى بكل هذه الثروة والإمكانات التي حباه الله بها، لدرجة باتت فيها أقصى أحلام المواطن أن يمتلك سكنًا يؤيه وأطفاله، في الوقت الذي يهيمن فيه آخرون على ملايين الأمتار الممنوحة لهم تبعًا لمواقعهم ومراكز نفوذهم.

والحال نفسه مع انتشار حالات الفقر، بموازاة من يمتلكون المليارات من دون استحقاق يذكر سوى ملاصقتهم لذوي النفوذ، فإلى متى تستمر هذه الحالات؟ لذلك لا بُدّ وأن تكون هناك مواجهة حقيقية للفساد، وإلا فلا مفرّ من مواجهة الانهيار الذي تعرضت له الأمم والشعوب والحكومات الأخرى التي تلكأت في مواجهة الفساد والانحراف، فتلك سنة الله في الذين خلوا من قبلكم ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[سورة فاطر، الآية:٤٣].

الخطبة الأولى

البذاءة والفحش منطق اللؤماء

جاء في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين عليه السلام: «وحق اللسان إكرامه عن الخنا وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فايدة لها والبر بالناس وحسن القول فيهم»[1].

حينما يتكلم الإنسان فانه يرسل صورة عمّا يجول في ذهنه وما يدور في نفسه، فاللسان ليس إلا ترجمان وحكاية عمّا في خاطر الإنسان، الكلام هو صوت الذهن المسموع، ومن هنا كان الكلام كاشفًا عما في قلب الإنسان، فاذا كان كلامه طيبًا يكشف ذلك عن طيب داخله، واذا كان سيئًا ينبيء عن سوء داخل نفسه.

بعبارة أخرى، فإن اللسان أشبه شيء بالمغرفة التي تغرف من القدر، فهي لا تحمل إلا ما هو موجود في الإناء، لذلك جاءت النصوص مؤكدة كون الكلام مرآة عما في النفوس. ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «المرء مخبو تحت لسانه»[2]، وعنه عليه السلام: «كلام الرجل ميزان عقله»[3]، وعنه عليه السلام: «اللسان ترجمان الجنان»[4]، فعلى الإنسان أن يفكر في كلامه قبل أن يتفوه به، وأن يلجم لسانه عن كل قول قبيح، وهو حق اللسان على الإنسان.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ١٧٢.

(٢) نهج البلاغة. حكمة ١٤٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٠٢، حكمة ٣١.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٥٨، حكمة ١٨١٨.

وهناك نصوص كثيرة حذّرت عن الكلام الذي فيه فحش وقبح، وقد يقع ذلك من بعض الناس، إما بسبب انفعال، وإما أن لسانه قد اعتاد على البذيء من الكلام، وهذا أخطر من الأول، لذلك جاءت النصوص محذرة عن الفحش في القول.

بين اللسان وداخل الإنسان

وكما أكدنا وجود علاقة جدلية بين الكلام وبين داخل الإنسان، فإن هذه العلاقة الجدلية لها شكل آخر وهي أن لجم اللسان يؤدي إلى لجم الداخل أيضًا، ويساعد على صياغة الإنسان وتهذيبه من الداخل، فعندما يلجم الإنسان كلمة السوء، إنما يعني أنه أعاد ترتيب وصياغة ما في داخله من أفكار ومشاعر، يعبّر الإمام الصادق عليه السلام عن هذا المعنى بقوله: «من عذب لسانه زكى عقله»[١].

من ناحية أخرى، فإن التحكم في الكلام يساعد الإنسان على التحكم في مشاعره وأفكاره وردات فعله، وبالتالي يتمكن من تهذيب نفسه، وتنظيف داخله.

هناك بعض الناس من يعوّد نفسه الكلام الفاحش في بداية الأمر في البيت أو مع الأصدقاء المقربين، من باب المحبة وكسر الحواجز، إلا أنها سرعان ما تتحول إلى عادة متاصلة على لسانه، لذلك يحذر الإسلام من قول السوء مطلقًا حتى مع الدواب والأنعام، فلا يقول في حقها وصفًا سيئًا فاحشًا. حين سمع رسول الله صلى الله عليه وآله أحدهم يلعن بعيره التفت إليه وقال: «من هذا اللاعن بعيره... انزل عنه فلا تصحبنا بملعون، لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم»[٢].

فيجب على الإنسان أن يتجنب القول الفاحش مطلقًا، حتى عن الجمادات كالذي يلعن سيارته مثلًا.

---

(١) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص ٢٧٨.

(٢) صحيح مسلم. ص١٦٠٤، حديث ٣٠٠٩.

لا تُستدرج للبذاءة

ولو أن أحدًا استخدم اتجاهك ألفاظًا سيئة فمن حقك الرد عليه بالمثل، لكن الإسلام يأمرك أن تتنزه عن ذلك في هذا المورد، جاء في السيرة النبوية أن جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السأم عليكم، وكانت عائشة موجودة فغضبت، وقالت: وعليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: «مهلًا يا عائشة، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش»[١]، هكذا يرتفع الإسلام بالمسلم لكي يكون مهذبًا في طبعه وقوله، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ان الله حرم الجنة على كل فحاش بذي قليل الحياة لا يبالي ما قال ولا ما قيل له»[٢]، وهذا أمر خطير أن يحرم الله الجنة على من لا يبالي بكلامه ويجري الفحش على لسانه، وقد قال العلماء في هذا المورد إن المقصود تحريم الجنة مدة من الزمن وليس مطلقًا، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أقوامًا سيخرجون من النار قد أصابهم سفع من النار عقوبة بذنوب عملوها ليخرجهم الله بفضل رحمته فيدخلون الجنة»[٣]، فمن يفحش في الكلام يحرم من الجنة ولو لمدة فيكون مصداقًا لحديث الإمام الصادق عليه السلام، سأل رجل أحد الأئمة: هل في الناس من لا يبالي ما قيل له؟ فكان الجواب «من تعرض للناس يشتمهم وهو يعلم أنهم لا يتركونه، فذلك الذي لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه»[٤].

ويروي الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه ﷺ أنه قال: «إن الفحش لو كان مثالًا لكان مثال سوء»[٥]، وفي رواية أخرى عنه: عليه السلام «البذاء من الجفاء والجفاء في النار»[٦]، وعنه عليه السلام:

---

(١) صحيح البخاري. ج٤، ص ٩٣، حديث ٦٠٣٠.
(٢) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٣، ص ٤٣٤.
(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج٤، ص٤١٩، حديث١٢٦٩١.
(٤) الكافي. ج ٢، ص ٣٢٤، حديث٣.
(٥) الكافي. ج ٢، ص ٣٢٤، حديث٦.
(٦) الكافي. ج٢، ص ٣٢٥، حديث٩.

«إن الفحش والبذاء والسلاطة من النفاق»[١]، فمن يكون سليطًا على الآخرين فإنه من المنافقين، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم إن الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش»[٢].

لماذا بعض الناس يستخدمون أسلوب السب والشتم وسلاطة اللسان؟ يجيب الإمام الباقر عليه السلام عن ذلك بقوله: «سلاح اللئام قبيح الكلام»[٣] هذا من لؤم نفسه؛ لأنه لا يملك منطقًا، ولذلك يستخدم السب والشتم.

(١) الكافي. ج ٢، ص ٣٢٥، حديث١٠.
(٢) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٣، ص ٤٣١، حديث١١٢٦.
(٣) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص ١٨٥.

بناء القوة الاجتماعية

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المؤمن القوي خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[1].

ينطوي مفهوم القوة على ألوان من التجليات. فقد يتجلى ذلك في امتلاك الإنسان القوة البدنية والعضلات المفتولة، وربما تجسّد في التحلي بالقوة العلمية والقدرات الفكرية، أو لعله تأتى عن طريق الإمكانات المادية والثروة، أو الاستحواذ على الجاه والنفوذ الاجتماعي.

والإنسان القوي هو ذلك المتمكن من التعبير عن ذاته، والساعي نحو تحقيق أهدافه وتطلعاته، ومن لديه القدرة على الدفاع عن مصالحه.

إن الله تعالى يحبّ أن يرى عبده المؤمن ممتلكًا لمقومات ووسائل القوة في حياته، تبعًا لظروف كل زمان ومكان، وذلك حتى يتمكن من ممارسة حياته الإيمانية بحرية، وليقدم أنموذجًا مشرقًا لانتمائه الديني، ذلك أن القوي عادة ما يحظى بالاحترام اللائق، ويمتلك القدرة على خدمة أهدافه.

وعلى غرار الأفراد تتعدد أنماط القوة لدى المجتمعات، فهناك مجتمع قوي وآخر ضعيف، ولنا أن نقول محاكاة للحديث الشريف الوارد عن النبي ﷺ «المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف»، إن المجتمع القوي خير وأحبّ إلى الله

(١) صحيح مسلم. ص ١٤٣٢، حديث ٢٦٦٤.

من المجتمع الضعيف. لكن السؤال هنا، هو عن سبل امتلاك المجتمع لوسائل القوة.

تجليات القوة الاجتماعية

هناك تجلّيات متعددة لتحقق مفهوم القوة لدى أي مجتمع من المجتمعات. ومن أبرزها تجلّيان أولهما، أن يزخر المجتمع بالقدرات والكفاءات، فأي مجتمع امتلك قطاعًا أوسع من الكفاءات والقدرات في مختلف المجالات، فإنه بلا ريب يكون قد حقق أحد أبرز تجليات القوة الاجتماعية، فيغدو قادرًا على التعبير عن ذاته، والدفاع عن حقوقه ومصالحه، وتبعًا لذلك ينال هذا المجتمع احترام المجتمعات الأخرى.

أما التجلي الثاني لتحقق مفهوم القوة الاجتماعية، فيتمثل في التماسك الاجتماعي، ومن أبرز مظاهره الراهنة قيام المؤسسات الاجتماعية، فأي مجتمع امتلك أوسع عمل مؤسسي في أوساطه، فقد امتلك ناصية القوة الاجتماعية. ذلك أن دور المؤسسات يضطلع بجمع شتات الكفاءات الاجتماعية تحت سقف واحد، وينمي ويوظف هذه القوى والقدرات في خدمة أهداف ومصالح المجتمع. والمؤسف أن غياب المؤسسات الاجتماعية ربما كان عامل ضعف محوري حتى في ظل وجود الكفاءات الفردية المتناثرة هنا وهناك.

لقد باتت المجتمعات في عصرنا الراهن تتنافس في توليد وإظهار قوتها الاجتماعية في مؤسساتها القائمة. فكلما زخر المجتمع بالمؤسسات العاملة في مختلف المجالات العلمية، الاقتصادية، الإعلامية، الاجتماعية، السياسية، فإن هذه المؤسسات هو ما يجعل المجتمع قويًا وقادرًا على إدارة شؤونه، ومواجهة التحديات.

حال المؤسسات الأهلية في مجتمعاتنا

إن مجتمعاتنا العربية والاسلامية تعاني شحًّا في المؤسسات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني. ولربما عاد ذلك إلى ان مجتمعاتنا ما تزال تصنف ضمن المجتمعات

الناشئة، الخاضعة لأنظمة سياسية لا تفسح المجال أمام قيام منظمات المجتمع المدني، والمؤسسات الأهلية، إلا ضمن أضيق الحدود.

واضافة إلى ما سبق ما تزال ثقافة العمل الجمعي في مجتمعاتنا تعاني ضعفًا كبيرًا، وفي ظل ذلك لا يجد العمل الاجتماعي التجاوب المأمول في الساحة الاجتماعية، ما يؤدي إلى شح المؤسسات الأهلية، ناهيك عن ملامح الضعف التي تعتري المؤسسات القائمة. وبالمحصلة ينعكس ذلك على ضعف المجتمع برمته.

إن الاكتفاء بالتشكي والتوجع، أو سرد الأمنيات، لا يحقق أدنى مستوى من القوة الاجتماعية، وإنما تصنع القوة من خلال الكفاءات وقيام المؤسسات التي تحقق التماسك الاجتماعي، وتجعل المجتمع قادرًا على إثبات وجوده، والدفاع عن مصالحه.

لقد باتت المجتمعات الحديثة تولي اهتمامًا كبيرًا لإنشاء منظمات المجتمع المدني. ومن ذلك على سبيل المثال اهتمام دول العالم بإفساح المجال أمام قيام المنظمات العاملة في مجال حقوق الإنسان، والمهتمة بالدفاع والرد على الانتهاكات التي تطال الأفراد والفئات الاجتماعية المختلفة، حيث إن وجود المؤسسة الحقوقية يمثل عنصر قوة في أي مجتمع مهتم بالدفاع عن حقوقه ومصالحه.

وكذلك الحال مع المؤسسات الإعلامية، فقد بات عصرنا الراهن عصر وسائل الإعلام بمختلف أشكالها المرئية والمسموعة والمقروءة، التي تقوم عليها مؤسسات كبرى، لا مجرد مبادرات فردية محدودة، ليس بمقدورها مجاراة المؤسسات الكبيرة، ولا تضيف الكثير للقوة المجتمعية المرجوة على هذا الصعيد. من هنا تنبع الحاجة الملحة لقيام المؤسسات الإعلامية المؤثرة التي تصنع فارقًا في إيصال صوت المجتمع على المستوى الوطني والعالمي، والدفاع عن سمعته والحفاظ على مصالحه. والحال نفسه يجري مع ضرورة قيام المؤسسات المعرفية، المهتمة بتنمية الحالة الثقافية

والأدبية في المجتمع، وإبراز وتطوير الكفاءات ضمن هذا النطاق، ناهيك عن الحاجة الملحة لقيام المؤسسات الاجتماعية.

إن من أبرز ملامح المجتمعات المتقدمة وفرة المؤسسات العاملة في مختلف الحقول. فلا تكاد تجد ناحية ولا مجالًا من المجالات يخلو من انخراط منظمات المجتمع المدني ضمن سياقاته. في مقابل ذلك يفتقر الواقع العام في مجتمعاتنا إلى وجود المؤسسات المدنية، حتى إنه بالكاد يمكن رؤية المؤسسات العاملة، الشحيحة العدد، في كل مجال من المجالات، وهذا ما يكشف عن ضعف حقيقي يعتري هذه المجتمعات، وذلك ما يتطلب توجّهًا جادًا لمعالجة هذا الضعف.

المبادرات والاستمرارية

من هنا يأتي السؤال عن سبل قيام المؤسسات الأهلية المفضية للقوة المجتمعية. ويمكن القول: إن هناك ثلاثة أمور جديرة بالأخذ بعين الاعتبار:

أولها؛ انطلاق المبادرات لسدّ الفراغ في مجال مؤسسات المجتمع المدني، وذلك بأن يتقدم كل من يستشعر وجود الفراغ في أي مجال من المجالات ويسدّ ذلك الفراغ بنفسه. فهناك على سبيل المثال الآلاف من السجناء على مستوى البلد، الذين لا يكاد يعيرهم أحد الانتباه، سواء بالدفاع عنهم أو الاهتمام بعوائلهم، فإذا ما بادر متطوع بتأسيس كيان أهلي يولي هذه الفئة الاهتمام المناسب، فإنه بلا شك يسدّ ثغرة عظيمة، ويلبي حاجة قائمة. وكذلك الحال مع إنشاء جهة أهلية تتولي مساعدة المرضى المحتاجين للمتابعة الحثيثة في الدوائر والمنشآت الصحية، سيما في ظل الثغرات الملحوظة في أداء القطاع الطبي. والحال ذاته مع التقدم بمبادرات مشابهة في مختلف المجالات الأخرى.

ولعل ثاني الأمور المفضية إلى قوة المجتمع، هو ضرورة الحفاظ على الاستمرارية والنفس الطويل في دعم المؤسسات الاجتماعية الناشئة. ذلك أنه من المؤسف أن

يجري التفاعل المؤقت مع المشاريع الاجتماعية الجديدة، الذي سرعان ما يخبو مع الوقت. إن الاندفاعة اللحظية والحماس الصاخب المصاحب لانطلاقة المشاريع يشكل نقطة ضعف كبيرة في الوعي المجتمعي، ويكشف عن تدنٍ وتراجع في تحمل المسؤولية الاجتماعية.

ولعلّ في مهرجانات الزواج الجماعي أبرز مثال على هذه الحقيقة، فقد كان مجتمعنا المحلي سبّاقًا في إطلاقها على المستوى الوطني، فقد انبثقت في العام ١٩٩٠ أول مبادرة لتنظيم احتفالات الزواج الجماعي وطنيًا وكانت في منطقتنا، وجرى إثر ذلك تنافس محموم بين قرى ومدن المنطقة في تنظيم أوسع المهرجانات، وسط تفاعل اجتماعي منقطع النظير، إلا أن هذا التفاعل سرعان ما أخذ نحو الضمور والتلاشي، وشيئًا فشيئًا ذهبت تلك الاحتفالات طي النسيان. في مقابل ذلك استنسخت مجتمعات أخرى تجربتنا في تنظيم مهرجانات الزواج، وطورتها، وعملت على إنجاحها، فأصبح لها مهرجاناتها السنوية التي يشار لها بالبنان.

وعلى غرار ذلك، ينسحب ضعف التفاعل الاجتماعي مع المهرجانات الترفيهية، والمنتديات الثقافية في منطقتنا. حيث برزت شكاوى من القائمين على أبرز المهرجانات المحلية، من تدني التفاعل العام، وقلة المتطوعين العاملين قياسًا على السنوات الماضية. وكذلك حال المنتديات الثقافية، التي غالبًا ما تشهد تفاعلًا كبيرًا عند انطلاقتها، لكن سرعان ما تخبو هذه الحالة. إن مرد ذلك هو الاندفاعة اللحظية، والحماس المؤقت، وغياب الاستمرارية، والنفس الطويل، في دعم المؤسسات والمشاريع الاجتماعية. لذلك يغدو من المهم جدًا أن يتحلى الجميع بالاستمرارية في دعم المؤسسات الأهلية، ومساندة مختلف الأنشطة العامة. لأن مجمل هذه الفعاليات هو ما يصنع القوة لمجتمعنا، ويحفظ تماسكنا، ويمنحنا القدرة على التعبير عن ذاتنا الجمعية.

إن شيوع الحالة التثبيطية في الوسط الاجتماعي تُعدّ مشكلة شديدة الإيذاء. وحقيقة الأمر أنه لا يكاد يوجد عمل يخلو من المشكلات، فالعمل البشري معرض

للأخطاء، غير أن ذلك لا يبرر بأيّ حالٍ استغلال تلك الأخطاء في إسقاط المؤسسات والفعاليات المجتمعية، وإنهاء عملها نتيجة لذلك.

إن من الدارج في المجتمعات المتقدمة، الحديث عن مؤسسات أهلية تمارس عملها منذ مئة أو مئتي سنة، وكثيرًا ما تابعنا احتفالات تلك الدول بمرور عقود طويلة على إنشاء هذه المؤسسة أو تلك الهيئة، في حين ما تزال مجتمعاتنا تشكو من ضعف الاستمرارية في عمل مؤسساتها الأهلية، التي ربما لا يتعدى عمر بعضها أصابع اليد الواحدة من السنوات. إن كل فرد من أفراد مجتمعنا مدعو لأن يطالب نفسه بالقيام بدور ما تجاه المؤسسات الأهلية في منطقته، سواء الجمعية الخيرية، النادي الرياضي، المؤسسات الثقافية، المهرجانات الترفيهية، وليتحمل كل منا مسؤوليته تجاه دعم وإسناد وتطوير هذه المؤسسات في محيطه الاجتماعي.

ويتمثل الأمر الثالث نحو بناء القوة الاجتماعية في استمرار التمويل والعطاء للأنشطة الأهلية. فهذه المؤسسات تحتاج إلى دعم مالي مستمر، من الأثرياء والمقتدرين وعامة الناس، وأفضل العطاء ما يجري عبر المؤسسات.

نماذج عطاء رائدة

ثمة نماذج وطنية عديدة لحالات العطاء المقدم من خلال المؤسسات الأهلية الاجتماعية والثقافية، التي تقدر ميزانيتها بملايين الريالات، ومن ذلك على سبيل المثال؛ الإعلان في مدينة الخبر عن تأسيس جائزة لعمارة المساجد، وهي مخصصة لأفضل المساجد بناء وهندسة وعمارة، وقد خصص رجل الأعمال المؤسس للجائزة عبد اللطيف الفوزان وقفًا خيريًا يقدر بستين مليون ريال، يكون ريعه مخصصًا لتلك الجائزة حصرًا[١].

وفي نموذج وطني آخر، ذكرت الصحف المحلية أن أحد رجال الأعمال ناصر

---

(١) جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الأحد ٢١ ذو القعدة ١٤٣٣هـ الموافق ٧ أكتوبر ٢٠١٢م، العدد ١٦١٧٦.

بن إبراهيم الرشيد في منطقة حائل تبرع ببناء مقر للنادي الأدبي في المنطقة على نفقته الخاصة، وبلغت تكلفة المشروع نحو ثلاثة وعشرين مليون ريال[1]. وللمفارقة، بلغني أن الكثير من أدبائنا وشعرائنا في المنطقة ما يزالون يواجهون مشكلة في الحصول على مكان يجتمعون فيه، ويكون مقرًا لأنشطتهم!. فلماذا يغيب الدعم عن مثل هذه الأنشطة والمؤسسات.

إن مساندة الكفاءات، ودعم المؤسسات، والأنشطة المجتمعية المختلفة، ينطوي على قيمة معنوية كبيرة. وقد تشرفت البارحة بتاريخ ٢٥ ذو القعدة ١٤٣٣هـ بحضور حفل منتدى الكوثر الأدبي في القطيف، الذي أقيم بمناسبة توقيع أربعة من الشعراء الشباب لدواوينهم الشعرية، حيث ألقى كل من الشعراء الأربعة شيئًا من شعره، إلى جانب تقديم قراءات نقدية لدواوينهم، وبنهاية الحفل نال الشعراء عددًا من الهدايا والدروع التكريمية، غير أن أكثر ما لفت نظري هو قيام أحد رجال الأعمال، وهو السيد هاشم بن السيد رضا الشخص، بتقديم مكافآت مالية بمبلغ عشرة آلاف ريال لكل شاعر، وسبق ذلك قيام ذات السيد الشخص قبل أشهر قليلة بمنح مكافأة قدرها مئة ألف ريال خلال حفل تكريم أقيم احتفاءً بأحد العلماء نظير قيامه بتأليف كتاب حول أعلام هجر، وهو سماحة السيد هاشم بن السيد محمد الشخص.

هنا ينبغي الأخذ بعين الاعتبار أن التكريم لا يكمن في المبلغ المالي الممنوح، بقدر ما يكمن في الاحتفاء والتكريم المعنوي للكفاءات، إلا أن التكريم المادي والمعنوي مجتمعين غالبًا ما يدفعان الكفاءات والمؤسسات نحو المزيد من التألق والعطاء والإبداع، ويتحقق بذلك التكافل الاجتماعي، وتمضي بذلك قدمًا مسيرة المجتمع نحو اكتساب القوة والتقدم.

نحن مدعوون جميعًا إلى دعم الكفاءات والمؤسسات المحلية بأقصى ما نستطيع

---

(١) جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الأربعاء ٢٤ ذو القعدة ١٤٣٣هـ الموافق ١٠ أكتوبر ٢٠١٢م، العدد ١٦١٧٩.

حتى يكون مجتمعنا قويًا. ولا فرق في ذلك بين دعم المؤسسات الاجتماعية والحقوقية والسياسية والاقتصادية والثقافية، فالمطلوب أولًا وأخيرًا أن نتحمل المسؤولية تجاه أنفسنا، وتجاه مستقبل أبنائنا، وذلك ما يجلب محبة الله لنا في نهاية المطاف، لأن الله تعالى يحب المجتمع المؤمن القوي الذي تتجلى مظاهر القوة في مختلف مفاصله.

الخطبة الأولى

التشهير بأخطاء الآخرين

سأل رجل رسول الله ﷺ قائلًا: احب ان يستر الله علي عيوبي، فقال ﷺ: «استر عيوب اخوانك يستر الله عيوبك»[١].

يعرف كل إنسان أنه محلّ للنواقص والعيوب، وقد تصدر منه الأخطاء وتنتابه الثغرات، غير أنه مع ذلك يحرص بشدة على صيانة سمعته أمام الآخرين. فلا أحد يرغب في أن تظهر نواقصه وعيوبه أمام الناس، ولا يحب أي كان أن تنتشر عثراته وأخطاؤه في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، حرصًا منه على الحفاظ على سمعته ناصعة لا تشوبها شائبة. ان كل أحد يريد أن تظل عيوبه مستورة. من هنا يأتي السؤال، عن السبيل إلى أن تكون عيوب الإنسان مستورة عن الناس، حتى لا تخدش شخصيته ولا تتأثر سمعته.

إن ثمة طرقًا عديدة تساعد الإنسان على صيانة سمعته. يأتي في طليعتها؛ أن يتعاهد الإنسان نفسه، فيتلافى ما فيه من مساوئ ونواقص، فإذا أراد المرء ألّا يذكره الناس بسوء، فإن أول ما ينبغي له فعله هو أن يحرص على ألّا يصدر منه سوء. والحال أننا ما دمنا بشرًا معرضون لارتكاب الخطأ، فالواجب أن يتعهد الواحد منا بمراجعة نفسه؛ لأن الاستمرار في ارتكاب الأخطاء يجعل الإنسان مكشوفًا أمام الناس، فقد لا يطلع الناس على أخطائك في المرة الأولى والمرتين والثلاث، لكن الاستمرار في ارتكاب الأخطاء، يجعل احتمالات انكشافها أكبر. وبذلك يكون أول طريق للحفاظ على السمعة وصيانة

---

(١) كنز العمال. ج ١٦، ص ١٢٩.

العرض، أن يتلافى المرء الوقوع في السيئات والنواقص ضمن سلوكه العام.

استر يستر الله عليك

أما الطريق الثاني الذي يساعد في الحفاظ على السمعة الشخصية للإنسان، فهو أن يطلب الستر من الله تعالى. ويدعو المرء ربه بأن يستر أخطاءه، وألّا يفضحه على رؤوس الأشهاد في الدنيا والآخرة، كما هو وارد في كثير من الأدعية المأثورة.

إن الله سبحانه يضع مقايضة يسيرة مع الإنسان، بأن يستر سبحانه عليه أخطاءه، مقابل أن يستر هو على أخطاء من حوله من الناس. فإذا أراد الإنسان أن يستجيب الله دعاءه، ويستر عليه أخطاءه، ويتجاوز عن عثراته وذنوبه، فما على الإنسان سوى أن يفعل الشيء نفسه مع الآخرين.

ضمن هذا السياق يمكن فهم الموقف النبوي مع من جاءه ﷺ قائلًا: يا رسول الله، أحب أن يستر الله عليّ عيوبي، فقال ﷺ: «استر عيوب إخوانك يستر الله عليك عيوبك». واللافت أن النبي ﷺ لم يقل للرجل اذهب وأكثر من الصلاة والصيام والدعاء وأداء الحج حتى يستر الله عيوبك، بل ركز ﷺ على المسألة الأهم وهي أن يستر الرجل عيوب إخوانه، حتى يستجيب الله له ويستر عيوبه.

وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من ستر أخاه المسلمَ في الدُّنيا، ستره اللهُ يومَ القيامةِ»[1]، ذلك أنه مهما كانت سعة الفضيحة في الدنيا، فإنها لا تعدل شيئًا مقابل الفضيحة الأكبر على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، وغاية ما هو مطلوب لتلافي هذا الموقف يوم الحساب، هو ما ورد آنفًا من ستر لعيوب الإخوان.

في مقابل ذلك، ورد في النصوص الدينية أن من يتعمد هتك ستر الآخرين، فإن الله تعالى يهتك ستره ويفضحه. وحذرت نصوص عديدة من الوقوع في هذا الخلق السيء. ومن ذلك ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من بحث عن أسرار غيره أظهر

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج٥، ص٤٤٨، حديث ٢٣٤١.

الله سبحانه أسراره»[١]، وورد عنه عليه السلام: «من كشف حجاب أخيه، انكشفت عورات بيته»[٢]، وعنه عليه السلام: «من تتبع عورات الناس كشف الله عوراته»[٣]، روى الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا تتبعوا عورات المؤمنين، فإن من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عوراته، ومن تتبع الله عورته، فضحه ولو في جوف بيته»[٤]. ذلك أن من يتعمد هتك أستار الآخرين وفضح عوراتهم، فإنه مهما جاهد في التستر على عوراته هو، فإن الله سبحانه سيكون له بالمرصاد، فيفضحه ويهتك أستاره وأسراره.

صناعة الاجواء النقيّة

ويأتي الطريق الثالث في صيانة السمعة العامة، من خلال الإسهام في صناعة مجتمع إيجابي. ذلك أنه من صفات المجتمعات السلبية الميل نحو نشر المعايب والسلبيات والمساوئ على بعضهم بعض، في مقابل ذلك غالبًا ما تغيب هذه الممارسة في المجتمع الذي تسوده الإيجابية والاستقامة الأخلاقية، فلا يجري فيه كشف العيوب وتداول أخطاء الناس.

إن السلوك الفردي لكل فرد من أفراد المجتمع هو في مجموعه ما يصنع الحالة العامة في المجتمع، فمتى ما تحدثت أنت عن عورات وعثرات الآخرين، فإنك بذلك تساهم على نحو مباشر في سيادة هذا السلوك، ولعل أقرب مثال على ذلك، ما يجري في العالم الافتراضي عبر مواقع الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، عندما يأتي من يسل لسانه ليجلد الآخرين وينال منهم بأقبح ما يكون، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «تتبع العيوب من أقبح العيوب وشر السيئات»[٥]، وذلك لما في هذا السلوك السيئ من

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٣٥، حكمة ٤١٦.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٦١، حكمة ١٣٢٦.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٣٦، حكمة ٤٦٠.
(٤) بحار الأنوار. ج٧٢، ص٢١٤، حديث١٠.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٧٤، حكمة ١٧.

تحفيز للآخرين على الرد المقابل.

والسؤال هنا، لماذا يتورط البعض في تعزيز هذا المسلك، فينشغل بالبحث عن معايب الأطراف الأخرى وينشرها على الملأ؟

ليس هناك أحد في منأى عن الوقوع في الخطأ. قال أمير المؤمنين ﷺ: «لا تفرح بسقطة غيرك، فإنك لا تدرى ما تتصرف الأيام بك»[١]، فمن يعمد اليوم إلى التهريج على الآخرين لمجرد وقوعهم فيما يعتبره خطأ أو عثرة، من يضمن بأن لا يقع هذا المهرج نفسه غدًا في موقف مشابه؟ وما الذي سيصيبه وقد ترك لدى الآخرين خلفه سلسلة من الإحن والثارات وعزز بسلوكه السابق أسلوبًا سلبيًا في المجتمع؟ إنه ببساطة سيدفع ثمن وضريبة ما زرعه من سلوك سلبي. إن على من يفتش عن عيوب الآخرين أن يضع في اعتباره أنه عرضة للعثرات، يقول أمير المؤمنين ﷺ: «من طلب عيبًا وجده»[٢]، أي إن من جهد في التفتيش عن العيوب فسيجدها، وقال ﷺ: «لا تبتهجن بخطأ غيرك فإنك لن تمتلك الإصابة أبدًا»[٣]، إن من يفتش عن أخطاء الآخرين، فإن عليه أن يعلم أن الصواب لن يكون حليفه على نحو دائم، إنه ليس معصومًا عن الخطأ، وهو عرضة للوقوع في العثرات شأنه شأن الآخرين. وقال ﷺ: «من عاب عيب ومن شتم أجيب»[٤]، وورد عن رسول الله ﷺ: «من قرض الناس قرضوه ومن تركهم لم يتركوه»[٥].

متخصصون في نشر المعايب

هناك صنف من الناس «متخصصون» في نشر معايب الآخرين، ولعل ذلك ناجم من عقدة شخصية قوامها الشعور بالنقص والحسد، والتغطية على أخطائهم الشخصية،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٢٠، ص٢٧٩، حكمة ٢١٥.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٥٠، حكمة ٩٢٦.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، ص٥٢٣.
(٤) بحار الأنوار. ج٧٥، ص٩١، حديث٩٥.
(٥) الكافي، ج٨، ص٨٦، حديث٤٧.

كما يعبّر عن ذلك ما ورد عن علي ﷺ: «ذووا العيوب يحبّون إشاعة معايب الناس»[١]، فهذا الصنف من الناس يكاد يتخصص على نحو حصري في تتبع وترويج أخبار المعايب والعثرات التي يقع فيها الاخرون، متجاهلًا أن للناس حسناتهم وسيئاتهم، يفعلون الصواب وقد يقعون في الأخطاء. ومن المهم أن يكون الإنسان ناشرًا للحسنات ومروجًا للإيجابيات، من خلال تداول أفضل ما عند الآخرين من أخبار وإنجازات، فالنحل يذهب للأزهار والفواكه الطيبة ليمتص منها الرحيق، فيما يقع الذباب على القاذورات والأوساخ، فليختر المرء من أيّ نوع يكون، ولا نظن أن عاقلًا يختار لنفسه أن يعيش بين ركام المساوئ التي يتتبعها ويفتش عنها.

ووردت جملة من النصوص الدينية التي تشدد على حرمة تتبع العورات وإفشاء المعايب والعثرات. فقد جاء عن الإمام أبي عبد الله الصادق ﷺ أن أحد أصحابه قال له، عورة المؤمن على المؤمن حرام، فقال ﷺ: نعم، قلت، أيعني سفليه؟ فقال ﷺ: «ليس حيث تذهب، إنما هو إذاعة سره»[٢]. وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حسب ابن آدم من الإثم أن يرتع في عرض أخيه المسلم»[٣]، وجاء في الأثر، أن نبي الله عيسى ﷺ مرّ مع الحواريين على جيفة، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب؟ فقال ﷺ: «ما أشدّ بياض أسنانه»[٤]، فقد كان عيسى ﷺ يريد لفت نظرهم إلى أن لا تستولي السيئات على أذهانهم، ولا تستقطب السلبيات وحدها أنظارهم، فهناك جوانب إيجابية في كل شيء.

من هنا، فإن على الإنسان المؤمن الذي يتقي الله أن يحسب حسابًا عند الخوض في أعراض الناس وعثراتهم وليعمد لسترها عليهم، حتى يستر الله عليه عيوبه.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٠٩، حكمة ٤٥.

(٢) الكافي. ج٢، ص٣٥٨، حديث٢.

(٣) تنبيه الخواطر، ج٢، ص١٢٢.

(٤) بحار الأنوار. ج١٤، ص٣٢٧، حديث٤٧.

الحج أجواء المحبة والوئام

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٩٧]

فرض الله سبحانه وتعالى على عباده الحج إلى بيته الحرام من أجل مصلحتهم، وتحقيق المنافع لهم في دينهم ودنياهم. وهذا عين ما نصّ عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، فرض الله هذه الفريضة العظيمة من أجل منافع ومصالح العباد. فإن هذه الفريضة تربي الإنسان المسلم على إخلاص العبودية لله تعالى، بتذليل نفسه في طاعة الله، واستجابته لأمره تعالى في أداء مناسك الحج المختلفة، وبذلك يربي العبد نفسه على طاعة أي أمر إلهي يأتيه من ربّ العباد عزّ وجلّ.

ويأتي في السياق ذاته، تواصل العبد في البقاع المقدسة مع مسيرة الأنبياء، حيث يلتقي في تلك الرحاب الطاهرة تاريخ الأنبياء والرسل، فهناك الكعبة التي بناها نبي الله إبراهيم وولده اسماعيل، وهناك حجر إسماعيل، ومقام إبراهيم، وكل ما يرتبط بتاريخ ودعوة الإسلام في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، حيث مثوى النبي ﷺ والطاهرين من ذريته والخيرة من أصحابه.

طمس الآثار في الحرمين

ومن المؤسف جدا أن يعيش المسلمون في العصور الأخيرة حرمانًا وانقطاعًا كبيرًا مع تاريخهم، نتيجة بروز من يريد حجب المسلمين عن تاريخهم وآثار نبيهم. حيث تعرضت الآثار النبوية العظيمة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، التي يفترض بها أن تجعل المسلم يعيش أجواء بزوغ الإسلام وتاريخ الرسالة ومسيرة الأنبياء، تعرضت هذه الآثار برمتها للطمس، ولم يعد المسلمون قادرين على الوصول بحرية لما تبقى منها، والتزود منها بما يلهمهم روحية الثبات والصمود، والتواصل مع نبيهم وذريته والمسلمين الأوائل. كل ذلك بسبب رؤية محدودة ضيقة، تنظر لهذه الآثار نظرة ريب وشك، وترى الاحتفاء بها وتقديسها بدعة أو نوعًا من الشرك، وما أشبه ذلك من التوصيفات المعيبة، إن هذه النظرة المتزمتة حرمت المسلمين من خير التواصل مع تاريخهم وتراثهم.

ولعل مما يبشر بخير بروز أصوات جديدة في الأوساط نفسها، مخالفة للاتجاه الذي يريد طمس الآثار النبوية. وتدعو هذه الأصوات لحفظ ما تبقى منها ولو تحت اسم حفظ التراث الثقافي، أو كمعالم سياحية ينبغي المحافظة عليها، على غرار ما يجري في مختلف دول العالم، والأهم من كل ما سبق، ما يحققه الحفاظ على الآثار النبوية من استجابة لرغبات وتطلعات المسلمين أنفسهم، فهذا المسلم القادم من أقصى بقاع الأرض لأداء فريضة الحج، يأتي والشوق يغمره، والرغبة تنتابه في أن يزور جبل النور، ويرى غار حراء، حيث هبط الوحي على قلب النبي أول مرة، وأن يرى موضع ميلاد النبي ﷺ، وكذلك الحال مع مواقع الغزوات من غزوة أحد وغيرها.. غير أن القادم لمكة المكرمة هذه الأيام لا يجد نفسه متواجدًا في مدينة تختلف كثيرًا عن المدن الأوروبية حيث الأبراج السكنية الشاهقة.

التلاحم بين ابناء الأمة

كما أن من أبرز المنافع المواكبة لفريضة الحج هي رفع معنويات المسلمين عمومًا. خاصة وأن الأمة باتت تواجه المصائب والمكائد والاعتداءات من كل اتجاه، وفي أكثر من بقعة وبلد. إن ثقة المسلمين في أنفسهم تغدو أكبر حين يلتقي الملايين منهم في الحج، ويرون أنفسهم بهذه الكثرة، والامتداد الهائل الذي يشمل أغلب الشعوب والأمم والقوميات والمناطق، وهذه منفعة أخرى أراد الله للمسلمين أن يشهدوها في الحج.

ومن منافع الحج؛ التأكيد على مسألة التلاحم بين أبناء الأمة. التي يجتمع أبناؤها على صعيد واحد، ويؤدون نسكًا واحدًا، ويلهجون بصوت واحد، ما يؤكد على نحو أكبر وحدة وتلاحم هذه الأمة.

من هنا نجد تشديد الآيات القرآنية، التي تناولت الحج، على جعل الأجواء المحيطة بأداء الفريضة أجواءً مساعدة على تعزيز التلاحم بين أبناء الأمة، فقد جاء في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، ومضمون ذلك، أن من عزم على أداء الفريضة، خلال أشهر الحج التي تشمل شوال وذي القعدة وذي الحجة، فهو مدعو خلال نسكه للنأي عن الرفث والفسوق والجدال، أي الابتعاد عن اللذات الجنسية، والكذب والسباب، والمنازعة الكلامية مع الآخرين، خاصة تلك التي يقحم الدين في غمرتها، فلا تخلو من الحلف بالله، بقول «لا والله» و «بلى والله»، وذلك محظور في الحج. وتكمل الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّـهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، فالحج فرصة كبرى لعمل الخيرات، وأي خير يدرك في ذلك الموسم المبارك، فإن الله يعلمه ويعظم أجره وثوابه، وأن خير زاد ومكسب يأخذه الإنسان من الحج هو التقوى، وذلك بأن يتزود من تقوى الله سبحانه وتعالى، لتكون هذه الأخلاقيات عنده حالة دائمة في سلوكه وحياته.

التعددية في إطار وحدة الأمة

إن من الطبيعي جدًّا أن تشهد أمة كبيرة بحجم الأمة الإسلامية اختلافًا داخليًا بدرجة ما، ولكن ما السبيل لإدارة هذا الاختلاف؟ فليس من المنطقي العيش على أمل ألّا تنشأ الاختلافات من الأساس، فهذه الأمة التي تزخر بشتى أنواع التنوع، العرقي والقومي والمذهبي والسياسي، لا بُدّ وأن تشهد اختلافًا في الآراء، وتضاربًا في المصالح، فلا يمكن بأيّ حال أن يكون هناك تطابق واتفاق تام في كل مفردة دينية أو فكرية أو سياسية.

ويأتي السؤال ما إذا كان من اللائق عند أي اختلاف فكري أو ديني أو سياسي الاحتكام للعنف واستخدام السلاح لحلّ الاختلافات، أو اللجوء إلى التعبئة والتحريض، فتلجأ كل فئة للتعبئة والتحريض على الجهة الأخرى؟

إنما تدار الاختلافات بالحوار والتفاهم، والرغبة في الصلح، والتوسل بالجهود الخيرة، للتوفيق بين أطراف الأمة في مختلف الأزمات والمشاكل.

وموسم الحج هو أحد أهم المواسم لتعزيز هذه التوجهات والأخلاقيات. من هنا يمكن فهم فلسفة رفض العنف أثناء الحج، والمنع التام من حمل السلاح الذي يُعدّ من محظورات الإحرام، وقبل ذلك اعتبار مكة المكرمة برمتها بلدًا من دخله كان آمنًا، حتى لو كان الداخل قاتلًا مستحقًا للعقوبة، فإنه لا يؤخذ بالقوة ليقام عليه الحدّ. وبصرف النظر عن مناسبة الحج، يعتبر الاسلام الاحتكام للعنف بين أبناء الأمة أمرًا مرفوضًا إجمالًا، وذلك تعزيزًا لمبدأ السلم والنأي عن العنف فيما بين المسلمين حتى مع وجود الاختلافات.

إن وجود الاختلاف وتعارض المصالح أمر واقع بين مختلف الأمم. فهناك اختلاف في العديد من القضايا بين دول وشعوب أوروبا من جهة، وبين أوروبا والولايات المتحدة من جهة أخرى، ولعلّ الحال ذاته بين أوروبا وأمريكا واليابان،

لكن الجميع أبعد ما يكونون عن الاحتكام للعنف لفض النزاعات فيما بينهم، وإنما الوسيلة الأساسية لمعالجة الخلافات هي الحوار والتفاوض، والاحترام المتبادل، وتلمّس سبل الخروج من الأزمات والخلافات، فماذا ينقصنا نحن المسلمين للمضي في ذات السبيل للخروج من مشكلاتنا وأزماتنا؟ ولماذا يكون الاحتكام للسلاح هو اللغة السائدة في الأمة، حتى بات هناك أكثر من بلد إسلامي يغرق في النزاعات الدموية، وامتلأت نشرات الأخبار بحوادث القتل والتفجيرات والاغتيالات، فمتى نصل إلى المستوى الذي أرادنا الله أن نصل إليه؟

رفض التعبئة والتحريض

أراد الله سبحانه من خلال شعيرة الحج، تعزيز التوجه السلمي في الأمة. فعلاوة على نبذ الاحتكام للسلاح في فضّ النزاعات، ذهب التوجيه الإلهي كذلك إلى رفض التعبئة والتحريض وتأليب أبناء الأمة على بعضهم بعضًا.

إن الله تعالى جعل من فريضة الحج مناسبة ليتعارف المسلمون فيما بينهم، وأن يقبل بعضهم بعضًا، حيث تتوافر للمسلم هنالك أعظم الفرص للتعرف على إخوانه المسلمين المختلفين عنه عرقًا أو لغةً أو فكرًا ومذهبًا، غير أنه يقبلهم إخوة له في الدين، يؤدي المناسك معهم، فيطوف معهم البيت الحرام، ويسعى ضمن صفوفهم بين الصفا والمروة. إن جميع ذلك مما ينبغي أن يعزز في أوساط الأمة مبدأ القبول بالآخر، مهما اختلفت التوجهات والآراء والاجتهادات.

إن أجواء الحج ينبغي أن تسودها روح المحبة والاحترام المتبادل. غير أن من المؤسف جدًا، بروز بعض الدعوات المخالفة صراحة لمقاصد الشريعة ضمن فريضة الحج. وقد صدرت من أحد الأعلام، ممن درج طويلًا على تأكيد مقاصد الشريعة، وحفظ وحدة الأمة، صدرت منه دعوة للمسلمين بأن يدعو بالهلاك على بعضهم بعضًا، ويطلب من الحجيج بأن يدعوا الله بالهلاك على هذه الفئة المسلمة أو ذلك

الشعب، وهذا خطأ بالغ الفظاعة لما فيه من مخالفة لأخلاقيات الحج، وما تذهب إليه الآيات الكريمة التي يقول فيها تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، فيما فضيلته يدعو المسلمين للدعاء بالموت على بعضهم بعضًا. والحال أنه ينبغي إذا رأى طرفًا أو فئة مسلمة وقعت في خطأ ما وفق تقديره، فالأولى أن يطالب المسلمين بالدعاء لها بالهداية والصلاح، لا أن يؤلب عليها الناس ويدعو عليها بالهلاك.

أولًا يعلم هذا الشيخ عن عواقب هذه الممارسة، فيما لو مر بعض المسلمين بمسلمين آخرين يمارسون الدعاء عليهم بالموت والهلاك!؟ أو هل يرضيه أن تقابل الفئة المسلمة الأخرى الأولى بالدعاء بالهلاك أيضًا؟ وعندها كيف ستكون أجواء الحج؟ وهل هذا هو التطبيق الصحيح لمقاصد الشريعة التي طالما نادى بها؟ وهل يُعدّ هذا التزامًا بأخلاق الدين في أداء مناسك الحج؟ أم أن تلك الدعوة التي يؤلب فيها المسلمين على بعضهم فيها انحراف وانتهاك لهذه المقاصد وهذه الأهداف؟، نسأل الله تعالى أن يصلح ما فسد من أمور المسلمين.

إننا نأمل أن تكون أجواء الحج كما أرادها الله، أجواء أمن ومحبة وتضامن وتلاحم بين المسلمين، الذين يقبلون بعضهم بعضًا، ويتفقون على المصالح المشتركة، وأن يعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه، على أن رهاننا الأخير يبقى على وعي الناس والمزيد من اتضاح الحقائق والأمور.

الخطبة الأولى

الإمام علي وقيادة الأمة

جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن رسول الله ﷺ أنه قال: «... إن تؤمروا عليًا ولا أراكم فاعلين، تجدوه هاديًا مهديًا يأخذ بكم الطريق المستقيم»[1].

إن وجود القيادة الصالحة والمؤهلة في المجتمع لا يعني بالضرورة الالتفاف الاجتماعي حولها تلقائيًا. ذلك أن هنالك جملة عوامل مؤثرة في انقياد الناس خلف قيادة بعينها، وإن كانت هذه القيادة هي الأصلح والأكثر تأهيلًا، فقد يحول الجهل بين الناس ومعرفتهم بالأصلح لقيادتهم، وقد تلعب العصبيات دورها في صناعة الاستقطاب، حتى إن البعض ربما يعرف جيدًا، أن زيدًا من الناس هو المؤهل الأبرز والأفضل للقيادة، سوى أن ما يمنعه من ذلك، انتماؤه القومي، القبلي، المناطقي والفئوي المختلف، الذي يجعل الكفة تميل لأي أحد آخر غيره، وإن كان الأخير أقل أهلية وأدنى درجة.

كما قد تلعب الحالات النفسية لعبتها أيضًا على هذا الصعيد، من قبيل حالات الحسد، فمن يستولي عليهم الحسد ربما لا يروقهم اختيار فلان من الناس قائدًا عليهم، وربما تورطوا في تضليل الناس وصرفهم عنه، وإن كان جديرًا بالقيادة، لا لشيء إلا لما في نفوس الحاسدين عليه. علاوة على ذلك، قد تتدخل مراكز القوى في المجتمع

(١) مسند أحمد بن حنبل. مسند علي بن أبي طالب، ج١، ص٣١٩، حديث ٨٥٩.

لتمييل كفة القيادة لصالح طرف ودفعها عن طرف آخر. من هنا، نفهم، أن وجود القيادة المؤهلة شيء، وتهيؤ الظروف لالتفاف الناس حول هذه القيادة شيء آخر.

لقد كان رسول الله ﷺ مدركًا تمام الإدراك لطبيعة الظروف المحيطة بمجتمعه إزاء مسألة القيادة والخلافة من بعده. فقد كان المجتمع آنئذٍ قريب عهد بجاهلية، ولا تزال فيه مراكز قوى تبحث عن مصالحها وتتشبث بمواقعها ـ شأن أي مجتمع بشري ـ، علاوة على ما لدى بعضهم من ثارات مع علي بن أبي طالب عليه السلام، بالنظر إلى الدور العسكري المشهود الذي لعبه علي عليه السلام، إبان الغزوات الإسلامية التي أطاح فيها بالعديد من عتاة قريش، ولذلك بقي في النفوس شيء عليه، ويحفل التاريخ بالكثير من النقولات التي تؤكد هذه الحقيقة، والتي لسنا بصدد البحث فيها هنا.

في المحصلة كان النبي ﷺ عارفًا حق المعرفة أن الظروف الاجتماعية آنذاك لم تكن لتجعل مراكز القوى لتسلم القياد للإمام علي عليه السلام، غير أنه ﷺ كان يرى مع ذلك ضرورة أن يكشف عن القيادة المؤهلة والجديرة بالقيام بالمسؤولية، وليترك الأمر فيما يعد للناس في أن يستجيبوا لأمره أو يحجموا.

نصوص الامامة

وقد وردت في السياق سلسلة طويلة من النصوص الدينية التي تؤكد أحقية علي عليه السلام بالإمامة والخلافة. ومن ذلك حديث الغدير، حين أوقف رسول الله ﷺ موكب الحجيج عند منصرفهم من الحج، بعد أن حجوا معه حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، أوقف ﷺ الركب الذي كان يضم عشرات الآلاف من المسلمين، عند موقع يقال له غدير خم، ويبعد عن الجحفة ثلاثة أميال، وكانت الشمس آنئذ في أوج حرارتها، فقام ﷺ خطيبًا في الناس، ومما جاء في خطابه، أن سأل الحاضرين، «ألست أولى بكم من أنفسكم»، كررها ثلاثًا، وهم يجيبونه بالتصديق والاعتراف، ورفع النبي ﷺ بعد ذلك يد علي عليه السلام أمام جميع المسلمين، كما تشير المصادر الإسلامية، وقال: «من كنت

مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه». إن حديث الغدير هذا لا يناقش أي من علماء المسلمين في صحته، حيث رواه عشرات الصحابة، وجاء من خلال عشرات الطرق والأسانيد، وجميعها وردت بالنص الآنف أو قريب منه.

غير أن المسلمين من إخواننا أهل السنة، ومع اعترافهم بصحة حديث الغدير، إلا أنهم يفسرونه على أنه إعلان من النبي عن محبته لعلي بن أبي طالب. ويقولون إن مصطلح الولاء الوارد في الحديث إنما يعني المحبة، فموالاة علي هنا تعني وفق فهمهم محبة علي. أما ما فهمه أئمة أهل البيت ﴿ع﴾ وشيعتهم من الحديث، فإنه نص وتأكيد مرجعية وقيادة الإمام علي للأمة بعد رسول الله ﷺ. وورد في مصادر الشيعة عن أئمة أهل البيت ﴿ع﴾ تأكيد متواتر لهذا الفهم والتفسير، ومن ذلك ما رواه أبو إسحاق، قلت لعلي بن الحسين زين العابدين ﴿ع﴾: ما معنى قول النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، قال: أخبرهم أنه الإمام بعده[1]. وعن أبان بن تغلب أنه قال: سألت أبا جعفر محمد الباقر ﴿ع﴾، عن قول النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال: أعلمهم أنه يقوم فيهم مقامه[2].

إن النص على الإمام علي بعد النبي ليس مقتصرًا على حديث الغدير وحده. بل كان حديث الغدير كالإعلان الواضح الذي شهده على صعيد واحد أعداد كبيرة من الصحابة، إنه حديث الإشهار والإجهار بولاية الإمام علي، وبيان المقام والموقعية للأمة، وإلا فقد سبقت حديث الغدير أحاديث ونصوص كثيرة تؤكد ذات الموضوع، أي الخلافة لعلي ﴿ع﴾ بعد النبي، غير أن من سمع تلك الأحاديث قد يكون عددًا محدودًا من الصحابة.

---

(١) بحار الأنوار. ج ٣٧، ص ٢٢٣، حديث ٩٦.

(٢) بحار الأنوار. ج ٣٧، ص ٢٢٣، حديث ٩٧.

معنى الولاية

وقد حفلت المصادر الحديثية السنية بكثير من النصوص الدالة على نص النبي ﷺ على ولاية علي على الأمة من بعده. وهناك تطابق واضح بين نصوص ودلالات تلك الروايات الواردة في مصادر أهل السنة والجماعة مع نظيراتها الواردة في المصادر الشيعية، المتأتي فهمها من حديث الغدير. ومن ذلك ما أوردته المصادر السنية من أحاديث تنص على الولاء لعلي عليه السلام بعد النبي ﷺ، ما يدلّ على أن المسألة ليست متمحورة حول مفردة الموالاة التي فسرها البعض بالمحبة كما تقدم، وإنما تتناول بعض الأحاديث النبوية، البعد الزمني ضمن مفردة «بعدي»، ما يعني أن المقام الذي يتحدث النبي عنه لعلي، إنما هو موضوع مستقبلي يغطي المرحلة التي تلي وفاته ﷺ. ناهيك عن أنه لا معنى لأن يوقف النبي ﷺ عشرات آلاف الصحابة في هجير الصحراء وتحت أشعة الشمس الحارقة لمجرد إخبارهم بالمحبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، سيما وأن النبي ﷺ ـ وفق هذا المعنى ـ لم يأتِ بجديد على ما جاء به القرآن الكريم الذي كان قد أخبر سلفًا بتبادل الولاء بين جميع المؤمنين، في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، وآنئذٍ لن يكون هنالك من داع ـ في حال تفسير الولاء بالمحبة ـ لأن يختص النبي عليًا بالمحبة على النحو الذي جرى في غدير خم.

وجاء التأكيد على ولاية علي بن أبي طالب بعد النبي ﷺ ضمن أحاديث واردة في كبرى مصادر الحديث عن أهل السنة والجماعة. فقد أورد الترمذي في حديث رقم ٣٧١٢ عن عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ في واقعة أنه قال «ما تريدون من علي، إن عليًا مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي»، وهذا ما يتساوق إلى حدٍّ كبير مع ما ورد في حديث الغدير، «ألست أولى بكم من أنفسكم»، وهو ما لا يقبل الشك في أن الحديث يتناول الولاية العامة على الناس وليس شيئًا آخر.

وجاء في كنز العمال وينابيع المودة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن رسول

الله ﷺ أنه قال له: «لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي»[١]. وأوردت ذات المصادر عن وهب بن حمزة أنه تحدث بشي عن علي بن طالب أمام النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «لا تقل هذا فهو أولى الناس بكم بعدي»[٢]. حقيقة الأمر، لا يمكن أن نفهم من هذه النصوص أنها إنما تتحدث عن المحبة والنصرة فقط.

هذا وتحتوي المصادر الحديثية عند اخواننا أهل السنة والجماعة، جملة من النصوص التي تؤكد جدارة الإمام علي عليه السلام لقيادة الأمة، والأخذ بها إلى الطريق المستقيم. جاء في مسند أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن تؤمروا عليًّا، ولا أراكم فاعلين، تجدوه هاديًا مهديًا، يأخذ بكم الطريق المستقيم»، واللافت أن الحديث يستخدم مفردة «تؤمروا»، فلا مجال معها لأي تأويل آخر بخلاف إمارة وقيادة الأمة.

وجاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم النسابوري في الحديث رقم ٤٤٣٥ عن حذيفة بن اليمان أنه قال: إن جماعة من أصحاب النبي، قالوا يا رسول الله لو استخلفت علينا عليًا، قال: «إنكم لا تفعلوا، وإن تفعلوا تجدوه هاديًا مهديًا، يسلك بكم الطريق المستقيم». كما جاء في كنز العمال بنفس السند «قالوا ألا نستخلف عليًا، قال: إن تستخلفوه ولن تفعلوا ذلك، يسلك بكم الطريق، وتجدوه هاديًا مهديًا»[٣].

وأخرج أبو نعيم في فضائل الصحابة، أن رسول الله ﷺ قال:«وإن تستخلفوا عليًّا، وما أراكم فاعلين، تجدوه هاديًا مهديًا، يحملكم على المحجة البيضاء»[٤]. وعلى غرار ذلك هناك كثير من هذه الروايات، الواردة في مصادر إخواننا السنة، الذين لا يعتقدون بعقيدة الشيعة في إمامة علي عليه السلام حتى يرد الاتهام بالوضع لأغراض مذهبية، وهذا ما يؤكد مجددًا المعنى الذي يرمي إليه حديث الغدير حول ولاية الإمام علي للأمة بعد النبي.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج٥، ص٢٦٢.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. ص١١٢، حديث٩.

(٣) كنز العمال. ج١١، ص٦٣٠، حديث ٣٣٠٧٠.

(٤) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١، ص٦٤، حديث١٩٢.

الموقف الرسالي لعلي

غير أنه ومع جميع ما سبق، فقد تميز موقف علي عليه السلام إزاء إحجام الناس عن الالتفاف حوله بالمرونة الكبيرة. فقد كان عليه السلام يدرك مكانته ويعرف موقعه ودوره، وكان عنده كامل الاستعداد للقيام بمسؤولياته لو انقاد له الناس طوعًا، أما وقد أحجم الناس عن الانقياد له، فلم يكن ليلجأ إلى ممارسة القوة لانتزاع ذلك الموقع، فهو ليس بالباحث عن المنصب، ولا المتعطش للسلطة والمكانة، بل لم يكن يرى أن من مسؤوليته الشرعيه إجبار الناس على الاعتراف بقيادته وإمامته، وذلك انطلاقًا من موقف ديني مبدئي رافض لمنهجية الفرض والإكراه من أساسها.

إن الدين لا يشرّع لمنهجية الفرض بالقوة على الناس، وقد وجدنا فيما بعد عندما توجه الناس زرافات لمبايعة الإمام علي عليه السلام سنة ٣٥ هجرية، أي بعد نحو ٢٥ سنة من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عندها رأى الإمام عليه السلام أن يتحمل مسؤوليته، رغم عدم رغبته في تقلد الأمر حينها، حيث قال عليه السلام: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر... لألقيت حبلها على غاربها»[1].

لم تكن منهجية الإمام علي وأئمة أهل البيت عليهم السلام في يوم من الأيام فرض أنفسهم على الناس بالقوة. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إليَّ عهدًا، فقال يا بن أبي طالب لك ولاء أمتي، فإن ولوك في عافية، وأجمعوا عليك بالرضا، فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه»[2]، هذه منهجية علي عليه السلام والأئمة من بعده، فلم يكونوا بأي حال في سياق فرض أنفسهم على الناس فرضًا.

إن من المهم التأكيد باستمرار على منهجية علي عليه السلام تجاه مسألة الحكم وتولي

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ٣.

(٢) مستدرك الوسائل، ج١١، ص٧٨، حديث ١٢٤٦٤.

السلطة السياسية، والتأكيد على مرجعية أمير المؤمنين وأئمة أهل البيت في تفسير تعاليم الدين. انه لأمر بالغ الأهمية، خاصة في هذا العصر، الوقوف على منهج علي عليه السلام إزاء مسألة السلطة السياسية، وهو ذات المنهج الذي أكده الرسول الأكرم في حديثه عن علي عليه السلام بقوله صلى الله عليه وآله: «يهديكم إلى الطريق المستقيم»، و«يسلك بكم على المحجة البيضاء». وينبغي الإشارة هنا، إلى أن المسألة لم تكن يومًا متعلقة بشخص علي عليه السلام وحسب، على عظم موقعيته وفضله وخصوصيته، بل المسألة متعلقة بقدرته عليه السلام في كونه الدليل إلى أخذ الأمة إلى الطريق المستقيم، والقادر أن يسلك بها على المحجة البيضاء. إن مما ينبغي تأكيده وإشباعه بحثًا، هو نهج علي عليه السلام تجاه مسألة الحكم والسلطة، خاصة في هذا العصر. واضافة إلى ذلك، ينبغي تأكيد مرجعية الإمام علي وأهل بيته عليهم السلام في تفسير الدين وأخذ معالم الشريعة، أما عن موقع الخلافة واستلام زمام السلطة، فلم يكن أهل البيت في وقتهم مهتمين بهذا الأمر، عدا عن أن الأمر بات في ذمة التاريخ، وهذا ما يراه ويؤكده كثير من علمائنا المعاصرين.

إعصار ساندي والتعاطف مع آلام البشر

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝١٥ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾[سورة الملك، الآيات: ١٥-١٧]

ثمة قوانين إلهية وأنظمة كونية مترادفة، يدرك الإنسان كنه بعضها، فيما يغيب عنه بعضها الآخر، ومن ذلك ما يجري من ظواهر طبيعية مدمرة. فهذا الكون العظيم الذي خلقه وسخره تعالى للإنسان، إنما يسير وفق سنن وقوانين وأنظمة، فلا يجري فيه شيء عبثًا، تبعًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[سورة القمر، الآية:٤٩]. إن هناك قوانين وظواهر مألوفة للإنسان، من قبيل طلوع وغروب الشمس، وما يلازم ذلك من تقلبات جوية، وتغيرات في حركة الرياح وهطول الأمطار. غير أن هناك قوانين وظواهر أخرى غير مألوفة للإنسان؛ لأنها لا تجري بانتظام معهود وإنما على فترات وأماكن متباعدة، ومن ذلك وقوع الزلازل والهزات الأرضية والأعاصير المدمرة، التي بعد لم يدرك الإنسان كل أبعادها حتى مع التقدم العلمي القائم، هذا العلم الذي يصفه سبحانه بالقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[سورة الإسراء، الآية: ٨٥].

ولذلك عندما تحدث بعض هذه الظواهر النادرة، وتقلب الأوضاع السائدة

المألوفة في حياة البشر، ترى الإنسان يخشاها ويستوحش منها. ولعلّ جانبًا من فلسفة وقوع هذه الظواهر الكونية، إنما يأتي لتذكير البشر، ولفت نظر الإنسان إلى وجود قوة مطلقة ومهمينة على هذا الكون، وهي القدرة الإلهية. هذه القدرة التي ينبغي أن يعترف بها الإنسان، ويلجأ اليها، ويعتمد عليها في مطلق الأحوال.

إن الله تعالى يفصل في بعض الآيات القرآنية، جانبًا مما سخّره للإنسان، وما يمكن أن يواجهه من ظواهر لا قبل له بها. يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾، فقد جعل تعالى الأرض ذلولًا، أي منقادة وخاضة للبشر إلى يوم الحشر، يزرعونها ويأكلون من أرزاقها، ويبنون عليها، ويتنقلون بين أرجائها بكل يسر. غير أن على الإنسان أن يعلم في الوقت ذاته أن حياته على هذه الأرض محكومة على نحو مطلق بإرادة الله سبحانه وتعالى، فهناك قوانين ومعادلات أخرى ليس بيده التحكم بها والسيطرة عليها، وفي تفسير عبارة ﴿مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ الواردة في الآية، ذهب مفسرون إلى أن المقصود بذلك هم الملائكة، فيما ذهب آخرون إلى تفسير ذلك بالقدرة الإلهية المتعالية، ونتيجة لذلك قد يرى الإنسان هذه الأرض الذلول الهادئة وهي تهيج وتضطرب نتيجة الزلازل الأرضية، التي ربما حولت مدينة عامرة إلى أنقاض وخرائب في غضون دقائق، أو تضطرب نتيجة الرياح والأعاصير التي عبرت عنها الآية بلفظة «الحاصب» لما تحمل معها من الحصب، أي ذرات الحصا والرمل، فإذا بالحياة المدنية تنقلب رأسًا على عقب. وقد رأينا مؤخرًا ما يشبه ذلك عقب إعصار ساندي في الولايات المتحدة الأمريكية.

ظواهر طبيعية تصيب المؤمنين وغيرهم

إن من المهم القول، إن هذه الظواهر الطبيعية، التي يعبر عنها في الثقافة الدينية

بالآيات، إنما تأتي لحكمة إلهية. وهي تجري على جميع البشر، لا فرق في ذلك بين المؤمنين وغير المؤمنين، وليس صحيحًا القول إن هذه الظواهر في مجملها تمثل عذابًا وعقابًا للناس أنى وقعت. إن هناك حالات محدودة تناولها القرآن الكريم، مثلت فيها الظواهر الطبيعية عقابًا إلهيًا ضد أقوام بعينها، غير أن هذه الحوادث كانت استثنائية كما يظهر، إنما في المجمل، تبقى الظواهر العامة خاضعة للسنن والقوانين الطبيعية التي وضعها الخالق عزّ وجلّ، ولطالما رأينا مثل هذه الظواهر تطال بلادًا إسلامية، ويذهب ضحيتها مجتمعات من المؤمنين. لذلك لا ينبغي تفسير الكوارث الطبيعية التي تطال المجتمعات غير الإسلامية بخلاف التفسير العام، ذلك التفسير الذي لا يتجاوز إرادة التذكير بهيمنة ربّ العالمين، وضرورة أن يلجأ إليه بنو البشر في كل حال، وأن يعملوا على إدراك أسرار الكون.

إنه لمن المؤسف جدًا أن نجد بعض المسلمين يقفون موقف الشامت والحاقد، إزاء الكوارث الطبيعية التي تطال الآخرين. وقد بدا ذلك واضحًا من خلال بعض الخطب الدينية والتعليقات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، تجاه ضحايا الإعصار ساندي الذي ضرب بعض الولايات الأمريكية، بل إن بعض الدعاة المتشددين ذهبوا بعيدًا في الدعاء بالموت والهلاك، وأن ينزل الدمار على ما تبقى من الولايات الأخرى، والأنكى قول أحدهم إن الدعاء العام على ضحايا الإعصار أمر لا يليق، مستدركًا بأن بينهم فئة كبيرة من المسلمين!، فهذا الداعية تجاهل بكل صفاقة الفئة الأكبر من الضحايا لأنهم من غير المسلمين، دونما اكتراث إلى كونهم بشرًا، ومن عباد الله قبل أي شيء آخر. وسُئل داعية آخر عن جواز الفرح لإصابة الولايات المتحدة بالأعاصير وما تبعها من هلاك ودمار؟ فكان جوابه؛ أنه يحق لنا أن نفرح لما أصاب أمريكا وأن نُسر بذلك!.

ونحن من جهتنا لا نعلم ما الذي ارتكبه هولاء الأطفال والنساء الذين ذهبوا ضحية الكارثة من جرم، حتى يقول بحقهم كل هذا الهراء والحقد النابع من فكر أسود؟ إن

هذا منطق الحقد والعصبية الذي يتنافى تمامًا مع خلق الإسلام، ولا يمكن أن يتفهمه الناس، سيما مع ما نقوله من أن ديننا دين الرحمة والسماحة!.

حقد وشماتة تجاه آلام البشر

لقد ابتليت الأمة بفكر متطرف محسوب على الإسلام، هو أبعد ما يكون عن الرحمة إزاء المختلفين معه من جميع البشر مسلمين وغير مسلمين. وهناك في هذا الصدد، كتاب مطبوع تحت عنوان (مائة سؤال وجواب في العمل الخيري)، صادر عن فرع لمؤسسة رسمية سعودية في الأحساء، هي هيئة الإغاثة الإسلامية، وجاء في إجابة أحد هؤلاء العلماء على سؤال مفاده التالي: غالبًا ما تحدث الكوارث ومن الصعب التفرقة بين الناس أو التعرف عليهم، هل هذا مسلم أو غير مسلم، فهل يصح للمؤسسات الخيرية مساعدتهم بغض النظر عن هويتهم؟ فأجاب؛ نرى أن على المؤسسة الحرص على تخصيص المسلمين بالإغاثة وسدّ الحاجة، وعدم دفع المساعدات لغير المسلمين الذين هم من أعداء الدين، ولو ماتوا جوعًا ولو قتلهم البرد أو الحر أو الغرق أو الهدم، لاعتبار ذلك عقوبة من الله لهم على كفرهم وبدعهم.

ويسألونه سؤالًا آخر في ذات الكتاب، جاء فيه: إذا كان الأغلب ـ من الضحايا ـ غير مسلمين، فهل يجوز مساعدتهم لوجود الأقلية المسلمة، فجاء الجواب بأنه لا يجوز مساعدة غير المسلمين، لا في مجاعة ولا في غرق أو هدم ولا في علاج مرض، أو نحوه، بل تخص المساعدة بالمسلمين إذا تميزوا وعرفوا..

واستطرادًا، يمضي هذا الفكر الأسود في فضح مواقفه الحاقدة التي تطال حتى المسلمين من أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى. إذ جاء في الكتاب نفسه إجابة عن سؤال موجه للداعية نفسه، ومفاده: إذا كان المتضررون أكثرهم مبتدعة ـ أي مسلمين يختلفون معهم في الرأي ـ فهل يجوز للمؤسسات الخيرية الإسلامية مساعدتهم؟ فجاء الجواب؛ لا يجوز للمسلمين مساعدة المبتدعة، كالرافضة والقبوريين وأهل

الديانات المبتدعة والدروز والقاديانية والسيخ والطريقة البريلوية الصوفية والبعثية ونحوهم، وذلك أنهم يحاربون أهل السنة ويحرصون على ما يضر بالمتمسكين، وإذا كانوا كذلك فليسوا أهلًا للمساعدات، ويعتبر ما أصابهم من غرق أو خسف أو قحط أو مرض كعقوبة من الله فلا تجوز إغاثتهم، بل تخص الإغاثة بأهل السنة والجماعة[١].

إن هذا الفكر الظلامي المتعصب، هو الذي فرّخ الإرهاب. وهو السبب الأساس في دفع البعض لتفجير أنفسهم في مساجد المسلمين، لأنهم يخالفونهم في الرأي أو المذهب. وذلك ما حدث فعلًا يوم عيد الأضحى حيث كان مسلمون من أهل السنة والجماعة، ممن يختلفون مع فكر طالبان، يصلون صلاة العيد في أحد مساجد أفغانستان، فجاء أحد عناصر طالبان وفجر نفسه في وسط المسجد، وقد أوردت الخبر صحيفة الرياض حيث قالت: «إن انتحاريًا قتل ٤٠ شخصًا على الأقل في مسجد بشمال أفغانستان فيما تجمع المصلون لأداء صلاة العيد. وقال قائد الشرطة الإقليمية إن الهجوم الذي وقع في اليوم الأول من عيد الأضحى في ميمنة عاصمة إقليم فارياب أسفر عن إصابة ٤٠ شخصا بجروح وألقى المسؤولية على حركة طالبان الإسلامية»[٢]. فأي فكر هذا الفكر، البعيد كليًا عن سماحة الإسلام!

الإدارة السليمة للكوارث تقلل الخسائر

حقيقة الأمر، أننا ينبغي أن نستلهم الدروس من الكوارث، ومنها هذا الإعصار ساندي. ان من المهم دراسة طريقة الآخرين في ادارة الكوارث، فقد أظهر الأمريكيون ادارة رائعة لما بعد الكارثة، كان الجميع حاضرين لمواجهة الكارثة، من أعلى رأس الدولة متمثلا في الرئيس، وحتى أصغر موظف، فقد كانوا يتوقعون أن يضرب الإعصار، وكانت لديهم كل المعطيات حول المنطقة والوقت وسرعة الرياح وكثافة الأمطار وقوة

---

(١) عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين. ١٠٠ سؤال وجواب في العمل الخيري، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، (المنطقة الشرقية: هيئة الإغاثة الإسلامية)، ص٤٦.

(٢) جريدة الرياض الصادرة بتاريخ السبت ١١ ذو الحجة ١٤٣٣هـ ـ ٢٧ اكتوبر ٢٠١٢م، العدد ١٦١٩٦.

الأمواج التي تضرب الساحل، وكانوا يطلعون المواطنين عليها أولًا بأول، لكي يقللوا من حالة الهلع في أوساطهم، وتوجيههم إلى ما يجب عليهم أن يفعلوه، لذلك جاءت الخسائر محدودة، قياسًا على قوة الإعصار الكبير. كل ذلك بفضل حسن الإدارة الذي صاحب الموقف. والله أعلم ماذا سيجري لو أن عشرة بالمئة من هذا الإعصار ضربت مناطقنا، سيما والناس ترى كيف تفعل بعض زخات المطر فيهم!

نحن ومن موقع إنسانيتنا، وما نستشعره من قيم الدين، واحترام وتقدير الإنسان، والاهتمام بآلام البشر، نتعاطف مع المصابين في إعصار ساندي. كما نسأل الله أن يدفع السوء والمكروه عن كل أبناء البشر.

وفي هذا الصدد لا بُدّ وأن نتناول الفاجعة التي أصابت المنطقة، مع تحول أحد الأعراس في بلدة عين دار بمحافظة إبقيق إلى مأتم، إثر ماسٍ كهربائي وقع في خيمة العرس وراح ضحيته نحو ٢٥ ضحية من النساء والأطفال، وأكثر من ثلاثين مصابًا[١]. ونظرًا لكون الحادثة جاءت نتيجة إطلاق النار ابتهاجًا بالمناسبة، مما أصاب أحد خطوط الكهرباء فسقط فوق الخيمة، فذلك ما يدفعنا لانتقاد بعض التصرفات المصاحبة لحفلات الزواج، وقد شهدت منطقتنا حوادث إطلاق نار راح ضحيتها بعض المحتفلين في الأعراس. وغير ذلك من الممارسات، من قبيل زفاف العريس بالسيارات وما يصاحبه من تصرفات طائشة بالغة الخطورة، فضلًا عن التسبب بتعطيل الحركة المرورية في الشوارع.

وأخيرًا نعرب عن عميق مواساتنا لأهالي بلدة عين دار والأسر المفجوعة بأبنائها، إنهم جزء من شعبنا وأهل منطقتنا، لذلك نتألم لألمهم، ونتعاطف معهم، ونواسيهم في مصابهم، ونسأل الله أن يتغمد جميع الموتى بالرحمة والمغفرة، وأن يمن على المرضى بالشفاء والصحة. ونأمل أن يظهر الجميع هذه المشاعر التي يزرعها وينميها

(١) جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الأربعاء ١٥ ذو الحجة ١٤٣٣هـ - ٣١ اكتوبر ٢٠١٢م - العدد ١٦٢٠٠.

الإسلام في قلب الإنسان المؤمن.

كما نعرب عن تعازينا أيضًا في ضحايا انفجار صهريج الغاز الذي وقع مؤخرًا في مدينة الرياض، ونسأل الله لهم الرحمة والمغفرة، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمنّ على المصابين بالشفاء والعافية، سألين الله أن يجنبنا ويجنب بلادنا وبلاد المسلمين وجميع أبناء البشرية كل مكروه.

الخطبة الأولى

مواجهة الإساءة بالإحسان

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[سورة الرعد، الآية:٢٢]

ثمة صراع دائم أزلي في حياة البشر، بين توجهات الخير وتوجهات الشر، المنبثقين كليهما من داخل الإنسان. حيث تنبثق توجهات الخير انطلاقًا من الفطرة السليمة، ويدعمها العقل، فيما تنبثق توجهات الشر من الشهوات والأهواء، ويشجع عليها الشيطان. إن هذا الصراع الدائم لن يحسم في هذه الحياة الدنيا، ما دام الأمران يعتركان في أعماق الإنسان نفسه. ولعل أقرب تشبيه لهذه الحالة، هو التجاذب بين الصحة والمرض في حياة الإنسان، فالمرض أمر قائم وموجود باستمرار، إلا أن هناك جهودًا تبذل باستمرار من أجل مكافحته، ولا توجد جهة واحدة في العالم تدعي استئصالها لجميع الأمراض، فذلك أمر متعذر، غير أن الممكن والمتاح للجميع هو تعزيز الحالة الصحية، وتقوية المناعة لدى البشر، ومقاومة الأمراض بغرض الحدّ منها وإضعاف مسبباتها. وكذلك الحال مع الصراع بين توجهات الخير وتوجهات الشر، فنظرًا لتعذر حسم هذا الصراع دنيويًا، فإن جلّ ما تسعى إليه الشرائع السماوية هو تعزيز جانب الخير في نفس الإنسان، وإضعاف جانب الشر عنده، فذلك جلّ ما تصبو إليه كل الرسالات السماوية.

تعزيز توجهات الخير

وتتضمن الشرائع السماوية وسائل وأساليب عديدة لتعزيز جانب الخير عند الإنسان، وإضعاف جانب الشر. ومن ذلك معادلة مواجهة الشر والرد عليه، وخاصة ضمن إطار العلاقات الاجتماعية، فيا ترى، ما طبيعة هذه المواجهة وكيف يكون الرد؟ فهل تكون مواجهة الشر بالشر؟ أم هل ينبغي الرد على السوء بما هو أسوأ؟.

حقيقة الأمر، قد يكون الرد بالمثل أمرًا مطلوبًا في بعض الحالات، كما في مجابهة الظلم مثلًا، غير أنه وضمن العلاقات المجتمعية تذهب التعاليم الدينية إلى النأي عن الرد بالمثل، والميل نحو مقابلة الشر بالخير والإحسان. أي إنه، ومع ما تعطيه الشرائع السماوية من حق الرد بالمثل، وفقًا للآية الكريمة ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٩٤]، غير أن الشرائع تشدد في الوقت ذاته على أن أسلوب الرد بالمثل ليس هو الأسلوب الأمثل دائمًا، وإنما الأصل أن يسعى الناس لمواجهة الشر والسوء بالخير والإحسان، يقول تعالى في هذا الشأن: ﴿وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[سورة الرعد، الآية: ٢٢]، فالله تعالى يحث المؤمنين على الميل نحو درء السوء، أي مواجهته، بالإحسان، مع وعده تعالى للمؤمنين إثر ذلك بالعاقبة الحسنة دنيا وآخرة.

وتوضيحًا للأمر، يعمل معسكر الشيطان على تعزيز توجهاته القائمة على الشر بالدرجة الأساس. وبذلك يأتي الدخول في المشاحنات والاعتداء اللفظي والجسدي ضمن سياق التوجهات الشيطانية، فأيما اعتداء سافر من طرف على آخر، فإنه حتمًا يخدم معسكر الشيطان، فإذا جاء الرد بالمثل فستكون الخدمة لمعسكر الشيطان مضاعفة، ذلك أن حالة التنازع والاعتداء والاعتداء المقابل هي الحالة التي يريد معسكر الشيطان تعزيزها بين البشر. إذًا ومع حفظ الشرائع السماوية لحق الرد بالمثل ردعًا للعدوان، إلا أنها تشدد في الوقت ذاته على ضرورة إعادة النظر والتفكير أكثر من مرة في خيارات أخرى للرد، ومنها وأهمها مواجهة الإساءة بالإحسان، والغرض من

ذلك منع تكرر الإساءة، وعدم تفاقم المشكلة، علاوة على ما يرتجى من تأثير ذلك في الطرف الآخر المسيء، بحيث يحجزه عن تكرار الإساءة.

لماذا نواجه الإساءة بالإحسان:

وتشدّد النصوص الدينية باستمرار على مقابلة الإساءة بالإحسان. يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾: «لا يكونن أخوك على الإساءة أقوى منك على الإحسان إليه»، ومضمون ذلك، أن إذا استنفذ أخوك طاقته في توجيه الإساءة اليك، وسخّر إرادته في ارتكاب الشر ضدك، فإن المطلوب من الإنسان المؤمن أن يستنفذ أقصى طاقته في الإحسان، وأن يجعل إرادته مسخرة للخير.

إن المشكلة الشائعة في العلاقات البينية بين الناس، بدءًا من الزوج وزوجه، والأب وأبنائه، وكذلك الجيران والزملاء، أن إذا تلقى أحدهم إساءة من الآخر، فإن أول ما تثور عنده هي الرغبة في الرد والمسارعة في الانتقام للنفس، وعلى جري المثل يريد ان «يرد الصاع صاعين»، ومع الشعور بالرضا من تحقيق الانتقام مرحليًا، إلا أن الشرائع الدينية تنأى بالمرء عن هذا التوجه، وتحذّر من عدم نيل العاقبة الحسنة، وإنما تأتي العاقبة الحسنة عند مواجهة الإساءة بالإحسان.

جاء في رواية عن أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ أنه قال: «إن من فضل الرجل أن ينصف من لم ينصفه ويحسن إلى من أساء إليه»[١].

وورد في دعاء مكارم الأخلاق للإمام علي بن الحسين زين العابدين ﴿عليه السلام﴾، وهو دعاء بالغ الروعة، ويمتاز على كثير من الأدعية بالوضوح والفصاحة، وملامسة كلماته الحياة الاجتماعية عن قرب، وهو من الأدعية التي يُوصى بالمواظبة والمداومة عليها، جاء في هذا الدعاء: «اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وسدّدني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافئ من

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٣٧، حكمة ٢٨٠.

قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر». ويشدد الدعاء على حالة التسديد الإلهي في ضبط النفس، ذلك أن مقابلة الغش بالنصح تحتاج إلى تسديد إلهي، بالنظر إلى ميل الطبيعة البشرية للانتقام، وكذلك الحال في التعامل مع هجران ومقاطعة الآخرين، فالدارج عند الناس مقاطعة من قاطعهم، في حين يدعو الإمام ربه بأن يهبه التسديد لأن يواجه بالبر أهل الهجران والقطيعة، والحال نفسه يجري مع البخلاء الذين يدعو الإمام ربه أن يوفقه لأن يبذل لهم مما عنده.

خلق عظيم يحتاج إرادة عظيمة:

ولا مناص من القول إن هذا النمط من السلوك الاجتماعي النبيل أمر صعب، سيما إذا كان الطرف الآخر المراد إبداء اللين تجاهه، ضعيف الحال، من قبيل الأبناء أو الزوجة أو العامل عنده، فغالبًا ما يجد الإنسان نفسه أمام تحدّي التراجع أمام هذا الضعيف، بيد أن هذا هو مكمن الفخر في التزام القيم. يقول الإمام علي ﷺ: «من كمال الإيمان، مكافأة المسيء بالإحسان»[1].

ويرقى مجال العلاقة بين الأقرباء والأرحام إلى اعتباره أحد أهم المجالات الاجتماعية حاجة لتعزيز جانب الإحسان في مقابل الإساءة. ذلك أن ما يجري في الكثير من الأحيان، هو انشغال الناس في معيشتهم اليومية وشؤونهم الحياتية، وذلك ما ينتهي بالكثيرين إلى قلة التواصل الاجتماعي فيما بينهم. أو ربما حصل التباعد لما غاب عن أذهان البعض من الأهمية الحيوية لصلة الرحم. أو لعله شاب النفوس شيء من الملامة لسبب أو لآخر، فأدى إلى شيء من التباعد، كما هو حال البشر إجمالًا وخاصة بين الأرحام، عند ذلك إذا ما جاء رد الفعل موازيًا للفعل، بأن جاءت القطيعة مقابل القطيعة، فقد زادت القطيعة استحكامًا. والحال أن المطلوب بشدة أن يبادر المؤمن إلى صلة أرحامه وإن قطعوه، ذلك إذا ما أراد أن يغيظ الشيطان، وأن يرضي

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٧٥، حكمة ١٦٧.

ربه، ويضمن لنفسه عقبى الدار.

العوائد الكبيرة:

ان مقابلة الإساءة بالإحسان لها نتائج ايجابية كبيرة على مختلف الأطراف وخاصة بين الأرحام والأقرباء. ذلك أن الرد من أحد الطرفين على القطيعة بالصلة، يبطل في حقيقة الأمر تلك القطيعة، فلا تعود أمرا قائما، وبالتالي لم يتحقق ما يريده الشيطان. وعلاوة على ذلك، ربما أعاد الطرف الآخر النظر في أمر القطيعة، فيبادر هو الآخر إلى التواصل، فيتحقق بذلك الانتصار للقيم الخيرة.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقطع رحمك وأن قطعتك»[١]، ونقل عن أبي ذر ﷺ أنه قال: «أوصاني خليلي ﷺ أن أصل رحمي وإن قطعوني وجفوني»[٢]، وعن علي ﷺ أنه قال: «صلوا ارحامكم وإن قطعوكم»[٣]، وفي حديث لافت قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة! من وصل من قطعه، وعفا عمن ظلمه، وأعطى من حرمه»[٤]، كما ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «إن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي أهلًا كنت أصلهم وهم يؤذوني، وقد أردت رفضهم، فقال له رسول الله ﷺ: إذن يرفضكم الله جميعًا، فقال: وكيف أصنع، فقال ﷺ: تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك كان الله عز وجل لك عليهم ظهيرًا»[٥]، وهذه كلمة نبوية عظيمة.

وللحق، لا ينبغي أن نُغفل الصعوبة الكامنة خلف تقمص الخُلق العظيم القائم على مجابهة الإساءة بالإحسان. فذلك مما يتطلب ارادة قوية، وعزيمة كبيرة. وليس منا من

(١) الكافي. ج ٢، ص٣٤٧، حديث ٦.
(٢) كنز العمال. ج ١٦،ص ٢٤٥، حديث ٤٤٣١٩.
(٣) بحار الأنوار. ج ٧٤، ص٤٠٢، حديث ٢٩.
(٤) كنز العمال. ج ١٥، ص ٨٣٥، حديث ٤٣٣٢١.
(٥) بحار الأنوار. ج ٧١، ص ١٠٠، حديث٥٠.

لا يثمّن عاليًا قول الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[سورة فصلت، الآية: ٣٤]، لكن من هم أولئك القادرون على تقمص هذه الحالة المناقبية العالية، التي تتعالى على الثأر الشخصي والانتقام للنفس، ويأتي الجواب منه عزّ وجلّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت، الآية:٣٥]، فلا يتحقق ذلك إلا بتوفر الإرادة القوية من جهة، والتسديد الإلهي من جهة أخرى.

وهناك بعد شخصي لمسألة ارتكاب الإساءة وضرورة مقابلة ذلك بالإحسان. حيث يطرأ على الإنسان الضعف فتصدر منه الأخطاء بحق الله سبحانه، ويرتكب الذنوب، فإن المطلوب آنئذٍ أن يتبع المخطئ بالحسنة السيئة، وذلك عين ما جاءت به الآية الشريفة ﴿ وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾. إن على المخطئ أن يعمل الخير تعويضًا على أخطائه وسوء أفعاله. ولعلّ تلك هي نفسها فلسفة الكفارات المعروفة في الشريعة، من قبيل كفارة الأفطار عمدًا في شهر رمضان، أو مخالفة بعض أحكام الحج وغير ذلك، التي لا تعدو في جوهرها، أي الكفارات، عن القيام بعمل الخير المعبر عنه في الآية الكريمة ﴿ بِالْحَسَنَةِ ﴾، لغرض تجاوز ﴿ السَّيِّئَةَ ﴾ أي درئها ودفعها. وشأن ذلك شأن الإنسان المخطئ بحق ربه، الذي ليس عليه إلا أن يستغفر الله ويعمل عملًا صالحًا، يقول تعالى في هذا الشأن: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[سورة هود، الآية:١١٤]، وورد عن رسول الله ﷺ في هذا الشأن أنه قال: «اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها»[١]، وجاء في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ما أحسن الحسنات بعد السيئات وما أقبح السيئات بعد الحسنات»[٢]. إن جميع ما سبق إنما يصبو لتعزيز قيم الخير في النفوس.

وتنطوي التعاليم الدينية على إشارة لافتة حول ضرورة أن تتناسب الحسنة الراهنة،

(١) صحيح الترمذي. حديث ١٩٨٧.

(٢) الكافي. ج٢، ص٤٥٨. حديث ١٨.

مع السيئة المرتكبة، حتى تمحوها وتتجاوزها. فلا بُدّ من أن تتناسب الحسنة في وضوحها ودلالاتها، وضوح ودلالة السيئة. فلو ارتكب أحدهم الغيبة أمام الناس بحق شخص من الأشخاص، فلا يكفي أن يتصل به هاتفيًا في وقت لاحق ويبلغه اعتذاره عن الإساءة التي وجهها له أمام الآخرين، فليس من الانصاف توجيه الإساءة علنًا، فيما يجري تقديم الاعتذار سرًا، وإنما ينبغي أن تتناسب طبيعة الاعتذار مع ظروف الإساءة. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال «من عمل سيئة في السر فليعمل حسنة في السر، ومن عمل سيئة في العلانية، فليعمل حسنة في العلانية»[1]، وذلك حتى تتناسب الحسنة مع السيئة. هكذا نجد التعاليم الدينية ملامسة لدقائق النفس الإنسانية وأحوال المجتمع في علاقاتهم البينية العامة، وفي صلتهم بربهم.

---

(١) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ١٠٣.

الانتخابات الأمريكية الكفاءة والحراك

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾
[سورة المطففين، الآية: ٢٦].

تُعد المنافسة، ضمن أيّ أطار من الإطـارت، أحد أبرز الدوافع نحو تحقيق المنجزات التقنية والإنسانية. ذلك أن من طبيعة الانسان حرصه على جلب المكاسب لنفسه، ورغبته في أن يسبق الآخرين ويتفوق عليهم، هذه غريزة في نفوس البشر، وبها يتسابق الناس في إعمار الحياة، وتحصيل الخيرات. وفي حين تقع بعض المجتمعات في خطأ فادح بكبتها غريزة التنافس بين أبنائها، من خلال احتكار بعض المجالات، وإقناع الناس بأنهم ليسو أهلًا لتقمص بعض الأدوار، انطلاقًا من تصورات عنصرية، تقصر بعض الأدوار على أبناء عرق معين، أو المنتمين لقبيلة محددة أو المنضوين تحت انتماء بعينه. بينما تذهب المجتمعات الحديثة إلى تنظيم حالة التنافس بين أبنائها على نحو إيجابي بنّاء، وذلك من خلال فتح الطريق واسعًا، وإتاحة الفرصة أمام الجميع، وعلى حدّ سواء، لتحقيق ذواتهم، وبناء مجتمعاتهم، بعيدًا عن أي شكل من أشكال العنصرية والتمييز.

الحياة فرص مفتوحة:

إن جميع الشرائع السماوية تحث على المساواة وإتاحة فرص المنافسة البناءة

أمام الجميع. وقد جعلت مختلف الأديان فرص الحياة مفتوحة أمام بني البشر، فالله سبحانه قد زود الانسان بكل الطاقات والقدرات التي تمكنه من التسابق والتنافس في كل مجال مادي ومعنوي، ومما ورد في تحصيل المكاسب المادية، قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[سورة الإسراء، الآية:٢٠]، وعلى غرار ذلك ورد في تحصيل المكاسب المعنوية قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[سورة البقرة، الآية:١٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[سورة المطففين، الآية:٢٦]، وما تقرره الآيات الكريمة، هو أن التنافس قائم بين بني البشر في مكاسب الدنيا، مع الحث في الوقت عينه على التنافس في درجات الآخرة.

ليس لأحد مجال احتكار لدرجات الآخرة، ولا من محسوبيات في مكاسبها. كلا، فقد ورد عن الامام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبدًا حبشيًا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولدًا قرشيًا»[1] وقد سبق ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية:١٣]. وبذلك فالدين يقر بحق التنافس المفتوح بين بني البشر في المجالات المادية والمعنوية كافة، فذلك ما يعمر الحياة ويصنع التقدم، ولطالما ثبت بالتجربة أن المجتمعات التي يحكمها التنافس المفتوح تحرز التقدم، في حين تبقى المجتمعات التي تعيش الاحتكار والعنصرية والتمييز، ويكون التنافس فيها مكبوتًا، والإستئثار قائمًا، تبقى أسيرة التخلف، وتقبع أسفل درجات الانحطاط.

إن الحري بمجتمعاتنا التي لا يزال يعشش فيها التمييز، وتزدهر المحسوبيات، أن تأخذ من المجتمعات الأخرى الدروس الماثلة على صعيد التنافس المفتوح بين أبنائها. وقد عاش العالم خلال الأيام الماضية مجريات انتخابات الرئاسة في أمريكا، وكشفت هذه التجربة شيئًا من إيجابيات تلك المجتمعات المتقدمة، التي يسودها التنافس المفتوح على كل الصّعد، سواء في المجال العلمي والاقتصادي أو المجال

(١) بحار الأنوار. ج٤٦، ص٨٢.

السياسي، وهو أكثر المجالات حساسية في المجتمعات البشرية.

مجتمعات تجاوزت العنصرية والتمييز

ولعلّ شيئًا من التفاصيل المحيطة بالانتخابات الأمريكية تكشف إلى أي مدى تجاوز هذا المجتمع أسوأ النزعات العنصرية التي قد تصيب أي أمة. فالرئيس الأمريكي باراك اوباما الذي فاز بولاية ثانية في الانتخابات الأخيرة، ينتمي إلى الأقلية السوداء الضئيلة العدد نسبيًا في المجتمع الأمريكي، بحيث لا تتعدى نسبتها ١٤ ٪، وقد وصل أوباما لمنصب الرئاسة وهو في سن ٤٧ عامًا، ضمن سن الشباب.

وعلاوة على ما سبق، لم ينحدر الرئيس أوباما من عائلة برجوازية، ولم يصنف ضمن الطبقة المخملية في المجتمع. فهو شاب ينتمي إلى أقلية صغيرة ومن أسرة فقيرة، ومن أب ليس من أصل أمريكي، بل كان كيني الأصل، كما لا يعلم الكثيرون عن دين أو مذهب الرئيس. فقد أظهر استطلاع للرأي أجرته بعض الوكالات أن ٣٣٪ فقط من الأمريكين يعرفون أن رئيسهم يعتنق المسيحية، بينما لم يعرف ٣٥ ٪ ممن شملهم الاستطلاع ديانة الرئيس، في حين قال ١٨٪ أن أوباما يهودي، علما بأن استطلاعات رأي تزامنت مع الانتخابات السابقة قال فيها ١٧٪ من الامريكيين أن أوباما مسلم. ومع كل ذلك بقي المجال مفتوحًا أمامه للتنافس على منصب رئيس الولايات الأمريكية، وهذا ما تحقق له بالفعل عبر الوسائل والشروط المتاحة.

هذه قيمة مهمة جدًا ينبغي أن تعيها مجتمعاتنا، عبر جعل باب التنافس مفتوحًا، لتفرض الكفاءة نفسها وتأخذ موقعها الملائم، ذلك أن مجتمعاتنا لا تزال تعيش التمييز والمحسوبيات حتى ضمن أدنى المستويات، حيث تعمد بعض الدوائر الحكومية إلى إخضاع موظفيها ضمن مرحلة التقييم إلى اعتبارات الانتماء الطائفي أو القبلي والمناطقي وما أشبه. هنا ينبغي الإشارة إلى أن تلك الاعتبارات قد لا تكون مقرة قانونًا، لكن ثقافة العنصرية والتمييز هي السائدة بحكم الأمر الواقع، وكم نحن بحاجة

إلى تجاوز هذه الثقافة المتخلفة، وأن نصل إلى أفق القيم الإنسانية التي يقرها ويعززها ديننا وقرآننا الكريم.

الانتخابات وصقل الكفاءات

إن الحديث عن الانتخابات الأمريكية هو حديث الدور الحيوي الذي تلعبه الكفاءة الشخصية، مجردة عن أي بعد آخر. ولعل نظرة سريعة على مجريات العملية الانتخابية في هذا البلد تكشف إلى أي مدى تلعب الكفاءة دورها المحوري في تحديد من يشغل منصب الرئاسة. فعلاوة على ما ينبغي أن يكون قد قطعه المرشح للرئاسة من أشواط في عمله الإداري والسياسي، تأتي الرحلة الشاقة في إقناع جمهور الناخبين في حزبه بجدارته وترشيحه لمنصب الرئاسة، فهناك في كلا الحزبين الرئيسيين الديمقراطي والجمهوري أكثر من شخص يطمح لخوض سباق الرئاسة، وعليه يكون كل مرشح داخل الحزب على المحك في امتحان إثبات الكفاءة أمام بقية الأعضاء، وإقناعهم ببرامجه، وصولًا فيما بعد إلى اختيار مرشح واحد للحزب من بينهم، ليخوض سباق الرئاسة أمام مرشح الحزب المنافس، واستقطاب أصوات عامة الناخبين الأمريكين، في رحلة طويلة يتخللها طرح البرنامج الانتخابي، ضمن حملة واسعة النطاق من العلاقات العامة، هدفها أن يثبت المرشح نفسه ويستقطب الجمهور.

الانتخابات حراك سياسي

وهذا يبرز مدى ما تصنعه المحطات الانتخابية من حراك سياسي داخل المجتمع. أخذًا بالاعتبار ما يجري أثناء الحملات الانتخابية من حوارات مطولة عن البرامج الانتخابية لهذا المرشح أو ذاك، إلى جانب مواقفهم من مختلف القضايا، والبحث عن الأفضل بينها. وتبرز أهمية ذلك حين يعيش المجتمع مثل هذا الحراك على نحو دوري كل أربع سنوات كما هو عند الشعب الأمريكي. سيما إذا تخلل ذلك، انتخابات الكونغرس ومجلس الشيوخ، فهذا كله يجدد الحياة السياسية لدى الشعب الأمريكي،

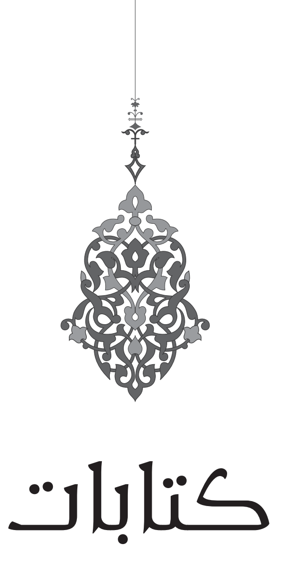
فجميع هذه المعارك الانتخابية تشهد حراكًا نشطًا من جيش من العاملين ربما بلغ مئات الآلاف من الناس، ذلك أن الفريق الانتخابي لكل مرشح منتشر في كل منطقة لإدارة ومتابعة حملته، وإقناع الناخبين بمرشحهم، الأمر الذي يقتضي عقد حلقات نقاشية لا حصر لها حول برامج المرشحين، وهذا ما يفسر حدة المنافسة التي تكشفها في أحيان كثيرة النسبة الضئيلة الفاصلة بين نتائج المرشحين على مستوى البلاد، مما يدل على أن في داخل الشعب الأمريكي هناك آراء واهتمام ببرامج كل مرشح. وما أحوج شعوبنا للاستفادة من دروس الواقع السياسي في المجتمعات المتقدمة.

بقي أن نشير إلى أننا كمسلمين وعرب لا ينبغي أن نراهن على نتائج الانتخابات الأمريكية. إن من غير الصحيح أن نتوقع أن يفيدنا ويساعدنا هذا المرشح في حل قضايانا أكثر من المرشح الآخر، فالمسألة ليست مسألة شخص الرئيس، بل هناك مؤسسات ومعادلات حاكمة في أمريكا، وإن كان لشخصية الرئيس تأثير معين ولكن في حدود. وقصارى القول إنه إن لم نساعد أنفسنا فلن يساعدنا أحد، فالمهم أن نثبت أنفسنا حتى يحترمنا الآخرون.

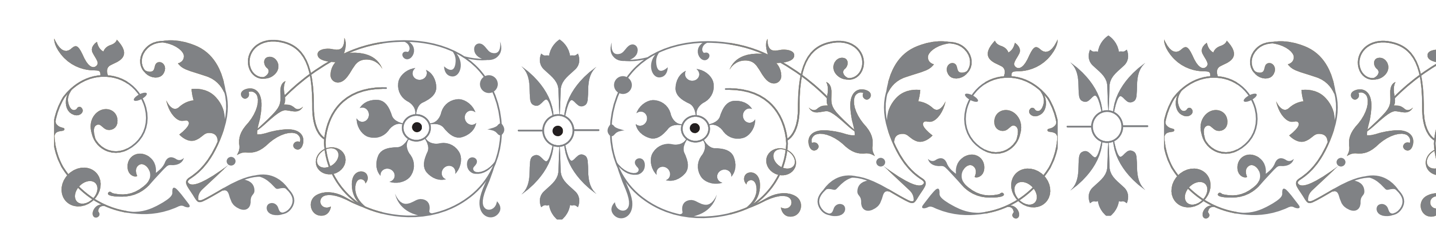
وقد بات واضحًا ما لمقاومة التدخلات العسكرية الأمريكية من انعكاس سياسي مباشر على خيارت الشعب الأمريكي. فقد كشفت الانتخابات الأمريكية الحالية والماضية، أن الدور العسكري الأمريكي أصبح عبئًا ثقيلًا خيمت ظلاله على مفاصل العملية الانتخابية برمتها، ولو أن التدخلات الأمريكية في العراق وأفغانستان لم تواجه بالمقاومة، لكان التنافس في هذه الانتخابات على تعزيز التواجد والتدخل الأمريكي في هذا المكان وذاك، لكن نتيجة للخسائر الفادحة بسبب المقاومة، وجدنا أن الفائز بمنصب الرئاسة هو الذي طرح شعار الانسحاب وتقليل الخسائر، وعدم تعريض القوات الأمريكية في الخارج للأخطار، وهذا لم يأت كرمًا من النخبة السياسية الأمريكية، بل لأن هناك فعلًا مقاومًا داخل ساحات الأمة. لذلك لا ينبغي أن تراهن الأمة على الآخرين، لا على مستوى القضية الفلسطينية ولا أي قضية أخرى، وإنما

ينبغي أن تراهن على قوتها وقدرتها، وعلى تلاحمها وتماسكها، فإذا احترمت الأمة نفسها فإنها تفرض احترامها على الآخرين، وإلا فإن الآخرين سيشيحون بوجوههم عنها، وسيحسبون حسابًا للقوى الأخرى، كاللوبي الصهيوني وغيره من اللوبيات التي تعمل بفاعلية ونشاط.

نحن نأمل أن يوفق الله أبناء الأمة لاستعادة سيادتهم على بلادهم، وتجاوز هذه الحالة من خلال إثبات قدراتهم وقوتهم.



كتابات



تقديم لكتاب:

٧

أسئلة وإجابات*



تطلع الإنسان للعلم والمعرفة، وبحثه عن الحق والصواب، هو الباعث الأساس لانبثاق الأسئلة في ذهنه.

كما أن حالة المواجهة والصراع في أعماق نفس الإنسان بين وجدانه وعقله من جهة، وبين شهواته ورغباته من جهة أخرى، كثيرًا ما تجعله في موقع الحيرة والتساؤل.

وقد يجد الإنسان نفسه أمام حالة تزاحم وتعارض بين توجهات خيّرة، فكيف يضع سلّم الأولويات؟ وكيف يتبين له الأهم من المهم؟!

وفي جانب الرغبات قد يواجه تدافعًا بين مختلف الميول والانشدادات، فيقف حائرًا متسائلًا.

إن انبثاق السؤال في ذهن الإنسان هو نتاج لخاصيته العقلية، ولما منحه الله تعالى

* مهدي جعفر صليل، أسئلة وإجابات (أفكار عملية تعالج مشاكل اجتماعية وقضايا ثقافية)، أطياف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

من إرادة يمارس بها حرية الاختيار.

والسؤال دلالة يقظة ومؤشر إدراك، وهو يعني شعور الإنسان بالمسؤولية تجاه ما يتساءل عنه ويفكّر فيه.

بينما يؤشر انعدام السؤال إلى خمول في الذهن، واسترسال ساذج مع مجريات أمور الحياة.

إن السؤال يقود الإنسان إلى المعرفة، ويجعله أقرب للصواب، ولذلك جاءت النصوص الدينية الكثيرة تحفّز الإنسان للتفكير والتساؤل، وتدفعه لسؤال العلماء والمتخصصين في كل مجال من المجالات.

يقول تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وقد تكرر هذا النص مرتين في القرآن الكريم في سورة النحل آية ٤٣ وفي سورة الأنبياء آية ٧.

وورد عن رسول الله أنه قال: «السؤال نصف العلم».

ومن أجل أن يكون السؤال ثقافة مجتمعية ورد عنه أنه قال: (العلم خزائن ومفاتيحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فإنه يؤجر أربعة: السائل، والمتكلم ـ أي المجيب ـ، والمستمع، والمحب لهم) .

وجاء عن أمير المؤمنين علي ﷣: «القلوب أقفال ومفاتيحها السؤال».

وعنه ﷣: «سَلْ عمّا لا بدّ لك من علمه ولا تعذر في جهله».

وفي هذا العصر تيسّرت الأمور، وتهيأت الأسباب، وتوفرت وسائل المعرفة، وبإمكان أي إنسان أن يتواصل مع مختلف العلماء والمتخصصين في شتى مجالات العلم والحياة.

فلا عذر لإنسان في التقاعس عن كسب المعرفة، أو البقاء في حيرة الجهل.

وعلى الصعيد الديني فقد انبرى عدد كبير من العلماء للتصدي لاستقبال الأسئلة

التي ترتبط بالأمور الشرعية، وذلك عبر وسائل الاتصال الحديثة، ومن أبرزها افتتاح مواقع التواصل على شبكة الإنترنت.

ولأن الله تعالى قد شرفني بالانتماء إلى سلك طلبة العلوم الدينية، رأيت من واجبي أن أسهم في نشر العلم والمعرفة بمقدار حصيلتي المتواضعة وجهدي المحدود. فأنشأت موقعًا على شبكة الإنترنت بمساعدة بعض الإخوة الأعزاء حيث تم افتتاحه سنة ١٩٩٩م.

وصارت تردني على بريد الموقع الإلكتروني كثير من الرسائل التي تحمل مختلف الأسئلة والاستفسارات بعضها يتعلق بمسائل دينية، وأخرى تعرض مشاكل اجتماعية.

وكنت أستفيد من ورود تلك الأسئلة في رصد بعض المشاكل الدينية والاجتماعية، كما كانت بعض الأسئلة باعثًا لي للبحث والمراجعة من أجل إعداد الإجابة المناسبة.

ولكثرة الرسائل الواردة، مع انشغالاتي المختلفة، طلبت من الأخ العزيز الفاضل الأستاذ مهدي جعفر صليل مساعدتي في القيام بهذه المهمة، لثقتي بقدراته واستقامته وإخلاصه. فكان لي نعم المساعد والمعين، جزاه الله خير الجزاء، وأجزل له الأجر والعطاء.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم، يضم مجموعة مختارة من تلكم الأسئلة والإجابات، أرجو أن يكون في نشرها نفع وفائدة للقراء الكرام.

وفي الختام أجدد شكري للأخ الأستاذ مهدي صليل لقيامه بإعداد هذا الكتاب، ولخدماته المتواصلة للدين والمجتمع، حفظه الله ورعاه، وكثّر في أبناء المجتمع أمثاله.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

٢٠ ربيع الأول ١٤٣٣هـ

١٢ فبراير ٢٠١٢م

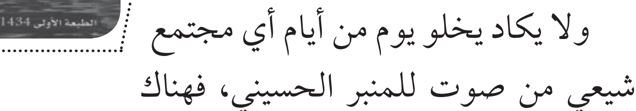
تقديم لكتاب:

٧

من خطباء المنبر الحسيني بمدينة سيهات*

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

يتبوأ المنبر الحسيني مكانة عالية من الاهتمام والتأثير في المجتمع الشيعي لا يدانيها أي اهتمام أو تأثير آخر. حيث يحتشد الجمهور الشيعي بكل شرائحه وطبقاته حول المنبر وخاصة في مناسبة عاشوراء.



ولا يكاد يخلو يوم من أيام أي مجتمع شيعي من صوت للمنبر الحسيني، فهناك مجالس تنعقد يوميًا في الصباح أو المساء، وهناك مجالس أسبوعية، وهناك مجالس عرضية، إضافة إلى مجالس المناسبات في ذكريات وفيات أهل البيت، ومجالس تقبل العزاء لأي متوفى من أبناء المجتمع، التي يطلق عليها في مجتمعنا المحلي (الفاتحة)، حيث ينعقد فيها المجلس الحسيني ثلاثة أيام صباحًا وعصرًا، أو عصرًا وليلًا، أو في الأوقات الثلاثة.

---

* عبدالفتاح العيد، من خطباء المنبر الحسيني بمدينة سيهات، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.

وتموّل بعض هذه المجالس الحسينية من وارد أوقاف كثيرة مخصصة للصرف عليها، حيث تشكل الأوقاف الحسينية ما يقارب ٧٠٪ من مجمل الأوقاف في المجتمعات الشيعية.

وقسم من المجالس تمولها التبرعات والنذورات من أبناء المجتمع، وهي كثيرة جدًا، فإقبال الناس على العطاء لما يرتبط بإحياء القضية الحسينية لا يوازيه أي إقبال على التبرع والعطاء في المجتمع الشيعي.

ورغم وجود قاعات مخصصة لإقامة المجالس الحسينية في كل حيّ شيعي يطلق عليها (حسينيات) إلا أن المجالس تعقد في مختلف الأمكنة، كالمساجد والبيوت والمزارع، وبعض الساحات العامة.

هذا الاهتمام المميز، والحضور الدائم للمنبر الحسيني في المجتمعات الشيعية، يقتضي وجود شريحة من الخطباء المتخصصين في ارتقاء هذا المنبر، وإحياء المجالس الحسينية.

إن المؤهل الأساس لخطيب المنبر الحسيني هو حفظه لوقائع مأساة كربلاء نثرًا وشعرًا، وقدرته على تلاوتها بصوت يستثير مشاعر الحزن والأسى في نفوس السامعين.

ومع تطور الوعي الاجتماعي صار مطلوبًا من الخطيب طرح المعارف الدينية، وعرض سيرة النبي وأهل بيته الطاهرين، وبث الفكر والثقافة المفيدة للمجتمع. حيث يتفاوت الخطباء في مستوياتهم المعرفية، وقدراتهم الخطابية.

من هنا أصبح لخطيب المنبر الحسيني تأثير بالغ في المجتمع الشيعي، وتشكيل شخصيته الدينية والثقافية.

ومدينة سيهات وهي تحتضن مجتمعًا شيعيًا عريقًا في تاريخه وولائه لأهل البيت، من الطبيعي أن يشكل المنبر الحسيني معلمًا بارزًا في تاريخها وحاضرها الاجتماعي.

وقد أنجبت هذه المدينة الطيبة أجيالًا من الخطباء الحسينيين الذين كانوا يصدحون بولاء العترة الطاهرة، ويربّون المجتمع على هدي سيرة النبي وآله ﷺ، ويعززون الانتماء لهم بالعاطفة الصادقة، والالتزام الديني القويم.

هؤلاء الخطباء الذين نذروا أنفسهم للقيام بهذه المهمة الدينية الولائية، وبذلوا وقتهم وجهدهم لخدمة المجتمع والتفاعل مع أفراحه وأتراحه، يستحقون أن تخلّد ذكراهم، وأن يسجّل تاريخهم في خدمة المنبر الحسيني، وفاءً وتقديرًا لدورهم، وتوثيقًا لجانب من تاريخ المجتمع، بما يمثلون فيه من مكانة وتأثير.

وفي هذا السياق تأتي هذه المبادرة الجميلة من مؤسسة الرسول الأعظم الثقافية بسيهات، حيث انبرى أحد أعضائها وهو الأخ العزيز الأستاذ عبد الفتاح العيد للبحث في تراجم وسيرة خطباء المنبر الحسيني من مدينة سيهات، وبذل جهدًا كبيرًا وفق إمكاناته وطاقته، لتجميع المعلومات عن حياتهم، وخاصة فيما يرتبط بتراجم الخطباء الماضين، من خلال استنطاق بعض أقربائهم ومعاصريهم، حيث لا تتوفر كتابات سابقة عن أكثرهم، جزى الله الأخ المؤلف خير الجزاء، على ما بذله من جهد في إعداد ها الكتاب الجميل، وزاد الله في توفيق ونشاط مؤسسة الرسول الأعظم ﷺ التي أخذت موقعيتها بجدارة في ساحة العمل الثقافي والاجتماعي.

ورحم الله خطباءنا الماضين، وحشرهم مع سادتهم الميامين، وحفظ الله خطباءنا المعاصرين، ووفقهم لأداء واجب هذه الخدمة المقدسة بأرفع درجات الإخلاص والاجتهاد.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

٢٢ ربيع الأول ١٤٣٣هـ

١٤ فبراير ٢٠١٢م

تقديم لكتاب

٧

بصائر من النهضة الحسينية*



الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين

كما الشمس تشرق ذكـرى الثورة الحسينية على مجتمعاتنا كل عام وكل يوم، لتضيء لها طريق المبادئ والقيم، ولتبث في أرجائها دفء الايمان والثبات والاستقامة.

وكما تتطور وتتقدم فرص الاستفادة من ضوء الشمس وأشعتها، كلما تطور وتقدم وعي الانسان وعلمه، فإن استفادة مجتمعاتنا من ذكرى الثورة الحسينية تنمو وتتسع بمقدار نمو وعيها، واتساع مداركها ونضجها الاجتماعي.

كان الانسان يستفيد من طاقة الإشعاع الشمسي في مجالات محدودة كتدفئة المنازل، وتجفيف المحاصيل الزراعية، إلى جانب الاستضاءة بنورها، ثم اصبحت

* رضي منصور العسيف/ باسم إبراهيم البحراني، بصائر من النهضة الحسينية، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.

أشعة الشمس مصدرًا للحصول على النار عن طريق تركيز الإشعاع، وبدأ استخدام الطاقة الشمسية في صهر المواد، وتوليد بخار الماء، وتقطير الماء، وتسخين الهواء، وأنشئت محطات للري بواسطة الطاقة الشمسية، وصولًا إلى توليد الطاقة الكهربائية من الطاقة الشمسية، ويزيد حجم الاستثمار العالمي في مجال الطاقة الشمسية حاليًا على ٢٠ مليار دولار، ويتوقع الخبراء أن يصل اجمالي استهلاك الطاقة الشمسية بحلول عام ٢٠٣٠م نحو ٤٥ مليون طن من المكافئ النفطي.

إن الإشعاع الشمسي كان ولا يزال موجودًا ولم يتغيّر ولم يتطور فيه شيء، لكن وعي الإنسان هو الذي تطور، فمكّنه من الاستفادة الأكثر، ولا يزال في بداية الطريق، ولم يستثمر من هذه النعمة الإلهية المتمثلة في الإشعاع الشمسي إلا الشيء القليل الضئيل، حيث يشير العلماء إلى أن الشمس ترسل في كل ٤٠ دقيقة كمية من الطاقة مساوية للطاقة التي يستهلكها جميع سكان الأرض خلال سنة كاملة، وإنما يستخدم الناس جزءًا محدودًا جدًا من الطاقة الشمسية التي تصل إلى الأرض.

وهنا يكمن وجه الشبه والمقارنة التي أردنا عرضها فيما يرتبط بمستوى الاستفادة من أشعة ذكرى الثورة الحسينية، فالأجيال المؤمنة على مدى الأزمنة والعصور كانت تستضيء بنور هذه الذكرى العظيمة، وتمتار منها حاجتها من الوقود الروحي، والطاقة المعنوية، بمقدار وعيها واستيعابها ومستوى إدراكها.

ومع هذا التقدم المعرفي والتكنولوجي الذي تتمتع به الأجيال المعاصرة، فإن فرصها في الاستفادة والاستثمار من ذكرى الثورة الحسينية فرص عظيمة هائلة، تمامًا كتطور فرص الانسان في الاستفادة من الطاقة الشمسية، ومهما اقتبسنا من أشعة النهضة الحسينية، وأخذنا من طاقتها المتوهجة، فلن يكون إلا جزءًا يسيرًا مما أودع الله تعالى فيها من نور الهداية، وإشعاع القيم، ومخزون الطاقة الروحية والمعنوية.

إن مجتمعاتنا وقد أصبحت اليوم أكثر وعيًا بواقعها، وأكثر تطلعًا للإصلاح

والتغيير، فإن قدرتها على الاستفادة من مخزون النهضة الحسينية، والاستلهام من بصائرها وعبرها ستكون أكبر وأفضل.

إن عملية الإصلاح والتغيير تستدعي إحياء منظومة من القيم والمبادئ في نفوس أبناء الأمة، وتستلزم إسقاط الكثير من الأوهام والمفاهيم الزائفة التي أنتجتها عصور التخلف والاستبداد، وكرستها في الأذهان والقلوب.

ولا يمكن لأمة أن تتجاوز واقع الظلم والفساد دون تقديم التضحيات ودفع أثمان التحرر والنهوض، مما يجعل الحاجة ماسّة لضخ ثقافة التضحية والفداء، وبثّ روح البذل والعطاء، وتحفيز إرادة المقاومة والصمود.

كما تحتاج الأمة إلى الرؤية الواضحة التي تضيء لها دروب التحرك والنضال، حتى لا تنزلق حركتها إلى المسار الخطأ، وتتبعثر الجهود والطاقات.

وفي النهضة الحسينية مخزون هائل وثروة كبيرة من الإمكانات الروحية الفكرية، التي يمكنها أن تزود جماهير الأمة بما تحتاجه في معركتها الحاضرة للإصلاح والتغيير.

وهنا يأتي دور الطليعة الواعية من علماء الأمة ومفكريها، لتجديد القراءة للثورة الحسينية على ضوء تطورات الحياة، وحاجات الأمة في هذا العصر.

وفي هذا السياق تأتي مبادرة الأخوين الكريمين: الأستاذ باسم البحراني، والأستاذ رضي العسيف، لتحفيز همم بعض الباحثين الواعين في المجتمع، لاقتباس شيء من شعاع النهضة الحسينية، وتسليط ضوئه على جانب من قضايا الأمة المعاصرة.

وبين يدي القارئ الكريم إحدى ثمرات هذه المبادرة الطيبة للأخوين الكريمين، حيث ضم هذا الكتاب مجموعة من المقالات القيمة، التي تتناول بعض أبعاد النهضة الحسينية، برؤية جديدة، تلامس هموم الواقع، وتواكب تطورات الوعي الاجتماعي، وتقدم البصائر الهادية من وحي أفكار وأحداث تلك الثورة العظيمة.

أسأل الله تعالى أن يتقبل من الأخوين الكريمين ومن الإخوة العاملين معهما في لجنة الإمام الجواد هذا الجهد المشكور، وأن يوفقهم جميعًا للمزيد من الجود والعطاء في خدمة الدين والمجتمع.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

٢٥ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ

١٧ أبريل٢٠١٢م

تقديم لكتاب

٧

قراءة في الخطاب الحسيني*

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

إن أخطر انحراف وفساد تواجهه الأمة هو انحراف وفساد قيادتها السياسية؛ لأن ذلك ينعكس على جميع جوانب ومجالات حياة الأمة، حيث تمسك السلطة السياسية بأزمّة الأمور، وحين تكون فاسدة فإنها تفسد كل شيء، في السياسة والاقتصاد والدين والأخلاق والتعليم والصحة والبيئة...

من هنا انطلق الإمام الحسين في حركته الإصلاحية باستهداف الطغيان والانحراف السياسي، فقد أعلن الإصلاح هدفًا لنهضته العظيمة كما جاء في أول خطاب له حين خروجه من المدينة قال: (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي)، وكان نهجه لتحقيق ذلك الهدف هو مواجهة الفساد والانحراف السياسي، برفض المصادرة الأموية لإرادة الأمة، وتسلّط يزيد بن معاوية عن طريق القوة والبطش، حيث ورّثه أبوه الحكم تحت شعار: (إن الخليفة هذا

* الشيخ عبد المحسن حسن الزواد. قراءة في الخطاب الحسيني ـ الربيع العربي أنموذجًا. الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

وإن مضى فهذا ومن أبى فهذا ـ أي السيف ـ).

وقد أشار الإمام الحسين بصراحة ووضوح إلى أن مصدر الخلل والفساد في الأمة هو الاستبداد والطغيان السياسي، كما جاء في رسالة منه إلى معاوية نقلتها المصادر التاريخية كالبداية والنهاية لابن كثير، قال فيها: (وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة)* .

هذه الحقيقة التي أبانتها ثورة الإمام الحسين في وقت باكر من تاريخ الأمة، تتردد اليوم أصداؤها في ساحات مختلفة من بقاع العالم الإسلامي فيما أطلق عليه ثورات الربيع العربي، فقد عانت الشعوب العربية والإسلامية من واقع التخلف والظلم والفساد، ولم تُجدِ محاولات الإصلاح الجانبية التي بذلت في مختلف المجالات شيئًا في تغيير واقع التخلف والفساد، حتى أدركت الشعوب ضرورة التحرك باتجاه إصلاح موقع القرار السياسي، بإسقاط الطغيان والاستبداد كما حصل في تونس ومصر وليبيا وبلدان أخرى تسير شعوبها على طريق الثورة والتغيير.

بيد أن المهمة الأصعب تكمن في إنجاز عملية البناء والنجاح في إقامة حكم رشيد تستند شرعيته إلى إرادة الشعب، ويحترم حقوق الإنسان ويقرّ التداول السلمي للسلطة.

وهنا يأتي دور النخبة الواعية من العلماء والخطباء والمفكرين والمثقفين، لكي يبثوا في أوساط الأمة الوعي الفكري والثقافة السياسية التي تتجاوز بهذه المجتمعات آثار التخلف والاستبداد، وتساعدها على شق طريقها الجديد، ومواجهة تحدّيات مرحلة الانتقال والتغيير.

إن ساحتنا الدينية تعاني كثيرًا من الفراغ والنقص في مجال الخطاب السياسي المؤصل دينيًا، والذي يستوحي مفاهيمه من نصوص الكتاب والسنة وسيرة النبي وآله الأطهار.

---

* الحافظ ابن كثير الدمشقي. البداية والنهاية ، ج٨، ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص١٦٩.

بل على العكس من ذلك تمامًا، هناك خطاب يوجّه إلى الابتعاد عن الشأن السياسي، ويكرّس انحصار الوظيفة الدينية في حدود المعتقدات القلبية والعبادات، والسلوك الفردي، والاهتمام بقضايا الآخرة.

وقد أحسن الأخ الكريم فضيلة الخطيب الشيخ عبدالمحسن الزوّاد الاختيار حينما اهتم بإسقاطات الخطاب الحسيني على واقع الحراك الذي تشهده الساحة العربية في ربيع جماهيرها الثائرة.

إن صفحات هذا الكتاب القيّم تذكر الأمة بتلك المفاهيم والمبادئ الأصيلة التي يجب أن ينطلق منها الوعي السياسي والممارسة السياسية في حياة المجتمع.

فشكرًا للشيخ الزوّاد على هذا العطاء المتجدد، الذي يأتي في سياق جهوده المستمرة النافعة في خدمة الدين والمجتمع، عبر الخطابة والتأليف والنشاط الاجتماعي.

أسأل الله تعالى له المزيد من التوفيق والتأييد.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

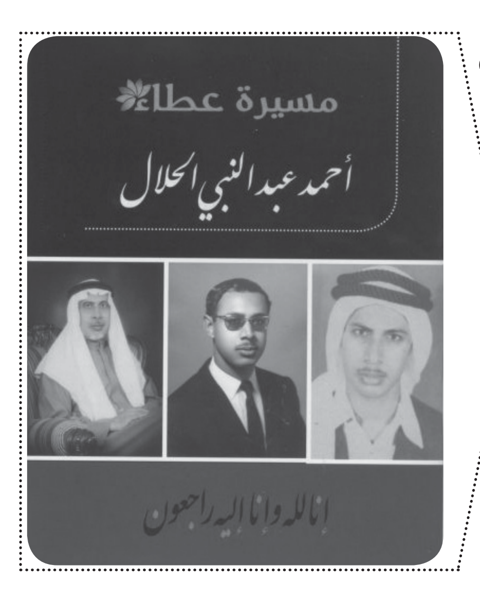
٢٢ رجب ١٤٣٣هـ

الموافق١٢ يونيو٢٠١٢م

تقديم لكتاب:

٧

مسيرة عطاء أحمد عبدالنبي الحلال*



يطمح أبناء كل مجتمع أن يكون المجتمع الذي ينتمون إليه قويًا قادرًا على التعبير عن ذاته والدفاع عن حقوقه ومصالحه، لكن قوة المجتمع لا تتحقق بالتمنيات والأحــلام، ولا مـن خـلال الصراخ والتشكي وإعلان التذمر، وإنما تبنى قوة المجتمعات عن طريق بروز الكفاءات والقدرات في أوسـاط أبنائها، وبقيام المؤسسات الاجتماعية التي تُعنى بشؤون التنمية، وترعى التكافل الاجتماعي، وتعزّز مكانة المجتمع في محيطه العام.

ويحتاج بناء المؤسسات الاجتماعية الأهلية إلى أجواء مساعدة وبيئة حاضنة، تتوفر فيها التسهيلات النظامية القانونية، وتنتشر بين أبنائها ثقافة العمل الجمعي التطوعي لخلق تجاوب وتفاعل في الوسط الاجتماعي.

ومع أن مجتمعنا قد قطع شوطًا على هذا الصعيد، وأصبحت لدينا صروح

* كتاب صدر في مدينة سيهات من أسرة الفقيد أحمد عبدالنبي الحلال، بمناسبة مرور أربعين يومًا على وفاته.

اجتماعية نفخر بها، حيث تذلّلت بعض العقبات القانونية الرسمية وإن لم نصل بعد إلى قانون يشرّع النشاط المدني الأهلي، وحيث تبذل جهود مشكورة لنشر الوعي الاجتماعي، إلا أن العاملين في هذا المجال لا يزالون يواجهون الكثير من العوائق والعقبات، ويعانون من أن التفاعل والتجاوب الاجتماعي لا يرقى إلى مستوى الطموح.

إن ذلك يجعلنا ننظر بإكبار وإعظام لجيل الرواد الأوائل في مجال العمل الخيري وبناء المؤسسات الاجتماعية، لقد بادروا قبل أكثر من نصف قرن من الزمن للتصدي لهذه المهمة العظيمة، حيث لم تكن الظروف مساعدة، ولا الأجواء مشجعة، لكنهم كانوا جيل التأسيس الذي شق الطريق ببذل الجهود والتضحيات الكبيرة، من أجل نقل المجتمع إلى هذه المرحلة المتقدمة من التكافل والاهتمام بالتنمية عبر العمل المؤسسي المنظم.

وكان فقيدنا الراحل الحاج أحمد بن عبدالنبي الحلال رحمه الله في طليعة هذا الجيل الريادي، حيث انضم إلى جمعية سيهات للخدمات الاجتماعية في السنوات الأولى لتأسيسها، وقبل ذلك التحق بنادي الخليج الرياضي ـ نادي النسر سابقًا ـ ودامت مسيرة عمله الاجتماعي حوالي أربعة عقود من الزمن، حيث تدرج في جمعية سيهات من عضو إلى أمين سر إلى نائب رئيس ثم رئيسًا للجمعية لمدة ثماني سنوات.

طوال حياته وفي مسيرة عمله الاجتماعي، كان يتحلى بالجدية وسعة الصدر، وتتصف شخصيته بالهدوء والوقار، وقد تعرّفت عليه رحمه الله، أثناء رئاسته للجمعية فرأيت فيه أنموذجًا للإخلاص والتفاني في خدمة مجتمعه، والحرص على الإنجاز وحماية مكاسب الجمعية، كما زرته بعد ذلك أثناء مرضه فوجدته مطمئن النفس صابرًا على البلاء متطلعًا لعفو الله وحسن ثوابه.

أسأل الله تعالى له الرحمة والمغفرة وأن يجزل له العطاء في الآخرة كما أعطى لعباد الله في حياته، وأرجو أن تكون سيرته ملهمة لأبناء مجتمعه ليتسابقوا ويتنافسوا في عمل الخير والتطوع لخدمة المصلحة العامة، استجابة لأمر الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

فبالعطاء والتصدي للشأن العام، وببناء المؤسسات الاجتماعية نصنع قوة مجتمعنا، ونضمن مستقبلًا أفضل لأبنائنا. وفّق الله الجميع للخير والصلاح.

حسن موسى الصفار

٢٧ ذو القعدة ١٤٣٣هـ

١٣ أكتوبر ٢٠١٢م

٧

تقديم لكتاب:

العهد.. جاسم سيرة عطاء 1956 ـ 2012م*



حين يتجاوز الإنسان ذاته، ويُوقَّ شُح نفسه، فيحمل هموم مجتمعه، ويبذل جهده لخدمة الناس وقضاء حوائجهم، فإن من الطبيعي أن تنجذب إليه النفوس، وأن يحظى بالاحترام والتقدير.

تلك هي الحقيقة التي أكدتها سيرة الفقيد الراحل المهندس جاسم قو أحمد، فقد امتلكت محبته قلوب أبناء مجتمعه بمختلف شرائحهم، وكان موضع الثقة والتقدير لدى جميع الطبقات والأوساط.

لذلك كان يوم تشييع جنازته يومًا مشهودًا، حيث زحفت الجموع من مختلف أرجاء المنطقة للمشاركة في تشييعه، واحتشد الألوف في مجالس عزائه، وكنتَ ترى ملامح الحزن والأسى لفقده على وجوه جميع المشاركين.

تُرى ما الذي كان يميّز المهندس جاسم؟

وما سرّ عشق الناس له وانجذاب القلوب إليه؟

* كتاب صدر في بلدة أم الحمام عن أسرة الفقيد جاسم قو أحمد بمناسبة مرور أربعين يومًا على وفاته.

إن صفات الخير ونقاط التميّز في شخصيته كثيرة ومتنوعة، من أبرزها استقامته الدينية، حيث عرفه المجتمع في مختلف أطوار حياته بالالتزام الديني، واستقامة الأخلاق والسلوك، ومنها كفاءته العلمية وخبرته المتميّزة في مجال تخصصه، كمهندس معماري أصبح في موقع الصدارة من المهندسين الأكفاء اللامعين في المنطقة.

إلى جانب تحلّيه بالأخلاق الفاضلة، فقد كان متواضعًا وصولًا مشاركًا للناس في أفراحهم وأتراحهم، سخيًا معطاءً، لا يرد محتاجًا، ولا يتردد في دعم أي مشروع خيري.

لكنني أريد التركيز وتسليط الضوء على صفة مهمة أراها أصلًا ومنبعًا للكثير من التوجهات والسمات الطيبة النبيلة في شخصيته وسيرته.

تلك الصفة المائزة، هي: اهتمامه بتنمية المجتمع والسعي لارتقائه وتطويره.

كان المهندس جاسم مسكونًا بهذا الهم، وقد حدثني أكثر من مرة عما يشغل باله من التفكير في إنهاض المجتمع، ومعالجة معوقات تنميته وتقدمه في مختلف المجالات.

ولأن التنمية الاجتماعية تحتاج إلى أسس ومقومات فإننا نلحظ أن جهود الفقيد الراحل وعطاءاته كانت تصبّ في هذا الاتجاه.

فأول أسس التنمية هو الوعي والثقافة الدافعة نحو الفاعلية والعمل، حيث كان للفقيد دور بارز في عقد لقاءات التفكير والبحث حول أوضاع المجتمع، وفي تشجيع نشر الكتب وإقامة المحاضرات التوعوية الهادفة.

والأساس الثاني للتنمية هو وجود المؤسسات الاجتماعية، التي تحتضن الطاقات، وتضع البرامج، وتتصدى لحاجات أبناء المجتمع، ويعرف الجميع دعمه للجمعيات الخيرية، والأندية الرياضية، ومختلف النشاطات الاجتماعية، ومساهمته في بناء المساجد والحسينيات، وقد ختم حياته المباركة بمشروع بناء مسجد على نفقته الخاصة سمّاه (مسجد العهد) وكان يتابع عمليات إنشائه وهو على فراش المرض والمعاناة.

أما الأساس الثالث فهو التماسك الاجتماعي، والتواصل بين مختلف القوى والفاعليات الاجتماعية، فقد كان رحمة الله عليه منفتحًا على جميع فئات المجتمع، يتجاوب مع أي جهد أو نشاط يخدم المصلحة العامة من مختلف الأطراف والتوجهات.

لم يحتكره اتجاه، ولم يتعصب لفئة، ولم يكن طرفًا في أي اختلاف أو نزاع، بل كان داعية تسامح وانفتاح، وجسر تواصل بين مختلف الأطراف، وكان مهتمًا بتنقية الأجواء العامة من أي خلاف يضر بوحدة المجتمع وتماسكه.

ويأتي خلق المناخ المناسب والأجواء المساعدة كأساس رابع من أسس التنمية الاجتماعية، حيث كان الفقيد يعي أهمية الانفتاح وصنع العلاقات على المستوى الوطني، فكانت له شبكة من العلاقات الإيجابية مع الجهات الرسمية، والشخصيات المؤثرة في المحيط العام، حيث كانت تنظر إليه بثقة واحترام، لكفاءته وعطائه وكريم أخلاقه، وكان يوظف تلك العلاقات في خدمة مصالح المجتمع، وتعزيز موقعيته الوطنية، وقضاء حوائج الناس.

هذه إضاءة سريعة على أهم مميزات هذا الرجل النبيل الذي فقدناه وهو في أوج عطائه، لتبقى سيرته العطرة، حافزًا لأبناء الوطن نحو البذل والعطاء، وتحمل المسؤولية تجاه المجتمع، وليكون ذكره الجميل عنوانًا مشرقًا في تاريخ المنطقة الاجتماعي.

وبين يدي القارئ الكريم صفحات نور لتوثيق شيء من سيرة العطاء لهذا الفقيد الراحل، ولتسجيل بعض مشاعر الوفاء نحوه ممزوجة بلوعات الحزن والأسى، من قبل محبيه وعارفيه.

رحمك الله يا أبا أحمد وأسكنك فسيح جنانه، وضاعف لك الأجر والثواب على ما بذلت في خدمة مجتمعك ودينك.

ووفق الله أبناء مجتمعك لمواصلة نهجك في التنمية والإصلاح.

وشكرًا للإخوة الأعزاء الذين قاموا بإعداد هذا الكتاب الجميل. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حسن موسى الصفار

٢٦ ربيع الأول ١٤٣٣هـ

١٨ فبراير ٢٠١٢م

تقديم لكتاب عن:

هيئة الأنوار الأربعة عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الهداة الميامين.

نشر الثقافة السليمة والأفكار الهادية مهمة عظيمة مقدسة تشكل امتدادًا لدور الأنبياء والأئمة ﭺ، وتجسيدًا لتبليغ رسالات الله، والدعوة إلى سبيله وتدفع بالمجتمع نحو التقدم والرقي.

إن مجتمعاتنا الاسلامية تواجه في هذا العصر تحديات ثقافية خطيرة تهدد هويتها الدينية وأمنها الاجتماعي، حيث تسود النزعة المادية، وتنتشر أنماط السلوكيات المنحرفة، عبر وسائل التواصل الحديثة، فأصبح الشباب فريسة لتجار المخدرات، التي وصلت لأيدي طلاب المدارس الابتدائية والفتيات الصغيرات، وتأثرت قطاعات من الشباب بثقافة العنف فارتفعت مستويات ممارسته وكثرت ضحاياه، وصارت مجتمعاتنا المحافظة مسرحًا لجرائم بشعة ما كانت تمر يومًا على البال والخاطر، إلى كثير من السلوكيات الأخلاقية الفاسدة المنافية للعفة والشرف، وذلك يعني الحاجة إلى إعلان حالة طوارئ في مجتمعاتنا للوقوف أمام هذه التحديات والأخطار.

ولا شك أن نشر الثقافة الهادفة عبر الوسائل المختلفة، هو من أهم سبل حماية القيم، والدفاع عن الأمن الأخلاقي، لذا أهيب بالإخوة الأعزاء في هيئة الأنوار الأربعة عشر أن يكثّفوا جهودهم في مجال بث الوعي والمعرفة وخاصة في أوساط الشباب المستهدفين لتيارات الفساد والانحراف.

إننا بحاجة إلى ملايين الكتب والنشرات، والمزيد من الأنشطة الإلكترونية التواصلية، لتحصين أبناء مجتمعاتنا من الأخطار التي تهدد دينهم وحياتهم.

كما آمل تجاوب المجتمع بالدعم والتشجيع لجهود هذه المؤسسة الثقافية الطموحة.

وأشكر كل العاملين فيها والمتعاونين معها على ما يبذلونه من جهود جبارة، أسأل الله تعالى أن يجزل لهم الثواب والعطاء، وأن يوفقهم للمزيد من الإنجاز والفاعلية في خدمة الدين والمجتمع.

والحمد للّه ربّ العالمين.

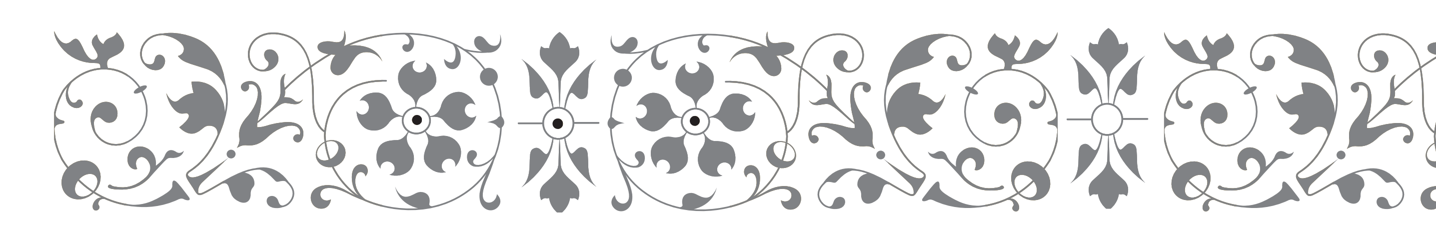
حسن موسى الصفار

١ ذو الحجة ١٤٣٣هـ

١٧ أكتوبر ٢٠١٢م



متابعات



٧

الصفار: ما حدث يجب الاعتبار به لنبذ التعصب وتكفير المجتمع*

تعقيبًا على ما أعلنته الدولة من إلقاء القبض على منفذي التفجيرات الآثمة بحي العليا بالرياض، صرّح الشيخ حسن الصفار لجريدة اليوم بما يلي:

إن أكثر ما يؤلمنا في ما سمعناه من اعترافات القائمين بتفجير الرياض هو الأرضية التي انطلق منها هؤلاء المغرر بهم وهي التوجيه إلى الحقد والكراهية باسم الدين والإسلام. مع أن الإسلام دين المحبة والتسامح والسلام يقول تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾.. (صدق الله العظيم).

نعم إن الإسلام يأمر بجهاد المعتدين والكافرين المحاربين ضمن حدود وضوابط بينتها الشريعة الإسلامية وتحت قيادة حكيمة.

لقد وصل الأمر بهؤلاء المغرر بهم إلى تكفير الحاكمين وتكفير حتى كبار العلماء كسماحة الشيخ بن باز والشيخ بن عثيمين!! وهكذا إذا ما تربى الإنسان على تكفير المختلفين معه في الرأي باسم الدين فإنه لن يقف في تعصبه عند حد.

إن الإسلام يوجه المسلمين إلى أن يحسنوا الظن فيما بينهم ويتجنبوا التعصب والتكفير يقول تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾.

* جريدة اليوم الصادرة بتاريخ ٨ ذو الحجة ١٤١٦هـ الموافق ٢٥ أبريل ١٩٩٦م العدد ٨٣٥٠.

وورد في حديث عن ابن عمر رضي الله عنه كما في مسند أحمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه: «أيما رجل كفر رجلًا فأحدهما كافر».

إن ما حدث يجب أن نأخذ منه العبرة والعظة بالتأكيد على تعاليم الإسلام السمحاء ونبذ التعصب والكراهية والحقد التي تدفع إلى التكفير والعداء بين المسلمين، وتقود إلى أعمال التخريب والإجرام.

حمى الله بلادنا من كل مكروه وأدام لنا نعمة الأمن والإيمان ووفق الله المسؤولين في هذه البلاد إلى تطبيق العدل وإلتزام الحق ومواجهة المعتدين والمفسدين.

٧

حملة محرم الأولى للتبرع بالدم 8-9-10 محرم 1417هـ بالقطيف

المنطلقات



في أيام عاشوراء هناك زخم روحي كبير تحدثه ذكريات النهضة الحسينية في نفوس المؤمنين، ومن الممكن استثمار هذا الزخم الروحي في إنجاح العديد من البرامج والمشاريع التي تخدم الدين والمجتمع.

الشعائر الحسينية والممارسات الولائية التي يقوم بها المؤمنون أيام عاشوراء إنما هي ألوان وأساليب للتعبير عن استعدادهم للعطاء في حبّ أهل البيت عليهم السلام وتمسكهم بمنهجهم القائم على التضحية من أجل رضا الله وإصلاح الأمة كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «رضا الله رضانا أهل البيت»، «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي».

ومن المفروض أن تتجدد أساليب التعبير عن الولاء بما يعمّق نفس المضمون ويعطي صورة مشرقة عن الشعائر الحسينية ويوظّفها لصالح المبدأ والمجتمع.

هناك حاجة فعلية للتبرع بالدم حيث تضطر مستشفيات المنطقة والمراكز الصحية للبحث عن كميات الدم وطلبها من المناطق الأخرى أو استيرادها من خارج البلاد، وغالبًا ما يتعطل المحتاجون للإسعاف بالدم حتى يجدوا الكمية المطلوبة لهم حيث يتردد حتى أقرباؤهم أحيانًا في التبرع لهم بالدم لوجود تهيّب في النفوس وخوف من مضاعفات التبرع بسبب ضعف التوعية الصحية الاجتماعية.

البداية

في ليلة العاشر من المحرم سنة ١٤١٦هـ تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في مجلسه الحاشد في حسينية العوامي بساحة القطيف وحيث ازدحمت ساحة القلعة والشوارع المحيطة بها بعشرات الألوف من المؤمنين الذين زحفوا من مختلف المناطق لإحياء ذكرى الإمام الحسين ﷺ، تحدث سماحته داعيًا المؤمنين إلى التمسك بإحياء الشعائر الحسينية وتطويرها وتجديدها بما يناسب العصر ويخدم المجتمع ويقدم صورة مشرقة عن المذهب واقتراح فكرة التبرع بالدم على حبّ الإمام الحسين ﷺ أيام عاشوراء ولمعالجة النقص الذي يعاني منه مستشفى القطيف المركزي.

وعلى إثر تلك الدعوة فوجئ مستشفى القطيف المركزي بتوافد العشرات من الشباب الملبين للدعوة والراغبين في التبرع بالدم.

الاستعداد لإنجاح الفكرة

من بداية شهر ذي الحجة ١٤١٦هـ بدأ التفكير في الإعداد لحملة التبرع بالدم أيام عاشوراء وقام الدكتور عبد العزيز الجامع (مدير المختبر الإقليمي وبنك الدم في المنطقة الشرقية) بدور رئيس في الترتيب والإعداد حيث تم الاتفاق مع المسؤولين عن مسجد الإمام الجواد القريب من حسينية العوامي ليكون المسجد مقرًا للحملة ونصبت خيمة خارج المسجد مكيفة ومجهزة بـ٦ أسرّة وسائر الأجهزة المطلوبة. أبدى مجموعة من الأطباء والفنيين العاملين في المؤسسات الطبية من أبناء البلد

استعدادهم للعمل في إنجاح المشروع.

تشجيع الخطباء

في ليلة السابع من المحرم ١٤١٧هـ تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في مجلسه في حسينية العوامي داعيًا المواطنين للتجاوب مع الحملة وإنجاح المشروع، كما تحدث بعض الخطباء في مجالسهم أيضًا لحث الناس وتشجيعهم على التبرع بالدم كالخطيب الملا عبد الرسول البصارى والخطيب السيد كامل السادة والخطيب السيد عمران والخطيب السيد حيدر العوامي وعُلقت بعض القطع واللافتات للإعلان عن بدء الحملة.

التجاوب الكبير:

كان تجاوب الناس كبيرًا وفوق المتوقع مع الحملة بحيث لم يكن ممكنًا استيعاب جموع الراغبين في التبرع، وكان هناك تزاحم وتنافس حتى إن الراغب في التبرع قد يقضي وقتًا في انتظار وصول دوره، ومع انتهاء الحملة كان هناك أكثر من عدد الذين قد تبرعوا بالفعل قد سجلوا أسماءهم على قائمة الاستعداد للتبرع وأعطوا أرقام هواتفهم ليتصل بهم في أقرب فرصة ممكنة تتيح لهم مجال التبرع.

وكان لجهود الأطباء والفنيين المشاركين في الحملة دور كبير في استيعاب هذا التجاوب حيث تطوعوا بالعمل لساعات متواصلة مساء تصل إلى الساعة ٣ ليلًا رغم التزامهم بدوامهم الرسمي في النهار حيث كان يتم استقبال الراغبين في التبرع وتسجيل أسمائهم والمعلومات الأولية وفصيلته ومن ثم يخضع المتبرع لفحص طبي كامل ثم يجري سحب الدم منه.

استنتاجات ومقترحات:

يبدو أن هناك استعدادًا طيبًا عند المجتمع للتجاوب مع الطروحات الإيجابية

والأفكار التطويرية.

إن المناسـبات الدينية تشـكل مخزونًا هائلًا من الطاقة ينبغي التفكير في استثمارها وتوظيفها، وحمله التبرع بالدم ما هي إلا نموذجًا واحدًا.

يمكن التفكير في مؤسسة أو لجنة دائمة للتبرع بالدم تستفيد من المناسبات الدينية وتتواصل مع المتبرعين والراغبين في التبرع.

سمو ولي العهد يوجّه برقية جوابية لأعيان محافظة القطيف*



تلقى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني البرقية التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من الجوانب المضيئة التي تغبط بها مملكتنا الحبيبة حكومة وشعبًا عند جميع الشعوب والحكومات جانب الأمن والاستقرار، حيث يعيش المواطن آمنًا على نفسه وأهله وماله، فكلنا إخوة متحابّون في الله وحبّ المليك والوطن.

لذلك فإنّ الدهشة عمّت الجميع للاعترافات التي أذاعها التلفزيون في الخامس من هذا الشهر.

---

* جريدة اليوم الصادرة يوم الثلاثاء ٢٠ ذو الحجة ١٤١٦هـ الموافق ٧ مايو ١٩٩٦، العدد٨٣٦٢.

ونحن إذ نستنكر هذه الأعمال وأيّ عمل يماثلها كحادث تهريب المتفجرات الذي كشفه رجال الجمارك بجمرك الحديثة فإنه يسرنا أن نرفع إلى سموكم الكريم وقوف الجميع إلى جانب المليك وحكومته الساهرة على سلامة وأمن الوطن والمواطن مطلب الجميع، فأعمال التخريب والعبث مدانة مرفوضة من أيّ جهة جاءت.

حفظه الله والدنا المليك المفدى وأطال في عمره.

أعيان محافظة القطيف

١. الشيخ عبد الحميد الخطي
٢. الشيخ عبدا لله الخنيزي
٣. الشيخ حسن الصفار
٤. سيد حسن العوامي
٥. توفيق محمد تقي آل سيف
٦. عبد الله رضي الشماسي
٧. علي حسين الملا
٨. أحمد حسن الحليلي
٩. عبد العلي آل سيف

وقد وجّه سمو ولي العهد البرقية الجوابية التالية:

الشيخ عبد الحميد الخطي

الشيخ عبدا لله الخنيزي

الشيخ حسن الصفار

السيد حسن العوامي ورفاقهم من أعيان محافظة القطيف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

فقد وردتنا برقيتكم وإننا نشكركم وجميع أعيان محافظة القطيف ونقدّر المشاعر الطيبة والروح الوطنية التي عبرتم عنها حيال تمكن أجهزة الأمن من القبض على المجموعة الفاسدة التي أقدمت على العمل الإجرامي المتمثل في التفجير الذي وقع في مدينة الرياض، وما أدلوا به من اعترافات بفعلتهم النكراء، وكذلك ما وفّق الله إليه رجال الجمارك بمنطقة الحديثة من اكتشاف المتفجرات المهربة.

فنحمد الله الذي مكّن منهم، ووفّق في القبض عليهم، وهو المسؤول سبحانه يحمي أمتنا وبلادنا من عبث العابثين والمجرمين، ويحفظها من كيد الكائدين، ويديم عليها أمنها واستقرارها ورخاءها، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الله بن عبد العزيز.





٧

هذا ما جرى في مجلس الشيخ ابن باز*

محمد رضا نصر الله

نقل إليَّ الشيخ حسن الصفار، أحد أبرز علماء القطيف، صورة إيجابية عن أجواء اللقاء الفكري المنعقد في مكتبة الملك عبدالعزيز، الذي تنتهي أعماله اليوم..

كان سعيدًا على وجه الخصوص، بحفاوة الشيخ سلمان العودة، وطلبه اجتماعًا مطولًا للتعارف، وتبادل وجهات النظر، ولم يكتف الشيخ العودة بهذا، وإنما خطا بسماحة غير معهودة، نحو تكسير أوهام الصمت، وحواجز العزلة، داعيًا الشيخ الصفار لمرافقته في سيارته الخاصة لحضور اللقاء، جذلين بروح التآخي وفضيلة التسامح..

وداعب الشيخ الشيعي زميله الشيخ السني قائلًا: يا ترى لو التقطت لنا صورة، ووزعت عبر موقع الإسلام اليوم.. واطلع عليها شباب المذهبين من المغالين والمتعصبين، ألن تُحدث هذه الصورة أثرها الحميد، في تنفيس الاحتقان النفسي، المزمن بتركة من التصورات المقلوبة، والأحكام الجاهزة الجائرة المغلوطة؟.

لم تقف إيجابية اللقاء عند هذا الحدّ التعارفي الودي.. بل تجاوزته الى حيوية في الخطاب، حين تم الاعتراف بإسلامية الأطراف المدعوة الى مائدة الحوار.

هذا الموقف ذكّرني بتلك اللحظة التاريخية، عندما تمنيت على الصديق العزيز

---

* جريدة الرياض الأربعاء ١٨ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ١٨ يونيو ٢٠٠٣م، العدد ١٢٧٧٧.

سـمو الأمير سـطام بـن عبدالعزيز نائـب أمير منطقة الرياض، أن يسـعى لدى سـماحة المفتـي الراحـل الشـيخ عبدالعزيز بن بـاز رحمه الله، بقبوله اسـتقبال وفـد من علماء القطيـف وأعيانه، في محاولة لكسـر الحاجز النفسـي، ومحاصرة الفتـاوى التكفيرية، المهيّجة للمشاعر ضد الطرف الآخر!

كانت مفاجأتي عظيمة، والأمير سطام يزف اليَّ البشرى.. فقد وافق الشيخ الجليل علـى الزيارة.. ورحت أنصح الوفد بعدم إثارة أي موضوع خلافي، لكي تحقق الزيارة مبتغاها الإنساني في كسر الحاجز..

إلا أن الشـيخ يرحمـه الله تطارح والزائرين موضوع توحيـد الربوبية، وتنزيهها عن الشـركيات.. مما جعل الشيخ حسـن الصفار يبين له حقيقتها عند الإمامية، وهي أصل الأصـول فـي فقههـم وعباداتهم، وذكر له أن علمـاء كبارًا من شـيعة القطيف، قد ألفوا في هذا الموضوع وأشـبعوه درسًـا وبحثًا.. فهذا المجتهد الكبير،الشيخ علي الخنيزي يسـاجل عبدالله القصيمي، قبل سـبعين عامًا، حول «الصراع بين الوثنية والإسـلامية» بكتابه الرائد «الوحدة الإسـلامية».. في حين انبرى الشيخ محمد صالح المبارك ينافح بقوة عن توحيد الربوبية، داعيًا إلى وحدة صف المسلمين ونبذ خلافاتهم المذهبية، في كتابه العلمي «الدعوة الى كلمة التوحيد».

فـي نهاية اللقاء وقد انكسـر الحاجز، لم يتمالك الشـيخ ابن باز نفسـه، فراح يوجّه لومًا أبويًا لزواره ومواطنيه قائلًا: لماذا سـكتم طوال كل هذا الوقت، وجعلتم الآخرين يبنون فرضيات الحكم بإقصائكم عبر ألسـنة العـوام.. أما كان الأجدر أن يتم اجتماعنا قبل هذا اليوم؟!.



تابعة لاعمال الجلسة الثانية

الصفار: موقع وتأثير الجماعات الإسلامية يؤكدان ضرورة مشاركتها في تشكيل مستقبل المنطقة*



● الشيخ د. الصباح يتوسط الشيخ السعودي المعمم حسن الصفار والدكتور إبراهيم الجعفري قبيل بدء المؤتمر

أشاد عدد من المفكرين العرب بالخطوة الجريئة التي أقدمت عليها «الوطن» من خلال تنظيمها مع «كارنيغي» الأمريكية لمؤتمر دور الجماعات الإسلامية في الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط ووصفوها بأنها مبادرة رائدة وفرصة ثمينة لاستكشاف المواقف والتوجهات وتعزيز دور المكاشفة والحوار لاستجلاء موقع وموقف الجماعات الاسلامية من العمل السياسي، ولإزالة العديد من الملابسات التي ألصقت بها زورًا بعيدًا عن حقائق الواقع.

وقد كشف المفكرون الذين التقتهم «الوطن» على هامش فعاليات المؤتمر مواقفهم من الحركات الإسلامية وإمكانية مشاركتها في العمل السياسي فكان التحقيق التالي:

الشيخ حسن الصفار من المملكة العربية السعودية أكد أن انعقاد المؤتمر في هذه المرحلة يشكل فرصة طيبة لكي توضح الجماعات الاسلامية آراءها ومواقفها

* جريدة الوطن الكويتية الصادرة بتاريخ الإثنين ١٤ شوال ١٤٢٤هـ الموافق ٨ ديسمبر ٢٠٠٣م، العدد ٩٩٩٩/ ٤٤٤٥.

فيما يرتبط بالإصلاح والتغيير السياسي الذي بدأت رياحه تهبّ على المنطقة، إذ إنّ الجماعات الاسلامية لها دور رئيس في تشكيل مستقبل المنطقة نظرًا لموقعيتها وتأثيرها على شعوب هذه المنطقة، وهي بحاجة إلى المراجعة في أفكارها ومواقفها، فمبادئ الإسلام ثابتة ولكن المطلوب فهم هذه المبادئ.

وأضاف أن الحركات الاسلامية بحاجة إلى التجديد والمراجعة كما تحتاج إلى تشخيص الأساليب والوسائل والبرامج المتناسبة مع تطور الزمان والمكان، فمن خلال المؤتمر يمكن للمفكرين والمحللين الغربيين أن يتعرفوا على آراء ومواقف الجماعات الاسلامية بعيدًا عن أساليب التنميط والتعميم والتشويه الذي تمليه بعض المواقف السياسية والدولية في هذه المرحلة.

لا للتعتيم

ومن ناحيته يقول الشيخ حسن الصفار من السعودية: إن الانصاف أمر مطلوب ولكن يجب ألا تؤخذ بعض الآراء وأن يتم تعميمها على الجميع.

ويشيد هنا الصفار بالحركة الاسلامية في العراق ويستشهد بصبرها والتزامها السلم مع النظام السابق وأنها لم تتحول إلى العنف على عكس ما قامت به حركات أخرى.

وبذلك يؤكد الصفار أن في هذا المنهاج ما يؤكد استطاعة هذه الحركات التعايش والحفاظ على أمن المجتمع.

ثم يعرج الصفار على موقف تلك الحركات المماثل مع الاحتلال الأمريكي حيث لم يتوقعوا بل أخذوا منحى واقعيًا يحافظ على الأرواح ويدفع بالاحتلال تدريجيًا وبأقل خسائر. ويلفت الصفار الانتباه إلى ضرورة عدم أدلجة الأعمال التي تقوم بها الجماعات الإسلامية مشيرًا إلى أن مجتمعاتنا تعيش تخلفًا واضحًا ما يدعونا للإيمان بأن من يقوم القصور هو الذي يجب أن يقوم من جميعًا.

وعن الطائفية قال: إن التعاطف أمر موجود ولكن يبقى الانتباه من الوقوع في الطائفية والفتن متمنيًا أن يقود المجتمع العراق لتنتهي إلى برّ الأمان.

٧

في ملتقى النمر الثقافي

الحوار الوطني معطيات وتطلعات*



الدمام: جعفر الجشي

استضافت اثنينية الشيخ حسن النمر مساء الاثنين ١٢ يناير ٢٠٠٤م الشيخ حسن الصفار أحد الأعضاء المشاركين في الحوار الوطني الفكري الثاني المنعقد في مكة المكرمة، في مجلس السيد علي الناصر في مدينة الدمام.

حضر الندوة حشد كبير من رجال الأعمال والأكاديميين والصحفيين وشخصيات من أنحاء متفرقة من المملكة. وافتتحت الندوة بتلاوة من الذكر الحكيم، ثم كلمة ترحيبية ألقاها الشيخ النمر ترحيبًا بالضيف.

وناشد الصفار في كلمته التي ألقاها بعنوان (الحوار الوطني معطيات وتطلعات) أبناء الوطن على اختلاف مذاهبهم وانتماءاتهم بتعبئة الطاقات بشكل فعلي وإصلاح كافة الأمور، لنكون قادرين على مواجهة التحديات التي تعصف بالوطن.. مضيفًا قوله: إننا يجب أن نفوت الفرصة على أعداء الدين الذين يزرعون الفرقة والشتات بيننا

* جريدة اليوم الصادرة بتاريخ السبت ٢٥ ذو القعدة ١٤٢٤هـ الموافق ١٧ يناير ٢٠٠٤م، العدد ١١١٧٣.

عبـر معارك داخلية، وعلينا التنسـيق والانسـجام بين فئات الأمـة بمذاهبها وتوجهاتها المختلفة.

وتطـرق الشـيخ لـ (مؤتمـر الحـوار الوطني الفكـري).. مصنفًا أساسـيات الحوار الناجـح للأمـة، بأربعة أركان: أهمهـا التواصل بين الرموز الفاعلة فـي الوطن.. مؤكدًا فـي هذه النقطة أهمية اسـتمرار التواصل لإجراء المشـاورات واللقاءات الفاعلة، التي تهدف إلى تقريب وجهات النظر، فيما يخص المشاكل التي تعترض البلاد.

وأشـار في النقطة الثانية إلى تعارف الأطراف المختلفة.. مؤكدًا أهمية هذا الأمر.. موضحًـا أن سـبب الاختـلاف الذي سـاد المرحلـة الماضيـة هو عدم رغبـة الأطراف المختلفة في التعارف على بعضها، وهو الأمر الذي سبب قطيعة دامت سنوات طويلة.

أمـا عن المصارحة والمكاشـفة، وهـي النقطة الثالثة فقال: الاحتـرام والمودة فيما بيننـا أمـران مطلوبان، ولا ينبغي التفريط بهما، بل علينا أن نذكي هذه الروح.. مبينًا إلى أن المصارحة والشـفافية هي التي تزيل غبار التوتر، وتدفع عجلة اللقاء بشـكل يرضي جميع الأطراف.

وكانـت النقطـة الرابعة، التـي اعتبرها الصفار من أساسـيات الحـوار الناجح، هي التعـاون المشـترك.. مشـيرًا إلى أن المطلوب هـو حوار قائم على خطة عمل مشـتركة لمصلحة الدين والوطن، وهذا ما نأمله ونتمنّاه إن شاء الله.

وبعد نهاية الكلمة أجاب الشـيخ الصفار عن كثير من الأسـئلة والاستفسـارات من الحضـور، وأسـئلة أخرى من بعض المشـاركين في غرفـة الغدير علـى البالتوك، التي كانت تبث الندوة مباشرة.

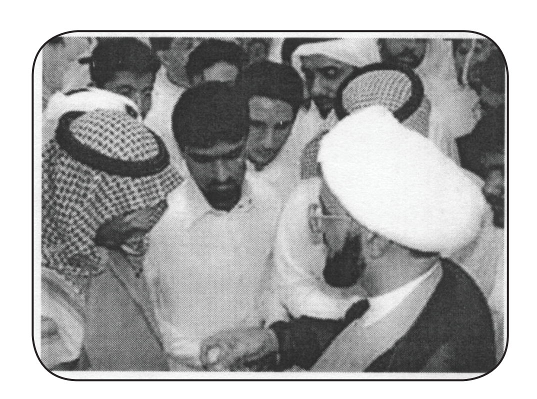
هذا وقد بدأت المداخلات في الندوة، حيث بدأت بمداخلة للشـيخ حسن فرحان المالكـي، الـذي تطرق لمسـألة التقارب بين السـنة والشيعة، قائلًا: إنهـم في الأصل متقاربـون، ولكننـا للأسـف ركزنـا علـى الجزئيـات الصغيرة، ونسـفنا بهـا الجزئيات

الكبيرة، وأهملنا ما نتفق عليه من أساسيات الدين.. وأضاف: إن القضايا والأحداث السياسة هي التي تسببت في زيادة هوة الخلاف بين المذاهب الإسلامية.. ونأمل أن تكون هذه المؤتمرات، سبيلًا لإذابة الجليد بين أبناء الوطن الواحد، متطلعين لتطبيق ما طرح من توصيات بشكل فعلي، بعيدًا عن التنظير.

وتناول الدكتور مبارك الخالدي في مداخلته الطريقة التي تم فيها (المؤتمر للحوار الفكري)، التي نوقشت قضاياه داخل غرف مغلقة، في حدود المشاركين الـ ٦٠ شخصية، وعدم السماح للصحافة والبث الإعلامي المباشر بالنقل الحي؛ لأنه في الأصل حوار يعنى بالشان العام، ويهم كل أبناء الوطن، حيث التقارب والتعارف الذي جرى في المؤتمر انحصر بين المشاركين أنفسهم، متجاهلين التقارب الأهم (بين المواطنين أنفسهم).

وتطرق الدكتور عدنان الشخص في مداخلته إلى ما جرى في (مؤتمر الحوار الفكري) حول المناهج، ومدى إمكانية استبدال وتغيير وتنقية المناهج من الإساءة للآخرين، وإزالة جزء كبير من الاتهامات لأبناء الوطن.. متمنيًا تطبيق ما اتفق عليه من توصيات بشكل فوري، لما له من أهمية في نفوس المواطنين على اختلاف مذاهبهم.





بعد قيام مؤلفين سعوديين بتأليف كتاب عن الحوار المذهبي.. وزيارة الشيخ الصفار لعنيزة

٧

عمامة شيعية تبحث عن الحوار في القصيم*



الرياض: هدى الصالح

مبادرات «رمزية» تتوالد شيئًا فشيئًا في المشهد الثقافي والاجتماعي والديني في السعودية، تتصل بمسألة الحوار والتسامح المذهبي، كان آخرها زيارة الشيخ الشيعي محمد الصفار، وبدعوة من محافظ محافظة عنيزة في منطقة القصيم، للمشاركة في مهرجان عنيزة الأول للثقافة والتراث وبحضور حشد من الإعلاميين والمسؤولين والشخصيات الثقافية السعودية على مدى يومين كأول (عمامة شيعية) استقبلتها منطقة القصيم، الشهيرة بمحافظتها السلفية، الأمر الذي يذكر بصورة الشيخ القصيمي المعروف الشيخ سلمان العودة أثناء ترافقه مع الشيخ حسن الصفار في ذات السيارة عقب إحدى جلسات الحوار الوطني السابقة.

وضمن هذا السياق، يأتي التقاء عدد من الكتاب والمثقفين الإسلاميين السعوديين المحسوبين على تيارات دينية متباينة أخيرًا في كتاب يؤصّل لما سمّوه (الحوار المذهبي

---

* جريدة الشرق الأوسط، الخميس ٠٨ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ-٢٦ ابريل ٢٠٠٧ العدد ١٠٣٧٦.

في السعودية) في سابقة تُعدّ الأولى من نوعها، الذي أتى كما ذكر في مقدمة الكتاب استجابة لدعوة الشيخ عبد الله بن منيع التي أطلقها في حواره مع «الشرق الأوسط» في (١٧ مارس / آذار ٢٠٠٦) للحوار بين المذاهب الإسلامية في السعودية وتأييد الشيخ صالح السدلان، عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لهذه الدعوة في حوار آخر نشرته «الشرق الأوسط» أيضًا في وقت سابق. الكتاب طرح تساؤلات حول مدى أهمية دور الرموز الدينية والمثقفين والكتاب الإسلاميين في خلق أجواء ملائمة للتواصل وكسر حواجز العزلة ما بين مختلف التيارات والمذاهب في السعودية والعبور إلى ضفة التعايش السلمي التي لن تكون سوى عقب وأد النظرية «الاستئصالية».

وصل وفصل في الحوار المذهبي شعار:

«نتفق فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا الآخر فيما اختلفنا حوله» هو هدف الكتاب الذي احتوى عشر مقالات لرجال دين وكتاب من مذاهب مختلفة بينهم الدكتور محمد بن صالح العلي، والكاتب عبد الله فراج الشريف، ومحمد المحمود وعدنان الزهراني وفهد العصاري وزيد الفضيل، ومحمد الدحيم، وعلي آل مستنير، والشيخ موسى بوخمسين، وأعد الكتاب محمد محفوظ.

الزائر القطيفي للقصيم

من جانبه علق الضيف «الجديد» على القصيم، الشيخ محمد الصفار، العائد أخيرًا من محافظة عنيزة تلبية لدعوة محافظ المنطقة قائلًا لـ«الشرق الأوسط»: إن ركنًا أساسيًا من دواعي الحوار الوطني كان قد رعاه الملك عبد الله بن عبد العزيز في سبيل الحوار والتلاقي بين المذاهب في السعودية إضافة إلى كلمته الأخيرة في مجلس الشورى، بما في ذلك حديث إمام وخطيب مسجد الحرام في مكة المكرمة الشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس في خطبة الجمعة الأخيرة.

وأوضح أن ما يخرج على الساحة من فتاوى تهييجية وخطابات متشنجة قد تعثر نتيجة للكم النوعي والفعل الإيجابي والمبادرات المتقدمة التي تواجه بها مثل هذه الفتاوى والخطابات الخاطئة السياق.

وحول كتاب «الحوار المذهبي في السعودية» قال الصفار: إنه ومن خلال الأسماء التي التقت وشاركت في كتابه، ولما لها من مكانة وموقع مهم، ستساهم بشكل جاد في إرساء ثقافة الحوار وتهييئ الأرضية للاشتراك في «مشاريع تخدم الوطن».

وأشار الصفار إلى أن المناخ الإيجابي والهادئ هو ما سيقنع الشباب بعد الدين الإسلامي عن القتال والتنافر.

ودعا الصفار إلى مزيد من المبادرات الأهلية والاجتماعية في سبيل تذويب الجليد بين المذاهب، مشددًا على أهمية دور المؤسسات الإعلامية، ومراهنًا أيضًا على التعاون والتلاقي بين المعتدلين والمتسامحين لدعم الآخر والشد على يديه وتصحيح مساره، آملًا في الوقت ذاته باستمرار التواصل بين مختلف مناطق السعودية وبين شتى ألوانها وأطيافها وأن تأخذ المبادرات الشعبية إلى جانب الرسمية مكانتها وموقعها في سبيل تأكيد الوحدة الوطنية.





٧

الصفار: العقل والحكمة*

راشد فهد الراشد

يتمتع الشيخ حسن الصفار بموقع متميز عند المواطن السعودي، وقبول لآرائه وأفكاره وطروحاته العاقلة والمخلصة للوطن، والتفاف حول صفته ومكانته الدينية من أبناء الطائفة الشيعية الكريمة، أو أتباع المذهب الشيعي، فالرجل عقل وعلم وتسامح وولاء للوطن والإنسان والنظام السياسي، يتماهى في نظرته للوطن مع العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين المفتي الجعفري للطائفة الشيعية الكريمة في لبنان ـ رحمه الله ـ حين سجل في كتابه القيم (الوصايا) ضرورة أن يكون ولاء أبناء الطائفة الشيعية لأوطانهم، ونسيجهم الاجتماعي، أينما وجدوا، ولأي نظام عربي انتسبوا، وأن يتمسكوا بعروبتهم، ولايكون لهم مشروعٌ يختلف عن أبناء وطنهم الذي يحملون هويته، وأن يعملوا بكل طاقاتهم على تحصين أوطانهم من الانقسامات، وإبعادها عن الولاءات المذهبية..

ومن خلال هذه القناعة، والوعي، والفهم عند الشيخ الصفار يمارس تواجده، ويستمد مشروعيته كرجل دين، وكموجّه، وحاضن للطيف الشيعي الذي هو في الأصل، وحقائق الواقع، والمنطق جزء من نسيج المجتمع السعودي، يحمل نفس الهواجس، والرؤى، والتوجهات، والطموحات، ويتفاعل مع المجموع في كل أمر يهم نجاحات

* جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الأحد ٢ محرم ١٤٣٣هـ، ٢٧ نوفمبر ٢٠١١م، العدد: ١٥٨٦١.

الوطن، وتألق مساراته، وتسييج أمنه من المؤامرات، والاستهدافات الشريرة.

والشيخ حسن الصفار يمثل الوسطية، والاعتدال في كل قضية من القضايا المثارة في الداخل كهاجس يمكن طرحه بعيدًا عن التشنج، والعنف، والمزايدات الرخيصة، كما يمثل الرأي الشجاع، والجرأة في وضع الخطوط الحمراء أمام كل توجّه يمكن أن يحدث شرخًا في جسم المجتمع، أو استهداف خارجي يسعى إلى توظيف أبناء الطائفة الشيعية وقودًا له، وجسرًا لتنفيذ أغراضه، في الوقت الذي يكون الهدف الأساس هو إحياء قومية تقوم على الكره، والعنصرية، والحقد على كل ماهو عربي إرثًا، وثقافة، وتاريخًا، وإنجازًا، تحت ستار الدين، وأيديولوجيا الإسلام السياسي، لهذا فإن الإنسان السعودي يحمل لهذا الرجل العقل والفكر كل احتفاء، وتقدير، ويضعه في مصاف رجال الدين التنويريين

تجاه أحداث القطيف الأخيرة وقف الشيخ حسن الصفار صمام أمان للوحدة الوطنية، رافضًا كلّ الممارسات التي تسيء إلى الطائفة الشيعية الكريمة قبل أن تسيء إلى الوطن، وإنجازاته السياسية، والتنموية على كل الصعد، ولم يكن ذلك الذي يتلوّن، أو يزيّف المواقف، أو يذر الرماد في العيون، أو يكون ناعقًا يقضي على كل تماسك وطني، وتلاحم اجتماعي كما نراه في لبنان أو العراق، ينفذ مشروعًا تقسيميًا، ويخدم أهدافًا فئوية، وقومية، ويحارب لغته، وعرقه، وانتماءاته، وامتداداته، وجذوره القومية، والجغرافية.

في خطبة الجمعة تجلت وطنية، وحكمة الصفار، وقال مخاطبًا شباب القطيف، وأبناء الطائفة:

«... لا تستدرجوا العنف، ولا تسمحوا لمندسين بتشويه صورة القطيف، وإن ترك العنان للتعبئة الطائفية، والدخول في معادلة ردود الأفعال، هو ما يريده أعداء الوطن، وما يجب أن نحذَر منه جميعًا حكومة وشعبًا...».

نحتفي بهذا العالم الجليل كوطنيّ، وحكيم، ونعتزّ بوجود رجل دين مثله..



٧

قطع دابر الفتنة الطائفية*

جاسر عبد العزيز الجاسر

حسنًا فعل الشيخ حسن الصفار والمشائخ الآخرون في القطيف للتحذير من المندسين الذين يعملون لصالح أجندات خارجية.

الشيخ الصفار كان واضحًا ومباشرًا وهو يتحدث عن مبادرة قيادة المملكة التي تهدف إلى تضميد الجراح وتفويت الفرصة على المغرضين.

الصفار الذي عرفناه متّزناً وعاقلاً تحلّى بروح المسؤولية أثناء خطبة الجمعة في أكبر مساجد القطيف مؤكداً أن الكلمة الحانية من قيادة البلاد والمعالجة السريعة لبعض المشكلات سيكون لها الأثر الأكبر في النفوس، وتساعد العقلاء والمصلحين في المجتمع على النجاح في دعوتهم للهدوء والوئام، وهو ما قامت به فعلاً المرجعيات الدينية المحترمة، ولم يلتفت أحد إلى أصوات النشاز التي صدرت من أشخاص عرفوا بعمالتهم وتحريكهم من الخارج.

الشيخ الصفار حذّر من ترك العنان للتعبئة الطائفية والدخول في معادلة ردود الأفعال والاقتصار على المعالجة الأمنية هو ما يريده أعداء الوطن.

هذه النقطة بالذات وفّق الشيخ حسن الصفار بالتنبيه إليها، فحسبما أوردنا وتحدثنا

---

* صحيفة الجزيرة الصادرة بتاريخ الأحد ٢ محرم ١٤٣٣هـ الموافق ٢٨/ ١١/ ٢٠١١م، العدد ١٤٣٠٤.

عنه في نشرنا لوثيقة (خارطة الطريق) التي وضعتها المخابرات الإيرانية تعمل على صنع حالة من الصدام والمواجهة بين المتظاهرين والأجهزة الأمنية من خلال تصعيد الاستفزازات لرجال الأمن والتعرض للمواطنين والمتظاهرين وحتى قتلهم وتصوير الأحداث على أنها تصعيد من رجال الأمن.

ولهذا وحسب تحذير الشيخ الصفار والمرجعيات الدينية الأخرى في القطيف يجب اليقظة والحذر كلّ الحذر من محاولات الاستفزاز والتصعيد مع الامتناع عن الاضطرابات وانفلات الأمن، إذ يؤكد الشيخ والمرجعيات الأخرى، وهم على حقّ، أنّ كلّ ذلك ضررٌ على المواطنين وعلى الدولة وخسارة للمواطن.

وهنا واسترشاداً لتوجيهات قيادة البلاد وتحذيرات المرجعيات الدينية فإنه من الواجب التحلي بأكبر قدر ممكن من ضبط النفس لرجال الأمن الذين يتولون ضبط الشارع بالقطيف والذين أثبتوا حسن تصرفهم وقدرتهم على مواجهة المندسّين، إلا أن الفهم ومعرفة أهداف المخربين يستدعي عدم الاستجابة لما قد يواجه رجال الأمن من الاستفزاز، وهذا يقتضي من شباب القطيف ألّا يستجيبوا لدعوات الانسياق وراء مظاهر العنف وألّا يسمحوا للمندسّين تشويه صورة القطيف.

أقوال الشيخ حسن الصفار والمرجعيات الدينية نصيحة واجب على أهالي القطيف الأخذ بها خاصة الشباب. ويجب عليهم أن يدركوا أن سعة صدر رجال الأمن وأسلوبهم الحضاري في مواجهة هذه التصرفات لا تنمّ عن ضعف أو تهاون بقدر ما تتعاطى مع الأمر وفق سياسة أمنية سعودية راسخة تتعاطى مع حماية الإنسان والممتلكات دون تعسف أو قسوة.



٧

الصفار للناشطين: التزموا التحرّك الرشيد وأوصلوا رسالتكم بوضوح

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار الناشطين العاملين في الساحة الاجتماعية والسياسية، إلى التزام أقصى درجات الرشد والقيمية، إلى جانب الحرص على إيصال رسالتهم للرأي العام الوطني والعالمي بوضوح.

جاء ذلك خلال كلمة عاشورائية، ألقاها الشيخ الصفار في المهرجان الحسيني في مدينة صفوى بمحافظة القطيف، يوم الثلاثاء ١٠ محرم ١٤٣٣هـ الموافق ٦ ديسمبر ٢٠١١م.

وخاطب الشيخ حشود الحاضرين الذين اكتظ بهم المخيم الكبير، الذي رعته هيئة عاشوراء، بالقول: «إن التحدي الكبير أمام الناشطين يكمن في جعل نضالهم الحقوقي رشيدًا وملتزمًا القيم والمبادئ والأخلاق». وتابع: بأن بعض الناشطين والعاملين قد تسيطر عليهم روح الغضب والانفعال، وقد يدفعهم ذلك إلى قولٍ وفعلٍ يضرّ قضيتهم وحراكهم، وما لا يتوافق مع المبادئ والقيم. وحذّر العاملين بالقول: «يا أيها العاملون والناشطون، حذارِ حذارِ من أن ينحرف بكم الطريق في أهدافكم وتوجهاتكم».

واقتداءً بالإمام الحسين عليه السلام شدد الصفار: على جعل الهدف القيمي حاضرًا أمام العاملين، وأن يكون التحرك خالصًا لوجه الله، وليس انتقامًا للذات، أو بالعدوان على أحدٍ على حدّ تعبيره.

وأضاف: «لا ينبغي أن ننزلق إلى كلمة أو شعار أو تصرف خطأ.. علينا أن نجعل القيم نصب أعيننا في كل كلمة وحركة حتى لا نحيد عن الطريق الصحيح فلا يطاع الله

من حيث يعصى».

كسب العقول والقلوب:

وفي سياق آخر دعا الشيخ الصفار الناشطين إلى الحرص على إيصال رسالتهم إلى الرأي العام الوطني والعالمي بوضوح. وأضاف أن من المتوقع في مختلف الساحات أن تسعى بعض الجهات لتصوير الحراك الحقوقي بأنه حراك طائفي، وانشقاق على الأمة والشعب، وأنه يجري بإيعاز من الخارج. وتابع: بأن أي حركة ضد الظلم سيواجهها الطرف الآخر بجيوش مجندة في المجال الإعلامي والسياسي، سعيًا لتشويه هذا الحراك.

وشدد على مسؤولية العاملين في تبليغ رسالتهم بوضوح: «حتى لا ينقلب حقهم إلى باطل، ويتحولون من ضحايا إلى ظالمين». ومضى يقول: «ولى ذلك الزمن الذي كان يعيش الناس فيه تحت ظل الكبت والقمع، فلا يستطيع متنفس أن يتنفس، ولا يتمكن متكلم أن يتكلم، فقد أصبحت مختلف وسائل الوصول إلى الرأي العام متاحة أمام الجميع».

واستشهد الشيخ الصفار بخطابات الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة، وخطابات سيدات البيت الهاشمي في الكوفة والشام، بهدف إيضاح الموقف الحسيني، وإيصال رسالته إلى جماهير الأمة، لمواجهة التضليل الإعلامي، ومحاولات التشويه للحركة الحسينية.

وكان سماحة الشيخ الصفار قدم العديد من المشاركات في مواكب العزاء في محافظة القطيف، أبرزها إلى جانب مدينة صفوى كل من بلدة أم الحمام وسيهات وتاروت والخويلدية والسنابس.

والتقى خلال ذلك إدارات المؤسسات الحسينية والمواكب العزائية، كما ألقى كلمات في حشود المشاركين حثهم خلالها على التزام قيم الثورة الحسينية، وتطبيق تعاليم الدين، والاجتهاد في خدمة المجتمع والوطن.



٧

الشيخ الصفار يدعو لتعزيز حرية التعبير عن الرأي

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى التضامن مع أصحاب الآراء الحرة، والوقوف بوجه الإرهاب الفكري، الذي يرمي لإخافة الناس عن إبداء آرائهم بحرية.

وأشار الشيخ الصفار في حديث أمام حشد من رواد مجلسه الأسبوعي مساء الخميس (٢٠/ ١/ ١٤٣٣هـ الموافق ١٥/ ١٢/ ٢٠١١م) إلى أن الناس مطالبون بالتضامن مع أصحاب الآراء الحرة، وعدم تركهم في الساحة منفردين.

وقال بأن حرية التعبير لا ينتزعها إلا من يتحلى بالشجاعة الكافية، والاستعداد للتضحية. مستدركًا بأن حرية طرح الآراء لا تعني بأيِّ حالٍ التعدي على حقوق الآخرين.

وتابع الصفار بأن السكوت على ظلم أصحاب الآراء الحرة، سيبقي سيف الإرهاب الفكري مسلطًا على رقاب الجميع.

وعلى المستوى الديني أشار إلى أن من سكتوا إزاء الفتاوى الدينية المتشددة ضدّ غيرهم، سرعان ما نالتهم أمثال تلك الفتاوى.

ودعا الناشطين المتصدين للشأن العام إلى عدم الانزعاج والتهيب إزاء حالات النقد التي قد تطالهم، «فالناس في نهاية المطاف تتضامن مع المضطهد والمعتدى عليه».

وأضاف بأن الله شرع الحوار، وأن جميع الأنبياء تحاوروا مع أقوامهم، وقد استقبل أئمة أهل البيت عاتاة الزنادقة، وتركوهم يطرحون آرائهم بحرية، وناقشوهم فيها.

وأوضح في السياق ذاته بأن التقنيات الحديثة ساعدت الناس على كسر حاجز الخوف، عبر مشاركاتهم في شبكات التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت.

ويدعو للتسلح بالثقافة الحقوقية

إلى ذلك استنكر الشيخ الصفار تدهور أوضاع حقوق الإنسان في البلاد العربية والإسلامية.

وانتقد في حديث له على هامش اليوم العالمي لحقوق الإنسان «تربع» الدول الإسلامية على قمة الدول الأكثر انتهاكًا لحقوق الإنسان في العالم، بحسب التقارير الدولية.

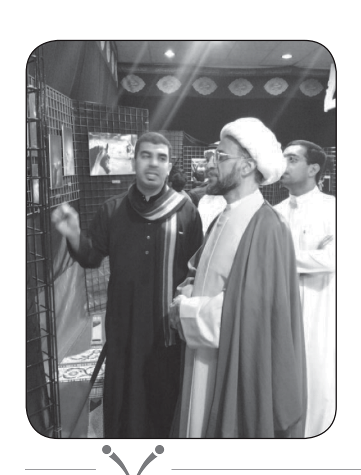
وحثَّ أبناء المجتمع على الاستفادة من الفرص المتاحة قانونيًا وإعلاميًا وسياسيًا لتعزيز وضمان حقوقهم كمواطنين، إن على المستوى الخدمي، أو على صعيد حرياتهم الدينية والإنسانية.

وأضاف بأن المجتمعات الواعية هي الأكثر دفاعًا عن حقوقها في جميع المجالات «ولا تقبل لنفسها الظلم أو السكوت على مصادرة الحقوق».

وقال الصفار بأن منظومة حقوق الإنسان لا تقتصر على ما يرتبط بعلاقة المواطن مع أجهزة الدولة، وإنما تشمل كذلك الحقوق ضمن الإطار العائلي والعلاقات الاجتماعية.

ودعا العلماء والخطباء إلى تعريف الناس بحقوقهم، وألا يقتصروا في توجيههم الديني على طرح حقوق الله فقط، «فهي على أهميتها لا تنفصل عن مراعاة حقوق الناس».

واستعرض في السياق نفسه نماذج من السنة النبوية في بعدها العملي المتمثل في الممارسة القيادية للرسول الأكرم ﷺ التي اعتبرها «أفضل نموذج تطبيقي في تاريخ البشرية لمبادئ حقوق الإنسان».



خلال زيارته للمعرض الحسيني بالربيعية

الصفار: نحن بحاجة لإظهار مكاسب الثورة الحسينية في «لوحات» المبدعين

شبكة التوافق الإخبارية

دعا الشيخ حسن الصفار المبدعين في جانب فن الرسم والتصوير إلى التركيز على إظهار مختلف أبعاد الثورة الحسينية، مطالبًا الفنانين بإبراز صورٍ تظهر انتصار «الدم على السيف»، كما يبرزون المظلومية والمأساة والألم، قائلًا: نريد أن نرى صورًا تظهر الشموخ، تظهر النصر والعزة، وليس فقط إظهار المأساة، في إشارة لرؤيته أغلب الصور التي تركز على جانب المظلومية والألم في المعرض.

مضيفًا: نحن بحاجة إلى تأكيد المظلومية وإبرازها، لكننا بحاجة أيضًا إلى أن نبرز جانب المكاسب والإنجازات والانتصارات التي حققتها الثورة الحسينية وسيرة أهل البيت عليهم السلام.

جاء ذلك خلال الزيارة التي قام بها الشيخ حسن الصفار إلى المعرض الحسيني السادس، «عبرات»، مساء أول من أمس، الذي ينظمه موكب الشهداء في ملحق مسجد العباس ببلدة الربيعية التابعة لمحافظة القطيف.

اللوحة الفنية أكثر قدرة على أستقطاب النفوس

وأكد الصفار لـ «شبكة التوافق الإخبارية»، بعد مشاهدته اللوحات المشاركة

فـي المعـرض بأنـه يشـعر بالفخر والاعتـزاز، لما يـراه من كفـاءات وطاقـات يظهرها أبنـاء المجتمـع فـي إنتاج الأعمـال الإبداعيـة، معتبرًا بـأن «الفن التشـكيلي» لون آخر لإيصـال رسـالة الإمـام الحسـين عليه السلام إلى النفـوس والقلـوب، «نحن تعودنا أن رسـالة الإمـام الحسـين عليه السلام تصل عبر الـكلام والحديث، لكن بإمكان الصـورة الآن، والعمل الفني أن يوصلا هذه الرسالة بشكل أكثر تأثيرًا وأكثر وقعًا في النفس، وأكثر قدرة على الأستقطاب وشدّ الأنظار والنفوس والقلوب».

وقال الصفار: حينما يلقي الإنسـان بنظرته على هـذه اللوحات الرائعة الجميلة في المعرض، فإنه ينتابه لونان من المشاعر اللون الأول يتعلق بنفس العمل الفني وروعته، واللـون الآخر من المشـاعر الاحتفاء بالكفاءات والطاقات التـي أنتجت هذه الأعمال الإبداعية.

وأضاف: أتمنى أن تتاح لهم فرص أكبر لكي يعبروا عن إبداعاتهم، وعن إمكاناتهم المتقدمة، كما قدم شـكره للقائمين على إعداد المعرض، راجيًا أن يكون المجتمع في مستوى التقدير والتفاعل مع هذه الأعمال الفنية الرائعة، من أجل رؤية مستقبلية أفضل في النسخ القادمة.





الشيخ الصفار يدعو إلى تحويل مواكب العزاء إلى مؤسسات اجتماعية

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى تحويل مواكب العزاء الحسيني إلى مؤسسات اجتماعية فاعلة، تنشط طوال العام عوضًا عن اقتصار عملها على أوقات المناسبات الدينية وحدها.

وخاطب الشيخ الصفار القائمين على المواكب العزائية الحسينية في المنطقة بالقول «إن دور المواكب ينبغي أن يتجاوز مجرد إحياء المناسبة الدينية إلى خدمة المجتمع على نطاق أوسع».

جاء ذلك خلال مشاركته في حفل تكريم كوادر موكب الرسول الأعظم بمدينة تاروت في محافظة القطيف الجمعة (٢٠/ ١/ ١٤٣٣هـ الموافق ١٦/ ١٢/ ٢٠١١م).

ودعا الصفار القائمين على المواكب الحسينية إلى السعي الجاد لتحويلها إلى مؤسسات فاعلة، تنشط في مجال الخدمة الاجتماعية طوال العام، وليس في أوقات المناسبات فقط.

وأضاف بأن دور هذه المواكب يتجاوز مسألة استقطاب المشاركين في العزاء، إلى تطوير قدرات كل فرد مشارك في هذا الموكب.

وتابع القول «ينبغي أن يكون الشباب المشاركون في مواكب العزاء من أنجح أفراد المجتمع، من خلال الاهتمام بالمستوى الدراسي، والسلوك الاجتماعي».

وطالـب القائمين على الموكب بمبادرة جديـدة من خلال إحياء احتفالات المولد النبوي بشكل شعبي كبير.

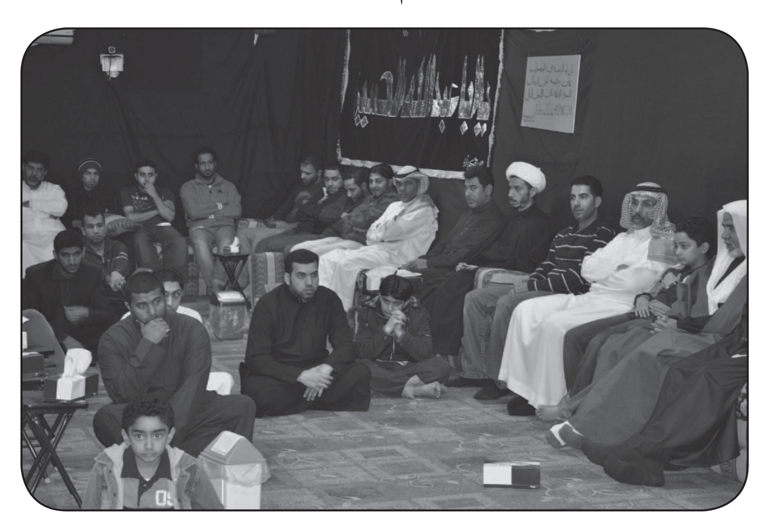
ودعـا إلى تطوير احتفالات المولد النبوي بما يتناسـب مع هـذه الذكرى العظيمة، على غرار ما يفعل في النصف من شعبان.

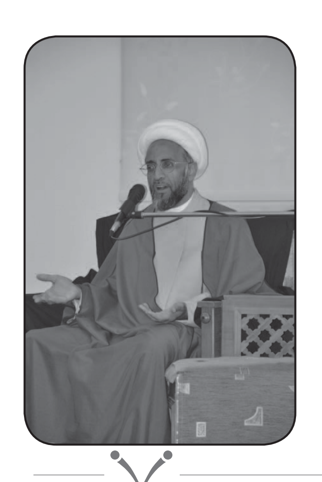
وقال الشيخ الصفار إن أغلب المسلمين في العالم يحتفون بهذه المناسبة، ويهتمون بها، ويقيمون الاحتفالات لأيام وأسابيع متتالية، احتفاءً بهذه الذكرى العظيمة.

وتابـع بـأن الاهتمـام بهذه الذكـرى يعكـس إيماننا بهذه المناسـبة، وما «مواسـاتنا واحتفاؤنا بمناسـبات أئمة أهل البيت ﵈ إلا لقربهم من رسـول الله ﷺ واستجابة لأمر الله وأمر رسوله بمودتهم».

وأكد الشـيخ الصفـار: إن الناس اسـتطاعوا أن ينتزعـوا حقهم في إقامة شـعائرهم الدينية على أفضل وجه، وأفضل السـبل، كبقية الشـيعة في العالـم الذين يحتفون بهذه المناسبة.

وقدم في نهاية كلمته الشـكر للقائمين على المواكب الحسـينية على إحيائهم لهذه المناسبة العظيمة، ذكرى استشهاد الإمام الحسين.





في محاضرته «صناعة المحبة» في حسينية البكاي

الصفّار: محبة أهل البيت (ع) واجبة على المسلمين*

محمد أنور

قال المفكر الإسلامي الشيخ حسن الصفار في محاضرته التي جاءت بعنوان «صناعة المحبة» في الحسينية الكاظمية «البكاي»، في منطقة الشعب مساء أمس الأول ١٠ يناير ٢٠١٢م الموافق ١٥ صفر١٤٣٣هـ، بحضور الوزير الأسبق عبد الهادي الصالح وجمع غفير من الحضور: إن صناعة المحبة تقع في ثلاثة محاور.. المحور الأول عطاء المحبة ومسألة الكراهية، والمحور الثاني استخدام المحبة وآلياتها، والثالث واجب نشر محبة أهل البيت (ع).

وقال في المحور الأول إن الإنسان يتكون من أبعاد ثلاثة.. له جسم يحتاج إلى المستلزمات المادية، وله عقل يحتاج إلى غذاء، وله مشاعر وهذه تحتاج إلى إشباع، مؤكدًا أن أغلبية الناس تهتم بحاجات أجسامهم، وآخرون يهتمون بالعقل عبر العلم والمعرفة، لكن هناك منطقة ملحة وهي الاهتمام بالمشاعر والعواطف، مبينًا أنه إذا عاش الإنسان مرتاحًا في البعد النفسي فإن الراحة النفسية تنعكس على جسمه وعلى عقله من ناحية الأداء.

وأشار الصفار في المحور الثاني المتعلق باستخدام المحبة وآلياتها، متسائلًا: هل الإنسان معني بحبّ الناس؟ وأجاب: نعم؛ لأن العقل والدين يدعوان الإنسان إلى أن يهتم بكسب محبة الآخرين، ويجب الاهتمام بهذا.. نعم بالدرجة الأولى رضا الله، ولكن

---

* جريدة الدار الكويتية الصادرة بتاريخ الأربعاء ١١ يناير ٢٠١٢م، العدد: ١٢٠٥.

الله يريد منك أن تكسب محبة الناس؛ لأن كره الناس لا يرضي الله ورسوله، واسترشد بالدعاء الذي يقول: «اللهم حببني إلى الناس وحبب الناس إليَّ»، وقال: إن الله يقدم وعدًا وهدية للمؤمنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾، وقال إن الود هو المحبة، والله تعالى يعدّ المؤمنين بأن يجعل لهم محبة في القلوب، فعلى الإنسان أن يهتم بكسب محبة كل الناس، وهذا الأمر مطلوب من الإنسان وينبغي السعي إليه، والعمل من أجله، والنصوص بهذا الأمر كثيرة كقوله ﷺ: «الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله».

وانتقل الشيخ الصفار إلى المحور الثالث وهو واجب نشر محبة آل البيت عليهم السلام، وقال إن محبة أهل البيت عليهم السلام ومودتهم واجبة على المسلمين بنص القرآن الكريم ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، وفي مصادر المسلمين من السنة والشيعة أن الصحابة سألوا الرسول الاكرم ﷺ: يا رسول الله، من هم قرابتك الذين أوجبت علينا محبتهم ومودتهم؟ فأجابهم إجابة صريحة: عليٌّ وفاطمة وابناهما، فالمسلم مدعو إلى محبة أهل البيت عليهم السلام.

وورد عن النبي ﷺ: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعْمَه، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»، وفي حديث روته مختلف المصادر وأورده الألباني في سلسلة أحاديثه الصحيحة عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يبغضن أهل البيت عليهم السلام أحد إلا أدخله الله النار»، وبالتالي محبة أهل البيت عليهم السلام واجبة على كل المسلمين، ولكن يوجد درجات في هذه المحبة، فشيعة أهل البيت عليهم السلام يعتقدون أن مودتهم ومحبتهم تقتضي طاعتهم، وأخذ معالم الدين منهم، والخضوع لأوامرهم، لكن أكثرية المسلمين لا يعرفون هذا المقام لأهل البيت عليهم السلام، فحبهم وفضلهم ومكانتهم في نفوس المسلمين، لكن لا يرون أنفسهم ملزمين اتباع نهج أهل البيت عليهم السلام، أو بعبارة أخرى، أنهم لا يرون أهل البيت عليهم السلام المرجعية الوحيدة في فهم الدين، وفي أخذ تشريعات الدين، ولا يرون لهم مقام الإمام بعد الرسول الأكرم ﷺ، ومكان القيادة. وهذا هو الفرق.



ألقى محاضرة بعنوان «صناعة المحبة» في حسينية الكاظمية

الصفار: كل المسلمين سنة وشيعة يحبون أهل البيت عليهم السلام... والاختلاف في اتباع نهجهم*

صباح الموسى

ألقى المفكر الإسلامي الشيخ حسن الصفار من المملكة العربية السعودية محاضرة تحت عنوان «صناعة المحبة»، قائلًا: إن الإنسان المؤمن يطلب من الله أن يكون خاليًا من الأحقاد والضغائن، مسترشدًا بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من ساء خلقه فقد عذب نفسه» لأن البغضاء والكراهية تعقد حياة الإنسان، مؤكدًا أن هذا لا ينطبق على الفرد فقط، إنما على المجتمع ككل. في الحسينية الكاظمية «البكاي»، في منطقة الشعب مساء أمس الأول ١٠ يناير ٢٠١٢م بحضور الوزير الأسبق عبدالهادي الصالح وجمع غفير من المؤمنين والمؤمنات قال الصفار: إن صناعة المحبة تقع في ثلاثة محاور: الأول عطاء المحبة ومسألة الكراهية، والثاني استخدام المحبة وآلياتها، والثالث واجب نشر محبة أهل البيت عليهم السلام.

وقال في المحور الأول إن الإنسان يتكون من أبعاد ثلاثة، له جسم يحتاج إلى المستلزمات المادية، وله عقل يحتاج إلى غذاء، وله مشاعر وأحاسيس وهذه تحتاج إلى إشباع، مؤكدًا أن غالب الناس تهتم بحاجات أجسامهم، وآخرون يهتمون بالعقل وهو العلم والمعرفة، ولكن هناك منطقة ملحة وهي الاهتمام بالمشاعر والعواطف،

* جريدة النهار الكويتية الصادرة بتاريخ الأربعاء ١١ يناير ٢٠١٢ الموافق ١٧ صفر ١٤٣٣، العدد ١٤٤٧.

مبينًا أنه إذا عاش الإنسـان مرتاحًا في البعد النفسـي، فإن الراحة النفسـية تنعكس على جسمه وعلى عقله، من ناحية الأداء.

وأشار إلى أنه إذا كان الإنسان يعاني من عقد ومشاكل واضطرابات فهذا يؤثر على صحته الجسـمية، ويؤثر على عطائه العقلـي والفكري، فلهذا يجب الاهتمام بالجانب النفسـي وهي المشاعر والأحاسـيس والعواطف، ويرتبط بهذا الجانب طبيعة الأجواء التـي يعيـش بها الإنسـان، هل هي أجواء مـن المحبة في المحيط الـذي يعيش فيه؟ أو أجـواء من البغض والكراهية؟ فإذا عاش الإنسـان في محيط يتبـادل فيه المحبة والود، هذا ينتج سـعادة للإنسان؛ لأن الإنسـان عندما يعيش في أجواء المحبة وفضائها يرتاح نفسيًا، فإنه يؤثر على مختلف أبعاد حياته.

بينمـا إذا عاش الإنسـان فـي أجواء البغـض والكراهية، يكره الآخريـن والآخرون يكرهونه، فهذه الأجواء ملوثة وضارة، ولكن يبقى أثر المحبة من حيث العطاء والراحة النفسية وتتيسر أمور حياته، بعكس من يحمل أحقادًا على الآخرين، فهذا إنسان منشغل بالهموم، ومشغول البال، وهو هم كبير، لذلك الإنسان المؤمن يطلب من الله أن يكون خاليًـا من الأحقاد والضغائن، مسترشـدًا بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من سـاء خلقه فقد عذب نفسـه»، فحينما تحقد على الآخرين فهذا غلّ على النفس وعلى القلب، قبل أن يكـون على الآخرين، مؤكدًا أن المحبة تيسـر الأمر، وتسـهل الأمور، وهي تريح نفس الإنسان، عندما تحب الآخرين تسير الأمور بيسر.

وتسـاءل الصفار في المحور الثاني المتعلق باسـتخدام المحبة قائلًا: هل الإنسـان معنـيٌّ بحـبّ الناس، والاجابة نعـم؛ لأن العقل والديـن يدعوان الإنسـان إلى أن يهتم بكسـب محبـة الآخرين، ويجب الاهتمام بهـذا، نعم بالدرجة الأولـى رضا الله ولكن اللـه يريـد منـك أن تكسـب محبـة النـاس؛ لأن كـره النـاس لا يرضـي الله ورسـوله، واسترشـد بالدعاء الـذي يقول: «اللهم حببنـي إلى الناس وحبب النـاس إليَّ»، وقال: إن اللـه يقدم وعدًا وهدية للمؤمنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ

الرَّحْمَـنُ وُدًّا﴾، قـال: إن الودّ هو محبة الله تعالى، ويعد المؤمنين بأن يجعل لهم محبة في القلوب، فعلى الإنسـان أن يهتم بكسـب محبة كل الناس، وهذا الأمر مطلوب من الإنسان، وينبغي السعي إليه، والعمل من أجله، والنصوص بهذا الأمر كثيرة كقوله ﷺ: «الخلق عباد الله وأحبهم إلى الله أكثرهم لعياله».

وأوضـح الصفـار أن الإيمـان يدفـع المؤمـن إلـى كسـب مـودة النـاس، وعمـل الصالحات في خدمة الناس واحترامهم، فمن الطبيعي أن الناس يحبون من يسعى إلى عمـل الصالحـات؛ لأن الإيمان والعمل الصالح يدفعان الإنسـان كي يكـون قريبًا من الناس، ومحبًّا للناس، ويكسـب محبة الناس. وروى قضية الرجل الشـامي الذي دخل المدينـة ذات يوم فرأى موكب الإمام الحسـن عليه السلام مقبلًا، تحفّـه الهيبة والاجلال، ومن حوله الناس يتبركون بالنظر إليه، فسأل الشامي: لمن هذا الموكب؟ قيل له: للحسن بن علي. قال: يعني ابن أبي تراب؟ قيل: بلى.

فأقبل يشـقّ طريقه حتى وصل إلى الامام، أمسـك بزمام بغلته وقال: أنت الحسن؟ فقـال: «بلى». قال: أبوك أبو تراب؟ قال: «نعم». فراح يشـتم الحسـن ويشـتم أباه أمير المؤمنيـن، فوضـع أصحاب الإمام أيديهـم على قوائم سـيوفهم، إلا أنّ النفس الكبيرة من الإمام استوعبته، حيث تبسّم في وجهه، ثم التفت إليه قائلًا: «يا هذا أحسبك غريبًا، هلـمّ معي، إن كنت محتاجًا أغنيناك، أو ضالًا أرشـدناك، أو جائعًـا أطعمناك». ثم بعد ذلك اصطحبه الإمام إلى داره وأكرمه وأحسن إليه.

فقال الشـامي دخلت المدينة وليس على وجه الأرض أهل بيت أبغض اليَّ منكم، وأنـا الآن سـأخرج وليـس على وجـه الأرض أهل بيت أحـبّ إليَّ منكم، أشـهد أنكم حجج الله على بريته.

وانتقـل الشـيخ الصفار إلى المحـور الثالث، وهو واجب نشـر محبة آل البيت عليهم السلام، قال: إن محبة أهل البيت عليهم السلام ومودتهم واجبة على المسلمين بنص القرآن الكريم ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، وفي مصادر المسلمين من السنة والشيعة

أن الصحابة سألوا الرسول الاكرم ﷺ: يا رسول الله، من هم قرابتك الذين أوجبت علينا محبتهم ومودتهم؟ فأجابهم إجابة صريحة: عليٌّ وفاطمة وابناهما، فالمسلم مدعو إلى محبة أهل البيت ﷻ، وورد عن النبي ﷺ: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»، وفي حديث روته مختلف المصادر وأورده الألباني في سلسلة أحاديثه الصحيحة عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت ﷻ أحد إلا أدخله الله النار»، وبالتالي محبة أهل البيت ﷻ واجبة على كل المسلمين، ولكن توجد درجات في هذه المحبة، فشيعة أهل البيت ﷻ يعتقدون أن مودتهم ومحبتهم تقتضي طاعتهم، وأخذ معالم الدين منهم، والخضوع لأوامرهم، وكثير من المسلمين لا يعرفون هذا المقام لأهل البيت ﷻ، فحبهم وفضلهم ومكانتهم في نفوس المسلمين، لكن لا يرون أنفسهم ملزمين باتباع نهج أهل البيت ﷻ، أو بعبارة أخرى أنهم لا يرون أهل البيت ﷻ المرجعية الوحيدة في فهم الدين، وفي أخذ تشريعات الدين، ولا يرون لهم مقام الإمام بعد الرسول الأكرم ﷺ ومكان القيادة وهذا الفرق.

وأكد أن الذين يبغضون أهل البيت ﷻ في التاريخ هم شرذمة عرفهم المسلمون بمصطلح «النواصب» وهذا المصطلح موجود عند كل المسلمين سنة وشيعة، وهو ليس مصطلحًا شيعيًا وانما هو مصطلح إسلامي، وهذا لا يعني أن المخالفين في المذهب نواصب، بل النواصب هم من يكرهون أهل البيت ﷻ، وأن المسلمين لا يبغضون أهل البيت ﷻ، صحيح لا يرون أنفسهم كما نرى نحن ملزمين باتباع أهل البيت ﷻ ولهذا نختلف عنهم، أما في أصل محبة أهل البيت ﷻ لا يوجد في هذه العقود من يكره أهل البيت ﷻ.

وبيّن الشيخ الصفار أن التاريخ شهد أشخاصًا شاذّين، ونفوسهم مريضة، كانوا يبغضون أهل البيت ﷻ، ومنهم حريص بن الحمصي الذي تذكر الروايات أنه كان يلعن أمير المؤمنين كل صباح ومساء ٧٠ مرة، مبينًا أن هذه النفوس مريضة وشقية،

ولكن المسلمين بشكل عام يحبون أهل البيت ﷺ، فكل المسلمين يقولون في التشهد في كل صلاة، وهو جزء عند جمهور أهل السنة، أن الصلاة تبطل دون القول: «اللهم صلى على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وأضاف أن أئمة المذاهب الأربعة نقلت عنهم كلمات في مقام أهل البيت ﷺ، قائلًا: انظر إلى إمام المذهب المالكي مالك كيف يتحدث عن الإمام جعفر الصادق ﷺ بقوله: «ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق ﷺ فضلًا وعلمًا وعبادةً وورعًا»، وهذا في مصادرهم، وأبو حنيفة كلامه مشهور: «لولا السنتان لهلك النعمان»، وهما السنتان اللتان تتلمذ فيهما على يد الإمام الصادق ﷺ، وهو صاحب القصة المشهورة حينما استدعاه المنصور ليمتحن الإمام، ذكر أبو القاسم البغاء في مسند أبي حنيفة: قال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة وقد سئل: من أفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته، فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به، دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه، فأومأ إليّ فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبدالله، هذا أبو حنيفة. قال: نعم أعرفه، ثم التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة، ألقِ على أبي عبدالله من مسائلك، فجعلت ألقي عليه فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعنا وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعًا حتى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلّ منها بشيء. ثم قال أبو حنيفة: أليس أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس.

وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ يمدح أهل بيت النبوة:

يا آل بيت رسول الله حبكمُ فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لا يصلي عليكم لا صلاة له

وقال إن الإمام ابن حنبل حين سئل عن أفضل الخلفاء، قال: إن عليًّا من بيت لا يقاس به أحد.

وأكـدّ الشـيخ الصفار قائلًا: إن أصل محبة أهل البيـت ﴿عليهم السلام﴾ وأصل الاعتراف بفضل أهـل البيـت ﴿عليهم السلام﴾ لا ينكره إلا كافر، صحيـح لا يعترفون كما يعترف الشـيعة في إمامتهم وخلافتهم ولكن أصل المحبة بشكل عام موجود.

وطالب بنشـر محبة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ في أوساط المسلمين، وفي أوساط الناس؛ لان نصوصًا كثيرة تحمّلنا المسؤولية، ورد عن الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ يقول: «حببونا إلى الناس وحببوا الناس إلينا».





مع آية الله الشيخ محمد الخاقاني



لفت إلى أن الإنسان المؤمن يطلب من الله أن يكون خاليًا من الأحقاد والضغائن

الصفار حاضر عن «صناعة المحبة» في الحسينية الكاظمية*

ناصر الفرحان

استضافت الحسينية الكاظمية «البكاي» في منطقة الشعب مساء أول من أمس المفكر الإسلامي الشيخ حسن الصفار من المملكة العربية السعودية، حيث ألقى محاضرة تحت عنوان «صناعة المحبة» بحضور الوزير الأسبق عبد الهادي الصالح، والسفير علي المؤمن، وجمع غفير من المؤمنين والمؤمنات.

وقال الصفار خلال المحاضرة: «إن الإنسان المؤمن يطلب من الله أن يكون خاليًا من الأحقاد والضغائن، مسترشدًا بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من ساء خلقه فقد عذب نفسه»؛ لأن البغضاء والكراهية تعقد حياة الإنسان»، مبينًا أن «هذا لا ينطبق على الفرد إنما على المجتمع ككل»، ومضيفًا: «إن صناعة المحبة تقع في ثلاثة محاور: الأول منها عطاء المحبة ومسألة الكراهية، والمحور الثاني استخدام المحبة وآلياتها، والمحور الثالث واجب نشر محبة أهل البيت عليهم السلام».

ولفت إلى أنه «إذا كانت نفس الإنسان تعاني من عقد ومشاكل واضطرابات فإن هذا يؤثر على صحته الجسمية كذلك على عطائه العقلي والفكري، فلهذا يجب الاهتمام بالجانب النفسي.

---

* جريدة الراي الكويتية الصادرة بتاريخ الأربعاء ١١ يناير ٢٠١٢م، العدد: ١١٨٨١.



مع الشيخ علي حسن غلوم

الصفار في حسينية الزهراء:

سمو الأخلاق والاستشارة والموقف السياسي.. 3 قبسات من سيرة الإمام الرضا*

أقامت حسـينية دار الزهراء ﴿ع﴾ مجلسًا بذكرى استشهاد الإمام علي الرضا، تحدث فيه سـماحة الشـيخ حسـن الصفار قائلًا: إننا نعيش ذكرى استشـهاد الإمـام الرضا ﴿ع﴾ نقتبس ثلاث قبسـات من هدي سـيرته الطاهرة النقية، الأولى: سمو الأخلاق من سمو الذات، والثانية: الاستشارة نهج الصواب، والثالثة: الموقف السياسي للإمام الرضا.

وأضاف: علماء الأخلاق قالوا: إن الإنسان له صورة جسمية تبين شكله الخارجي مـن حيث القوام والجمـال، وهناك صورة أخرى داخل الإنسـان، مـن خلال أخلاقه، فكما الأجسـام تختلف في أشكالها، كذلك النفوس تختلف في مستوياتها، ويتبين من خلال ذلك مستويات الأخلاق.

جاء التأكيد في النصوص الدينية على أهمية الأخلاق، وفي تحديد مكانة الإنسـان في الدرجة الأولى «إن العبد ليبلغ عند الله رفيع الدرجات في الآخرة بحسن أخلاقه»، من كلام لأمير المؤمنين ﴿ع﴾: «ربّ عزيز أذلّه خلقه، وربّ ذليل أعزّه خلقه»، عزيز عنده مـال أو منصب أو سـائر مقومات القـوة والعزة التي تتوافر في شـخصيته، لكن أخلاقه السيئة تذله، تجعله غير محترم عند الناس.

وقـال الصفـار: إن المحطـة الثانيـة هـي الاستشـارة نهج الصـواب، لافتًـا إلى أن الإمام ﴿ع﴾ ينقل عن أبيه الكاظم ﴿ع﴾ أنه كان يشـاور بعض خدمه، فقيل له، كيف تشـاور

* جريدة النهار الكويتية. الخميس ١٢ يناير ٢٠١٢م، ١٧ صفر ١٤٣٣هـ، العدد: ١٤٤٨.

الخـادم؟ قـال: «ربما فتح الله تعالى على لسـانه»، وروي عن أحد الصحابة: «ما رأيت أحدًا أكثر استشارة لأصحابه من رسول الله ﷺ».

وأشـار إلـى أن المنهـج السـليم الذي يوصل الإنسـان إلـى الصواب، سـواء على مسـتوى فردي أو أسـري هو نهج الاستشـارة، القرآن يتحدث عن فطام الطفل الصغير وأنه لا بدّ من التشـاور في الموضوع بين الوالدين ﴿فَـإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَـاوُرٍ﴾، الإسـلام يرى نهج المشـاورة، والمهم من ذلـك إدارة المجتمع، لا يصح الاستبداد بالرأي، دون أخذ رأي الآخرين، دون المشاورة مع الآخرين، فهم يساعدون علـى الرأي الصائب، المجتمعات المتقدمة هي التي تأخذ هذا المنهج، لا أحد يسـتبد بالرأي.

وأكـد الصفار أن المجتمع الناضـج هو الذي يبتكر صيغًا لاجتماع ذوي الرأي فيه، ومجتمعاتنا تمر بها الأخطار وليس لها أطر لتدرس الأمور وتقرر المواقف.

وأشـار إلى المحطة الأخيرة وهي الموقف السياسـي للإمام الرضا، وما حصل في حياته من حالة استثنائية حيث الخليفة العباسي المأمون يطلب من الإمام قبول الحكم، وطـرح عليه أن يكـون وليًا للعهد، ورفـض الإمام، وتحت التهديد فـرض على الإمام قبول ولاية العهد، وقبل الإمام، واشـترط ألا يتحمل مسؤولية فعلية في الحكم، وبويع للإمام لولاية العهد.

وأوضـح الصفار أن الإمام رأى أن هناك إمكانية للاسـتفادة، وإتاحة الفرصة لنشـر مفاهيـم الإسـلام، وتعاليـم الدين، واسـتفاد الإمـام من وجـوده في جلسـات الحوار والمناظـرات مع زعماء اليهود والنصـارى ومختلف الديانـات والاتجاهات. أتيحت فرصـة للإمام لكي يتواصل مع الناس، ويربي رجالًا ليسـيروا على نهج الامام، وعمل على فك الحصار على اتباع أهل البيت ﷺ، وهذا يعطينا درسا بليغًا، أن على المؤمنين في كل عصر أن يستفيدوا ويستثمروا الفرص المتاحة لهم، من أجل أن يعرفوا بأنفسهم ومبادئهـم، ويوصلـوا رسـالتهم، وألا يتوانوا من الاسـتفادة من أي ظـرف من الفرص المتاحة لإيصال المفاهيم لأبناء الأمة.



حسينية دار الزهراء أقامت مجلسًا بذكرى أربعين سيد شباب أهل الجنة

٧

الصفار: السيدة زينب شريكة الإمام الحسين في نهضته*

أقامت حسينية دار الزهراء مجلسًا بذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام، تحدث فيه سماحة الشيخ حسن الصفار عن موقف السيدة زينب رضي الله عنها في خطبتها في مجلس الطاغية تخاطبه قائلة: «فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين».

وقال الصفار: إننا نعيش ذكرى أربعين سيد الشهداء حيث تمر «٤٠ يومًا» من شهادته العظيمة، تلك الشهادة كان ظاهرها قتلًا وفجيعة، وباطنها ظفرًا وانتصارًا، فشهادة الحسين عليه السلام كانت فتحًا كما قال الحسين عليه السلام حينما كتب رسالته لبني هاشم وهو في طريقه للعراق: «من لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح» يعتبر الشهادة هي الفتح، وهذا ما أثبته التاريخ وقرره الواقع. صحيح أن الإمام الحسين عليه السلام قتل مع أولاده وأصحابه، لكن ماذا يقول التاريخ الآن؟ أين قتلة الحسين عليه السلام عليهم اللعنة؟ والدنيا اليوم تعجّ باسم أبي عبدالله الحسين عليه السلام وشهادته.

الإمام الحسين عليه السلام لم يكن قاصدًا لتحقيق هدف مادي حتى يقاس النجاح بالمطامع والأهداف والمواقع المادية، إنما ثار من أجل القيم والمبادئ، وشهادته خلدت هذه القيم والمبادئ.

---

* جريدة النهار الكويتية. الأحد ٢١ صفر ١٤٣٣هـ الموافق ١٥ يناير ٢٠١٢م ـ العدد: ١٤٥١.

هذه الثورة حينما يقرأ الإنسان كتابها يجد في تلك الصفحات حضورًا لشخصيتين، شخصية الحسين (ع) وشخصية زينب (ع). زينب شريكة الحسين (ع) في نهضته لا يذكر موقف أو قضية إلا وتجد حضورًا لزينب، حقًا أنها شريكة الحسين في نهضته، والحسين وزينب اللذان صنعا الثورة، وحضور السيدة زينب، امتد لما بعد مقتل الحسين، وتعاظم دورها، واستلمت المهمة، وقامت بكل المسؤولية بعد شهادة الحسين، وفي ذلك إشارة عظيمة ومهمة إلى أن مسؤولية الدين، مسؤولية الواقع الاجتماعي في الأمة مشتركة بين الرجل والمرأة.

وإذا قرأنا الرسالات السماوية نجد للمرأة حضورًا، فنرى حواء بجانب آدم، امرأة فرعون بجانب موسى، مريم بنت عمران بجانب عيسى، وكانت خديجة إلى جانب نبينا محمد (ص)، وقد ورد عنه (ص): «قام الدين على أمرين: سيف علي ومال خديجة»، وقوف خديجة موقفًا عظيمًا يذكره رسول الله طوال حياته. كذلك نجد الزهراء سيدة نساء العالمين بجانب الحق العلوي، ونرى دور زينب شريكة الحسين في نهضته، دور المرأة في كل الحركات الإلهية يجب أن يكون مسارًا ثابتًا في المسيرة الإنسانية، مسؤولية الإصلاح والتغيير في الأمة، والوقوف ضد الظلم والطغيان مسؤولية المرأة والرجل على حدٍّ سواء.

النساء يتحملن المسؤولية كما يتحملها الرجال، أما التفكير في جعل المرأة في رتبة أقل من الرجل لا صحة له، وهو تفكير جاهلي، فالتفاضل عند الله بالتقوى، المرأة التقية خير من الرجل غير التقي. والعلم معيار آخر للتفاضل ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، والمقياس الثالث هو العمل الصالح ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾، فلكل إنسان درجته حسب عمله، فالمرأة إذا كانت أكثر عملًا صالحًا من الرجل فلا شك أنها أفضل منه.

النظرة الإسلامية تقوم الإنسان حسب علمه وتقواه وعمله الصالح، فالمرأة يجب أن يكون لها دور وحضور في كل المجالات في حياة الإنسان اجتماعيًا، وتربويًا وسياسيًا. وزينب (ع) كانت نموذجًا على هذا الصعيد، ولدت وعاشت في البيت

العلوي، وكنف الرعاية النبوية، والحسين كان معدًّا لذلك الدور العظيم، كذلك زينب معـدة لمشـاركتها في هذا الدور. فـكل ما مرت به زينب كان لإعدادها نفسـيًا، وإعداد شخصيتها للقيام بذلك الدور العظيم.

وجـاءت مشـاركة العقيلـة زينب في كربـلاء بمبادرتهـا واختيارهـا، دورًا مقصودًا مختـارًا منها، كانت مصرة على أن تخرج مع الحسـين، وتقـول: «نحيا بحياته ونموت بموتـه» الأدوار التي قامت بها زينب كلها بالمبادرة تخرج وتتصدى للمواقف كلها في المعركة، اختارها الحسـين عليه السلام لتكون قائدة مسـيرة الثورة من بعده، وكان دورها رعاية العائلـة، والتصـدي للأمور الدينية، وقد قـال عنها زين العابدين: «وأنـت بحمد الله يا عمة عالمة غير معلمة، وفاهمة غير مفهمة».

وقـد وقفت بجانب جسـد أخيها قائلـة: «اللهم إن كان هذا يرضيـك فخذ منا حتى ترضـى، اللهـم تقبل هـذا القربان من آل محمـد»، موقف البطولة موقف التسـامي عن الآلام. وحين أراد الطاغية أن يشمت بالحوراء عليها السلام قائلًا: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ فتجيبه بكل بطولة وشـجاعة «والله ما رأيت إلا جميلًا، هؤلاء قوم كتب الله لهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم.... ثكلتك أمك يا ابن مرجانة»، «الحمد لله الذي أكرمنا بالنبوة وأنعم علينا بالشهادة».

وبعـد كل المعانـاة ألقت خطبة رائعة «أمن العدل يا ابـن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإمائك، وسـوقك بنات رسـول الله سـبايا، قد هتكت سـتورهن، وأبديت وجوههن، تحـدو بهـن الأعداء من بلـد إلى بلد، ويستشـرفهن أهل المناهـل والمعاقل، ويتصفح وجوههـن القريـب والبعيـد، والدنيء والشـريف، ليس معهن مـن حماتهن حمي ولا مـن رجالهـن ولي، وكيف يرتجى مراقبـة من لفظ فوه أكباد الأزكيـاء، ونبت لحمه من دماء الشـهداء، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت عليهم السلام من نظر إلينا بالشنف والشنأن، والإحن والأضغان. اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا».





مع الحاج كاظم عبدالحسين



مع آية الله الشيخ محمد الخاقاني



٧

نرفض الإساءة للشيخ الصفار*

سلمان عبد الأعلى

إن الشيخ حسن الصفار شخصية وطنية كبيرة لا يصح أن تُعنون بغير هذا العنوان، فهو رمز وطني كبير، ونجم لامع في سماء هذا الوطن الحبيب، فهو لا يخص طائفةً أو مكوناً من المكونات الموجودة في بلادنا، وذلك لأنه وعبر تاريخه الطويل لم ينطلق من منطلقات طائفية، وإنما كانت منطلقاته في تحركاته منطلقات وطنية تريد الخير لصالح هذا الوطن ولمواطنيه بغض النظر عن انتماءاتهم الطائفية أو الجغرافية أو القبلية أو غيرها.

ونحن لا ننسى جهوده التي بذلها في هذا الشأن، فتاريخه خير شاهد على ما نقول، فمن سعى للحوار بين المكونات والشرائح الوطنية في المملكة كما سعى الشيخ الصفار، ومن سعى وناضل من أجل التقريب بين وجهات النظر المتباينة بين مختلف التيارات الفكرية والدينية كما فعل الشيخ الصفار، ومن حافظ على اعتداله واتزانه وانفتاحه على الآخر رغم كل الظروف والتحديات والتعقيدات التي مرت على الساحة الوطنية كالشيخ الصفار. لذلك، قد لا نبالغ لو قلنا: بأننا لا نجد شخصية وطنية من علماء الدين معتدلة ومتزنة - سواءً من الطائفة السنية أو الشيعية - كالشيخ الصفار في اعتداله واتزانه وانفتاحه وحرصه على تعزيز اللحمة الوطنية.

* شبكة راصد الإخبارية ٢٩/ ٢/ ٢٠١٢م

ولهذا نحن نستغرب من الهجوم الذي يستهدف الشيخ الصفار في بعض الصحف المحليـة، ولا نرى أي مبرر مقبول لذلك، فهذا الهجوم حتى ولو حمل بعض العناوين الوطنيـة إلا أنه باسـتهدافه لرمز كبير ولشـخصية وطنية كبيرة بحجم الشـيخ الصفار لا يمكن أن يكون وطنياً بحال من الأحوال؛ لأن استهداف الشيخ الصفار ليس كما يتصور البعض بأنه اسـتهداف لطائفة معينة أو لشريحة أو فئة من المواطنين، لا بل هو أكبر من ذلك وأوسـع، فهو اسـتهداف خطير، وخطير للغاية؛ لأنه يمس أحد أبرز الشـخصيات الوطنية المعتدلة.

والغريـب من بعض الأقلام التي نالت من الشـيخ الصفار تصريحًـا أو تلميحًا أنها حاولـت اتهامه بعدم الوطنية.. الله أكبر، أفي الوطنية يشـكك في الشـيخ الصفار؟ ألم تجـدوا عنوانـاً آخر لكـي تصفو من خلالـه بعض الحسـابات ـ غير المعلنـة ـ غير هذا العنـوان؟! صراحةً لا أدري كيف يتجرأ أحد على التشـكيك في وطنية الشـيخ الصفار والوطنية أبرز المواضيع التي بذل فيها الشـيخ جلّ وقته وجهده وفكره، أليس هو أحد أبـرز دعاة الحوار الوطني؟! ألم تكن خطاباته دائماً في صالح تعزيز اللحمة الوطنية؟! ألـم يبـذل جهوداً فكرية كبيرة ومضنيـة لأجل ذلك؟ ألم يقف ضد خطـر الطائفية دون تفريق فيما لو كانت من السنة أو الشيعة ويركز على موضوع الوطنية؟! للأسف بأنه بعد كل هذه الجهود الواضحة التي بذلها الشيخ الصفار يتنكر له ويواجه بهذا الخطاب!!

ختامـاً نقـول: بأننا نديـن ونسـتنكر كل الأقلام التـي تجرأت على هذه الشـخصية الوطنيـة البـارزة، ونطالـب بأن يوضع حـدٌّ لمثل هـذه الكتابات لما تشـكله من تهديد وخطر على الوحدة الوطنية، وذلك لأنها تسـتهدف أحد أبرز شخصياتها ودعاتها، ولا نبالغ لو قلنا بأنه يُعدّ ركنًا أساسياً من أركانها.



نحتاج إلى خطابٍ منبري يعالج قضايا الأمة

الشيخ الصفار مؤبنا الخطيب البصارى

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار خطباء المنبر الحسيني بالتجديد في خطابهم المنبري ليواكب العصر، ووعي المستمعين، وأن يعمل على علاج قضايا الأمة.

وقال في تأبين الخطيب الحسيني الشيخ عبدالرسول البصارى: إن الراحل كان ضمن من سعوا لتجديد المنبر الحسيني.

وأشار إلى أن تعزيز الولاء لأهل البيت ﷺ، وربط جماهير الأمة بسيرتهم وجهادهم، وما تحملوه من مآسٍ في سبيل الحفاظ على المبادئ العظيمة، هي المهمة الأساس للمنبر الحسيني، وهذا لا يكون بالطرح العاطفي وذكر الفضائل فقط، وإن كان مطلوبًا.

وأضاف: إننا بحاجة إلى إبراز الصورة الإنسانية والأخلاقية لأهل البيت ﷺ، بذكر تعامل الإمام مع أسرته وجيرانه، وعامة الناس، وكيف كان يتحمل الإساءات، وكيف كان يذوب في خدمة الناس؛ لأن الهدف من التعريف بأهل البيت ﷺ جعلهم القدوة، وجعل الارتباط بهم ارتباط تأسٍّ ومتابعة.

وأبان: إن المجتمع اليوم بحاجة إلى الحديث عن إنجازات وعطاء أهل البيت ﷺ العلمي والفكري في مختلف مجالات الحياة، وفي مختلف أبعاد الجوانب الإنسانية والاجتماعية.

وقال الشيخ الصفار: إن لأهل البيت ﷺ إنجازات يجب إبرازها، فإن الحكام إنما استهدفوهم لأنهم كانوا فاعلين ومنجزين، وكانوا يستنهضون الهمم، لبناء صروح

المجد في ربوع الأمة.

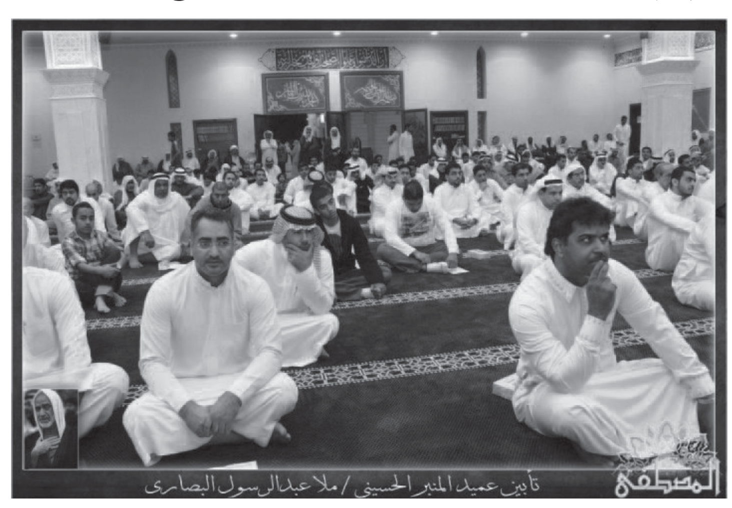
وطالب سماحته أن يتحول الخطاب الوعظي من الاكتفاء بالتحذير من المعاصي والذنوب الفردية، إلى التحذير من المعاصي والذنوب الاجتماعية، في علاقات الناس مع بعضهم، ومراعاة حقوق الإنسان، والتركيز على الطاعات في جانبها الاجتماعي.

وعن دور المنبر في نشر الثقافة والمعرفة الدينية، قال الشيخ الصفار، إننا بحاجة إلى منبر يقوم ببث الوعي السياسي والاجتماعي الحقوقي في أوساط الناس.

وأضاف: قد لا يكون مطلوبًا من الخطيب أن يتحدث عن قضية سياسية معينة، أو عن دولة بعينها، لكنه مطلوب منه أن يؤصّل الوعي السياسي، وأن يعززه في نفوس الناس، في بعده الفكري والثقافي، كالحديث عن الحرية والعدالة والمساواة وحقوق الإنسان.

وأبان: إن على المنبر اليوم أن يرفع من معنويات الناس، ويبث في نفوسهم الأمل، وأن يشجع الناس على أخذ المبادرة في إصلاح أمورهم، ليكون مؤديًا لدوره الحقيقي.

جاء ذلك خلال مشاركة الشيخ الصفار في حفل تأبين الخطيب الحسيني الشيخ عبد الرسول البصارى الذي أقيم مساء يوم الخميس ١٤/ ٤/ ١٤٣٣هـ الموافق ٨/ ٣/ ٢٠١٢م في مسجد المصطفى بالتركيه بمشاركة جمع من العلماء والشعراء.



٧

لصفاء قلبه كان مهتمًا وناجحًا في إصلاح ذات البين

مع الشيخ علي المسبح والشيخ عبدالخالق الحاجي

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار عن مآثر الفقيد الراحل سماحة الشيخ علي المسبّح، عالم الدين البارز في قرية البطالية بالأحساء، مشيدًا بما كان يتمتع به من ورع وتقوى، وصفاء قلب، وصدق محبة لكل أبناء مجتمعه، جعلته يكرّس حياته وجهده في السعي لإصلاح ذات البين، فلا تكاد تحدث مشكلة عائلية أو بين أشخاص في قريته، إلا ويبادر لحلها ومعالجتها، وكان دوره مقبولًا ومؤثرًا بانعكاس حالة صفاء قلبه وطيب نفسه على الآخرين.

وأشار الشيخ الصفار إلى أهمية تصدي عالم الدين في المجتمع للرعاية الأخلاقية، وممارسة دور الأبوة الروحية، بالانفتاح على جميع أبناء المجتمع، وعدم التورط في الخصومات والنزاعات، فإن اختلاف الآراء والتوجهات أمر طبيعي، يجب أن يرشّد

* ولد بالأحساء (في قرية البطالية عام ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١م)، وتوفي يوم الجمعة الموافق ١٥/ ٤/ ١٤٣٣هـ.

مساره عالم الدين، بالدعوة إلى التسامح والاحترام المتبادل والحوار الإيجابي.

وتحدث الشيخ الصفار عن علاقته الوثيقة منذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمن بالفقيد الراحل، الذي التحق بالرفيق الأعلى بتاريخ ١٦ ربيع الآخر ١٤٣٣هـ تغمده الله بواسع الرحمة والمغفرة، داعيًا أهالي قريته إلى الحفاظ على نهج الفقيد في تعزيز التلاحم الاجتماعي، وإصلاح ذات البين، وفي الالتفاف حول العلماء الواعين، الذين ينشرون تعاليم الدين في التسامح والمحبة، وتكريس المبادئ والقيم.

وقد ألقى الشيخ الصفار كلمته التأبينية في حشد من المشاركين في عزاء الفقيد في الحسينية العباسية بالبطالية، بعد صلاتي الظهر والعصر ليوم الثلاثاء بتاريخ ٢٠ ربيع الآخر ١٤٣٣ الموافق ١٣ مارس ٢٠١٢م.



٧

تكريم أعضاء منتدى الثلاثاء الثقافي

ضمن فعالياته للموسم الثاني عشر؛ احتفى منتدى الثلاثاء الثقافي في القطيف مساء الثلاثاء ٣ أبريل ٢٠١٢م الموافق ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ بفريق عمل المنتدى منذ تأسيسه؛ مستضيفًا لذلك العديد من الشخصيات الدينية والثقافية.

وكانت لسماحة الشيخ حسن الصفار كلمة فيما يلي نصها:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين.

هذه المنتديات هي من أهم مكاسب وإنجازات مجتمعنا في هذه المرحلة الزمنية. في مجتمعنا كانت تحصل لقاءات يمكن القول عنها بأنها عفوية، حيث يجتمع الناس ضمن شرائحهم المختلفة، ويتبادلون الأخبار والهموم، ولكن لم يكن هناك ملتقى منتظم تجتمع فيه النخبة المهتمة بالشأن العام. وقد تلمس الأخ الأستاذ جعفر الشايب حاجة المجتمع لوجود مثل هذا النشاط، وبادر لعقد هذا الملتقى، ولعله كان أول ملتقى من نوعه في محافظة القطيف. وكانت هناك شكوك وهواجس في إمكانية استمرار هذا الملتقى، بسبب الظروف السياسية والاجتماعية، والانشغالات المختلفة للأستاذ جعفر، ولكني كنت واثقًا من أن هذا الملتقى سيستمر وسيحقق النجاح، وسيشق الطريق أمام هذا النهج وهذا النشاط. وسبب ثقتي لأني رافقت الأخ جعفر في أنشطة سابقة، رافقته في مجال العمل السياسي، ورأيت نشاطه ومثابرته وجديته، مع

صعوبة الظروف التي كنا نعيشها في الخارج، لكنه كان يتمتع بحيوية فائقة، وكان مثابرًا نشطًا، يتحدى المعوقات والعراقيل المختلفة.

كما رأيت وعاصرت تجربته في مجال العمل الطلابي في أمريكا، وما أزال أتذكر أول رحلة لي إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٨٠م، حينما بدأنا التفكير مع مجموعة من الإخوة لإيجاد نشاط يهتم بالمبتعثين من أبنائنا هناك. وقاد الأخ الأستاذ جعفر الشايب، بمعية عدد من الأخوة والأصدقاء هذا النشاط، لثماني سنوات متواصلة (ضمن مركز الشباب المسلم)، وكان هناك لقاء سنوي أثناء عطلات عيد الميلاد «الكريسميس» يستوجب إعدادًا مسبقًا لعدة شهور. لهذه التجارب وأمثالها كنت واثقًا من أن هذه المبادرة ستكون ناجحة أيضًا وستتحول إلى منهج وإلى سنةٍ حسنة في مجتمعنا.

والحمد لله استمرّ هذا المنتدى، ورأينا آثاره ونتائجه. وما كان لهذا المنتدى أن يستمر لولا تفاعلكم، تفاعل المثقفين والمهتمين بالشأن العام، ولولا جهود الأخوة والأخوات الذين ساعدوا في إدارة هذا الملتقى مع الأستاذ جعفر، فله ولهم ولكم جزيل الشكر.

ولا شك أن هذه المنتديات تقوم بوظيفة مهمة، تتصل بمجال صناعة الرأي والثقافة في المجتمع، مجتمعاتنا تعاني من أزمة صناعة الرأي، وحرية التعبير. هناك أوضاع سياسية واجتماعية لا تخدم صناعة وانتشار الرأي. هذه المنتديات تساعدنا على تداول الآراء وإنضاجها وبلورتها ونشرها في المجتمع.

ويمكن القول إن من أهم وظائف هذه المنتديات ما يلي:

المهمة الأولى:

التعارف بين المثقفين والمهتمين بالشأن العام، والتعارف الفكري بين ذوي الآراء والاتجاهات والتوجهات المختلفة.

المهمة الثانية:

إنضـاج الرأي وبلورته، فقد يكون لـديّ رأي، ولكن كيف أثق أكثر بصواب رأيي؟ لا يتـم ذلـك إلا إذا شـاركني الآخرون في بحث هـذا الرأي ومناقشـته وملاحظة نقاط ضعفـه. لذلـك ورد عن أمير المؤمنيـن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قـال: «اضربوا الرأي بعضـه ببعـض يتولد منه الصـواب»، وفي كلمة أخرى «من اسـتقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ». حينما يعيش كل واحد منا في صومعته الخاصة به، ويتبنى أفكارًا وآراء معينة، فليس من المعلوم أن تكون تلك الآراء والأفكار بالدرجة التي يتصورها هو من الصواب والصحة. هذه المنتديات تساعدنا كثيرًا في بلورة وإنضاج أفكارنا وآرائنا.

المهمة الثالثة:

نشـر الفكـر والثقافـة والآراء الجديـدة فـي المجتمـع، من خلال حضور الشـباب والناشـئين والمهتمين بالشأن الفكري والسياسي والاجتماعي. هذه المنتديات تساعد على انتشـار الآراء والأفكار. وأخيرًا فإنها تؤسـس أرضية للعمل الوطني والاجتماعي العـام، علـى أسـاس تقـارب الآراء، والتوافق فـي المشـتركات فيما يخـدم المصلحة الوطنية العامة.

إن من المهم جدًا أن يأتي الإنسـان لكـي يبحث عن الرأي الآخر، فكثير من الناس يحبـون أن يسـمعوا مـا يوافـق آراءهم، لكـن الصحيح أن يكون الإنسـان أكثر سـرورًا باطّلاعـه علـى ما يخالـف رأيه منه إذا عـرف ما يوافق لرأيه. حينما تسـمع رأيًـا موافقًا لرأيك فأنت ترى نفسك وصورتك، لا تزداد شيئًا جديدًا، لكنك حينما تسمع رأيًا آخر فإنك قد حصلت على شـيء جديد، يمكنك من أن تعيد فحص رأيك، والتأكد منه، أو تطوير الرأي الذي تسمعه.

مـن هنـا فإن هذا المنتدى كانت لـه آثارٌ ونتائج كبيرة في واقعنا الاجتماعي، نسـأل الله سـبحانه وتعالى أن يوفق الحاضرين، وأصحاب المنتديات المختلفة في المنطقة، فالحمد لله أصبحت منطقتنا عامرة بعدد من المنتديات التي هي روافد لفكرنا وثقافتنا،

ونتطلع إلى أن تكون هذه المنتديات دافعًا لنشـاط على المسـتوى الوطني، يمكننا من خدمـة مجتمعنـا ووطننا، ومـن القيام بمـا نتطلع إليه مـن تطـورات وإصلاحات على المستوى الاجتماعي والوطني.

أجدّد الشكر للأستاذ جعفر الشايب، وأسأل الله أن يمنحه العمر المديد، والصحة والعافيـة، لمواصلـة رعايـة هـذا المنتـدى، ولمواصلـة نشـاطه المدنـي فـي مختلف المجـالات، كما أشـكر الإخوة والأخوات الذيـن يبذلون جهودًا جبـارة في إدارة هذا المنتـدى فـي توثيقـه، وآمـل أن يبرز هـذا التوثيق وأن ينشـر، حتـى يبقى وثيقـة فكرية اجتماعيـة وطنيـة، وأرجو أن نتفاعل جميعًـا مع مثل هذه المنتديـات ونتجاوب معها، وأن نرفدها دائمًا بالدماء الجديدة.

قلـت للأسـتاذ جعفر ذات مـرة علينـا أن نعمل من أجل مجـيء أبنائنا بـل أحفادنا لحضـور هذه المنتديـات، ولا ينبغي أن تبقى هذه المنتديـات ضمن عمر معين، ينبغي أن نجـدد فيها الدماء دائمًـا وأبدًا. التحدي الكبير أمامنا هو مجـيء هذا الجيل الجديد من أبنائنا وبناتنا وشـبابنا لكي نسمع منهم، ولكي يناقشونا ونناقشهم، لكي نستلهم من شبابيتهم وحيويتهم.

أسـأل الله تعالى أن يوفق الجميع للخير والصلاح، وشـكرًا لكم جميعًا، والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



٧
الشيخ الصفار يدعوا لحسن التدبير في المعيشة



قال الشيخ حسن الصفار في مجلسه الأسبوعي (الخميس ١٣/ ٥/ ١٤٣٣هـ الموافق ٥/ ٤/ ٢٠١٢م): إن الدعوة لحسن التدبير في المعيشة لا تختص بالأفراد، وإنما تشاركها المؤسسات والدول، فكما نلحظ سوءًا في تدبير الإمكانات المالية عند الأفراد، فكذلك نجده عند الدول والكيانات.

وأضاف: الناس يتفاوتون في مستوى دخلهم، ويتفاوتون في طريقة التصرف به، وكذلك الدول، فالدولة التي تدبر أمرها يعيش شعبها في سعة من الحال.

وأشار إلى أن سوء التدبير، وعدم وجود إدارة جيدة للدخل، والفساد، كل ذلك يؤدي إلى معيشة ضنكًا، فصرف المبالغ الطائلة على الكماليات وترك الأولويات تدلّ على سوء التدبير.

وعن وجود ميزانية قال سماحته: يجب أن تكون للأفراد ميزانية كما هي للدول، وأن ينبه ربّ العائلة الأبناء لأهميتها، وأن تلغى قاعدة «أنفق ما في الجيب يأتيك ما في الغيب».

ودعـا الأفـراد إلى عـدم الرضـا بالدخل المحـدود، فحسـن التصـرف والتخطيط للمسـتقبل المالـي الجيد، يعني التفكيـر في زيادة الدخل، والبحـث عن فرص جديدة لتنمية الإمكانات المالية.

وقـال الشـيخ الصفار: إن الإسـلام معنيٌّ بنجاح حياة الإنسـان فـي كل جهاته، لذا أكدت نصوص كثيرة أن حسن التدبير يجنّب الإنسان الفقر، ويصلح حياته المعيشية.

وأكد سـماحته: إن الأفـراد والكيانات والدول التي لا تديـر مواردها المالية جيدًا، بالإنفاق على الكماليات وترك الأولويات، تبتلى بالفقر فـ «سوء التدبير سبب التدمير» كما قال أمير المؤمنين ، مؤكدا أن أموال الأوقاف والحقوق الشـرعية يجب أن تدار بطريقة أفضل، من أجل إنماء المجتمع وسدّ حاجاته.

٧

الشيخ الراضي: احتلال العراق سبّب انكسارًا ثقافيًا

مع الشيخ يحيى الراضي

قال الأديب الشيخ يحيى الراضي: إن الناس فرحت لسقوط صدام حسين إلا أن الحدث سبب في الأمة انكسارًا ثقافيًا قد نعاني منه كثيرًا.

ووصف الفرحة التي ظهرت على وجوه الناس لفتح باب الزيارة للعراق، أو لسقوط الطاغية بأنه فرح الضحية يوم يتخلص من جلاده، إلا أننا في غمرة فرحتنا بما جرى في العراق لم نقرأ ما يحدث في الساحة من حراك ألهب مشاعر بعض الناس فأجّج الصراع المذهبي.

جاء ذلك خلال استضافة الشيخ حسن الصفار للشيخ يحيى الراضي في مكتبه الخميس ٢٠/ ٥/ ١٤٣٣هـ الموافق ١٢/ ٤/ ٢٠١٢م ليتحدث عن تجربته الدراسية والأدبية.

وقال الشيخ الراضي إنه تعرف على القطيف في الحوزة العلمية من خلال زملاء الدراسة، فقد لفت انتباهه «الحضور القطيفي الصارخ» بأدبه وشعره وصوته الولائي.

وأوضح أن دراسته الحوزوية تميزت بالثراء والرؤية النقدية، والخروج عن القداسة،

لهذا رفض أن ينغمر في التنوعات الموجودة لكي لا ينحاز إلى طرف، بل حاول استيعاب الاختلاف الذي لا يخرج عن الأصول.

وقال إنه قام بتبسيط كل مواقع الخلاف الشاغل للناس، على مختلف أنواعها السياسية والفكرية والاجتماعية، فوجد أنه لا يوجد خلاف، وإنما هي تجاذب أفكار.

وأضاف: كنا متفائلين بما جرى من ازدهار فكري وثقافي في بداية التسعينيات، تمنينا لو أن هذه الحالة استمرت عشر سنين أخرى، لكن احتلال العراق كسر هذا الازدهار.

وأكد أن الامة ستخرج من الانتكاسة المذهبية، عندما تعي كلّ الأطراف أن الصراع المذهبي لا ينفع أي أحد، ولم ينتصر فيه أحد.

هذا وقد أشاد الشيخ حسن الصفار بالشيخ الراضي قائلًا: إن الشيخ يحيى لم يرض لنفسه الاكتفاء بالدراسة العلمية التقليدية في الحوزة، بل طوّر نفسه فكريًا وثقافيًا وأدبيًا، واتجه للتفقه في الدين بمعناه الشامل، كما اختار مسلك الانفتاح على كل الاتجاهات والتوجهات، ولم يرض لنفسه أن يكون أداة في الصراعات والخلافات، وأصبح له حضور لافت في الأوساط والمناسبات الثقافية والأدبية في دمشق، من خلال انتسابه للحوزة العلمية الزينبية.

وأضاف: كان ينتمي للحالة الدينية كحالة فطرية، لذا لم يمل إلى طرف على حساب علمه وتدينه وثقافته.

وتمنى الشيخ الصفار أن تتعزز هذه العينات في المجتمع، فالدين لا يعني الانغلاق، ولا مقاطعة الآخر المختلف معه.

كما جرت مداخلات لكل من الأستاذ منصور سلاط، والأستاذ خالد النزر، والمهندس نبيه البراهيم، والشاعر سعود الفرج، والشاعر محمد رضي الشماسي، وقد ختم الشيخ الراضي الأمسية بتلاوة بعض قصائده الشعرية. قدم الندوة الشاعر الأستاذ فريد النمر، وافتتحها بتلاوة القرآن الكريم المقرئ جعفر البوري.



٧

مكتب الشيخ الصفار يكرم المهندس السعيد

كرّم مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار المهندس إبراهيم السعيد لتفوقه الدارسي، وحصوله مؤخرًا على درجة الماجستير في تخصص إدارة الهندسة والتشييد، من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

وأشاد الشيخ الصفار بالضيف المكرّم، وقال: بأنه نموذج للشباب الطموح. فبالرغم مما يتطلب منه عمله من كثرة سفر، إضافة إلى ارتباطاته العائلية، إلا أنه ثابر وحقق هذا الإنجاز العملي والعلمي.

وأضاف بأننا نتمنى من شبابنا وأبناء مجتمعنا الاهتمام بالعلم، والسعي للتفوق، وتحصيل أعلى درجات العلم، والولوج في تخصصات جديدة تعود بالنفع عليهم وعلى المجتمع.

جاء ذلك في ختام اللقاء الأسبوعي بمكتب سماحة الشيخ الصفار مساء الخميس ٢٠/ ٥/ ١٤٣٣هـ الموافق ١٢/ ٤/ ٢٠١٢م.

فيما أعرب السعيد عن شكره وامتنانه لهذا اللفتة الكريمة من سماحة الشيخ الصفار. وقال: بأن هذا يدلّ على الحسّ الأبوي لهذا الشخص الذي أحبّ الجميع وفتح بابه للجميع.

وأضاف بأنني أتمنى أن أكون عند حسن ظن سماحته، وأن أقدم المزيد لهذا المجتمع الغالي.

السيرة الذاتية للضيف المكرّم:

- الاسم: إبراهيم علي إبراهيم آل سعيد
- ولد عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م في العوامية.
- التحق كلاعب لرياضة الجمباز بنادي السلام بالعوامية وحقق إنجازاتٍ في سنيه الأولى. وقد حقق فوزًا بالمراكز الأولى لعدة سنوات على مستوى المملكة.
- حصل على شهادة البكالوريوس من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن عام ٢٠٠٠م تخصص هندسة ميكانيكية تطبيقية بمرتبة الشرف الثانية، والمركز الثالث على الدفعة.
- في عام ٢٠٠٥ انتقل للعمل مع مجموعة التميمي ليؤسس ويدير فيها قسم المشاريع والخدمات الصناعية، وتدرج فيها أيضًا إلى منصب مدير عام.
- في عام ٢٠١٠ عُين مديرًا تنفيذيًا من قبل رئيس المجموعة ومالكها ليؤسس شركة أعالي البحار للخدمات البحرية والصناعية.
- ثابر في تحقيق إنجازات متميزة في عمله، وتفرض عليه طبيعة عمله السفر إلى عدة دول، وبرغم ذلك أصرَّ على مواصلة مشواره العلمي فالتحق بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن وحصل هذا العام على شهادة الماجستير بتخصص إدارة الهندسة والتشييد.



٧

الشيخ الصفار: يجب أن نكافح ثقافة الخمول



قال الشيخ حسن الصفار: إن ثقافة الراحة والخمول، هي الحالة السائدة لدى شريحة من الشباب، خصوصًا في دول الخليج، وأن الحالة الاجتماعية والإعلام عملا على نشر هذه الثقافة السيئة.

وأضاف: سادت فكرة في أوساط الناس، أن الإنسان ينبغي أن يسعى إلى الراحة، وتقليل الجهد، والاستمتاع باللهو والترف، والعلم والتجربة أثبتت خطأ هذه الثقافة.

وأبان: إن الواقع الحياتي أثبت أن الراحة والترهل يسببان الأمراض الجسدية، كالسكري، والكولسترول، والسمنة، وأمراض القلب، والمشاكل النفسية كالاكتئاب، والعقد المختلفة، إضافة إلى الأضرار الاجتماعية الناشئة من الفراغ ومحدودية الدخل.

وأكد سماحته: إن الإنسان السّوي هو الذي يبذل جهدًا، ويتعب نفسه في أداء دوره العملي، وإلا فإنه سيحتاج إلى برامج أخرى من أجل المحافظة على صحة جسده.

وقال الشيخ الصفار في الندوة الأسبوعية التي يقيمها في مجلسه تحت عنوان «إدارة المعيشة والاقتصاد» مساء الخميس (٢١/ ٥/ ١٤٣٣هـ الموافق ١٣/ ٤/ ٢٠١٢م): إن

الإنســان الـذي يقوم بـدوره، ويؤدي مهامه بنشــاط، يشـعر بقيمته، فيرضى عن نفســه، وترتفع معنوياته.

وشـدّد علـى أن الدعـة والراحة تسـببان الفراغ الذي يوحـي للإنسـان ألّا قيمة له، فيسبب التآكل الداخلي المؤدي إلى العقد النفسية.

وحثّ الشـباب على الاسـتفادة من مرحلة القوة والعطاء، فإن مرحلة الشـباب من أفضل المراحل لبذل الطاقة، والمشاركة في إعمار الأرض، وإصلاح المعيشة، وتنمية المجتمع.

وقـال سـماحته: إن السـعي للمعيشـة، ولاكتسـاب القـوت للإنسـان ولعياله، من العبادات التي حث عليها الإسلام.

وأضـاف: إن الله يحب أن يرى عبده يتعب في طلب الحلال، كما تؤكد النصوص الدينية، وعلى الإنسان أن يستحضر هذه الفكرة ليكون دافعًا له للبذل والعطاء.

واسـتنكر انتشـار ثقافـة دينية قشـرية تقتصر علـى الدعوة للعبـادات المحضة، ولا تحـث علـى العمل والكـدح، فالثقافـة الصحيحة هي التـي تحث علـى العمل وتدعم النشاط والحيوية.



٧

الشيخ الصفار: السيد محمد رضا الشيرازي نموذج للالتزام القيمي وحمل هموم الأمة

قال الشيخ حسن الصفار إن شخصية الراحل المقدس السيد محمد رضا الشيرازي تمثل المكانة العلمية والقيمية الأخلاقية بأجمل صورها، مؤكدًا أنه لم يصحب رجلًا بهذا السمو الأخلاقي، من نكران للذات، وتعظيم الآخرين، والتواضع لهم، كما أنه لم يكن يسمح لنفسه في أن يدخل في خلاف مع أحد، أو حتى يلمّح بالإساءة لأحد.

كلام الشيخ الصفار جاء خلال الحفل التأبيني الذي أقيم يوم الخميس ٥ جمادى الآخر ١٤٣٣هـ في حسينية أهل البيت عليهم السلام بمنطقة «أم الحمام» لمناسبة الذكرى السنوية الرابعة لرحيل آية الله السيد محمد رضا الشيرازي قدس سره تحت عنوان «المقدس الشيرازي عطاء غير مجذوذ» وحضره حشد من المهتمين.

وافتتح الشيخ الصفار كلامه بحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن الحواريين سألوا نبي عيسى عليه السلام: «يا روح الله، من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله»*. مضيفًا أن من توفيق الله سبحانه وتعالى ونعمه عليَّ أنني عاشرت هذا الراحل الكبير السيد محمد رضا الشيرازي، الذي تعرفت عليه عندما ذهبت للدارسة في الكويت، وكان السيد الراحل في عقده الثاني من العمر، إلا أنه ورغم حداثة سنه فقد كان يتحلى بصفات الكبار والعلماء.

---

* بحار الأنوار. ج ١، ص ٢٠٣.

وقال الشيخ الصفار إنه في عام ١٤١٥هـ وبعد العودة للوطن وقد استقر سماحته في الكويت، طلبت منه أن يخصص لي ساعة من وقته كل يوم لمراجعة بعض الأبحاث في علم الأصول، إلى جانب حضوري لبحثه الخارج في الفقه، وقد كنت أذهب إلى الكويت عصر كل يوم جمعة وأعود إلى القطيف يوم الأربعاء، فكانت تلك الساعات التي أقضيها معه، وأتزود فيها من علمه، من أفضل فرص استفادتي العلمية، مضيفًا ما جعل السيد رحمه الله يجمع بين المجال العلمي والمعرفي ومجال بناء المؤسسات، أنه كان دائم الاجتهاد والجدّ والتواضع للجميع، بالإضافة إلى تنظيم وقته واستثماره، والاستفادة منه في أي لقاء أو جلسة أو محاضرة.

وتطرق الشيخ الصفار للصفات الكثيرة التي اكتسبها السيد محمد رضا الشيرازي من مدرسة والده المرجع الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي «قدس سره» فهو خلاصة تلك المدرسة التي كانت تحمل هم النهضة والتغيير في الأمة، (ويضيف الشيخ الصفار) هذا ما نراه في كتب المرجع الشيرازي، وهو ما جذبنا إليه، وهو الهم الكبير الذي كان يحمله ويدعوا إليه. مؤكدًا أن أي مصلح لديه مشروع أو نهضة، فإنه يتعرض لمواجهة إما خارجية أو داخلية، بهدف إجهاض المشروع الذي يحمله.

وبين الشيخ الصفار: أن السيد محمد رضا الشيرازي تميز بأمور جعلته يبتعد عن الخلافات والصراعات التي كانت تدور في ذلك الوقت، منها: الارتباط بالله سبحانه وتعالى، والقرب من الله، والتقوى والورع، بالإضافة إلى الهمّ الكبير الذي كان يحمله، ما يجعله يتجاهل المهاترات والأمور الصغيرة، وأيضًا التمثل الدائم بسيرة العلماء والعظماء. والاختبار الحقيقي للمتدينين هو في طريقة مواجهتهم للخلافات التي تحصل.

وختم الشيخ الصفار حديثه ببعض الأمور التي كان يركّز عليها السيد الشيرازي وهي: العلم والمعرفة، والعمل وخدمة الناس، والتشجيع الدائم على الزواج المبكر؛ لأنه يعتبره سبيلًا للعفة.



الأحساء: الشيخ الصفار يدعوا لإشاعة روح المحبة بين الناس*

صادق العلي

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أن من أهم الأمور المتعلقة بنجاح العلاقات الإنسانية إشاعة روح المحبة والتواصل بين الناس، فإن الإنسان في هذه الدنيا «معرض للمشاكل والأكدار، ولديه الكثير من الهموم والغموم التي يواجهها في حياته اليومية».

جاء ذلك في كلمة ألقاها سماحته أمام حشد من المؤمنين في جامع الإمام الحسين ببلدة الرميلة بالأحساء الخميس ١١/ ٦/ ١٤٣٣هـ الموافق ٣ مايو ٢٠١٢م. بعد أن أمّ المصلين لصلاة الظهرين افتتحها بالحديث المروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ما من عمل يعمله المسلم أحب إلى الله عز وجل من إدخاله السرور على أخيه المسلم».

ولفت في حديثه إلى أنّ الإنسان إذا كان يعاني في نفسه من عقد واضطرابات في حياته، فإن ذلك بطبيعة الحال سوف يؤثر على صحته الجسمية، وعلى عطائه العقلي والفكري، فيصبح أسيرًا للأوهام والعقد النفسية المختلفة.

وأضاف سماحته بأن الإنسان الذي «يعيش في بيئة تتفاعل معه بشكل إيجابي، وتتضامن مع قضاياه ومشاكله المختلفة، تكون حالته النفسية أكثر استقرارًا، وبالتالي ينعكس ذلك على أدائه لعمله وتواصله مع الآخرين».

---

* نشر على www.saffar.org، بتاريخ ٥/ ٥/ ٢٠١٢م.

وشـدد علـى أهمية إدخال السـرور علـى الآخريـن، ومواسـاتهم بمختلف الطرق والوسائل، خصوصًا الأقرباء والمحيط الاجتماعي العام، وكيف أنّ ذلك يقوي الترابط الاجتماعي بين الناس، ويسـاعد على تخطي كثير من المشـاكل التي يواجهها الإنسان على مختلف الصّعد والمستويات.

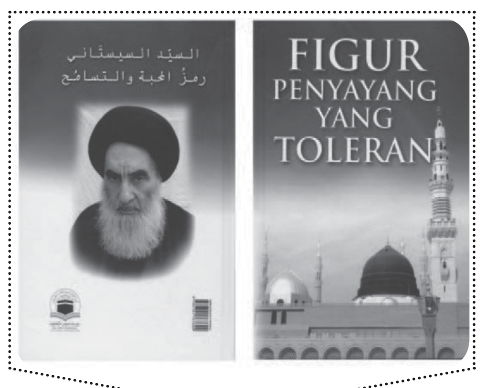
وتابع: إنّ الإنسـان المتصل بالله يستطيع أن يعالج قضاياه المختلفة بشكل أفضل، لثقتـه باللـه عز وجـل أولًا، ولوجود حالة من الوعـي والاطمئنان في نفسـه ثانيًا، ومن يمتلك هذا الجانب من الوعي فإنه حتمًا سينجح في علاقاته مع الآخرين.

وبيّـن بـأن طوفـان الحيـاة الماديـة، وانشـغال النـاس باهتماماتهم الشـخصية في المجتمعـات الغربيـة، ونتيجة لتسـلل جزء من هـذه الثقافة إلى مجتمعاتنا الإسـلامية، شـكل ذلك جانبًا من الفتور في عملية التواصل الاجتماعي والعائلي بين الناس، حتى أصبحت العلاقات الإنسانية يشوبها الكثير من اللامبالاة.

ليؤكد سـماحته أنّ الإنسان عقل وروح، وكتلة من المشاعر، وهو بحاجة دائمًا إلى من يعينه ويساعده في أموره وقضاياه. لذلك فإن كل شخص هو جزء من مجتمعه وهو مسـؤول عن التفكير في رفع معنويات من حوله، بالتوجيه والكلمة الطيبة والابتسـامة الصادقة.

٧

ترجمة مقال للشيخ الصفار عن السيد السيستاني إلى اللغة الإندونيسية



ضم كتاب (السيد السيستاني رمز المحبة والتسامح / **figur penyayang yang toleran**) الصادر حديثًا باللغة الإندونيسية مقالًا لسماحة الشيخ حسن الصفار بعنوان (مرجعية السيستاني ونهج الاستيعاب / **marjaiyah imam sistani metode asimilasi**).

يقع الكتاب في ٣١٠ صفحة وهو من إصدار مؤسسة المؤمل الثقافية لعام ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١٠م، وقام بترجمته إلى اللغة الإندونيسية كل من فيصل دجيندان وعلي جانيه.

يقول الشيخ الصفار في المقال: إن التنوع السياسي والثقافي والفئوي والمؤسساتي في الطائفة الشيعية، كانت في حاجة ماسة إلى وجود مرجعية تحتضن كل هذه الأطياف، وتساعدها على تجاوز حالات التباين والصدام، وتوجهها للتعاون في مواجهة الاستحقاقات المصيرية.

وجاءت مرجعية السيد السيستاني لتلبي هذه الحاجة الملحة، فهي منفتحة على جميع التوجهات على اختلافاتها وتبايناتها.

ويضيف: لا ترفض مرجعية السيد السيستاني استقبال أي شخص أو جهة، مهما اختلفت الآراء والتوجهات، ومعروف أن جميع القيادات السياسية والدينية والاجتماعية في الساحة العراقية قد زارت سماحته، ورأت منه الاستقبال الحسن، وكذلك فإن ممثليات سماحته في الخارج تتواصل مع كل الأطياف والجهات، لا تطرد أحدًا، ولا ترفض جهة، بغض النظر عن اختلاف الآراء والانتماءات والتوجهات.

ويؤكد الشيخ الصفار: أن مرجعية السيد السيستاني لا تتخذ مواقف حادّة تجاه الآخرين، عند اختلاف الرأي والموقف، بل تعتمد الحوار، وتراهن على الإصلاح، والتقليل من آثار ما تراه خطأً، والحدّ من مضاعفاته وتطويقه.

إنها لا تستخدم أسلوب إصدار الفتاوى والبيانات والتعبئة والتحريض ضد الجهة المخالفة، وتتحمل الكثير من الضغوط على هذا الصعيد.



٧

الاحساء: الشيخ الصفار متفائل بمستقبل الأمة*

صادق العلي

استضافت عائلة السادة بمدينة العمران الجنوبية في محافظة الأحساء يوم الخميس ١١/ ٠٦/ ١٤٣٣هـ سماحة الشيخ حسن الصفار في حسينية الزهراء، بحضور مجموعة من مثقفين ووجهاء ورجال دين من محافظتي الأحساء والقطيف، ومن الخبر والدمام.

وقد ألقى الشيخ الصفار كلمة بهذه المناسبة، شدّد فيها على أهمية التواصل والتلاقي بين النخب ومثقفي المنطقة، وما يترتب على هذه اللقاءات من إيجابيات كثيرة.

كما أبدى سماحته تفاؤله بمستقبل المجتمعات والأوطان، واعتبر ذلك من الأمور التي وعد الله بها المؤمنين.

وأوضح الشيخ الصفار: إن التفاؤل بمستقبل مشرق «ليس لجانب نظري فكري يؤمن به الإنسان فقط، بل لأننا نعتقد أنّ البشرية تسير في طريق تكاملي، وأنّ كل المجتمعات والشعوب البشرية ستتجاوز ما تعانيه من صعوبات ومشاكل على مستوى العلاقات فيما بينها».

مضيفًا بأن المجتمعات الماضية عانت من الإقطاع والاستعمار والرق في كثير

* نشر على www.saffar.org، بتاريخ ٦/ ٥/ ٢٠١٢م.

من أوقاتها، لكنها تجاوزت تلك العهود المظلمة، وأصبحت اليوم ذكرى من ذكريات التاريخ.

وعمّا تعيشه بعض المجتمعات اليوم من حالة استبدادٍ وتمييزٍ عنصري. قال الشيخ الصفار: إن الشعوب بنضالها وبتطور وعيها وثقافتها ستتمكن من تجاوز هذه الأوضاع السيئة.

مؤكدًا ضرورة الالتزام بأخلاق الإسلام، والتعاون في خدمة المصالح المشتركة، وداعيًا في الوقت نفسه إلى العمل على تقوية المجتمع اقتصاديًا وعلميًا، والانفتاح على المحيط الاجتماعي العام، والاستفادة من كل الإمكانات والتوجهات التي تخدم مصالح المجتمع.

كما ألقى السيد ناصر الناصر كلمة عائلة السادة رحب فيها بسماحة الشيخ الصفار، وشكر تلبيته الدعوة وبالضيوف جميعًا.

وممن حضر اللقاء: أصحاب السماحة السيد هاشم الشخص، والسيد محمد باقر الناصر، الشيخ حسن بوخمسين والشيخ حسين بوخمسين، والشيخ أحمد الشايب، والشاعر جاسم الصحيح، والمحامي السيد محمد الشخص، والوجيه عبدالجبار الحمود، ورجل الأعمال عبدالله السيهاتي، ورجل الأعمال علي الجنوبي، والدكتور عبدالله الحليمي.



٧

الصفار: نعيش عصر الحريات الفردية والعامة*

جريدة الحياة

يشدد الشيخ حسن الصفار، على ضرورة «إعطاء المرأة حقها في التفكير واتخاذ القرار». ويقول: «نعيش اليوم عصر انطلاق الحريات الفردية والعامة، وباتت مسألة حق اتخاذ القرارات الشخصية جزءًا لا يتجزأ من شخصية الفرد. ولا فرق بين ذكر أو أنثى، فقد بات الشاب والفتاة يريان في نفسيهما القدرة التامة على اتخاذ القرارات المُتعلقة في حياتيهما. لذلك تجد الواحد منهما يرفض التهميش، سواءً على المستوى الفردي، أو الجمعي».

ويرى الصفار، أن أحد أهم الحقوق الفردية التي ينبغي احترامها على صعيد الفتيات، هو «الحق في اختيار شريك الحياة أو الانفصال عنه»، معتبرًا اتخاذ قرار الموافقة على الزواج «قرارًا مصيريًا للفتاة. فحينما تبلغ البنت مبالغ النساء ستميل من الناحية الجسمية والنفسية والاجتماعية، إلى تغليب مصلحتها في الزواج، سيما لجهة الخصوصية المحافظة لمجتمعاتنا».

ويعتبر أخطر ما يمكن أن يحطم حياة البنت هو «اتخاذ العائلة قرار تزويجها بالإنابة عنها، وبمنأى عن رأيها»، مضيفًا أنه «حين تشعر الفتاة أنها مُهمشة، وأن الرأي المُطلق هو للأب أو الأخ، وأحيانًا للخال أو العم، والأكثر من ذلك؛ أن يوافق الجميع، ولكن

---

* جريدة الحياة الصادرة بتاريخ الثلاثاء، ٠٨ مايو ٢٠١٢م.

ربمـا تتعثـر الأمور عند بـروز تحفظ ما على العريـس الجديد، طرأ لـدى أحد أقاربها، فـإن هذه الفتاة التي ترى نفسـها مُهمشـة في اتخـاذ القرار المُرتبط فيها وفي مسـتقبلها وحياتها، سـتتحطم نفسـيًا، وتصبح نهبًا للعقد النفسـية، وينتابهـا الغضب من المحيط الذي تعيش فيه».

ويحذّر الصفار من خطورة أن تُنسب هذه الحالة إلى الدين، «فالأمر يمكن أن يقود إلـى غضب الفتيـات على المجتمـع برمته، وربما على الدين نفسـه»، لافتًـا إلى طرق ووسـائل لضمـان حقوق الفتاة، فـي مقابل احتمال جور الزوج، ومنها أن «تشـترط في عقـد الـزواج بـأن تكون وكيلة عن زوجها في تطليق نفسـها، متى شـاءت، إذا ما أسـاء معاملتها، فتتمكن حينها من أن تعمل بهذا الحق».



الشيخ الصفار يتساءل: العمل حسب الحاجة أو القدرة؟

تساءل سماحة الشيخ حسن الصفار في محاضرته الأسبوعية (الخميس ١٩/ ٦/ ١٤٣٣هـ) عن العمل هل هو بمقدار حاجة الإنسان أو قدر طاقته؟ وماذا لو توفرت للإنسان حاجاته المعيشية دون أن يعمل هل سيندفع للعمل أم لا؟

وقال سماحته: إن بعض الناس عندما يتوفر له دخل لا يكلفه مشقة العناء، كأن يحصل على إرث، أو يكون له راتب تقاعد، يوفر له حاجاته دون عناء العمل، فإنه لا يجد دافعًا للعمل.

وأضاف: وهناك صنف من الناس حتى لو توفر له ما يغنيه، فإنه لا يترك العمل، لوجود روحية وثقافة تدفعه للعمل والنشاط.

وأشار الشيخ الصفار إلى أن بعض المجتمعات التي تسودها ثقافة الكسل والترهل، يبحث الفرد فيها عن أيّ طريقة ليهرب من العمل، لهذا وجدت حالة عند بعض الشركات والجهات الحكومية تكرس هذه الحالة كبطالة مقنعة، كما في بعض تطبيقات برنامج حافز وما شابه.

وأكد سماحته: إن المؤمنين بالله سبحانه، والراغبين في التقدم والنجاح، يجب أن تكون نظرتهم للعمل على أساس أنه عبادة كالصلاة والصوم، وفي الوقت ذاته هم لا يرضون لأنفسهم أن تجمد طاقاتهم، حتى لو كانوا مستغنين عن العمل.

وقـال: كمـا أن العمل جزء من هدف وجود الإنسـان فـي الأرض، حيث إنه مدعو لإعمار الأرض، وهو شـريك في التنمية، فإن العمل أيضًا يصقل شـخصيته، ويشـعره بالحيوية.

وتساءل سماحته: كيف يرضى الإنسان لنفسه أن يعيش الخمول والكسل؟ والعمل بالإضافة إلى أنه يغنيه عن الحاجة، هو مفيد لجسمه ونفسه وعقله.

وأضـاف: النصوص جاءت صريحة في التشـجيع على العمـل للعمل، فإن العمل مطلوب لذاته، ونحن بحاجة له لتفجير طاقاتنا الكامنة وعدم تركها مهملة.

يشار إلى أن عدد الذين سجلوا أسماءهم في برنامج حافز وصل إلى أكثر من مليون ومائـة وسـتين ألف مواطـن، بإجمالي صرف يقدر بـ ٣٦ مليار ريـال في العام الواحد، كما أن وزارة العمل أشـارت إلى وجود احتيال على السـعودة، أو ما يسـمى بالسعودة الوهمية، وإقبال الشـباب على التسـجيل في الشـركات مقابل مبالغ رمزية دون العمل الفعلي فيها.



الشيخ الصفار: المؤمن كتلة من النشاط

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن الدين لا يريد أتباعه أن يكونوا من الكسالى، وثقافته تبثّ حالة النشاط والفاعلية والحيوية بين بني البشر، والنصوص الدينية تحث على النشاط في الأمور الدنيوية كما العبادية.

وأشار إلى أن بعض الناس يندفعون للعمل بهمة ونشاط وحرص، وهذا ما يطلبه الدين من أتباعه، وتحث عليه النصوص الدينية، دون تفريق بين عمل عبادي وعمل دنيوي.

وأضاف سماحته: إن بعض الناس يمارسون العمل دون اندفاع ورغبة، ويتعاطون معه بتثاقل، ويبحثون عن أي فرصة للهروب منه.

وأكد: أن هناك تلازمًا بين النشاط في العبادات والنشاط في الأعمال الدنيوية؛ لذا استنكر القرآن الكريم على المنافقين كسلهم حين القيام للصلاة وتعاطيهم معها ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ بينما المؤمن يشتاق إلى الصلاة ويبادر إلى أدائها.

جاء ذلك خلال الكلمة الأسبوعية التي ألقاها الشيخ الصفار ليلة الجمعة (٢٥/ ٦/ ١٤٣٣هـ).

وعن التلازم بين النشاط في العبادة وفي الأعمال الدنيوية، قال الشيخ الصفار إن الدين الذي أمرك ببعض الأعمال العبادية يأمرك أن تهتم بأمور حياتك، والإنسان المؤمن الذي يهتم بدينه، ينبغي أن يعمل لشؤون حياته، فالتزام السعي للصلاة يوجب

السعي للعمل.

وأضـاف: إن روحية الإنسـان في تعامله مـع الأمور لا تتجزأ فما يتعـوده المرء في أمور ينسـحب إلى أمور أخرى، فالذي يتكاسـل في السعي لكسـب الرزق، يكسل في العبـادات أيضًـا، فالإمام الباقر ﵇ يقول: «مَنْ كَسِـلَ عَنْ أَمْـرِ دُنْيَاهُ فَهُوَ عَـنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ أَكْسَلُ».

وطالب سـماحته بشـنّ حـرب على الكسـل، واسـتحضار النصـوص الدينية التي تبغضـه، كقول الإمـام الباقر ﵇: «إِنِّي لَأُبْغِضُ الرَّجُلَ أَنْ يَكُونَ كَسْـلَانًا عَنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ»، وبالاطّلاع على سير الناجحين، فإن الكسل عدو النجاح.

وأوضح أن من أعراض الكسل تأخير العمل وتأجيله، وعلاجه الإقبال على العمل وإدمانه.

٧

الشيخ الصفار: الزهراء.. نجاح في الدور العائلي والاجتماعي

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار المرأة لاتخاذ الصديقة الزهراء (قدوة لها، لتلحق بركب الناجحات، فالزهراء (هي النموذج الأعلى والقدوة لكل نساء البشرية، إذ قامت (بمختلف وظائفها، واستطاعت أن توفق بين حياتها العائلية، ودورها الرسالي الاجتماعي.

وعن مقاييس النجاح قال: إن المرأة الناجحة هي التي تكون ابنة بارة بأبويها، وزوجة مخلصة لبعلها، وأمًا تحسن التربية لأبنائها، وفي ذات الوقت تقوم بدورها الرسالي على الصعيد الثقافي والجهادي، بدعم حركة العمل في سبيل الله، وعلى الصعيد السياسي، بوقوفها إلى جانب حقوق الأمة، والدفاع عن الكرامة والعدل.

وأشار: إلى أن الكثير من النساء يطمحن للقيام بدور اجتماعي، وأن يتصدين لخدمة دينهن ومجتمعهن، لكنهن يعانين من مشكلة التعارض والتزاحم بين أداء الدور الاجتماعي الرسالي، وبين أداء وظائفهن العائلية.

وأكد أنه لا يشك في أن أداء الوظيفة العائلية أمر مهم لا يمكن التساهل فيه، والحديث عن دور آخر للمرأة لا يعني الاستهانة بوظيفتها العائلية، والمطلوب هو السعي للجمع بين الوظيفتين.

وعن الزهراء (ودورها العائلي قال سماحته: كانت (في الجانب العائلي بمنزلة

الأم لأبيها، فقد اهتمت به ﷺ ورعته وخدمته، بل وأغدقت عليه المحبة والعطف والحنان، وخاصة في المنعطفات الصعبة، والظروف العصيبة.

وأضاف: كانت الزهراء ؈ حسنة التبعل لزوجها أمير المؤمنين ؈، تعمل على إرضائه، وقد ورد أنها ؈ قالت له: «يا بن عمّ، ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني؟»، فقال الإمام علي ؈: «معاذ الله أنتِ أعلم بالله، وأبرّ وأتقى وأكرم، وأشدّ خوفًا من الله من أن أُوبّخكِ بمخالفتي».

وعن حسن تربية الأبناء قال سماحته: إن الزهراء ؈ مدرسة التربية، والتاريخ يتغنى بأمجاد من ربتهم الصديقة الزهراء ؈، كالحسنين وزينب وأم كلثوم.

وأكد الشيخ الصفار: أن نجاح الزهراء ؈ في وظيفتها الأسرية لم يكن مانعًا لها من أن تؤدي دورها الرسالي الاجتماعي، فقد عملت على بث الوعي والثقافة في أوساط المجتمع، ودعمت مسيرة الجهاد والنضال من أجل رفع كلمة الله، ممثلًا لدورها ؈ في معركة أحد، وتشجيعها الدائم لزوجها عند خروجه للغزوات.

وأضاف: وكان للزهراء ؈ دور سياسي، فقد وقفت تدافع عن حق أمير المؤمنين، واستحقاقه لقيادة الأمة بعد رسول الله ﷺ، ودافعت عن حقها في فدك، ولم تجلس في بيتها مكتفية بالبكاء وندب الحظ، وإنما خرجت مطالبة بحقها وأعلنت ظلامتها أمام الرأي العام آنذاك.

وختم الشيخ الصفار دعوته إلى أن يكون الاحتفاء بمثل هذه المناسبات دافعًا لمعرفة حقيقة هذه السير العطرة، والعمل على أن تكون مشاعل تضيء لنا دروب الحياة.

جاء ذلك خلال كلمة مسجلة بثت في الاحتفال المقام بمناسبة ذكرى ميلاد الصديقة الزهراء ؈ في الحسينية العباسية بقرية البطالية بالأحساء عصر الخميس ١٨/ ٦/ ١٤٣٣هـ الموافق ١٠/ ٥/ ٢٠١٢م.



الشيخ الصفار: رعاية المواهب مسؤولية حضارية

قال الشيخ حسن الصفار: إن الحكومات الاستبدادية تقتل الكفاءات بقوانينها التعسفية، فالكفاءات تحتاج إلى هواء صحي لتنمو فيه، ولمؤسسات تحتضنها وتتيح لها النمو.

وأضاف: في بعض المجتمعات هناك أجواء إذلال ومهانة تصرف الإنسان عن التفكير في طاقاته وقدراته، كما أن مناهج التعليم المليئة بالحشو والمعتمدة على التلقين بدل الفهم، تضيّع على المجتمع كفاءاته، ولا تشجع أفراده على الإبداع.

وعن تفاوت فرص نمو الكفاءات بين المجتمعات قال سماحته: إن الإنسان هنا هو نفسه في المجتمعات المتقدمة، لكن هناك بيئة مشجعة تدفعه للاكتشاف، وتشجعه على إبراز كفاءته، وتقف مع الكفاءة الدولة ورجال الأعمال والعلماء والمثقفون، ويعرفون به في مختلف المناسبات.

وأبان: أن الكفاءة تحتاج إلى بيئة مشجعة، تبدأ بالعائلة التي تكتشف مواهب أبنائها فتحتضنها وتنميها، وإلى ثقافة تبعث الثقة في نفس الإنسان، وتشجعه على تفجير طاقاته وكفاءاته.

وأشار الشيخ الصفار إلى أن كل إنسان يمثل كتلة من الطاقات والمواهب والكفاءات، لكن أغلب هذه الطاقات كامنة تحتاج إلى اكتشاف.

وتسـاءل: ما الذي يميز العلماء والمكتشـفين والفنانين وعموم الناجحين؟ مجيبًا: أنهم فقط اكتشـفوا ما بداخلهم من طاقات فحركوها وفعّلوها فكانت هذه الاكتشافات والإبداعات.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سماحة الشيخ الصفار يوم الخميس ٢٦/ ٦/ ١٤٣٣هـ، بمناسـبة حفل التكريم الخاص بالداعمين والمشاركين والمشاركات في ختام (ملتقى الفنون الأول) المنبثق عن (ملتقى التطوير الاجتماعي بسيهات).







٧

الشيخ الصفار: نحن مطالبون بإصلاح دنيانا

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار أن يهتم الإنسان المسلم بإصلاح أمور دنياه، كما يهتم بشؤون آخرته، فإن الإسلام يؤكد ذلك، وهذا ما يريده الله للناس، نافيًا صحة أن يعيش المسلمون وضعًا سيئًا في حياتهم الدنيا من أجل الآخرة، مرجعًا ذلك إلى وجود خلل سيحاسبون عليه. وطالب أن يشعر الناس بأن الدين بالفعل يوفر لهم حياة أفضل، فالنصوص توضح أن إصلاح الدنيا مطلوب من الإنسان المؤمن، وتؤكد أن حياة المؤمنين ينبغي أن تكون هي الحياة الأكثر رغدًا، والأكثر رفاهية.

ونفى الشيخ الصفار في كلمته الأسبوعية ليلة الجمعة بتاريخ ١٠ رجب ١٤٣٣هـ أن يكون هناك خلل في الوعد الإلهي: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. مطالبًا بالتحقق من شروط الوعد، ومساءلة أنفسنا: هل ينطبق علينا أنهم ﴿آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ أم لا؟. وأضاف سماحته: إن وعدًا جازمًا صدر من قبل الله سبحانه وتعالى للمؤمنين، بأن الذين يلتزمون إيمانهم ويتقون الله سبحانه وتعالى في حياتهم، سيعيشون حياة رغيدة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾، وهذا الكلام ليس عن أفراد إنما عن مجتمعات وشعوب، فإن المجتمعات التي تسير في خط الإيمان بالله تعالى، والتزام التقوى، لا بدّ أن تعيش حياة مرفهة رغيدة. وعن معنى قوله تعالى: ﴿آمَنُوا﴾ قال: يمكننا أن نفهم أن كلمة ﴿آمَنُوا﴾ تشير إلى الجانب العقدي، فالحالة العقدية لهذا المجتمع أن الإيمان تمكن في قلوبهم ونفوسهم، مستدركًا: أن الحالة العقدية الداخلية لا تجدي إذا لم تنعكس

على سلوك الناس، لذلك قال تعالى: ﴿وَاتَّقَوْا﴾ والمقصود أن الحالة العقدية تنعكس على سلوكهم وحياتهم، موضحًا أن الحديث عن التقوى على المستوى الجمعي، يعني أن تكون سلوكًا للمجتمع كله. وأشار إلى أنه حينما يتحقق هذا الشرط ـ﴿آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ ـ يأتي الوعد الإلهي: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

وتساءل سماحته: ماذا يعني ﴿بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؟ وأجاب: هناك رأيان في تفسير هذا المقطع، إما أنها البركات التي تأتي بسبب الأمطار، والسماء إشارة إلى ذلك، ومن الأرض يعني الخيرات الموجودة في باطن الأرض، وإما أنها تشير إلى الحالة المعنوية والحالة المادية، فبركات من السماء يعني السمو المعنوي، أي إن المجتمع يعيش سموًا في المجال المعرفي الروحي، أما البركات التي من الأرض فهي إشارة إلى الرخاء والرفاه المادي، وعلى كلا التفسيرين فإن الآية تفيد بأن حياة المجتمع الإيماني حياة رغيدة مرفهة.

ونوّه: أن المراقب ليس بحاجة إلى إثبات تخلف المجتمعات المسلمة؛ لأن هذا الأمر وجداني يدركه الجميع، فالمجتمعات الأخرى تعيش رفاهية أكبر، ورغدًا في حياتها وعيشها، بينما المجتمعات المنتمية إلى الإسلام أقل ما يقال عنها أنها متخلفة.

ولتخلص المجتمعات المسلمة من التخلف الذي تعيشه اليوم، قال الشيخ الصفار: ينبغي أن يهتم المسلمون بإصلاح دنياهم، فالمجتمع الإيماني بوعي يكون مندفعًا نحو العلم والفاعلية، والمجتمع الذي يحمل شعارات الإيمان لكن فاعليته في المعرفة قليلة نشك في صحة وكمال إيمانه وتدينه، وإن ادّعى ذلك ورفع الشعارات.

وتابع: الإيمان يمنح الإنسان الطمأنينة وراحة النفس والضمير، فيكون استمتاعه بالدنيا أفضل، لا نستطيع أن نغفل أن المجتمعات المادية وان كانت تعيش رفاهًا ورغدًا في العيش، لكنها تفتقد طمأنينة النفس في كثير من الحالات؛ لأنهم يعيشون فراغًا روحيًا.

وقال سماحته: إن الإيمان يهذّب السلوك فيكون المجتمع أكثر أمنًا، وأكثر انسجامًا.



٧

الشيخ الصفار: النشاط في العمل يغرس في النفس العزة والإباء

قال الشيخ حسن الصفار: إن الإنسان السوي يحب العمل، ولا يرضى لنفسه أن يكون مستهلكًا، يعتمد على غيره في حاجاته، ووظيفته الإلهية هي إعمار الأرض.

وأضاف في الكلمة الأسبوعية التي ألقاها ليلة الجمعة ١٧ رجب ١٤٣٣هـ في مكتبه: إن الإسلام من خلال نصوصه المليئة بمفردات الحث على العمل والفاعلية، يربي الإنسان على أن يكون عنصرًا فاعلًا في الحياة، ويمارس دور العطاء المستمر.

وتعجب الشيخ الصفار من الذين يعيشون على الأخذ فقط، ويعطلون كفاءاتهم، ويرضون أن تلغى طاقاتهم وتجمّد، وبإمكانهم أن يكونوا عناصر إنتاج وبناء، يخدمون أنفسهم ومستقبلهم، ويشاركون في بناء المجتمع واستقلاليته.

وأوضح: إن بعض الناس يعيشون الحاجة بسبب كسلهم، فيضيّعون أنفسهم وأسرهم، وكأنهم لا يسمعون قول رسول الله ﷺ: ملعون.. ملعون من ضيّع من يعول.

وقال سماحته: على الإنسان أن يعمل بنشاط وحيوية وإن كان مستغنيًا، ولا يحتاج للكسب، بل حتى الشاب؛ لماذا يعتمد على والده في مصروفاته وهو يستطيع العمل؟، كيف يرضى لنفسه أن يكون طاقة خاملة مجمدة؟ وكيف يرضى أن يكون معتمدًا على غيره وهو يستطيع أن يحقق استقلاليته؟.

وأضاف: تسود مجتمعاتنا ثقافات خطيرة، تبرر للموظف، أو رجل الدين، أو أي

إنســان الأخذ من المال العام، في مقابل ثقافة الإســلام الحقيقية التي تحث على الكدّ والتعفف عن أخذ مال الغير دون حق.

واسـتحضر سماحته: سيرة شـخصيات عظيمة، عملت بيدها، كنبي الله داوود عليه السلام الذي عمل في الحدادة، والإمام علي عليه السلام الذي استغنى بمزارع أحياها في ينبع، والعلماء الذين لم يعتمدوا على الحقوق الشرعية في إدارة حياتهم.

وعـن فوائـد العمل قـال سـماحته: إن العمل يقرب الإنسـان من ربـه، ويربيه على النشاط والفاعلية، ويعزّز في نفسه العزة والإباء.

وحـذّر الشـيخ الصفار من الخطأ الذي يقع فيه البعـض بالاتكال على الغير، فذلك فخ شـيطاني يجب الحذر منه، وقد سـأل الإمام الصادق عليه السلام عن رجل فقيل له: أصابته الحاجة، فقال: فما يصنع اليوم؟ قيل: في البيت يعبد ربه، قال: فمن أين قوته؟ قيل: من عند بعض إخوانه، فقال عليه السلام والله للذي يقوته أشدّ عبادة منه.



٧

الشيخ الصفار: الدعاء ليس بديلًا عن السعي والعمل

قال الشيخ حسن الصفار: إن على الإنسان ألّا يستسلم للمشاكل، بل يسعى لحلها، وأن يسعى لتفجير طاقاته وكفاءاته، معتمدًا على ما أعطاه الله من قدرات، ومستعينًا بالدعاء في بلوغ آماله.

وأضاف الشيخ الصفار في مجلسه الأسبوعي ليلة الجمعة ٢٤ رجب١٤٣٣هـ: الأجمل أن يجمع الإنسان بين الدعاء والعمل، فللدعاء مكانته الواضحة في الفكر والثقافة الإسلامية، والإنسان مطلوب منه الدعاء، وموعود بالإجابة، لكن «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر» كما في الحديث.

وأوضح: أن المسلم يدعوا الله ليس لشؤون آخرته فقط، وإنما يدعوه أيضًا لشؤون وقضايا دنياه، وهذا ما تدل عليه كثير من النصوص الدينية، التي نحن بحاجة إلى استحضارها والتأكيد عليها، وكما أننا نجمع بين الدعاء والعمل الصالح للنجاة في الآخرة، كذلك لا بدّ أن يقترن دعاؤنا للدنيا بالجد في العمل.

وعن دور الدعاء في الحياة، وفي قضاء الشؤون الدنيوية، قال الشيخ الصفار: إن المسلم يعتقد أن الله مهيمن على الكون، وبيده كل شيء، والدعاء استحضار وتعزيز لهذه العقيدة.

وأضاف: بالدعاء تنفتح أبواب الأمل، وترتفع معنويات العامل، ويتجاوز الإحباط

الذي قد يصاب به، بسبب المشاكل التي تواجهه.

وأبان سماحته: أن الدعاء يلهم الإنسان الحيوية والنشاط، فالدعاء في حقيقته باعث من أجل العمل والتحرك، والذي يدعو لحل مشاكله دون تحرك لم يفهم فلسفة الدعاء.

وقال: إن الإنسان محتاج إلى البحث وبذل الجهد، ثم الابتهال إلى الله، فإن العلاج يحتاج إلى تحفيز داخلي، وبالدعاء يتم العمل بتوفيق الله وعونه.

وأكد سماحته: أن الإنسان العاقل لا يستسلم للخمول، ولا توقفه العوائق عن التقدم، بل يكافح من أجل حل مشاكله معتمدًا على قدراته، ومتسلحًا بالدعاء والابتهال إلى الله، فإن رسول الله ﷺ سمع إعرابيًا يتضرع إلى الله بأن يشفي بعيره المصاب بالجرب فقال له: (هلّا أضفت لدعائك شيئًا من القير) وكان علاجًا للجرب آنذاك، وهكذا على المؤمن أن يعمل ما بيد، ثم يدعو الله أن يسدد عمله وينجحه.

٧

الشيخ الصفار: الإصلاح الاجتماعي مسؤولية الجميع وليس فئة محددة

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أن أحد أهم أسباب التخلف الذي تعانيه مجتمعاتنا ناتج عن سوء العلاقات في داخلها، وأن العلاقات غير السليمة داخل أي مجتمع تنعكس سلبًا على واقعه.

وقال الشيخ الصفار: المجتمعات الحريصة على رقيها وتطورها وتحقيق طموحاتها، يجب أن تبحث في تقوية شبكة العلاقات في داخلها. جاء ذلك خلال محاضرة بعنوان (مفاهيم قرآنية في إصلاح المجتمع) بتاريخ ٣ شعبان ١٤٣٣هـ ضمن البرنامج الصيفي الذي تقيمه الحوزة العلمية بالقطيف.

وأكد الصفار: أن واقع الجزيرة العربية قبل الإسلام كان متخلفًا، بسبب سوء العلاقات فيما بينهم، وقد تحدث القرآن الكريم وأشار إلى أن سوء العلاقات الاجتماعية سبب في تشتت المجتمع، كما تحدث القرآن الكريم عن دور الشيطان في تخريب العلاقات من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾. وأشار الشيخ الصفار إلى أن شبكة العلاقات حتى تكون سليمة داخل المجتمع بحاجة لعدة أمور منها: وجود قيم تحدد الحقوق والواجبات داخل المجتمع، بالإضافة إلى شيوع المحبة والألفة فيما بين أبناء المجتمع، وأهمية وجود اهتمام داخل المجتمع بتحسين العلاقات فيما بينهم.

وبين الشيخ الصفار: أن القرآن الكريم تحدث عن أهمية الإصلاح في المجتمع من خلال عدة آيات، حيث قال عز وجل: ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ﴾، وقوله

تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وشدد الشيخ الصفار على أنه لا يجوز في المجتمعات الإيمانية أن نجلس ونتفرج على الخلافات، فهذا ضد مبدأ القرآن وينافي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، مشيرًا إلى أن البعض يحب أن يرمي مسؤولية الإصلاح للشأن العام على جهة واحدة فقط، أما علماء أو وجهاء أو غيرهم، وهذا خطأ، فالإصلاح مهمة كل الناس، وواجبة على الجميع، وهذا ما يحمّله الدين لكل إنسان من مسؤولية في إصلاح مجتمعه من خلال قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ على أساس صفة موجودة وهي: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

وتابع القول «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو واجهة لمسألة الإصلاح في المجتمع». وأشار الشيخ الصفار إلى أن الله تعالى يطلب من المؤمنين أن يكون بينهم من يتصدون للإصلاح: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وبين الشيخ الصفار أن الحراك في المجتمعات خصوصًا فيما يسمى بالربيع العربي، لم يكن لفئة معينة، بل عامة الناس هم من سبقوا النخب. مشيرًا إلى أن القيادات الدينية تتحمل مسؤولية أساس في التصدي للإصلاح في المجتمع، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم: ﴿ لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾.

مؤكدًا أن الإصلاح في المجتمعات هو حالة تكاملية، فهناك من يهتم بالجانب الديني، وهناك من يهتم بالجانب السياسي، وآخر بالجانب الاجتماعي، وتابع الشيخ الصفار: لكن البعض لا يتحمل وجود رأي آخر ووجهة نظر أخرى في المجتمع.

وأشار الشيخ الصفار إلى أن الإصلاح الاجتماعي يحتاج إلى ثلاثة أمور، منها: «الرؤية»، وكيف نصلح مجتمعنا. وإلى جانب الرؤية، أشار سماحته إلى أهمية «وجود ثقافة تدفع الناس نحو الإصلاح»، بالإضافة إلى «أهمية وجود مؤسسات خصوصًا في هذا العصر». والاستفادة من التجارب الأخرى، ومن وسائل المعرفة الموجودة.



الشيخ الصفار يحث الآباء على السعي لتوفير حياة كريمة لأسرهم

دعا الشيخ حسن الصفار الآباء للسعي بكل جدّ وعمل في توفير الحياة الكريمة واللائقة لزوجاتهم وأولادهم؛ لأن كل إنسان متزوج مسؤول عن توفير نفقة من يعول. وواجبه أن ينفق على زوجته وإن كانت غنية، وأن يوفر لها النفقة وكل احتياجاتها.

وأضاف الشيخ الصفار في مجلسه الأسبوعي ليلة الجمعة ١ شعبان ١٤٣٣هـ: أن الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في هذا المجال كثيرة، ومنها: «إن أكبر الإثم عند الله أن يضيع الرجل من يقوت»، وقوله ﷺ: «ملعون ملعون من ضيّع من يعول».

وأوضح الشيخ الصفار أن الفقهاء أشاروا إلى أن واجب الإنسان هو في الإنفاق على والديه ووالد والديه وإن علوا، وعلى أولاده وأولاد أولاده وإن نزلوا عند حاجتهم. كما أن من واجب كل شخص مالك لذي روح (أي الحيوانات) أن ينفق عليها وحتى على علاجها.

وأشار سماحته إلى أن الإنسان عندما لا يوفي باحتياجات عائلته، فإن ذلك ينعكس على عائلته في عدة أمور، منها: تضرّر حياته وحياة عائلته، كما أن من شأن ذلك إيجاد عقد نفسية لدى الزوجة والأولاد، وذلك من خلال مقارنتهم لوضعهم في مقابل الآخرين من قرنائهم.

وإلى جانب تضرر الحياة ووجود العقد النفسية، أشار سماحته إلى أن هذا الأمر قد

يدفع إلى انحرافات من قبل الزوجة والأولاد بسبب استغلال حاجاتهم، عندها ينطبق عليه الحديث المروي عن النبي ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيّع من يعول».

وقال الشيخ الصفار: إن الكثير من الناس في بعض الدول يعملون في اليوم في ثلاثة دوامات، وذلك من أجل أن يحسنوا ظروف عائلاتهم، وما نشاهده لدينا في البلد، أن بعض العاملين الأجانب الذين يعملون في الصيف الحار والجاف، وفي بعض الأعمال الشاقة من أجل توفير لقمة العيش لعوائلهم.

وأكد سماحته أن النصوص الدينية تحاول إنهاض الناس في توفير احتياجات أسرهم، وبذل الجهد في القيام بهذه الواجبات المهمة.



الشيخ الصفار: سيرة أهل البيت (عليهم السلام) بحاجة إلى كتابة تتناسب مع لغة العصر

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أن الاحتفاء بذكرى ميلاد الامام الحسين (عليه السلام) ليس مسألة عادة وطقس ديني، إنما هو استلهام من منهج قراني في تحليل سيرة الأنبياء والأولياء، جاء ذلك في الاحتفال الذي أقامته لجنة سيد الشهداء بمجلس النمر بالدمام، مساء يوم الجمعة، غرة شعبان ١٤٣٣هـ بمناسبة ذكرى ميلاد الإمام الحسين (عليه السلام) والإمام السجاد (عليه السلام) والعباس بن علي (عليهما السلام).

واستعرض أربعة أهداف للمنهج القراني من قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهي: تعزيز قيم الحق ومبادئ الخير في النفس، واستكشاف مفاهيم الحق، وصنع المشاعر الإيجابية في نفس الإنسان، وتجليل الرموز الرسالية والإشادة بهم، لتتوارث الاجيال ذكراهم وسيرتهم العطرة.

وقال: إن الاحتفال بالمناسبات العامة للأئمة (عليهم السلام) هي من أجل أن ننفتح على سيرتهم، والاستفادة من هديهم وتوجيهاتهم، مؤكدًا أهمية مراجعة أنفسنا في مدى استفادتنا من هذه المناسبات.

مشيرًا إلى التقصير في الانفتاح على سيرة أهل البيت (عليهم السلام)، ومشيدًا ببعض الجهود التي حاولت سد النقص والفراغ الناتج عن هذا التقصير، ومنها الجهود الكبيرة لسماحة

آية الله الشيخ باقر شريف القرشي رحمه الله.

وقال: قبل ستين عامًا لم يكن عندنا كتابة تناسب العصر حول أهل البيت ﰂ، بل كل الكتابات قديمة وبلغة أزمنة مؤلفيها بالرغم من أنها حفظت تراث أهل البيت ﰂ، إلا أن لغتها وأسلوبها لا تتناسب مع هذا العصر. وبين أننا في حاجة إلى كتابة جديدة يتفاعل معها الجيل المعاصر.

وأشار إلى تصدي الشيخ القرشي لهذا النقص عبر تأليف أول كتاب عن الإمام الحسن ﰀ، ثم توالت بقية دراساته عن الأئمة الاثني عشر في أكثر أربعين مجلدًا، مقدمًا بذلك خدمة عظيمة وكبيرة لسيرة أهل البيت ﰂ.

وأشاد بالأسلوب المعاصر والمنهجية السليمة التي كتب بها المؤلف سيرة أهل البيت ﰂ، والتحقيق الدقيق في السيرة بالرغم من قلة المصادر في السابق. مؤكدًا أن جهود القرشي لبنة يجب البناء عليها والانطلاق منها وتطويرها.

وأشار إلى إدراك الشيخ القرشي إلى أهمية الدور الذي يقوم به، التي أثمرت عن ترجمة أربعين مجلدًا إلى اللغة الإنجليزية والفارسية، وهناك جهود إلى ترجمتها إلى اللغة الفرنسية.

وقال: نشعر بالحاجة إلى الاهتمام بسيرة أهل البيت ﰂ، ولكن ليس بجهد فردي، إنما بحاجة إلى مراكز دراسات وأبحاث حول سيرة أهل البيت ﰂ، لا سيما وأننا نعاني من ضعف في المجال التاريخي والاهتمام بكتابة التاريخ.

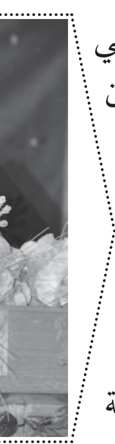
وأشار إلى الاهتمام بقراءة التاريخ قراءة علمية موضوعية، وأن تكون مجالًا مفتوحًا للاجتهاد، من دون إرهاب فكري، وحجر على الرأي، حتى نتعرف على سيرتهم كما هي.

وختم حديثه بتبيين دلائل العالم الحقيقي وأنه لا يزكي نفسه، ويعيش التواضع في داخل نفسه، ويقبل النقد من الآخرين وينتقد نفسه.



٧

الشيخ الصفار: للانتساب لمدرسة أهل البيت عليهم السلام شروط



قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن التمني بالانتماء لمدرسة أهل البيت عليهم السلام لا يكفي، فكما أن لكل جامعة شروطًا للانتساب لها، ولا يقبل من لا تتوفر فيه الشروط، كذلك فإن أهل البيت عليهم السلام وضعوا شروطًا ومواصفات لا بدّ من توفرها في المنتمي لهم.

وأضاف سماحته في الحفل الذي أقيم بمناسبة ذكرى ميلاد الإمام الحسين عليه السلام والعباس عليه السلام والإمام السجاد عليه السلام في بلدة الأوجام مساء يوم الخميس (٧/ ٨/ ١٤٣٣هـ): لقد رسم أهل البيت عليهم السلام شخصية المرتبط بهم، وحددوا المواصفات لمن يقبلونه مواليًا لهم، على رأسها «حسن العلاقة مع الله، ومع المجتمع، ومع المحيط».

وأبان أن مكانة أهل البيت عليهم السلام إنما هي تفضل من الله، وعظمتهم من قبل الله تعالى، وهم الطريق والسبيل والأدلاء إليه، والعلاقة مع الله لا بدّ أن تكون كما وصفوا وقرروا.

وعن المواصفات المطلوبة في العلاقة مع الله قال الشيخ الصفار: إن أهل البيت عليهم السلام

ذكروا في رواياتهم «ما شيعتنا إلا من اتقى الله واطاعه»، وذكروا أيضًا «امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها»، وأيضًا «شيعة علي هم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم حيث أمرهم».

وأشار إلى أن المنتمي لهذه المدرسة عليه أن يعرض نفسه على هذه المواصفات، ويجعل هذه المناسبات جرس إنذار لإيقاظ الغافل، ويحاسب نفسه، أنت تنتمي لهذه المدرسة ولهذا الخط ولهؤلاء الأئمة، فهل أنت ممن يقتدي بهم؟.

وتساءل الشيخ الصفار عن العلاقات بين أفراد المجتمع الإيماني، كيف تكون؟ فالمنتمون لهذه المدرسة المشرقة لا بدّ أن يتحلوا بأخلاق أئمتهم، التي هي بمنزلة الأنظمة التي تسير الحالة الاجتماعية.

وأضاف: هناك قيم وأخلاقيات يعمل بها أهل البيت عليهم السلام ويمارسونها في سلوكهم الاجتماعي، وهم يطالبون شيعتهم بالالتزام بها.

وعن العلاقات الداخلية وما يشوبها من إشكالات، قال الشيخ الصفار: لا بدّ أن تسود المجتمع المنتمي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام روح التسامح، والتكافل الاجتماعي، والتضامن، والاهتمام بأوضاع الفقراء والمساكين، والتفاعل مع المؤسسات الاجتماعية.

واستشهد سماحته عن الحالة التي يجب أن تكون بين الشيعة بسؤال الإمام الباقر عليه السلام لبعض أصحابه عندما قال: جعلت فداك إن الشيعة عندنا كثير، فقال الإمام الباقر عليه السلام: هل يعطف الغني على الفقير؟ ويتجاوز المحسن عن المسيء؟ ويتواسون؟ قال الرجل: لا، فقال له الإمام عليه السلام: ليس هؤلاء الشيعة، الشيعة من يفعل هكذا.

وأوضح الشيخ الصفار أن الشيعة لا يعيشون في صحراء معزولين، ولا في جزر لا يخالطون أحدًا، إنما هم يعيشون ضمن محيط قد تتنوع فيه الانتماءات الدينية والمذهبية.

وأشار إلى أن المطلوب من الشيعة أن يكونوا كما كان أئمتهم متميزين، متفوقين،

في كل جوانب الحياة، ليعكسوا صورة مشرقة عن المدرسة التي يتبعونها.

ومضى يقول: هناك فئات تترصد لتشويه هذه المدرسة، ويبذلون الجهود، ويمتلكون الإعلام الموجه، لذا فالمسؤولية اليوم أكبر، وعلينا أن نحسب حسابًا لكل كلمة وتصرف، فالإمام العسكري عليه السلام يقول لشيعته: اتقوا الله وكونوا زينًا لنا، ولا تكونوا شينًا، جرّوا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح.

وتابع سماحته: أهم مكسب يجب أن نفخر به ونتشبث به، أن أئمتنا عليهم السلام أئمة قيم ومبادئ، وهذه المناسبات إنما نحييها لتذكرنا بهذه القيم، ولنجدد العهد بالتزام خطهم لنحشر معهم.

وأبان: إن البعض يتصور أن إحياء هذه المناسبات يكفي بالمظاهر الاحتفائية، أو بذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم، وهذا يشبه أن نزور متحفًا فنعجب بالمعروض من لوحاته، وهذا ليس الهدف المبتغى وإنما هي عناصر مساعدة.

وأضاف: إننا نحيي ذكريات أهل البيت عليهم السلام لتجديد العهد التزام خط أهل البيت عليهم السلام، مع أنفسنا، ومع ربنا، ومع أهل البيت عليهم السلام.




مع الشيخ علي الفرج

٧

الشيخ الصفار: ضرب أهل البيت (ع) أروع أمثلة الاستقامة والثبات

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إن أهل البيت (ع) واجهوا ضغوطًا كبيرة من أجل تغيير مواقفهم المبدئية، لكن وضوح الرؤية عندهم، جعلتهم يضربون أجمل صور الثبات والاستقامة في أحلك الظروف، فتجاوزوا كل المنعطفات بنجاح رسالي.

وأضاف: واجه أهل البيت (ع) ضغوط الحكام بالترهيب والإغراء، وواجهوا ضغوط الجماهير المتحمسة تارة، والمتخاذلة مرة أخرى، لكنهم تمسكوا بتشخيصهم للمواقف، وقدموا مصلحة الدين والرسالة، فانتصروا بثباتهم وهزموا كل الضغوط.

جاء ذلك خلال الندوة المقامة في حسينية باب الحوائج بالقديح مساء يوم الأربعاء ٥ رمضان ١٤٣٣هـ الموافق ٢٥ يوليو ٢٠١٢م.

وأبان سماحته: إن أهم أهداف تحرك أهل البيت (ع) مصلحة الأمة والدين، لذا وقف الإمام علي (ع) مع الخلفاء ناصحًا لهم، وتجرع الإمام الحسن مرارات التهم بأنه «مذلّ المؤمنين»، وقدم الإمام الحسين (ع) دمه الطاهر ودماء أصحابه في كربلاء، ولم يبخل الإمام الباقر (ع) بالنصيحة للحكام الأمويين لحماية اقتصاد الدولة الإسلامية.

وأشار إلى أن الإمام الحسين (ع) واجه المثبطين لثنيه عن الخروج، والإمام الصادق (ع) واجه المتحمسين الذين اتهموه بأنه «لا يرى الجهاد»، فقال: «لكنّي أكره أن أدع علمي إلى جهلهم»، متمسكين بالقيم والمبادئ، مترفعين أن يكون تحركهم من أجل السلطة.

وحذّر الشيخ الصفار من السقوط في فخ العزلة، فهناك «من يسعون لعزل الشيعة

عـن محيطهم الاجتماعي، وجعلهم في زاوية، فتحرم الأمة من روح الوحدة، وتسـقط في مسـتنقع الخلافات، والانشـغال عن البناء بالمهاترات». وقال: إن الشيعة يحملون رسـالة إلـى الأمة، وترك الشـيعة السـاحة يحرمهم مـن إيصال هذه الرسـالة للأمة، لذا يجب أن نعيش مع الأمة وندافع عن مصالحها.

وأضاف: أرشـد الأئمة عليهم السلام شـيعتهم بأن يكونوا (للظالم خصمًا، وللمظلوم عونًا)، ويقدمون مصلحة الأمة، وهذا يحتاج إلى حكمة عالية مارسها أهل البيت عليهم السلام في أروع صورها، وطالبوا شيعتهم الاقتداء بها.

وأبـان سـماحته: أن مواقف أهـل البيت عليهم السلام كانت تنطلق مـن رؤية وهدف واضح، ومواقفهم تابعة لهذه الرؤية، وهذا يحتاج إلى قراءة موضوعية لا تتأثر بوضع آني.

وعـن الاسـتقامة وشـروط توفرها قال الشـيخ الصفـار: إن طبيعة الإنسـان وحياته تجعلـه دائمـا أمام دواعـي التوقف والانحـراف، لذا هو محتـاج دائمًا للاتصـال بالله سـبحانه، والدعـاء بالاسـتقامة، كما يحتـاج إلى التأمـل والمراجعـة والتفكير حتى لا تختلط عليه الأمور.

وأضاف: الاسـتقامة ذلك التحدي الكبير الذي يعيشه الإنسان في حياته، والضبابية وعـدم الوضـوح وتعدد الجهـات تصعّب عليه تبيّـن الرؤية، لذا هو محتـاج إلى الدعاء واللجوء إلى الله ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾، خوف أن تخونه الإرادة، وتنقصه البصيرة فيزيغ.

وعرف سماحته الاستقامة بأنها على الصعيد الفردي تكون بأداء الواجبات والابتعاد عـن المحرمـات، وعلى الصعيـد الاجتماعي تكـون بالموقف الواضـح من الأحداث السياسية والاجتماعية، فإن سلامة السلوك الفردي لا يغني عن سلامة الموقف العام.

وأضاف: حدثنا التاريخ عن أشـخاص عرفوا بالزهد في سـلوكهم الفردي، لكنهم في العمل العام لا يتخذون الموقف الذي ينسجم مع الحق والطريق الصحيح.

هذا وقد قدم للندوة الأسـتاذ يونس الجارودي، مشـيرًا إلى أن هذه الندوة تقام في شهر رمضان منذ ست سنوات، إذ كانت تقام في ديوانية العكراوي، لكن لضيق المكان نقلت منذ العام الماضي إلى هذه الحسينية المباركة.



٧

الشيخ الصفار يحذّر من الانشغال بالشائعات المعادية

حذّر سماحة الشيخ حسن الصفار من الوقوع في شرَك الشائعات المعادية، التي تستهدف خلق النزاعات بين أطياف الأمة الإسلامية، وإشغالها في معارك وهمية.

وقال الشيخ الصفار: إن مؤسسات دولية متخصصة باتت تعمل على إنتاج الأفكار لخدمة أغراضها، وإضعاف خصومها، عبر مختلف السبل، ومنها خلق الشائعات.

جاء ذلك خلال محاضرة بمناسبة ذكرى وفاة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ألقاها في جامع المصطفى بالقطيف بتاريخ ١٩ رمضان ١٤٣٣هـ الموافق ٧ أغسطس ٢٠١٢م.

وتابع سماحته: بأن غرض بثّ وترويج الشائعات، يأتي لإضعاف الثقة لدى الخصم، وإيقاع الهزيمة النفسية في صفوفه، إلى جانب إشغال الناس في معارك وهمية لا تخدم قضاياهم الأساسية.

وأشار أمام حشد اكتظت به جوانب المسجد: إلى أن أخطر النزاعات المفتعلة في الأمة اليوم هو الصراع الطائفي بين السنة الشيعة.

وقال إن هناك من يتعمد تصوير الشيعة وكأنهم خطر يهدد السنة، والعكس بالعكس، لغرض تشويه السمعة، وخلق التوترات الاجتماعية، محذّرًا من الانجرار وراء ذلك.

وأضاف: أن هناك حراكًا سياسيًا ساخنا يجتاح الأمة في العصر الراهن، وهناك في

المقابل من يريد حرف هذا الحراك نحو النزاع الداخلي، لإشغال مختلف الأطراف ببعضها.

ومضى يقول: «لذلك نرى كيف ينشغل الناس في النزاع السني الشيعي عوضًا عن الانشغال بمحاربة الفساد والاستبداد السياسي والبطالة والفقر».

ورفض الشيخ الصفار التعدي بالسب والشتائم المتبادلة بين المسلمين الشيعة والسنة، كل على رموز ومقدسات الطرف الآخر.

وقال: إن التعرض لرموز أي طائفة يستفزّها، ويدفع بعض أتباعها نحو الرد بالمثل، عبر الفضائيات المذهبية القائمة على الإثارة والتحريض.

وأضاف: «ليس من العقل النيل من الرموز الدينية، واستمرار المهاترات المذهبية لا يخدم أي دين أو مذهب».

وقال إن مشكلتنا هي سيطرة العواطف على قطاعات كبيرة من مجتمعاتنا، بحيث تجعلها غارقة في نزاعات تاريخية عفى عليها الزمن، على حساب حاضرها ومستقبلها.

وعلى المستوى الاجتماعي حذّر سماحته من انشغال الجماعات المحلية العاملة بالنيل من بعضها، وإسقاط مشاريع ورموز وشخصيات الأطراف المنافسة.

وأوضح أن ثمة فرقًا شاسعًا بين النقد البنّاء والتسقيط المتعمد.

ومضى يقول: «ينبغي إفساح المجال أمام مختلف الجهات كي تمارس عملها ودورها ما دامت في خدمة المجتمع والوطن والنأي عن التحريض عليها».

وأضاف: إن مسؤوليتنا تتركز في بث الوعي لدى أبناء المجتمع، دون فرض أسلوب معين، أو ممارسة إرهاب فكري ضد أحد، والتشديد دائمًا على الحوار.

وشدّد على ضرورة العودة والتمسك بقيم الدين، وعدم نشر الشائعات والأخبار المفبركة، والمعلومات غير المؤكدة، كلّ ضد الطرف الآخر.



٧

التعبير عن الرأي «حق» والعنف مرفوض

شـدّد سـماحة الشـيخ حسـن الصفار على الحق في التعبير عن الـرأي، رافضًا في الوقت عينه ممارسة العنف السياسي تحت أي مبرر كان.

وقال الشـيخ الصفار في محاضرة ألقاها بمناسـبة ذكرة شـهادة الإمام علي بن أبي طالـب عليه السلام: إن المجتمعات الحديثـة تجاوزت بمراحل منطق العنـف والقوة في إدارة الشأن العام، بخلاف بلداننا العربية.

وأضاف خلال المحاضرة التي أقيمت بجامع المصطفى في القطيف مساء الأربعاء ٢٠ رمضـان ١٤٣٣هـ الموافق ٨ أغسـطس ٢٠١٢م: إن حال الاسـتقرار السياسـي في الأمم الأخرى إنما جاء نتيجة سيادة القانون والديمقراطية، والتداول السلمي للسلطة عبر الانتخاب الحر.

وأسـف إلى تأخر الدول العربية عن ركب الديمقراطية التي باتت تسود معظم دول العالم.

وتابع بأن إدارة الشـأن العام والمصالح المشـتركة هو مسؤولية الجميع «ومن حق الناس أن يكون لهم رأي ومشاركة».

وقال سماحته بأن التعبير عن الرأي لا يمثل جريمة، مضيفًا «لقد تغير العالم وانتهى العصر الذي يمنع فيه الناس من التعبير عن الرأي».

وقال بأن الإسلام وضع أسسًا للحكم الرشيد، كانت قائمة إبان الحقبة النبوية، والخلافة الراشدة، مشيرًا إلى وصول الإمام علي للحكم بإرادة عامة، ودون إكراه أو إجبار.

ويرفض التوسل بالعنف

في مقابل ذلك شدد الشيخ الصفار على رفض التوسل بالعنف لدى المعارضة السياسية.

وقال سماحته: «ينبغي أن يكون الحراك السياسي في المجتمعات الإسلامية سلميًا وأن لا يلوث بممارسة العنف».

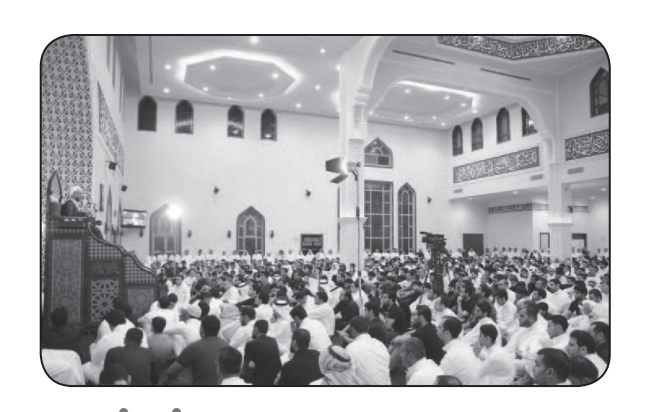
وأضاف أن ممارسة العنف تشوّه صورة الحراك السياسي، وترهق المجتمعات، وتدفع باتجاه سفك الدم الحرام.

وقال بأن المجتمعات التي ابتليت بظهور المسلحين الذين يستسهلون استخدام السلاح «دفعت ثمنًا باهظًا».

وقال إن بروز أشكال العنف يمثل أرضية خصبة للاختراق، ودخول المندسين، وأصحاب المآرب المشبوهة.

وحثّ على اتباع نهج الإمام علي الذي أرسى منهجية سلمية إبان فترة الخلفاء الذين سبقوه، وحافظ على ذات النهج مع معارضيه السياسيين حين تولى الخلافة.

وأشاد بنأي أتباع أهل البيت عليهم السلام عن الحركات الإرهابية والتكفيرية التي برزت قديمًا وحديثًا، معتبرًا ذلك مكسبًا ينبغي الحفاظ عليه.



٧

الشيخ الصفار: لا قيمة لأي نجاح دون حياة أسرية ناجحة

اعتبر سماحة الشيخ حسن الصفار النجاح في الحياة الأسرية من أهم التحديات المعاصرة، وأن لا قيمة لأي نجاح آخر في ظل حياة أسرية فاشلة.

وقال الشيخ الصفار إن الفشل في الحياة الأسرية «أشدّ ضررًا من أي فشل آخر»، معللًا بأن هذا الفشل يفقد الإنسان أي ميزة للنجاح في المجالات الأخرى.

وضمن تناوله لأسس النجاح في الحياة الأسرية، أشار سماحته إلى أهمية الثقافة الزوجية، وضرورة تضمينها في مناهج التعليم، إلى جانب تكثيف الدورات التثقيفية للأزواج.

وقال إن غياب الثقافة الأسرية ينطوي على تداعيات كبيرة، أبرزها التفكك الأسري، وتصاعد نسب الطلاق، وحالات الاكتئاب، والإقدام على الانتحار، وهروب الفتيات، وحوادث الابتزاز الاخلاقي.

وتابع بأن المرأة في بلادنا هي أكثر من يدفع ثمن الحياة الأسرية المضطربة.

وأضاف سماحته في ختام محاضراته بمناسبة ذكرى وفاة الإمام علي بن أبي طالب مساء الخميس (٢٠ رمضان ١٤٣٣هـ الموفق ٩ أغسطس ٢٠١٢م) «إن نجاح المرء في مختلف المجالات الحياتية هو انعكاس للنجاح في حياته الأسرية».

وشدد القول أمام حشد غفير من المستمعين بجامع المصطفى في القطيف: «مخطئ من يهتم بالنجاح الاجتماعي والعلمي والاقتصادي في حين يفرط بحياته الأسرية».

وأشار في مقابل ذلك إلى أن الإنسان الأقرب للنجاح في مختلف شؤون حياته هو من يقيم علاقات أسرية ناجحة.

واعتبر الشيخ الصفار: أن من أبرز مؤشرات نجاح الحياة الأسرية ما وصفه بالرضا العميق والمتبادل بين أفراد الأسرة، إلى جانب بروز عناصر صالحة وناجحة في الأسرة، ضمن ما وصفه بالإنجاز التربوي الناجح.

وأشار سماحته إلى جملة من التحديات المعاصرة التي تواجه الأسرة، وأبرزها طغيان الروح المادية، والنزعة الأنانية لدى أفراد الأسرة.

وأضاف: إن النزعة الأنانية لدى بعض أفراد الأسر المعاصرة بلغ حدًّا تجاوز معه القيم والمُثل على نحو غير مسبوق.

وتابع بأن تشعب الاهتمامات الحياتية وغياب التوازن في حياة الفرد، بات تحدّيًا آخر يهدد الحياة الأسرية، سيما في ظل الإفراط في الانشغال بالعمل والعلاقات العامة والخاصة، التي سهلتها تقنيات التواصل الحديث.

وأضاف القول «أصبحت التقنية الحديثة والقنوات الفضائية لاعبًا مؤثرًا في سلوكيات الفرد، مما انعكس سلبًا على الحياة الأسرية، ومن مظاهر ذلك نشوء العلاقات غير المشروعة».

وشدد سماحته على الحاجة الماسة للتوازن بين مختلف الإهتمامات العامة وبين الحياة الأسرية.

ودعا سماحته الأزواج إلى التحلي بإرادة النجاح في حياتهم الأسرية، وعدم الاستسلام للمشاكل، حاثًا في الوقت عينه على ما وصفه إفاضة الحب والحنان بين أفراد الأسرة.



٧

الشيخ الصفار يحث المبتعثين على بناء كفاءتهم وحمل هموم مجتمعهم

حثّ سماحة الشيخ حسن الصفار الطلبة المبتعثين في الخارج، على استثمار وجودهم ودراستهم في الخارج، من أجل بناء كفاءتهم، ونقل قيم التقدم من المجتمعات والشعوب الأخرى، مع حملهم لهموم تطلعات مجتمعهم.

جاء ذلك خلال اللقاء السنوي الذي أقيم يوم الأحد ٢٣/ ٩/ ١٤٣٣هـ الذي ينظمه مكتب الشيخ الصفار للمبتعثين في الخارج من محافظة القطيف.

وبدأ الشيخ الصفار حديثه بالآية الكريمة ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ مؤكدًا أنه لكي يسير الإنسان في طريق الصواب هناك ثلاثة طرق، أولها السير الإجباري، أو أن يُقاد من قبل أحد، أو أن ينطلق من قناعة ذاتية، وهذا هو أفضل خيار، السير نحو طريق الصواب وفق اقتناع داخلي.

وفي هذا السياق قال الشيخ الصفار: «إن من أهم ما يجب أن نهتم به هو وجود عنصر الكفاءة في المجتمع، فمن المهم جدًا بناء الكفاءات، كما من المهم للشباب أن يوسعوا خيالاتهم ومداركهم، وعليهم أن يفكروا أنهم مشروع كفاءة والمجتمعات مقبلة على تطور تحتاج لكفاءة عالية».

وبيّن الشيخ الصفار أهمية نقل قيم وثقافة التقدم، وهذه الأمور نستقيها من منهجين، الأول علمي، وآخر تجريبي، وهي ما وصلت إليه المجتمعات الأخرى من

تقـدم ورقيّ، وهـذا يقتضي من أبنائنـا المبتعثين أن يروا كيف يمـارس الناس حياتهم، وإدارة اقتصادهـم وسياسـتهم وثقافتهم، وكيفية إنتاج العلم، ونقـل هذه الخبرات إلى مجتمعاتنا.

«فالطلاب الذين يدرسـون خارج بلادهم، ينقلون شـيئًا من ثقافة بلادهم إلى تلك المجتمعات، ويأخذون من ثقافة البلدان التي يدرسون فيها إلى بلدانهم ومجتمعاتهم، مما يُشكل جسرًا للتواصل الثقافي، والتبادل الحضاري بين المجتمعات».

وشـدّد الشـيخ الصفـار علـى أهمية الحاجـة إلى تعميـق ثقافـة وروح الانفتاح في مجتمعنا.

وهذا ما يراه المبتعث هناك من روح الانصهار والتعايش، والمأمول من الطلاب أن يستفيدوا من تجارب تلك الشعوب المتقدمة.

ومطلـوب أن يحمـل المبتعث همّ مجتمعـه، مع الاجتهاد الدراسـي، والتزام القيم الدينيـة والأخلاقية، وعدم الانهيار أمام الصدمة الحضارية، وبنفس الوقت الاسـتفادة من إيجابيات تلك المجتمعات، وألا تقتصر المسـألة على الدراسـة فقط. ويختم هذه النصائـح الأبويـة بقول الإمام الصـادق ﵇: «إنكم قد نسـبتم إلينا، كونوا لنـا زينًا، ولا تكونوا علينا شـينًا»، ونحن مسـرورون بما نسـمعه عنكم من حسن استقامة وجدية في الدراسة.

وتخلـل الأمسـية العديد من الأسـئلة والمداخلات للطلبة المبتعثيـن، تنوعت بين الهموم الوطنية، ومدى تأثير الوضع الطائفي والمذهبي في علاقات الطلبة فيما بينهم، وأهمية التلاقي والوحدة الوطنية.



٧

الشيخ الصفار: ذكر الله لتقويم المشاعر والسلوك

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن الإنسان المؤمن حينما يدعو الله ويطلب منه شيئًا، فإن هذا الدعاء والطلب يعبر عن طموحه وتطلعه وما يرغب فيه.

وأضاف: المؤمن يدعو لله أن يجعل أوقاته عامرة بذكره، وأن تكون موصولة بخدمته، كما ورد في دعاء كميل «واجعل أوقاتي في الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة».

وأبان أن هذا يفترض أن يكون تعبيرًا عن رغبة في نفس الإنسان، يريد من الله سبحانه أن يوفقه لهذا الأمر.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سماحة الشيخ الصفار في مسجد الإمام علي عليه السلام بمنطقة الخرس في الأحساء، بدعوة من سماحة الشيخ حسين العايش إمام المسجد ظهر يوم (الاثنين ٩/ ١٠/ ١٤٣٣هـ الموافق ٢٧/ ٨/ ٢٠١٢م).

وتساءل سماحته ماذا يعني أن تكون أوقات الإنسان مشغولة بذكر الله؟ وأن تكون حياته موصولة بخدمة الله؟

وأوضح أن ذلك يعني: أن يكون هناك حضور لله سبحانه دائمًا وأبدًا في فكر وقلب الإنسان.

وتابع: إنما يتحرك الإنسان ويعمل بسبب دوافع، هذه الدوافع إما أن تكون الرغبة والشهوة وخدمة الذات، وإما أن يكون الدافع التقرب إلى الله.

وأضاف: الإنسان المؤمن ينبغي أن يكون في كل سكناته، وحركاته، ولحظاته، مندفعًا بدافع التقرب إلى الله سبحانه.

وأوضح الشيخ الصفار أن كل حركة للإنسان يمكن أن يكون فيها عابدًا لله، إذا استحضر أن هدفه هو الامتثال لأمر الله، والسير في طريق طاعته، فنوم الإنسان يمكن أن يكون عبادة، وكذا تناوله الطعام، والذهاب إلى العمل.

وأن الكلمة الطيبة للبعيد والقريب كالزوجة والأولاد، والتبسم بقصد إبداء السرور والبهجة في وجه الأخ المؤمن عبادة: «تبسمك في وجه أخيك صدقة».

واعتبر الشيخ الصفار أن الإنسان بهذه الطريقة يكون في كل حياته في رحاب الحضور الإلهي ورضا الله سبحانه.

وفي جانب آخر تساءل سماحته عمّا جاء في الدعاء «وبخدمتك موصولة»، ماذا يعني أن تكون في خدمة الله، والله غني عن العالمين؟ وماذا يستطيع الإنسان أن يقدم لله؟ والله يعطينا برحمته؟

وقال: يعني أن يكون الإنسان المؤمن في خدمة القيم والمبادئ الإلهية، وأن يعمل من أجلها ومن أجل إعلاء كلمة الله في الأرض.

كما أن خدمة الناس ومساعدتهم مظهر لخدمة الله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ومما تعنيه الآية ما ينفق لاقراض المحتاجين ومساعدتهم.

وأشار إلى إن الإنسان المؤمن الحقيقي العارف بالله إذا التقى مع أيّ إنسان يستحضر أن هذا مخلوق لله، منحه كرامته ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، وأن «الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله».

واعتبر أن احترام المؤمن لأيّ إنسان ومساعدته إيّاه، هي خدمة لله سبحانه.

وقال في ختام كلمته: إن الإنسـان المؤمن ينبغي أن يعيش هذا الفهم، على مستوى المشاعر، لينعكس على سلوكه وممارسات حياته.

من جانبه شـكر سماحة الشيخ حسـين العايش الشيخ الصفار وقال: نشكر سماحة الشيخ حسن الصفار فقد تفضل علينا بهذه الزيارة، ونشكره على هذه الموعظة القيمة، ونقدّر دوره وخدماته للمجتمع.

وتحدث الشـيخ العايش للشيخ الصفار عن البرامج التربوية والثقافية والاجتماعية في المسجد، وعرّفه على الكوادر العاملة في الأنشطة القائمة.

ومسـاء يـوم الاثنين زار الشـيخ الصفار الشـيخ توفيـق البوعلي في مكتبه بمسـجد الإمام الحسـن عليه السلام فـي الهفوف، بعد أداء صلاتي المغرب والعشـاء، كما زار سـماحة الشيخ جواد الجاسم في مكتبه، واطلع على جانب من أنشطته الثقافية والاجتماعية.

وكان الشـيخ الصفـار قـد لبـى دعوة أسـرة الصقر فـي قرية الشـهارين بالحسـينية الكاظمية ظهرًا، وبحضور عدد من العلماء الأفاضل والشخصيات الاجتماعية.

وقام بزيارة لسـماحة السيد هاشم الشخص في منزله بالقارة، وزيارة السيد منصور الغافلـي. كما لبّـى دعوة الوجيه الحاج محمد الخرس (أبوهاني) مسـاءً بحضور جمع من العلماء والوجهاء.



٧

شخصيات وطنية من جدة.. في ضيافة الشيخ الصفار



تأكيدًا للتواصل الوطني، وتعزيزًا لأجواء الحوار والانفتاح، زار عدد من الشخصيات الوطنية من مدينة جدة محافظة القطيف واستضافهم سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه مساء يوم الأحد ١٥ شوال ١٤٣٣هـ الموافق ٢ سبتمبر ٢٠١٢م.

وقد رحّب الشيخ الصفار بضيوفه الأكارم، وهم الأديب المعروف الدكتور عبدالله مناع، والدكتور عبدالله صادق دحلان رئيس مجلس أمناء جامعة الأعمال والتكنولوجيا والعضو السابق في مجلس الشورى، والدكتور شهاب جمجوم وكيل سابق في وزارة الإعلام، والدكتور محمود محمد بترجي، والدكتور حسين العلوي مدير جامعة الأعمال والتكنولوجيا في جدة.

وأشاد سماحته بشخصياتهم الوطنية، وأدوارهم الريادية في ساحة المعرفة والأدب، وخدمة الوطن والمجتمع.

وطالب الشيخ الصفار النخب الثقافية والاجتماعية في الوطن، بتفعيل دورها

المأمـول، فـي تجسـير العلاقـة وتعزيزها بيـن أبنـاء الوطن، علـى اختـلاف مناطقهم ومذاهبهم وتوجهاتهم.

ودعا لعدم ترك السـاحة «لدعاة التعصب والكراهية، واتجاهات التمييز والتصنيف الجائر بين المواطنين»، مؤكدًا: أن ذلك «يهدد أمن الوطن واستقراره، ويضعف وحدة الشـعب وتماسـكه، ويفسـح المجال أمـام الإرادات الأجنبية التي تعمـل على تفتيت الأوطان وتمزيق المجتمعات».

وتحدث الدكتور عبدالله دحلان شاكرًا للشيخ الصفار ضيافته وترحيبه، مستعرضًا لمـا بينـه وبين الشـيخ الصفار من علاقـة ودّ وتواصـل وتوافق على توجهـات الوحدة والحـوار والانفتـاح، مؤكدًا علـى تغليـب المصالح الوطنيـة العليا، وضـرورة تضافر الجهود لتعزيز مسار الوحدة والتعاون، من أجل خدمة الوطن، ودرأ الأخطار المحدقة به.

كمـا تحدث الدكتـور عبدالله مناع عـن علاقته القديمة والمسـتمرة مع كثيرين من أبنـاء القطيـف، وشـخصياتها اللامعة، مشـددًا على حساسـية الظروف التـي تواجهها الأمـة، التي تسـتلزم الوعـي والتلاحـم والتضامن، ممـا يضاعف مسـؤولية المثقفين، وحملة الفكر، وذوي الاهتمام بمستقبل الأجيال.

وفي السياق ذاته تحدث كل من الدكتور شهاب جمجموم والدكتور محمود بترجي.







٧

الشيخ الصفار: نحتاج إلى ثقافة اقتصادية لمواجهة العادات المرهقة اجتماعيًا*

محمد أحمد آل محسن

قال الشيخ حسن الصفار إننا بحاجة إلى ثقافة اقتصادية في مجتمعنا، لمواجهة العادات التي بدأت تنشأ في المجتمع، مضيفًا أن الضغوط الأسرية هي أحد أهم أسباب هذه العادات التي تجبر ربّ العائلة على الإنفاق أكثر مما يملك.

وبدأ الشيخ الصفار حديثه في مجلسه الأسبوعي ليلة الجمعة (١٩ شوال ١٤٣٣هـ الموافق ٦ سبتمبر ٢٠١٢م) بالآية الكريمة ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، مبينًا أنه من الطبيعي أن يتفاوت الناس في مستوياتهم الاقتصادية فيكون دخل بعضهم أكثر من الآخر.

وأشار الشيخ الصفار أن الناس يواجهون مشكلة في الإنفاق؛ لأنهم يريدون أن يشابهوا بعضهم في الرفاه والإنفاق، كما يرون ذلك المستوى لأصحاب القدرات المادية الكبيرة.

وتابع القول: «لهذا يوجه الله تعالى الإنسان بألّا ينفق بمستوى ذاك الثري، بل عليه أن يأخذ مستواه الاقتصادي بعين الاعتبار، وألّا يقارن نفسه بالآخرين».

* www.saffar.org

مضيفًا «هناك مسؤولية على الدولة والمجتمع في أن يوفر حدّ الحاجة أو حدّ التقارب في المستوى للناس».

وبيّن الشيخ الصفار أن الله سبحانه وتعالى يحب إذا رزق أحدًا رزقًا أن يراه متمتعًا برزقه، لكن لا ينبغي على الإنسان أن يضغط على نفسه بأن يرى نفسه محاكيًا الآخرين الذين هم أوسع منه حالًا.

مشيرًا أن هذا يحصل في العوائل، خصوصًا عندما يرى أقرباءه، أو ترى الزوجة مستوى أخواتها أو قريباتها، فتبدأ الخلافات والنزاعات داخل العائلة بين الزوج وزوجته.

واستشهد الصفار بقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «الإنفاق على قدر الإقتار والتوسع على قدر التوسع»، وقد يتفاوت دخل الشخص نفسه، بأن يكون غنيًا فترة، ومحدود الدخل في فترة أخرى، وهذا أمر متوقع في هذه الدنيا، لذلك يجب على الإنسان أن يتحرك في إنفاقه قدر استطاعته.

وأعرب الشيخ الصفار عن أسفه لحالة المجتمع الذي أصبح مجتمعًا استهلاكيًا.

وأشار سماحته ان موضوع السفر في الإجازات مثلًا أصبح في غالبه ترفًا للمحاكاة والمباهاة، بعضهم يسافر فقط لأن أخًا له يسافر فيريد هو أن يسافر، من دون أن ينظر لمستوى دخله هل هو مساوٍ له أو أقل منه؟ وهذا ما تكشفه الإحصائيات من أن ٩٠ في المئة من المسافرين مقترضون، وأن ٨٠٪ من السعوديين يصرفون نقودهم على رغباتهم وليس على حاجاتهم، وأن أكثر من ٨٩٪ من السعوديين العاملين في القطاعين الحكومي والخاص مقترضون.

وختم بالقول إن تعاليم الإسلام تحث الإنسان على ألّا يكلف نفسه فوق طاقته وفوق إمكاناته، ويمكننا أن نلمس ذلك من قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وهذا ما يمكننا أن نلمسه من أن الإنسان إذا أدار نفسه وحياته بشكل مناسب، فإن الله ييسر له أموره فينفق على نفسه أكثر.



الشيخ الصفار يتساءل: المال هدف أم وسيلة ؟

قال الشيخ حسن الصفار: إن الإسلام يحث الإنسان على العمل وكسب المال، وليس ذلك من أجل الحاجة فقط وإنما حسب القدرة.

وأضاف: إنما يكسب الإنسان المال من أجل أن يسيّر أمور حياته، والإسلام حثّ على ذلك، وجعله أمرًا مستحبًا يثاب المرء عليه.

وتوقف الشيخ الصفار في مجلسه الأسبوعي ليلة الجمعة (٢٥ شوال ١٤٣٣هـ) عند أسئلة يطرحها الكثير: لماذا نكسب المال؟ ولماذا يسعى الإنسان للحصول على الإمكانات؟ وماذا نفعل بالفائض عن الحاجة من المال؟

وأجاب: قرّر الإسلام عبر نصوص كثيرة أن كسب المال لا يكون حسب الحاجة، وإنما حسب القدرة، وأي جهد يبذل في ذلك فيه ثواب وأجر. وقال: إن الهدف الأساس من العمل والكسب هو أن يلبي الإنسان احتياجاته، ولا يوجد أي إشكال في الادخار لحاجات متوقعة، لكن لا ينبغي أن يكون جمع المال من أجل الجمع فقط.

وأضاف سماحته: هناك البعض من الناس يصابون بمرض جمع الأرقام، فقمة السعادة عندهم أن يروا أرقام أرصدتهم تزداد، وهم لا ينعمون بها، ولا ينعم بها محيطهم، فهي أرقام في البنوك فقط.

وعن مصير هذه الأرقام استشهد سماحته: بقول رسول الله ﷺ: يقول ابن آدم: مالي مالي، (قال): وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو

تصدقت فأمضيت. وعن الطريق الأفضل للتصرف في الفائض من المال قال سماحته: المال ليس لتسيير أمور الحياة الشخصية فقط، وإنما هو لتسيير الأمور الاجتماعية، لذا يجب أن يجد الغني نفسه مسؤولًا عن مجتمعه وحاجاته.

وأوضح أنه لا يصح لأحدٍ أن يجمع المال ويراكم الثروة وفي مجتمعه محتاج، فالمال الذي يكدسه هذا أو ذاك هو رزق من عند الله، ويجب أن ينعم به المجتمع كما ينعم به الفرد.

وعدد سماحته الحاجات التي لو التفت لها الأغنياء لتحسّن وضع المجتمع، فالمجتمع يحتاج إلى بنية تحتية في المجال العلمي والثقافي والاجتماعي، وبدون البذل لن يستطيع المجتمع تجاوز هذه المشاكل.

وضرب سماحته مثالًا بأثرياء الغرب، الذين يتجاوز عطاؤهم بلدانهم، ليقيموا مؤسسات وجمعيات تخدم البشرية، وتساعد الإنسان للتخلص من مشاكله.

وقال: إننا بحاجة إلى أن نربي أنفسنا بالتفكير في حاجات مجتمعنا، والإنفاق فيما يحتاجه، وإقامة المؤسسات التي تهتم كل واحدة بحاجة من حاجات المجتمع.

وأضاف: إن الله يدعو للإنفاق في سبيله، الذي يعني كل ما يحتاجه الإنسان والمجتمع، ويساعد في سدّ ثغرات النقص، والنهوض والتقدم.

ودعا سماحته إلى التأمل في النصوص الشريفة التي تبين فضل المنفق، وتوضح أفضل أساليب الصرف، كقول الإمام علي عليه السلام: من آتاه الله مالًا فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة، وليفك به الأسير والعاني، وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب، فإن فوزًا بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا، ودرك فضائل الآخرة، إن شاء الله.

وحذّر من تحول المال إلى حسرة في نفس الإنسان، فهو مفارقه، وتاركه للورثة، وخير له أن يقدم لآخرته ما ينفعه يوم الوقوف أمام الله، قال الإمام الحسين عليه السلام: مالُك إن لم يكن لك كنت له، فلا تُبقِ عليه فإنه لا يُبقي عليك، وكُلْه قبل أن يأكلك.



٧

مجلة الفيصل تكتب عن مكتبة سماحة الشيخ حسن الصفار*

تحت عنوان إطلالة على المكتبات الخاصة في القطيف كتب الباحث عبدالرحمن بن محمد العقيل في الفيصل عند زيارته لعدة مكتبات في المحافظة منها مكتبة سماحة الشيخ حسن الصفار وقد جاء في مقدمة التحقيق (قد ألمحت في استطلاع سابق إلى كثيرة المكتبات الخاصة في القطيف، ثم لقيتُ أجمل ترحيب من أصحاب خمس من المكتبات القطيفية الخاصة، الذين فتحوا لي قلوبهم قبل مكتباتهم، وتخلّصت من دعواتهم الكريمة للضيافة التي ستستهلك وقت عملي بالاحتجاج كذباً أحياناً بوجود مواعيد، ولا مواعيد وقتها، فكانوا في غاية اللطف في قبول الاعتذار، وأذكر على رأس هؤلاء فضيلة الشيخ حسن الصفّار، الذي أكرمني مراراً بإهدائي كتباً هي من أعزّ عليّ من ألف وليمة، ولا ألتقيه إلا ويذكر فطوراً أو غداءً أو عشاءً، وتلك طبيعة متأصّلة فيه مع كل زائر، واتصل بي ـ جزاه الله خيراً ـ على كثرة التزاماته (في آخر يوم لي في القطيف من تلك الزيارة الرمضانية)، وعتب عليّ بما يشبه القول: (يعني ستذهب دون أن نقوم بواجبك) فله أجزل الشكر، فقد أخذت واجبي وزيادة.

وفيما يلي نص ما نشر عن مكتبة سماحة الشيخ حسن الصفّار:

في محافظة القطيف (في مدينة القطيف نفسها) مكتبتان إن وصلت إليهما كفتاك

* الفيصل (مجلة ثقافية شهرية) رمضان ـ شوال ١٤٣٣هـ أغسطس ـ سبتمبر ٢٠١٢م العددان ٤٣٥ – ٤٣٦.

عن مكتبات القطيف، أولاهما المكتبة القطيفية لصاحبها السيد عبّاس الشبركة، وهي مكتبة متخصصة في الكتاب القطيفي تأليفاً وتحقيقاً، وترجمة، وتضم أكثر من ثلاثة آلاف عنوان على ذلك التخصيص، وقد تحدثت عن هذه المكتبة في المقال السابق. ولا حاجة إلى إعادة الكلام.

وأخراهما: مكتبة الشيخ حسن بن موسى الصفار، وهي ليست من أهم مكتبات محافظة القطيف الخاصة، بل أهمها قاطبة وأولى مكتباتها؛ لعدة مزايا، منها: أن منشئها الشيخ الصفار أتاحها للباحثين يرتادونها من دون الحاجة إلى تنسيق سابق على امتداد العام من الثامنة صباحًا إلى الواحدة ظهراً، ثم من السابعة إلى العاشرة مساء، وفيها موظفون يقومون على خدمة الباحث، إضافة إلى توفير أجهزة الكمبيوتر للباحثين، وخدمة الإنترنت وآلات التصوير، والكتب الإلكترونية إضافة إلى ضيافة الباحث بالشاي القطيفي البارع الذي يعد باستخدام السماور العراقي.

والمكتبة أيضاً في نمو مستمر، إذ تتزوّد بالكتب من دون توقف، ثم المكتبة منتقاة بعناية من حيث أجود الطبعات، والشمول الموضوعي لمحتوياتها، فصاحب المكتبة طالب علم على ثقافة عالية، ودراية واسعة، ومتابعة مستمرة لأهم الكتب التي يختارها بنفسه، ويندب من يحصّلها من المكتبات داخل المملكة وخارجها. والمكتبة أيضاً مرتّبة موضوعيًا ومفهرسة آلياً.

في مساحة كبيرة بطول الدور الثاني من مجلسه العلمي رُتّبت دواليب الكتب التي ترتفع إلى السقف، وبلغ عدد الكتب يوم زيارتي إليها قرابة، ١٠ آلاف عنوان، موزعة في ١٢٦٥٨ مجلداً في جميع المجالات الدينية والثقافية والعلمية، وقد وقفت فيها على ما يقرب من٥٣ تفسيرًا للقرآن الكريم من تفاسير الشيعة وأهل السنة.. وبعض تفاسير الزيدية والإباضية، وأكثر من ٥٦ مصدرًا من مصادر الحديث الشريف، إضافة إلى عدد كبير من الدراسات الفقهية، والفقه المقارن، ومصادر الفقه لجميع المذاهب الإسلامية، وكتب العقائد، والسيرة، والتاريخ، والتراجم، والأدب، والعلوم

الاجتماعية، والثقافة العامة، إضافة إلى الموسوعات العامة والمتخصصة، والدوريات التـي تصـدر داخل المملكـة وخارجها، وتصـل أعدادها إلـى المكتبة بشـكل دوري. ويسعى الشيخ حسن إلى تجهيز مكتبة متخصصة للأطفال.

المكتبة مكتبة خاصة أصلاً، لكن صاحبها ـ كما قال ـ لا يؤمن باحتكار العلم، لذلك هي مفتوحة لأي شخص من المنطقة أو خارجها يريد أن يستفيد منها طوال أيام السنة، باسـتثناء أيام الجمع. وقد صرف صاحب المكتبة اهتمامه في إنشـائها لأجل المعرفة، لذلـك لـم يهتم بالمخطوطات والنوادر كمـا يقول، وإنما بقي لديه عـدد قليل جدًّا من الكتب النادرة التي تملّكها في طفولته منها كتاب (البلوى في بنات حواء) الذي تملكه في ٤/ ٦/ ١٣٨٨هـ وهو في الحاية عشـرة من عمره، وكتاب (روح الدين الإسـلامي) لعفيـف عبدالفتاح طبّارة، الذي تملكه في ٩/ ٣/ ١٣٨٨هـ. ولا تخلو المكتبة من كتب عليها إهداءات مؤلفيها من علماء شيعة وسنة.

تجوّل بنا الشـيخ حسـن الصفار في مكتبتـه، وحدّثنا عنها وعـن رحلته مع الكتاب حديثاً شائقاً، نقتطف منه قوله: (قصتي مع الكتاب والمكتبة قصة قديمة، بدأت وأنا في العاشـرة من عمري سـنة ١٣٨٧هـ حين أخذت في اقتناء الكتب، وتكوين مكتبة خاصة شـراءً وإهداءً. ومع مرور الوقت تجمع عندي مئات من الكتب إلى سـنة ١٤٠٠هـ، ثم غـادرت البـلاد، وبقيت هذه المكتبة فـي القطيف، فلم أجد من المناسـب تجميد هذه الكتب في مكانها فشـجعت الإخوة أن يأخذوا منها ما يفيدهم ويتملّكوه، وهكذا توزّع أغلب تلك الكتب، وحينما رجعت إلى البلاد سـنة ١٤١٥هـ وجدتُ عشـرات من تلك المئات من الكتب، فبدأت من ذلك العام بتكوين هذه المكتبة التي تراها. وبين سـنتي ١٣٩٥ و ١٣٩٨هـ كنت أتردد على مسقط عاصمة سلطنة عمان، وأبقى فيها ثلاثة أشهر ونحوهـا من كل عام للخطابـة والتبليغ الديني، فكوّنت لي مكتبة هنـاك أيضاً، وعندما تركت مسـقط في آخر رحلة لي إليها في العام المذكور (١٣٩٨هـ) تركت تلك المكتبة أيضاً للشباب هناك حتى يستفيدوا منها. فكانت هي المكتبة الثانية، وتوزعت بين شباب

مسقط، وحينما ذهبت إلى إيران سنة ١٤٠٠هـ بدأت أيضاً بتكوين مكتبة جديدة ثالثة وبقيت هناك إلى سنة ١٤٠٨هـ، ثم انتقلت منها إلى سورية، وتركت مكتبتي في إيران ليستفيد منها المشايخ هناك، وفي سورية أسّست مكتبة كبيرة أيضاً، إذ أقمت في ريف دمشق بين سنتي ١٤٠٨ و ١٤١٥هـ في منطقة السيدة زينب، فكانت مكتبة كبيرة فيها آلاف من الكتب مفتوحة للمطالعة ويرتادها الناس، ولما عُدتُ إلى القطيف وزعت تلك المكتبة الدمشقية على المكتبات هناك، فكانت المكتبة الرابعة فهذه المكتبة التي نحن فيها الآن هي المكتبة الخامسة التي بدأت بتاسيسها سنة ١٤١٥هـ وهي كبرى المكتبات التي أسّستها في سني عمري).

مكتبة جامعة

ليس في مكتبة الصفار تمييز بين الكتب، فتجد كتب الشيعة إلى جانب كتب أهل السنة، والأباضية والزيدية؛ فليس هنا كتاب محظور أو محدود الإطّلاع، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى أنها في الأساس مكتبة خاصة، وليس عندي كتاب يتناول محظورًا بغرض نشر المحظور، وإنما ما نشر بغرض الاطلاع والدراسة. ومن حق الباحثين والعلماء، ومن الواجب عليهم أيضاً، أن يطّلعوا على مختلف الآراء حتى يستطيعوا مناقشتها والرد عليها. أما إذا لم نطّلع على ما في كتب اليهود والنصارى والشيوعيين والفِرَق المختلف فكيف نستطيع أن نناقشها؟!

وأذكر هنا أن الشيخ الصفار عالم في طليعة علماء القطيف المعاصرين، بدأ بممارسة الخطابة سنة ١٣٨٨هـ وهو في الحادية عشرة من عمره، وألبس العمامة سنة ١٣٩١هـ وهو في الرابعة عشرة من عمره بتوجيه من الشيخ فرج العمران، وصدر له من المؤلفات حتى اليوم ١١٣ عنواناً، وله نشاط إصلاحي مشهود بإشاعة روح التسامح والتعايش والتنوع الثقافي.



الشيخ الصفار يحذّر من الثقة العمياء في التعاملات المالية

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إن النصوص الدينية دعت الإنسان أن يكون يقظًا في تعاملاته المالية، وحذرته من أن يكون ساذجًا أو «على نياته».

وأضاف: بعض الناس يضعون ثقتهم في غير محلها، ثم يندمون ويرددون «لم أتصور أنه يخدعني».

وأبان سماحته أن النصوص الكثيرة تحث الإنسان على العطاء والبذل، وتقابلها نصوص تدعو الإنسان أن يكون مهتمًا ودقيقًا في تعامله مع الآخرين.

وقال سماحته في كلمة ألقاها ضمن البرنامج الأسبوعي ليلة الجمعة (٣/ ١١/ ١٤٣٣هـ): إن الإنسان الذي يفرّط في حقه لا يثيبه الله ولا يحمده الناس.

وعن حق الإنسان بالتنازل عن حقه قال الشيخ الصفار: أن يتنازل الإنسان عن حقه بطيب خاطر فهذا محمود، أما أن يخدع ويسكت عن حقه ويقول: «سلمت أمري إلى الله» فإن الله لا يثيبه على تضييع حقه.

وطالب الشيخ الصفار بأن يكون الإنسان دقيقًا، ولا يكون ساذجًا، فالشرع «يرفض أن تخدع في أموالك، ويطالب بالتدقيق في القضايا المالية».

وحذّر سماحته مما يجري من تساهل في تسليم الأموال أو الممتلكات دون توثيق،

متسائلًا: لماذا التهاون في توثيق المعاملات المالية؟

وذكر سماحته أن الإمام الحسين عليه السلام كان يشتري البضاعة ويماكس (أي يطلب الشراء بسعر أقل)، ثم يوزع ما اشترى، وعندما يسأل يقول: إن أبي حدثني عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «المغبون لا محمود ولا مأجور».

وختم داعيًا للدقة في التعاملات المالية، وحسن التدبير، بأن يحمل الإنسان فكرًا ناقدًا وفاحصًا، وألّا يرضى الإنسان لنفسه أن يكون في موقعية من يستغفله الآخرون لأخذ ماله.



٧

الشيخ الصفار: الإسلام يدعوا للاهتمام بالأناقة والجمال

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن الإنسان السّوي يتفاعل مع الجمال المحيط به، وأن الإسلام لا يكبت هذه الغريزة بل له رؤية حولها يوجهها ويرشّد استخدامها.

وأبان سماحته: أن علماء النفس يذكرون من جملة الغرائز الأصيلة عند الإنسان غريزة حب الجمال، فالإنسان بطبعه وفطرته يعشق الجمال.

وتساءل: إذا كان الله سبحانه وتعالى أودع في نفس الإنسان غريزة حب المنظر الجميل، والرائحة الطيبة، والصوت العذب فكيف يحرم الاستمتاع بها؟

وأجاب سماحته في كلمته الأسبوعية في مكتبه بالقطيف ليلة الجمعة (١٦/ ١١/ ١٤٣٣هـ) الدين منسجم مع الفطرة ولا يكبت الغرائز، بل يوجهها ويرشد إلى الاستخدام الأفضل لها.

وأضاف: القرآن ينفي التنافي بين العبادة والمظهر الجميل ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، إذ لا بدّ للمسلم أن يتطهر ويتطيب إذا أراد الذهاب إلى المسجد، فإن الأناقة تزيد في ثواب العبادة.

وأشار إلى أن الآية ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ تحث على أن يكون مكان التقاء المسلمين مريحًا ونقيًا وأنيقًا، لما في ذلك من انعكاس على نفس الإنسان، وليكون المنظر العام للتجمع الإسلامي أنيقًا.

وقـال: إن الزينـة تعني إظهار الشـيء جميلًا في أعين الآخريـن، أي فليكن منظرك كفرد جميلًا، وليكن مظهركم كأمة أنيقًا، فإن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جميل يحب الجمال».

وأبان الشيخ الصفار أن النظافة دليل وعي الناس وذوقهم واهتمامهم، وهذا ما يريده الإسـلام مـن الناس أن تكون حياتهم الأجمل، ﴿قُلْ مَنْ حَـرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾؟ والمؤمنون أولى من غيرهم بالاستمتاع بهذه النعم.

وأشـار إلى أننا بحاجة من أجل تطور مجتمعنا ورفعته في جانب الأناقة والجمال، والمحافظة على المنظر العام، إلى وجود تربية صحيحة، مصحوبة بقدوة حسنة، وإلى وجود ثقافة عامة تدفع الإنسان للالتزام بهذا السلوك، كما أن وجود نظامٍ عامٍ، ووجود قانون يحدّ من إمكانية المخالفة.



٧

الشيخ الصفار يطالب الدول بالادخار للأجيال القادمة

انتقد سماحة الشيخ حسن الصفار ثقافة الإسراف التي يمارسها الناس أفرادًا ومجتمعات ودول، فإن الزيادة في الإنفاق دون وجه حق إسراف حرمه الله.

وقال سماحته في كلمة ألقاها في مكتبه الخميس ٢٤ ذي القعدة ١٤٣٣هـ الموافق ١١ اكتوبر ٢٠١٢م: إن الإنسان المؤمن، والمجتمع المؤمن، والدول التي تعمل من أجل مصلحة مواطنيها، يتصرفون بمسؤولية تجاه ثرواتهم والمال العام.

وأضاف: الإنسان المؤمن يشعر بمسؤولية تجاه المال، سواء كان خاصًا أو عامًا، ويرى أن تصرفه فيه تحت طائلة المساءلة في الدنيا والآخرة.

وأوضح سماحته أن الإسلام اعترف بالملكية الخاصة، لكنه أرشد لاستخدامها في مواضعها، دون إسراف أو بخل ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

وعن وصف المبذرين في القرآن الكريم بأنهم ﴿إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ قال سماحة الشيخ الصفار: لأنهم تجاوزوا الحدّ في الصرف، ولا يحسنون التصرف بمسؤولية.

وأوضح سماحته: أن الفرق بين الإسراف والتبذير هو في الكمية والكيفية، فإذا تجاوز الإنسان الحدّ في الإنفاق اعتبر مسرفًا، أما إذا أنفق في غير موضعه فهو مبذر.

وطالب الشيخ الصفار أن يعالج مرض الإسراف على جميع الصُّعُد، على المستوى

الفـردي والاجتماعي، وعلى مسـتوى الـدول، فبعض العادات الفرديـة والاجتماعية، وحتى ما تمارسه الدول يدخل في تصنيف الإسراف.

إن ثـروات الوطـن كالبتـرول ملك لأبنائه مـن الموجودين والأجيـال القادمة، ولا يصح الإسراف في استخراج النفط على حساب المستقبل.

ورفض سماحته التعامل دون مسؤولية مع الثروات كالماء والكهرباء، والاستسلام للعـادات والأعـراف الاجتماعيـة التي تسـيء التصـرف بنعم اللـه، فإن (سـبب الفقر الإسراف) كما ورد عن علي ﵇.



٧

الشيخ الصفار: الغدير استحضار لسيرة الإمام علي ومنهجه

أشـار سماحة الشيخ حسـن الصفار إلى أن الأمة اليوم بحاجة ماسّة إلى استحضار التجربة العلوية في ممارسـة الحكم والسـلطة، وذلك للنهوض بمجتمعاتها، ولتحقيق جانب كبير من الكرامة الإنسـانية لمواطنيهـا، وبالخصوص ما تمتلكه هذه التجربة من خصائص حضارية عالية.

وقال سماحته: بالإضافة إلى التزام الإمام علي قيمة ومبدأ العدالة الاجتماعية، كان يتحلى أسلوبه في الحكم والإدارة بمنهج العزّة في الدفاع عن الأمة ومصالحها.

وأبان أن «منهج الإمام علي في الحكم والسـلطة هو المنهج الذي أكد عليه رسـول الله ﷺ في حديث شـريف: «يسـلك بكم الطريق المسـتقيم» فالمسـألة لا تنحصر في شخص الإمام علي، وإن كانت له خصوصيته، ولكن منهجه هو المطلوب».

وأشار سماحته إلى أن الإمام عليًّا لقربه وصحبته الملازمة لرسول الله ﷺ كان أشـدّ الصحابة والمسلمين التزامًا بمنهجه وسيرته، ولذلك تعدّ أيام حكمه وتوليه أمور المسـلمين من أنصع اللحظات التاريخية التي مرّت على المسلمين، وذلك لما تقيّد به أمير المؤمنين من قيم وتعاليم الإسلام.

وأضـاف: إن أهـم القيـم التي مارسـها الإمام علـي وهي من أهم مـا جاءت به الديانـات السـماوية، هي إقامـة العدالة الاجتماعية، ذلـك أن أهم ما تحتاجه البشـرية

طوال تاريخها هو العدل، وأهم خطر يداهمها هو الظلم والجور.

ودعا الشيخ الصفار في كلمة له بمناسبة ذكرى يوم الغدير الجمعة ١٨ ذو الحجة ١٤٣٣هـ الأمة للأخذ بمرجعية علي وأهل البيت ﷺ في تفسير الدين، وفي أخذ معالم الدين.

وقال أمام جمع من الحضور في الحسينية الحيدرية بسيهات: إن الإمام عليًّا وأهل البيت ﷺ لم يكونوا مهتمين بموقع الخلافة والسلطة، وعلينا ألا ننشغل بطرحه، فقد أصبح أمرًا تاريخيًا، مع إيماننا بأحقيتهم بهذا الموقع.

وأضاف: كانت الشمس في أوج حرارتها، وقام رسول الله ﷺ خطيبًا في الناس، وقد «سأل الحاضرين: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ ثلاثًا، وهم يجيبون بالتأكيد والاعتراف. قالوا: بلى. بعد ذلك يرفع يد علي بن أبي طالب أمام جميع المسلمين ويقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاده، واخذل من خذله، وانصر من نصره، وأدر الحق معه حيث دار».

وأشار إلى أن ما عرف بحديث الغدير لا يناقش أحد من المسلمين في صحته، حيث رواه عشرات الصحابة، وجاء عن طريق عشرات الطرق والأسانيد، وكلها بهذا النص أو قريب منه.

وعن سبب اختلاف المسلمين في فهم النص قال الشيخ الصفار: المسلمون من إخواننا أهل السنة مع اعترافهم بصحة الحديث وصدقه، إلا أنهم يفسرونه على أنه إعلان لمحبة علي بن أبي طالب، وأن الولاء هنا بمعنى المحبة، وموالاة علي بمعنى محبة علي.

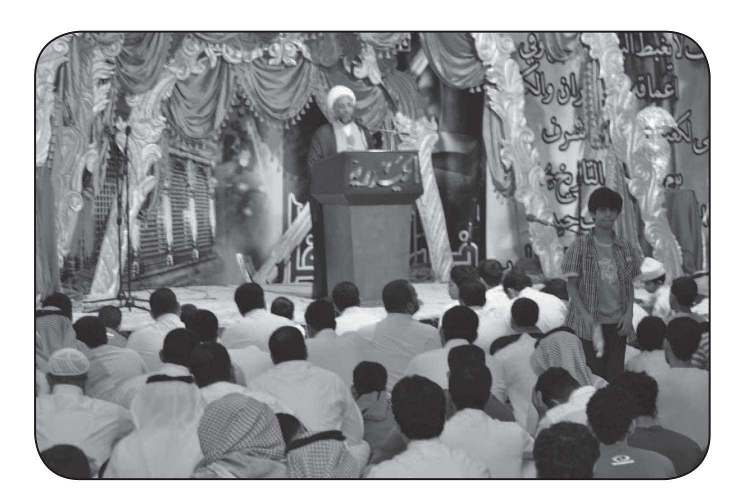
وأضاف: أما مدرسة أهل البيت ﷺ فيفهمون من هذا الحديث أنه نصّ وتأكيد على مرجعية علي للأمة بعد رسول الله ﷺ، وأنه تأكيد على قيادة علي بن أبي طالب للأمة بعده.

واستشهد سماحته بما ورد في المصادر الشيعية عن أئمة أهل البيت ﷺ من تأكيد لهذا الفهم، فعن أبي إسحاق قلت لعلي بن الحسين زين العابدين ﷺ: ما معنى قول النبي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه؟ قال: أخبرهم أنه الإمام بعده. وعن أبان بن تغلب يقول: سألت أبا جعفر، أي الإمام الباقر ﷺ عن قول النبي ص: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال: أعلمهم أنه يقوم فيهم مقامه.

وتابع أننا لا يمكن أن نفهم من نصّ (من كنت مولاه) أنه حديث عن المحبة والنصرة. بل نفهم أنه كإعلان وإيضاح لنصوص كثيرة سبق أن قالها رسول الله ﷺ لتأكيد إمامة علي، ومرجعية علي للأمة بعد رسول الله ﷺ.

أما عن كلام رسول الله ﷺ كما في بعض النصوص «ولا أراكم فاعلين». «ولن تفعلوا ذلك» كما جاء في ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حديث رقم (٨٥٩) عن رسول الله ﷺ: «أن تؤمروا عليًا، ولا أراكم فاعلين، تجدوه هاديًا مهديًا، يأخذ بكم الطريق المستقيم»، وما أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين حديث رقم (٤٤٣٥) عن حذيفة بن اليمان قالوا: «يا رسول الله: لو استخلفت علينا عليًا، قال: إنكم لا تفعلون وإن تفعلوا تجدوه هاديًا مهديًا يسلك بكم الطريق المستقيم»، فقال سماحته: إن ذلك يعني أن وجود القيادة المؤهلة الصالحة شيء، والتفاف الأمة والمجتمع حول تلك القيادة المؤهلة شيء آخر.

وأضاف: ليس دائمًا أن الناس يلتفون حول الأصلح، وحول القيادة المؤهلة. هناك ظروف وعوامل كالجهل والغيرة والحسد والعصبيات والمصالح ومراكز القوى، قد تحول بين الناس وبين اكتشاف الأفضل، أو تحول بين الناس وبين الالتفاف حول هذه القيادة الأكفأ.




الحيدرية





الشيخ الصفار يفتتح معرض «زيان القرآن» في مهرجان الدوخلة

جهينة الإخبارية/ ضياء المعلم

افتتح الشيخ حسن الصفار مساء السبت معرض «زيان القرآن» المخصص للتراث القرآني، ضمن فعاليات مهرجان الدوخلة الثامن المقام على شاطئ بلدة سنابس في جزيرة تاروت..

المعرض احتوى مخطوطات ومقتنيات إسلامية نادرة، وجزءًا من أستار الكعبة المشرفة والمحفوفة بخيوط الذهب، كما وجدت نسخ متنوعة من القرآن الكريم، تنوعت بين التاريخية وغيرها المترجم لجلّ لغات العالم.

واعتبر المدير التنفيذي للمهرجان والمشرف على المعرض سعيد آل طلاق، بأن المعرض إحدى مفاجآت الدوخلة لزوارها هذا العام، مؤكدًا أنه شخصيًا قد ساهم فيما يقارب الخمس سنوات لجمع بعض مقتنيات المعرض، وبمشاركة المهتمين بالمخطوطات خرجنا بهذه النتائج.

وأضاف آل طلاق أن معرض القرآن الكريم احتوى مخطوطات أحدثها يعود لمئة وخمسين سنة، مشيرًا إلى أنه جمع خلال السنوات الخمس الماضية، كل ما له صلة في القرآن الكريم، وشرع في إعداد برنامج متكامل.

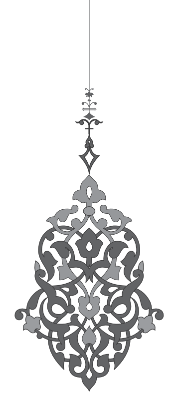
وتابع: أصبح لدينا ٢٦ مخطوطًا قرآنيًا، موزعة على مساحة ٨٠٠ متر، إضافة إلى

قبة مسجد ومحراب، وباب قديم، نحتت عليها آيات قرآنية، وأيضًا نماذج لكسوة الكعبة، إضافة إلى الصوتيات والتكنولوجيا التي خدمت في نشر القرآن الكريم، وأيضًا ٣٢ مصحفًا مترجمًا من إنتاج مطبعة الملك فهد، ومصاحف مطبوعة حديثة.

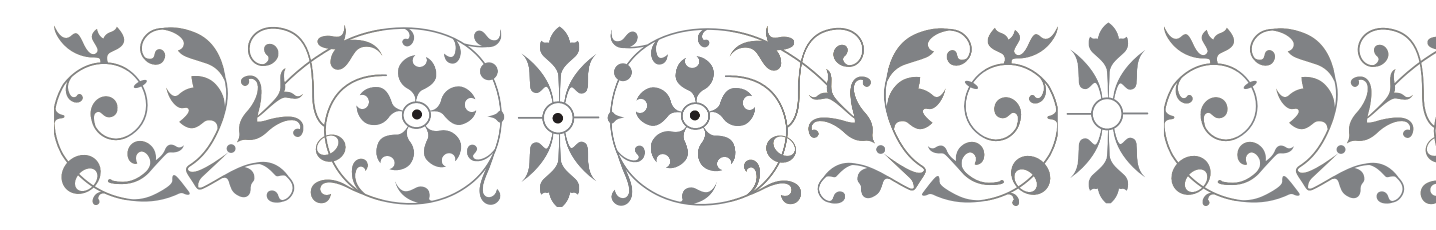
وأشار آل طلاق إلى توسع العمل على معرض القرآن الكريم الذي يحتوي مخطوطات فريدة من نوعها وذات تاريخ عريق ومميز يعود تاريخ بعضها لمئات من السنين.







ندوات ومحاضرات





٧

كلمة الشيخ الصفار في مهرجان النجمة المحمدية الولائي الثاني (1)



بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على سيدتنا ومولاتنا بطلة كربلاء ومن صاغت بالتاريخ أروع صور التضحية والفداء... سيدتنا السيدة زينب الكبرى بنت علي أمير المؤمنين، ثم السلام عليكم أيها الأخوة المحتفون بذكرى ميلادها المبارك...

السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته...

قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[سورة النور، الآيتان:٣٦-٣٧]، سئل رسول الله ﷺ حينما نزل الوحي بهذه الآية الكريمة من قبل بعض الحاضرين من أصحابه

---

(١) أقيم المهرجان في حسينية الزهراء ـ منطقة السيدة زينب عليها السلام ـ دمشق، بتاريخ ٥ جمادى الأولى ١٤١٤هـ ـ ٢١/ ١٠/ ١٩٩٣م ـ http://al-najma.org.

قائلًا: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ يا رسول الله هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة؟ فأجابه رسول الله فورًا وبلا تأخير وبلا تردد وعلى مسمع من جميع الحاضرين... قال: «نعم، من أفاضلها»[1].

... من أشرف البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، هو بيت علي وفاطمة، هذا البيت العلوي الشامخ شاء الله سبحانه وتعالى أن يبقى شامخًا على مرور التاريخ والعصور، وألّا يتحدد ضمن منطقة جغرافية واحدة، وإنما أصبحت له فروع وامتدادات في مختلف البقاع التي شاء الله تعالى أن تكون مكانًا لهذه البيوت الرفيعة، ونحن هنا في منطقة تفخر بأن فيها امتدادًا لذلك البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، بيت علي وفاطمة... مرقد الحوراء زينب فرع من ذلك البيت الطاهر العظيم الشامخ، ويجب أن نشكر الله تعالى على نعمة مجاورة هذا المرقد الشريف، وأن نشكر الله تعالى على التوفيق لزيارة هذا المكان المبارك...

إنها التفاتة طيبة ومبادرة رائعة أن يُحفل بميلاد السيدة زينب عليها السلام حيث مرقدها المبارك، وحيث مقامها الشامخ... إننا نشكر الأخ الدكتور عصام عباس على مبادرته الطيبة، ونرجو أن تصبح سنة حسنة في هذه المنطقة، وأن تكون تأسيسًا لتقليد عام شامل في الاحتفاء بذكرى ميلاد السيدة زينب في هذه المنطقة التي بوركت بأنها احتضنت جثمانها المبارك.

كما تعلمون فهناك في مصر مرقد ينسب أيضًا للسيدة زينب عليها السلام، وعادةً ما تحتفي تلك المنطقة بذكرى ولادة السيدة زينب عليها السلام بمهرجان شامل واسع يعم المنطقة كلها... أجواء القاهرة في ذكرى ميلاد السيدة زينب تكون عامرة بالفرح والبهجة والسرور والمهرجانات... لقد توفقت في إحدى السنوات أن أحضر مثل هذه المناسبة في القاهرة، فرأيت مظاهر البهجة والاحتفال والسرور في تلك المنطقة بميلاد السيدة

---

(١) شهاب الدين السيد محمود الألوسي. تفسير روح المعاني، ج١٧، الطبعة الرابعة١٤٠٥هـ، (بيروت ـ دار إحياء التراث العربي)، ص١٧٤.

زينب، وفي الواقع فإن هذه المنطقة هي أولى وأجدر لما أثبته البحث والتحقيق من أن السيدة زينب الكبرى في الأقرب أنها هنا في هذه المنطقة، ولما في هذه المنطقة من وجود ينتسب إلى السيدة زينب، فكان الأولى والأجدر بأهل هذه المنطقة الذين يعيشون بركات السيدة زينب المادية والمعنوية، ويتشرفون بمجاورتها... أن تكون هذه المنطقة في مثل هذه الأيام عامرة بالاحتفالات ومظاهر البهجة والسرور والفرح والتعظيم والتكريم لهذه الذكرى العطرة، كثير من الحقائق لها في نفوس الناس جذور واهتمام لكن شيئًا من الغفلة والإهمال هو الذي يحول بين الناس وبين الاهتمام بهذه الحقائق، وفي مثل هذا المورد تنطبق الآية الكريمة: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات، الآية:٥٥].

هذه البادرة الطيبة في إقامة الاحتفال بولادة السيدة زينب إنما هي رسالة تذكير لنا جميعًا، لجميع المقيمين في هذه المنطقة ومحبي السيدة زينب بأن يهتموا بهذه المناسبة، وأن تقام الاحتفالات والمهرجانات على مختلف المستويات... ونأمل أن يكون الاحتفاء في السنة القادمة بشكل أوسع وأكبر بما يليق والمكانة العظيمة لهذه السيدة الجليلة.

عندنا أحاديث ونصوص كثيرة تشجع الإنسان المؤمن على مجاورة الصالحين، وتعتبر الجار الصالح من مظاهر السعادة في هذه الدنيا. لماذا تكون مجاورة الجار الصالح من تجليات السعادة؟ ولماذا يشجع الإسلام على مجاورة الصالحين؟ السبب جلي وواضح لأن الإنسان يتفاعل مع من يجاوره ويكتسب منه ويتأثر به... إذا جاور الإنسان أناسًا صالحين فإنه مع مرور الوقت والزمن يتأثر بأجوائهم وأخلاقهم وسلوكهم... هو يتأثر وعائلته تتأثر وأولاده يتأثرون...

نحن نعتقد أن أولياء الله أحياء يرزقون عند الله... هم ليسوا أمواتًا... السيدة زينب وأهل بيتها الكرام أحياء ليسوا أمواتًا... إنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وحينما نجاور مرقد السيدة زينب يجب أن ندرك أننا لا نجاور شخصًا ميتًا، إنما نجاور شخصًا

يعيش الحياة بأفضل تجلياتها... نحن لا نجاور زينب الميتة... نحن لا نجاور زينب المتوفاة...

نحن لا نجاور زينب التي هي جسد في باطن الأرض... نحن نعتقد أننا نجاور زينب الخالدة... زينب الحية عند الله... زينب حية خالدة ماثلة في القلوب وفي الأرواح عند الله... وهذا أمر واضح لكل المؤمنين والموالين لأهل البيت، ولذلك نحن حينما نقف على عتبة أي مرقد من المراقد المقدسة، فإننا نستأذن للدخول؛ لأننا نعتقد أن من يسكنه حي وليس ميتًا، ولذلك نستأذنه ونبدي كل مظاهر التقديس والتعظيم والإجلال والاحترام.

بناءً على ذلك عندما نجاور السيدة زينب، وهي أفضل مصداق للجار الصالح، وعندما نعتقد أنها حية حاضرة شاهدة، فهذا يعني أن علينا أن نسأل أنفسنا عن انعكاسات هذا الجوار علينا؛ إلى أيّ حدٍّ نستفيد نحن من بركات جوار السيدة زينب حتى ينطبق علينا أننا نستفيد من هذا الجوار الصالح الطيب، يهمني هنا أن أشير إلى بعض النقاط تذكيرًا لنفسي ولجميع الأخوة المؤمنين بهذا الأمر الهام:

أولًا: إن علينا ونحن ننعم بمجاورة السيدة زينب أن نسأل الله أن يديم هذه النعمة علينا. كثيرون كانوا يجاورون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويجاورون سيد الشهداء الإمام الحسين، ولكنهم لظروف قاهرة قاسرة اضطروا لمغادرة تلك الأماكن المقدسة، فارقوا تلك القباب النيرة المشعة، وقلوبهم يغمرها الحنين والألم لمغادرة تلك الأماكن المقدسة... إننا نرجو ألّا يحرمنا الله نعمة زيارة السيدة زينب ومجاورة السيدة زينب... نسأل الله أن يديم الأمن والأمان والاستقرار في هذا البلد الطيب بوجود السيدة زينب، حتى يكون المجال متاحًا للمؤمنين دائمًا وأبدًا لكي يتنعموا بزيارة السيدة زينب. كم من المؤمنين يتمنون أن يلثموا عتبات حضرة الإمام الحسين عليه السلام! كل المؤمنين يتمنون أن تكتمل أبصارهم برؤية قبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في

النجف الأشرف، لكنها نعمة حرمنا منها بسبب ذنوبنا وتقصيرنا، وعدم شكرنا لتلك النعمة، حينما كنا نعيش في ربوعها وأجوائها.

فعلينا أن نحافظ على هذه النعمة، بأن نعرف حق السيدة زينب ومكانتها، وأن نعرِّف أبناءنا وعوائلنا من هي السيدة زينب، وما هو فضلها ومكانتها وحياتها وجهادها... الزائرون الذين يأتون من أماكن نائية وبعيدة تجدهم يحرصون على زيارة السيدة زينب ولثم عتباتها المباركة، بينما قد ترى المقيم عازفا أو زاهدًا وقد لا يرى من اللازم أن يكثر التردد... إن أحدنا لو كان يعيش مع والديه، قد يرى من الجفاء أن يمر عليه اليوم ولا يزور فيه والديه، فكيف يسمح الواحد منا لنفسه أن يقصر في مجال زيارة السيدة زينب وفي معرفة حياتها وسيرتها وجهادها؟ علينا أن نتعرّف على ذلك وأن نربي عوائلنا وأبناءنا لكي يعرفوا قدر هذه النعمة، المسألة ليست مسألة الظروف الحياتية المادية التي قد تكون صعبة في منطقة وسهلة في منطقة أخرى...

البارحة التقيت أحد المؤمنين، كان قد ذهب إلى لندن لكي يعيش هناك، ولكنّه عاد، سألته: لماذا عدت من لندن؟ فقد كنت تعمل من أجل أن تبقى هناك، فقال: نعم كنت أسعى ولكن حينما ذهبت إلى هناك ومرت الأيام والشهور عندها أدركْتُ وأدركَتْ عائلتي أننا فرَّطنا في نعمة كبيرة ما كنا نعرف قيمتها، قلت: وماذا تقصد؟، قال: زيارة واحدة للسيدة زينب تساوي الدنيا وما فيها. وفعلًا حسابات الإنسان الصالح المؤمن ليست حسابات مادية فقط، فالاعتبارات الروحية الدينية المعنوية تكون أرفع وأهم عنده من أي اعتبارات مادية، إذًا هي نعمة يجب أن نعرف قدرها.

ثانيًا: علينا أن نكون في مستوى مجاورة السيدة زينب؛ لأن الناس عادة ما يرون في أصحاب الإنسان ومجاوريه صورة له... أنت حينما ترى تلامذة أي عالم وأصحابه والملتفين حوله فأنت تحكم عليه من خلال أخلاقهم... إذا رأيت هؤلاء الناس أخلاقهم طيبة جيدة، حينها تدرك أن هذا العالم قد رباهم على هذه الأخلاق، وحينما ترى أن أخلاقهم سيئة غير مناسبة، سوف لا تسقط شخصياتهم

فقط في نظرك، وإنما من يلتفون حوله... عادة هكذا الناس يقيِّمون...

عندما يأتي الناس إلى هذه المنطقة يجب أن يروا في الملتفين حول السيدة زينب صورة من شخصية السيدة زينب، أن تكون الأجواء في هذه المنطقة تعكس سيرة زينب، أن يكون المتوافدون لهذه المنطقة تلامذة صالحين صادقين للسيدة زينب بأخلاقهم وسلوكهم وأعمالهم وأنشطتهم، والحمد لله، بتوفيق من الله أصبح هنا حول السيدة زينب وجود ديني اجتماعي، العديد من الحوزات العلمية والمدارس والمؤسسات، الكثير من المؤمنين من مختلف البقاع استظلوا بظلال السيدة زينب... هذه نعمة كبيرة، وأمر مهم أن يكون الوجود حول مرقد السيدة زينب يمثل مركز إشعاع، وصورة تعكس حياة السيدة زينب وشخصيتها ومواقفها، ولا بدّ هنا أن نذكر الفضل لأهل الفضل، وأن نترحم على الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي؛ لأنه كان سببًا مباشرًا وقريبًا، شاء الله أن يجري الخير على يدي هذا السيد، فكان هو الذي باشر وأسس هذا الوجود في ذلك الوقت الصعب، حيث لم تكن الأمور بهذا الشكل المناسب الذي نراه الآن.

هذا الوجود الديني حول مرقد السيدة زينب ينبغي أن تتجلى فيه السمات والصفات التي تريدها السيدة زينب ويريدها أهل بيت السيدة زينب... هذا الوجود يجب أن تتجلى فيه الصفات الأخلاقية المناسبة؛ التعاون، هداية الآخرين، الاهتمام بالقضايا الدينية والاجتماعية، فهل الأمر كذلك؟... هذا ما نرجوه وما نتمناه.

كل مجاور للسيدة زينب يتحمل هذه المسؤولية، لكن الجهات المنتمية والمتصدرة للأنشطة الدينية من مدارس وحسينيات ومؤسسات تتحمل المسؤولية أكثر، في أن تضفي على هذه المنطقة الطابع الزينبي سلوكًا وأخلاقًا وأجواء، هذه هي مسؤوليتنا جميعًا أن نكون مبلِّغين ونعكس حياة السيدة زينب للآخرين... الزائرون حينما يأتون إلى هذه المنطقة ينبغي أن يخرجوا منها وقد ازدادوا إيمانًا وفكرًا وأخلاقًا طيبة وهدًى في دينهم وبصيرةً في حياتهم.

هناك عوامل سيئة تسعى لإيجاد بعض الأعمال والتصرفات المشينة وخاصة في

المواسم وأيام كثرة الزائرين، تسمعون عن كثير من القصص والمواقف والتصرفات التي لا تتناسب مع قداسة هذا المكان...

بالطبع المسؤولون والقيادة في هذا البلد لا تريد هذا الشيء، وإنما تريد هذا المكان لائقًا بكل ما يحيطه من أجواء لكن عناصر السوء تحاول أن تستفيد من مختلف الفرص، وهنا تأتي مسؤولية المحيطين بهذا المكان... مسؤولية المجاورين للسيدة زينب في أن يتعاونوا ويتعاضدوا لتصبح أجواء هذه المنطقة أجواء لائقة بمرقد السيدة زينب ومكانتها.

أرجو أن يكون مثل هذا الاحتفال وهذه المناسبة دافعًا لنا جميعًا لكي نفكر في واجباتنا تجاه السيدة زينب، ونحن نجاور مرقدها الشريف.

أكرر شكري للقائم على هذا الاحتفال، وأشيد بمبادرته والتفاتته الطيبة، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يأخذ بيديه إلى ما فيه الخير والصلاح، وأن يوفقه لتطوير هذه البادرة، وأن يتآزر الجميع معه في إحياء هذه المناسبة العظيمة.

وسلام على سيدتنا زينب وعلى جدّها وأبيها وأمها وأخويها والتسعة الهداة من ذرية أخيها، وعليكم أيها المجاورون لها، والمحتفون بذكرى ولادتها جميعًا ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.





٧

سماحة الشيخ يحتفي بذكرى الغدير في أم الحمام

بدعوةٍ من الأخوة المؤمنين في أم الحمام شارك سماحة الشيخ حسن الصفار مساء يوم الأربعاء الموافق ١٧ ذو الحجة ١٤٢٣هـ، في حوارٍ عنوانه: أمير المؤمنين رائد العمل الإسلامي. وذلك في حسينية الحرز، وقد أدار الحوار الشيخ محمد عبد العال.

وبعد تلاوة آياتٍ من الذكر الحكيم، وكلمة الافتتاح التي ألقاها مدير الحوار الشيخ محمد عبد العال، ألقى سماحة الشيخ كلمة هنأ فيها الحضور بالعيد الكبير عيد الغدير، وتحدث في بداية كلمته عن معنى العمل الإسلامي وقال: إنه يعني العمل من أجل الإسلام، ونشر المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام. ثم تحدث سماحته عن ما تميز به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فأصبح بلا منازع رائد العمل الإسلامي بعد رسول الله. ومن تلك الميزات:

أولاً: العائلة

فأمير المؤمنين نشأ في عائلةٍ تبنت الدعوة الإسلامية من أول أيامها. فأبوه أبو طالب ، هو المدافع والمحامي عن الإسلام. وأمه فاطمة بنت أسد وهي التي يشهد لها الرسول الأعظم بالمكانة والمنزلة الرفيعة، والتي بذلت رعايتها وحنوها للرسول يوم كان في كفالة عمه أبي طالب.

ثانيًا: السمات الشخصية

توفرت في علي ﷺ سماتٌ قلّ أن تجدها في غيره من أصحاب رسول الله، ومن تلك السمات:

أولًا: الوعي

الوعي مهمٌ جدًا للعامل الإسلامي؛ لأن العمل الإسلامي بلا وعي يُسيء للإسلام بدلًا من خدمته، ففي الرواية «عن انس بن مالك قال: أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ. فقال: كيف عقله؟ قالوا: يا رسول الله، نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير، وتسألنا عن عقله؟! فقال ﷺ: إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غدًا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم».

وقال سماحة الشيخ إن الوعي مهمٌ في بعدين:

١. الاعتناق الديني:

إذ إن الفرد إذا اعتنق الإسلام عن وعي ومعرفة فإنه يكون أكثر تمسكًا بالدين من الذين يعتنقون الدين عن غير وعي.

٢. الممارسة الدينية:

كذلك الوعي يعطي الإنسان اندفاعًا نحو الممارسة الدينية برغبة واقتناع، وعلى بصيرةٍ وإدراك.

ثانيًا: الإخلاص

يتجلى الإخلاص عند أمير المؤمنين في أجلى صوره وأرقاها، فهو قد أخلص للمبدأ والدين بغض النظر عن جانبه الشخصي. وفي ذلك درسٌ لنا جميعًا، إذ ينبغي للعاملين في سبيل الله أن يتحلوا بهذه الصفة، إذ بها يرتقي العامل للإسلام سلّم المجد والكمال، فتراه يعمل لا لأجل السمعة والجاه ومدح الناس، وإنما يعمل من أجل إعلاء

كلمة الحق.

وبالإخلاص يتجاوز الإنسان ذاته والتمادي الفئوي والمذهبي، ليوظف موقفه لمصلحة الأمة والرسالة، كما فعل الإمام علي بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ثالثًا: الاستمرارية

كثيرٌ هم العاملون في سبيل الإسلام، ولكن قيلٌ منهم الذي يستمرون في العمل والعطاء، ترى البعض منهم ما إن يتزوج أو يُنجب أطفالًا حتى يبتعد عن العمل، ويرفع شعارًا وهميًا لا أساس له من الصحة، بأنه يدع الفرصة للآخرين. اسمعوا ما يقوله أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد نهضت بها وأنا دون العشرين، وها أنا قد ذرّفت على الستين».

رابعًا: التضحية والعطاء.

وذلك بأن يكون الإسلام هو الهمّ الأول والمحور الأساس في حياة الإنسان، ومن أجله يبذل الجهد والوقت والمال، ويُضحي بالسمعة والمنصب والمكانة.

تعالوا نتتلمذ على يد أمير المؤمنين عليه السلام، فهو المعطاء وهو المضحي، ضحى بالخلافة من أجل الإسلام، وضحى بالأصدقاء من أجل كلمة الحق، وضحى بنفسه من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله.

من خلال كل ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام وما زال رائد العمل الإسلامي، وعلى كل من تتوق نفسه للعمل الإسلامي أن يتخذ من سيرة أمير المؤمنين مشعلًا وضّاءً يضيء له درب الهدى والصلاح.

وبعد الكلمة دار حوارٌ شيقٌ بين سماحة الشيخ والحضور الكريم، أثيرت فيه بعض النقاط الملامسة لقضية الغدير وأهميتها، وأيضًا الدروس التي ينبغي استقاؤها من حياة أمير المؤمنين، كتحديد الأولويات في الزمن المعاصر، اقتداءً بما كان يُمارسه أمير المؤمنين عليه السلام في حياته، وكذلك طبيعة العمل الإسلامي المطلوب في الوقت الحاضر من خلال سيرة أمير المؤمنين عليه السلام.



كلمة الشيخ الصفار في مهرجان ترانيم السنوي[1]

أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، بسم اللّه الرحمن الرحيم.

والصلاة السلام على أشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

قال اللّه العظيم في كتابه الحكيم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والْمُؤْمِنُونَ﴾[سورة التوبة، الآية: ١٠٥].

أبارك لكم جميعًا حلول هذا الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك، وأسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يجعله علينا وعليكم وعلى جميع المؤمنين والمسلمين وأبناء البشرية جمعاء شهر خير وبركة وتقدم، وأن يوفقنا اللّه وإياكم فيه إلى الصيام والقيام، وإلى صالح الأعمال، ومقبول الطاعات.

كما أبارك للإخوة الأعزاء في ترانيم انعقاد مهرجانهم السنوي، الذي أصبح معلمًا تفتخر به المنطقة، ويفتخر به المجتمع، لما يبرز من كفاءات وقدرات، ولما يجلي من صورة فنية رائعة، تتحدث عما يكنّه المجتمع من توجهات خيّرة، وإبداعات عظيمة، أسأل اللّه تعالى لهم دوام التوفيق والتقدم، وأن تكون كل سنة مثار تطور وتقدم عن

---

(١) فعاليات مهرجان ترانيم السادس ـ قاعة فجر ترانيم بالربيعية، الليلة الثالثة ٤ رمضان ١٤٢٩هـ.

السنوات السابقة إن شاء اللّه.

الآية الكريمة تقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والْمُؤْمِنُونَ﴾، يتمنى الإنسان المؤمن أن تنتشر حالة الإيمان، وأن تكون هي السائدة في المجتمع، ويعتقد المؤمنون بأن توجههم الإيماني هو الأنفع للناس، وهو الأصلح لأبناء المجتمع، كما يعتقدون عن تأمل وتعقل بأن التوجّهات الأخرى تضر بأبناء المجتمع، وتبعده عن مصالحه الدنيوية والآخروية، لكن الواقع لا تصنعه التمنيات، ولا تحكمه العقائد والأفكار، وإنما معادلة الواقع الخارجي قائمة على أساس العمل والفاعلية والجدّ والاجتهاد، من كان أكثر فاعلية في الحياة فإن اتجاهه يكون الأقوى فيها، ومن كان أكثر اجتهادًا وعملًا فإنه يكسب الجولة في صراع التوجّهات، وفي صراع الأفكار والمعتقدات.

لذا ينبغي للمؤمنين ألا يقل مستوى عملهم عن مستوى إيمانهم ومعتقداتهم، وإذا حصل تفاوت بين مستوى الإيمان وواقع العمل، فإن ذلك يحكي عن ازدواجية يرفضها القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾، المؤمن مطلوب منه أن يترجم إيمانه ومعتقداته إلى برامج عملية تتحرك على الأرض، وتكون هي الدعوة إلى ما يؤمن به، العمل هو الذي يستقطب الناس، وهو الذي يبرز مصداقية الفكرة، ويجعلها حية مجسدة أمام الناس.

مشكلتنا أن مستوى أدائنا العملي كمؤمنين يقلّ عن مستوى أداء التوجّهات الأخرى، نرى بعض التوجّهات الأخرى التي تختلف معنا في المنهج، أو تختلف معنا في المعتقد، أو تختلف معنا في التوجه، نراها أكثر فاعلية، وأكثر نشاطًا، لذا فمن الطبيعي أن تكون أكثر استقطابًا وتأثيرًا.

فعلى المستوى الاخلاقي نشكو بأن الجيل الناشئ أصبح مستقطبًا لاتجاهات لا تتوافق مع ما نؤمن به من قيم ومبادي وأخلاقيات، إننا نشعر بألم وحسرة حينما نرى مظاهر الانحراف السلوكي والأخلاقي في بعض المساحات والأوساط من أبناء

مجتمعنا، لكن علينا أن نعرف أن مجرد التألم والتحسر، ومجرد التمني، واجترار هذا الكلام في المجالس لا يغير من المعادلة شيئًا، علينا أن نواجه الساحة عمليًّا، بأن نرفع من درجة نشاطنا وفاعليتنا، حتى نكون أقدر على استيعاب ناشئتنا وأبنائنا، وإرشادهم إلى الطريق الصحيح، الذي نأمل أن يسيروا فيه كما سار أسلافهم، لذلك فإن اللّه سبحانه وتعالى يدعو عباده المؤمنين للعمل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ وليس أن تتمنوا، وأن تنظّروا، وأن تتحدثوا ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ العمل هو الذي يحسم المعركة، هو الذي يكسبك الجولة، ويبرز مصداقية الفكرة التي تؤمن بها، هو الذي يمكّنك من استقطاب من تريد استقطابهم.

يجب أن نعترف بأننا مقصّرون في مجال العطاء والعمل، إن في أبنائنا وجيلنا الناشئ الكثير من الطاقات والقدرات، لو فتحنا أمامهم المجال، وصنعنا لهم الأجواء، وكوّنا لهم الأطر المناسبة، لرأيناهم في مستوى من الإبداع، ولتفجرت الطاقات والقدرات، بما يبرز قوة المجتمع، ويؤكد الحالة الدينية والأخلاقية، وما هذا المهرجان ـ مهرجان ترانيم ـ وما هذه اللجان الفنية المتعددة المتنوعة التي تشاركنا كل عام في هذا المهرجان الرائع، إلا دليل وشاهد على أن في مجتمعنا مواهب تبحث عن فرصة، وتبحث عن ساحة ومجال، فعلينا أن نتيح لهم الفرصة لا أن نكتفي بالخطب وبالمقالات، وبجرّ الآهات في المجالس، إنما علينا أن نجند طاقتنا وقدراتنا من أجل دعم هذه الأنشطة المتعددة، في الجانب الفني والاجتماعي والثقافي والإعلامي، حتى نستطيع أن نخوض معركة القيم، ومعركة المفاهيم والأفكار، على المستوى العملي الفعلي.

وهناك نقطة أخرى جديرة بالاهتمام في الآية الكريمة، اللّه تعالى يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ماذا يعني ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ﴾ المسألة ليست فقط أن اللّه يرى عملكم، وإنما التشجيع على العمل، أن اللّه يقدِّر عملكم ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾، يعني أن عملكم موضع تقدير وترحيب من قبل اللّه تعالى، كيف يقدِّر اللّه عمل المؤمنين؟ بأن يزيد في توفيقهم، ويضاعف لهم الأجر والثواب،

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ فإذا عملتم في سبيل اللّه، فإن اللّه تعالى يزيدكم توفيقًا، يزيد لكم الأجر والثواب إن عملتم.

﴿وَرَسُولُهُ﴾ ماذا يعني أن الرسول يرى عملنا؟ يعني أن الرسول يدعو لنا، يشفع لنا، يحبنا حينما نعمل في خدمة القيم والمبادئ، ثم تقول الآية ﴿والْمُؤْمِنُونَ﴾ ماذا يعني أن يرى المؤمنون عملنا؟ يعني أن يمدوا يد الدعم والتعاون والتشجيع، هذا هو المطلوب.

إن اللّه سبحانه وتعالى يعد العاملين بأن المؤمنين سوف لا يقفون منهم موقف المتفرج، إذا عملتم فإن المؤمنين سيرون عملكم، من يعمل في سبيل اللّه في مجتمع إيماني، فسيجد الترحيب والدعم والتشجيع والعطاء من مجتمع المؤمنين، وهنا علينا أن نضع علامة استفهام، حينما يقلّ تفاعل المجتمع مع العمل الديني، هذا يعني أحد شيئين:

إما أن هذا الوعد الذي وعدنا به اللّه تعالى إذا عملتم فإن المؤمنين سيدعمونكم، إما أن هذا الوعد قد تخلف عن التحقق، وحاشاعلى اللّه تعالى أن يعد بما لا يحصل، وإما أن هذا المجتمع لا تتوفر فيه الحالة الإيمانية بالمستوى المطلوب، إذا كانت الحالة الإيمانية متوفرة في المجتمع بالمستوى المطلوب، فإن هذا المجتمع لن يبخل بالدعم والعطاء والتشجيع والوقوف إلى جانب أي حركة عملية؛ لأنه سيرى أن هذا جزء من واجبه، ومن ممارسته الإيمانية.

نجد أن المجتمعات الأخرى تتفاعل مع الأنشطة المختلفة والمتنوعة، يتجاوبون مع الفن من أجل الفن، ويتجاوبون مع مختلف الإبداعات والعطاءات، وهذا يعني أن المجتمع الإيماني يجب أن يكون أكثر تفاعلًا، وأكثر تجاوبًا، مع أيّ حركة تخدم القيم والمبادئ، ومن المؤسف أن نجد العاملين في سبيل اللّه في بعض الأحيان وكأنهم بحاجة إلى الاستجداء، وإلى إقناع الآخرين، من أجل دعم أعمالهم وأنشطتهم، إن هذا يكشف عن شيء من الخلل، علينا أن نتلافاه.

حينما نتألم لحالات الانحراف في بعض أوساط مجتمعنا، وحينما نطمح أن يكون أبناؤنا في خط الهدى والاستقامة، هذا يعني أن نتحمل مسؤوليتنا لدعم كل الأنشطة

والفاعليات والأعمال التي تقوي هذا التوجه الإيماني القيمي، ومن خلال متابعتي ومواكبتي لهذا المهرجان، وللجان العاملة فيه بمختلف ألوان عملها الفني الإبداعي، أشعر بمسؤولية كبيرة، وأرجو أن يوفقنا اللّه جميعًا للتعويض عن هذا الأمر، بمزيد من التفاعل، وبمزيد من التعاون والدعم والتشجيع لهذه الأنشطة، التي لم يعد لنا عذر أمامها.

هذه الأنشطة فرضت نفسها على الساحة الوطنية، وعلى المستوى الاقليمي، وعلى المستوى العالمي، أبناؤنا والحمد للّه أصبحوا يدخلون المسابقات في إنتاج الأفلام، وإنتاج الأعمال الفنية المختلفة، فيشهد لهم الجميع بنجاحهم وتميزهم، وقبل أن يكافئهم الآخرون، وأن يعترف بهم الآخرون، نحن في حاجة إلى أن نفتخر ونعتز بهذا المستوى المتقدم من الإنتاج.

أسأل اللّه سبحانه لهم التوفيق والتأييد، وأدعو نفسي وأبناء المجتمع بمختلف شرائحهم، وخاصة علماء الدين، ورجال الأعمال والمثقفين، أدعوهم إلى دعم هذه الأنشطة وإلى الوقوف معها، والصرف عليها، بما تستحق.

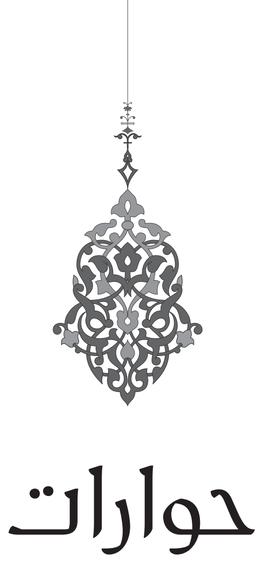
معركتنا لم تعد مقتصرة على أن نبني حسينيات ومساجد، ونقيم مواكب للعزاء، على أهميتها، الحسينيات والمساجد ومواكب العزاء وسائر المظاهر الدينية أمور مهمة، يجب الحفاظ عليها ودعمها، لكنها وحدها لا تكفي.

إن علينا أن ندعم هذا النشاط الفني المتقدم، فهو الأقدر في هذا العصر على مخاطبة الأفكار، والتأثير على المشاعر والاحاسيس، إنه يمثل الآن معركة الصراع الحقيقية بين ألوان القيم السائدة، وبين المفاهيم والأفكار، علينا أن نفتخر بهذا المستوى المتقدم، وأن نقف إلى جانب أبنائنا المعطائين الرواد، على هذا الصعيد.

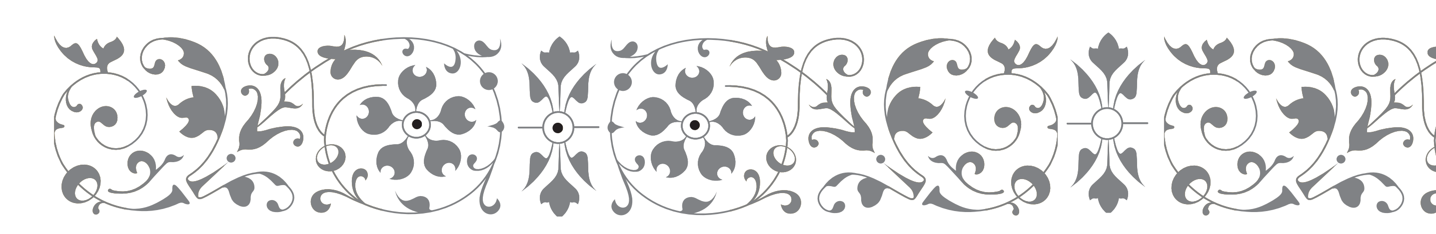
أسأل اللّه تعالى لهم التوفيق، ولهذا المهرجان النجاح، ولكل الإخوة العاملين أسأل اللّه لهم التأييد والتوفيق، والمزيد من خدمة الدين، والقيم الإنسانية والمجتمع إنه ولي التوفيق، والحمدللّه ربّ العالمين وصلى اللّه على نبينا محمد وآله الطاهرين والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.







حوارات





٧

حوار جريدة الشرق الأوسط عن الحوار الوطني[1]

مشاري الذايدي

□ **يتساءل البعض: في هذا اللقاء الحواري الفكري بين السعوديين الذي يتم لأول مرة بحضور كلّ طوائف المملكة، لماذا غاب الليبراليون وغابت المرأة عنه؟ هل هو مؤتمر يركز على المسألة الدينية وإشكالاتها في المقام الأول؟**

◄ أعتقد أن الذي تم في الرياض في مكتبة الملك عبد العزيز الوطنية وبرعاية من سمو الأمير ولي العهد الأمير عبد الله، ما هو إلا بداية لعهد من الحوار والأخذ والعطاء، ولا شك أنها البداية مهمة لكل السعوديين، لذلك ففي تقديري ليس ما تم نهاية للمطاف بل بداية له!

وأما بخصوص مسالة التمثيل، وعدم حضور تنويعات فكرية أخرى مثل الليبراليين، أو فئات اجتماعية مثل النساء، فالذي أعتقده أن منظمي المؤتمر راعوا التدرج في هذا الموضوع، غير ناسيين أن حضور طائفة الشيعة أو الإسماعيلية في هذا المؤتمر يعتبر خطوة مهمة جدًّا، وأتوقع أن المنظمين حرصوا على «تطمين» الجانب المحافظ لحضور المؤتمر، فلا يجمع عليهم التسامح الطائفي بهذا الزخم، مضافًا إليه التسامح

(١) أجري الحوار مع سماحة الشيخ بتاريخ ٢٣ يونيو ٢٠٠٣م.

الفكري مع الخصوم الليبراليين!

ولعله من أجل ذلك تم تحاشي هذا الجمع حرصًا على بناء الثقة، وتشجيع مزيد من الحوار، وإنجاحًا لأولى جولات الحوار الوطني.

□ **هل لاحظت هذا الخوف الذي نشير إليه من الليبراليين في أروقة المؤتمر؟**

◀ الواقع إنني لاحظت قدرًا من التخوف لدى الإخوة السلفيين من الليبراليين، وهذا موقف ليس سرًّا فهو منعكس في وسائل الإعلام والصحف والجدل بينهم وبين الليبراليين معلوم وظاهر، لكنني أعتقد أن هناك نية صادقة لتوسيع قاعدة الحوار الوطني لتشمل الجميع بكلّ وجهات نظرهم ما داموا أبناء وطن واحد يلتقون عليه وينتمون إليه.

□ **نرجع للمرأة، في تقديرك، لماذا غابت عن هذا الحوار؟**

◀ إنني أشيد بالجلسة التي خصّصت للنقاش في وضع المرأة ودورها خلال المؤتمر، وقد شهدت حوارًا وأفكارًا جيدة ومتقدمة عن المرأة ودورها ومستقبلها وحقوقها، ولكن يجب أن ندرك أن مجلس الشورى الذي مضى عليه عدة سنوات لم يستطيع إلى الآن أن يضم المرأة إلى عضويته، فما بالك بلقاء حواري يخطو خطواته الأولى؟!

□ **علمنا أنك التقيت الشيخ سلمان العودة في الفندق، كما أقلّك في سيارته الخاصة، ودارت بينكما أحاديث مطولة، حدّثنا عن هذه الأجواء واللقاءات؟**

◀ بالنسبة لي لا جديد عليَّ في مثل هذه اللقاءات، فأنا من دعاة الحوار والتقارب بين طوائف المسلمين، وعلى الأخصّ بين السعوديين بطوائفهم على قاعدة الوحدة الوطنية والإسلامية، ولذلك فإنني، مع سعادتي بمثل هذه اللقاءات الخيرة إلا أنني أرى فضيلة الشيخ سلمان العودة الأولى بالإجابة عن هذا السؤال.

□ **أسألك عن الانطباع الذي خرجت به بوصفك شيخًا شيعيًّا سعوديًّا، يتم بينه وبين شيخ سني سعودي مثل هذا الحوار واللقاء الجديد على الساحة المحلية؟**

◀ انطباعي أن سبب حصول هذا اللقاء هو وجود المناسبة الصالحة والفرصة السانحة له، لا أكثر ولا أقلّ.

إنني أعتقد أن الشروط الفكرية والنفسية لإجراء هذا الحوار بين الشيعة والسنة في السعودية، كانت متوفرة لدى الكثير من رموز «الصحوة» السعوديين، المفقود كان سماح الأجواء الاجتماعية بلقاء كهذا، فانفتاح هؤلاء على إخوانهم الشيعة كان يحتاج إلى مناسبة عامة يتم تحت عنوانها العريض إجراء مثل هذه اللقاءات، وهذا ما حصل بالضبط في اللقاء الفكري للحوار الوطني، ولعلّه لو حصل لقاء في غير هذه المناسبة لكان هناك لغط ومعارضات طويلة.

□ **هذه الأجواء الانفتاحية، وهذه اللغة المتسامحة طائفيًّا، هل سيتم استثمارها واستكمالها أم سيقتصر على هذه الخطوة اليتيمة؟**

◀ هذا يعتمد على كيفية تعاطي المثقفين وأرباب الرأي والكتاب والمؤثرين في الرأي العام السعودي مع مثل هذه التوجّهات، فإذا لم يتم تدعم دعمًا مباشرًا ومستمرًّا ودائمًا، فإنّ أعداء التسامح ومحبي الكراهية سيناهضون، ما تمّ، وتعود الأمور إلى المربع الأول!

□ **عودة إلى لقائك سلمان العودة، ما هو الانطباع الذي تكوّن لديك، وبماذا خرجت؟**

◀ الحقيقة شخصية الشيخ سلمان العودة أعجبتني، ولفتني اتزانه ونضجه، وعلى العموم فإنني لم أتفاجأ كثيرًا بحرصه على التقارب والتعاضد، فأنا كنت مطّلعًا من الأساس على كلّ شيءٍ من نتاج الرجل وأدبياته، ولحظت فيها ذلك الحرص

العام علة مصلحة الأمة الإسلامية، فكان هذا من هذا.

أما بخصوص اللقاء فالذي تم أننا كنا سوية في المكان المخصص لضيافة أعضاء المؤتمر، ثم اجتمعنا سوية في جناحه، ودار بيننا حديث مفيد، ولما حان وقت انصرافنا إلى مقر الاجتماعات، كانت هناك سيارة مخصصه للضيوف فاقترح الشيخ العودة أن يصطحبني معه في سيارته الخاصة، وافقت وذهبنا سوية إلى مقرّ الاجتماع في مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض، وكان الحديث في السيارة امتدادًا لحديثنا في الفندق.

□ **حسنًا، ما هو الحديث الذي دار في الفندق؟**

◀ كان حديثنا حول أهمية الاتفاق على المشتركات العامة ونبذ الفرقة، ونقد المفرقين من كلا الجانبين، سواء من طرفنا أو من طرفهم، وكرّرنا الكلام على أهمية ألا ينشغل الواعون من الجانبيين بمشاغل التقليدين هنا وهناك، وألا تستغرقنا نزاعاتهم الكلامية التي لا طائل من ورائها.

□ **هـل اختصرت فكرة التقارب وإذابة الفوارق الطائفية بين أبناء الوطن الواحد، في هذا الحديث الجانبي؟**

◀ أبدًا، لقد كانت كلّ أجواء المؤتمر واللقاء الوطني مفعمة بهذه الروح، طيلة أربعة أيام، هي مدة انعقاد المؤتمر، كنا نتحدث ونكسر الجليد، ونؤسس لروح جديدة، اكتشفنا أن الجميع كانوا بحاجة إلى أن يجلسوا مع بعضهم، أن يستمعوا مباشرة من بعضهم، وعلى مدار أربعة أيام وثلاث جلسات يومية، كلّ جلسة تمتد من ساعتين إلى ساعة ونصف، تمكنا من تكوين صورة أكثر إشراقًا، ومن بداية الحوار والتفاهم بين أبناء الوطن الواحد، لقد وجدنا كثيرًا من النقاط المشتركة، سافرنا سوية إلى مكة المكرمة، تبادلنا الأحاديث، لقد عشنا أجواء رائعة من التسامح والإخاء.

واذكر في هذا الخصوص لقطة جميلة، فقد كان الشيوخ الحاضرين للمؤتمر، وهو مشهور بصرامته السلفية، إضافة إلى كبره في السن، كان متردّدًا في بداية المؤتمر ومرتابًا من الآخرين لكن كثيرًا من هواجسه زالت في نهاية المؤتمر، بفعل هذه الأجواء، وفاجأني حينما دعا علنًا إلى إقامة مؤتمر خاص للحوار بين علماء السنة والشيعة، ولم يقل الرافضة!.

□ **ما هي طبيعة الحوار الذي جرت في جلسات المؤتمر، هل كان حوارًا مفتوحًا، أم كان هناك ضوابط وحواجز؟**

◀ كان الحوار في اللقاء مفتوحًا دون أية قيود أو حواجز، وقد امتنعت رئاسة اللقاء من التدخل أو إبداء أي رأي أو تأييد أو اعتراض طوال الجلسات، وقد أخذ المتحدثون حريتهم في النقد والتقويم لكثير من قضايا الواقع المعيش.

□ **صدر عن المؤتمر بيان ختامي تضمن ٢٢ نقطة، هل كل هذه النقاط كانت محل اتفاق بين المؤتمرين أم أنها شهدت خلافًا واعتراضًا؟**

◀ لم تكن هناك صيغة للتصويت على هذه النقاط التي تتضمن البيان الختامي، وإنما استخلصتها أمانة اللقاء من كلام المتحدثين وتوصياتهم المكتوبة، كما قرئت على المشاركين في الرئاسة بالصياغة النهائية وهي في المجمل محلّ توافق الجميع كما يبدو.

□ **استقبل سمو ولي العهد الأمير عبد الله أعضاء المؤتمر، وجرى بينكم وبينه لقاء، حدثنا عمّا جرى في هذا اللقاء، وكيف كان موقف سمو ولي العهد؟**

◀ في اللقاء مع سمو ولي العهد أبدى سموه ارتياحه لانعقاد اللقاء والنتائج الطيبة التي تمخضت عنه وشكر للمشاركين دورهم في إنجاحه وأكد سموه على ضرورة استمرار الحوار وتواصل اللقاءات. وتحدثت بمحضر سموه كما

تحدث الشيخ سلمان العودة والدكتور محمد عبده يماني والشيخ ربيع المدخلي والشيخ عائض القرني والشيخ مهدي آل منجم.

- **هـل هناك حـوارات أخرى مقبلـة، هل حدد موعدهـا، هل سـينضم إليها أطياف أخرى من المجتمع السعودي؟**

- بناءً على توجيهات سمو ولي العهد ورغبة من المشاركين هناك عزم وطيد على جولات أخرى من اللقاء والحوار إن شاء الله، وأتوقع توسيع إطار اللقاء لتحضره شخصيات وجهات أخرى فذلك مما يرسخ الوحدة الوطنية ويعطي الحوار مصداقية كاملة.

- **تم استبعاد الإعلام عن أجواء المؤتمر، فهل سيتكرر هذا الاستبعاد في الجلسات المقبلة إذا تمت. أم أنّ ما حدث في الرياض كان ضرورة باعتبار المرة الأولى التي يعقد فيها منذ تأسيس المملكة العربية السعودية؟**

تحدث أكثر من واحد من المشاركين في اللقاء ناقدًا للتعتيم الإعلامي عليه، وطلبت وآخرون بضرورة إشراك المواطنين فيما يدور على مائدة الحوار، بإطلاعهم على القضايا المطروحة للنقاش، وبأهم الأفكار والآراء المتداولة، مما يسهم في رفع مستوى الوعي العام، ويساعد في تدوير الأفكار الإيجابية، ويؤكدّ منهج الشفافية والوضوح.

لكن إدارة اللقاء كانت حريصة على إبعاد أية آثار سلبية قد تنشأ من التغطية الإعلامية، وقد رأيتم الضجة المثارة في بعض الأوساط عن لقائي الشيخ سلمان العودة، مما يشير إلى أن هناك من لا ينظر بإيجابية، لخطوات التقارب وتوجهات الحوار.

ويأمل الجميع أن يتم التغلب على هذه الإشكالية في الجولات المقبلة إن شاء الله.

٧

الحوار الوطني معطيات وتطلعات



استضاف سماحة الشيخ حسن النمر في اثنينيته التي عقدت مساء يوم الاثنين الموافق ٢٠ ذو القعدة ١٤٢٤هـ (١٢ يناير ٢٠٠٤م) في مجلس سماحة السيد علي السيد ناصر ـ حفظه الله ـ بالدمام؛ سماحة الشيخ حسن الصفار؛ وكان موضوع اللقاء: (الحوار الوطني معطيات وتطلعات).

حضر الندوة حشد كبير من علماء الدين من القطيف والدمام والأحساء ورجال اعمال وأكاديميين وصحفيين وشخصيات سنية وشيعية من أنحاء متفرقة من المملكة.

وكانت الندوة تحت رعاية مجوهرات الحرمين للذهب والألماس «الراعي الرسمي»، ودار غسان للاستشارات الهندسية، وشمس للخدمات للبث والتغطية المباشرة عبر البالتوك.

وقد بدأ اللقاء بآيات من الذكر الحكيم تلتها كلمة ترحيبية لسماحة الشيخ حسن النمر الذي رحب بسماحة الشيخ حسن الصفار وبجميع الحضور على تلبيتهم الدعوة.

بعد ذلك قدَّم للحوار الأستاذ طالب المطاوعة بعرضه لمحاور اللقاء وبتقديمه

مجموعة من الأسئلة تمهيدًا للحوار.

وبدأ الحوار بكلمة لسماحة الشيخ حسن الصفار استفتحها بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

وأكدّ سماحته في بداية الكلمة أن الأمة العربية والإسلامية تمرّ في هذه المرحة بأصعب المراحل والظروف إذ لا يكاد يمر يومٌ إلا ويصدر تهديد من الجهات اليمينية المتطرفة في الولايات المتحدة الأمريكية، وآخره التصريح الصادر عن ريتشارد بيلر مستشار وزير الدفاع الأمريكي الذي يتوعد فيه بضم المملكة إلى دول محور الشر. وكان قد أصدر كتابًا تحدث فيه عن تفكيك المملكة.

وقال سماحة الشيخ: نحن نقرأ هذا التصريح وأمثاله في اتجاهين:

الأول: أنها جزءٌ من الحرب النفسية الإعلامية على العالمين العربي والإسلامي لإيقاع الهزيمة في النفوس.

الثاني: اعتبارها تكشف عن نيّات ومقاصد مبيتة ضد بلادنا والعالم العربي والإسلامي بشكلٍ عام.

وأضاف سماحة الشيخ: هناك جهات قامت بأعمالٍ باسم الإسلام أتاحت من خلالها الفرصة للأعداء لتحقيق أهدافهم تجاه الأمة الإسلامية.

وأكد سماحة الشيخ أنه ليس بغريبٍ أن يخطط الأعداء ضد الأمة الإسلامية، ولكن الأغرب هو عدم مواجهة هذه الخطط.

وأشار سماحته أن الآية الكريمة التي بدأ بها كلمته جاءت في سياق الحديث عن مؤامرات الكفار وأعداء الرسالة الإسلامية في عهد الرسول الأعظم ، ثم جاءت هذه الآية لتضع المسلمين أمام المسؤولية تجاه ما يواجهونه من خطط تحاك ضدهم من هنا وهناك، وهي تؤكّد أمرين:

الأول: أن يتحلى المسلمون بالصبر؛ وهو لا يعني الاستسلام لخطط الأعداء،

وإنما يعني أن تكون للمسلمين إستراتيجية وخطة عمل تستقيم الأمة عليها وتصبر على تنفيذها.

الثاني: أخذ الحيطة والحذر تجاه مؤامرات الأعداء وخططهم.

وأضاف سماحة الشيخ أن واجب الأمة تجاه هذه التحديات أمران:

الأول: أن تعبئ كلّ قدراتها وإمكاناتها تجاه هذا التحدي الكبير والخطير، مؤكدًا سماحته أن الإسلام ليس دعوة حرب وجهاد بل هو قبل ذلك دعوة سلمٍ وانفتاح، ولكن في مقابل هذا التحدي ينبغي أن تعبأ الطاقات.

الثاني: أن تعالج الأمة وضعها الداخلي حتى تتمكن من مواجهة التحديات الخارجية؛ مشيرًا إلى انشغال الأمة الإسلامية ببعضها بعضًا على مختلف الصُّعد؛ الدول الإسلامية منشغلةٌ فيما بينها، والحكومات والشعوب غير منسجمة مع بعضها، وكذلك الفئات المتنوعة داخل الأمة علاقاتها مشوبةٌ بالاختلافات؛ فكيف يُمكن للأمة مواجهة خطط الأعداء وهي تعيش وضعًا كهذا الوضع.

ثم إن طاقات الأمة ستستهلك لتصفية الحسابات الداخلية بعيدةً عن الخطر الأساس الذي يهدد الجميع.

وأكدّ سماحة الشيخ ضرورة توحّد قوى الأمة خصوصًا في هذه المرحلة الحساسة، مبيننًا أن القيادة السياسية للمملكة ومن خلال وعيها لهذه الحقيقة قامت ـ مشكورةً ـ بتدشين الحوار الوطني.

وتحدث سماحة الشيخ عن أركان الحوار الناجح، قائلًا: إن الحوار الناجح له أربعة أركان:

الأول: التواصل ما بين الرموز الفاعلة في الوطن.

الثاني: التعارف ما بين الأطراف المختلفة على بعضها بعضًا.

الثالث: المصارحة والمكاشفة فيما بينهم باحترام ومودة ولباقة دون جرح لمشاعر الآخرين.

الرابع: التعاون المشترك بخطة عمل مشتركة لمصلحة الدين والوطن، وهذا ما نأمله ونتمناه إن شاء الله.

وأكد سماحة الشيخ أن هذه الأركان بمجملها قد تحققت إلى حدٍّ كبير في الحوار الوطني بلقاءيه الأول والثاني، عدا الركن الرابع فلا يزال الأعضاء ـ كما يقول سماحته ـ على أعتاب هذا الركن.

ثم بدأت مداخلات الحضور واستفساراتهم، ونشير هنا إلى أبرز المداخلات ومرئيات سماحة الشيخ حول ذلك.

أول المداخلات كانت من نصيب الشيخ حسن فرحان المالكي الذي أبدى شكره لسماحة الشيخ حسن الصفار على الكلمة التي بدأ بها الحوار، وأشار في مداخلته إلى ضرورة توظيف الكليات المشتركة بين المسلمين. والذي تطرق لمسألة التقارب بين السنة والشيعة قائلًا بأنهم في الأصل متقاربون ولكننا للأسف ركزنا على الجزئيات الصغيرة ونسفنا بها الجزيئات الكبيرة وأهملنا ما نتفق عليه من أساسيات الدين، وقال بأن القضايا والأحداث السياسة هي من زادت هوة الخلاف ما بين المذاهب الإسلامية، ونأمل بأن تكون هذه المؤتمرات سبيل لإذابة الجليد ما بين أبناء الوطن الواحد متطلعين لتطبيق ما طرح من توصيات بشكل فعلي بعيدًا عن التنظير.

بعد ذلك كانت المداخلة للدكتور مبارك الخالدي، الذي استنكر الطريقة التي تم فيها «المؤتمر للحوار الفكري» التي نوقشت قضاياه داخل غرف مغلقة، في حدود المشاركين الـ(٦٠) شخصية، وعدم السماح للصحافة والبث الإعلامي المباشر بالنقل الحيّ؛ لأنه في الأصل حوار يعني بالشان العام ويهم كل أبناء الوطن، حيث التقارب والتعارف الذي جرى في المؤتمر للأسف انحصر في ما بين المشاركين أنفسهم، متجاهلين التقارب الأهم «ما بين المواطنين أنفسهم». وكانت له عدة تساؤلات منها:

□ **هـل أن الحوار الوطني جاء كردة فعل لضغوطـاتٍ خارجية؟ وإذا كان كذلك هل يعني أنه سينتهي بانتهاء المشكلة؟**

□ **إذا كان الحوار وطنيًا فلماذا كان محجوبًا عن الناس، وحتى عن الإعلام؟**

◂ وإجابةً عن هذه التساؤلات قال سماحة الشيخ مؤكدًا أن الحوار الوطني في نظري يُمثل استجابة واعية للتحديات، ولو كان فعلًا ذاتيًا لحصل منذ وقتٍ بعيد.

وأضاف سماحته أن الحوار الوطني مؤقت ينبغي أن ينتهي بالتوصل إلى رأي مشترك حول القضايا العامة، ومن أهمها تفعيل المشاركة الشعبية في القرارات السياسية من خلال وجود مجلس شورى منتخب يمثل إرادة الشعب.

وأجاب سماحته: بعد ذلك جاءت مداخلات الجمهور الواحدة تلو الأخرى عبر تساؤلاتٍ مستفيضة حول الحوار الوطني، بعضها أجاب عنها سماحة الشيخ والبعض الآخر لم يكفِ الوقت للإجابة عنه، ونقتطف فيما يلي بعض تلك الأسئلة:

□ **كيف يقرأ سماحة الشيخ أن تضمن التوصيات المشاركة السياسية؟**

◂ أجاب سماحته: وجود هذه التوصية دليل على أن هناك استعدادًا عند المسؤولين للتجاوب مع هذه التطلعات.

□ **ما المطلوب بعد الحوار؟**

◂ أجاب سماحته: المسؤولية تقع على الجميع:

الحكومة: يتوقع منها أن تستجيب لتطلعات الشعب التي عبرت عنها التوصيات.

النخبة: يجب أن يوسعوا دائرة اللقاء، وأن يعيّشوا أطيافهم في جوِّ اللقاء، إذ ليس مقبولًا من أحد أن يتحدث في اللقاء بآراء إيجابية منفتحة وإذا ما عاد إلى جمهوره تأثر بالجو السائد هناك.

الجمهور: يجب عليهم أن يدعموا هذا التوجه وهذه المسيرة، وألّا يقبل الجمهور بعد اليوم أيّ تعبئة مضادة ضد الطرف الآخر.

□ **وإجابة عن سؤال: ماذا عن تجديد الخطاب الديني؟**

◀ قال سماحته: دار الحديث حول هذه الفقرة في أكثر من جلسة، والخطاب الديني يشمل الفتاوى، والخطب، وينبغي التجديد في أمرين:

الأول: المحتوى؛ إذ ينبغي التركيز على القيم الأساسية للدين وعلى المشكلات التي يعيشها الجيل المعاصر.

الثاني: الأسلوب؛ إذ من الضروري أن يكون أسلوبًا علميًا عصريًا؛ بعيدًا عن النزاعات الطائفية والعصبية.

وفي الجواب عن سؤال: ماذا عن الجانب الإعلامي؟ قال سماحته: أثرتُ هذه النقطة في لقائي مع التلفزيون السعودي في اليوم الأول للقاء، وأؤكد ضرورة التنوع المذهبي والفكري في الإعلام السعودي وألّا يكون أحادي الفكر والمنهج. وقد نصّت إحدى التوصيات على ذلك.

وهنا يجب الإشادة بالتطور الذي تشهده الصحافة المحلية إذ نرى فيها تنوعًا وانفتاحًا بات ملحوظًا.

□ **وكانت مداخلة لسماحة الشيخ جعفر النمر تضمنت السؤال التالي: الحوار نوعان: الأول: البحث عن الكلمة السواء لمواجهة الضغوط الخارجية؛ والثاني: للبحث عن الحقيقة؛ فأين هو الحوار الوطني من هذه النوعين؟**

◀ فأجاب الشيخ الصفار: لم يكن الحوار الوطني على أساس الاختلاف العقدي والفكري، وإنما كان على أساس تلمّس المصالح المشتركة بين الفئات المختلفة، بعيدًا عن الآراء الفقهية والعقدية فللجميع الحرية في هذا الجانب.

فالحوار يبحث عن صيغة العلاقة المشتركة بين أتباع المدارس والمذاهب المختلفة، وعن كيفية الوصول إلى صورة متفق عليها لحل القضايا المشتركة على مستوى الوطن.

□ **اما مداخلة الدكتور السيد عدنان الشخص، فقد تساءل وشاركه آخرون في تساؤله: كيف تقرؤون التوصية حول مناهج التعليم؟**

◄ أجاب سماحة الشيخ الصفار: هذه الفقرة من الحوار أخذت وقتًا طويلًا، وخلاصة الموضوع أن هناك ثلاثة توجهات لأعضاء الحوار:

الأول: الاتجاه السلفي؛ يرى ضرورة الحفاظ على التربية الدينية، ويصرّ على عدم الاستجابة للضغوط الخارجية في هذا الجانب.

الثاني: التيار الليبرالي؛ يرى ضرورة اختزال المواد الدينية، أو أن تترك التربية الدينية للمنزل والمسجد.

الثالث: بقية التوجهات؛ يرون ضرورة تنقية مناهج التعليم من أي إساءة للمذاهب الأخرى فوجود فقرات تتهم جهات ومذاهب إسلامية بالكفر والضلال ليس مقبولًا أبدًا. وأيضًا ينبغي أن تركز هذه المناهج على القيم الإسلامية العامة، وفي حال الحديث عن قضايا خلافية يُشار فيها إلى الآراء المختلفة.

وأرفض أن يكون هناك تقسيمٌ طائفي للمدارس فالجميع أبناء وطنٍ واحد وينبغي أن يتعايش الجميع ضمن القيم الإسلامية الرفيعة.

وأرى أن هذه التوصية اختزلت كثيرًا في التوصيات، إذ كان من المفترض أن تظهر بتفصيل أكثر.

□ **وعن سؤال كيف تجدون مشاركة المرأة في الحوار؟**

◄ أجاب سماحته: المشاركة إيجابية، وهي رسالة واضحة لكي لا تكون المرأة

مستبعدة عن الشؤون السياسية ولا القضايا العامة فهي كالرجل من حقها المشاركة.

☐ **وأجاب سماحة الشيخ عن سؤال كيف تقرؤون مستقبل حقوق الشيعة في المملكة؟**

◀ قائلًا: نحن لا نتحدث بلغة مذهبية طائفية، وإنما حديثنا عن المواطن السعودي بشكلٍ عام مهما كان مذهبه؛ إذ المطالبة بحقوق المواطنة وضرورة المساواة بين الجميع في الحقوق وتكافؤ الفرص.

وهنا يجب الإشارة إلى أن الآخرين لهم مشاكلهم وقضاياهم التي يبحثون عن حلولٍ لها، فليس الشيعة وحدهم لهم حقوق ومطالب.

☐ **ووجه لسماحته السؤال التالي: ماذا يعني قرب الفترات بين لقاءات الحوار؟**

◀ فأجاب: أراد سمو ولي العهد من ذلك التعبير عن رغبته في تكثيف التواصل؛ ولكن الأمر يعود إلى إدارة الحوار إذ من الضروري وجود فرصة زمنية بين اللقاءات حتى يكون هناك وقت متسع لتحقيق شيء من التوصيات، وإلا ستصبح التوصيات حالها حال بقية التوصيات التي تصدر من بعض المؤتمرات الروتينية في الدول العربية والإسلامية.

☐ **وختم اللقاء بسؤال، هل هناك متابعة لتنفيذ التوصيات؟**

◀ أجاب عنه سماحة الشيخ الصفار: الأمر متروكٌ لقيادة البلد. وقد قدمت اقتراحًا لتكوين فرق عمل من الأعضاء المشاركين تتحمل متابعة وتنفيذ التوصيات، وآمل أن يتحقق ذلك إن شاء الله.


مع الدكتور الشيخ سلمان العودة

7

السلفيون والشيعة وتجاوز القطيعة[1]

أعزائي الحضور، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. نلتقي اليوم سماحة الشيخ حسن الصفار في حوار حول السلفيين والشيعة وتجاوز القطيعة، منطلقين في تناول محاور الحلقة من كتابه: «السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل»:

منطلقات الدعوة إلى تجاوز القطيعة

□ لكن معكم من البداية، كيف جاءت فكرة كتاب: «السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل»؟ وما هي الرسالة التي تودون توجيهها من خلاله؟

◄ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا وآله الطاهرين وصحبه الطيبين، وبعد..

فكرة الكتاب تنطلق من منطلقين، هي كالتالي:

(١) التأكيد الديني على وحدة الأمة

لدينا ـ في القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكّد على وحدة الأمة، منها ما هو صريح بهذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[سورة الأنبياء الآية: ٩٢]، وفي آية أخرى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[سورة المؤمنون الآية: ٥٢]، ومنها تلك الآيات

(١) أجرى الحوار/ الأستاذ عبد الباري أحمد الدخيل وبثته قناة (الجزيرة مباشر) مساء الجمعة ٢٨/ ٦/ ١٤٢٨هـ.

القرآنية التي تدعو إلى الاعتصام بحبل الله تعالى وعدم التفرق: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾[سورة آل عمران الآية: ١٠٣]، والآية: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[سورة الأنفال الآية: ٤٦].

إننا نفهم من هذه الآيات الكريمة أن هناك أمرًا إلهيًّا لأبناء هذه الأمة، بأن يعيشوا حالة الوحدة والتعاون والانفتاح على بعضهم بعضًا، وحينما يأمر سبحانه وتعالى هذه الأمة بالتوحد والتعاون، فإن ذلك من باب الأمر الإرشادي، بمعنى أنه يرشدهم بما تنادي بهم فطرتهم وطبيعتهم الإنسانية؛ لأن أي مجتمع بشري تحصل فيه اختلافات في الرأي والموقف، ولا بدّ أن يكون هذا الأمر غير متنافٍ مع الواقع الطبيعي الخارجي لهم كبشر، فالأمر بالوحدة لا بدّ أن يكون مستوعبًا لحالات التنوع الفكري والاختلاف في الرأي، انطلاقًا من أن الوحدة مبدأ أساس يؤكد عليه الإسلام، وأن هذه المدارس والاتجاهات من سنة وشيعة وأباضية ـ داخل الدائرة الإسلامية ـ، ومن سلفيين وصوفيين وما أشبه ـ كمدارس واتجاهات داخل البيئة السنية ـ، من سائر الاتجاهات والمدارس الموجودة في الأمة الإسلامية، ما داموا يعيشون في إطار الإسلام فهم جميعًا مخاطبون بهذا الأمر الإلهي، ومأمورون بعدم التنازع والتفرق.

وإذا كانت هناك حالة نزاع وحالة اختلاف فلا بدّ من احتوائها ومعالجتها وتنظيم التعامل معها.

(٢) المصلحة الفعلية للمجتمعات الإسلامية

- نحن ـ كمجتمعات وأوطان ـ نعيش الآن تحديات خطيرة جدًا كمسلمين وكعرب في منطقة الشرق الأوسط والخليج.

ولمواجهة هذه التحديات والأخطار لا بدّ لنا أن نتوحد، وأن نتعاون ضمن وحدة وطنية وإسلامية، حتى نستطيع أن نواجه هذه الأخطار والتحديات، وحتى لا ينفذ لنا الأعداء من خلال ثغرات التفرقة والخلاف.

من هنا انطلقت فكرة الكتاب ورسالته، التي تركّزت على الدعوة لإيجاد طريق لِحُسْن العلاقة بين هذه الفئات والشرائح، على ما بينها من اختلافات عقدية وفقهية، وهو ما أعتقد بإمكانه.

حصر الخلاف والقطيعة بين الشيعة والسلفيين

☐ **فـي الأدبيات والكتب التي سـبقت كتابكم هذا، كان التقابل بين السـنة والشـيعة، بينما في كتابكم هذا أفردتم السـلفيين في مقابل الشـيعة، قد يتفاجأ قارئ الكتاب من العنوان، ويتسـاءل: لماذا أفردتم السـلفيين في قبالة الشـيعة، أليسـوا جزءًا من السنة؟**

(١) المدرسة السلفية تمثل التيار المتشدّد ضمن الدائرة السنية

◀ السلفيون هم جزء من أهل السنة والجماعة، ولكن من الواضح أن الشيعة ليسوا جميعًا في قالب واحد، كما أن السنة ليسوا جميعًا في قالب واحد، فهناك تيارات معتدلة وتيارات فيها شيء من التشدد والحدّية في الموقف تجاه الآخر، عند السنة وعند الشيعة، وأعتقد أن المدرسة السلفية تمثل المدرسة الأكثر تشددًا عند أهل السنة في الموقف تجاه الشيعة وتجاه الرأي الآخر بشكل عام.

ولهذا فإن دعوات التقريب والتقارب بين المذاهب الإسلامية وَجَدَتْ لها مجالًا في أوساط سائر أبناء أهل السنة والجماعة في البلدان المختلفة، ولكن في أوساط الإخوة السلفيين كانت هناك حالة ممانعة من قبول هذه الدعوات، فأعلنوا الرفض لمثل هذه الدعوة منذ بدايتها وانطلاقتها، وألّفوا الكتب وكتبوا الأبحاث في التنظير لسبب الرفض والممانعة، فلا يقبلون أن يكون هناك بحث للتقارب أو للتفاهم مع الشيعة، بسبب وجود موقف حادّ عندهم من الرأي الآخر بشكل عام، حتى ضمن دائرة أهل السنة، وبشكل خاص تجاه الشيعة، وبخاصة حول كثير من المسائل العقدية.

لذلك كان موقفهم هو الموقف الأشد في أوساط أهل السنة والجماعة، فهم مَنْ

يرفض قبول الدعوة إلى الحوار المذهبي وإلى التقارب بين السنة والشيعة، وتُعَدُّ هذه البؤرة ـ بسبب ذلك ـ بؤرة ساخنة في العلاقة بين السنة والشيعة، ولذلك أفردتها وجعلت المقابلة في عنوان الكتاب بين الشيعة وخصوص المدرسة السلفية.

(٢) المصلحة الوطنية تقتضي تصحيح العلاقة بين جميع التوجهات

◀ ومن جهة أخرى، نظرًا لكوني مواطنًا في المملكة العربية السعودية، والتيار السائد في المملكة هو التيار السلفي، لذلك أجد نفسي معنيًّا بمعالجة هذا الموضوع. فحينما أتحدث عن التقارب والحوار بين السنة والشيعة بشكل عام، فهذا طرح يصلح لبقية البلدان والمناطق، ولكن باعتباري أعيش في المملكة، فإن التيار السائد الذي أجده أمامي والذي يجب أن يكون هو الشريك في هذا الحوار هو المدرسة السلفية، لذلك طرحت الموضوع في إطار العلاقة بين السلفيين والشيعة؛ لأن السلفيين هم الشريك الآخر لنا في الوطن، بناءً على أنهم يمثلون الرأي السائد الذي تعتمد عليه الحكومة في المملكة العربية السعودية.

ردّات الفعل على دعوة الشيخ الصفّار

□ **وَجَّهَ الدكتور عبد الحميد الأنصاري ـ في مقال له في جريدة الشرق الأوسط، بعد صدور الكتاب ـ شبه نداء للسلفيين بأن هذه دعوة للحوار من قِبَل الشيخ حسن الصفار، وطالبهم برد التحية، فهل وجدتم أصداءً لهذه الدعوة من خلال مقابلاتكم ولقاءاتكم؟**

◀ عليَّ أن أعترف بأن هناك أصداءً إيجابية، وأن عددًا من العلماء والمثقفين والشخصيات في المدرسة السلفية أبدوا تجاوبهم مع هذه الفكرة، وحصل ـ بالفعل ـ نوع من التواصل معهم، وتبادل الزيارة واللقاء والحديث حول القناعة المشتركة في هذا الموضوع، ولكن قسمًا منهم لا يرون أن الظرف مناسب لتفعيل مثل هذه الفكرة، وعدد ممن التقيته يبدي الارتياح لهذه الفكرة وإمكانية تفعيلها،

لكنه يعتذر بأن الظروف والأجواء في الساحة العامّة التي يعملون فيها ـ حسب تشخيصهم ـ لم تنضج بعدُ للإجهار بهذه الدعوة وللتفاعل العلني معها، ولذلك يكتفون بأن يكون التجاوب من قبلهم ضمن المستوى الخاص، واللقاءات الثنائية، والتواصل المحدود، دون أن يجهروا برأيهم على هذا الصعيد.

وهذا لا يعني انعدام التفاعل الإيجابي من قبل بعضهم، فهناك مَنْ كان جريئًا في طرح آرائه في هذا الموضوع، وقد نشرت بعض الكتابات التي تتحدث بصراحة عن ضرورة إعادة النظر في العلاقة بين السلفيين والشيعة، وكان الدكتور الشيخ عوض القرني ـ جزاه الله خيرًا ـ من أوائل من تفاعل، فقد زارنا في القطيف والتقينا وتواصلنا معه، وأجريت معه لقاءات إعلامية، وطُرح عليه هذا السؤال، فكان جريئًا في تبيين رأيه وموقفه من فائدة الحوار وفائدة التواصل والتلاقي، وهناك أيضًا إحدى الشخصيات السلفية، وهو الدكتور محمد حامد الأحمري الذي نشر بحثًا ـ في مجلة العصر، في حلقتين ـ تحت عنوان: «رؤية للمعضلة الشيعية»، في هذا البحث يتحدث عن ضرورة إعادة النظر من قبل المدرسة السلفية في النظر إلى الشيعة والتعامل معهم.

وهناك كتّاب وشخصيات أخرى أيضًا تحدثت وكتبت وناقشت، منهم الدكتور الشيخ سلمان العودة الذي تحفّظ على موضوع التقارب، ولكنه أعلن موافقته وتأييده لبحث موضوع التعايش مع الشيعة، وكان ذلك في تصريح نقلته عنه جريدة المدينة في ملحق الرسالة قبل بضعة أسابيع، فبيّن فيه أنه مع فكرة أن يكون هناك تعايش، وألّا تكون هناك إساءة ونزاع وشقاق، وهذا ما يشير إلى أن في وسط التيار السلفي هناك آراء إيجابية وأصداء وردود فعل، قد لا تكون ـ بالضرورة ـ استجابةً لفكرة الكتاب، ولكنه نوع من التطور والاستجابة لتحديات الساحة، وكانت فكرة الكتاب نوعًا من التحفيز والدافع للإعلان عن مثل هذه الآراء.

استمرار أجواء التوتّر دافع نحو الإصرار على التلاقي

□ **المعروف أن فكرة التقريب انطلقت من الوسط الشيعي، لكن اليوم يوجد في هذا الوسط شعور بلاجدوائية هذه الأطروحة، حيث يلحظ الشيعة استمرار مظاهر الجفاء والعداء ـ إذا صح التعبير ـ، وذلك بفعل الفتاوى التي ما زالت تستنسخ في هذا الاتجاه، رغم أن الشيعة طوال الفترة الماضية كانوا يبدون حسن النية، كيف تقرؤون هذا الموقف، سماحة الشيخ؟**

◄ يجب أن أقول في البدء أن كل طرف ينظر إلى الأمور من الزاوية التي يقف فيها وينظر من خلالها، فالبعض من الشيعة ينظر إلى أن الشيعة قدموا الكثير من المواقف الإيجابية، ولم تصدر منهم أي إساءة، وغالبًا ما تكون هذه المواقف السلبية والمتشددة والمتطرفة من قبل بعض السلفيين، ويتمّ تعميمها على كل السلفيين، وبالتالي يشكك في جدوى الحوار والتفاهم.

وفي الوقت ذاته نجد أن مثل هذا الكلام يدور في الوسط السلفي، فبعض السلفيين كتبوا وتحدثوا بأن دعوات التقريب والتقارب مع الشيعة لا تنسجم مع ما هم يتصورونه ويرونه من مواقف يعدُّونها متطرفة ومسيئة ومتشددة من قبل الشيعة، ولذلك أنا أعتقد أن وجود مشاكل في الساحة بين السنة والشيعة أو بين السلفيين والشيعة يجب أن تكون دافعًا للإصرار على بحث هذا الموضوع وعلى معالجته، ولا يصح أبدًا أن تعدَّ مبررًا للتراجع؛ لأن وجود المشاكل يعني خطورة القضية، وما دمنا نرى أن هناك إساءات متبادلة فهذا يجب أن يشجعنا على الاهتمام بمثل هذه القضية، وإلا فإن الإساءات ستستمر وستتصاعد وستنمو، أنا أتعجب كيف يعدُّ البعض أن وجود إساءة من هذا الطرف للآخر مبررًا للنكوص والتراجع عن الدعوة إلى الحوار والتقارب، بينما يجب أن يكون هذا الأمر دافعًا إضافيًّا، ففي الوقت الحاضر نحن بحاجة إلى معالجة هذه المشكلة وبحثها وحلها، وإلا فإن هذه الإساءات ستستمر والشقاق والنزاع سيستمر وسيتطور.

الابتعاد عن الألفاظ المسيئة لكلا الطرفين

□ **ولكنَّ بعض الشيعة يتهمون الطرف الآخر بأنه يضخم مسألة الخلاف، ففي مسألة النواصب ـ مثلًا ـ يبيِّن سماحة السيد السيستاني في منهاج الصالحين أنَّ النواصب هم المعلنون لعداوة أهل البيت ﷺ، ويفرِّق بينهم وبين عموم إخواننا من أهل السنّة، ففي بيان صادر عنه بتاريخ ١٤ محرم ١٤٢٨ يعترف لهم بمودة أهل البيت ﷺ، بينما الطرف الآخر ينظر إلى أي رواية أو نص يتحدّث عن النواصب من قبل الشيعة، يعد ذلك اتهامًا للسنة، أليس هذا تضخيمًا للموضوع؟**

◄ في البدء لا بدَّ من الإشارة إلى أن سماحة السيد السيستاني ـ حفظه الله ـ ظُلم كثيرًا في هذه المرحلة من خلال أحداث العراق، فهناك تعتيم على آرائه، وأحيانًا تعمد لتشويه بعض هذه الآراء وكذلك لمواقفه الدينية والسياسية، مع أنه ـ وللإنصاف ـ قدم خدمة كبيرة للأمة بشكل عام وللشعب العراقي بشكل خاص، وكل المراقبين المحايدين يعترفون بأن وجود مرجعية السيد السيستاني في العراق كانت ضمانة في أوساط الشعب العراقي لعدم الانزلاق نحو فتنة أكبر، ومشكلة أعمق، ولا زال وجوده مفيدًا جدًّا على هذا الصعيد.

إنَّ السيد السيستاني وبقية فقهاء الشيعة يفرقون بين النواصب وأهل السنة، النواصب هم الذين يعلنون العداء والبغض لأهل البيت ﷺ، ولذلك هم يختلفون عن المسلمين من أهل السنة؛ لأن أهل السنة لا يعلنون العداء والبغض.

والفقهاء يفرقون بين المخالف والناصبي، فيقصدون بالمخالف من يخالف مذهب أهل البيت ﷺ، ويعنون بهم أهل السنة والجماعة، ولذلك عندما يعبّر فقهاء بِـ (الناصبي) لا يقصدون به أهل السنة؛ لأنهم لهم تعبيرهم المختلف عندما يقصدون به السني، وهو المخالف لمذهب أهل البيت، فله مذهبه الذي هو مقتنع به، ولا يرى في أهل البيت نفس المقام الذي يراه الشيعة لهم من حيث الإمامة والعصمة والمستوى

والفضل، ولكنهم لا يبغضون أهل البيت ولا يعادونهم.

نعم، هناك فرقة أو مجموعة (ولعله أفراد) جهروا في الزمن الماضي بالعداء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولأهل البيت ﰆ، ولكن لا يمكن اتهام أهل السنة جميعهم بالعداء لأهل البيت، ولا يوجد فقيه من فقهائنا المعاصرين يتهم أهل السنة بأنهم جميعًا نواصب، بل إن بعض فقهائنا لهم رأي متقدم على هذا الصعيد، فالإمام الخميني (رحمه الله) يرى أن النواصب هم فرقة تاريخية انقرضت لم يَعُدْ لها وجود، وأن هذا الاسم يطلق على فرقة كانت موجودة وانقرضت، ويعبّر بأنه لو عادت تلك الفرقة لانطبق هذا العنوان عليهم.

وأنا شخصيًّا أدين الله بأنه لا يوجد مسلم على وجه الأرض يعادي أهل البيت. نعم، هناك عداء للشيعة وإساءة لهم، ولكن هذا ضمن الصراع السياسي وحالة الصراع والخلافات الطائفية، وكذلك ضمن سوء الفهم وردود الفعل والمواقف الموجودة بين الطرفين، وإلا فلا يوجد مسلم يتجرأ على إعلان العداء لأهل البيت ﰆ، وإذا وجد من يقوم بهذا الأمر ويعلن العداء أو الإساءة لهم فإن بقية المسلمين من أهل السنة لن يسكتوا عليه ولن يقبلوا منه.

إنَّ الشيعة بهذا المعنى لا يرون بأن السنة هم نواصب، وإنما يعدون النواصب توجهًا معينًا كان موجودًا في الماضي، ولكنه الآن ـ على ما يبدو ـ ليس له وجود.

هذا بالإضافة إلى أنه ينبغي تجاوز مرحلة التنابز بالألقاب، فمن المعيب ـ ونحن نعيش في هذا العصر ـ أن نتنابز بالألقاب فيما بيننا وقد نهانا القرآن الكريم عن ذلك بكل صراحة، كما في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[سورة الحجرات، آية: ١١]، فلا يصحّ أن يطلق الشيعة على السنة مصطلح «النواصب»، أو يطلق السنة على الشيعة مصطلح «الروافض»، أو يكون هناك حديث عن شعب جزء من الأمة الإسلامية ـ وهو الشعب الإيراني ـ فيعيّر بقوميته الفارسية، إن هذا معيب ولا يصح.

نعم، يظل الاختلاف السياسي في مكانه، والاختلاف العقدي والفقهي في مكانه،

دون اللجوء إلى التنابز بالألقاب واستعمال هذه المصطلحات المثيرة، فهذا أمر يجب أن يتوقف عنه الجميع.

وقد صرح بعض العلماء في المملكة العربية السعودية من المدرسة السلفية ضد هذه الظاهرة، ودعا إلى التوقف عن استعمال هذه الألقاب والتنابز بها من روافض ومن نواصب، وأنا أدعو إلى تجاوز هذه المرحلة التي عاشتها الأمة فترة طويلة وزمنًا طويلًا ووصلت إلى حدّ المواقف الطفولية، ففي بعض الأزمنة الماضية كان هناك صراع على أساس الحروف، فالسنة يعيبون على الشيعة أن بداية اسمهم حرف الشين، وهناك كثير من الأشياء السيئة تبدأ بحرف الشين، مثل الشر والشعوذة والشيوعية والشيطان، وفي المقابل بعض الشيعة كتب يعيب على أهل السنة أن بداية اسمهم حرف السين، وكثير من الأشياء تبدأ بحرف السين، مثل سقر وسم، هذا كلام طفولي تهريجي، لا يصح أبدًا أن يتعاطى به الواعون والمثقفون، ولا يصح أن يدور في أجواء الأمة وهي تعيش في هذا العصر، عصر الوعي والانفتاح.

ومن جميل ما قرأته مؤخَّرًا عن بعض علماء أهل السنة ـ ومنهم الشيخ القرضاوي وبعض علمائنا في المملكة ـ الحديث حول هذا الموضوع (المصطلحات المثيرة)، فكانوا يقولون بأنه ليس هناك مانع من ألّا نطلق على الآخرين أنهم كفار، وكذلك ألا نسمي اليهود والنصارى كفّارًا، وإنما نسميهم أهل كتاب أو نسميهم غير المسلمين، وهو توجّه جيد، وما دمنا نحاول أن نؤصِّل لعلاقة جيدة بين المسلمين وغير المسلمين بألا نطلق عليهم اسم (كفار)، وذلك بدافع أن هذه التسمية قد تثيرهم و تجرح مشاعرهم، فإذا كنا مستعدين أن نتجاوز عن مصطلح استعمله القرآن، وهو مصطلح الكفار، ونقول عن الطرف الآخر غير مسلمين، كيف لا نتنازل عن مصطلحات أنتجتها ظروف سياسية وبيئة صراع بين الطوائف والمذاهب، مثل مصطلح روافض ونواصب؟! ينبغي أن نقرر تجاوز هذه الكلمات والمصطلحات المثيرة، وأن نتعامل باحترام، كما يليق بنا كمسلمين.

الفكر الإسلامي قائم على أساس الاجتهاد

□ دعوتم إلى علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة، كيف يمكن أن تتحسن العلاقة بين الطرفين مع وجود هذا التباين الكبير في الآراء العقدية بينهما؟ كتقديس الشيعة لقبور أئمتهم وزيارتها، والاحتفال بالمولد النبوي، وهي الممارسات التي يرى الطرف الآخر أنها إما بدعة أو شرك، كيف تكون علاقة حسنة بين الطرفين وبينهما هذا التباين؟

◄ من الخطأ أن يكون للعلاقة الحسنة شرط تعجيزي، وهو شرط التوافق في الرأي، إن اختلاف الرأي وتعدد الاجتهادات أمر مشروع، والمدرسة الإسلامية والفكر والفقه الإسلامي قائم على أساس الاعتراف بحق الاجتهاد، وأن المجتهد «إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد»، فما دام قد سلك في اجتهاده الطريق الموضوعي الصحيح فله الحق في إبداء رأيه في مقابل الآراء الأخرى، وكل المسلمين يتفقون على أنه في زمن رسول الله كان هناك اجتهادات بين الصحابة، كما هو الحال في قضية الصلاة في الحديث المعروف: «لا يصلين أحدكم إلا في بني قريضة»، وقد أقر رسول الله اجتهاد الطرفين من صلى ومن أخر صلاته.

باب الاجتهاد في الشريعة مفتوح، وهو لا ينحصر في المجال الفقهي فقط ـ كما يقول البعض ـ، وإنما أيضًا في المجال العقدي والفكري، بل هو في المجال العقدي والفكري أكثر ضرورة منه في المجال الفقهي.

□ هل لك أن تعطينا مثالًا على الاجتهاد في المسألة العقدية؟

◄ مثل مسألة الشفاعة، والتوسل، والبناء على القبور، هذه مسائل فيها مجال للاجتهاد، وحتى القضايا القديمة التي طرحت كخلق القرآن وعدم خلقه، هذه

مسائل كان فيها تعدد آراء، فما دام هناك تعدد آراء في المسائل العقدية والمسائل الفقهية، وفي فهم التاريخ وتقويم شخصياته فلا يصح لنا أن نضع هذا الشرط التعجيزي، ونقول إن العلاقة لا تصبح سليمة بين الطرفين إلا إذا توافقا في الرأي في هذه المسائل العقدية أو المسائل الفقهية؛ لأن المسألة لا تقتصر على دائرة واحدة في الخلاف مع الشيعة، فهناك اختلاف في بعض الآراء العقدية وبعض الآراء الفقهية داخل السنة أيضًا، وهناك اختلاف داخل المدرسة السلفية أيضًا.

فنحن إذا كان لدينا إصرار بأن التباين الفكري ـ على تباين مسافاته واسعة أو ضيقة ـ مانع من حسن العلاقة، فهذا يعني أننا نضع شرطًا تعجيزيًّا لحسن العلاقة بين أبناء الأمة، وإذا كان الإسلام لم يعد الخلاف في الأصل الديني مانعًا لحسن العلاقة بين أصحاب الديانات، فكيف يصح لنا أن نعد الخلاف في تفاصيل وأجزاء من الدين مانعًا لحسن العلاقة بيننا كمسلمين وأتباع لدين واحد.

الإسلام يشرّع لعلاقة سليمة في ظل الاختلافات

☐ **ما هو الحل سماحة الشيخ؟**

◀ القرآن الكريم يشرع للعلاقة مع أهل الكتاب، مع اليهود والنصارى، يقول تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾[سورة الممتحنة، الآية: ٨] فالحديث ـ في هذه الآية ـ عن غير المسلمين في حال كونهم يختلفون معكم في الدين لا يمنع من أن تبروهم وأن تقسطوا إليهم، شرطَ أن لا يعتدوا عليكم، وهو بين المسلمين أولى وأكثر إلحاحًا.

في الفقه الإسلامي باب حول التعامل مع غير المسلمين ضمن مصطلح أهل الذمة (وهو من المصطلحات التي يدعو اليهود والنصارى لتغييره، وقد أبدى بعض علماء المسلمين مرونة في التجاوب مع هذا المطلب، وأنه ليس ضروريًا أن نطلق عليهم أهل

الذمة، ولِنُطْلِقْ أي مصطلح آخر في الفقه الإسلامي)، هناك باب حول حسن التعامل مع أهل الذمة، ورد فيه عن الرسول أنه قال: «من آذى ذميًا فقد آذاني»، وفي رواية أخرى «فأنا خصمه»، وورد عنه أنه قال: «من ظلم معاهدًا، أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة»، فإذا كان الاختلاف في أصل الدين ليس مانعًا ولا حائلًا عن أن تكون علاقتنا طيبة مع غير المسلمين ما داموا لم يعتدوا علينا، فكيف نَعُدُّ الخلاف والنقاش في مسائل داخل الدين ـ عقديةً كانت أو فقهية ـ مانعًا من أن تتحسن العلاقة، فليكن للسلفيين آراؤهم حول البناء على القبور من أنه بدعة ولا يجوز.. وهذا رأيهم، كما أن الشيعة يرون أن البناء على قبور الأولياء مستحب وفيه أجر وثواب.. ويظل هذا رأيهم، ويجب على الطرف الآخر احترامه، وليعمل كل إنسان برأيه، وليكن هناك احترام متبادل.

ولكن ما يجب أن نقف عنده، هو حملات التشهير وحالات التهريج التي يقوم بها كل طرف تجاه الآخر، فإذا كان كل طرف مقتنع بما يفعل فليفعل ما هو مقتنع به، ومسألة الإيمان وصحّة أي رأي أمر يعلمه الله سبحانه.

وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام له رأي حول صلاة التراويح جماعة في شهر رمضان ولكنه لم يمنع بقية المسلمين أن يصلوها بما يرونه صحيحًا بشأنها، وكذلك بين الصحابة كان هناك اختلافات، وقد وضع الشيخ ابن تيمية كتاب (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) تحدث فيه عن الخلافات بين الصحابة وبين التابعين وما بينهم من خلافات، وذكر أمثلة لقضايا عقدية وفقهية اختلفوا فيها، ولكن ذلك لم يكن مانعًا من أن يتعايشوا ضمن إطار أمة واحدة وفي صف وإطار واحد؛ لأن هذه الآراء المختلفة بين السنة والشيعة وبين السلفيين والشيعة لا أعتقد أنها تمنع من حسن العلاقة، شَرْطَ أن يكون هناك احترام متبادل، وألّا تكون هناك إساءة من هذا الطرف للطرف الآخر.

الاحتراب الطائفي خدمة للمشروع الإمبريالي العالمي

□ **ذكرتم في الكتاب أنكم متفائلون بعلاقة أفضل بين السلفيين والشيعة في الأيام القادمة، ما حدث في العراق من اقتتال طائفي، هل ترك مجالًا للسعي إلى هذا التقارب واللقاء؟**

◀ في بَدْءِ الأحداث المرعبة في العراق، وبخاصة التي أعقبت التفجير في سامراء في قبة الإمامين العسكريين في السنة الماضية، بالإضافة إلى حصول مشاكل طائفية واسعة في العراق، ثم تصاعد مثل هذه الحالة، ثم ما أثاره إعدام صدام من تشنج الأجواء والظروف الطائفية والمذهبية، ووجود حالة من الاحتقان والتشنج المذهبي في المنطقة، أصابني وأصاب أمثالي قلق كبير على مستقبل الوحدة في هذه الأمة، وعلى مستقبل العلاقة بين أبناء المذاهب الإسلامية، ولكني ـ بحمد الله ـ أرى أنه قد انقشعت هذه الغيوم إلى حدٍّ كبير، واتضح للجميع أن ما يحصل في العراق ليس حربًا مذهبية وإنما هو صراع طائفي سياسي، صراع بين الطوائف وليس بين المذاهب.

لم تحصل في العراق مشكلة بين السنة والشيعة على مسألة عقدية أو مسألة فقهية؛ فالصراع الجاري الآن في العراق ليس بسبب رأي تتبنّاه المدرسة السنية، أو لأن السنة يقولون بهذا الرأي والشيعة يقولون برأي آخر، وما يحصل هناك اختلاف في المواقف السياسية وعلى موضوع المحاصصة، فالأمريكيون شرعوا موضوع المحاصصة الطائفية في العراق، وأنا هنا لست من دعاة الترويج لعقلية المؤامرة، ولكننا لا نستطيع أن نتنكر للواقع القائم في العراق، الاحتلال يريد أن يبقى في العراق، وأن يركز له قواعد عسكرية هناك، وقد صرح أحد المسؤولين الأمريكيين أن مقاومة الإرهاب في العراق تستلزم بقاء القوات الأمريكية لعشر سنوات، فهم يريدون أن يوجدوا مبررًا لاستمرار تواجدهم واحتلالهم ووجود قواعدهم العسكرية الدائمة، لذلك لا بدّ أن يشجعوا

حالة الصراع الطائفي والقومي والعشائري، وفي الأيام الأخيرة بدأ الأميركيون في إعطاء السلاح لبعض العشائر العربية في العراق، لدرجة أن رئيس الوزراء أعرب عن قلقه حول هذا الموضوع؛ لأنه يؤسس لإيجاد ميليشيات جديدة، إن موضوع تسليح العشائر العراقية الذي يعمل عليه الأميركيون ليس أمرًا جديدًا، فقد كانوا من الماضي يعملون عليه أيضًا، لكن هذا يدل على أنهم يشجعون حالة الاقتتال والصراع الطائفي لأهداف استمرار بقائهم في العراق.

وهذا دون أن نغفل أن الأميركيين والغربيين يعدون أمن إسرائيل قضية أساس وإستراتيجية، وبالتالي فإنهم يسعون بمختلف الطرق لإرباك الواقع العربي ومعه الساحة الإسلامية؛ لأن ذلك يصب في مصلحة أمن إسرائيل، ولأن ذلك يمنع تضافر الجهود العربية والإسلامية في مقاومة إسرائيل وفي الضغط عليها، وخاصة بعد حرب لبنان وتعاطف كل المسلمين في مختلف أنحاء العالم مع المقاومة الإسلامية في لبنان، وهذا ما يدفعهم لتشجيع حالة الصراع الطائفي.

وحتى لا نلقي باللائمة كلّها عليهم، نقول كما قال القرآن الكريم: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾[سورة التوبة، آية: ٤٧]، ففي أوساط المسلمين من يستجيب لهذه التوجهات وينفذ مخططات الأعداء بقصد أو بدون قصد، بوعي أو بدون وعي، ولكنّي أشعر الآن بأن الصورة قد اتضحت، وأن ما حصل في العراق أعطى وعيًا وحصانة لشريحة كبيرة من الواعين، من السنة والشيعة، وحتى ضمن المدرسة السلفية، وهذا ما قرأته من خلال كتابات بعضهم، وما لمسته في لقاءاتي ومحادثاتي معهم، وأرجو أن يشكل ذلك زخمًا إضافيًّا لمسيرة التقريب وحسن العلاقة إن شاء الله.

الحوار الوطني وآفاق التواصل

□ بدأ التقارب بين السنة والشيعة والسلفيين في المملكة العربية السعودية بدعوة الحوار الوطني التي أطلقها الملك عبد الله أيام كان وليًّا للعهد، أين ذهب الحوار

الوطني اليوم؟ وهل قدم شيئًا على صعيد التقارب بين المذاهب؟

◄ قلت في أكثر من مناسبة إن الحوار الوطني قدم خدمة كبيرة للمجتمع في المملكة العربية السعودية على صعيد تجاوز حالة القطيعة بين الأطراف المختلفة، فلأول مرة ـ من خلاله ـ تجتمع كل الأطياف والتوجهات تحت سقف واحد، تتناقش وتتحاور، ثم تتفق على توصيات تتضمن: الاعتراف المتبادل، والتزام مبدأ الحوار، وحسن العلاقة، والتعاون، والاتفاق على المصلحة الإسلامية والوطنية، وهذا ـ بحدّ ذاته ـ إنجاز مهم يسجل للحوار الوطني.

وكنا نأمل أن يواصل الحوار الوطني مسيرته بسرعة وشجاعة أكبر.

وما يبدو لي أن الحوار الوطني بعد اللقاء الثاني الذي انعقد في مكة المكرمة، ابتعد عن هذا الموضوع، وانشغل بموضوعات مختلفة، وهي مهمة، لكن بدا لي وكأن الحوار الوطني ابتعد عن القضايا الأساس التي نحتاج إليها لتصليب الوحدة الوطنية ولتجاوز حالة القطيعة والجفاء بين الجماعات والتيارات المختلفة، ليس فقط بين السلفيين والشيعة، وإنما أيضًا بين السلفيين والصوفية، وبين الإسلاميين والليبراليين ـ إن صح هذا التصنيف الذي يتحدث عنه في المملكة ـ.

لقد كنا بحاجة إلى المزيد من البحث والجدّية، وإلى المزيد من اتخاذ خطوات عملية على هذا الصعيد، ولكن لا أدري، لعل القيادة السياسية لها رأي أو وجهة نظر أخرى، أو أنه كانت هناك أسباب معينة، ولكني أتحدث عن رؤيتي بأنني كنت أتوقع أن تكون مسيرة الحوار أكثر جدّية على هذا الصعيد.

اللقاء الوطني ودوره في تجسير الهوّة

□ صرحتم لبعض وسائل الإعلام أن اللقاء كان يكفي لكسر هذه الحواجز النفسية بين مختلف الأطياف، هل تواصلَ اللقاء والعلاقة بينكم وبين أطراف أخرى شاركت

في الحوار الوطني، أم اكتفيَ باللقاء تحت سقف هذا المكان الذي اجتمعتم فيه؟

◀ التواصل استمر مع بعض من التقيناهم في الحوار الوطني ومع آخرين؛ لأن اللقاء فتح المجال للقاء وللتواصل مع آخرين، حتى أولئك الذين لم يشتركوا معنا في الحوار الوطني، والحمد لله هناك تواصل، وتلاقٍ بمختلف الأشكال، ليس بيني فقط وبين العلماء والمشايخ والمثقفين من الإخوة السنة والسلفيين، وإنما هو أوسع، ولا يقتصر عليّ شخصيًّا، فهناك عدد من المثقفين والشخصيات والمفكرين من المواطنين الشيعة في المملكة أصبحت لهم علاقاتهم مع إخوانهم من أهل السنة، ومع إخوانهم من السلفيين، وكذلك هناك شخصيات من الساحة السلفية لهم علاقات مع شخصيات من المواطنين الشيعة، لقد أصبح المجال مفتوحًا.

ولعل هذا هو السبب في أن يصعّد المتطرفون في الجانبين نشاطاتهم، وكأنه غاظهم أن تحصل هذه الحالة من التواصل، فهناك من المتشددين السلفيين مَنْ غاظهم هذا الأمر، وهذا ليس سرًّا؛ لأنهم يكتبون عنه في مواقعهم على الإنترنت، ويندّدون بأيّ لقاء، وبأيّ علاقة وتعاون بين أي فرد من السنة والشيعة، أو بين أيّ شخص من السلفيين والشيعة أو الصوفية أو ما أشبه ذلك، وكذلك عندنا داخل الوسط الشيعي أيضًا بعض الشيعة صعّدوا من لغتهم الممانِعة لهذا التقارب، تحت مبرر أن هناك إساءات تصدر من الطرف الآخر، وفي بعض الأحيان تحت مبرر الخوف من تقديم التنازلات.

دعوات الوحدة لا تؤسس لثقافة التنازلات

□ **كان لكم السبق باقتحام هذا المجال واختراق هذه الحواجز بزيارتكم لمفتي المملكة العربية السعودية الراحل الشيخ عبد العزيز بن باز، ثم زيارتكم لأسرته لتعزيتهم بوفاته أيضًا، ثم كان لكم السبق في استضافة بعض الرموز السلفية في**

مجلسكم العامر، هل تلقيتم دعوة من الطرف الآخر لزيارة مناطق سلفية؟

◀ لم أتلقَّ دعوة لزيارات عامّة في مواقع سلفية، وقد ذكرتُ سابقًا أن ظروفهم هناك لعلها لم تنضج بعدُ، لكن وقد اقتصرت الدعوات والزيارات على الطابع الخاص، فبعض العلماء والشخصيات من السلفيين دعوني إلى بيوتهم ودعوا شخصيات أخرى وحضروا اللقاء، وكان هناك حديث وحوار طيب وجيد. وهذا حصل أكثر من مرة.

كما أن أخي الشيخ محمد الصفار دعي إلى القصيم ضمن مهرجان ثقافي هناك، وكان هناك تفاعل في هذه الزيارة، رصدتها وسائل الإعلام الداخلية والخارجية في المملكة.

حالة التواصل وتبادل اللقاءات بعد الحوار الوطني موجودة ولا تزال، لكن ما نطمح إليه أن تكون هناك جرأة من الطرفين في الإعلان عن هذا الموقف وهذا الرأي، ولا يصح لنا في الوسط السلفي السني أو الوسط الشيعي أن نخضع لضغط المتشددين المتطرفين؛ لأن هناك جهات متطرفة متشددة عند السنة والشيعة والسلفيين، وهذه الجهات المتشددة تضغط على الذين يسعون للتقارب والتفاهم، وأدواتهم في الضغط إثارة المشاكل الخارجية التي تحصل، فيعدونها مبررًا يمنع من التقارب والتعاون أو التخويف من التنازلات.

وأحب هنا أن ألفت إلى نقطة مهمة، وهي: إننا لا ندعو إلى تنازلات متبادلة، فلا نريد من السنة أن يتنازلوا عن شيء من معتقداتهم، ولا نريد من السلفيين أن يتنازلوا عن شيء من معتقداتهم، ولا نقبل نحن الشيعة أن نتنازل عن شيء من معتقداتنا وآرائنا، التنازل ليس مطلوبًا وليس واردًا فيما نقوم به من مساعي الوحدة والتقارب، إنما المطلوب التنازل عن الإساءات، فلا تكون هناك إساءة من هذا الطرف للآخر، وكذلك المطلوب هو تجاوز حالة القطيعة.

وأودّ أن أضيف هنا أن الذين يتحدثون عن التنازلات يزايدون على البعض في مجتمعاتهم، وكأنهم الأكثر حرصًا على مذهبهم أو على عقيدتهم، بينما غالبًا ما يكون هؤلاء المزايدون هم الأقل فاعلية والأقل نشاطًا حتى في الدفاع عن مذهبهم وعن فكرهم، لكن المسألة في كثير من الأحيان تكون في إطار المزايدة ورفع الصوت للفت الأنظار، ولذلك أصرّ على مسألة مهمّة، وهي ألا نخضع لهذه الضغوط، وأن نكون حاسمين في الدعوة إلى وحدة هذه الأمة، وفي تجاوز الشقاق والنزاع، وكما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ، وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٣٩]، ونحن في ذلك نراهن على وعي الناس في مجتمعاتنا؛ لأنها الآن أصبحت أوعى من الماضي، وكذلك يجب أن نراهن على وعي هذا الجيل الجديد، وعلى تطلعه لطي صفحة ذلك التاريخ المظلم والمرحلة السيئة التي عاشتها مجتمعاتنا وأمتنا.

خطوات جادّة نحو ميثاق شرف

□ **صرح الشيخ العبيكان عن مشروع تحدث معكم عنه ـ كما ذكر ذلك في بعض وسائل الإعلام ـ، أين ذهب هذا المشروع؟ وما الذي حصل له؟**

◄ أحسنت، ذكرتني ذكرك الله بالخير، لقد نسيت الإشارة إلى موقف الشيخ العبيكان؛ لأني أعتقد أن فضيلة الشيخ عبد المحسن العبيكان من الشخصيات التي كانت جريئة في الإعلان عن هذا الأمر وفي التحدث حول هذا الموضوع، ولقد التقيناه أكثر من مرة، وفي بعض اللقاءات حضر مجموعة من العلماء من السلفيين وبعضهم كانوا من المتشددين وذوي المواقف الحادة تجاه الشيعة ومن مختلف المناطق الخليجية، حضر معنا بعضٌ من هؤلاء العلماء بعض اللقاءات، واتفقنا مع الشيخ العبيكان على أن يكون هناك تواصل، وأن يكون هناك ميثاق شرف يتفق عليه المواطنون السنة والشيعة في المملكة، إذ كنا نتحدث ـ حينها

ـ عن الإطار الوطني في المملكة، وأن يكون هناك اتفاق نحمي ـ من خلاله ـ وحدتنا الوطنية، ونتعاون داخل إطارنا الوطني، ونتجاوز به حالة الإساءات وسوء الفهم.

وكانت هناك صياغة لهذا الميثاق، وقد راجعنا الصياغة وشاركني في ذلك بعض العلماء الأجلاء من منطقتنا، حيث شارك بعض علماء الشيعة في حضور هذه اللقاءات، كما أنه حضر من طرفه بعض العلماء الآخرين.

وقد اتصلت ـ مؤخَّرًا ـ مع الجهة التي عملت على تهيئة هذه الفرصة، فوجدت أن هناك عزمًا على معاودة السعي في هذا الإطار.

سماحة الشيخ، الوقت سرقنا، شكرًا لكم على هذه الفرصة...

إخواني الحضور، شكرًا لكم على حسن الاستماع .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.


مع الدكتور الشيخ عوض القرني


مع الدكتور الشيخ عائض القرني

الشيخ الصفار يتحدث عن:

٧

المرأة وتحديات الحياة العصرية

استضاف منتدى الحوار بواحة سيهات سماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله في ندوة حوارية تحت عنوان: (المرأة وتحديات الحياة العصرية)، مساء يوم الأربعاء ليلة الخميس ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ الموافق ٢١ سبتمبر ٢٠٠٠م، حيث استمر الحوار لمدة ثلاث ساعات تقريبًا، وقد أجاب سماحته عن العديد من التساؤلات والمداخلات التي قدّمها المشاركون والمشاركات، ولم يتسع الوقت للإجابة عن بعض الأسئلة التي أرجئت إلى فرصة أخرى.

الجدير بالذكر أن منتدى الحوار بواحة سيهات قد أعلن عن انعقاد هذه الندوة الحوارية قبل فترة ودعى إلى المشاركة فيها، وقد بلغ عدد زوار واحة الحوار المباشر بمنتدى الحوار بواحة سيهات حوالي ٢٠٠٠ زائر أثناء الحوار مع سماحته.

وفيما يلي أهم الأسئلة والإجابات:

المرأة وتطلعات التغيير

□ سؤال سماحة الشيخ، تحية إجلال وإكبار، شكرًا جزيلًا لمجهوداتكم تجاه مجتمعك وأبنائك، في كتابكم مسؤولية المرأة كانت لأياديكم الكريمة هذه الكلمات وصفًا للمرأة في القدم: «وكيف يمكنها أن تؤدي أي دور وهي تعيش على هامش الحياة، وينظر إليها بازدراء واحتقار! جعلها هي الأخرى تفقد الثقة

بنفسها، وترضى بواقعها البغيض..

- **إن آراءها تعتبر ناقصة، وتحركاتها مشبوهة، وكلماتها تافهة، وما عليها إلا أن تقبل ما يجري وتخضع لما يحدث.. وباختصار: كانت عضوًا مشلولًا في المجتمع وطاقة مهملة في الحياة..».**

- **سماحة الشيخ: رفضتم في ذات الكتاب، ونرفض نحن جميعًا الاتجاه المعاكس لتلك الحالة وهي حالة الفراغ الفكري.. ولكن سماحة الشيخ، ألا ترى أنه وفي ظل الخوف من التغيير المطبق على عقول الأكثرية، فإن عملية رفع المستوى الفكري وتنشيط الجانب النسائي، هو أمر تغلب عليه الاستحالة؟ وبالتالي فالحالة التي ذكرت في كتابكم ستظل هي المسيطرة على جوانب حياة المرأة في بلادنا، وستظل المرأة التي وصفت في الماضي هي فتاة الحاضر والمستقبل؟ حيث إن مرحلية التغيير في المجتمع هي ضعفي المجتمعات الأخرى، فما مدى تفاؤل سماحتكم بعملية رفع مستوى المرأة الفكري، وما أنجح الطرق في نظركم التي تؤمنون بأنها سبل النجاح في هذه العملية.**

- إنني متفائل بالتقدم الذي تحرزه المرأة على المستوى العالمي وفي الساحة الإسلامية، نحن نجد أن المرأة بدأت تحتل مواقع متقدمة على الصعيد السياسي والعلمي والأدبي والاجتماعي، وهذا يؤثر في مجتمعاتنا بسبب الانفتاح والعولمة التي حولت العالم إلى قرية واحدة، لكن المطلوب منا جميعًا أن نسرع في عملية التغيير في مجتمعاتنا، لنقلها ولنقل المرأة وبشكل خاص من حالة الخضوع للواقع التهميشي إلى حالة الفاعلية والنشاط ونشر الوعي هو أفضل طريق وإلى جانبه حصول المبادرات الجريئة والشجاعة من قبل المرأة الواعية الناضجة.

- **تحركت المرأة المجاورة لنا منذ أثر من ٣٠ عامًا ولكن مجتمعنا ظلّ يلتف على**

أفكاره وكأنها أبناؤه الصغار، ويطرد عنهم أي محاولة للتغيير.. بعض الفئات النسوية لدينا ـ والحمد لله ـ تتحلى بما ذكرتم ولكن أكثر العوائق تأتي من جانب الرجال، فهل التغيير العالمي سيؤثر في رجالنا؟ أم يجب علينا المحاولة عبر مختلف المنابر؟

◂ لا شك أن للتطورات العالمية أثرًا على أفكار الناس في مجتمعاتنا رجالًا ونساء، ولكن المطلوب الاستفادة من كل المنابر والفرص المتاحة لتعزيز فرص التقدم الفكري والاجتماعي وخاصة فيما يرتبط بوضع المرأة، ومما يساعد على ذلك بروز كفاءات نسائية واعية تقوم بدورها وتثبت جدارتها وكفاءتها.

☐ **كلنا يعلم بأن للعرف مكانة عظيمة في مجتمعنا ونحن متمسكون به في كثير من الجوانب.. ولكن هناك بعض الأمور يجب أن ننظر إليها بمنظار جديد مع أن البعض يضع العرف عائقًا لتحقيق ذلك.. السؤال: ما مدى استطاعتنا في تغيير بعض الأعراف التي تتعارض مع الأفكار الجديدة بالرغم من أن هذه الأفكار لا تتعدى الشرع الإسلامي ولكنها تتعارض بشكل أو بآخر مع العرف؟**

◂ يمكن تغيير الأعراف السائدة لصالح الأفكار الجديدة التي لا تخالف الشرع بطريقتين:

الأولى: وجود اقتناع ووعي عند الناس بضرورة التغيير وبأفضلية الخيارات الجديدة، وهذا الاقتناع لا يأتي إلا من خلال العمل الدؤوب والجاد باتجاه التغيير.

الثانية: وجود مبادرات جريئة من تجمعات واعية تكسر طوق تلك التقاليد والأعراف.

☐ **كيف يمكن للمرأة أن تمارس حقوقها المدنية والاجتماعية والاقتصادية، في المجتمعات الإنسانية المعاصرة، وما هو المدخل إلى ذلك.. خاصة في بعض**

المجتمعات التي تكون فيها العادات والتقاليد حجر عثرة في طريق تحرك المرأة؟

- يمكن للمرأة أن تمارس حقوقها المدنية والاجتماعية ولاقتصادية إذا تطور وضع المجتمع إلى مستوى المجتمعات الديمقراطية المتقدمة، أما في كثير من المجتمعات المتخلفة فإن الرجل أيضًا ليس متاحًا له أن يمارس حقوقه بالشكل الكامل، فينبغي التفكير في مجتمعاتنا وانتشالها من حالة التخلف إلى حالة التقدم بالالتزام بمفاهيم الإسلام وتعاليمه التي تعطي لكل فرد في المجتمع، رجلًا كان أو امرأة، دوره المناسب في إدارة الشؤون العامة.

- **كيف يمكن للمرأة أن تعمل في المجتمع وهي بالكاد تلبي أعمال بيتها وزوجها، هل هناك طريقة معينة يمكن للمرأة أن توفق بين العمل الاجتماعي وبين أمر المنزل والزوج؟**

- المطلوب من الإنسان رجلًا أو امرأة أن تكون له حركتان:

- حركة باتجاه تسيير أمور حياته الشخصية والعائلية.
- وحركة باتجاه المشاركة في قضايا المجتمع وخدمة مصالحه العامة، وكما أن الرجل معني بالدرجة الأساس بتوفير احتياجات العائلة المادية.. والمرأة معنية حسب العرف الاجتماعي بترتيب شؤون البيت، فإن عليهما أن يوفق كل منهما بين دوره العائلي الخاص ودوره الاجتماعي العام، وهذا يتم عبر تنظيم الوقت والاستفادة من الوسائل المساعدة.

طموحات بناتنا كبيرة جدًا وهي أكثر من الإمكانات المتوفرة، وقد تنساق الفتاة مع زميلاتها إلى توجّه صعب ومكلف لهن ولأسرهن بدون نظرة مستقبلية صحيحة، عدد الطالبات اللاتي يدرسن بجامعة الرياض من منطقتنا يقارب ٩٠٠٠ طالبة وقد لا يعمل منهن ـ مع التفاؤل ـ أكثر من ١٠٠٠ بعد التخرج.

☐ **في ضوء الوضع الراهن، من الصعوبة الحصول على كرسي العلم ووظيفة العمل، مـاذا يعملـن؟ والى أين يستحسـن أن يتجه بناتنـا لتغطية احتياجـات مجتمعنا من المهـن والخدمات النسـائية؟ وما هو الدور المطلوب الـذي يمكن أن يؤديه أفراد المجتمع للتعامل السليم مع الحواجز الحالية؟**

◄ مواصلة الدراسة والتعلم أمر مطلوب بحدّ ذاته، والوظائف إذا لم تتوفر اليوم فسوف تتوفر غدًا ضمن القطاع العام أو الخاص، وينبغي التفكير في أن يكون للقطاع الخاص دور في استيعاب بناتنا الخريجات مع مراعاة التعاليم الدينية، كما أنه ينبغي إثارة الطموح عند بناتنا للتوجه للدراسات العليا وليس الاكتفاء بدرجة البكالوريوس مثلًا، وإنما نحتاج منهن أن يسعين وراء الحصول على درجة الماجستير والدكتوراه في مختلف التخصصات، وواضح أن من يمتلك شهادة عليا فإن فرصه في العمل أكبر. إن مجالات كثيرة تشكو من الفراغ، فمثلًا في المجال الطبي بلادنا بحاجة إلى عدد كبير من الطبيبات، فنسبة السعودة في القطاع الطبي في المملكة في حدود ١٦٪.

☐ **لا شـك أن طرح المشاريع واقتراحها أمر سهل وبسيط، وهناك الكثير من الأفكار التي يمكـن أن نطرحها للرقي بالمرأة وبالمجتمع، ولكن الاقتراح سـهل والتنفيذ صعـب.. هـل لديكـم خطوات عمليـة لتنفيذ هـذه المشـاريع وأمثالهـا أو يقتصر دوركم على ما دون ذلك؟ وإذا لم تبادر الشخصيات الكبيرة في مجتمعاتنا بإنشاء هذه المشاريع فمن يبادر؟**

◄ إنشاء منتدى أو جمعية أو نادٍ نسائي أمر مطلوب للرقي بالمرأة ولتفعيل دورها في الحياة الاجتماعية، والخطوات العملية التي نراها لبدء مثل هذه المشاريع المهمة هي المبادرة، ونأمل أن تبادر بعض فتياتنا الواعيات للقيام بهذا العمل الطموح، ودورنا هو تشجيع مثل هذه المبادرة ودعمها، ولا يتوقع منا بالطبع أن

نمارس دورًا بديلًا عن أخواتنا العزيزات.

☐ **على ضوء ما ذكرتم.. هل منتظر من المرأة أو مجموعة منهن أن يتحركن بأنفسهن للحصول على رخصة إنشاء مشروع ويشترين الأرض بأنفسهن ويذهبن إلى المهندس المعماري ويجمعن التبرعات بأنفسهن.. لا شك من الضرورة القصوى لتواجد الأخوات ودورهن الفعال، ولكن لا أرى بإمكان أن يقمن وحدهن بكل هذه المقدمات اللازمة وغير ذلك؟**

◄ نعم، ننتظر من المرأة أن تتحرك بنفسها للحصول على رخصة إنشاء مشروع، وأن تهيئ كل المستلزمات لذلك.. ولدينا في المملكة العديد من سيدات الأعمال، وخاصة في جدة والرياض يدرن أعمالًا اقتصادية كبيرة ويتابعن إدارتها، وإذا كان هناك أمر يحتاج إلى متابعة من رجل فعلى المرأة أن توظف وتجند الرجل الذي يقوم بذلك الدور.. ومن المعروف أن السيدة خديجة أم المؤمنين عليها السلام كانت تدير تجارة دولية عالمية وهي في مكة المكرمة، وقد استفادت من طاقة وعمل الرسول ﷺ قبل بعثته في خدمة تجارتها حيث سافر إلى الشام في تجارة خديجة. فلماذا نستكثر مطالبة المرأة لأن تتحرك لتكوين مشروع خاص بنشاطها الثقافي والاجتماعي؟! ولماذا تريد دائمًا الكون تحت وصاية الرجال؟ فتحركن بأنفسكن، وهناك من الرجال من يمكنكن تحريكه والاستفادة من نشاطه.

☐ **في الوقت الذي حققت فيه المرأة وبشكل كبير المساواة بينها وبين الرجل في فرص التعليم والعمل، إلا أننا نلاحظ ضعف وجودها أو ربما تراجعه في تقلدها لمراكز القيادة وصناعة القرار في المؤسسات العامة، هل هذا يعود إلى عدم اقتناع الرجل بإمكانية تقلد المرأة لمناصب القيادة؟ وما رأي سماحتكم في عمل المرأة بشكل عام؟**

◄ عدم تقلد المرأة لمراكز القيادة وصناعة القرار في المؤسسات العامة راجع إلى

عدم ظهور وبروز كفاءات نسائية ناضجة تنتزع مواقعها، كما يعود ذلك إلى ما تعانيه مجتمعاتنا من تخلف في نظرتها لموقع المرأة ودورها.

والمطلوب من المرأة أن تنتزع دورها بكفاءتها ونشاطها وفاعليتها والمستقبل سيكون في صالحها إن شاء الله.

□ **المرأة احتياجاتها منسية، وليس لها أهمية من رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال في منطقتنا.. سوق نسائي، صالات رياضية، محلات للحاسوب، وغيرها من المشاريع الكثيرة، ما نصيحتك لرجال الأعمال حول هذه المشاريع التي تنمي وتحفظ المرأة؟**

◄ رجال الأعمال عادة ما يتوجهون للمشاريع المربحة التي يتضح لهم جدواها اقتصاديًّا، فإذا كانت هناك مشاريع وأعمال مثمرة اقتصاديًّا فإنهم عادة ما يتسابقون إليها، ونأمل أن يهتم رجال الأعمال في بلادنا بالاستثمار في المشاريع التي تعالج بعض الحاجات والقضايا الاجتماعية، فإنها في الوقت الذي تنفعهم اقتصاديًّا تساعد في تطوير المجتمع الذي ينتمون إليه.

إن وجود مشاريع وأعمال تستقطب الطاقات المتوفرة في مجتمعنا له أكثر من فائدة فهو يتيح المجال لنمو طاقات المرأة ويخلق أجواءه الحصانة والعفاف بتقليص حالات الفراغ التي تدفع للكثير من المفاسد، فنأمل أن يتوجه رجال الأعمال المخلصون للمشاريع ذات الفائدة الاجتماعية إلى جانب مردودها الاقتصادي.

علاقة الرجل بالمرأة

□ **في ضوء التطور والتقدم التكنولوجي.. وما وصلت إليه آخر ابتكارات هذا العلم، أصبحت هناك طريقة للتعارف بين الشاب والفتاة وهي الدردشة بأنواعها الصوتية والكتابية، فما هو رأي شيخنا الفاضل في هذا التعارف وليس بقصد الزواج وإنما**

تعرف أفكار الجنس الآخر لا غير؟

◀ ليس هناك ما يمنع من وجود تواصل أو تخاطب مع الجنس الآخر شريطة ألا يكون أجواء التواصل والتخاطب فيها محذور شرعي..

□ **وهل معنى ذلك أنكم لا تمانعون إنشاء هذه العلاقات بين الشباب والشابات ولكن ضمن الحدود الشرعية.. وإذا كان كذلك فما هي الضمانات التي يمكن تواجدها لكي لا يكون بابًا للفساد؟**

◀ الإسلام لا يقيم جدارًا حاجزًا وفاصلًا بين الجنسين الرجل والمرأة، وإنما يأمر بأن تسود أجواء العفة والاحتشام في التعاطي بين الطرفين، وفي المجتمع الإسلامي الأول في عهد الرسول وفي عصور الأئمة ﵈، كان هناك تعامل وتعاطٍ بين الرجال والنساء، ولكن ضمن آداب الإسلام وتعاليمه، أما تكوين صداقة عبثية بين شاب وفتاة ودون ضوابط وحدود فهذا ما يكون مزلقًا للفساد والانحراف، وبالمناسبة فإنه غالبًا ما تكون الفتاة هي الضحية في مثل هذه العلاقة.

□ **شيخنا العزيز.. ما تقولون في الاستحباب الذي يذكره الفقهاء عن استحباب حبس المرأة في المنزل فلا تخرج إلا لضرورة.. وذكرتم أيضًا (أما تكوين صداقة عبثية بين شاب وفتاة ودون ضوابط وحدود) والسؤال: ما هي تلك الضوابط والحدود؟**

◀ ليس هناك من يقول باستحباب حبس المرأة في المنزل وألا تخرج إلا للضرورة، لأن المستحبات الواردة في الإسلام من عيادة المريض وصلة الرحم والسعي لطلب العلم وإدخال السرور على المؤمنين، ومشاركة الناس في أفراحهم وأتراحهم، والترفيه عن النفس، هي عامة للرجال والنساء على حدٍّ سواء، فكما

يستحب للرجل أن يذهب للقيام بهذه الأمور المذكورة وأمثالها كذلك هو مستحب للمرأة مع رعاية الستر والحجاب.

أما ما يتعلق بالسؤال الثاني، فإن ضوابط وحدود أي علاقة بين شاب وفتاة هي الحشمة وعدم الإثارة، وألا تكون مفضية إلى محرم.

الزواج

☐ **أجاز الشرع للخاطب أن يرى الفتاة التي يريد خطبتها، وذلك حسبما قرره الشرع، ولكن الشاب في هذه الأيام يطمح إلى ما هو أكبر من ذلك، فهو يريد الجلوس معها ـ في حضرة والديها طبعًا ـ ليقف على مدى ثقافتها وتفكيرها ليتحصل على حياة مثالية خالية من الإشكالات.. فما هو رأي الشرع في ذلك؟ وكيف نتعامل مع هذه الظاهرة من حيث العادات والتقاليد؟**

◄ لا مانع من الناحية الشرعية أن يجلس الشاب الخاطب مع الفتاة المحتشمة بحضور آخرين، ليتعرف ثقافتها وشخصيتها، أما العادات والتقاليد التي تمنع من ذلك فينبغي التعاطي معها بوعي وثقافة تغييرية.

☐ **المجتمع لا يجهل الحكم الشرعي.. ها هي الرسائل العملية بين أيديهم ولكن الشباب يتساءل عن كيفية تطبيق ذلك خصوصًا ضمن الظروف التي نعيشها من العادات والتقاليد؟**

◄ المجتمع يجهل كثيرًا من الأحكام الشرعية، وما هو موجود في الرسائل العملية ليس واضحًا لأكثر الناس، وحتى لو اتضح الحكم الشرعي يحتاج الناس إلى وعي يدفعهم لتطبيقه والالتزام به، وألا يقدموا العادات والتقاليد عليه، وواجبنا جميعًا توفير ذلك الوعي المطلوب.

☐ **لقد ورد في واحة الحوار أن بعضهم يرى جواز ترقيق الثياب للخاطب اعتمادًا**

على حديث ورد في كتبنا (مثل علل الشرائع)، فهل يجوز ترقيق الثياب والجلوس معها بدون وجود أحد وكذلك مكالمتها هاتفيًا؟

◀ ترقيق الثياب حين ينظر الخاطب إلى مخطوبته للتعرف إليها جائز كما يذكره الفقهاء في رسائلهم العملية، والمكالمات الهاتفية للتعارف بين الخاطب ومخطوبته جائز شرط الالتزام بالتعاليم الدينية، أما الجلوس مع بعض وبدون وجود أحد فهو حرام؛ لأن الخلوة بين رجل وامرأة أجنبية لا يجوز شرعًا.

□ **ما هي الصفات التي ينبغي للمؤمن البحث عنها في المرأة التي سيختارها زوجة له؟ وما هي أفضل الطرق التي يتبعها في البحث عن زوجة؟ وفي المقابل ما هي الصفات التي ينبغي للبنت أن تنظر إليها وتشترطها فيمن يتقدمون لخطبتها، وإذا لم تجد من تتوفر فيه الصفات التي تريدها، فماذا تعمل؟**

◀ أهم الصفات التي ينبغي للمؤمن أن يبحث عنها في المرأة التي يردها زوجة له، هي:

أولًا: أن تكون من عائلة طيبة لما للوراثة من تأثير.

ثانيًا: أن تكون ملتزمة بدينها متمتعة بالأخلاق الفاضلة.

ثالثًا: أن تكون على مستوى من الجمال يملأ عين زوجها.

وأفضل الطرق التي ينبغي اتباعها في البحث عن زوجة: السؤال من جهة الأهالي والعوائل وكذلك الأصدقاء، ثم عليه أن يتأكد من المواصفات التي نقلت إليه.

أما الصفات التي ينبغي للبنت أن تنظر إليها فهي صفات مشابهة لما ذكر، أي أن تسأل عن عائلته وأخلاقه وعن صفاته الجسمية.

□ **سماحة الشيخ، هل يجوز للمرأة أن تشترط على الزوج عدم الزواج من أخرى، وهل يلتزم به الزوج شرعًا ويجب تنفيذه.. وهل يؤثم إذا لم يلتزم به؟**

◄ نعم، تستطيع المرأة أن تشترط في عقد النكاح منع الزوج من الزواج من أخرى، وإذا قبل به الرجل في العقد يكون ملزمًا بذلك الشرط، ويؤثم إذا لم يلتزم به.

□ **في السنوات المتأخرة وجدت ظاهرة مرضية في البحرين، ويمكن أن تنعكس على المجتمع أيضًا وهي أن المدرس لا يتزوج إلا مدرسة، والجامعي لا يتزوج إلا من جامعية، والمهندس لا يتزوج إلا من مهندسة.. وهكذا، وكل ذلك نتيجة المتطلبات المعيشية حيث لا يستطيع الشاب أن يقوم بالأعباء الاقتصادية والمالية وحده، مما يتولد من ذلك بقاء الكثيرات من الفتيات دون زواج، فما هو الحل العملي في نظركم لهذه الظاهرة؟**

◄ لا مانع أن يطلب الرجل في زوجته صفة معينة، كأن تكون مدرسة أو جامعية.. لكن ما يجب التنبيه عليه أن أهم ما يسعد الحياة الزوجية ليس هو الشهادة أو تلك الوظيفة، وإنما صلاح المرأة وأخلاقها الطيبة؛ لأنها ستكون شريكة الرجل في حياته وحضنًا لتربية أبنائه، ونصيحتنا أن يهتم الشباب بالبحث عن المواصفات الأساسية لشريكات حياتهم في المستقبل، ولا تؤثر عليهم العناوين والمصالح المادية فقط، وقد يحصل أن يتزوج الإنسان موظفة أو جامعية لكن لا يسعد بالانسجام معها، فماذا تفيده شهادتها؟ وكذلك لو لم تكن المرأة في مستوى التربية الصالحة للأبناء فإن الشهادة أو الوظيفة لا تعوض عن هذا النقص الخطير، من ناحية أخرى فإن على البنات أن يسعين ليوفرن في أنفسهن المواصفات التي تسهل لهن طريق العثور على شريك الحياة المناسب.

□ **طرح في منتدانا موضوع طاعة الزوج وحكمها واجبة، واستنتجنا هذا الحكم من حديث الرسول الذي منع تلك المرأة من صلة والدها المريض، ولطالما سمعنا حكم وجوب تعزية أبي عبد الله الحسين حتى بدون إذن الزوج في يوم العاشر من المحرم؛ لأن حكم التعزية واجب شرعًا على كل شخص بالغ، فما مدى صحة**

هـذا الحكم؟ وإذا كان صحيحًا فإن صلة الرحم واجبة أيضًا، فما الحكمة من منع رسول الله المرأة التي أرسلت من يستأذن الرسول لزيارة والدها المريض؟ وكيف نوفق بين هذا الحكم وبين (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)؟

◀ هذا الحديث المذكور أن رسول الله منع امرأة من صلة والدها المريض إطاعة لزوجها ليس حديثًا ثابتًا؛ لأن طاعة الزوج في حدود المعروف ولا يصح لزوج أن يمارس على المرأة سيطرته من دون حدود.

أما التعزية في اليوم العاشر من محرم التي أشرتم إليها فهي ليست واجبًا من الناحية الشرعية، نعم، هي أمر ندب إليه الشرع إحياءً لذكرى أهل البيت وتعظيمًا للشعائر وإلا فهي ليست واجبا شرعيًا.

□ **يعتبر البعض أن المرأة لم تنصف في مسـألة القيمومة والإرث.. ففي السـابق كان رجال الدين يصرحون أن الرجل من يتحمل الأعباء الاقتصادية فلهذا له الحق في القيمومة وعدم مسـاواة المرأة له في الإرث.. ولكن ها نحن نشـاهد المرأة تنافس الرجل في القيام بتلك الأعباء وتتحمل ما يتحمله، فلماذا نشـاهد هذا البخس من حقها؟**

◀ الفرق بين الرجل والمرأة في موضوع الإرث وحق القيمومة في الحياة الزوجية تشريع إسلامي ثابت لا يتغير بتغير الظروف، صحيح أن المرأة أصبحت الآن تشارك الرجل في تحمل الأعباء الاقتصادية لكن ذلك تطوع منها وليس مفروضًا عليها بحسب الشرع، بل هو مفروض على الرجل ولذلك عوضه الشرع في مقابل ما فرض عليه.

□ **ما رأي فضيلة الشيخ في عمل المرأة إذا كان يلزمها فتح الوجه؟**

◀ فتح الوجه بالنسبة للمرأة جائز في رأي أكثر الفقهاء، فلا مانع أن تفتح المرأة

وجهها إذا كان عملها يستلزم ذلك شرط ألا تكون هناك زينة أو فتنة.

□ **ماذا يقترح سماحة الشيخ، وما أعماله في القضاء على ظاهرة العباءات الغريبة والمثيرة للشهوة والنقاب وغيره من ألبسة تثير الشباب في هذه الأيام. وللمعلومية أن الكثير من المشاكل والجرائم قد تسببت نتيجة لهذه الألبسة، وأنا أعرف الكثير من الشباب الذين ما عادوا يتحملون رؤية هذه الألبسة أمامهم، وبالتالي يريدون الزواج لكن لا يستطيعون الزواج بسبب ظروفهم المختلفة؟.**

◄ الظواهر السيئة التي نراها في مجتمعنا فيما يرتبط بأوضاع اللباس والسلوك الاجتماعي، يجب أن نفكر في جذورها وخلفيتها، ولا نقف عند حدود تلك الظواهر، فهي تكشف عن فراغ فكري، وانشداد وانجذاب نحو ما يجري في المجتمعات الأخرى، وعلينا أن نعمل لتوفير الوعي والثقافة السليمة لشبابنا وبناتنا حتى يتمسكوا ويلتزموا السلوك السليم، لا أن نكتفي بإطلاق فتاوى التحريم والتحليل، أو نصبّ عليهم جام غضبنا وانزعاجنا.

من ناحية أخرى، فإن هناك نوعًا من التضخيم والإفراط في التعاطي مع بعض الألبسة والمظاهر السلوكية، فالشرع أوجب على المرأة الستر، ولكن نوعية الستر متروكة للمرأة نفسها، شريطة ألا يكون هناك لباس فيه إثارة، لكن البعض يوسع دائرة الإثارة فيحكم على كل لباس غير متداول في المجتمع بأنه سبب للإثارة، فلا داعي للتشدد والتزّمت، وإنما نرفض ما كان مثيرًا بالفعل دون تضخيم أو تهويل.

□ **هناك منشورات أو ملصقات تقول بأن ٨٠٪ ممن تلبس الكتافي سافلة وغير سليمة سلوكيًا.. فهل ترويج هذه المقولات هو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.. أم هو إشاعة للفاحشة والرذيلة في أوساط المجتمع؟ أليست هذه المنشورات تشجع أصحاب النفوس المريضة للتحرش بكل من تلبس الكتافي أو النقاب؟ وإلى متى ستكون المرأة هي المدان الوحيد وهي المسؤولة عن الفساد؟ هل حقًا أن الكتافي**

غير المخصر والنقاب يثيران شهوة الشباب حسبما نقرأ هنا في المنتدى أم هو ضعف الوازع الديني لدى الشباب أنفسهم؟

- المنشورات والخطابات الركيكة التي تسيء لمشاعر الناس، وتضخم وتهول بعض الأخطاء تسيء للحالة الدينية أكثر مما تنفع، وأن الله تعالى يأمر بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس صحيحًا أن المرأة هي المسؤولة الوحيدة عن إفساد الشباب، بل إن الكثيرين من الشباب هم الذين يسعون لإغواء المرأة وخداعها من أجل قضاء مآربهم، ثم التفرج على معاناة المرأة كضحية لتصرفاتهم الطائشة، كما أن اعتبار بعض الألبسة مثيرة للشهوة فيه شيء من التسرع، والشباب أيضًا في ألبستهم وحركاتهم يمارسون أشياء مثيرة، وكما أن الإثارات من جانب الفتيات حرام فكذلك الأمر من جانب الشباب.

- □ **الدين يملك ثلاثة أنواع من الردع والنهي عن المنكر، وهي: الكلام والضرب والإنكار بالقلب، فالإسلام قد وضع أكثر من وسيلة للردع، ومن ضمنها الوسيلة العملية (الضرب)، ومن ضمن الوسائل العملية للردع عن هذا المنكر هو إيقاف محلات العباءات عن بيع وصنع مثل هذه العباءات على مستوى المنطقة، ولكن نراكم تركزون فقط على ناحية التثقيف الديني، بينما نرى ونعلم أن الكثير من الحالات لا ينفع معها الكلام، فيلجأ الإنسان إلى الوسائل العملية مما لا غنى عنه للوصول بالمجتمع إلى مستوى الاستقامة، مع ملاحظة أن الموضات تتزايد وتتكاثر في هذه الناحية، فكما تعلمون ظهرت ظاهرة العباءة المخصرة، وسيظهر الكثير غيرها إن لم يقم المجتمع بعمل جذري وعملي يزيل هذه الظاهرة. فهل التثقيف الديني هو الأمر الوحيد الذي تقترحونه لمحاربة هذا الأمر؟**

- الردع مشروع للقوة الحاكمة في المجتمع، ولا يجوز لأي إنسان أن يمارس الردع في المجتمع خارج إطار السلطة الشرعية، والتثقيف هو الأجدى

والأصلح في مثل هذه الظروف؛ لأن المنع بالقوة فقط ومن دون إقناع وتوعية نتائجه محدودة، فماذا نصنع لمن يأتي بتلك العباءات تهريبًا. وكيف نمنع أن تصبح لها سوق سوداء؟ وماذا عن نسائنا اللاتي يسافرن إلى الخارج؟ إن التوعية والتثقيف الديني هو المجدي. أما وسائل الردع فهي متاحة للسلطة الشرعية ولا يمكننا أن نشجع أي إنسان على ممارسة الردع.

□ **من المسؤول عن اتجاه المجتمع في منطقتنا إلى الأغلال؟ هل هم الآباء.. أم تقصير المشايخ في مسألة الأمر بالمعروف؟**

◄ في الحديث المروي عن رسول الله ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، إنه لا يصح لنا أن نترامى بالمسؤولية، فالآباء مسؤولون، والأمهات مسؤولات، والمشايخ مسؤولون، وكل إنسان مكلف في المجتمع هو مسؤول بمقدار وعيه وإدراكه، والمطلوب أن يأخذ كل واحد منا زمام المبادرة لنستطيع الوقوف أمام التيارات الجارفة المتلاطمة.

□ **أود أن أستفسر عن حكم تغرّب المرأة للدراسة في منطقة تبعد من مسكنها حوالي ٩ ساعات، هل يجوز لها ذلك رغم معارضة أهلها للفكرة رغم أنها تسكن وحدها؟**

◄ إذا لم تجد المرأة فرصة للتعلم ضمن منطقتها وبين أهلها فإنه لا مانع من تغربها لطلب العلم، ضمن ظروف تأمن فيها على نفسها وعلى عفتها، وينبغي إقناع أهلها في مثل هذه الحالة.

في ختام هذا الحوار، أتقدم بخالص الشكر للإخوة الأعزاء في إدارة هذا المنتدى المبارك، حيث إنهم أتاحوا لي فرصة التواصل مع بقية الأخوة الكرام والأخوات الكريمات، كما أوجه شكري لجميع المشاركين معنا ضمن هذا اللقاء المبارك، وأهيب بهم إخوة وأخوات لمواصلة التفكير والاهتمام بقضايا الفكر والمجتمع، وأن

يبلوروا أفكارهم ومقترحاتهم باتجاه معالجة القضايا المثارة في المجتمع، والتحديات التي تواجهنا جميعًا في هذا العصر، وألا تبقى في حدود طرح السؤال وتلقي الجواب، أو طرح الإشكال وانتظار الحل، وإنما أن نتعاون جميعًا لتقديم أفكار وخطط وبرامج تساعد في تطوير مجتمعنا وتقدم مستواه إلى الأفضل في الميادين الاجتماعية والثقافية. وفق الله الجميع للخير والصلاح، وأشكركم جميعًا مرة أخرى، فقد استفدت من آرائكم ومداخلاتكم، وإلى اللقاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شكر وتقدير

تتقدم واحة سيهات ممثلة بجميع أعضائها بالشكر والعرفان لسماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن موسى الصفار على ما تكرم به من وقته الثمين بقبول الدعوة وتفضله بالإجابة عن أسئلة المشاركين والمشاركات في المنتدى على أن نلتقي في ندوات أخرى لترتقي معًا بمجتمع أفضل.

كما نعتذر للإخوة والأخوات على عدم الإجابة عن بقية الأسئلة، وسوف تجمع مرة أخرى لطرحها على سماحة الشيخ في وقت لاحق.



٧

لقاء مع القناة الأولى في التلفزيون السعودي[1]

أيها الإخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مرحبًا بكم في لقاءٍ جديد من هذا البرنامج: مراجعات ثقافية.

إخوتنا الكرام، تعودنا في حلقات سابقة أن نلتقي مفكرين ومثقفين وباحثين على أطياف مختلفة، وطرقنا في تلك اللقاءات أبوابًا عدة من المعرفة، ولكنا نسعى جاهدين في هذا البرنامج أن نرصد الايقاع الفكري الآني أيضًا، فنتعايش مع اللحظة الفكرية الحاسمة أوالمتوترة أو الساخنة التي يعيشها واقعنا الثقافي العربي والإسلامي بعامة، وقبل ذلك واقعنا في المملكة العربية السعودية من الجوانب الثقافية والفكرية والسياسية بعامة.

في حلقتنا هذه إخوتنا الكرام نلتقي شخصية فكرية وثقافية وأدبية تسعهم وتعطي في هذا المجتمع عطاءً فكريًا، وتقدم الرؤية، وتسعى إلى ربط نسيج ثقافي وفكري وطني واجتماعي متواصل، هذه الشخصية شخصية المفكر والأديب الأستاذ الشيخ حسن الصفار.

الإسلام دين التسامح والحوار، حقيقة قاطعة نصّت عليها الأدلة الشرعية، وصدّقتها الكثير من القصص الإسلامية عبر التاريخ، فالمسلمون أكثر الأمم ممارسة

---

(١) عرض على شاشة التلفزيون السعودي القناة الأولى، بتاريخ ١٠ شوال ١٤٢٥هـ مقدم البرنامج الدكتور محمد العوين.

للتسامح مع الآخرين حتى مع اليهود، إذ إن الأصل في التعامل مع الآخرين قائم على المسالمة والاحترام، إلا إذا كان الطرف الآخر هو الذي بدأ العدوان والخصام، وما دام الأمر كذلك مع أصحاب الديانات الأخرى فمن باب الأولى أن يكون الأمر كذلك بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم، ذلك بأن أحادية الرأي كفيلة بأن تؤجج أوار التعصب والبغضاء، ليخسر الجميع عامل التكامل والاتحاد الذي يمثل قوة في وجه الآخرين، ومن هنا فإن الاجتهادات الخاطئة في محاربة غير المسلمين، أو المسلمين لبعضهم بعضًا، كفيلة بأن تضيّق الدائرة على الجميع، بما يفضي إلى صراع غير مبرر يتنافى مع تعليمات الدين الإسلامي ومبادئه.

ولعلّ ما أفرزته ظاهرة الخوارج في التاريخ الإسلامي وتمردها على الجميع ما يؤكد هذه الحقيقة، ولعلّ مما يؤسف عليه أن تكرر أعمال مشابهة في عصرنا الحاضر، من قبل بعض الأفراد في المجتمعات الإسلامية، الأمر الذي انعكس بصورة مشينة على صورة المسلمين في شتى بقاع العالم، وعلى الرغم من ذلك فإن رفض الرأي الآخر ليس السمة السائدة لدى المسلمين، بل إن المجتمعات الإسلامية شهدت مؤخرًا العديد من ملتقيات التحاور والمناقشة، بشكل يبعث على المزيد من التفاؤل بشكل مشرق، ولعلّ السؤال الذي يطرح نفسه: ما موقف المسلمين من الآخر وفئات بعضهم بعضًا، هذا ما نناقشه في هذه الحلقة.

□ **نرحب بضيفنا الكريم الأستاذ والمفكر والأديب الشيخ حسن الصفار، أهلًا وسهلًا بكم.**

◀ الصفار: حياكم الله وأهلًا وسهلًا بكم وبجمهوركم.

□ **سعيد بهذا اللقاء في الواقع، ربما تابعتم شيخ حسن حلقات سابقة من هذا البرنامج، لقاءات متنوعة مع مثقفين وأدباء من المملكة العربية السعودية والوطن العربي، حاولنا أن نجتهد في الوقوف على نقاط معينة فكرية ليست بالضرورة**

نابعة من سمة الضيف، إنما من المخاضات التي يخوضها فكريًا في وسطه الفكري والاجتماعي، أليس كذلك؟

◄ الصفار: بلى، أنا أقدر لكم هذا الجهد الذي تبذلونه ضمن هذا البرنامج، وهو برنامج يوفر على كثير من المستمعين جهدًا كبيرًا؛ لأنه يلخّص لهم أفكار العديد من المفكرين، ويقدّم لهم خلاصة توجهاتهم الفكرية من خلال لقاء موجز، وهو برنامج جاد ومفيد، وأشكر لكم هذا الجهد الطيب، وأتمنى لكم المزيد من التوفيق والتقدم في خدمة الثقافة والوعي الإسلامي والوطني من خلال هذه البرامج الطيبة.

□ **بارك الله فيك، دعني في المقدمة نطلق شيئًا من التعريف من خلال الكتب، ما شاء الله أنت كتبت الكثير أكثر من ٣٠ أو ٤٠ كتابًا.**

◄ الصفار: المطبوع حاليًّا سبعون كتابًا ولكنها بأحجام مختلفة، بعضها على شكل كتيبات صغيرة، وبعضها على شكل كتب كبيرة، فهي مختلفة الأحجام من حيث الرقم وصلت إلى ٧٠.

□ **مقدم البرنامج: لكن أيضًا متنوعة ومختلفة وأنت كتبت عن شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين وهذا في المركز الثقافي العربي في المغرب، والتنوع التعايش بحث تأصيل الوحدة الاجتماعية الوطنية دار الساقي في لندن، والتسامح وثقافة الاختلاف رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات أيضًا هذا في لبنان مطبوع من داري نشر وليست دار واحدة، التعددية والحرية في الإسلام وهذا الوتر تضرب عليه كثيرًا سنتطرق إليه في هذا الحوار، وفي باب قضايا إسلامية معاصرة الحوار والانفتاح على الآخر، في الاتجاه نفسه ونأتي إلى علم النفس بعد قليل، ورمضان برنامج رسالي، وبين السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل، والإمام علي ونهج المساواة، ومسؤولية الشباب، وشهر رمضان، وعن اللقاء الوطني**

للحوار الفكري الذي ربما شرحت بفاعليتك فيه، وعلماء الدين قراءة في الأدوار والمهام دار الجديد، جميل جدًّا هذا أيضًا، كتيب عن النادي الرياضي والمجتمع، محاضرة يبدو، والإمام الحسن نهج البناء الاجتماعي، والسلم الاجتماعي مقوماته وحمايتـه، ربما يدخل في الحوار والاختلاف والتعدديـة، والنفس منطقة الخطر، وهنا ندخل إلى علم النفس، وما شاء الله كتبت عنها كثيرًا، كيف تقهر الوسواس، وبناء الشـخصية فـي مواجهة التحديات، ومسـؤولية المرأة كتاب آخر، وما شـاء اللـه متعـدد التناول، الوطـن والمواطنة الحقـوق والواجبات، ورؤية في السـجال المذهبـي، أنت ركزت تركيزًا شـديدًا علـى الحوار الداخلـي، أو التعددية وحرية المعتقـد، أو حرية التمذهب وحرية الاتجاه الفكـري، كيف ترى الصورة من هذه الزاوية وأنت كتبت من وجهة نظر إسلامية، يعني كيف ترى أن الإسلام كفل هذه الرؤية رؤية تعددية الرأي وتعددية الرؤية وحرية الاختيار الفكري؟

◀ أعتقد أن من أهم التحديات التي تواجه أمتنا في هذا العصر، هو تحدي العلاقات الداخلية، كيف تستطيع الأمة على تنوع التوجهات والمدارس السياسية والفكرية الموجودة فيها، أن تضمن وحدتها وانسجامها؟

المسلمون كأمة كبيرة تتجاوز المليار نسمة، لا يمكن أن يتوقع من هذا العدد الكبير أن يكونوا مقولبين في رأي واحد، وفي فكرة واحدة، هذا خلاف طبيعة البشر.

الطبيعة البشرية تنتج شيئًا من الاختلاف، وتنوعًا في الآراء والتوجهات، حتى ضمن العائلة الواحدة، تجد الأبناء مختلفين في توجهاتهم وآرائهم واهتماماتهم، فمن الطبيعي أن تتنوع الاتجاهات السياسية والفكرية داخل هذه الأمة.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه: هل هذا التنوع يجب أن ينتج خلافًا وتشرذمًا وانقسامًا؟ أم يمكن الحفاظ على الوحدة مع هذا التنوع؟

البعض من الناس يرى أن الوحدة لا تكون إلا اذا اتفقت الآراء ضمن مذهب

واحد، ومسلك واحد، ومنهج واحد، أما إذا كان هناك اختلاف في الآراء فإن النتيجة الطبيعية تكون هي التمزق والصراع والخصام.

ركزت كثيرًا على هذا الموضوع، ورأيت أن الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية تربي الإنسان المسلم وتهيؤه لقبول التنوع في الآراء والتوجهات حتى على المستوى الديني، صحيح أن المسلم يعتقد أن الإسلام هو الدين الحق، أن الدين عند الله الإسلام، ولكن المسلم يدرك أن هناك أديانًا أخرى موجودة أيضًا في المجتمع البشري، هناك اليهودية مثلًا، هناك المسيحية مثلًا، هل يمكن أن تكون هناك علاقة؟ وهل يمكن أن يكون هناك تعايش بين المسلم وبين أتباع الديانات الأخرى أم لا؟

يمكن أن يكون ذلك، من خلال آيات القرآن الكريم، ومن خلال السيرة النبوية الشريفة والحضارة الإسلامية أيضًا، نجد أن الإسلام يقبل هذا التعدد الديني، يقبله بمعنى أن الإنسان المسلم يستطيع أن يتعايش مع اتباع الديانات الأخرى، يحفظ لهم حقوقهم ويتعاطى معهم، ويتعاون معهم في الإطار الإنساني العام، وضمن المشتركات، وكما يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، إذًا يمكن أن تكون هناك مشتركات بين الإنسان المسلم وبين أتباع الديانات الأخرى، العلاقة بين المسلم وبين غير المسلم ليست هي علاقة حرب، وليست هي علاقة نزاع وخصام، نعم إذا كان الطرف الآخر قد بدأ بالعدوان فإن على المسلم أن يدافع عن نفسه، أما إذا لم يكن هناك عدوان من الطرف الآخر، كونه يختلف معي في الدين هذا لا يبرر الخصومة ولا يبرر العداء معه، وهذا هو صريح القرآن الكريم ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[سورة الممتحنة، الآية:٨] هذا على مستوى العلاقات بين الأديان.

□ هذه النقطة مهمة جدًّا لأنها بؤرة توتر في هذه الفترة بين المسلم والآخر بعامة وأعني بين المسلم فئة من المتشددة الإسلاميين إذا صحّ التعبير وبين الآخر على اختلاف دياناته، والمسلم أحيانًا المتشدد لا يفرق بين هذا الآخر إذا هو يهودي أو

مسيحي أو حتى ينتمي إلى ديانة أخرى غير اليهودية أوالمسيحية، وكأن الإسلام يعادي وبصفة مطلقة أي معتقد أو دين آخر لذات العداء، ليس إلا، نريد إيضاح هذه النقطة؛ لأنها فعلًا وضعت إشكالية حضارية وفكرية وإيدولوجية بين مجتمع ومجتمع، وبين حضارة وحضارة، وكأنها تصديق لمقولة صدام الحضارات.

- هذه حالة طارئة، من يقرأ تاريخ الحضارة الإسلامية، وتاريخ المسلمين في عهودهم الماضية، يرى أن المسلمين أكثر أمة مارست التسامح مع الآخرين، حتى إن اليهود لم ينعموا بالاحترام ولم ينعموا بالحرية كما نعموا بذلك في ظل الحضارة الإسلامية، حينما عانوا من المجتمعات الأخرى المسيحية، ولجأوا إلى بلاد المسلمين، استقبلهم المسلمون بحفاوة، وحفظوا لهم حقوقهم، ومن يقرأ كتاب (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) للباحث الألماني (آدم متز) يجد كيف استعرض احترام المسلمين لاتباع الديانات الأخرى في ظل الدولة الإسلامية، وفي ظل المجتمع الإسلامي، ويكفي أن نبي الإسلام النبي محمدًا ﷺ كان يقول: «من آذى ذميًا فقد آذاني»، الذمي هو غير المسلم الذي يعيش في ذمة المسلمين، من آذى إنسانًا غير مسلم يعيش في المجتمع الإسلامي كأنه آذى رسول الله، إذًا تاريخ المسلمين يؤكد حسن العلاقة بين المسلمين وأتباع بقية الديانات، والتشريعات الإسلامية أيضًا والثقافة الإسلامية تؤكد هذا الأمر.

والحالة التي تحدثتم عنها من وجود توجهات متعصبة متشددة، هذه حالة طارئة، ومن أجل الموضوعية نقول إن قسمًا منها نشأ كرد فعل بسبب ممارسات حصلت من الصهيونية من إسرائيل تجاه العرب وتجاه المسلمين، وتصرفات معينة حصلت من غير المسلمين تجاه المسلمين، هذا الانحياز الذي نجده عند الإدارة الأمريكية، وعند بعض الحكومات إلى جانب العدوان الإسرائيلي، البعض حصل عندهم رد فعل، ولم يحاولوا أن يفرزوا بين أن هذا الانحياز جاء من قبل الحكومات، ولا يصح أن نحمّله

الشعوب الغربية، أو الأمريكيين كشعب، أو الأوروبيين كشعب، هذا موقف خطأ وظالم من الإدارة الأمريكية، أو من هذه الحكومة أو من تلك الحكومة، ولا يصح أن نحمّله الشعوب، ونحمّله الناس الآخرين.

بل حتى فيما يرتبط مع إسرائيل مهم جدًّا أن نفرق بين اليهود كديانة وكأتباع دين وبين الممارسات الصهيونية التي تقوم بها إسرائيل، نحن لا نعادي اليهود كيهود، كما إننا لا نعادي المسيحيين كمسيحيين، نحن نعادي مواقف الظلم التي تحصل، وليس كل اليهود يمارسون هذا الظلم، ونجد بعض اليهود كانوا منصفين، وكانوا يتحدثون ضد الظلم الذي تمارسه إسرائيل تجاه فلسطين وتجاه العرب، إذًا علينا ألا نعمّم، وعلينا أن نكون منصفين كما يأمرنا القرآن الكريم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ هذه هي النظرة الإسلامية الموضوعية.

□ **ولكن أيضًا رد الفعل هذا قد يكون سببًا من الأسباب وليس كل الأسباب، هناك ثمة أسباب داخلة في بنية المجتمع الذي أنشا مثل هذه التيارات، هناك أخطاء ربما في التربية، أخطاء في المسلكيات الاجتماعية، أخطاء في التقويم، أخطاء في المفاهيم، تسربات فكرية ضالة ومنحرفة، لم تمنهج، لم تدرس، لم تنقد، وصلت إلى أبنائنا، ثمة أسباب عديدة، كيف ترى هذه الأسباب؟**

◄ يبدو لي أن من الإشكاليات التي نشأت في بعض التوجهات الإسلامية هي عدم وضوح رؤية الإسلام نحو الحرية الفكرية والدينية، الإسلام يقرر أنه لا إكراه في الدين، القضايا الدينية والعقدية تنشأ نتيجة قناعة عند الإنسان، هذه القناعة تكون نتيجة أسباب عديدة، ليست كلها ناتجة عن حوار فكري وعن إيمان فكري، ولكن لها أكثر من سبب وسبب، لهذا في القرآن الكريم الله يخاطب النبي ﷺ ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[سورة البقرة، الآية:١٤٥].

إذًا مسألة الديانات والمذاهب والأفكار ليس كلها ناتجًا عقليًا، ليست كلها نتيجة حصيلة تفكير عقلي، هناك البيئة لها دور، والمصلحة لها دور، التربية والتنشئة لها دور، بعض الناس يفكرون أن المسألة تتمحض في هذا الجانب، رأيي هو الحق فلماذا لا يقبل الآخر هذا الحق؟ إذًا هو معاند، إذًا هو من أهل النار، قد يكن هذا الحق الذي هو واضح عندك بعد لم يتضح أمام الطرف الآخر، فينبغي أن تعطيه فرصة لكي يتضح الحق أمامه، كيف يتضح الحق أمام الآخر؟

هناك طريقان ومنهجان: طريق عقلي، هو الحوار والنقاش، والطريق الآخر هو طريق نفسي، وهو الإحسان وتقديم النموذج الصالح في التعامل، النبي ﷺ حينما جاء برسالة الإسلام لم يقبل الناس الإسلام عن طريق عقولهم فقط، إنما قسم كبير قبل الإسلام عن طريق تأثرهم النفسي من تعامل رسول الله، ولذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٥٩] لو كانت المسألة هي مسألة إقناع عقلي فقط لما كان الأمر يرتبط بالأخلاق والتعامل ولكن المسألة لها جانب آخر هو جانب التعامل والأخلاق، لذلك يصف الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وفي آية أخرى الله تعالى يقول: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ نحن نرى أننا على الحق ولكن كيف نوضح هذا الحق للآخرين؟ عن طريق التشدد والتعصب لا يمكن إيضاح الحق للآخرين.

□ **الآية الكريمة التي أوردتها لو يتبصرها كل مسلم متشدد لما تصرف تصرفًا خاطئًا تجاه أبناء دينه أو تجاه الآخرين من غير المسلمين، ولكنهم يبدو يغفلون عن هذه الآية، أو يغضون الطرف عنها، أو لا يدققون فيها، ولا يستلهمون معانيها، لكن من خلال تعمقك الشديد في تعددية الرأي أو تعددية التمذهب وحرية المعتقد كتبت فيه كثيرًا، التسامح وثقافة الاختلاف، والتنوع والتعايش، وما إلى ذلك كيف لو تتبعت نسق أحادية الرأي في التراث الإسلامي هل هو متجذر أم حالة شاذة وحالة طارئة تنتهي بعد فترة وجيزة من الزمن بعد مقاومة من المجتمع أو من السلطات**

الإسلامية في الظرف التاريخي ذاك تنتهي ثم ربما تأخذ لها دورة طويلة من الزمن ١٠٠ سنة ٢٠٠ سنة ٥٠٠ سنة ثم تعود وهكذا؟؟

◀ أحادية الرأي لا يمكن القول إنها حالة طارئة، ولكن لها جذور في تاريخ المسلمين أيضًا، كانت هناك بعض التوجهات من منبع المصلحة السياسية تريد أن تفرض رأيًا واحدًا على الناس، نحن نقرأ في التاريخ كيف أن الخليفة المنصور أبو جعفر العباسي أراد أن يفرض على الناس مذهب الإمام مالك ولكن الإمام مالك رفض هذا الأمر، وقال للخليفة ما مضمونه: إن هناك علماء في مختلف الأمصار والناس أحرار في توجهاتهم المذهبية.

وحصل هناك أن بعض الحكام حاولوا أن يتبنوا بعض الآراء وأن يفرضوها على الناس، هناك موضوع خلق القرآن وقدم القرآن، وكيف أن بعض الحاكمين في الدولة العباسية أرادوا فرض هذا القول على بقية المسلمين، كالمأمون العباسي وكيف أن بعض أئمة المسلمين وعلماء المسلمين كالإمام أحمد بن حنبل دفعوا ضريبة باهظة؛ لأنه كان له رأي آخر يختلف عن هذا الرأي، إذًا كانت هناك توجهات سياسية تريد أن تفرض على الناس رأيًا فكريًا معينًا، وربما استجاب بعض العلماء أو بعض الفقهاء لهذه التوجهات السياسية، ومن هناك نشأت هذه الأحادية وهذا الاستبداد الفردي، هذه كانت النواة ولكن حينما مرت بالأمة عصور التخلف وعصور الانحطاط، هذه التوجهات الخاطئة وجدت لها أرضية أكثر.

مع حالة التقدم الحضاري تنشغل الأمة بآفاق التقدم وآفاق الانفتاح ولكن في حالات التخلف تنمو أكثر مثل هذه الرواسب السيئة في الأمة.

☐ **حينما نأتي إلى تاريخنا الإسلامي نجد أن هناك طوائف أو فئات اتجهت اتجاهات مختلفة عن منهج الاعتدال مثل الخوارج أو القرامطة أو الحشاشين، كل هؤلاء لهم معتقدات معينة يختلفون في درجات خروجهم عن الوسطية والاعتدال اختلافًا**

كبيرًا، ولكنهم لا تتاح لهم الفرصة لتمكين أنفسهم أو الاستمرار والاستقرار، دائمًا المجتمع ينفيهم المجتمع الإسلامي.

◄ ينفيهم المجتمع الإسلامي حينما كانت التوجهات الحضارية الإسلامية واضحة وقائمة، أما حينما ابتليت الأمة بحالة الانحطاط والتخلف، القوة الحقيقية الموجودة في الثقافة الإسلامية ضمرت، وأصبح المجال متاحًا أمام مثل هذه التوجهات الجانبية القشرية بأن تفرض نفسها على الساحة بشكل عام، وهذا ما نجده في المجتمعات حينما تعيش حالة حيوية، حالة متقدمة، لا تقبل بهذه الطفيليات، ولكن حالة التخلف هي التي تعطي الفرصة لنمو مثل هذه التوجهات، وأعتقد أن المرحلة الأخيرة وهذه القرون الأخيرة التي عاشتها الأمة هي التي أعطت فرصة أكبر لنمو مثل هذه التوجهات الأحادية.

□ **مسألة التكفير، نفي الآخر على الإطلاق، كيف تراها؟**

◄ التكفير كما نعلم له جذور في التاريخ الإسلامي يتمثل في منحى الخوارج الذين كفّروا الخليفتين، كفّروا الخليفة عثمان بن عفان وكفّروا الإمام عليًّا، وكانوا يكفّرون من يخالفهم الرأي من المسلمين، ويستحلون دماء من يخالفهم الرأي، ولكن الحالة الإسلامية العامة نفت هذا التوجه، ولم يتمكن هذا التوجه من أخذ مساحة كبيرة في الأمة الإسلامية، وكما قلت بعد أن تراجعت الحضارة الإسلامية بدأ هذا المنحى يظهر من جديد في ساحة الأمة، هذا المنحى الذي يخالف الأصول الإسلامية الأساسية؛ لأن القرآن الكريم بكل صراحة ينهى عن تكفير الآخرين ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لا يصح للإنسان أن يتهم الآخرين في أديانهم، يؤكد القرآن أن هذا المنحى التكفيري وإن كان يتظاهر بالغيرة على الدين، والحرص على الدين، ولكنه في الواقع ينطلق من مصالح ذاتية وفئوية ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾،

إذا كنتم تبتغون رضا الله سبحانه وتعالى فإن الله تعالى لا يرضى بأن تتهموا الناس في أديانهم، لا يرضى بأن ترفضوا من يقبل الإسلام وينطق بالشهادتين ويقول إنني جزء من المسلمين، إذًا المسألة لها منطلقات مصلحية وفئوية.

□ **يعني هل التكفير الحاصل هو امتداد لفكرة خوارجية قديمة؟**

هو امتداد ولكنه مع التطوير مع إضافات.

□ **أو أنه ردّ لفعل لبعض إيقاعات العصر؟**

◄ في بعض الأحيان حينما نقول ردّ فعل هذا يأخذ منحى التبرير لهذه التوجهات، ليس صحيحًا أن هذا رد فعل؛ لأن هذا العصر بالذات ينبغي أن يدفع باتجاه الانفتاح، وباتجاه التسامح، حتى الجهات الأخرى المادية لديها توجهات معادية ومخالفة للإسلام، لكنها لم ترفض الإسلام، ولم ترفض إعطاء الفرص للإسلام، في أمريكا وفي أوروبا أتيحت الفرصة للمسلمين بأن يقيموا مساجدهم، وأن يقيموا مراكزهم، وأن يبشروا بدينهم، وقد شهدنا إقبالًا جيدًا على الإسلام في المجتمعات الأخرى.

وحينما نقول ردّ فعل كأن الأمر يستبطن أن الآخرين لم يعطونا فرصة لكي نعرض ديننا، أو لم يعطونا فرصة لكي نمارس ديننا، وكرد فعل نحن اتجهنا بهذا الاتجاه، بينما نجد الحالة الموجودة في العالم بشكل عام أعطتنا الفرصة الكبيرة جدًا، الأحداث التي حصلت أخيرًا هي التي شوهت الإسلام، وهي التي نخشى أن تعوق مسيرة انتشار الإسلام في تلك المجتمعات.

لو قرأنا في السنوات الماضية كيف أقبل الناس على الإسلام في أمريكا وفي أوروبا وفي المناطق المختلفة، كيف أقيمت المراكز الإسلامية، كيف حصل إقبال على المراكز الإسلامية، كيف حصل إقبال على الثقافة الإسلامية، ولكن ما حدث

أخيرًا والاستغلال الإعلامي الذي حصل من بعض الدوائر الصهيونية واليمينية المسيحية أرادت أن تستغل ما حصل فأوجدوا أجواء من الكراهية، من التشويه للإسلام والمسلمين، ولعل بعض الدوائر كانت تنتظر مثل هذه اللحظة إن لم تكن قد شاركت في صنعها، ودفعت إليها، حتى تشوه سمعة الإسلام، وحتى تعرقل مسيرة انتشار الإسلام في المجتمعات الأخرى.

☐ **تعني بالتحديد ضرب أبراج نيويورك وواشنطن والأحداث في أمريكا؟**

◀ والأحداث التي حدثت فيما بعد، فكيف نستطيع أن نفسر ما حصل في مدريد؟ قطار يركبه أناس مدنيون أبرياء وأطفال ونساء متجهون إلى أعمالهم يحصل تفجير، ويُتبنى هذا التفجير من قبل جهة باسم الإسلام، من الطبيعي أن توجد رد فعل تجاه الإسلام، وأن تتشوه سمعة الإسلام والمسلمين، وكنا نتمنى ألّا يتبناها أحد ممن يحسب على الإسلام، في البداية الحكومة الإسبانية ألقت باللائمة على جهة أخرى غير المسلمين على منظمة إيتا، ولكن للأسف بعض الجهات هم كأنهم يفتخرون بهذا العمل وتبنوا مسؤوليته.

☐ **وهددوا مرة أخرى ووضعوا أيضًا قنابل غير متفجرة على الطريق من مدريد وباريس ولكن جرى التحرير لمزيد من التخويف وأيضًا الحدث في استنبول الحدث المؤلم وذهب فيه ضحايا ليس لهم علاقة.**

◀ وأيضًا ما أعلن أخيرًا في الأردن، ما أعلنته الحكومة الأردنية من أنهم قد اكتشفوا مخططًا لاستخدام مواد كيماوية في ضرب مراكز حكومية، ولو حصل هذا المخطط لكان يمكن أن يقضي على ٨٠ ألف شخص في الأردن، مثل هذه الأمور وما حصل في جزيرة بالي، وما حصل في مناطق مختلفة، مثل هذه الأمور في الواقع تضرّ بالإسلام وتشوه سمعة الإسلام.

☐ **في المملكة العربية السعودية وطن الإسلام والمسلمين يسمى بغزوة تسمى غزوة**

شرق الرياض أو غزوة كذا، هذا القتل والتدمير وإراقة الدماء وإثارة الفتن تسمى غزوة، كيف انقلبت المفاهيم وكيف تستغل العبارات استغلالًا سيئًا في غير محلها؟

◀ وفي مسجد بالأمس حصل هجوم انتحاري على مسجد بكراتشي بسبب الخلاف المذهبي، مسجد للشيعة يأتي شخص ويفجر نفسه، ويقتل جماعة في المسجد وهم يؤدون الصلاة، لا يمكن تفسير مثل هذه الأعمال إلا أنها ناتجة عن جهل وعن حماقة، أو أن هناك جهات مغرضة تدفع بهذه الأعمال لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين.

□ **لا زلنا أيها الاخوة الكرام معكم ومع ضيفنا الشيخ حسن موسى الصفار، الكاتب والمفكر المعروف، ولكن الذي يحدث شيخ حسن مؤلم جدًّا، مؤلم للنفس ومرهق للشعور، ويضع في الداخل ألف علامة استفهام وأسى عن هذا الذي يحدث في ديار المسلمين إن كنا نتأذى ونتألم عن وقوع الأذى على بلدان العالم المختلفة باسم الإسلام لأنه شوه الإسلام؛ ولأن فيه إراقة للدماء الأبرياء، وهذا أكثر ألمًا وأكثر تجريحًا في داخلنا، حينما نرى أن هذا القتل وهذا التدمير يقع في ديار الإسلام، فكم ذهب من ضحايا جراء هذا التفكير الآثم، هذا التفكير المنحرف الذي لا يرى إلا نفسه في الوجود، ولا يرى إلا فكره، ولا يرى إلا ذاته، بينما كل الآخرين على خطأ، الحكومات على خطأ، وعلماء الحكومات على خطأ، الناس كلهم على خطأ، المجتهدون منهم المثقفون والجهلة والعامة والخاصة، هؤلاء لا يستثنوا أحدًا إلا خطؤوه بينما هم على جادة الصواب وعلى جادة الحق فيما يعتقدون، كيف تفسر هذه الحالة ونحن في مرحلة البحث عن منهج واسع للبناء الاجتماعي العام، للتكافل الاجتماعي العام، للقاء الاجتماعي العام، حوار وطني مخلص وصادق لبناء الذات الداخلية.**

◀ في الواقع هناك أمران:

الأمر الأول يرتبط بالتوجيه الثقافي والفكري المتوفر في مجتمعاتنا، لا يزال قسم من هذا التوجيه يخلق مثل هذه الأرضية، يربي على أساس الأحادية، وعلى أساس الإلغاء والإقصاء للآراء الأخرى المختلفة.

□ **تقول لا زال يعني لا زال منابت تفريخ بعض أنواع من التطرف.**

◀ بعض أنواع التطرف لا زالت موجودة التطرف الفكري في مختلف التوجهات والمذاهب لا يختص بمذهب دون مذهب.

□ **كأنك تقول محاضن هذا التفكير لا زالت نشطة.**

◀ لا زالت نشطة، ينبغي تفكيك هذه الحالة الفكرية والثقافية بأن يقوم العلماء والمفكرون والمثقفون بدورهم، لتسليط الأضواء على هذه التوجهات الخاطئة.

هذا الجانب الأول، الجانب الثاني: ينبغي إتاحة الفرصة لحالة التنوع أن تاخذ مداها ووجودها في مجتمعاتنا، هناك تنوع فكري، هناك تنوع ثقافي في إطار الإسلام، حينما يتجسد هذا التنوع أمام الناس، فإن الناس يتربون على قبول حالة التنوع، أما حينما ترفض هذه الحالة المتنوعة، يُرفض هذا التنوع ويقصى، ويبقى لون واحد فقط موجود في المجتمع، يتربى الناس على هذا اللون الواحد، ويتعجبون ويواجهون ويرفضون أي لون آخر ينفتحون عليه.

ففي الأمة الإسلامية هناك مسؤوليتان: مسؤولية فكرية يجب أن يقوم بها العلماء والمفكرون والمثقفون، ومسؤولية سياسية واجتماعية يجب أن تقوم بها القوى الموجودة في المجتمع، بأن تربي الناس كيف يتعايشون مع بعضهم بعضًا، كيف يتقبلون بعضهم بعضًا، كما كان المسلمون في السابق يتعايشون ويتعاملون فيما بينهم، وكانوا يحترمون بعضهم بعضًا، وكانوا يتقبلون بعضهم بعضًا، وكانوا يعتبرون الاختلاف في الرأي كما في النص المتناقل «اختلاف أمتي رحمة»، وجود تنوع ووجود اختلاف يثري الفكر ويجعل أكثر من خيار أمام الناس.

□ في الاتجاه الواحد نفسه، شيخ حسن، ينفي بعضه بعضًا، فكيف بالاتجاهات الأخرى؟ ضيق الدائرة في التفكير إلى أن اتجاه حتى المتقارب ينفي بعضه بعضًا وربما يكفّر بعضهم بعضًا.

◀ إذا كان الإنسان عقليته بنيت على أساس التعصب، في البداية ينفي من يختلف معه في الدين، وينفي من يختلف معه في المذهب، ثم داخل المذهب ينفي من يختلف معه في الرأي حول مسالة معينة، وهكذا تضيق الدائرة.

المسألة هي مسألة عقلية التعصب أو عقلية التسامح والانفتاح وقبول الرأي الآخر، الثقافة الإسلامية تربي الإنسان المسلم على أن يتقبل وجود الرأي الآخر، وأن يستفيد من وجود الرأي الآخر.

أولًا: أن يتأكد هو من صحة رأيه، القرآن الكريم يقول: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ حينما يكون هناك رأي آخر هذا يدعوني للتفكير أكثر في الرأي الذي أراه، من يقول إن رأيي هو الصحيح، وإن رأيي هو الحق، لعلي قد ألفت هذا الرأي، لعلي قد ورثت هذا الرأي، توافقت مع بيئتي واعتنقت هذا الرأي، وجود رأي آخر هو الذي يدفعني للتأكد من صحة رأيي، وكما يقول الشاعر: «والضد يظهر حسنه الضد» يعني وجود رأي آخر يجعل الإنسان مندفعًا نحو مراجعة رأيه، والتأكد من صوابه وصلاحيته.

ثانيًا: وجود الرأي الآخر يحملك مسؤولية إيصال رأيك إلى صاحب الرأي الآخر، وهذا لا يتم تحت القمع والإكراه؛ لأن العقائد والأفكار لا تغير بالقوة، القرآن يقول: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ لا سبيل للتدين بالإكراه، ورأينا كيف أن الشيوعيين حينما سيطروا على ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي وأجبروا الناس المسلمين وغير المسلمين على ترك أديانهم لم يستطيعوا في الواقع أن يغيروا أعماق الناس، حينما زال هذا القهر الشيوعي عاد الناس إلى أديانهم بعد ٧٣ سنة من القهر، إذًا بالإجبار وبالقمع لا يمكن أن تغير أفكار الناس وأديان الناس، إنما عن طريق الحوار وعن طريق الإقناع، وهذا يعني أن الرأي ينبغي أن يتعامل معه بإبداء الرأي الآخر وليس بالإلغاء والإقصاء والقمع.

□ **يعنـي أزمة الصـدام الحاصلة داخل المجتمع الإسـلامي، ومـع الآخر المختلف، مـع الحضارة الأوروبية الأمريكية، ألا تعتقد أنها قـد تكون بداية إرهاص لمرحلة قادمة من التعايش أو أنها تنبئ لهذا الاضطراب للشخصية العربية الإسلامية نتيجة شـعورها بالهزيمـة أمـام الحضارة الأخرى، يعنـي كأنها نوع مـن الانتقام نوع من إثبـات الـذات، نوع مـن الدفاع عن الـذات والحفـاظ على المقومـات الذاتية من التلاشـي والفنـاء في هذه الـذات الأخرى؟ وربمـا المرحلة القادمـة حينما تنتهي مرحلة الاضطراب هذا قد تكون أكثر سلامًا وأكثر أمنًا أكثر تلاقيًا وتصافيًا وأيضًا مساهمةً ومشاركة في بناء الحضارة الإنسانية.**

◄ أنا أميل إلى التفاؤل، وأعتقد أن ما يجري الآن سيكون دافعًا للعقول الإسلامية الخيرة، وسيكون دافعًا للأفكار الواعية في الأمة الإسلامية لإعادة النظر في هذه الحالة الموجودة القائمة، أنا متفائل أننا إن شاء الله مع مستقبل زاهر للإسلام وللأمة الإسلامية وللحضارة الإسلامية، ولو قرأنا تاريخ الأوروبيين مروا بمثل هذه الماسي التي نمر الآن بها، حربان عالميتان حصلت في أوساطهم خلال نصف قرن من الزمن، ولكن ما حصل في أوساطهم هو كان الدافع لهم من أجل أن ينتقلوا إلى هذه الحالة المتقدمة التي يعيشونها الآن، أرجو أن يكون ما يحصل الآن دافعًا من أجل انطلاقة جديدة، ومن أجل إعادة تشكيل للعقل وللوضع في مجتمعاتنا العربية والإسلامية إن شاء الله.

□ **يقال إن الحروب تطهير للذات وللمجتمعات، صحيح أنها تنفي الخبث وتثبت الحق.**

◄ نعم لكن بشرط أن يكون هناك تحرك من قبل الواعين والمخلصين، لا ينبغي أن نوكل الأمر إلى الزمن، وإلى الحالة العفوية، ينبغي أن يتحمل الواعون والمخلصون مسؤوليتهم، وخاصة في هذا الظرف العصيب، حتى يستطيعوا أن يتجاوزوا بالأمة هذه المرحلة التي تعيشها بخسائر أقل وفي وقت أسرع.

□ **شـيخ حسـن، وقبل أن ننتهي من هذا الحوار لفت انتباهي التنوع في التناول وأنت لم تدرس دراسـة منهجية أكاديمية، وإنما درست على يد علماء وباحثين وعلماء دين غالبًا، باعتبار تخصصك الشـرعي في الحوزات العلمية، كيف رأيت نفسـك هل تتأسى على هذا النوع من الطلب أم أنك تريد لو أتيحت لك الفرصة أن تكمل منهجك الاكاديمي لفعلت؟.**

◀ أنا درست العلوم الدينية في بيئات متعددة ومختلفة، كانت دراستي الدينية في البداية في العراق، والعراق هناك حوزة علمية في النجف الأشرف، وبعد ذلك انتقلت إلى إيران، قبل التغيير السياسي، يعني في العهد السابق لإيران في عهد الشاه انتقلت لإيران، وبقيت هناك في الحوزة العلمية في قم، وأيضًا زرت لبنان، وزرت سوريا، وزرت بلدانًا كثيرة عديدة، واختلطت مع البيئات الفكرية والثقافية المختلفة والمتعددة، واستفدت كثيرًا من التثقف الذاتي، قد لا تكون الدروس الدينية التي نتلقاها في المعاهد الدينية وحدها كافية لكي تثري فكر الإنسان، ولكي تفتح أفق الإنسان، استفدت كثيرًا من التثقيف الذاتي، كنت أقرأ للمفكرين الغربيين والمسلمين بمختلف توجهاتهم.

وكنت أتأمل في أوضاع مجتمعاتنا العربية الإسلامية، ورأيت أن هذه المجتمعات تعاني كثيرًا من حالات الصراع والانشغال الداخلي، إما ضمن التنوع القومي مثل ما يعيشه الأكراد والعرب من خلافات في العراق في تركيا في إيران في المناطق الأخرى المختلفة، وإما ضمن التنوع المذهبي، وحتى ضمن المذهب الواحد، هناك مدارس وتوجهات، أيضًا هناك حالة من الصراع حالة من العداء، ومن خلال تأملي في هذا الواقع المعيش، وقراءاتي المتنوعة، وأيضًا دراستي للفكر الإسلامي في مصادره ومنابعه الأساسية.

نحن نعاني من مشكلة أننا نعتبر آراء الفقهاء سقفًا لنا قد تحجبنا عن التأمل في كتاب الله مباشرة، وعن التأمل في أحاديث السنة النبوية المطهرة، في رأيي أن هذا

خطأ، نحن نقدر للفقهاء والعلماء جهودهم العلمية، وهم علماء بذلوا جهدهم، لا يصح لنا أن نعتبر آرائهم سقفًا يمنعنا من الاجتهاد، ومن تجديد النظر ومن المراجعة.

حينما تأملت في المصادر الإسلامية الأساسية وجدت أن الإسلام وضع حلولًا لمثل هذه الإشكالية:

أولًا: الإسلام يؤكد على احترام الإنسان كإنسان وبغض النظر عن دينه، الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[سورة الإسراء، الآية:٧٠] بني آدم ولا يتحدث عن المسلمين فقط، وكل المفسرين الذي فسروا هذه الآية الكريمة قالوا إن هذا التكريم للإنسان باعتباره إنسانًا، أما التكريم الآخر بسبب تقواه وبسبب دينه هذه رتبة أخرى في التكريم، وبالدرجة الأولى باعتباره إنسانًا له كرامته، إذًا الإسلام يربينا على احترام الإنسان كإنسان، على احترام حقوقه، على احترام اختياراته، الله سبحانه وتعالى لم يسمح لأنبيائه أن يصادروا حرية الناس، الله تعالى يخاطب نبيه ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[سورة الغاشية، الآيتان:٢١-٢٢]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية:٩٩]، إذن القرآن يهدينا إلى هذه البصيرة الهامة.

□ **سورة الكافرون**

◀ نعم، لكم دينكم ولي دين.

□ **أكثر من مرة.**

◀ لكم دينكم وهذه السورة سورة مكية، والخطاب للكفار الذين يعبدون الأصنام ومع ذلك الآية تقول لكم دينكم، عبادة الأصنام اعتبرها دينًا وهي دين لهم، لكم دينكم ولي دين، إذًا هذه تهدينا إلى أن الإسلام يفرض علينا احترام الإنسان كإنسان بغض النظر عن دينه، عن آرائه، عن أفكاره، ما لم يمارس العدوان على الآخرين، هذا من ناحية.

ثانيًا: الإنسان المسلم يعتقد أنه مكلّف أومطلوب منه أن يبلغ رسالة الله، ولكن ما هو المنهج؟ المنهج ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[سورة النحل، الآية: ١٢٥] الإساءة للآخر والاعتداء على الآخر بالتاكيد ليس هو حكمة وليس موعظة حسنة ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة النحل، الآية: ١٢٥] ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة العنكبوت، الآية: ٤٦] أين هذا المنهج القرآني ممن يسب الناس، ويشتم الناس، ويحرض على الكراهية بين الناس؟ هذا لا يمكن أن نطلق عليه بأنه حكمة.

☐ **فكيف بالذبح والقتل؟**

◀ فكيف بسفك الدماء؟ سفك الدماء خط أحمر، ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يسفك دمًا حرامًا»، هذا خط أحمر ولا يصح للإنسان أن يتجاوز هذا الخط الأحمر بأقلّ وبأدنى مبرر، ما نراه الآن هذا خروج عن الإسلام.

☐ **﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾**[سورة الإسراء، الآية:٣٣] **مطلقة ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾**[سورة المائدة، الآية:٣٢].

◀ والإسلام يعتبر قتل إنسان واحد بغير حق اعتداءً على البشرية كلها ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[سورة المائدة، الآية: ٣٢] مع هذا التأكيد القرآني يمكننا أن نتأكد أن هذه التوجهات مخالفة لأصول الإسلام، مخالفة لمنهج الإسلام، بعضهم يخالف عن قصد وعن عمد، وبعضهم لديهم شبهة وغسيل دماغ، عاش ضمن جوٍّ معيَّن أفهمه أن الدين هو هكذا، وهذه هي مشكلة التوجهات المغلقة التي تربي المنتمين إليها على توجهات معينة، وتمنعهم أن ينفتحوا على الحقائق وعلى الآراء الأخرى.

☐ **جميل، كنت أتمنى في الواقع أن أسأل عن نقطة كتبت فيها كثيرًا موضوع المرأة، ولكن الوقت يدركنا ولا يمكننا أن نسأل، ولكن اسمح لي بأن أسأل سؤالًا**

صريحًا وشخصيًا جدًا، كيف ترى إقبالك على التمذهب لو استقبلت من أمرك ما استدبرت، هل يمكن أن تضع لك خيارًا فكريًا؟ وهل تؤيد أن يتمذهب الإنسان أو حتى أن يتشدد في تمذهبه ويدعو له؟

◀ التمذهب يمكن أن يفهم عبر أحد منهجين: عبر القناعة برأي مذهبي معيّن، أو بمدرسة مذهبية معينة، وهذا لا إشكال فيه. إن الإنسان تكون له قناعة بمدرسة عقدية فقهية معينة، بشرط أن تكون هذه القناعة ناتجة عن تفكير حرّ، وليس عن وراثة، أو تكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه؛ لأن الإنسان المسلم مطالب بأن يكون على بصيرة من دينه، وألا يكون مقلدًا.

الوجه الآخر للتمذهب هو التعصب للمذهب ونفي المذهب الآخر، أو التعبئة ضد المذهب الآخر، هذا منحى مخالف للإسلام، ومنحى بغيض، ولا أرى لنفسي ولا أحبذ لأحد من المسلمين أن يسير ضمن هذا الاتجاه، أما أن تكون للإنسان قناعة بمدرسة عقدية أو فقهية معينة هذا أمر طبيعي؛ لأن الإنسان ضمن أي علم من العلوم لا يستطيع أن يبدأ من الصفر، وإنما يستفيد من التجارب التي سبقته ويتواصل معه في المجالات العلمية، هكذا في علم الطب، لا تستطيع أن تطالب طبيبًا من الأطباء أن يبدأ يكوّن أفكاره الطبية والعلمية من الصفر، إنما يستفيد من التجارب ومن المدارس العلمية الموجودة في الطب التي درس فيها واستفاد منها، لكن لا ينبغي أن تكون قيدًا على حركة فكره ووعيه، ينطلق منها ولكن بوعي وبتفكير، وباستخدام لعقله السليم، فالتمذهب بهذا المعنى الأول هو أمر طبيعي لكل مسلم.

□ **لكن ألا ترى بأن فيه نوعًا من التفريق للأمة، يعني التعددية الحزبية الفكرية أوالمذهبية فيها تفريق وحالة من الاحتراب الداخلي والصراع داخل بنية المجتمع المسلم فالأفضل أن لو كان الجميع مسلمين وكفى؟**

◀ نحن لا يمكن أن نكون مثاليين، يجب أن نكون واقعيين، الواقعية تفرض علينا

أن نقبل بأن هناك تعددًا، فهذه مثالية أن تطلب من مليار إنسان أن يكونوا ضمن رأي واحد، كل الأديان، حتى المدارس المادية الوضعية، تتعدد فيها الآراء، الرأسمالية هل هي مدرسة واحدة؟ الاشتراكية هل هي مدرسة واحدة؟ الواقعية تفرض علينا أن نفسح المجال لتعدد الآراء والأفكار، كل الأديان تعددت فيها المذاهب، والإسلام كدين واسع كيف نعرف الإسلام؟

نعرف الإسلام من خلال القرآن الكريم، ومن خلال السنة، القرآن الكريم هل هناك تفسير إلى جانب القرآن قد نزل مع القرآن من قبل الله تعالى؟ كلا، نزل القرآن الكريم ومجال التدبر في آياته مفتوح ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أنت تتدبر في الآية الكريمة وتستنتج مفهومًا معينًا، ويمكنني أنا أن أتدبر وأستنتج مفهومًا آخر، وهكذا يختلف العلماء في تفسيرهم للكثير من آيات القرآن الكريم.

المصدر الثاني للإسلام هي الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، الأحاديث الواردة يختلف العلماء أيضًا في قبول هذا الحديث ورفض ذلك الحديث، ثم يختلفون في فهم ذلك الحديث، كتاب جميل للشيخ ابن تيمية اسمه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) يذكر أسبابًا عديدة لاختلاف الفقهاء في الآراء العقدية اوالفقهية فيما بينهم.

إذًا التعددية أمر حتمي، لسنا مخيّرين في أن يكون هناك تعدد للمذاهب والآراء أو لا يكون، هذا الخيار ليس موجودًا حتى نقول إن الرأي الواحد هو أفضل من الرأي المتعدد، نحن أمام واقع بشري تتعدد فيه الآراء والأفكار والتوجهات، لكن هل أن التعدد يعني الصدام أو يعني الانقسام؟

نحن نجد المجتمعات الغربية تتعدد وتتنوع في آرائها ومذاهبها ومدارسها وتوجهاتها، ولكن صنعوا لهم إطارًا واحدًا للمصلحة المشتركة، في الأيام الماضية أعلن عن اتساع الاتحاد الأوروبي، أصبح ٢٥ دولة، أكثر من ٢٠ لغة، قوميات مختلفة، وتوجهات مختلفة، ولكنهم استطاعوا أن يعملوا لهم إطارا واحدًا موحدًا، فلماذا نحن المسلمين مع أن المشتركات بيننا كثيرة، ونقاط الاختلاف في مساحة محدودة، ولو

استعرضت آراء المذاهب الإسلامية العقدية والفقهية لوجدت أنها تدور في دائرة عشرة إلى عشرين في المئة تتفاوت بين مذهب وآخر، ألا تكفي ٨٠ ٪ من الاتفاق لكي توحدنا، لكي تجمعنا ضمن إطار واحد؟ فالتعددية حالة حتمية واقعية، وليس هو أمر اختياري يمكن أن نقبله أو نرفضه.

□ **لك ما اخترت من رأي، على أي حال هو اجتهادك الفكري، طبعًا هو اجتهاد، وهو مفتوح أمام كل إنسان، وفقك الله فيما تسعى إليه من اجتهادات فكرية، ومن طرح ثقافي وأدبي، ونحن قد استمتعنا في هذه السياحة الفكرية خلال ساعة ربما أو أقل بقليل بأطروحات مختلفة، وبالذات حول التعددية والتعايش وأحادية الرأي والحوار مع الآخر، وكان هذا هو محور الحديث في هذه الحلقة مع الاستاذ والمفكر والأديب الشيخ حسن موسى الصفار، شكرًا لك.**

◀ شكرًا لك وشكرًا للمستمعين جميعًا.

□ **أرهقناك بالحديث.**

◀ أبدًا، أنا مرتاح جدًا.

□ **ما شاء الله رأيتك متوهجًا جدًا، كل نقطة نطرقها تقدم الإضافة الجديدة والمتوالية.**

◀ أسئلتكم هي التي تعطي حيوية للبحث والحديث.

□ **شكرًا لكم إخوتنا الكرام على متابعتكم، ونلتقي بإذن الله في حلقة قادمة وحوار جديد، إلى اللقاء ودمتم بخير.**



قضايا | البينة | AL-Bayyna | 6

الداعية الاسلامي الشيخ حسن الصفار في حديث خاص للبينة:

الاسلام اعاد للمراة كرامتها المسلوبة

الشراكة الزوجية تقتضي العفو والتسامح

داعية اسلامي متنور فهم الاسلام المحمدي العلوي وجسده في حياته العلمية والاجتماعية والدينية وهو يؤمن بالحوار وتقبل الاخر ويدعو الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة واشاعة ثقافة السلام والمحبة وتجاوز الاختلافات العرقية والدينية والمذهبية والاجتماعية. انه الداعية الشيخ حسن الصفار وقد حاولنا الاتصال به واجراء حوار شامل معه فلم ننجح سوى بالاجابة عن بعض المسائل في ما يتعلق بالمرأة وقد جاءت الاجابة عن طريق البريد الشخصي

حوار شدوان مهدي يوسف

حاجة الإنسان إلى الأنس والاستقرار النفسي أكبر من حاجاته المادية الأخرى

الداعية الإسلامي الشيخ حسن الصفار في حديث خاص للبينة:

٧

الإسلام أعاد للمرأة كرامتها المسلوبة[1]

حوار: شدوان مهدي يوسف

داعية إسلامي متنوّر، فهم الإسلام المحمدي العلوي وجسّده في حياته العلمية والاجتماعية والدينية، وهو يؤمن بالحوار وتقبل الآخر، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإشاعة ثقافة السلام والمحبة، وتجاوز الاختلافات العرقية والدينية والمذهبية والاجتماعية.

إنه الداعية الشيخ حسن الصفار، وقد حاولنا الاتصال به وإجراء حوار شامل معه، فلم ننجح سوى بالإجابة عن بعض المسائل فيما يتعلق بالمرأة، وقد جاءت الإجابة عن طريق البريد الشخصي، وفي البدْء نذكر نبذة عن الشيخ الصفار:

ولد الشيخ حسن بن موسى بن الشيخ رضي الصفار في مدينة القطيف بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨م، تعلم القرآن الكريم ضمن الكتاتيب الأهلية في المنطقة، بدأ ممارسة الخطابة عام ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨م وعمره إحدى عشرة سنة، هاجر إلى النجف الأشرف للدراسة في الحوزة العلمية سنة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م، صدر له أكثر من مئة كتاب في مختلف مجالات المعارف الدينية والثقافية، أسّس وقاد حراكًا اجتماعيًا يهدف إلى إفشاء ثقافة الاختلاف والقبول بالآخر ونبذ ثقافة الكراهية

(١) جريدة عراقية تصدر يوميًا عن مؤسسة البينة للإعلام، ٢٤ رمضان ١٤٣٢هـ الموافق ٢٤ آب ٢٠١١م، العدد ١٤١٦.

والاستبداد. جميع خطاباته تهدف إلى تعزيز القيم الدينية وتحقيق مفهوم المواطنة والمساواة بين المواطنين، وتجاوز التمييز الطائفي، والإقصاء المذهبي والثقافي باعتماد منهجية العمل السياسي والثقافي والإعلامي.

ما يلفت هو أن هناك من يظن أن الدين الإسلامي لم يعطِ المرأة حقها، وعدّها إنسانة ضعيفة مسلوبة الإرادة مهمّشة ومغلوبة على أمرها، فهو أرغمها على الحجاب، وحدّ من رغباتها الجنسية؛ لأن الحرية الجنسية جزء من تقدم المجتمع، والمدينة تسمح بتداخل العلاقات وتداخل الوظائف وتكشف عن جوهر الإنسان التقليدي الريفي، وطبيعتها أكثر إيجابية من الرجل في الحرية؛ لأن عندها لا تعني الجنس وإنما التحرر من الحرمان إلى ما هو أكبر من ذلك حرمان الحق، الرأي، الجسد، الحرية والوجود؛ لأن إنسانيتها مهددة تجد هذا الحرمان الواسع فتحدث تمردات هي في جوهرها ليست جنسية وإنما إنسانية، سألنا الشيخ حسن الصفار:

☐ **سؤال: هل إن الدين الإسلامي أعطى المرأة المسلمة كامل حقوقها؟**

مكانة المرأة في الإسلام

◀ لقد أكد القرآن الكريم إنسانية المرأة وأنها كالرجل تمامًا خلقها الله كما خلق الرجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾.

والرجل والمرأة خُلقا من مصدر واحد، لا تختلف طينة أحدهما عن الآخر ولا يتفوق معدن أحدهما على الآخر﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وعملية الخلق والتكوين واحدة، فالجنين الذكر يمرّ بنفس الأطوار التي يمرّ بها الجنين الأنثى ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾.

وضمن الإسلام للمرأة حياة السعادة والتقدم إن هي التزمت خط الإيمان، وسلكت

طريق العمل الصالح كالرجل تمامًا ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾.

وأيّ عمل تقوم به المرأة لله تعالى فلا ينكر لها جزاؤه وثوابه، فعمل المرأة محترم كعمل الرجل عند الله؛ لأنهما من مصدرٍ واحد وعلى مستوًى واحد: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

والمرأة شريكة الرجل في الجنة كما هي شريكته في دار الدنيا ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ...﴾.

وإذا تتبعنا آيات القرآن الحكيم فسنجده يخاطب الإنسان بشقّيه الذكر والأنثى ويتحدث للناس رجالًا ونساءً.. فنداءات القرآن كلها: ﴿يا أيها الإنسان﴾.. ﴿يا أيها الناس﴾..﴿يا بني آدم﴾.. ﴿يا أيها الذين أمنوا..﴾.

وفي أي موضع يذكر فيه القرآن الكريم لفظ ﴿الذكر﴾ يردفه بكلمة ﴿الأنثى﴾ وكان ذلك في خمسة عشر موضعًا تقريبًا..

وقد خاض رسول الإسلام محمد نضالًا اجتماعيًا طويلًا لإثبات مكانة المرأة وتصحيح نظرة المجتمع إليها..

ففي ذلك المجتمع الجاهلي الذي يعتبر المرأة عارًا وعيبًا وشيئًا حقيرًا بالنسبة للرجل... في ذلك الوقت كان الرسول يعلن بكل صراحة «النساء شقائق الرجال» أي نظائرهم وأمثالهم في الخلق والطبائع كأنهن شققن منهم..

بل أكثر من ذلك كان الرسول يعطي للمولودة البنت اهتمامًا أكثر من المولود الصبي ويقول «خير أولادكم البنات».

وبشر ببنت وهو جالس مع أصحابه فنظر إلى الكراهة بادية على وجوههم فقال: «ما لكم! ريحانة أشمّها ورزقها على الله».

والرجل الذي يستهين بالمرأة أو يحتقرها يعتبره الرسول لئيمًا ساقط الأخلاق

حيث يقول «ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم».

بمثل هذه الآيات والأحاديث والمواقف أعاد الإسلام للمرأة كرامتها المسلوبة ووفّر لها حريتها المهدورة.

وثمة سبب آخر ساعد الإسلام على تحقيق هذا الهدف العظيم، وهو نضال المرأة وجهادها من أجل إثبات وجودها وفرض شخصيتها واسترجاع حقوقها.

فقد كان لكثير من النساء دور مشرف استطعن به أن يثبتن جدارتهن، وأن يحطمن حواجز الحقارة والذلّ التي تراكمت عبر التاريخ.

جمال الحياة الزوجية بالعفو والتسامح

☐ **سؤال سماحة الشيخ حسن الصفار: أنتم من المدافعين عن حقوق المرأة والمتفهمين لقضيتها، ومن يتتبع محاضراتكم يلمس هذا الوعي الثقافي والديني والإنساني وكيفية حمايته، بماذا تنصحون بعض الأزواج الذين يخاصمون زوجاتهم لمدة طويلة قد تكون سنة كاملة بسبب كلمة صدرت منها بقصد أو دون ذلك؟**

◄ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

حاجة الإنسان إلى الأنس والاستقرار النفسي أكبر من حاجاته المادية الأخرى، وقد جعل الله راحة الإنسان واستقراره وأنسه في الزواج، حيث يجد المودة والرحمة والحب والحنان في ظل الحياة الزوجية، وعلى الإنسان أن يقدر هذه النعمة، ويحافظ على هذا الكنز العظيم ويستثمره في الحصول على راحته النفسية.

بالطبع إن الشراكة الزوجية تتطلب التنازل والعفو والصفح، فطبيعة الإنسان البشرية تعني احتمال صدور الخطأ سواء من الزوج أو الزوجة. يقول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا

وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

فبالعفو يكسب الإنسان الأجر من الله تعالى، كما يكسب قلب زوجته التي هي أنسه وبهجته في منزله.

ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إِذا كانَ يَومَ القَيامَةِ نادى مُنادٍ مَنْ كانَ أَجرُهُ عَلَى اللهِ فَليَدخُلِ الجَنَّةَ، فَيُقالُ مَنْ ذا الَّذي أَجرُهِ عَلَى اللهِ فَيُقالُ: العافُونَ عَنِ النَّاسِ فَيَدخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِساب».

العقل يدعو إلى الإحسان

□ **سؤال: هناك صفات تبغضها الزوجة في زوجها بل وحتى المجتمع ينتقدها، مثل: البخل، اللؤم، التكبر، القسوة، فالقسوة في الكلام ربما تكون أوجع من الضرب أحيانًا، كذلك التفاخر واستصغار شأنها. بماذا تنصحون هذه الفئة من الرجال؟**

◄ الرجل العاقل هو من يسعى لإصلاح نفسه وتنمية صفات الخير لديه، حتى يعيش حياة سعيدة هانئة، خصوصًا مع زوجته وأبنائه، ففي الحديث «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».

من جهة أخرى، فإن سوء الخلق يكون وبالًا، على صاحبه، ففي الحديث عن الإمام الصادق «مَنْ سَاءَ خُلُقُه عَذَّبَ نَفْسَهُ»، وعنه: «من ساء خلقه ضاق رزقه»، فسوء الخلق مع الأهل ليس من شيمة الرجال، خصوصًا وأن الزوجة تقوم على خدمة زوجها في مختلف شؤون حياته وترعى أبناءه.

وفقكم الله لكل خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الشيعة هم جزء من هذه الأمة، وحيثما يتواجدون فهم جزء لا يتجزأ من أوطانهم وشعوبهم[1].

حاوره: رحيل دندش

في خضمّ التطوّرات الراهنة والمتسارعة التي يعيشها عالمنا العربي والإسلامي، حيث نجحت الثورات الشعبية في إسقاط رؤوس أنظمة حكمت شعوبها بالحديد والنار لعقود خلت، ومع وصول الإسلاميين إلى سدة الحكم لأول مرة في أكثر من بلد عربي، وفي ظل تصاعد اللغة المذهبية التي تهدد أمن المنطقة واستقرارها في هذه المرحلة الحساسة من تاريخها، والتي قد تحرّف الثورات العربية عن مسارها وأهدافها لتصب أولًا وأخرًا في خدمة أعداء الأمة... في هذا الخضمّ، ارتأينا في مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر أن نجري هذا الحوار مع علم من أعلام الفكر، ومنارة من منارات الإسلام، وداعية من دعاة الانفتاح والتقريب والحوار، سماحة الشيخ حسن الصفار (حفظه الله) للحديث عن بعض الإشكاليّات التي تطرحها هذه التحوّلات، وما يرافقها من تحديات وطنية وقومية ودينية واستراتجية عامة.

---

(١) نشر الحوار بتاريخ الثلاثاء ٢٤/٧/٢٠١٢م على موقع مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر للدراسات والبحوث وهي مؤسسة تعنى بتعزيز الوعي الإسلامي المتجدد، (بيروت: لبنان).

http://www.islammoasser.org/islammou3aser/DialoguePage.aspx?id=572

حراك يتجاوز الأيديولوجيات

□ **هنـاك رؤى متباينـة حول ما يحصل اليـوم من حراكات في العالـم العربي بين من يسميها ثورات ومن يسميها صحوات إسلامية، في أيّ خانة تصنفون ما يجري؟**

◄ من وجهة نظري فإن ما يحصل اليوم من حراك في العالم العربي هو ثورات شعبية تتجاوز التصنيف الأيديولوجي؛ لأن الشعوب قد طفح بها الكيل لمعاناتها من الاستبداد والفساد وما أنتجاه من تخلف التنمية والفقر والبطالة والتبعية والخنوع لقوى الاستكبار العالمي.

وقد عقدت الشعوب لحقبة طويلة آمال التحرر والخلاص على مختلف التوجهات الأيديولوجية من دينية وغيرها، لكنها وجدت نفسها في بعض الأحيان تدفع ثمنًا باهظًا للصراع بين أطراف هذه التوجهات، كما أن بعضها لم ينجح في تقديم البديل الأفضل حين أتيحت له فرصة الحكم والسلطة.

لكل ذلك لم نجد حضورًا للشعارات الأيديولوجية في ثورات الربيع العربي حيث تطمح الشعوب في حراكها الجديد لبناء حكم ديمقراطي يقوم على أساس الإرادة الشعبية، ومفهوم المواطنة والتداول السلمي للسلطة، ويسعى لإنجاز التنمية وتعزيز حقوق الإنسان. والشعوب واثقة من دينها وتدينها، لكنها تريد إصلاح شؤون حياتها.

□ **برأيكم هل مع وصول الإسلاميين اليوم إلى السلطة يكون حلم المشروع الإسلامي قد بدأ يتحقق؟**

◄ آمل ان يكون وصول الإسلاميين إلى السلطة حافزًا لإنضاج مشروع حكم عادل رشيد ينبثق من قيم الإسلام ويستفيد من تجارب المجتمعات الإنسانية.

إن كثيرًا من الإسلاميين يتحدثون عن مشروع إسلامي غير واضح المعالم، ويرفعون بعض الشعارات الدينية لدغدغة المشاعر وإثارة الأحاسيس، دون أن يقدموا

برنامجًا قابلًا للتطبيق منسجمًا مع تطورات العصر وحاجات الشعوب على الصعيدين السياسي والاقتصادي.

وبعضهم يعد باستنساخ سيرة الخلفاء والسلاطين في التاريخ الإسلامي. مما يوجب الرعب من تكرار سياسة الاستبداد والقمع التي عانت منها الأمة في معظم عصورها السابقة.

وما يدعونا إلى الأمل والتفاؤل هو الوعي الجماهيري المنفتح على تطورات العصر، الذي يدفع ويضغط باتجاه السير في طريق الديمقراطية والمشاركة الشعبية، حيث حركة التاريخ، ولغة الواقع العالمي.

مستقبل الشيعة ضمن مستقبل الأمة

□ **كيف تنظرون إلى مستقبل الشيعة على ضوء الثورات العربية الحاصلة؟**

◂ إذا نجحت الثورات العربية في إرساء مفهوم المواطنة الذي يعني تجاوز التصنيف والتمييز بين المواطنين، وأن تكون هناك مساواة في الحقوق والواجبات وتكافؤ الفرص، فإنه لا مبرر للحديث عن مستقبل خاص للشيعة أو أي طائفة أخرى خارج سياق المستقبل العام للأمة وللشعب في أي وطن من الأوطان.

فالشيعة هم جزء من هذه الأمة، وحيثما يتواجدون فهم جزء لا يتجزأ من أوطانهم وشعوبهم.

إن الاستبداد السياسي والديني هو الذي أنتج حالة التهميش والإقصاء لهذه الطائفة أو تلك، ودفعها للانكفاء على نفسها، والشعور بالقلق على هويتها، وتحصن أفرادها بالانتماء إليها لحماية مصالحهم من الانتهاكات التي تستهدفهم.

وهذا هو ما خلق الواقع الطائفي القائم، الذي نأمل تجاوزه بثقة المواطن واطمئنانه على مصالحه وحقوقه في ظل هويته الوطنية الجامعة، ودون حاجة للاحتماء بهويّة

فرعية كهوية المذهب أو القبيلة.

إن الأكثرية في الأمة وفي كل وطن من الأوطان مطالبة باستيعاب الأقليات، مع تحفظنا على مصطلح الأكثرية والأقلية على هذا الصعيد.

لكن لا بُدّ من تطمين من عانى من التهميش والإقصاء والتمييز، ليمارس دوره الوطني بثقة ودون هواجس من تكرار المآسي.

ومن المؤسف أن نرى استمرارًا لخطاب الإقصاء الطائفي في بعض أوساط المتطلعين للثورة والتغيير، حيث يتحدثون عن الشيعة وسائر الطوائف الأخرى، وكأنهم وجود طفيلي أو غير مرغوب فيه، أو لا يحق لهم أن يعبّروا عن ذاتهم ويشاركوا بحجمهم في الواقع السياسي والاجتماعي.

في مقابل ذلك فإن في الوسط الشيعي من استمرأ حالة الانكفاء والانطواء، واستغرق في معادلة ردة الفعل، لمواجهة التشدد والتعصب المذهبي بخطاب من جنسه ولغته.

بالتأكيد، فإن العدو الخارجي ليس بعيدًا عن لعبة الصراعات الطائفية بل هي فرصته لإضعاف الأمة، وتمزيق وحدتها وقوتها.

وهنا تأتي مسؤولية قوى الوعي والتنوير في الأمة لبث الخطاب الوحدوي، وتكثيف مبادرات الحوار والتواصل والتعاون، ليشترك الجميع في صنع مستقبل واحد يضمن مصالح الجميع وحقوقهم، ويدشّن عصر دولة المواطنة والمشاركة والمساواة.

السلمية هي الخيار

□ **متى يجوّز الإسلام اللجوء إلى الثورة ومتى يرجّح الطرق السلمية في معالجة المشاكل؟**

◄ الثورة لا تعني العنف وإنما تعني إظهار الأمة لإرادتها في رفض واقع الظلم

والفساد، بالطرق السلمية، كما حصل في تونس ومصر واليمن والبحرين، وقبل ذلك بثلاثة عقود حينما انطلقت الثورة الإسلامية في إيران بحراك جماهيري عام، لم يستخدم فيه العنف من قبل الشعب الإيراني، رغم بطش النظام الشاهنشاهي الزائل.

والإسلام يؤكد بمفاهيمه وتشريعاته عدم اللجوء إلى العنف في الخلافات الداخلية، والتوسل بالطرق السلمية، حفاظًا على الأرواح والأعراض والممتلكات الخاصة والعامة، ولكي تتعزز في الأمة روح السلم ومنهجية السلام.

وقد دلّت التجارب الثورية المعاصرة على قوة الحراك الشعبي حينما يكون عامًا وسلميًا، وقدرته على إسقاط الطغيان، وكسب الرأي العام الداخلي والخارجي، شريطة الثبات والصمود، والاستعداد للتضحية والبذل، والإصرار الواعي على تحقيق الأهداف المرسومة المحددة.

□ **لماذا اليوم يصار إلى مذهبة أيّ تحرك في المجتمع الخليجي مع أن المطالب حقيقية وجدية؟**

◂ مشكلة المجتمع الخليجي أنه يعاني من وجود اتجاهات طائفية تعصبية نافذة، وهناك أنظمة تتبنى سياسة التمييز الطائفي بين مواطنيها، وقد أنتج ذلك حالة من الانفصال بين الطوائف، فإذا ما جرى الحراك من قبل أبناء طائفة معينة، وإن كان لمطالب حقيقية، فإنه يثير الهواجس لدى أبناء الطائفة الأخرى، ويعطي الفرصة للأنظمة للّعب على هذا الوتر الطائفي، وتشويه صورة الحراك، والتعبئة ضده.

وما نتمناه هو حصول حراك وطني لا ينحصر في طائفة معينة، علمًا بأن ذلك لا يبرر التنكر لحق من يتحرك لدفع الظلم والسعي للإصلاح والتغيير، لا لذنب إلا انتماؤه لهذه الطائفة أو تلك.

يجب الإنصاف ودراسة أهداف الحراك ومدى شرعية المطالب التي ينادي بها،

والتضامن مع المطالب الحقة لأي فئة من المواطنين.

ولا ينبغي لصاحب شعور وطني إنساني أن يكون وقودًا في معركة ظالمة لصالح الطغاة ضد طلاب الحق والعدل.

إن جميع المواطنين في الخليج يدركون سوء الواقع السياسي، ويعانون من تفاقم المشكلات على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، ويطمحون جميعًا الى الإصلاح والتغيير، لكنهم بحاجة إلى تجاوز الحواجز المذهبية والقبلية والمناطقية، وأن ينفتح الشباب الواعون على بعضهم بعضًا، ليقودوا حراكًا وطنيًا، يطالب بالعدل والمشاركة وحماية حقوق وكرامة جميع المواطنين.

السياسي والديني يصنعان الطائفية

□ **من يتحمّل مسؤولية ما وصلنا إليه من تفشي حالة المذهبية في العالم العربي والإسلامي؟**

◀ الحالة المذهبية في العالم العربي والإسلامي هي إرث ثقيل لعصور سابقة من الاستبداد السياسي والديني، يعززها تراث مذهبي يطفح بالتعصب والغلو والتحريض على الكراهية للآخر المخالف.

وهناك جهتان تتحملان المسؤولية الأساس في تفشي واستمرار هذه الحالة.

الأولى: هي النظام السياسي الذي يمارس التمييز الطائفي ويدعم بث التفرقة والصراع المذهبي، لأغراض وأهداف سياسية.

والثانية: هي القيادات الدينية التي تمارس التعبئة المذهبية والتحريض الطائفي في صفوف أتباعها لتأكيد دورها في الزعامة النفوذ.

إن غضّ الطرف من قبل القيادات الدينية في الجانبين عما في التراث المذهبي من تعصب وغلو وإثارة للشحناء، هو بمنزلة المشاركة في جريمة تمزيق صفوف الأمة،

وضياع وحدتها، حيث تتحمل هذه القيادات إثم ما يحصل من سفك للدماء وانتهاك للحرمات، في النزاعات الطائفية البغيضة.

الدور الخطير لعلماء الدين:

□ **هل من تحرك ما على صعيد علمائي أو قيادي لإيجاد صيغة حلٍّ لهذا الخطر المحدق؟**

◄ حين يتأمل الإنسان في النصوص الدينية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وروايات عن أهل البيت ﷺ، وعن الصحابة الأخيار (رضي الله عنهم)، يرى لوحدة الأمة أولوية ومركزية عظيمة، وحين ينظر الإنسان إلى واقع الشعوب الإسلامية يرى أخطار التفرقة والفتن الطائفية تهدّد مستقبل الأمة ومصالحها بأشد الأضرار الفادحة.

وذلك يقتضي أن تعطي المرجعيات الدينية لقضية الوحدة ما تستحق من الاهتمام بمستوى مركزيتها في الدين، وضرورتها لحفظ مصالح الأمة، لكن ما يثير التساؤل والأسف تغافل معظم المرجعيات الدينية السنية والشيعية عن التصدي لهذه القضية، وانشغالها بتعزيز دورها داخل طوائفها، بل إن بعض هذه المرجعيات تصب الزيت على نار الفتن الطائفية، بإصدار الفتاوى التكفيرية والتحريضية، ونشر الأفكار التعصبية، وتشجيع الممارسات المثيرة للآخر المذهبي.

وهناك جهود مشكورة مقدرة تقوم بها بعض المرجعيات والقيادات الدينية، لكنها لا ترقى إلى مستوى التحدّي.

كنا نعقد آمالًا على الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في تعزيز الحوار والتواصل المذهبي بين علماء الأمة، والتأكيد على المشتركات في الآراء والمواقف، لكن الأوضاع السياسية ألقت بظلالها على مواقف بعض قيادات هذا الصرح الشامخ، بما أصاب مسيرته بالتعثر على هذا الصعيد.

ويبذل المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الذي ترعاه الجمهورية الإسلامية الإيرانية جهودًا كبيرة مميزة، لكن أمواج الفتن الطائفية التي تحركها المصالح السياسية، عاتية هوجاء.

إن من الضروري أن تنطلق مبادرات محلية في كل بلد يعيش التنوع المذهبي، لحماية التعايش، وتوفير أجواء التواصل والتقارب، وهناك مبادرات رائدة في هذا السياق كتجمع علماء المسلمين في لبنان، وتجمع علماء المسلمين في العراق، وائتلاف القوى الإسلامية في باكستان، مما يشجع على مبادرات شبيهة في مختلف البلدان والمناطق الإسلامية.

الولاء للدين أم للوطن؟:

□ **هل هناك تعارض بين الولاء للدين والولاء للوطن؟ وعليه هل تجدون المواطنة حلًا لمشكلات التمييز الحاصلة في العالم العربي والإسلامي، وكيف نؤسس لها إسلاميًا؟**

◄ حين نفهم الدين فهمًا سليمًا فإن الولاء له سيجعلنا أكثر حرصًا على مصالح أوطاننا؛ لأن جوهر الدين هي قيم المحبة والتسامح والعدل والنفع لعباد الله وخدمة المصلحة العامة.

أما التعصب والكراهية والعدوان على حقوق الآخرين والإساءة للمخالفين فهي رذائل يبرأ منها الدين، ومن ينسبها للدين فهو مسيء إليه.

إن المواطنة التي تعني الشراكة بين أبناء الوطن الواحد في إدارة شؤون وطنهم، وفي بنائه وتنميته والتمتع بخيراته والدفاع عن مصالحه، بغض النظر عن أعراقهم وأديانهم وقبائلهم وتوجهاتهم، هي الطريق الصحيح لتجاوز حالات التمييز والصراعات الداخلية، وهذا ما تسير عليه الأمم والشعوب الأخرى، فالشعب الأمريكي مثلًا خليط من انتماءات متنوعة مختلفة، لكنهم سواسية أمام القانون، وفي الحقوق والواجبات.

ونجد في صحيفة المدينة التي وضعها رسول الله ﷺ عند هجرته للمدينة المنورة وإقامة الكيان الإسلامي فيها التي نصت على المشاركة في الحقوق والواجبات بين سكان المدينة آنذاك من مسلمين ويهود وغيرهم، نجد أن هذه الصحيفة تمثل تأصيلًا دينيًا لأي دستور يتوافق عليه المواطنون بمختلف أديانهم.

كما أن في سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام اعترافًا والتزامًا صريحًا منه عليه السلام بمساواة المخالفين والمعارضين له ببقية المواطنين في حفظ حقوقهم ومصالحهم كقوله عليه السلام للخوارج: «لهم علينا أن لا نمنعهم دخول المساجد وأن لا نقطع عنهم الفيء وأن لا نبدأهم بقتال ما لم يثيروا فتنة».

وكل قيم الدين التشريعية والأخلاقية وفي طليعتها حق الجوار تلهمنا المبادئ والمفاهيم التي تؤصل لمفهوم المواطنة.

لكن حداثة هذا المفهوم قياسًا إلى قدم النصوص والمتون الفقهية، يتطلب من الفقهاء المعاصرين بذل الجهد لاستنباط تفاصيل وحدود هذا المفهوم من المصادر الدينية، وبالاستفادة من تجارب سائر الأمم والشعوب.

□ إذا تعارضت مصلحة الوطن مع مصلحة الدين فأيّ مصلحة على المسلم أن يبدّيها؟

◄ تعارض مصلحة الوطن مع مصلحة الدين افتراض وهمي وإنما يحصل التعارض بين ما يتوهمه الإنسان مصلحة للدين أو الوطن.

وهذا يذكرنا بالنقاش بين علماء أصول الفقه عن التعارض بين حكم العقل وحكم الشرع، أو ما عبروا عنه بالملازمة العقلية بأنه إذا حكم العقل بحسن شيء أو قبحه هل يلزم عقلًا أن يحكم الشرع على طبقه؟

وقد قرر العلماء ثبوت هذه الملازمة، وأن العقل إذا حكم بحسن شيء أو قبحه، أي إذا تطابقت آراء العقلاء بما هم عقلاء على حسن شيء لما فيه من حفظ النظام

ومصلحة البشر، أو على قبحه لما فيه من الاخلال بالنظام ومصلحة الناس، فلا بدّ أن يحكم الشارع بحكمهم لأنه من العقلاء بل رئيسهم، على حدّ تعبير علماء الأصول.

□ **لماذا لم نشهد تحركًا إسلاميًا ضخمًا لوقف نزيف الدم في بورما، فقط سمعنا بعض الأصوات الخجولة المنددة؟**

◄ يبدو أن انشغال مراكز العالم الإسلامي بمشاكلها الداخلية والقريبة منها، هو الذي يضعف الاهتمام بمشاكل المسلمين في الأطراف النائية كالفظائع التي تحدث في بورما.

إن ذلك مؤشر خطير على انحسار الروح الإسلامية التي تجعل المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له بقية الأعضاء بالسهر والحمى.



في مقابلة معه حول مختلف شؤون الفكر والهموم الإسلاميّة:

٧

الشّيخ الصفّار: الوحدة مبدأ ديني وليس تكتيكًا سياسيًا[1]

مفاهيم إسلاميّة

□ **نبدأ الحوار بآخر نتاجاتكم الفكريّة، ولعلّ المطّلع على تراثكم ومشروعكم الفكريّ، قد يجد أنّكم تسلّطون الضّوء على مجموعة من المفاهيم، من بينها مثلًا مفهوم التّعايش، ثقافة الاختلاف، التّسامح الدّيني، المواطنة... فهل تركيزكم على هذه المفاهيم لأنّها تشكّل أولويّةً اليوم في الأمّة الإسلاميّة؟**

◀ أعتقد أنّ أيّ مهتمّ بنشر الإسلام وبالحديث عن الإسلام، لا بدّ وأن يأخذ بعين الاعتبار حاجة العصر والمجتمع الّذي يعيش فيه، ونحن رأينا كيف كان كلّ نبيّ من أنبياء الله يركّز على القضايا الّتي كان يحتاجها مجتمعه وعصره، مع أنّ هناك وحدة جامعة لرسالات كلّ الأنبياء ودعواتهم، ولكنّ اختلاف العصور والمجتمعات كانت تستدعي اختلاف الأولويّات والقضايا التي يركّز عليها كلّ نبيّ من الأنبياء.

في هذا العصر، تعاني مجتمعاتنا الإسلاميّة معاناةً كبيرة في ما يرتبط بقدرتها على

(١) مقابلة أجراها الإعلاميّ غانم اللّولاسي، على محطّة الإيمان الفضائيّة، مع سماحة الشّيخ حسن الصّفّار، أثناء تواجده في لبنان، وبثتها القناة مباشرة مساء الثلاثاء ٣/ ٧/ ٢٠١٢م الموافق ١٣ شعبان ١٤٣٣هـ.

التّعايش واستيعاب حالة التنوّع والتعدّد الّتي هي حالة طبيعيّة في كلّ المجتمعات البشريّة. وطوال تاريخ الأمّة، كان هناك تنوّع في الآراء والمدارس والمذاهب، إلا أنّ السّاحة ولا سيّما في القرون المتأخّرة، بدأت تضيق ذرعًا بالرأي الآخر وبالاتجاه الآخر، فأصبحت هناك معاناة سبّبت حالات من الإقصاء والتّغييب والتّهميش، وأدّى ذلك إلى النزاعات والصّراعات فيما بين المذاهب والطّوائف.

هذه المعاناة دفعتني لكي أهتمّ بدراسة ثقافة الفكر الإسلاميّ من خلال مصادره الرّئيسة من الكتاب والسنّة، وسيرة رسول الله، وسيرة الأئمّة الطاهرين، وسيرة الأولياء الّذين كانوا يمثّلون حالةً من الالتزام بالقيم والمبادئ الدينيّة، ورأيت أنّ ما تعانيه الأمّة من حالات الإقصاء والتّهميش والقمع والإرهاب الفكريّ، لا تنسجم مع المبادئ الدينيّة الّتي تصدح بها آيات القرآن الكريم، الّتي تتحدّث عنها أحاديث السنّة الشّريفة وروايات أهل البيت، وبدأت أتساءل: لماذا نحن نعيش هذا الواقع، مع أنّنا ننتمي إلى دين يتحدث عن حرية الفكر والتّعبير عن الرأي، ويتحدّث عن كرامة الإنسان وحقوق الإنسان، بغضّ النّظر عن دينه ومذهبه ورأيه الفكريّ والسياسيّ. هذا ما دفعني للاهتمام بهذه الأفكار وبهذه القضايا.

ثقافة الاستبداد

☐ **إذا تأمّلنا في حركة الرّسالات تاريخيًّا، نجد أنّ طبيعة هذه الرّسالات تحمل مضامين عالية، وتحمل مجموعةً من القيم الهادفة، الّتي تدعو إلى السّلم والتّعايش والألفة، ولكنّ الّذي يراقب ويلاحظ الحالة الإسلاميّة، يجد هنالك تباينًا ومفارقةً بين النظريّة والواقع. ما السّبب في ذلك، هل الأمر يعود إلى الدّعاة والسّاسة وعلماء الأمّة، أم إلى المجتمع؟**

◀ أنا أعتقد أنّ المسألة تنبثق من سوء فهم لمفاهيم الدّين أوّلًا، وثانيًا من وجود قوّة مصلحيّة تستفيد من طرح هذه الأفكار الاستبداديّة والقمعيّة.

الأمّة الإسلاميّة ابتليت منذ وقت مبكر بالحكم الاستبداديّ وبالسّلطات الاستبداديّة الّتي سيطرت على الأمّة، من دون أخذ رضا الأمّة بعين الاعتبار.

هذا الحكم الاستبداديّ كان يحتاج إلى إنتاج ثقافةٍ تعطي المشروعيّة لاستبداده ولتسلّطه على النّاس، ولذلك شجّع هذه الثّقافة المنحرفة عن الدّين، فأصبح هناك مدارس وفقهاء ينتجون ثقافةً وفكرًا وفقهًا يتناسب مع السّلطة الاستبداديّة الّتي كانت تحكم الأمّة. مثلًا، في فترة من الفترات، كانت تطرح مسألة خلق القرآن، وهل القرآن حادث أم قديم؟ وكان هذا الموضوع سببًا في احتراب النّاس مع بعضهم بعضًا، والتّضييق على العلماء، حيث كان يأتي حاكم يتبنّى هذا الرّأي، فيضيّق على من يتبنّى الرّأي الآخر، ثم يأتي حاكم آخر ويأخذ الرّأي الآخر. هذا ما رأيناه أيّام الدّولة العباسيّة مثلًا فيما عرف بفتنة خلق القرآن.

الحاكم نفسه لم يكن مخلصًا في توجّهه إلى الله تعالى، ولم يكن صادقًا في التزامه، بدليل الظّلم الّذي كان يمارسه في عباد الله، لكن كانت مثل هذه الأمور يستفيد منها كغطاء حتّى يبرز نفسه وكأنّه مدافع عن القيم ومدافع عن المقدّسات.

سوء الفهم من ناحية، ووجود سلطات استبداديّة من ناحية أخرى، هي الّتي عمّقت هذه التوجّهات الاستبداديّة في واقع الأمّة، وفي ثقافتها.

التخلّف الحضاريّ ودور الأمّة

□ **نفهم من ذلك، أنّ أسباب التخلّف والانحطاط دائمًا تعزى إلى السّلطات، ولكن، أليست الأمّة شريكةً في هذا الرّكود الحضاريّ؟**

◀ قبول الأمّة بسلطات ظالمة فاسدة تستمرّ في الحكم؛ يعني المشاركة الرئيسة لها في ذلك.

كان يفترض في علماء الأمّة وفقهائها، ألّا يقبلوا السّير في ركب هذه السّلطات

الاستبداديّة، لكن مع الأسف الشديد، حصل هذا من قبل كثير منهم، وإن كان تاريخنا يزخر ببعض المواقف المتألّقة والمشرقة لفقهاء وعلماء قاوموا الاستبداد والظّلم، وأصرّوا على أن يكشفوا للأمّة حقيقة دينها وثقافتها. وكذلك دور المثقّفين الّذين كانوا في تلك العصور يتمثّلون بالشّعراء والأدباء، إذ كان يفترض في الشّعراء والأدباء، وهم مثقّفو الأمّة في ذلك العصر، أن يأخذوا منحى حريّة الفكر وحريّة الرّأي، وأن يواجهوا الظّلم والاستبداد، لكنّنا ـ مع الأسف الشّديد ـ حينما نبحث في ديوان الشّعر العربيّ، نرى كثيرًا من الشعراء كانوا من جوقة السّلطة.

أمّا من رفض أن يكون ضمن هذه الجوقة، فدفع حياته ثمنًا، وأصبح شهيدًا ومطاردًا أو سجينًا، لكنّ غالب النّخبة العلميّة والمثقّفة في الأمّة ـ مع الأسف الشّديد ـ لم تأخذ الموقف المطلوب منها. ولذلك طالت حقبات الاستبداد في تاريخ الأمّة.

الارتقاء إلى مستوى التحّدي

□ **اليوم، نجد العالم الإسلاميّ يعيش الكثير من الأزمات، لعلّ أبرزها خطر العولمة، والغزو الثّقافيّ القادم من الغرب، إضافةً إلى المشاكل الاقتصاديّة، والتدنّي في مستوى التّعليم، والبطالة، وخطر المخدّرات الّتي هاجمت بعض شبابنا. في المقابل، نجد الخطاب الإسلاميّ قد أصبح في وادٍ آخر، ولم يرتقِ إلى مستوى التحدّيات. فما الحلّ هنا، في رأيكم؟**

◄ الحلّ هو العودة إلى المصادر والجذور الإسلاميَّة. في العصور المتأخِّرة، أصبح المهتمّون في حوزاتنا العلميّة ومنابرنا الدينيَّة في الغالب، يأخذون آراء من سبقهم من العلماء والفقهاء، ولا شكَّ في أنَّ هؤلاء العلماء والفقهاء بذلوا جهدهم، ولكنَّهم كانوا نتاج بيئتهم، نتاج عصورهم، كانت آراؤهم ثمرة اجتهاداتهم هم.

ويفترض في علماء هذا العصر وفقهائه وخطبائه ودعاته، أن يجتهدوا ويرتقوا إلى مستوى التحدّيات الّتي في عصرهم، وبالتَّالي أن ينتجوا خطابًا يتناسب مع التحدّيات

المعاصرة، ويرتقي إلى مستوى التطوّر العلميّ والتّكنولوجيّ الّذي يعيشه إنسان هذا العصر.

أي إنّه كلّما تقدَّم وضع المجتمع، استطاع الإنسان أن يفهم من آيات القرآن الكريم معاني جديدة تتناسب مع التطوّر والتقدّم الّذي يعيشه الإنسان.

لكن في الغالب، فإنَّ آراء المفسِّرين القدامى تكون حاجبًا وحاجزًا بيننا وبين فهم آيات القرآن الكريم، وهكذا على مستوى فهم النّصوص والأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ وأهل البيت (عليهم السلام)، وعلى مستوى فهم أحداث التّاريخ وتحليلها.

هم كان لهم الحقّ في أن يجتهدوا وأن يبيّنوا الآراء، ويفترض بمن يمتلك كفاءة الاجتهاد، أن يكون له حقّ الاجتهاد وأن يبيِّن رأيه.

على الصّعيد الفقهيّ، نحن نعاني كثيرًا من سقف رأي المشهور. مشهور الفقهاء عندهم رأي، فلماذا يكون مشهور الفقهاء في العصور الماضية ملزمًا للفقيه الّذي يعيش في هذا العصر؟

السيّد الخوئي كان جريئًا حينما تحدّث في هذا المجال، ولم يعط اعتبارًا كثيرًا لمشهور الفقهاء، وإنما أعطى نفسه الحقّ لكي يجتهد ولكي يواجه النّصّ بشكل مباشر.

الجرأة الفقهيّة

□ **لعلّكم هنا تتحدّثون عن الجرأة العلميّة، بأن يكون الفقيه أو الّذي يستنبط الأحكام جريئًا في بحثه العلميّ؟**

◀ ذلك من أجل أن يواجه التحدّيات الّتي يعيشها في عصره، لعلّ علماءنا وفقهاءنا السّابقين لو كانوا موجودين في هذا العصر، لأنتجوا ثقافةً أقدر على مواجهة تحدّيات هذا العصر. هم كانوا يعيشون في تلك العصور، فأنتجوا ثقافتهم وآراءهم من وحي اجتهادهم، ومن وحي حاجات بيئتهم وعصرهم. فنحن في

حاجة إلى التّجديد والتّطوير في كلّ عصر، وفي كلّ جديد، حتّى يكون خطابنا قادرًا على مواجهة التحدّيات، وعلى استيعاب المجتمعات البشريّة.

المسألة ليست مسألة أبناء الأمّة الإسلاميّة فقط، نحن مطالبون بأن ننتج خطابًا يخاطب أبناء البشر في كلّ مكان.

حماية حريّة الرأي

☐ **الملاحظ في مسألة الاختلاف الفقهيّ، أنّ هذه الحركة كانت تاريخيًّا تحدث بشكل طبيعيّ، ولكن ما نشاهده اليوم، أنّ هذا الاختلاف أصبح يتّجه إلى الصّدام. في رأيكم، ما السّبيل لإعادة هذه الحركة ـ حركة الاختلاف الفقهيّ ـ إلى مسارها الطبيعيّ؟**

◀ من أهمّ المبرّرات لفتح باب الاجتهاد واستمراره في مدرسة أهل البيت، وهو ميزة كبيرة، أنّ فتح باب الاجتهاد هو الّذي يبقي حركة العلم نشطةً، وهو الّذي يمكّن العالم من الوصول إلى الحقائق، بينما إغلاق باب الاجتهاد يميت الحالة العلميّة ويخمدها، وأيضًا يجعل العالم غير متأكّد من أنّ ما يراه وما يذهب إليه مطابق للحقّ والبرهان وللدّليل الدّينيّ الّذي يجب أن يدين الله تعالى به.

ولهذا اتّفق المسلمون على نقل الحديث الّذي يقول إنّ المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد، وهذا يعني شرعيّة حركة الاجتهاد.

إذا كانت حركة الاجتهاد حركةً شرعيّةً، ومطلوب من العالم المؤهّل أن يمارس اجتهاده، فهذا يعني أن يعترف له بحقّ إبداء الرّأي وحقّ التّعبير عن الرّأي الّذي أدّى إليه اجتهاده.. وإذا كان هناك من يعترض على هذا الرّأي، فمن حقّه أن يعترض ويبيّن أدلّته.

القرآن الكريم أرسى هذه القاعدة، أنّه حينما يكون هناك اختلاف في الآراء وفي

الدّعوات، فالمقياس هو الدّليل والبرهان ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾[سورة البقرة، الآية: ١١١]، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٤٨].

فحركة الاجتهاد قائمة على أساس الاعتماد على الدّليل والبرهان، فأيّ عالم، أيّ فقيه، لديه وجهة نظر في أيّ مجال من المجالات، من حقه أن يعبّر عن رأيه.

وفي السّاحة الإسلاميّة والوسط العلميّ، يجب أن تؤمّن حريّة الاجتهاد، وأن يفسح المجال أمام حركة الاجتهاد. حينما يكون هناك قمع وتضييق على حريّة الرّأي وعلى حركة الاجتهاد، فهذا يعني إيقاف هذا المسار الّذي نعتقد أنّ الإسلام أمر به وأراده لكي تكون الشريعة صالحةً لكلّ عصر ولكلّ جيل ولكلّ زمن.

إنّ ما يحصل من وجود حالة من التّجييش والنزاع عند اختلاف الرّأي، هو أمر طارئ، بسبب سيادة الأفكار التعصّبيّة الّتي تدمج بين الشّخص والفكرة، أي إنَّه قد يكون هناك فكرة قابلة للنّقاش، لكن حينما يكون هناك شخص يريد أن يفرض نفسه، ولا يريد أن يكون هناك من ينافسه ويزاحمه، هنا تحصل حالة التعصّب.

علينا أن نعود إلى أخلاقيّات الدّين؛ إلى أئمّتنا وآرائهم الّتي كانوا يتحدّثون عنها، والّتي نعتقد أنّها تمثّل الحقّ والصّواب. الإمام الصّادق حينما يتحدّث عن مسألة فكريّة أو فقهيّة، لا يشكّ في أنّ رأيه هو الحقّ وهو الصّواب، لكن كيف كان يتعامل مع الرّأي الآخر؟ كان يحترم الرّأي الآخر، وكان يعرض الرّأي الآخر ويتحاور معه.

أخلاقيّات الاختلاف

□ لعلَّ ما ذكرتموه عن الرّحابة العلميّة الّتي جسّدها الإمام الصّادق، كانت موجودةً أيضًا تاريخيًّا، فمن الشّيخ الطّوسي، إلى العلاّمة الحلّي، كان هناك اختلافات في الفقه وغيره، لكن كانت هناك رحابة في النّقاش العلميّ، وهو ما نشهده بين الشّيخ المفيد والشّيخ الصّدوق، حتّى العلامة الحلّي في كتابه (تذكرة الفقهاء)، كان يذكر آراء الشافعيّة والحنفيّة وما شابه ذلك؟

◀ وهو ما لا يزال موجودًا اليوم في حوزاتنا العلميّة، في مجال الفقه والأصول، فقد يكون هناك تلميذ لمرجع، ولكنّه حينما يصبح في مقام بحث الخارج؛ يبدأ بمناقشة آراء أستاذه، وقد يكون أستاذه موجودًا. الشّهيد محمد باقر الصّدر هو تلميذ السيّد الخوئي، لكن حينما بدأ بحثه الخارج، صار يناقش آراء السيّد الخوئي في الفقه والأصول ويشكل عليها ويردّها ويتحدّث عن رأيه وعن أدلّته.

في مجال الفقه والأصول، هذا مألوف في حوزاتنا العلميّة وفي مجال البحث الخارج، لكن الكلام هو: هل هذا محدود في حدود الفقه والأصول، أم أنّه يتّسع لمختلف المجالات؟ وهل إنّ هذا محدود في إطار الحوزة العلميّة وبحوث الخارج، أم أنّه ينبغي أن يكون هو المسار وهو النّهج الّذي نسير عليه في مختلف المجالات؟

هذه الأخلاقيّات الموجودة عندنا في الحوزة العلميّة وفي إطار علمي الفقه والأصول والبحث الخارج، ينبغي أن تكون هي النّهج العام الّذي نسير عليه في نقاشنا لمختلف القضايا العقديّة والتاريخيّة والفكريّة والسياسيّة، وفي مختلف الميادين في تعبيرنا عن هذه الآراء، وليس فقط في إطار البحث الخارج، وفي حدود مواضيع معيّنة في الفقه والأصول.

نهج الانفتاح والحوار

□ **لقد ذكّرتني مولانا بالعلامة المرجع السيّد محمد حسين فضل الله في هذا السّياق، فقد كان يتحدَّث كثيرًا في كتبه وفي حواراته عن مسألة الرَّحابة الفقهيَّة. في هذا السّياق، كيف تقرأون مشروع سماحة المرجع السيّد فضل الله في ضمن هذه النّقطة؟**

◀ من أهمّ الميزات الّتي تجلّت فيما طرحه العلامة المرجع السيّد فضل الله، كان هذا نهج الانفتاح والحوار. حينما نقرأ عن النّدوات ونسمع الحوارات الّتي كان يجريها، وحتّى في البحوث الفقهيّة الّتي أصدرها، نراها أفقًا واسعًا للحوار،

يتحدّث عن الرأي الآخر ويناقشه بموضوعيّة، ويطرح رأيه في مقابل هذا الرّأي، ويتحدّث عن أدلّته عن الرّأي الّذي ذهب إليه.

السيّد فضل الله مدرسة متميّزة في الانفتاح وفي الحوار، وأمثالي من أبناء هذا الجيل، ندين لمدرسته ولمنهجه الّذي سار عليه. فقد فتح أمامنا وأمام هذا الجيل أفقًا واسعًا؛ وكتاباته الّتي كتبها، ككتابه (خطوات على طريق الإسلام)، أو كتابه المهمّ (الإسلام ومنطق القوّة)، وكذلك سائر الكتب (أسلوب الدّعوة في القرآن الكريم)... هذه الكتب تعتبر من الكتب التأصيليّة والتأسيسيّة في فكرنا الإسلاميّ المعاصر.

وقد تناول سماحته هذه الأمور بكلّ عمق، وأصّل لها من القرآن، ومن السنّة، ومن سيرة أهل البيت، وعانى من حالات الإرهاب الفكريّ معاناةً شديدةً، فاستقبل ذلك برحابة صدر. ولعلّ هذه المعاناة كانت مفيدةً؛ لأنّها دفعت بالسيّد ليتأمّل أكثر في أرجاء هذه القضيّة وهذه المعاناة، فأنتج لنا تراثًا مهمًّا ستستضيء به أجيال الأمّة، وسيكون منارًا يستضيء به السّائرون في طريق العمل للدّين والذين يعملون من أجل تبليغ رسالات الله سبحانه وتعالى.

مصداقيّة المرجع فضل الله

☐ **مدرسة المرجع السيّد فضل الله هي مدرسة متكاملة، لها أبعاد كثيرة، ولعلّ البعد الأبرز في هذه المدرسة، هو طبيعة الحوار الإسلامي ـ الإسلامي، فتنظير سماحته لمبدأ الوحدة الإسلاميّة، كانت له نتائج في هذا المستوى انعكس على واقع الأمّة الإسلاميّة، ولا سيّما في المملكة العربيّة السّعوديّة وفي العراق والبحرين وما شابه ذلك.**

كيف تقرأون فكر سماحة السيّد فيما يتعلّق بمسألة الوحدة الإسلاميّة؟

◀ العلامة المرجع السيّد يعتبر متميّزًا في مصداقيّته في طرحه للوحدة الإسلاميّة، هناك كثيرون تحدّثوا عن موضوع الوحدة الإسلاميّة، ولكن السيّد فضل الله

امتاز بأنّ حديثه الفكريّ والنظريّ عن الوحدة الإسلاميّة جسّده في سلوكه وحياته ومواقفه، وفي ممارساته العلميّة والفكريّة والاجتماعيّة، ولذلك اكتسب احترام الجميع من السنّة والشّيعة، ومن المسلمين والمسيحيّين واللّيبراليّين والعلمانيّين، وأصبحت له مصداقيّة في النّفوس؛ لأنّه تحدّث عن الوحدة، ومارس أخلاقيّات الوحدة، ولم يسئ إلى أيّ طرف من الأطراف.

حينما يتحدّث عن الحوار الإسلامي المسيحي، نراه يتحدّث عنه في المجال الفكريّ، وفي المجال التنظيريّ، ثم يمارسه في علاقاته وسلوكه ومواقفه.

لذلك رأينا كثيرًا من الشخصيّات المسيحيّة تشيد به وتثني عليه، وليس لديهم أيّ مؤاخذة على مواقفه أو آرائه، لم يصدر عنه أيّ كلام يعتبره المسيحيّون تعبويًّا ضدّهم أو مسيئًا إليهم، وكذلك في إطار الحوار الإسلامي ـ الإسلامي، فقد تحدّث عن الوحدة الإسلاميّة وعن الحوار الإسلاميّ، وكان صريحًا وواضحًا، لم يكن يتحدّث عن الوحدة كمسألة مجاملة أو مراعاة لطرف آخر.

تشعر من حديثه ومن سيرته أنّه مؤمن في أعماقه بالوحدة الإسلاميّة، ولذلك، فإنَّه يعتبر في كتبه الكثيرة وفي خطاباته، من أكثر العلماء كتابةً وخطابةً وحديثًا، مع ذلك، ففي كلّ خطاباته وكلّ كتاباته، لم يجد أحد عليه ثغرةً فيما يرتبط بالوحدة الإسلاميّة يسيء فيه إلى أهل هذا المذهب، أو ينال فيه من هذه الطّائفة، أو يعزّز فيه توجّهًا تعبويًّا تحريضيًّا على جهة أو أخرى، لذلك اكتسب مصداقيّة؛ لأنَّ أفكاره الّتي تحدَّث عنها، مارسها في حياته وفي سلوكه.

ولذلك، ينطلق السيّد فضل الله والمصلحون الّذين تحدّثوا عن الوحدة، من مبدأ دينيّ وليس من مبدأ تكتيكيّ أو مصلحيّ أو سياسيّ.

لذا من أجل مصلحة الأمّة، ومن أجل مجتمعات هذه الأمّة، لا بدّ من أن يكون هناك تأكيد لوحدة هذه الأمّة ووحدة مجتمعاتنا الإسلاميّة.

ثقافة التّسامح والوحدة

□ **تحدّثتم قبل قليل عن أنّ الأمّة اليوم تعاني أزمات كبيرة، فهناك الفوضى، وسقوط أنظمة، وتغيّر أنظمة، وثمّة من يقول إنّ الدّماء الّتي تسفك اليوم في الأمّة الإسلاميّة، هي أضعاف مضاعفة من الّتي تسفك في العالم الغربيّ. كيف السّبيل إلى حلول تعالج هذه الخلافات الحاصلة اليوم في جسد الأمّة الإسلاميّة؟**

◄ نحن بحاجةٍ إلى أمرين: نشر ثقافة التّسامح والوحدة في أوساط الأمَّة، ومع الأسف الشّديد، نجد أنّ هناك منابر تبثّ ثقافة تحريض الأمّة على بعضها بعضًا تحت عناوين مذهبيّة، ولا سيّما الآن، ونحن نعيش في زمن القنوات الفضائيّة ووسائل التّواصل التكنولوجيّة المتطوّرة، نجد مواقع على الإنترنت وعلى الفيسبوك وفضائيّات، تشغل الأمّة بالخلافات المذهبيّة، وتحرّض النّاس على بعضهم بعضًا، وتنشر حالة التشنّج بين المسلمين.

هذه الثّقافة التحريضيّة التعبويّة، يجب أن تواجهها ثقافة تبثّ التّسامح، وتجعل أبناء الأمّة يقبلون بعضهم بعضًا، ويتّجهون نحو التعايش والانسجام فيما بينهم، هذا أوّلًا.

الأمر الثّاني هو أنّنا نحتاج إلى النّماذج الوحدويّة وشخصيّات من القيادات الدّينيّة ومن المؤسّسات الدّينيّة ومن الجماعات الدّينيّة، لتقوم بمبادرات تتبنّى قضيّة الوحدة، وتتبنَّى ثقافة التَّسامح؛ كما أنّ المبادرات الفعليّة العمليّة لها دور كبير، فلا يكفي أن نتحدّث عن الوحدة دون أن نصنع مؤسّسات، ودون أن نصنع تجمّعات ومبادرات تجعل من الوحدة واقعًا على الأرض تعيشه الأمّة وتشاهده جماهيرها؟.

نجاحات السيّد: درس للمصلحين

□ **ترك سماحة السيّد تركةً هائلة على المستوى الفكريّ والعقائديّ والاجتماعيّ،**

وحتّى على المستوى المؤسّساتيّ. هل من كلمة لديكم بمناسبة الذّكرى السنويّة الثّانية لرحيله، وبما يتّصل بمسيرة سماحته؟

◄ أعتقد أنّ الإرث الّذي تركه سماحة السيّد، يمكنه أن يكون دافعًا كبيرًا لكلّ المنفتحين على أصالة الإسلام وعلى أهدافه وقيمه.

ترك لنا السيّد تراثًا عظيمًا زاخرًا، من خلال تفسير القرآن الكريم الّذي قدّمه، ومن خلال عطائه الفكريّ، ومن خلال الكتابات الفكريّة المتعدّدة الأبعاد والجوانب، هذه مدرسة ينبغي أن نستفيد منها ونراكمها بالمزيد من النّشاط والفاعليّة.

النّاحية الثّانية هي التّجربة الّتي قدّمها سماحته، فكلّ من يتحرّك في طريق الإصلاح، يواجه عقبات ومشاكل وتحدّيات. ولعلَّ البعض ممن يتراجع عن السَّير في طريق الإصلاح، إنّما يكون بسبب ضخامة ما يواجهه من تحدّيات ومن مشاكل. السيّد فضل الله قدّم لنا تجربة رائعة في الثّبات والاستقامة والصّمود أمام مختلف التحدّيات، وأكّد لنا إمكانيّة النّجاح.

لقد نجح واستطاع أن يحقّق الأشياء الكثيرة، وهناك من يحاول أن يوحي إلى البعض من النّاس ألّا يسيروا في طريق الإصلاح، إنّكم إذا سرتم في هذا الطريق، ستواجهون مشاكل كالمشاكل الّتي واجهها السيّد فضل الله في حياته. وفي الواقع، فإنّ حياة السيّد فضل الله وسيرة حياته، يجب أن تكون المثال لكلّ المصلحين والواعين، إنّكم إذا سرتم في هذا الطّريق فستحقّقون نجاحات.

السيّد حقّق نجاحات كبيرة، وهنا أطلب من كلّ أتباع مدرسة هذا الرّجل وتلاميذه، أن يركّزوا على النّجاحات وعلى المكاسب الّتي صنعها؛ لقد استطاع أن يشقّ تيّارًا كبيرًا في وسط الأمّة، استطاع أن يقدِّم أنموذجًا للمرجعيّة المؤسّسة والأنشطة المختلفة، وقد حقَّق نجاحات كبيرة، وعلينا أن نبرز هذه النَّجاحات وهذه المكاسب، حتَّى تكون دافعًا وتشجيعًا لمن يسير في طريق الإصلاح، ولمن يسير في طريق التّجديد.

في رحاب التقريب.. حوار قناة المنار مع الشيخ الصفار



بثت قناة المنار حوارًا مع سماحة الشيخ حسن الصفار وسماحة الشيخ ماهر حمود الباحث الإسلامي وإمام مسجد القدس بمدينة صيدا، مساء يوم الأحد ٢ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ الموافق ٢٥ مارس ٢٠١٢م، فيما يلي نص إجابات سماحة الشيخ الصفار:

المحاور: أعزائي المشاهدين.. في هذا اللقاء سنتعرف على أهمية الوحدة الإسلامية اليوم، وما هي الأسس الفكرية والأخلاقية التي تقوم عليها، وهل يمكن أن تتحقق اليوم، وكيف تتجاوز الأمة العقبات التي تواجهها، أما ضيفاي الكريمان لهذه الحلقة فمن المملكة العربية السعودية سماحة الشيخ حسن الصفار، باحث إسلامي وإمام جمعة مدينة القطيف، ومن لبنان سماحة الشيخ ماهر حمود، باحث إسلامي وإمام مسجد القدس بمدينة صيدا، فأهلًا بكم من جديد.

عرض لتقرير يتحدث عن دور المصلحين في تأصيل حالة الوحدة بين المسلمين.

أهلا بكم ضيوفي الكرام .

الوحدة ليست مصلحة طارئة

□ **أبدأ معك سماحة الشيخ حسن الصفار أولًا، هل لديك تعليق على ما ورد في التقرير؟.**

◄ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين، هذا التقرير يشير إلى أن همّ الوحدة همٌّ أصيل ومتجذّر وعميق في نفوس علماء الأمة، وفي تاريخها، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: الوحدة ليست مصلحة طارئة، وليست استهدافًا سياسيًا لهذه الجهة أو تلك، إن همّ الوحدة همٌّ توارثه المصلحون والدعاة في تاريخ الأمة الإسلامية.

النقطة الثانية: نعتقد أن الظروف الحالية مع أن هناك تحدّيات كبيرة تواجهها الأمة إلا أن جماهير الأمة وشعوبها أصبحت أكثر نضجًا، وبالتالي أصبحت الوحدة الإسلامية اليوم أقرب إلى النجاح، وإلى التحقق.

النقطة الثالثة: إنه في مختلف الأفكار والتوجهات عادةً ما يستفاد من التجارب السابقة، قد لا تنجح أول تجربة في تحقيق الهدف كاملًا، لكنها بالتالي أرست أساسًا، تجربة الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، الجهود التي بذلها سيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده وبقية المصلحين، لا شك أنها شكلت أرضية وأساسًا يمكننا الاستفادة والانطلاق منه، إضافة إلى التجارب التي تلت هذه التجربة .

جدوى الحديث عن الوحدة الإسلامية

□ **سماحة الشيخ الصفار، قبل قليل أشرتم إلى نقطة مهمة وهي تتعلق بجدوى الحديث عن الوحدة الإسلامية، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين**

كان هنـاك حديـث مطـول، وكان هناك تأصيـل للوحدة الإسـلامية الآن هل هناك جدوى من الحديث عن الوحدة الإسلامية؟

◀ أنا اعتقد أن الجدوى الآن أكبر من أي وقت مضى؛ وذلك لأن مستوى الوعي عند الناس قد تقدم، شعور أبناء الأمة بالتحديات، وبخطورة الأوضاع المعاشة أصبح شعورًا عامًا، كما أن هناك عاملًا آخر، وهو النظر إلى تجارب الأمم الأخرى.

المسلم الذي يرى الأوربيين على ما كان بينهم من حروب ومن صراعات حتى القرن الماضي المنصرم، مع ذلك استطاعوا أن يتجاوزوا حالات الصراع والتمزق والخلافات فيما بينهم، وأن يصنعوا وحدة تمظهرت في الوحدة الأوروبية، أو الاتحاد الأوروبي، هذا يدفع الإنسان المسلم، ويدفع أبناء الأمة الإسلامية لكي يتحركوا ويعرفوا أن الوحدة ليست أمرًا مثاليًا، ولا خياليًا، ولا إعجازيًا، ولا غير قابلة للتحقق.

نحن نعيش الآن في عالم التكتلات، في عالم الأحلاف، فلا ينبغي أن يشك أحد في أن أي تجمع لقوى الأمة وأبناء الأمة هو في مصلحتها.

أعتقد أن هذا الوعي بخطورة التحديات، وضرورة التوحد، أصبح الآن منتشرا في أوساط أبناء الأمة الإسلامية، وخاصة مع ما نلحظه الآن من حراك جماهيري في أكثر من بلد إسلامي .

نموذج الوحدة

□ **طبعًا كثير من الكتاب و الصحفيين يشككون في إمكانية تحقيق الوحدة، والسبب ـ كما يقولون ـ هو التبادر، فعندما نقول الوحدة الإسـلامية يتبادر للجميع الوحدة السياسـية، ويتناسـون أن الوحـدة لا تنحصـر فـي الوحـدة السياسـية، وإنما هناك مجالات متعددة للوحدة.**

◀ نعم صحيح؛ من الإشكالات التي نواجهها، ما هي الآليات؟ وما هو النموذج؟ ما هو نموذج الوحدة الذي نريده؟ على الصعيد السياسي، وعلى الصعيد الاقتصادي، ومن ثم على الصعيد الديني المذهبي.

كثير من الناس ليسوا بحاجة إلى أن يقنعوا بأصل الفكرة، ولكن لديهم تساؤلات حول آلية ومنهجية التطبيق، ومن هنا فإن دعاة الوحدة في هذا العصر، وفي هذا الوقت، مدعوون لوضع نماذج تطبيقية وآليات عملية، يقدمونها لأبناء الأمة، وأن يباشروا نوعًا من التحرك الفعلي باتجاه الوحدة، والصيغ الناضجة التي أعتقد أنها ستحظى بقبول كثير من أبناء الأمة.

أسس قيام الوحدة

☐ **سماحة الشيخ حسن الصفار، عندما نتحدث عن الوحدة، وعندما نتحدث عن أهمية وضرورة الوحدة، السؤال المنطقي والطبيعي هو: على أيّ أساس تقوم هذه الوحدة؟**

◀ هذه الوحدة تقوم على أساسين، على أساس القيم الدينية التي نؤمن بها جميعًا، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، وحبل الله هي تلك القيم والمبادئ الأساسية التي يؤمن بها كل المسلمين.

الأساس الثاني هو الوعي بالمصلحة العامة للأمة وللإسلام، أنا أعتقد أن هناك أربعة أمور ينبغي أن تكون رافعة ودافعة باتجاه الوحدة:

الأمر الأول: إنجاز التنمية؛ كل أقطارنا، كل شعوبنا تعاني من التخلف، الأمم الأخرى، والبلدان الأخرى تقدمت، قطعت أشواطًا بعيدة على مستوى التقدم العلمي والتكنولوجي والصناعي، وبلادنا لا تزال متخلفة، مع أننا نمتلك ثروات، ومن أسباب تخلفنا انشغالنا ببعضنا بعضًا، هذه الخلافات، وهذه الصراعات والحروب والمشاكل هي

من معوقات التنمية في مجتمعاتنا، فمن أجل أن ننجز التنمية، ينبغي أن نعيش حالة من السلم الاجتماعي، حالة من التآلف فيما بيننا.

الأمر الثاني: التحدي الخارجي؛ فمن أجل مواجهة اعتداءات الأعداء الأجانب، كالاحتلال الصهيوني الجاثم على صدور أبناء الأمة، عبر احتلال هذه الأراضي، وخاصة الأراضي المقدسة في فلسطين، والهيمنة الأجنبية على مختلف بلاد المسلمين.

كيف نواجه هذا التحدي الخارجي؟ كيف نواجه النفوذ الأجنبي؟ إنهم يستفيدون من تمزقنا، ومن تفرقنا، بل هم يصنعونه ويغذونه.

الأمر الثالث: حتى نحمل رسالة الله للعالم، هذا العصر الآن، مع التفتح الموجود في أذهان أبناء البشر، هو أفضل وضع يمكّننا من حمل رسالة الله للعالم.

الإسلام ليس قبيلة ننتمي إليها، الإسلام رسالة، الإسلام دين، فينبغي أن نتوحد حتى نحمل هذه الرسالة، فالله تعالى يريد منا أن نكون شهداء على الناس ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

الأمر الرابع: الامتثال لأمر الله؛ وهو كان يجب أن يكون الأساس، لا بدّ أن نمتثل لأوامر الله سبحانه وتعالى، الداعية للتوحد، فنحن مأمورون بأن تكون أمتنا أمة واحدة، الله تعالى يقررها كحقيقة ثابتة: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

في آية أخرى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، وحدة الأمة حقيقة دينية ينبغي أن تكون قائمة.

وحينما لا تكون الأمة أمة واحدة فهذا يعني التعدي والهدم لحقيقة أراد الله سبحانه وتعالى لها أن تكون موجودة وقائمة.

الاستبداد السياسي والوحدة

☐ هذه القيم مع الأسف نجدها موجودة على مستوى التنظير، وعلى مستوى الانتشار هـذه القيم موجودة، ولكن نحتـاج إلى التذكير بها، بالنسـبة للتنمية، أنتم تفضلتم بالقـول: إن التنمية تسـتطيع أن توحد، ولكن البعض يقـول إن هناك جدلية التنمية تحتاج إلى وحدة.

حتى أوروبا الآن في كثير من الصناعات يعني فرنسا تشاركت فيها مع ألمانيا، وتشاركت مع بريطانيا، يعني الغرب قائم على الصناعة والتقدم، الغرب قائم على هذه الوحدة الأوروبية ما عدا التنوع.

سماحة الشيخ، بعد أن تعرفنا على الأسس التي تقوم عليها الوحدة الإسلامية وأنها أسس دينية، وأسس واقعية المصلحة، هناك مجموعة من الأسس التي لا تخفى على الجميع، ربما لا تحتاج إلى التأصيل، وإنما إلى التذكير.

هناك طبعًا مجموعة من العقبات التي تحول دون تحقيق الوحدة الإسلامية، أهمها كما أشار الكثير من الكتاب والباحثين الاستبداد السياسي التي ينخر جسد هذه الأمة، وهو يشكل عقبة أمام التطور والتقدم، كيف تواجه الأمة هذه عقبة الاستبداد السياسي؟

◄ لا شك أن الاستبداد السياسي في أوطاننا الإسلامية، حيث تشكلت هذه الأنظمة الحاكمة، وصارت كل فئة تحكم في بلد من بلاد المسلمين، وتريد أن تستمر في حكمها، وأن تهيمن على الحكم والسلطة، وهم يخشون من وعي شعوبهم، وأن تتوحد الجهود أمامهم، لذلك فمن مصلحة كثير من هذه الأنظمة الاستبدادية ألّا يلتقي الناس مع بعضهم بعضًا، وأن تبقى حالات الخلاف باسم القومية حينًا، والطائفية حينًا آخر، والقبلية والمناطقية، طبقًا لقاعدة «فرق تسد» حتى لا يعي الناس مصالحهم، ويتوحدون من أجل خلاصهم.

من ناحية أخرى، هذه الأنظمة في الغالب لا تمتلك إرادة سياسية من أجل التوحد، حتى ضمن الصيغ التي اتفقوا عليها، كالجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، هذه صيغ اتفقت الحكومات عليها، لكن ليس هناك تفعيل لهذه الصيغ، لا تتخذ قرارات إستراتيجية باتجاه الوحدة، وإذا اتخذت لا تفعّل، وحتى التحالفات والتكتلات الإقليمية، مثل مجلس التعاون الخليجي في منطقتنا، رغم مضي هذه الفترة الزمنية عليه، لكن لم يصل إلى ما تطمح وتتطلع إليه الشعوب من إيجاد حالة من التعاون، لا يوجد إرادة سياسية، كثير من الحاكمين لا يحملون مشروعًا، ليس لديهم هم، مشروعهم البقاء في الحكم، همهم السلطة فقط.

تحديات تواجه الأمة

□ **هناك سؤال دائمًا يطرح، كيف نخلق هذه الإرادة السياسية؟ كيف نوجد هذه الإرادة السياسية؟**

◄ إذا وعت جماهير الأمة، وأخذت مكانها في الضغط على هذا الواقع السياسي، وفي تغيير هذا الواقع السياسي يمكن المراهنة على التغيير، أما ما دامت أنظمة الحكم القائمة بهذا الشكل الموجود، فإننا لا نتفاءل كثيرًا بأنها تستطيع أن تنجز وحدة لهذه الشعوب، ووحدة لهذه الأمة بدليل التاريخ الماثل أمامنا، نجد الصراعات البينية بين الدول.

الآن نحن نواجه مشكلة أخرى؛ إن هذه الأوطان المجزأة هي أيضًا تعيش خطر التجزئة، لم تعد المشكلة كيف نجمع الدول الإسلامية؟ والبلدان الإسلامية؟ الآن نواجه تحدّيًا، كيف تحافظ هذه الدول على وحدتها.

رأينا ما حصل في أكثر من بلد، ماذا حصل في الصومال؟ وماذا حصل في السودان؟ التهديدات والأخطار التي تحيط بمناطق كثيرة بهذا الاتجاه.

التعدد المذهبي

□ إذًا سماحة الشيخ، سأسلك في نقطة مهمة، يعني هذا الواقع معروف حتى لعوام الناس، يعرفون هذه التفاصيل، ولكن دائمًا الخطوات العملية، وأنت أشرت إلى نقطة أنه على الشعوب إذا أرادت الوحدة أن تسعى إليها.

سؤالي سماحة الشيخ حسن الصفار، الآن التعدد المذهبي يستغل من طرف الاستبداد السياسي، من طرف الاستعمار، ويستغل كذلك من داخل التعدد نفسه، من داخل المذاهب، هناك تعصب الآن تجاوز الخصوصية، والحفاظ على الخصوصية، وإنما وصلنا الآن إلى القتل، هناك مساجد تفجر بذريعة المخالفة في الشريعة والمذهب.

كيف تتعاطى الأمة حقيقة مع تعددها المذهبي، والتنوع الفكري، بحيث يصبح جزءًا لا يتجزأ يخدم الوحدة الإسلامية؟

◄ التعدد المذهبي ليس أمرًا جديدًا في تاريخ الأمة، منذ العهد الإسلامي الأول بدأت بذور هذه المذاهب القائمة، وفي بداية القرن الثاني الهجري اتضحت معالم أكثر هذه المذاهب القائمة الآن في الأمة، مذاهب أهل السنة، ومذاهب الشيعة، ومذاهب الخوارج.

إذًا حالة التعدية ليست جديدة، وإنما في الماضي كان هناك جوٌّ وحدوي عام تعيش فيه الأمة الاختلافات التي كانت تحصل كانت مثل الجراثيم والمكروبات في جسم له مناعة قوية، فلا تؤثر عليه تأثيرا قويًا، ولكن عندما فقد جسم الأمة المناعة، أصبح أقل ميكروب يسبب الدمار والهلاك في الجسم.

لقد مرّت الأمة في مرحلة من الانحطاط، ومن ضعف المناعة، لذلك أصبحت مثل هذه الآراء، والدعوات، تلقى تجاوبًا، وتشكل خطرًا كبيرًا في واقع الأمة.

أنا أعتقد أن مسألة التعصب المذهبي يُغذّى من قبل الجهات السياسية، ومن قبل

الأعداء الأجانب، ولا نستطيع أن نبرئ أنفسنا، وأن نبرئ تراثنا، ففي تراثنا مواد خام يستفيد منها هؤلاء، وكثير منا ينساق مع العواطف، مع عواطف الناس، ومع ما يطلبه الجمهور، بحجة الدفاع عن المذهب.

أنا أعتقد أن نخبة أو فئة الواعين من علماء الإسلام الآن ليسو قلة، ولكن المشكلة أن كثيرين منهم لا يمتلكون الجرأة، لا يريدون أن يضحوا بمصالحهم، في المقابل نجد أن هناك نماذج واعية مخلصة من علماء الإسلام اتخذوا مواقفهم الطيبة المشرقة المشرفة في الدفاع عن قيم الإسلام، وفي تبني مسؤوليتهم، فعالم الدين ينبغي أن يشكل عامل الردع والرقابة والنصيحة للسلطان، لا أن يكون أداة من أدوات السلطة.

الآن عندنا علماء والحمد لله في ساحات إسلامية كثيرة بدؤوا أخذ هذه المواقع، في إيران ولبنان والعراق وفي أفغانستان ومصر، وفي مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، لكننا بحاجة إلى أن يعمم هذا اللون، من دور علماء الدين، ونحن بحاجة إلى أن يصل الوعي الصحيح إلى جماهير الأمة، حتى لا تنطلي عليهم محاولات التضليل، ومحاولات الترميز والاستقطاب للجهات الزائفة .

لا للتمييز على أساس الانتماء المذهبي

□ **سماحة الشيخ، هناك فئات الآن من الدعاة، ومن الإعلاميين، وهناك برامج فضائية لا همّ لهم اليوم سوى تفريق الأمة، سواء ضمن خطة استعمارية عامة، أو ضمن إطار الاستبداد السياسي الذي أشرنا إليه، ما حكم هؤلاء في ميزان القرآن والسنة، وكيف نواجه هؤلاء؟**

◄ لا شك أن هؤلاء ينقسمون إلى فئات، بعضهم عندهم سوء فهم، تراءى له أن الانتصار لرأيه، والانتصار لمذهبه، يخدم الإسلام، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

أيضًا؛ لا نستطيع في مواجهة هذا الإعلام التحريضي المذهبي الطائفي، إلا أن

نقوي الإعلام البديل، وأن تكون هناك برامج بديلة لتوعية الأمة، ولتثقيفها، وهنا أودّ أن أشدد على الأمور التالية:

الأمر الأول: ينبغي أن نؤكد على مسألة تحقيق مفهوم المواطنة؛ لأن وجود تمييز بين الناس على أساس انتماءاتهم المذهبية، هو الذي يتيح الفرصة لتلقي مثل هذه المقولات التحريضية.

نريد للمسلم السني أن يعيش في البلد الشيعي أو في البلد الذي غالبيته من الشيعة، وهو يشعر بأنه متساوٍ مع بقية إخوانه المؤمنين، كما نريد للمسلم الشيعي الذي يعيش في بلد ذي أغلبية سنية ألا يشعر بأي تمييز يمارس ضده بسبب انتمائه المذهبي، ينبغي أن نؤكد مسألة العدل، ومسألة مفهوم المواطنة.

الأمر الثاني: يرتبط بمناهج التعليم، سواء كانت مناهج التعليم الأكاديمية الموجودة في المدارس الرسمية، أو حتى مناهج التعليم الموجودة في الحوزات، والمؤسسات الدينية.

في بعض بلداننا هناك تعبئة في مناهج التعليم الرسمية، الطلاب يدرسون من صغر سنهم ما يعبئهم ضد أبناء دينهم، وأبناء وطنهم، وحصلت مشاكل عديدة على هذا الصعيد في أكثر من منطقه.

وكذلك على مستوى الحوزات، والمؤسسات والمعاهد الدينية، إذ لا تزال كثير من الحوزات، وكثير من المعاهد الدينية لا يدرس فيها طالب العلم رأي المذهب الآخر، ولا يطّلع على فكر المذهب الآخر، نعم قد يطّلع عليه من مصادر معادية، أصبح عندنا عالم الدين وكأنه عالم مذهب.

نحن بحاجة إلى أن يكون عالم الدين مطّلعًا على معارف الإسلام من مختلف المذاهب، الإمام جعفر بن محمد الصادق ﵇ كان يجيب حينما يسأل على آراء مختلف المذاهب، وينقل عنه الإمام أبو حنيفة أنه في مجلس المنصور العباسي تحاور

معه حول بعض المسائل، فكان الإمام جعفر يقول هذا رأينا، وهذا رأيكم وهذا رأي أهل العراق، وهذا رأي أهل الحجاز .

□ **المحاور: مشاهدينا الكرام لا تمتلك أمة من الأمم اليوم، من عناصر الاتحاد والوحدة، ودواعي الائتلاف والأخوة، بين مكوناتها الدينية والمذهبية والعرقية ما تمتلكه الأمة الإسلامية، فالدين واحد، والشريعة واحدة، وهناك تاريخ مشترك، وحضارة واحدة، وجغرافية متصلة، وأرض ممتدة في قلب العالم، لهذه الدواعي والأسباب فالوحدة بين المسلمين اليوم فريضة شرعية، وضرورة عقلية، وواقعية.**

لكن التحديات أكبر وأخطر، فالاستكبار العالمي يعمل ليل نهار لإضعاف هذه الأمة، لذلك فهو يصنع لها الأعداء الوهميين لتفجير وحدتها من الداخل.

إن العدو الحقيقي لهذه الأمة ليس تعددها المذهبي، ولا تنوعها العرقي أو اللغوي، إنما هو الثالوث الشيطاني، وتوابعه، وذيوله المتمثل في الاستبداد السياسي الذي يهلك الحرث والنسل، والتعصب المذهبي المقيت الذي ينشر الكراهية في قلب المجتمعات المسلمة، وأخيرًا الاستعمار الأرضي والصهيوني الذي يستعمر الأرض، وينهب الثروات.

إن الوحدة هي قدر هذه الأمة، وإن كانت كلمة التوحيد تستلزم وحدة الكلمة، فلا تقدم ولا ازدهار ولا عزة ولا كرامة إلا بالتوحيد والوحدة.

إلى أن يتجدد اللقاء بكم في رحاب التقريب، أشكر حسن متابعتكم، أستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحتويات